الأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا

◇ وَالْوَاقِعُ السِّيَاسِيُّ الْآنْ ◇

كمال أحمد عبدالسلام

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: الأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْوَاقِعُ السِّيَاسِيُّ الْآنْ

تأليف: كمال أحمد عبدالسلام

رقم الإيداع: ٧٦٤٢ / ٢٠١٤

الطبعة الأولى ٢٠١٤



القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

مُقَدِّمَة

إن الحمدلله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلى وسلم وبارك عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

عزيزي القارئ هذا الكتاب الذي بين أيديكم الآن وهو بعنوان: (الْأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي: القبط، والذي وصفهم الله بالمودة للين جانبهم وقلة غِلٍّ قلوبهم.

قال ابن كثير: وما ذاك إلا لما في قلوبهم من الرِّقَّةِ وَالرَّأْفَةِ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ﴾ (الحديد: ٢٧).

وفي كتابهم: (مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنَ، فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الأَيْسَرَ) وليس القتال

مشروعًا في ملتهم.[1]

ولأن من مذهب اليهود، أنه يجب إيصال الشَّرِّ إلى من خالف دينهم بأيِّ طريق كان، من القتل، ونهب المال ونحوهما، وهو عند النصارى حَرَامٌ، وقد روى ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعًا: (مَا خَلاَ يَهُودِيٌّ بِمُسْلِمٍ إِلاَّ هَمَّ بِقَتْلِهِ) ولكثرة اهتمام النصارى بالعلم وَالتَّرَهُّبِ، مما يدعوا إلى قلة البغضاء والحسد، ولين العريكة، كما أُشِيرَ إليه بقوله (ذلك) أي: كونهم أَقْرَبَ مَوَدَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ (بأن منهم) أي: بسبب أن منهم (قسيسين) أي: علماء (ورهبانًا) أي: عُبَّادًا متجردين (وأنهم لا يستكبرون) أي: يتواضعون لوداعتهم ولا يتكبرون كاليهود، وفي الآية دليلٌ على أن الإقبالَ على العلم، والإعراض عن الشهوات، والبراءة من الْكِبْرِ - مَحْمُودٌ -، وإن كان ذلك من كافرٍ، كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾. (المائدة: ٨٢).[2] وَلَمَّا فُتِحَتْ (مصر) سنة عشرين من الهجرة أوصى رسول الله ﷺ بالقبطِ خَيْرًا لأن لهم فينا نَسَبًا وَصِهْرًا، حتى يُعْلِنَ للدنيا بِأَسْرِهَا أننا من صهر الأقباط، حيث قال ﷺ: (إِذَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِصْرًا، فَاسْتَوْصُوا بِقِبْطِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا نَسَبًا وَصِهْرًا).

أما عن النسب والصهر، فعندما فُتِحَتِ الإسكندرية على يَدِ عمرو بن العاص سنة خمسٍ وعشرينَ من الهجرةِ، وكانت من بين الأسرى بنت (الْمُقَوْقِسِ) عظيم القبط، فتسابق بعض الصحابة للزواج منها، ورفض (عمرو بن العاص) ذلك وأرجعها لأبيها، وقال للصحابة: ألم يكن أبيها قد أهدى (مارية القبطية) لرسول الله ﷺ، فَرَدًّا لِهَذَا الصَّنِيعِ

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٨٧).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: (٤/ ٢٣٠)

رَدَدتُهَا لأبيها إكرامًا له على ما فعله مع رسول الله ﷺ، لأنه رَدَّ على كتاب النبي ﷺ بأدبٍ جَمٍّ رفيعٍ، وأكرم رسولهُ (حاطب بن أبي بلتعة)، فقال في كتابه: (بسم الله الرحمن الرحيم: لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك.

أَمَّا بَعْدُ :

(فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أَنَّ نبيًّا بَقَى، وكنت أظن أنه يخرج من الشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليه بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة تركبها، والسلام عليك).

ولم يَزِدْ على هذا، وَلَمْ يُسَلِّمْ، والجاريتان (مارية القبطية، وسيرين)، والبغلة (دُلْدُلْ) بقيت إلى زمن معاوية.[1]

واتخذ النبي ﷺ (مَارِيَةَ) سَرِيَّةً لَهُ وهي التي ولدت له (إبراهيم)، أما (سيرين) فأعطاها (لحسان بن ثابت) الأنصاري، فأقباط، مصر هم أصل هذا الوطن تَارِيخًا وَجُغْرَافِيَةً، ونحن شركاء فيه، لأننا شعبٌ وَاحِدٌ، هُمُومُنَا واحِدَةٌ، وَأَزَمَاتُنَا واحدةٌ، وَدِفَاعُنَا عن هذا الوطن دِفَاعٌ مُشْتَرَكٌ، القبطيُّ بجانب المسلم في دفاعه واستبساله عن هذا الوطن، ولقد نُسِجَ وَاخْتَلِطَ الدَّمُ الْقِبْطِيُّ بِالدَّمِ الْمُسْلِمِ في معارك كثيرة ستتعرض لها لاحقًا، وإن شاء الله سيكون هذا النسيج نَسِيجًا وَاحِدًا رغم كيد الكائدين، وحقد الحاقدين، وَتَشَدُّقِ الْمُتَشَدِّقِينَ، وَتَفَيْهُقِ الْمُتَفَيْهِقِينَ، لذا وجب علينا جميعًا مسلمي وأقباط مِصْرَ التمسك بوصية رسول الله ﷺ، ولا ندع مجالاً لخفافيش الظلام أن يفككوا هذا النسيج، أو يشوهوه تَبَعًا لأهوائهم الضَّالَّة، وأمراضهم الخبيثة، فقد جاء في الطبراني الكبير، والحاكم من حديث كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ

(١) زاد المعاد لابن القيم: (٣/ ٦١).

فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبَطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا).[1]

- أما عن الجانب الآخر من هذا الكتاب، فنحن نرفع الستار عن الجماعات الإسلامية المتشددة، أو جماعة الإسلام السياسي، وجماعة الإخوان، لنوضح، بل لنكشف القناع الذي يضعونه على وجوههم حينما يتوجهون إلى الجانب الدعويِّ لنرى ملائكةً يمشون على الأرض، فإذا تكلموا أُصْغِيتَ إليهم بكل حواسك، وكأن أحدًا لم يتكلم غيرهم، وإذا رُفِعَ القناع ظهر لك عن وجهه القبيح، ألا وهو الوجه الإرهابيُّ، والإرعابيُّ، والتدميريُّ فالسلفية الجهادية قد أَحَلَّتْ دماء الشعب المصري مسلمين وأقباط بفتاواهم الْفَتَّاكَةُ، وكذلك جماعة الإخوان في فترة حكم 'محمد مرسي" وظهر ذلك وَاضِحًا جَلِيًّا بعد فَضِّ اعْتِصَامَيْ "رابعة والنهضة" يوم الأربعاء ١٤/٨/٢٠١٣ فتطاولت أنوفهم على شعبهم بإرهابهم وإرعابهم، وأصبح التهديدُ عَلَنًا في القنوات المناهضة لهم، كالجزيرة، ومصر "٢٥" وقناة الناس، وغيرها من القنوات التي كانت تَبُثُّ الرُّعْبَ في صدور المصريين آنذاك، لأن هذه القنوات كانت مأجورة، حتى أصبح لها جزءًا مُخَصَّصًا من الـ ٧٪، والتي وصلت إلى ١٠٪ من مرتبات الأعضاء المنتمين إلى 'جماعة الإخوان" حتى وصلت قيمة التبرعات في العام الواحد من جيوب الفقراء منهم مليار، و ٦٠٠ ألف جنيه مصري لرشاوي المعارضين، وشراء الأسلحة لقتل كل من يعترضهم، أو يقف حَائِلاً دون تحقيق رغبتهم في الاستيلاء على السلطة والاستمرار فيها، وكان المتبني لذلك مكتب "إرشاد الجماعة" وإعطاء الإشارة لتلك القنوات المستأجرة لعرض فتاوي إباحة دماء المسلمين وغير المسلمين، وتكفيرهم، واستعراض القوى على منصتي "رابعة و لنهضة" بأننا سنفجر مصر، ونحرقُ وندمرُ كل من يُخالفنا، فأردنا بذلك الكتاب أن نُوضِح لكل من يقرأهُ من المسلمين وغيرهم أَنَّ الإسلامَ

(١) السلسلة الصحيحة للألباني برقم: (١٣٧٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٩٨).

ليس كذلك، وَأَنَّ ما يَتَبَنَّوْنَ فِكْرِ التكفير، والقتل، والحرقِ، والتدمير لا ينتمونَ إلى الإسلام بأيِّ حَالٍ من الأحوال أَبَدًا، وَلَكِنَّ الإسلامَ يُحَافِظُ على الدماءِ أَيًّا كَانَتْ، بل وَيُحَرِّمُهَا، ويُحافظ عليَ الأعراضِ، بل ويحافظ على الشجرِ وَالدَّوَابِّ، ويُحافظ أيضاً على إقامةِ الشعائرِ الدينيةِ لغيرِ المسلمينَ طالما أنهم يعيشون آمنين لا يعترضون للإسلام والمسلمين بالضرر، أو الأذى، وإن شاء الله سنكشف ذلك في أجزاءٍ كثيرةٍ من الكتاب، لذا وجب على المرء أنه إذا علم عن هذه الجماعات أَيَّ خَطَرٍ من أخطارِهَا، أَوْ فِكْرِهَا أَنْ يُوَضِّحْهُ للناس على الْفَوْرِ بالأدلةِ الشرعيةِ، أو النقليةِ لِيُبَيِّنَ عوارهم، وإلا فقد دخل في زُمْرَةِ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة:١٥٩) فإذا تَقَوَّلَ قَائِلٌ، وَقَالَ: إن معنى الآية كما جاء في التفسير: (هذا وعدٌ شديدٌ لمن كتم ما جاءت به الرسلُ من الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ على المقاصد الصحيحة والهُدَى النَّافعَ للقلوبِ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ الله تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي كُتُبِهِ التي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ)(١).

فنقول: ألم تَأَت رسالة الإسلام علي يَدِ معلمها محمد ﷺ بحسن الخلق؟ ألم تأت رسالة الإسلام بالحفاظ على الْكُلِّيَّاتِ الْخَمْسِ (الدِّينُ، وَالْعِرْضُ، والمالُ، والنفسُ، والعقلُ) وَمَا حُسْنُ الْخُلُقِ إلاَّ بِتِلْكَ الْكُلِّيَّاتْ؟ أم يقل الله تعالى في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢ - ٣).

وقوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤).

ألم يكن هذا هو النفاق بعَيْنِه، حَيْثُ قال رسول الله ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ١٩٠).

كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[1].

وما أصدق مقالة:

وَغَـيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى   طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمُ
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ   هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا   فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
لاَتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي عن ابن عمر - ﷺ - وجاء في مختصر مسلم برقم: (٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٨٩٠).

الْمَدْخَلُ
الدِّينُ لِلهِ، وَالْوَطَنُ لِلْجَمِيعِ

إعلم عبدالله أن الدين لله وحده، لأنه لا يملك القلوب إلا الله، لأنه وحده هو مُقَلِّبُهَا، وَمَالِكُ أَمْرِهَا، وَيَعْلَمُ سِرَّهَا وَنَجْوَاهَا، كما قال رسول الله ﷺ: (الْقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)، فَالْقُلُوبُ صَنَادِيقٌ مُغْلَقَةٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ عَلاَّمَ الْغُيُوب.

وَأَمَّا الْوَطَنُ لِلْجَمِيعِ

لأَنَّ الوطنَ يُظِلُّ بسمائه وشمسه وقمره وأرضه وخيراته على الناس جميعًا، لاَ يَخُصُّ طائفةً عن الأخرى، و لا يمنح الله قطعةً، أو جزءًا لهذا الدين ويمنعهُ عن الآخرين، بل وهب الله – عزّ وجل – الكون للجميع مسلمهِ وكافرهِ، وأعطى الرزق وَكَفَلَهُ لكل الأجناس، لا يفرق في هذا العطاء بين الأديان، ولا الألوان، ولا الأجناس، كما جاء في كتابه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ١٢٦).

فَعِنْدَمَا دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يرزق أهل مكة الخير الوفير، ليصبح بها زرعٌ وتمرٌ وفيرٌ، فاستجاب اللهُ لدعائه، بعد ما كانت صحراءَ جرداءَ ليس بها زرعٌ ولا ماءٌ، فأصبح الخير يَعُجُّ بأهلها من كثرته، وَلَـمَّا خَصَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بالدعاء للمؤمنين وحدهم إظهارًا لشرف هذا الإيمان ورفعةً لشأنه، عَلَّمَهُ اللهُ شُمُولِيَّةَ الرَّحْمَةَ لِلنَّاسِ جَميعًا، مؤمنهم وكافرهم، وأن يكون رزقُ اللهِ للناس في الدنيا لجميع عُمَّارِ هذه الأرض، لاَ يَخُصُّ منهم

المؤمنُ عن الكافرِ، أمَّا الحسابُ والجزاءُ والجنة والنارُ أَمْرُهَا عِنْدَ عَلاَّمَ الْغُيُوبِ، لا يعلمُ سرَّ ذلك إلا هُوَ، وَلاَ يُحَدِّدُ مَصيرَ ذَلِكَ إلاَّ هُوَ وَحْدَهُ، لِذَا وجب علينا اتباع ما جاء في كتابه تعالى، وَسُنَةَ نَبِيِّهِ ﷺ بفهم سلف الأمة، كما جاء في كتابه تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).

هَذِهِ الآيَةُ الكريمةُ حاكمةٌ على كل من ادَّعَى مَحَبَّةَ الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنهُ كاذبٌ في دَعْوَاهُ في ذلك الأمر، حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِي وَالدِّينَ السَّمَاوِيَّ في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)[1].

لِذَا وَجَبَ عَلَيْنَا، لَو انْتَقَدْنَا غَيْرَنَا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ، أَوْ أَيِّ مِلَّةٍ: أَنْ يَكُونَ نَقْدُنَا نَقْدًا مَوْضُوعِيًّا شَفَّافًا يَتَلَمَّسُ خَطَى رَوْحِ الإِسْلاَمِ وَعَدْلِهِ، كما جاء في كتابه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ (المائدة: ٨).

أَيْ: كُونُوا قَوَامِينَ بِالْحَقِّ لله – عزَ وجل –، لا لأجل الناسِ والسمعةِ، وَلاَ يَحْمِلُ ابْنُ آدَمَ بغضهُ لقوم، أو طائفةٍ، أوْ مِلَّةٍ ترك العدل فيهم، بل وجب العدل مع كل أحد أيًّا كان، صديقًا، أو عدوًّا، أو على غير ملةِ الإسلام.

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: ثمرةُ هذهِ الآيةِ: الدَّلاَلَةُ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالقسطِ، فيدخل فيه الشهادة بالعدل، والحكم به، وكذلك الفتوى، وأن قولَ الحقِّ لا يترك وجوبهُ بعَدُوٍّ، ولا صديق، ولا يجوز اتِّبَاعَ الْهَوَى.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على أَنَّ العدلَ إذا كان واجبًا مع

---

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٣٤١)، والحديث رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وأحمد (٢٥٧٩٧)، (وأبو يعلى (٤٥٩٤)، وابن حبان (٢٦)، والدارقطني (٧٨) (٤/ ٢٢٤)، والبيهقي (٢١١٢٣) و(٢١٨٠٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الكفار الذين هم أعداءُ الله، وإذا كان بهذه الصفة من الْقُوَّةِ، فما الظَّنُّ بوجوبه مع المؤمنينَ هم أولياؤهُ وأحباؤهُ. [1]

فَالنَّقْدُ الإسلاميُّ المعصومُ، والذي لا كلامَ ولا تأويلَ غيرهُ، لِأَنَ فَحْوَاهُ قد نزل بحبل ممدود من السماء على رسوله ﷺ قرآنًا وسنةً وهو دستورٌ سماويٌّ نزل به الروح الأمين، ليكون نذيرًا للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٤)، ولا يجب التطرق إليه، ولا إمعان الفكر فيه، إلا للعبرةِ، واتباعِ أحسنِ الْهَدْيِ.

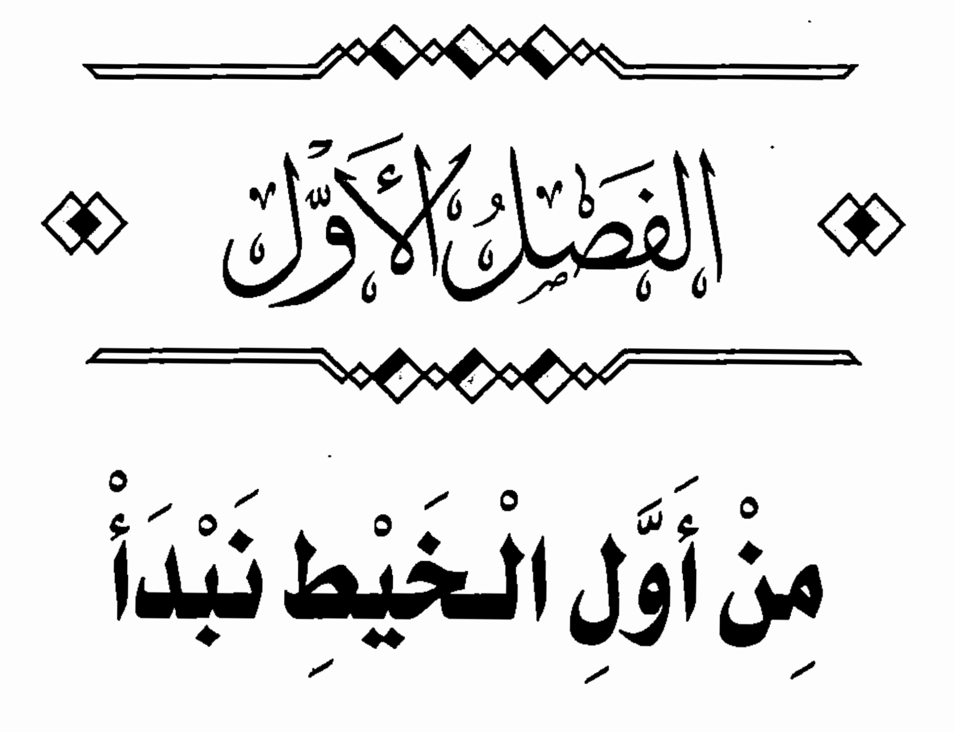
أَمَّا النَّقْدُ الإِسْلَامِيُّ الغير معصومٍ والذي جاء من عند البشر، وما رآه بعض السَّاسَةِ والمفكرينَ، هو دُسْتُورٌ بَشَرِيٌّ يجب إمعان النظر إليه مرات ومرات وإعمال الفكر فيه، بل وتغييره إن أمكن، لأنه لا يوجد على وجه الأرض الآن من يَكُنْ قَوَّامًا على أمر الدين وحده، وَمُحْتَكِرًا لأمر الشريعةِ وحدهُ، لأنه مات صاحب الشريعة، فَالْكُلُ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُّ إلاَّ صَاحِبَ الْقَبْرِ، أَيْ: محمد ﷺ، لأن العصمة له وحده، وبموته أصبحت العصمة لا يمتلكها أَيَّ إِنْسَانٍ أَيًّا كَانَ حتى لو كان أَخْلَصَ الناسِ اجتهادًا على وجه الأرض، فَالنَّقْدُ الْبَنَّاءُ جُزْءٌ مِنَ الإِسْلَامِ، لأنه يكون نقدًا عادلاً، وليس هَدَّامًا، فإذا كان الأَوَّلُ وصل بالمجتمع إلى سواءِ السَّبِيلِ، وإذَا كان الثَّاني وصل بالمجتمع إلى أضرارٍ بليغةٍ ورجع بنا إلى الوراء سِنِينَ عَدَدًا، فَجعلَ الْحَابِلَ وَالنَّابِلَ يتكلم بِلاَ ضَوَابِطَ وَلاَ أُسُسٍ، وبعد أن كان التيارُ الإسلاميُّ يُسْمَعُ في كل بيتٍ من القنواتِ الفضائيةِ، لأنه كان تيارًا دعويًا فقط، وَلَـمَّا تَغَيَّرَتْ وِجْهَتُهُ وَحَوَّلَهَا إلى الْوُجْهَةِ السياسيةِ الممزوجةِ بالكذبِ والاحتيالِ والتسلقِ على أكتافِ الآخرينَ بأقوالٍ مغلوطةٍ مردودةٍ يظهر عفنها أمام نَاظِرَيْ من يشاهد تلك القنوات من همزٍ ولمزٍ وتجريحٍ للخصومِ، بل وانتهاكٍ للأعراضِ، بل ويزيد الأمر تعقيدًا وسوءًا بإصدار بعض الْـمُتَنَطِّعِينَ

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٤/ ٨٣).

فتاوى بإهدارِ دماءِ المعارضينَ من جبهةِ الإنقاذِ الوطنيِّ، ولولا وسطية الأزهر الشريف وأصحاب العقول الرشيدة من القنوات الفضائية الأخرى، لأصبحنا في نفقٍ مظلم وشرٍّ مستطيرٍ، ولذلك أصبحَ التيارُ الإسلاميُّ منبوذًا في الساحةِ الآن، لأنه لم يفرق بين الإسلام الدَّعَوِيِّ، وَالإِسْلام السِّيَاسيِّ، فحجب وطغى الجانب السياسي على الجانب الدعوى، فأطلق لنفسه العنان، وتجرأت أفواهُهُ بالكلماتِ والتصريحاتِ التي تخدم من يطلقها لصاحب حزب، أو رئيس، أَوْ مَاشَابَهَ ذلك، فأصبح يَتَأَوَّلُ في التصريحات والبراهين، وَيُؤْتَى بأَدِلَّةٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ، فَالْجَانِبُ الدَّعَوِيُّ يَقُولُ: رَبِيٌّ. رَبِيٌّ، أَمَّا الْـجَانِبُ الْحِزْبِيُّ، أَو السِّيَاسِيُّ، فَيَقُولُ: نفسي. نفسي، أو حزبي. حزبي، فَالْجَانِبُ الدَّعَوِيُّ هُوَ دَائِمٌ طَالـمَا أنهُ يلتزمُ بضوابطِ الشرع والدين، أَمَّا مَنْ يَقُولُ: نَفْسِي. نَفْسِي. حِزْبِي. حِزْبِي. رَئِيسِي. رَئِيسِي، فَهُوَ غَيْرُ دَائِمٌ، لأن الملك لله وحدهُ، فَالْـمَلِكُ، أو الرئيسُ مهما أن طال عمره، وعلا في الأرض وَتَكَبَّرَ فيها وَتَجَبَّرَ فهو إلى زوالٍ، فلو أنه يُبْصِرُ حَقِيقَةَ ما ذهب في الزمن الماضي لَتَغَيَّرَ واقعهُ وأصلحَ حالهُ والذي بدوره سيصلحُ مآلهُ في الدنيا والآخرة، فأين فرعون مصر القديم والحديث؟ وأين هامان وقارون؟، وأين قوم عاد وثمود وقوم تُبَّع؟ وأين غيرهم من الْـمُتَجَبِّرِينَ وَالْمتكبِّرِينَ:

أَيْنَ الظَّالِمُونَ وَأَيْنَ التَّابِعُونَ لَهُمْ فِي الْغَيِّ ... بَـلْ أَيْـنَ فِـرْعَـوْنَ وَهَـامَـانْ؟
أَيْنَ مَنْ دَوَّخُوا الدُّنْيَا بِسَطْوَتِهِمْ ... وَذِكْرِهِمْ فِي الْوَرَى ظَلْمٌ وَطُغْيَانْ
هَلْ أَبْقَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ ... أَوْ هَلْ نَجَا مِنْهُ بِالسُّلْطَانِ إِنْسَانْ؟
لاَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ ... اْلكُلُّ يَفْنَى فَلاَ إِنْسٌ وَلاَ جَانْ



الفصل الأول

مِنْ أَوَّلِ الْخَيْطِ نَبْدَأْ

إطْلَالَــةٌ

لقد آثَرْتُ على عرض وكتابة الفترة التي تسبق حكم الإسلام لمصر وما عانته الأقباط من ظلم في النواحي السياسية، والاقتصادية، والدينية، والأخلاقية، والقهر والإذلال البدنيِّ، والتعدِّي على الأجساد والأعراض والكنائس والاضطهادِ الدينيِّ للأقباطِ، حيث عاشت في ذُلٍّ مهينٍ، فأصبح الغزاةُ والمستعمرونَ يذيقونهم سُوءَ الْعَذَابِ، فتفننوا في إذلال الأقباط وتسخيرهم أسوأ من العبيد، مما جعل الأحوال السياسية، والاقتصادية، والدينية على أسوإ ما يكون.

الْمَبَاحِثُ:

- الْـمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : الْأَحْوَالُ السِّيَاسِيَّةُ.
- الْـمَبْحَثُ الثَّانِي: الْأَحْوَالُ الاقْتِصَادِيَّةُ.
- الْـمَبْحَثُ الثَّالِثُ: الْأَحْوَالُ الدِّينِيَّةُ.
- الْـمَبْحَثُ الرَّابِعُ: الاِضْطِهَادُ الدِّينِيُّ لِلْأَقْبَاطْ.

مِنْ أَوَّلِ الْخَيْطِ نَبْدَأُ

أَحْوَالُ مِصْرَ قَبْلَ الْفَتْحِ الإِسْلاَمِيِّ:

لقد عاشت الأقباط في فترة ما قبل الفتح الإسلاميِّ في ذُلٍّ مَهِينٍ، فكان الْغُزَاةُ لِـمِصْرَ يذيقونهم سوء العذاب، حتى أصبحوا يتفننون في إذلال هذا الشعب وتسخيره كالعبيد، بل وأسوأ من العبيد، مما انعكس ذلك على النواحي السياسة والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأخلاقية، فأصبحت على أسوإ ما يكون، وإليك عزيزي القارئ بعض الجوانب من ذلك:

الأَحْوَالُ السِّيَاسِيَّةُ للأقباط قبل الفتح الإسلامي: (حملة قمبيز بين قورش)

كان غزو (قمبيز) لمصر عام (٥٢٥) قبل الميلاد من أسوإ الغزوات التي تعرضت لها البلاد؛ فقد أَعَدَّ قمبيز لحملته كل ما استطاع، ومالأه اليهود مقابلُ أن صَرَّحَ ببناء معبدهم في (أورشلين)، فجعل من فلسطين قاعدةً لتحركه نحو مصر، وانحاز إلى قمبيز رجل إغريقي يُدْعَى (فانيس) كان قائدًا لفرقة لمقاومة الحملة، كما أفاد قمبيز بدلالته على مسالك الصحراء، وتسهيل الاتصال ببدو سيناء لإمداده بالماء والمئونة عبر الصحراء، ومات فرعون مصر (أمازيس) وارتقى العرش بعده ابنه الشاب (أبسماتيك الثالث) قبيل الغزو مباشرة، وسار بجيشه من غزة، وتحرك أسطوله من عكا، وكانت وجهته بيلوز (الفرما) فهزم أبسماتيك الثالث، وكانت المعركة الثانية في (عين شمس)، ثم الثالثة في (منف) وهذا يعني أن قمبيز قد سلك الطريق نفسه الذي سلكه (عمرو بن العاص) من بعد، وفي منف وقع أبسماتيك أسيرًا وسقطت عاصمته في يَدِ قمبيز. كان قمبيز مَلِكًا هَمَجِيًّا أَذَلَّ المصريين إذلالاً مهينًا، فقد أجلس أبسماتيك وكبار رجال دولته عند مدخل المدينة، وألبس ابنة أبسماتيك، وبنات كبار رجال الدولة ملابس الإماء التي تكشف عن

أجسادهنَّ العارية، وأجبرهنَّ على حمل جرار الماءِ والسَّيْر حُفَاةً أمامهُ، وأمام الفرعون الأسير يسقين المنتصرين وَيَخْدِمْنَهُمْ، وعندما دَمَعَتْ عَيْنَا أبسماتيك أُمِرَ بِهِ قَمْبِيزَ فَقُتِلْ!!

وأراد قمبيز أن يواصل غزواته إلى (النوبة) ولكنه هُزِمَ، فارْتَدَّ على عَقِبَيْهِ، ثم عاد فَسَيَّرَ جيشه من طيبة غربا إلى (الواحات الخارجية) ومنها إلى (سيوة) ولكن ريحًا عَاتِيَةً ثارت على الصحراء، فَدُفِنَ هذا الجيش كله ولم ينج منه أحد، وَلاَ عُثِرَ عليه أحد بعد دخوله الصحراء! ولم يجد قمبيز بُدًّا من العودة إلى فارس، ولكنه مات في الطريق عام (٥٢٢) قبل الميلاد، وَقِيلَ إِنَّهُ انْتَحَرَ.

فَتَأَمَّلْ عَبْدَ اللهِ قبل ذلكَ بقليلٍ عندما أَذَلَّ قمبيز أبسماتيك ملك مِصْرَ إِذْلالاً مَهِينًا، فأجلسه هو وكبار رجال دولته عند مدخل المدينة، وألبس ابنة ملك مصر، وبنات كبار رجال الدولة ملابس الإماء اللاتي تكشف عن أجسادهنَّ العارية، وَإِجْبَارِهِنَّ على حمل جرار الماء والسير حُفَاةً عُرَاةً أمامه وأمام الْفِرْعَوْنَ الْأَسِيرَ يَسْقِينَ المنتصرين ويخدمنهم، وعندما أفزع هذا المنظر أبسماتيك وتذكر حالهُ ومآلهُ في تلك اللحظاتِ الرهيبةِ انفرطت عيناه تدمعان حُزْنًا وَأَسًى، ثم أُمِرَ به قمبيز فَقُتِلَ، وَلَمْ يَمْضِ كَبِيرَ وَقْتٍ حتى انتقم الله من قمبيز وَهُزِمَ بجنود الله الخفية أي: الريحِ التي ثارت عليه في الصحراء فَدُفِنَ هَذَا الْجَيْشُ الْعَرَمْرَمَ كله في الصحراء، ولم يَنْجُ منهُ أَحَدْ.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود: ١٨).

وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (دَعْوَةُ الْمَظْلُوم مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ) (١).

لَاَ تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَـإِنَّ الظُّلْمَ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْـمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَـمْ تَـنَمِ

(١) صحيح الجامع برقم: (٣٣٨٢)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٧٦٧).

وفي عام (٣٤١) قبل الميلاد وَجَّهَ الْفُرْسُ حَمْلَةً إلى مِصْرَ بَرًّا وَبَحْرًا، فاستطاعت أن تحتل مصر مرةً أخرى، حتى غزاها الإسكندر الأكبر بعد تسع سنوات.

حَمْلَةُ الْإِسْكَنْدَرِ الْأَكْبَرِ:

لقد خرج الإسكندر الأكبر من اليونان مُتَّجِهًا شَرْقًا حتى عَبَرَ (الوردنيل)، ثم اشتبك مع الفرس عند نهر (جرانيق) الذي يَصُبُّ في بحر (مرمره) وهزمهم سنة (٣٣٤ ق.م)، واختار هضبة (الأناضول إلى خليج الإسكندرية) حيث هزم الفرس هزيمةً ساحقةً في (إيسون) وَفَرَّ (دارا الثالث) ملك الفرس إلى بابل، ثم سار الإسكندر جنوبًا ففتح بلاد الشام حتى وصل إلى (مصر) في جيشٍ قَوَامُهُ (أربعون ألفًا وأسطولُه يَمْخُرُ بحذائهِ في البحر)، وسار (من غزة) إلى (بيلوز الفرما، ثم إلى منف) في الطريق الذي سلكه (قمبيز) من قبل (وعمرو بن العاص) من بَعْدُ، واستسلم (مازاكيس) الوالي الفارسي للإسكندر دون مقاومة سنة (٣٣٢ ق.م).

أنشأ الإسكندر مدينة الإسكندرية، ثم سار غربًا حتى (سيوه) وعاد إلى (منف)، ثم غادر (مصر) عام (٣٣١ ق.م) ليواصل فتوحاته، ولكنه توفي بالملاريا في ١٣ يونيه عام (٣٣٣ ق.م) وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، وبعد وفاته تمزقت إمبراطوريته، واقتسمها قادته من بعده، فكانت مصر من نصيب (بطليموس بن لاجوس) وبدأ حكم البطالمة لمصر سنة (٣٠٦ ق.م) وتتابع حكمهم حتى هزيمة القائد الروماني (أنطونيوس) في معركة (أكتيوم) البحرية على يد القائد الروماني المنافس (أوكتافيوس) الذي عُرِفَ بعد ذلك بالملك (أغسطس)، وهكذا انتهت الفترة البطلمية التي عانى خلالها المصريون من التَّمَايُزِ الطَّبَقِيِّ، والمظالم المادية، وفساد الإدارة، حتى تفككت الدولة، وَضَعُفَ الجيشُ والأسطولُ، وبدأ الحكم (الروماني) لمصر واستمر قُرَابَةَ سَبْعَةَ قُرُونٍ، فكان أَطْوَلَ وَأَسْوَأَ فترات تاريخها.

اتَّصَفَ الْحُكْمُ الرُّومَانِيُّ لِـمِصْرَ بِالتَّعَسُّفِ، فقد برع الرومان في ابتكار الوسائل التي تتيح لهم استغلال موارد البلاد، ففرضوا على المصريين نُظُمًا ضَرِيبِيَّةً مُتَعَسِّفَةً شملت الأشخاص، والصناعات، والماشية، والأراضي، فضاق المصريون بها ذَرْعًا، وقاموا

بِعِدَّةَ ثَوَارَاتٍ ضد الحكم الروماني، لعلّ أشهرها تلك التي قامت في عهد الإمبراطور (ماركيوس أورليوس ١٦١-١٨٠م) وَتُعْرَفُ (بحرب الزُّرَّاعِ، أو الحرب البوكولية)، ولكن الرومان كانوا يقضون على هذه الثورات في كل مرة.

ظلت مصر تحت الحكم الروماني ما يزيد عن ستة قرون، وفي عام (٣٩٥م) انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي، وغربي، وعلى الرغم من استمرار فكرة الإمبراطورية، فقد حكم إمبراطوران مَعًا، وَاحِدٌ فِي الشَّرْقِ، وَآخَرُ فِي الْغَرْبِ، وفي عام ٤٧٦م سقط القسم الغربي في أيدي (البرابرة الجرمان) في حين نجا القسم الشرقي الذي عُرِفَ بالإمبراطورية (البيزنطية) وعاصمته (القسطنطينية).

كانت مصر بوصفها مرتبطة مباشرة بالحكم المركزي تتأثر بما كان يحدث في البلاط (البيزنطي) من صراعات ومؤامرات من أجل السلطة، فَتَعَرَّضَ المصريون لأشدِّ أنواع المضايقاتِ في عهد الإمبراطور (فوقاس) (٦٠٢-٦١٠) بما شتهر به عهده من المؤامرات والاغتيالات إنما حَدَّدَ الإطار الخارجي الذي جرى في نطاقه من العو مل ما أدّى إلى انتشار الفوضى والتفكك البطيء في الحكومة والمجتمع، وقد تأثرت مصر بذلك، فامتلأت أرض (الصعيد) بعصابات اللصوص وَقُطَّاعِ الطرقِ، وغزاها (البدو وأهل النوبة)، واضطربت أوضاع مصر السفلى أيضًا وأضحت ميدانًا للشغب والفتن والثورات بين الطوائف، أوشكت أن تكون حربًا أهليةً، وانصرف الْحُكَّامُ إلى جمع المال لخزينة الإمبراطور، فبذلك أُضْرِمَتْ مصر بنار الثورة، وتعرضت الإمبراطورية فى هذه الأثناء إلى كارثةٍ خطيرةٍ، إِذْ هُزِمَتْ عسكريًا في البلقان وآسيا لصغرى وبلاد الشام، واجتاحتها الجيوش الفارسية، ثم شَرَعَ الفرسُ يغزون مصر.

كسرى أبرويز:

كان فى (فوقافوكاس) (٦٠٢-٦١٠م) ملك الروم، بعث كسرى أبرويز (ملك فارس) جيوشه إلى بلاد الشام ومصر، فخربوا كنائس القدس وفلسطين وَعَامَّةَ بلاد الشام، وقتلوا النَّصَارَى بأجمعهم، وَأَتَوْا إلى مصر في طلبهم فقتلوا منهم أُمَّةً كبيرةً، وَسَبُوا منهم سَبْيًا لا

يدخل تحت حَصْرٍ، وساعدهم اليهود فى محاربة النصارى وتخريب كنائسهم، وفى أيام (فوكاس) أُقِيمَ (يوحنا الرحوم بطرك الإسكندرية) فى قبرص فَارًّا من الفرس، فخلا كرسى الإسكندرية من البطركية نحو سبع سنين، واختفى من بقى بها من النصارى خَوْفًا من الفرس، وكان غزو الفرس للإسكندرية عام (٦١٧م) وتم لهم إخضاع مصر عام (٦١٨م) وبلغوا أقاصى (الصعيد حتى أسوان)، وبقى سلطانهم فى مصر حوالى عشر سنوات، وعندما ملك (هرقل) (٦١٠-٦٤١م) الروم (بالقسطنطينية) تَغَلَّبَ على (الفرس) وغزا عاصمتهم (المدائن) وأجبرهم على الانسحاب من جميع الأراضى التى استولوا عليها من آسيا الصغرى وبلاد الشام، وخرجوا من مصر عام (٦٢٧م) وهكذا عاد الروم إلى مصر فى عهد (هرقل)، فما مضت السنتان حتى جاءت الرُّكْبَانُ بظهور الروم على الفرس.

الرُّومُ مَرَّةً أُخْرَى

خرج الروم من مصر عام (٦٢٧)، وعاد إليها الروم البيزنطيون، وفى عام (٦٣١م) أرسل هرقل (سيروس) بطركًا للإسكندرية، وهو الذى ذكره (المقريزى) باسم (فيرس) وذكره غيره باسم (قيرس) وكان ملكانى المذهب، وإلى جوار أنه كان أَسْقُفًا، فقد كان نَائِبًا عن هرقل فى حكم مصر، وكانت الإسكندرية ما زالت هى عاصمة البلاد.

وصل (قيرس) إلى الإسكندرية، وبدأ اضطهاده للقبط ليحملهم على اتِّبَاعِ المذهب (المكانىِّ الحكومىِّ)، فكان عليهم أن يختاروا بين مذهب (خلقيدونية) بِنَصِّهِ، أو الجلدُ، أو الموتُ، وبلغَ السَّيْلُ الزُّبَى بقبط مصر، فلئن كان حكم الفرس مما لم يرغبوا فيه لِمَا كان معه من ظُلْمٍ وَجَوْرٍ، فإن حكم الرومان وبطشهم وعسفهم لم يكن مما يفرحون به ويحمدونه، فقدَ جاء (قيرس) ليحرمهم حرية العقيدة، وتتفق كلمة المؤرخين أن اضطهاد (قيرس) ليحرمهم حرية العقيدة، وتتفق كلمة المؤرخين أن اضطهاد (قيرس) للقبط قد استمر عشر سنوات، بمعنى أنه استمر طول مدة ولايته يمنع القبط من ممارستهم لعقيدتهم الدينية.

المبحث الثاني:

الْأَحْوَالُ الاقْتِصَادِيَّةُ لِلأَقْبَاطِ قَبْلَ الْفَتْحِ الإِسْلَامِيِّ:

لقد أبقى الرومان فى مصر حامية رومانية من ثلاثين ألفًا عبارة عن ثلاث فرق، وَقُوَّاتٌ مُسَاعِدَةٌ، أخضعت البلاد وأخمدت ثوارتها، وأحالتها إلى مزرعة تمد الإمبراطورية الرومانية بالمال والغلال، لاَ سِيَّمَا القمح، حتى إن الإمبراطور (تيبريوس) عَنَّفَ حاكمًا أرسل إليه حاصل الضرائب زائدًا عن النِّصَابِ السنويِّ فقال له: (إِنَّهُ إِنَّمَا وُلِّيَ عَلَى مِصْرَ لِيُجَزَّ وَبَرَهَا، لاَ لِيَسْلُخَ جِلْدُهَا)!!، فَرُومَا كانت تنظرُ إلى مصرَ على أنها بَقَرَةٌ حَلُوبٌ، فَدَأَبَتْ على استنزافِ لَبَنِهَا، فلم يكن كل قياصرة روما مثل (تيبريوس)، ومع ذلك كان من رأيِهِ أَنْ يجزَّ وَبَرَهَا، فأصبحت مصر مستعمرةً بمعنى الكلمة، وعاملت روما شعب مصر على أنه شعبٌ مغلوبٌ مقهورٌ، ومنحت اليونانيين واليهود امتيازاتٍ خاصةٍ في مصر، وخطر على المصريين حمل السلاح وصارت حيازته عقوبتها الإعدام، وَاتَّسَمَ الحكمُ الرومانيُّ بفداحةِ الضرائبِ والعسفِ فى الجبايةِ، وعاش المصريون قرونًا ضنكًا، حتى خربت البلاد اقتصاديًا واجتماعيًّا، وقد كتب المؤرخُ اليهوديُّ (فيلون) فقال: إنَّ جُبَاةَ الضرائبِ كانوا يستولون على جثة العاجزين عن سداد الضرائب حتى يُكرهوا ذَوِى قُرْبَاهُ على دفع الضرائب المتأخرة عليه، اسْتِنْقَاذًا لجُثَّتِهِ، كَمَا ذُكِرَ أَنَّ الزوجات والأطفال وغيرهم من الأقوياء كانوا يُحْشَرُونَ إلى السجونِ، وَيُصَبُّ عليهم التعذيب حتى يصل الرومان إلى المفلس الهارب، فكان يحدث أن يهرب الأهالى من مُدُنِ بِرُمَّتِهَا، وكانت جبايةُ الضرائبِ تُطْرَحُ فى مزاد عام يرسو على مَنْ يلتزم بتوريدِ أكثر، ثم تُطلق أيديهم فى تحصيل ما يشاءون بأبشع الوسائل، حتى تناقص عدد السكان، فإذا اختفى أحد دافعى الضرائب

وقعت مسئولية سدادها على زملائه، ووقع واجب فلاحة أرضه على الآخرين، وبلغ الحال أن امتنع الملتزمون عن التقدم لهذا العمل، فكانت السلطة تُكرههم على ذلك، وصار أولئك الذين كان من واجبهم ترشيح هؤلاء ضامنين مسئولين عَمَّا ينشأ من عجز!!

وقد كان من الطبيعيِّ أن تحدث ثورات على هذا الوضع، فقد نشبت ثورة فى (طيبة) بعد بضعة شهور من الغزو الرومانيِّ، وَنُكِّلَ الثُّوارُ بِجُبَاةِ الضرائبِ للرومانِ، وزحف إليهم الحاكم الرومانى (جالوس) من الإسكندرية حتى (أسوان وما وراء الشلال) فأخمد الثورة وَنُكِّلَ بالثائرين، وتكررت الثورات فى (الصعيد) وفى (شمال شرق الدلتا) وكان الرومان يخمدونها ويبدو أن الأَمْرَ كان صعبًا على الرومان فى بعض الأحايين فعقدوا صُلحًا مع (النوبيين)، أعفوهم فيه من دفع الجزية، وأقام الرومان حصونًا فى النوبة: فى (الدكة وكلابشة وقرطاسة وأبريم) لِتُعِينَهُمْ على أمرهم، كما جَنَّدَ الإمبراطور (تراجان) بناء حصن بابليون ليكون المقر الرئيسى للحامية الرومانية فى داخل البلاد، وقد اتخذ الرومان مصر شاةً حلوبًا يريدون أن يستنزفوا مواردها وَيَمْتَصُّوا دَمَهَا، يقول (ألفرد): (إن الرومَ كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس، وضرائب أخرى كثيرةَ العددِ، مما لا شك فيه أن ضرائب الروم كانت فوق الطاقة، وكانت تجرى بين الناس على غير عدل)، ويقول مؤلفو تاريخ العالم للمؤرخين: (إن مصر كانت تضيف إلى مالية الدولة البيزنطية مجموعًا كبيرًا من حاصلاتها ومنتجاتها، وكانت طبقات الفلاحة المصرية – مع حِرْمَانِهَا من كل قوة سياسية ومن كل نفوذ مُرْغَمَةٌ على أداء الخراج للدولة الرومية، ككراء الأرض فضلاً عن الضرائب، وكانت ثورة مصر فى هذا العهد إلى الانتقاص والانحطاط).

وهكذا عاشت مصر اقتصادياً، وهذه كانت صورتها لمدة سبعة قرون منذ انتحار (كليوباترا) (عام ٣٠ ق.م) حتى أنقذها الفتحُ الإسلاميُّ بقيادة (عمرو بن العاص) عام (٦٤٠-٦٤٢م) (٢٠هـ).

المبحث الثالث:

الْأَحْوَالُ الدِّينيَّةُ للْأَقْبَاطِ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ:

تسربت المسيحية إلى مصر فى وقت مبكر، وأخذت فى الانتشار تدريجيًا فى أنحاء مصر منذ القرن الثانى الميلادى، فألقى الناس فيها زادًا رَوْحِيًّا، يستمدون منه الْقُوَّةَ والقدرةَ على مقاومة ظلم أباطرة الرومان، ولا شك أن الأهمية المتزايدة لإقليم مصر هى التى دفعت الإمبراطور للوقوف فى وجه المسيحية، فلعلّها - إلى جانب مخالفتها لدين الدولة الرسمى تدفع الناس لمقاومة الظلم، فما كان من الحكام بها إلا أن زادوا من حجم الاضطهادات فى القرن الثالث الميلادى، وبالتحديد فى منتصفه، حين قدم (ديكيوس) الرومانى بمحاولة إبادة المسيحيين على مستوى الإمبراطورية كلها بما فيها مصر، مما أدى إلى نوع من الانقسام بين المصريين، ما بين متحمل للاضطهاد وثابت على الحق مهما كلفه ذلك، وما بين متظاهر بالوثنية، نجاةً بنفسه من الموت المحقق!!، وقد بلغت المظالم وحركة الاضطهاد ذروتها فى عهد (دقلديانوس) (٢٨٤-٣٠٥)م والذى تَأَبَّى المسيحيون عليه، ورفضوا تقديم القرابين لآلهته، فما كان منه إلا أَنْ مَثَّلَ بهم، وارتكب فى حقهم أفضع الجرائم حتى أُطْلِقَ على عصره (عصر الشهداء)، بسبب آلاف الأرواح التى أُزهقت من قبط مصر بسبب الكنيسة القبطية حتى الآن تستخدم تقويمها القبطى بدْءًا بسنة (٢٨٤م) والتى اعتلى فيها عرش الإمبراطورية، رغم أن اضطهاده الفعلى زاد فى أواخر حكمه سنة (٢٩٩م) ويذكر (المقريزى) أن (دقلديانوس) هذا كان من غير بيت الملك، فلما ملك تَجَبَّرَ، وَامْتَدَّ مُلْكُهُ إلى مدائن الأكاسرة ومدينة (بابل) واستخلف ابنه على مملكة (روما) واتخذ تخت ملكه بمدينة (أنطاكية)، وجعل لنفسه بلاد (الشام ومصر) إلى أقصى (المغرب)، فلما كان فى السنة التاسعة عشر من ملكه - وقبل الثانية عشرة - خالف عليه أهل مصر والإسكندرية، فَبَعِثَ إليهم، وقتل منهم خَلْقًا كَثِيرًا، وأوقع بالنصارى، فاستباح

دماءهم، وغلق كنائسهم، وحمل الناس على عبادة الأصنام، وبالغ فى قتل النصارى، وقد أقام مَلِكًا إحدى وعشرين سنة، وهلك بعد عِلَلٍ صَعْبَةٍ دَوَّدَ منها بدنه وسقطت أسنانه، وهو آخر مَنْ عَبَدَ الأصنامَ من ملوك الروم، وكل من ملك بعده فإنما كان على دين النصرانية، وَيُقَالُ: إن رجلاً ثار بمصر يقالُ له (أجلة) وَعَمَّ أَرْضَ مصر كلها بِالسَّبْيِ وَالْقَتْلِ وشأن جميع أفراد هذا النوع من أساطين الاستبداد فى تاريخ العالم من أمثال: (فرعون موسى، ونمروذ إبراهيم، وستالين، وهتلر)، ويقول: (هـ أيدرس بل): إنه لمن الخطأ أن نعتقد أن الاضطهاد كان حملةً متصلةً، وأن الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالذات، فقد كانت متسامحةً كل التسامح فى المسائل الدينية، ولم تحاول أن تستأصل شأفة أَيَّ عِبَادَةٍ جديدةٍ بحجة منافاتها للمبادئ الأخلاقية، أو تعارضها مع السياسة العامة، وكان المسيحيون فى نظر السلطات مواطنين أشرارًا، وعنصرًا خطرًا فى المجتمع، لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية، ولا يقدسون صور الباطرة، غير أنه كان هناك دائمًا بين الوثنيين من كان مُسْتَعِدًّا للتستر على أصدقائهم المسيحيين، كما كان حُكَّامُ الولايات يحجمون أَشَدَّ الإحجام فى معظم الأحيان عن تطبيق قانون العقوبات عليهم، ولم يكن الاضطهاد عَامًّا إلا عند حدوثِ كارثةٍ قوميةٍ، أَوْ هَيَاجٍ شَعْبِيٍّ، كما قال (ترتوليانوس): (فإذا فاض نهر التيبر على الجسور، أو غاض ماء النيل فلم يبلغ الحقول، أو أمسكت السماء عن المطر، أو زلزلت الأرض، أو حدثت مجاعة، أو انتشر وَبَاءٌ تَعَالَتِ الصيحاتُ على الفور: اقذفوا بالمسيحيين إلى الأسود)، وفى تلك الأوقات كان بين الناس من يعوذهم الجلد، وكان كثير منهم يصمدون للمحنة، وللاقتناع بصورة الاضطهاد الذى طال مداهُ وتجاوب مع من كانوا ينفذونه، أو عدم تجاوبهم، وبعد ذلك بعشر سنوات اتخذ الإمبراطور (قسطنطين) بيزنطة عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية، وَسُمِّيَتْ القسطنطينية، وأعلن اعتناقه المسيحية عام (٣٢٤ م)، ولقد كانت مصر فى عام (٣٠٠م) بَلَدًا وَثَنِيًّا فى جوهره، رغم وجود عددٌ كبيرٌ من المسيحيين، ولكنه فى عام (٣٣٠م) صار بلدًا يُدِينُ معظم أهله بالمسيحية.

المبحث الرابع

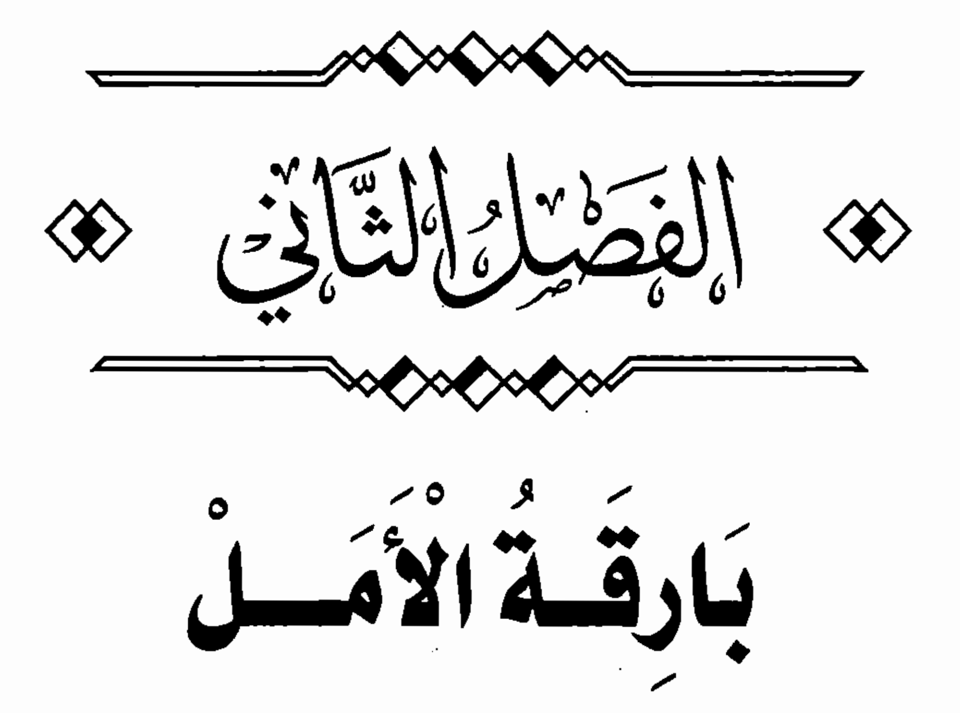
الاضِّطهَادُ الدِّينىُّ للأَقْبَاطِ:

اضطِّهَادُ المَسِيحِيِّينَ قَبْلَ الانْحِسَارِ الرُّومَانِىِّ وَالْبِيزَنْطِىِّ:

يقول المؤرخ القبطى (زكى شنودة): حين جلس (مكسيميانوس) على العرش سنة ٢٣٥م اضطهد المسيحيين اضطهادًا شديدًا وخاصةً فى مصر، فاستشهد كثيرون فى عهده، واضطر كثيرون إلى الفرار من وجهه، ومنهم البابا (ياروكلاس بطريرك الإسكندرية) وفى عهد (ديسيوس) الذى جلس على العرش سنة ٢٤٩م، يقول القديس (ديونيسيوس): (إن الخوف عَمَّ الجميع، وقد فصل المسيحيون جميعًا من خدمة الحكومة مهما كانت كفاءتهم أو مقدرتهم فى عملهم، وكان الوثنيون يوشون بالمسيحيين ويرشدون عنهم، فَيُؤْتَى بهم فى الحال ويطلب منهم تقديم الذبائح للأوثان، ومن أولئك الأتقياء رجل اسمه يوليانوس كان مقعدًا؛ فحمله رجلان إلى دار الحكم وطلبا منه أن ينكر إيمانه فرفض، وعندئذٍ حموهُ على جملٍ وطافوا به فى شوارع الإسكندرية وهم يجلدونه بالسياط، ثم أخيرًا طرحوه فى لهيب النار فظل يحترق حتى مات)، وينقل لنا (المقريزى فى كتابه القَيِّم. المواعظ والاعتبار) صورًا من المعاناة التى عاشها قبط مصر أثناء حكم بعض قياصرة الروم، فيقول: (وفى أيام الملك أنديانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاءًا كثيرًا، وقتل منهم الكثير، واستبعد باقيهم، فنزل منهم بلاءٌ لا يوصف فى العبودية حتى رحمهم الوزراء وأكابر الروم وَشُفِّعُوا فيهم، فَمَنَّ عليهم قيصر وأعتقهم، واشتد الأمر على النصارى فى أيام الملك (أريدويانوس) وقتل منهم خلائق لاَ يُحْصَى عددهم، وَقَدِمَ مصر فأفنى من بها من النصارى، وَخَرَّبَ مَا بُنِىَ فى مدينة القدس من كنيسة النصارى، ومنعهم من التَّرَدُّدِ إليها، فلم يتجاسر نصرانى أن يدنو من القدس، واشتد الملك (أوليانوس)

قيصر على النصارى، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وأصاب الملك (سوريانوس قيصر) فى النصارى بلاءً كبيرًا فى جميع مملكته، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وَقَدِمَ مصر وقتل جميع مَنْ فيها من النصارى، وهدم كنائسهم وبنى بالإسكندرية هيكلاً لأصنامه، وَلَقِيَ النصارى من الملك (مكسيموس قيصر) شدةً عظيمةً وقتل منهم خلقًا كثيرًا، كما لَقِيَ النصراى من الملك (داقيوس قيصر) شدةً؛ فإنه أمرهم أن يسجدوا لأصنامه، فَأَبَوْا عن السجود لها فقتلهم أَشَدَّ قتله، وَاشْتَدَّ الأمر على النصارى فى أيام الملك (طيباروس قيصر) وقتل منهم خلقًا كثيرًا، فلمّا كانت أيام (دقلديانوس قيصر) خالف عليه أهل مصر والإسكندرية فقتل منهم خلقًا كثيرًا، وكان يغلق كنائس النصارى، وأمر بعبادة الأصنام، وقتل من امتنع منها فَارْتَدَّ خلائق كثيرةً جدًّا، وفى عهد (دقلديانوس) قتل بطرك الإسكندرية (بطرس بالسيف ومعه امرأته وابنتاه لامتناعهم من السجود للأصنام) ثم قام بعده (مكسيمانوس قيصر)، فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقًا كثيرًا، حتى كانت القتلى منهم تحمل على الْعَجَلِ (العربات) وَتُرْمَى، ولم تلبث المسيحية أن لقيت قُبُولاً فى عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) لاَ سِيَّمَا بعد أن اعترف بِهَا دِينًا مَسْمُوحًا به ضمن الديانات الأخرى فى الدولة الرومانية بموجب مرسوم (ميلان الشهير) فى عام ٣٤٣م، ثم أصبح الدين الرسمى الوحيد للدولة فى عهد الإمبراطور (تيودوسيوس) الأول (٣٧٩-٣٩٥م) والذى أصدر مرسومًا بذلك عام ٣٨٠م، كما أصدر مرسومين فى عامى ٣٩٢، ٣٩٤م حرم بموجبها العبادات الوثنية.[1]

(١) شبكة الانترنت.



الفَصْلُ الثَّانِي

بَارِقَةُ الأَمَلْ

إطْلَالَــةٌ

لقد عشنا مع الصفحات السابقات على مدى ما قبل الميلاد، وبعده الجانب المظلم فى حياة مصر وماعاناه القبط طوال الفترات السابقة من الظلم، والغبن، والإذلال، والاضطهاد، والتسخير، والتشريد، والقتل، وإلقاء البشر فى النيران بعد إضرامها أحياء، ثم نطوى هذه الصفحات بما فيها، لننظر إلى الجانب المشرق والمضيء بعد الفتح الإسلامى، وإطلاله على الدول التى افتتحت، وتطلع الأقباط نحوه بمزيد من الأمل، لأنهم رأو فيه العدل، والصدق، والمساواة، فتغيرت به وجه الحياة، فأحيا المشاعر والأحاسيس، وَبَدَّلَ الخوف أمنًا، وَأَرْجَعَ الهاربينَ الْفَارِّينَ من بيوتهم إلى أوطانهم آمنين، فَمُسِحَ الفزعُ والحزنُ من الصدور، وَتَحَوَّلَ سريعًا إلى بسمةٍ وسعادةٍ، لِيُصْبِحُوا شُركاء فى وطنٍ واحدٍ. همومهم واحدة، ومصالحهم مشتركة يحيوا جميعًا حياةً حُرَّةً مُصَانَةً من أىِّ خوفٍ، أو فزعٍ، فكان الأمنُ بعد الخوفِ.

المَبَاحِثُ:

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ: فتح بيت المقدس على يَدَىْ عمر بن الخطاب.**
- **المَبْحَثُ الثَّانِي: فتح مصر والإسكندرية على يَدَىْ عمرو بن العاص.**
- **المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الإِسْلَامُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِيْنَ.**
- **المَبْحَثُ الرَّابِعُ: الأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا.**

المبحث الأول

فتح بيت المقدس
على يدىْ عمر بن الخطاب

فُتِحَ بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة عندما فَرَغَ أبا عبيدة بن الجراح من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية، أو يأذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، فركب إليهم فى جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وَضَيَّقَ عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك، فاستشار "عمر" الناس فى ذلك، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم، ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار عَلِي بن أبى طالب بالمسير إليهم، ليكون أَخَفَّ وَطْأَةً على المسلمين فى حصارهم بينهم، فهوى ما قال عَلِيٌّ، ولم يَهْوِ ما قال عثمان، وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة على بن أبى طالب، وسار العباس بن عبدالمطلب على مقدمته. ولما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان وترجل أبو عبيدة وَتَرَجَّلَ عمر، فأشار أبو عبيدة لِيُقَبِّلَ يَدَ عمر، فَهَمَّ عمر بتقبيل رجل أبى عبيدة، فَكَفَّ أبو عبيدة، وكَفَّ عمر، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، فبينما عمر فى الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون فساروا نحوهم، فإذا هم جُنْدٌ من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه، فأجابهم عمر ﷺ إلى ما سألوا وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة ودخل عمر بيت المقدس دون إراقة نقطةِ دَمٍ من الطرفين المسلمين والقبط.

نَصُّ الْكِتَابِ، كما ذكره ابن جرير:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من اختلفا:

أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وصلبانهم وسقيمها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حَيِّزِهَا، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضَارُّ أَحدٌ منهم، ولا يسكن بإيليا أحدٌ من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يُعْطُوا الجزية كما يُعْطَى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعدوا وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. [تاريخ ابن جرير: ٢/ ٤٤٩].

ودخل عمر بن الخطاب المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وَيُقَالُ إنه لَبَّى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة (بني إسرائيل، أي: الإسراء)، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت، أي: عارضت اليهودية، ثم جعل المسجد من قبلي بيت المقدس - وهو العمري اليوم - ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وَسَخَّرَ أهل الأرض في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة، لأنها قبلة اليهود، ولما أزال عمر ما على الصخرة من الكناسة، استشار كَعْبًا أين يضع المسجد؛ فأشار عليه أن يجعله وراء الصخرة، فضرب في صدره وقال: يابن أم كعب ضارعت اليهود، وأمر ببنائه في مقدم بيت المقدس [1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ٥٤، ٥٧).

المبحث الثانى:

فَتْحُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ عَلَى يَدَىْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصْ

قال محمد بن إسحاق: فُتِحَتْ مصر سنة عشرين، والإسكندرية سنة خمس وعشرين، فعندما استكمل "عمر" والمسلمون فتح الشام بُعِثَ عمرو بن العاص إلى مصر، واجتمعا هو والمسلمون على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام فى أهل الثبات، بعثه الموقس صاحب إسكندرية لمنع بلادهم، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نعذر، ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام رَاهِبًا هذه البلاد، فبرز إليه، فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا، إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كل الذى أُمِرَ به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أُمِرْنَا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وَقَدْ أَعْلَمَنَا أَنَّا مُفْتَتِحُوكُمْ، وأوصانا بكم حِفْظًا لرحمنا منكم، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذِمَّة إلى ذِمَّة، ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خَيْرًا، لأن لهم رَحِمًا وَذِمَّةً، فقالوا: قَرَابَةٌ بَعِيدَةٌ لا يصل إليها إلا الأنبياء معروفةٌ شريفةٌ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف، والملك فيهم، فَأَمِّنَا حتى نرجع إليك، فقال عمرو: إن مثلى لاَ يُخْدَعُ ولكن أؤجلكما ثلاثا لتنظرا، أو لتناظرا قومكما وَإِلاَّ ناجزناكم. قالا: زدنا، فزادهما يومًا، فرجعا إلى المقوقس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأَمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أما نحن فنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا وأشار عليهم أن يُبَيِّتُوا للمسلمين، فقال الملأ منهم: ما تقاتلون فى قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم، فَأَلَحَّ الأرطبون أن يُبَيِّتُوا

للمسلمين ففعلوا ولم يظفروا بشيءٍ، بل قُتِلَ منهم طائفةٌ منهم الأرطبون، وحاصر المسلمون عين شمس فى مصر فى اليومِ الرابع، وارتقى الزبير عليهم سور البلد، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه، واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذى عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمانٍ فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شىء من ذلك، ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة، أى: بلاد واسعة عريضة تقطن فى جنوبى مصر، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم، فإن أبى أَحَدٌ منهم أن يُجيب رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته رُفعم عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة، فله مثل ما لهم وعليه ما عليهم، وَمَنْ أَبَى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح، واجتمعت الخيول بمصر وَعَمَّرُوا الفسطاط (مدينة بناها عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بمصر، وكانت أول عاصمة لمصر الإسلامية)، وظهر أبو مريم، وأبو مريام: فكلما عَمْرًا فى السبايا، ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين، وجمع السبايا وعرضوهم وَخَيَّرُوهُمْ، فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصلح بينهم، ثم أرسل عمر جيشًا إلى الإسكندرية - وكان المقوقس صاحب إسكندرية وكان قبل ذلك يؤدى خراج بلدة مصر إلى ملك الروم، فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم: إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن مُلْكِهِمْ وَلاَ طَاقَةَ لنا بهم، وَالرَّأْىُ عِنْدِى أن نؤدى الجزية إليهم، ثم بعث إلى عمرو بن العاص من يقول فيه: إنى كنت أؤدى الخراج إلى مَنْ هُوَ أَبْغَضَ إِلَيَّ منكم - فارس والروم - ثم صالحه على أداء الجزية، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[1]

(١) مختصر من المصدر السابق: (٧/ ٩٥-٩٦).

كَلِمَةُ حَقٍّ تُقَالْ:

عِنْدَمَا نُحِلِّلُ الْمَوَاقِفَ الثَّلاثَةَ فى فتح بيت المقدس، ومصر، والإسكندرية، نجد أن هذه المدن فُتِحَتْ بِدُونِ حَرْب، ولكنها كانت مُنَاوَشَاتٍ بَسِيطَةٍ استسلم بعدها القبط، ومنها مَا فُتِحَ بالحصار فقط، ثم تَمَّ الصلح بعد ذلك مع المسلمين، لأن من طبع القبط عدم الميل إلى العنف والقتال وإراقة الدماء، لِمَا فى قلوبهم من الرِّقَّةِ وَالرَّأْفَةِ ولين العريكة، لما بهم من المودة للمسلمين، لأن القتال ليس مشروعًا عندهم، ولا فى مِلَّتِهِمْ، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ (الحديد: ٢٧).
أى: جعل الله فى قلوب هؤلاء الحنانُ والرِّقَّةُ على الخلق، لكثرة مَا وَصَّى به عيسى عليه السلام من الشفقة وهضم النفس والمحبة.[١]

ولذلك أنزل الله دستوره على المؤمنين فَرَخَّصَ لهم صلة الذين لم يعادوهم، ولم يقاتلوهم ولم يُخرجوا المؤمنين أَنْ يَبَرُّوهُمْ، ويُحسنوا إليهم، ويعدلوا معهم وهذا القدر من الموالاة غير منهيٍ عَنْهُ، بل مأمورٌ به فى حقهم، وإذا كان الخطاب فى ذلك الشأن لمشركى مكة، فالعبرة بعموم اللفظ، لأن كل من كان على شاكلة هؤلاء، فقد وجب التعامل معهم بالبرِّ والصلةِ والعدلِ فى كل الأمور، وأما ما نسمعُ من الإشاعات وأفواه النَّاعِقِينَ أن الكنائسَ مُدَجَّجَةٌ بالسلاح فهذا هُوَ الافْتِرَاءُ حَقًّا، وهذا هو الْكَذِبُ الذى لا صحة فيه من قريبٍ، أو بعيدٍ، لأن الأيام والسنون التى مضت هى التى تحكم بصدق ذلك، أو كذبه.

(١) محاسن التأويل للقاسمى: (٩/ ٤٥).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

الإِسْلاَمُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ

بَادِئَ ذِى بِدْءٍ، وقبل أن ندخل فى سياقِ البحث، أو المقالِ، لاَبُدَّ لنا أن نفرق بين التفكير الإسلامىِّ العقلانىِّ، والفكر العشوائىِّ، والذى يدخل تحت المصلحة الشخصية، أو السياسية، حتى نصل فى النهاية إلى وَجْهِ الْحَقِّ، وذلك لاَ يَتَأَتَّى إِلاَّ بِالاطِّلاَعِ، والفكرِ المستنيرِ، والاستماع والطاعة لقولِ الحقِ، لا السمعِ والطاعةِ، بلا بصيرةٍ.

* الْفِكْرُ الْإِسْلاَمِىُّ الْعَقْلاَنِىُّ:

لابد للمرء أن يتدبر أمر نفسه ويعملِ فكره الصائب وعقله المستنير، قبل الإقدام على أَىِّ حماقةٍ تودى بالمرء إلى المجهول، أو شرٍّ مستطيرٍ لا ينفع معهُ الندم بقيةَ عُمْرِه، فَلَوْ عَلِمَ يَقِينِيًا أَنَّ زِينَةَ الحياةِ الدنيا هى إلى زوالٍ، لَبَدَّلَ وُجْهَتَهُ سريعًا لِيُصْبِحَ هَيِّنًا. لَيِّنًا يتمسكُ بالطيبِ وينبذُ الخبيثَ، لأن الله لاَ يُغَيِّرُ ما فى الصدورِ، إلاَّ إذا استعدت هذه الصدورِ للتغيير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) فالتغيير لا يتأتّى إلا بالاستعدادِ القلبىِ الذى يؤثر على الحواسِّ والخلايا العقلية التى تستجيب لكلِّ نداءٍ هَيِّنٍ ينبذ العنف ومساعديه، كَمَا قِيلَ: (لاَ تَكُنْ لَيِّنًا فَتُطْوَى، وَلاَ صَلْبًا فَتُكْسَرْ، وَلَكِنْ كُنْ وَسَطاً)، كَمَا كَانَ الْإِسْلاَمُ دَائِمًا وَسَطًا، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) وجاء فى مسند الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَا كَانَ الرِّفْقُ فِى شَيْءٍ إِلاَ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)(١).

وفى رواية مسلم من حديث جرير - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) الحديث صحيح: جاء فى المشكاة برقم: (٤٨٥٤)، وصحيح الجامع برقم: (٥٦٥٤).

(مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ)[1].

فَمَنْ لاَ يُصْلِحَ نفسهُ بتغيير بواعثها، بعث الله إليه ما يدفعهُ إلى هذا التغيير حتى يزلزلَ كيانُه كلهُ، وَمَنْ يغفلُ عن سنن الله الكونيةِ، فإنِ سنن الله لا تغفل عنه، لأن الله يمهل للعبد ولا يهمله، وقضاء الله قد قضاه بما كتب فى اللوح المحفوظ، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الأحزاب: ٦) وَهَذَا مَا تَمَّ فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١٠م وإبعاد مبارك وحكومته عن الحكم وإخراجه من ميدان السياسة فى مصر وَزَجِهِمْ فى السجون، لما ارتكبوه من خيانة للشعب المصريِ على مدى ثلاثين عامًا من الجَوْرِ والظلم وَالتَّجْوِيع لهذا الشعبِ الصبورِ العظيم، ولما تولى محمد مرسى، ومكتب إرشاد الإخوان السلطة فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢م لم يعتبروا بما سبق من فرعون مصر الحديث، فصالوا وجالوا واتبعوا سبيل من كان قبلهم، فَهَمَّشُوا شعب مصر، وأخونوا جميع مؤسساته حتى أصبح فى أقل من عام يعمل فى المؤسسات الحكومية نحو ١٣٠٠٠ إخوانى، فازدادت الشكوى من ذلك، ثُم الأدهى والأمر من ذلك أصبح مكتب الإرشاد يستخدم الرعب والإرهاب لكل من يعترض على رئيس الجمهورية محمد مرسى، فكثرت الاحتجاجات، وارتفعت صيحات أمهات شباب القتلى، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل تم معاداة قضاة مصر الشرفاء ومحاولة إقصاء ٣٥٠٠ مستشار وقاض ليحل محلهم كوادر جديدة من الإخوان وغيرهم، ثم تم بعد ذلك معاداة وسائل الإعلام وإرسال الإرهابيين أمام مدينة الإنتاج الإعلامى، ومحاصرة المحكمة الدستورية، والتشنيع على قيادات الجيش والتفريط فى جزء من سيناء، والتنازل عن حلايب وشلاتين، و عدم الاهتمام بهذا الشعب، وعدم النظر إلى شكواه، فأصبحت آذان المسئولين عن الرئاسة آذانهم صَمَّاءَ عن جميع طوائف الشعب، كما يقول المثل الدارج:

(١) الحديث متفق عليه، رواه البخارى، وأبو داود، وابن ماجة من حديث جرير رضي الله عنه، ومسلم: (٢٥٩٢)، (١٦/ ١٤٥-نووى)، ومختصر مسلم برقم: (١٧٨٣)، وصحيح الجامع برقم : (٦٦٠٦).

(أُذُنٌ مِنْ طِينٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ عَجِينٍ) ولَمَ لاَ، ألم يقل الرئيس المعزول محمد مرسى: (أَنَا جِلْدِى طَخِينٌ)، كل ذلك أدى إلى اقتلاعه من الحكم وخلعه فى مدة وجيزة جاوزت ٣٦٨ يَوْمًا فقط، يعنى عَامًا واحدًا وثلاثة أَيَّام من ٣٠ يونيو ٢٠١٢م إلى ٣ يولية ٢٠١٣م وهى أقصر مدة تولاها ملك، أو رئيس لجمهورية مصر العربية، هذا بالنسبة لسيادة السيد المعزول وسياسته داخل الدولة، أما خارج الدولة، فقد استعدى واستغنى عن ١٩٣ دولة، ما عدا أمريكا، وتركا، وقطر، وإسرائيل، ونصف غزة، أى: منظمة حماس، فهل من الممكن قطع علاقاتنا مع ١٨٨ دولة من مدن العالم؟

ولذلك فأقول: إن الرئيس المخلوع وجماعة الإخوان فى فترة حكمهم البسيطة أصبحوا بين المطرقة والسندان، بمعنى: أنهم بين إرضاء أمريكا والجناح السِّرِّى لهم فى حماس، وأهل غزة وذلك بتوفير الوقود على حساب استنفار جميع طوائف الشعب، وزيادة عناقيد الغضب فى جميع محافظات المعمورة ووضع الدسائس والمكائد بين جميع السلطات والكذب المتعمد على جميع طوائف الشعب مما أدى إلى السقوط سريعًا وعودتهم إلى ما تعودوا عليه من الحياة فى ظلمات السجون وكواليسها، لأن قائد الدفة، لم يكن قادرًا على قيادة عربة بطاطا، ولكن مكتب الإرشاد اضْطَرَّهُ لقيادة تريلاً، فأول ما امتلك دركسيون القيادة دخل فى حارة سَدٍّ، فَهَلَكَ وَهَلَكَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعًا.

وَمَا أَصْدَقَ مَقَالَةَ:

يَا رَيِّسِ الْمَرْكِب يَا حَلاَوْتَكْ ... يَلِلِّى سِوَاقْتَكْ مِشْ عَجْبَانِى
خَلِّى سِوَاقْتَكْ عَلَى قَدَّكْ ... حَنْشُوفْ لِنَا رَيِّسْ تَانِى

وَلَمَّا كَانَ الالتفاف على السلطة والتمكين منها فى خلال عام من حكم الإخوان لم يكن لله. قال فضيلة الشيخ أبى إسحاق الحوينيِّ فى مسجد ابن تيمية بكفر الشيخ بعد ٣٠/٦/٢٠١٣م: (وَلاَ يَظُنَّنَ أحدٌ منكم أننى غائبٌ عن المشهد حتى ولو لم أكن من

حُضُورِهِ فعندى كَلَامٌ كثيرٌ اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ أن أتكلمَ فى وقتهِ، وفى حينِهِ، وأنا أتأمل مع نفسى، وكأن الله – عَزَّ وَجَلَّ – يُعطى للمتحمسينَ مهلة سنة – (منفعتوش) – فسلبها الله منكم، لِتَتَرَبَّوْ وَتُرَاجِعُوا أنفسكم، هل حققتم العبودية لله، أم لا؟ والله لو حققتموها لمكنكم بكم، وبدون أسباب) (انتهى كلام الشيخ) فيتحاكم الرئيسان الآن الأسبق والمعزولِ، لأنهما لم يَعْتَبِرَا بسننِ اللهِ الكونيةِ، والتى ابْتَعَدَا عنها بالكُلِّيَةِ، فَظَلُّوا فى غَيِّهِمْ يتطاولون، فزلزل الله قلوبهم فأصبحوا فى غياهب السجون يتألمون، وفى مزابل التاريخ يُدرج أسماؤهم ويسطرون، ومن يصبح على شاكلتهم سيسحقون، إذًا، فَلَابُدَّ للمجتمع الإنسانِي أن ينطلق نحو التغيير، وَلاَ يَتَأَتَّى ذلك إلا بثلاثةِ أشياءِ:

١ – تأمينُ الغذاءِ وَالصحةِ والعيشِ الكريمِ لكل أفرادِ الشعبِ على حَدٍّ سَوَاءٍ، لِيُحِسَّ المرءُ أنه يَحْيَا حياةَ الإنسانِ، لا الحيوان.

٢–نظام الحماية التى تحمى الاستقرار، وَتُدَعِّمُ بَوَاعِثَهُ، فأموال الدنيا كلها، بلا حمايةٍ وأمنٍ واستقرارٍ للأفراد كبيرها وصغيرها، صحيحها وسقيمها، سيدها وحقيرها، رئيسها وخفيرها، بدون الأمن، كَصَرْخَةٍ فِى وَادْ، أَوْ نَفْخَةٍ فِى رَمَادْ، كما روى عبدالله بن محصن الأنصارى عن أبيه مرفوعًا، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِى سِرْبِهِ، مُعَافًى فِى جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتَ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا). (١)

٣– العلمُ، والمقصودُ بِهِ، علمُ العقولِ وتنويرها بالسمع والطاعةِ على بصيرةٍ، لا، بَلاَ

(١) أخرجه البخارى فى (الأدب المفرد) (٣٠٠)، و(التاريخ) (٣/ ١/ ٣٧٣)، والترمذى (٢٣٤٧)، وابن ماجه (٢/ ٥٢٥) والحميدى فى (مسنده) رقم: (٤٣٩)، وابن أبى الدنيا فى (القناعة) (٢/ ٤/ ٢)، والخطيب فى (التاريخ) (٣/ ٣٦٤)، والبيهقي فى (الزهد) (١٤/ ١)، والقضاعى فى (مسنده) (٤٥/ ٢)، وأخرجه ابن حبان (٢٥٠٧)، وأبو نعيم فى (الحلية) (٥/ ٢٤٩)، والخطيب (٦/ ١٦٦)، وابن عساكر فى (التاريخ) (٢/ ٢٦٨/ ٢، ١٩/ ٢٨٠/ ١)، وصحيح الترغيب للمنذرى (٨٢٦)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٢٣١٨)، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٠٤٢).

وَعْي، ولا بصيرةٍ، ولكن بتَدَبُّر وَرَوِيَّةِ العقولِ المستنيرةِ، لاَ بِرَكَلِ الْعُجُولِ، فرسول الله ﷺ فى مرحلةِ الدعوةِ بِمَكَّةَ لَمْ يُؤْمَرَ أصحابهُ بالقتالِ وكانَ يُوصِيهِمْ بالصبر والجلدِ وَعَدَمُ الدفاعِ عن النفسِ، لأنهم فى ذلك الوقت كانوا مأمورين بالصلاة والزكاة، ومواساة الفقراء منهم، والعفو عن أعمال المشركين وجرائمهم، ولم يُؤْمَرُوا بالجهادِ آنذاك، لأنهم كانوا فى البلد الحرام التى يوجد بها أشرف بقاع الأرض على الإطلاق، وَلَمَّا تَمَّ الاعتداء على أبدانهم وأموالهم وأعراضهم وأُخْرِجُوا من ديرهم قَهْرًا، أُمِرُوا بالجهادِ رقتالِ أعدائهم حين صارت لهم المدينة دارٌ ومقامٌ، وصارت هم الأنصار منعةً، بل وقوةً على أعدائهم، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (النساء: ٧٧). وَلِذَلِكَ فَأَقُولُ: إنه من الغباء أن يَتَشَدَّقَ الْمُتَشَدِّقُونَ، وَيَتَنَطَّعَ الْمُتَنَطِّعُونَ لِيُلَوِّحُونَ بمقولاتهم وتصريحاتهم الرَّكيلة، بأن الإسلام انتشر بالسيف، كَلاَّ وَأَلْفُ كَلاَّ، والله ما انتشر الإسلام إلا بالرحمة والصدق، فقد كانت الصحابة يذهبون ببضائعهم إلى بلاد الفرس والروم وغيرها من البلدان، وعندما يعرضون بضاعتهم عليهم كانوا يفردونها أمام من يشترون ويقولون لهم: هذه البضاعة بها عَيْبٌ فى كذا وكذا، فكانوا يقولون لهم: وما حملكم على هذا؟ فكانوا يقولون: حَمَلَنَا على هذا صِدْقَ الإسلامِ وأمانتهُ، فأصبحوا يدخلون فى دين الله أَفْوَاجًا.

مُقَابَلَةُ الإِسَاءَةِ بِالإِحْسَانْ:

عندما تتزايدُ الأفكار وَيَبْرُزُ منها سؤالاً ليقولَ: مَا حَمَلَ بَعْضَ الْكُفَّارِ عَلَى الدُخُولِ فِى الإِسْلاَمْ؟ نقول: سِلْمِيَّةُ الإِسْلاَم، وَفِكْرُ الصَّحَابَةِ الْمُسْتَنِيرْ، لأنهم تعلموا من فم رسول الله ﷺ ومن واقعه، مقابلةُ الإساءةِ بالإحسانِ، ومقابلةُ العنفِ بالعفو والصفح الجميل، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وَلِذَلِكَ عندما ذهب رسول الله ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام سَلَّطُوا عليه سفاءهم وعبيدهم وصبيانهم يَسُبُّونَهُ ويرضخونه بالحجارة حتى أَدْمَوْا قدميه الشريفتين، فبعث الله إليه ملك الجبال لِيُطْبِقَ عليهم الأخشبين، فمن سماحته، ولين جانبه، ومقابلته للإساءة بالإحسان عفا عنهم وقال: أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا، كما جاء فى الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ: (هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ قال: ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل ابن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثم قال: يا محمد قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بما شئت، إن شئت نطبق عليهم الأخشبين) فقال رسول الله ﷺ: (أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا)(١).

وقد صدقت نبوءة رسول الله ﷺ وقد خرج من أظهر المشركين من يؤمن بالله ورسوله، ومن أبلى مع المسلمين بلاءً حسنًا فى قتال المشركين والدفاع عن الإسلام والمسلمين ومن أمثال ذلك: (خالد) بن الوليد بن المغيرة، وكان أشد عداءً للإسلام والمسلمين وقد حارب مع الكفار ضد المسلمين فى غزوة أحد وكان سببًا فى هزيمة المسلمين فى بادئ الأمر، لأنه كان داهيةً فى الحروب، وأسلم خالد وكان على خيل رسول الله ﷺ يوم الحديبية فى ذى القعدة سنة ست، وخيبر بعدها فى المحرم وصفر سنة سبع، وكانت هجرته مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها، ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون

(١) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق: (٣٢٣١)، ومسلم فى كتاب الجهاد والسير: (١٧٩٥).

فى مقدمتها فى محاربة العرب، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فأبلى فيها، وبعثه رسول الله ﷺ إلى الْعُزَّى وكان بيتًا عظيمًا لقريش وكنانة ومضر تُبَجِّلَهُ، فهدمها، وجعل يقول:

يَا عُزَّ كُفْرَانَكِ الْيَوْمَ لاَ سُبْحَانَكِ   إِنِّــى رَأَيْــتُ اللهَ قَــدْ أَهَــانَـكِ

وَأَمَّرَهُ أبو بكر الصدِّيق على الجيوش، ففتح الله عليه اليمامة وغيرها، وقتل على يده أكثر أَهْلُ الرِّدَّةِ مُسَيْلِمَةَ، ومالك بن نُوَيْرَةَ: ثم افتتح دمشق، وكان يُقَالُ له: سيف الله، وَلَمَّا ذكر خالد فى مجلس رسول الله ﷺ قال عنه: (نِعْمَ عَبْدُاللهِ وَأَخُو الْعشِيرَة وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ) واشتكى عبدالرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبى ﷺ، فقال: يا خالد، لِمَ تُؤْذِى رجلاً من أهل بدر، لو أنفقت مثل أحد ذهب لم تدرك عمله؟ فقال: يا رسول الله، إنهم يقعون فِىَّ فأرد عليهم، فقال: (لاَ تُؤْذُوا خالِدًا فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ صَبَّهُ اللهُ عَلَى الْكُفَّارِ).

وَلَمَّا حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة، أو طعنة، أو رمية، ثم هأنذا أموت على فراشى كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء. (١)

وَأَمَّا عكرمة بن أبى جهل، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ فى الجاهلية هو وأبوه، وكان فارسًا مشهورًا هرب حين الفتح، فلحق باليمن، ولحقت به امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فأتت به النبى ﷺ، فلما رَآهُ قَالَ: مرحبا بالراكب المهاجر، فأسلم، وذلك سنة ثمان بعد الفتح، وَحَسُنَ إِسْلاَمَهُ، وقال لأصحابه: إِنَّ عِكْرِمَةَ يَأْتِيكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَلاَ تَسُبُّوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الـمَيِّتِ يُؤْذِى الْحَىَّ.

وَلَـمَّا أسلم عكرمة شكا قولهم (عكرمة بن أبى جهل)، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا عكرمة بن أبى جهل، وقال: لاَ تُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبَبِ الأَمْوَاتِ.

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر برقم (٦٢١).

وَكَانَ عكرمة مجتهدًا فى قتال المشركين مع المسلمين استعمله رسول الله ﷺ عام حَجَّ على هوزان يصدقها، أى: يجمع صدقاتها، ووجهه أبو بكر إلى عمان، وكانوا ارتدوا، فظهر عليهم، ثم وجهه أبو بكر إلى اليمن، وولى حذيفة القلعانى، ثم لزم عكرمة الشام مجاهدًا حتى قتل يوم اليرموك فى خلافة عمر رضي الله عنه. هذا قول ابن إسحاق.

وَعِنْدَمَا أسلم عكرمة قال: يا رسول الله علمنى خير شيء تعلمه حتى أقوله، فقال له النبي ﷺ: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، وأُشهد بذلك من حضرنى، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لى، فاستغفر له رسول الله ﷺ، فقال عكرمة، والله لا أدع نفقة كنت أنفقها فى صَدٍّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها فى سبيل الله، ولا قتالاً قاتلته إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول الله، ثم اجْتَهَدَ فى العبادةِ حتى قُتِلَ زمن عمر رضي الله عنه بالشام، واستشهد الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو، وأتوا بماءٍ وهم صرعى، فتدافعوه، كلما دفع إلى رجل منهم قال: اسْقِ فلانًا حتى ماتوا ولم يشربوه. قال: طلب عكرمة الماء، فنظر إلى سهيل ينظر إليه، فقال: ادفعه إليه، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقال: ادفعه إليه، فلم يصل إليه حتى ماتو، ولما كان يوم اليرموك نزل فترجل فقاتل قتالاً شديدًا، فَقُتِلَ رحمة الله عليه، فَوُجِدَ به بِضْعٌ وَسَبْعُونَ مِنْ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ.[1]

وَمِنْ فِقْهِ الصَّحَابَةِ أنهم تعلموا من فم رسول الله ﷺ حُرْمَةَ دَمِ الْمُسْلِم، فقد رُوِىَ أَنَّ رَجُلاً قال لحذيفة رضي الله عنه: إِذَا اقْتَتَلَ الْـمُسْلِمُونَ فَمَا تَأْمُرُنِى؟ قَالَ: (انْظُرْ أَقْصَى بَيْتٍ فِى دَارِكَ فَلِجْ (أَىْ: ادْخُلْ فِيهِ)، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ، فَقُلْ: هَابُؤْ بِذَنْبِى وَذَنْبِكَ)[2].

وعن أبى ذر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوَّمَ الْبَيْتَ بِالْوَصِيفِ؟) (يَعْنِى الْقَبْرَ) قُلْتُ: مَا خَارَ اللهُ لِى وَرَسُولُهُ (أَوْ قَالَ: اللهُ

(١) المصدر السابق برقم: (١٨٥٩).

(٢) رواه الدانى فى (السنن الواردة فى الفتن) (١/ ٣٤٥).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) قَالَ: (تَصَبَّرْ) قَالَ: (كَيْفَ أَنْتَ وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تَأْتِي مَسْجِدَكَ فَلاَ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلاَ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟) قَالَ، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (أَوْ مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ) قَالَ: (عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ)، ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ أَنْتَ وَقَتْلاً يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرِقُ حِجَارَةَ الزَّيْتِ بِالدَّمِ؟) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ آخُذُ بِسَيْفِي فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: (إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرْفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).[1]

وَالْمَقْصُودُ بكلمةِ: (حجارة الزيت)، أي: موضع بالمدينة فى الحرة سُمِىَ بها لسواد الحجارة، كأنها طُلِيَتْ بالزيت، أي: الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة، وهذا إشارة إلى وقعة الحرَّة التى كانت زمن يزيد، وقوله ﷺ: (بمن أنت منه) أى: بأهلك وعشيرتك، وقوله ﷺ: (إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف) أى: إن غلبك ضوء السيف وبريقه، فَغَطِّ وجهك حتى يقتلك.[2]

وَرُوِىَ أَيْضًا من حديث عُدَيْسَةُ بِنْتُ أُهْبَانَ، قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِب هَا هُنَا، الْبَصْرَةَ، دَخَلَ عَلَى أَبِى، فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِم! أَلاَ تُعِينُنِى عَلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَدَعَا جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ! أَخْرِجِى سَيْفِى. قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْر، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِى وَابْنَ عَمِّكَ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ، إِذَا كَانَتْ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ، قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِى فِيكَ، وَلاَ فِى سَيْفِكَ.[3]

وَالْمُرَادُ باتخاذ السيف من الخشب، أى: الامتناع عن القتال.[4]

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة برقم: (٣٩٥٨)، وصححه الألبانى فى الإرواء برقم (٢٤٥١).

(٢) سنن ابن ماجه: (٢/ ١٣٠٨) تعليق. محمد فؤاد عبدالباقى.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه برقم (٣٩٦٠)، وأخرجه الترمذى برقم: (٢٢٠٣) (٤/ ٤٩٠)، وقال: (حسن غريب)، وصححه الألبانى فى (صحيح الترمذى) (٢/ ٢٤١).

(٤) تحفة الأحوى بشرح سنن الترمذى: (٦/ ٤٢٦).

وَلِذَلِكَ عندما رأى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إصرار المتمردين على قتله، حَذَّرَهُمْ من ذلك، ومن مَغَبَّتِهِ، فَاطَّلَعَ عليهم من كُوَّةٍ، أي: ثُقْبٌ فى الحائط، وقال لهم: أيها الناس، لا تقتلونى واستعتبونى، فوالله لئن قتلتمونى لا تقاتلوا جميعًا أبدًا، ولا تجاهدوا عَدُوًّا أبدا، لتختلفنَّ حتى تصيروا هكذا، وَشَبَّكَ بين أصابعه.[1]

وفى رواية أنه قال: أيها الناس لا تقتلونى فإنى والٍ وأخ مسلم، فَوَالله إِنْ أَرَدْتُ إِلاَّ الإصلاحَ ما استطعتُ، أصبتُ، أو أخطأتُ، وإنكم إن تقتلونى لاَ تُصَلُّوا جميعًا أبدًا، ولا تغزُوا جميعًا أبدًا، وَلاَ يُقَسَّمُ فَيْؤُكُمْ بَيْنَكُمْ[2].

وقد تحققَ مَا حَذَّرَ مِنْهُ، فبعد قتله وقع كل ما قاله - رضي الله عنه - وفى ذلك يقولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: فَوَالله إِنْ صَلَّى الْقَوْمُ جَمِيعًا إِنَّ قُلُوبَهُمْ لَمُخْتَلِفَةٌ[3].

ولما اجتمعت الصحابة للدفاع عنه - رضي الله عنه - رفض القتال، وقال: لاَ حَاجَةَ لِى فِى ذَلِكَ كُفُّوا، وقال: إن قتلتم رجلاً واحدًا، فكأنما قتلتم الناس جميعًا، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

الأسباب التى دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال:

- يظهر للباحثين من خلال روايات الفتنة أن هناك أسباباً خمسة هى:

١- العمل بوصية رسول الله ﷺ التى سَارَّهُ بِهَا، وَبَيَّنَهَا عثمان - رضي الله عنه - يَوْمُ الدَّارِ، وأنها عَهْدٌ عَهِدَ بِهِ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ صَابِرٌ نَفْسَهُ عَلَيْهِ.

٢- ما جاء فى قوله: لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بسفك دماء المسلمين.

٣- عِلْمَهُ بِأَنَّ الْبُغَاةَ لاَ يُرِيدُونَ غَيْرَهُ، فَكَرِهَ أن يَتَوقَّى بالمؤمنين، وَأَحَبَّ أن يقيهم نفسه.

(١) الطبقات الكبرى: (٣/ ٧١) ص: ١٧١، وإسناده صحيح.

(٢) المصدر السابق: (٣/ ٦٧-٦٨)؛ وفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه: (١/ ١٥٦).

(٣) عثمان بن عفان شخصيته وعصره على محمد محمد الصلابى (ص: ٤١٤-٤١٥).

٤- عِلْمَهُ بأن هذه الفتنة فيها قَتْلَهُ، وذلك فيما أخبرهُ بها رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة على بَلْوَى تُصِيبُهُ، وأنه سيقتل مصطبرًا بالحق معطيه، وَالدَّلاَلاَتُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوَانَهَا قَدْ حَانَ، وأكد ذلك تلك الرؤيا التى رآها ليلة قتله، فقد رأى رسول الله ﷺ، وقال لهُ أَفْطِرْ عندنا القابلة، ففهم - رضي الله عنه - أن موعد الاستشهاد قد قرب.

٥- الْعَمَلُ بمشورةِ ابْنِ سَلاَم - رضي الله عنه - له إذ قال: الْكَفَّ. الْكَفَّ، فإنه أبلغ لك فى الحجة، أى: امتنع عن مقاتلتهم.[1]، وتحقيق إخبار النبى ﷺ، بأن عثمان - رضي الله عنه - سوف يقتل وذلك فيما رواه عبدالله بن حوالة - رضي الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: (مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاَثٍ فَقَدْ نَجَا - ثَلاَثُ مَرَّاتٍ - مَوْتِى وَالدَّجَّالُ وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ، مُصْطَبِرٌ بِالْحَقِّ مُعْطِيهِ)[2].

وَفِيمَا تَقَدَّمَ يتبين هدوءه فى التفكير - رضي الله عنه -، وأن شدة البلوى لم تحل بينه وبين التفكير الصحيح، والرأى السليم، فقد تضافرت الأسباب لتحديد هذا الموقف المسالم فى قتال الخارجين عليه، ولا شك أنه - رضي الله عنه - كان على الحق فى مواقفه التى اتخذها، لما صحّ عن النبى ﷺ أنه أشار إلى وقوع هذه الفتنة، وشهد لعثمان وأصحابه أنهم على الحق.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أَكَفِّ الناس عَنِ الدِّمَاءِ، وَأَصْبَرَ النَّاسِ عَنْ مَنْ نَالَ مِنْ عِرْضِهِ، وَعَلَى مَنْ سَعَى فِى دَمِهِ، فحاصروهُ وَسَعَوْا فى قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاء المسلمون ينصرونه، ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر من يطيعه أَلاَّ يقاتلهم ....، وَقِيلَ لَهُ: تذهبُ إلى مَكَّةَ، فقال: لا أكون ممن أُلْحِدَ فى الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام، فقال: لا أفارقُ دَارَ هجرتى، فَقِيلَ لهُ: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول من خلف محمدًا أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قُتِلَ من أعظم فضائله عند المسلمين[3].

(١) الطبقات الكبرى: (٣/ ٧١) بإسناد حسن.

(٢) مسند الإمام: (٤/ ٤١٩) (٥/ ٣٤٦) تحقيق الشيخ. أحمد شاكر.

(٣) المصدر السابق ص: (٤١٩-٤٢٠) مأخوذ من منهاج السنة لابن تيمية: (٣/ ٢٠٢-٢٠٣).

وَمِنْ قَبْلِهِ، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسيّ غلام المغيرة بن شعبة، وَصَلَّى بالناس يومئذٍ عبدالرحمن بن عوف صلاةً حفيفةً، فَلَمَّا انصرفوا، قال عمر: يا ابن عباس، انظر من قتلني؟ فجال ساعةً، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: قاتلهُ اللهُ لقد أمرت به معروفًا، ولم يقل ائتوني به، ثم أريقُوا دَمَهَ فِي صَحْنِ المسجدِ، بل قال: الحمدلله الذي لم يجعل مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإسلام!

ولما قال عبدالله: إن شئت، فعلت - أي: إن شئت قَتَلْنَا، قال: كذبت - أي: أخطأت، بعدما تكلموا بلسانكم، وَصَلُّوا قبلتكم، وَحَجُّوا حِجَّكُمْ! هَذَا فِقْهُ صحابة رسول الله ﷺ حتى مع إراقة دمائهم، لأنهم نبذوا إراقة الدماء وَلَوْ أُرِيقَ دماءهم، ونبذوا الفتنة والفرقة والاختلاف، فقد أخرج أبو يعلى والبيهقي والطبراني من حديث عامر الشُّعَبيِّ - أنه قال: لَمَّا قَاتَلَ مَرَوَانُ الضَّحَّاكَ بنْ قَيْسٍ أَرْسَلَ إِلَى أَيْمَنَ بْنَ خُرَيْمٍ الأَسَديِّ، فَقَالَ: (إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تُقَاتِلَ مَعَنَا) فَقَالَ: (إِنَّ أَبِي وَعَمِّي شَهِدَا بَدْرًا، فَعَهِدَ إِلَيَّ أَنْ لاَ أُقَاتِلَ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، فَإِنْ جِئْتَنِي بِبَرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ قَاتَلْتَ مَعَكَ!) فَقَالَ: (اذْهَبْ) وَوَقَعَ فِيهِ، وَسَبَّهُ، فَأَنْشَأَ أَيْمَنُ يَقُولُ:

وَلَسْتُ مُقَاتِلاً رَجُلاً يُصَلِّي ... عَلَى سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَيَّ إِثْمِي ... مَعَاذَ اللهِ مِنْ جَهْلٍ وَطَيْشِ
أَأُقَاتِلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟ ... فَلَيْسَ بِنَا فِعِي مَا عِشْتُ عَيْشِ [1]

وَفِي قِصَّةِ ابْنَيْ آدَمَ إشارةً واضحةً تشير إلى مذهب (هابيل) لعدم استخدام العنفِ مع أخيهِ والدفاعِ عن نفسهِ، مَعَ أَنَّهُ أَشَدَ قُوَّةً مِنْ أَخِيهِ (قابيل)، ولكن منعهُ الْوَرَعَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ على أخيه ليقتلهُ، لأنه الرجلُ الصالحُ الذي تَقَبَّلَ الله قربانهُ لتقواهُ، وَمَعَ تَوَعُّدِ أخيهِ

(١) أخرجه أبو يعلى في (مسنده): (٢/ ٤٤٥)، والطبراني في (الكبير): (١/ ٢٩٠) برقم: (٨٥١)، والبيهقي في (السنن): (٨/ ١٩٣).

بالقتلِ، بلا ذنبٍ ولا خطيئةٍ، إلاَّ حِقْدَهُ ٱلأَعْمَى جعلهُ يقتلُ أخاهُ، حتى لاَ يُصْبِحَ هُوَ وأخيهِ فى الخطيئةِ سَوَاءْ، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧-٣١) وجاء فى الحديث المتفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)(١).

ثُمَّ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ: إذا كانت رسالةُ الأنبياءِ بُعِثَتْ لِلتَّحَرُّرِ مِنَ الطُّغْيَانِ الدَّاخِلِيِّ، ونشرِ السلام بين بنى البشرِ، فكيف نفهمُ نصوصًا من القرآن تَحُضُّ على القتلِ؟ والإجابةُ على ذلك، أننا سنذكر بعون الله تعالى: ثلاثة مشاهد من كتابه تعالى:

المَشْهَدُ الأَوَّلُ: فى قوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ (البقرة: ١٩١).

وَالْمَشْهَدُ هُنَا هُوَ حَثُّ الْهِمَمِ وَإِحْيَاؤُهَا على إرجاعِ الحقِ المغتصبِ لأهلِه، أى: رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وإخراجِ المعتدى من أرضهم التى أخرجوهم منها، أى: مكة التى كانت أَحَبَّ بلاد الله إلى رسول الله ﷺ وصحابته لأن رسول الله ﷺ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا خَرَجَ بَاكِيًا حَزِينًا قَائِلاً: (وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنِّي

(١) البخارى: (٣٣٣٥)، ومسلم: (١٦٧٧).

أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[1]

وَهَذَا هُوَ الْقَصَاصُ الْعَادِلُ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْقِتَالِ وَالْمُنَادَاةِ بِهِ فِي حَقِّ الأَعْدَاءِ الَّذِينَ لاَ هَمَّ لَهُمْ إِلاَّ قِتَالَ الإِسْلاَمِ وَأَهْلَهُ.

الْمَشْهَدُ الثَّانِي: جاء في سورة التوبة، حيث قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤) فالمشهد هنا وقبل أن نشير إلى الآية التي بين أيدينا الآن ومن خلالها يتضح المقال، لاَبُدَّ وأن نقرأ الآية التي تسبقها والتي تقول: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٣) أي: هؤلاء الطَّاعِنِينَ في دين الرحمن، وَالْمُنَاصرينَ لدين الشيطان، والذين أخرجوا رسول الله من وطنه، وَسَعَوْا في ذلك بكل ما أمكنهم، ثم نقضوا العهد وعاونوا قريش، وهم معاهدوا – بني بكر – حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، وقاتلوا معهم، فطلب الله قتالهم لنقضهم العهود والمواثيق، ومحاولة إخراج رسول الله ﷺ والمسلمين من أوطانهم عُنْوَةً وَإِجْبَارِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠) ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ (الإسراء: ٧٦) ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (الممتحنة: ١).

وَأَمَّا الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ: وهو دعوة الأعراب إلى الجهاد وعدم تخلفهم عنه، وعدم قبول أعذارهم، لأنهم يعتذرون بغير عُذْرٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ، لأن رسول الله ﷺ يدعوهم ومن معه من الخلفاء الراشدين لمجاهدة فارس والروم، وَمَنْ نَهَجَ نَهْجَهُمْ، وَنَحَا نَحْوَهُمْ، وَحَذَا

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء، وجاء في المشكاة برقم: (٢٧٢٥)، وجاء في صحيح الجامع برقم: (٧٠٨٩-٢٤١٨).

حَذْوَهُمْ، فطلب الجهاد منهم، وأمر بقتالهم، إما للدخول فى الإسلام، وإما لدفع الجزية، فإذا امتثل الأعراب لِدَاعِيَ الله والجهد فى سبيله، حَصَلُوا على الثوابِ الجزيلِ فى يوم طويلٍ مَدَاهْ، وإن أعرضوا عن أمر الله عذبهم الله عذابًا أليمًا موجعًا يوم القيامة، كما قالَ تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفتح: ١٦).

فَأَيْنَ الْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَنَطِّعُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: إن الإسلام انتشر بالسيف، فاعدلوا عن ذلك، لأَنَّ الله سَيَكْشِفُ عَوَارَكُمْ، وَيُخْزِى قُلُوبَكُمْ، وَيُمَزِّقُ أَعْضَاءَكُمْ، وَيَحْرِقُ أَبْدَانَكُمْ فى نارٍ قَعْرُهَا بعيد، وَحَرُّهَا شديد، وَمَقَامِعُهَا من حديد، أَمَّا دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، فَهِىَ مُحَرَّمَةٌ بالإِجْمَاعِ، وليس دماء المسلمين فقط، ولكن دماء المسلمين وغير المسلمين، لأن الله تعالى لما قال: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (المائدة: ٣٢) لم يقل رب العزة تبارك وتعالى، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُسْلِمَةً، أى: اللَّفْظُ هُنَا عَلَى الْعُمُومِ لِذَا حَرَّمَ الإِسْلاَمُ القتل على المسلمينَ وغير المسلمينَ، إلا إذا ادَّعَتِ المصلحة الراجحةُ لذلك، وأعنى المصلحة الراجحة، أى: مصلحة الوطن والدفاع عنه، وذلك لا يتم إلا بأولى الأمر أصحاب السلطة والعلماء الربانيين، أما عن المصلحة الشخصية والانتقام، فندع الأمر لقضائنا العادل والقصاص من الظالم والمتعدى، حتى نبتعدُ عن حياةِ الغابِ، وَنَسُدُّ مَسالِكَ الشَّيطَانِ وطرقهُ، فقد جاء فى الحلية لأبى نُعَيْمٍ من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (حُرْمَةُ مَالُ الْـمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ)[1]

وَحُرِّمَ على المسلمينَ الإشارةَ بالسيوفِ فى وجوهِ بَعْضِهِمَا خَوْفًا مِنْ نَزْغِ الشيطانِ وَوَسْوَتَهُ، فقد جاء فى مسند الإمام أحمد، والبخارى، ومسلم، وغيرهما من حديث أبى بكر أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ) قِيلَ: يَارَسُولَ الله هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولُ؟ قَالَ: (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا

(١) حديث حسن: غاية المرام برقم (٣٤٥)، وصحيح الجامع برقم: (٣١٤٠).

عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ)[1].

وجاء فى مسند الإمام أحمد، والنسائى، والطيالسى من حديث أبى بكرة أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا أَشَارَ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ بِالسَّلاَحِ فَهُمَا عَلَى جُرُفِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا قَتَلَهُ وَقَعَا فِيهِ جَمِيعًا)[2].

وَأَمَّا الْقِتَالُ الْمُبَاحُ، فهو لجعل كلمة الله هى العليا، كما جاء فى الصحيحين من حديث أُبَىٍّ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ)[3].

مُحَمَّدٌ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينْ:

لقد كان رسول الله ﷺ رَحِيمًا بالناس جميعًا مسلمهم وغير مسلمهم، لِذَا خَصَّهُ اللهُ تعالى فى كتابه العزيز بهذه الصفة فى عدة مواقع فقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

يُخْبِرُ اللهُ تعالى أَنْ جَعَلَ مُحَمَّدًا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، أى: أرسلُه رحمةً لهم كلهم، فمن قَبِلَ الرحمة، وشكر هذه النعمة سَعِدَ فى الدنيا والآخرة، ومن رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسرَ الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ (إبراهيم: ٢٨-٢٩)، وقال تعالى فى صفة القرآن ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٤) وروى مسلم عن أبى

---

(١) رياض الصالحين برقم: (١٠)، وصحيح الجامع برقم: (٣٨٧).

(٢) السلسلة الصحيحة برقم: (١٢٣١)، وصحيح الجامع برقم: (٣٣٨).

(٣) الحديث صحيح: جاء فى مختصر مسلم برقم: (١٠٨٨)، والمشكاة برقم: (٣٨١٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤١٧).

هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قيل يا رسول الله: ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: (إِنِّى لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) (١).

فَإِنْ قِيلَ: فَأَيُّ رَحْمَةٍ حصلتْ لمن كَفَرَ بِهِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ مَنْ تَبِعَهُ كَانَ لَهُ رَحْمَةً فى الدنيا والآخرة، وَمَنْ لَمْ يَتْبَعْهُ عُوفِيَ مِمَّا كَانَ يُبْتَلَى بِهِ سَائِرُ الأمم مِنَ الخسف والمسخ والقذف. (٢)

وَلَنَا فى رسول الله ﷺ الأسوةُ الحسنةُ فى قبولِ اعتذارِ المعتذرِ، فكان لَا يَرُدُّ مُعْتَذِرًا، لِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ كَرَمِ نَفْسٍ، وَحُسْنِ خُلُقٍ. ففى موقفه مع حادثة قتل ابنته زينب - رضي الله عنها - خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى سِعَةِ عَفْوِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَصَفْحِهِ الْجَمِيلِ، فعند هجرتها - رضي الله عنها - دفعها رَجُلٌ كان مُشْرِكًا وقتها، وهو هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، دفعها وهى حُبْلَى، فسقطت من فوق بعيرها، فأسقطت جنينها ولا زلت مريضة فى المدينة بعدها حتى لقيت ربها، فيذكر ابن حجر فى الإصابة من حديث جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، أنه قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ منصرفه من الجعران، فَاطَّلَعَ هَبَّرُ بن الأسود من باب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، هبار بن الأسود، قال: قد رأيته، فأراد رجل من القوم أن يقوم إليه، فأشار النبى ﷺ أَنِ اجْلِسْ، فَوَقَفَ هَبَّارُ، فقال: السلام عليك يا نبى الله. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ولقد هربت منك فى البلاد، وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائذتك، وصلتك، وصفحك عمن جهل عليك، وَكُنَّا يا نبى الله أهل شرك، فهدانا الله بك، وأنقذنا من الهلكة، فاصفح عن جهلى، وَعَمَّا كان يبلغك عنى، فَإِنِّى مُقِرٌّ بِسُوءِ فِعْلِي، مُعْتَرِفٌ بذنبى، فقال رسول الله ﷺ: قد عفوت عنك، وقد أحسن الله إليك، حيث هداك إلى الإسلام، والإسلام يجب ما قبله. (٣)

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٩٩)، وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٨٢٢)، وصحيح الجامع برقم: (٢٥٠١)، (٢٥٠٢) وروى فى الأدب المفرد للبخارى من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) صحيح تفسير ابن كثير: (٣/ ١٧٨).

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر برقم: (٨٩٤٩)، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر برقم: (٢٦٩٧).

وَمَعْنَى أَنَّ الْإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، أي: يمحو الكفر والذنوب التى كانت قبل الإسلام، لما رواه ابن سعد فى طبقاته، من حديث الزبير، وجبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: (الْإِسْلاَمُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ)(١).

وروى الطبراني وغيره من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبى ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً فَغَنِمُوا وَفِيهِمْ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّى لَسْتُ مِنْهُمْ، عَشِقْتُ امْرَأَةً فَلَحِقْتُهَا فَدَعُونِى أَنْظُرْ إِلَيْهَا، ثُمَّ اصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ أَدْمَاءُ، فَقَالَ لَهَا:

أَرَأَيْتِ لَوْتَبِعْتُكُمْ فَلَحِقْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ، أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقْ
أَمَا كَانَ حَتَّى أَنْ يَنُولَ عَاشِقٌ تَكَلُّفَ إِدْلاَجِ السُّرَى وَالْوَدَائِقْ؟

قَالَتْ: نَعَمْ فَدَيْتُكَ، قَالَ: فَقَدَّمُوهُ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَشَهقَتْ شَهْقَةً، أَوْ شَهْقَتَيْنِ، ثُمَّ مَاتَتْ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: (أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ؟!)(٢).

وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِأَهْلِ الْكِتَابِ

أَنَّهُ ﷺ قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَمَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوْصَى أَيْضًا: بِعَدَمِ دُخُولِ بُيُوتِهِمْ إِلاَّ بِإِذْنِهِمْ، وَلاَ ضَرْبِ نِسَائِهِم، وَلاَ أَكْلِ ثِمَارِهِمْ إِلاَّ بِإِذْنِهِمْ، وإليك عزيزى القارئ بعض الأحاديث التى تحث على ذلك لتعلم علم اليقين مدى سماحة الإسلام وأهله، ولكن ما يحدث فى أيامنا هذه هو نتيجة فهم مغلوط أخذه التكفيريون من كتب سيد قطب، ومحمد قطب، ومصطفى شكرى، وأبو

(١) الحديث صحيح، جاء فى الإرواء برقم: (١٢٨٠)، وصحيح الجامع برقم: (٢٧٧٧).

(٢) الحديث صحيح: رواه الطبرانى فى حديثه النسائى (٣١٦/ ١)، وفى (السير) للنسائى أيضًا: (٢/ ٤٧/ ١-٢)، وفى المعجم الكبير (٣/ ١٤٤/ ٢)، وفى (الأوسط) (١/ ٩٢/ ١٦٨٨)، والبهقى فى (دلائل النبوة) (٥/ ١١٧-١١٨) وابن منده فى (المعرفة) (٢/ ٨٩/ ٢)، والطبرانى فى (المعجم الكبير) (١٠/ ٦٢)، والهيثمى فى (المجمع) (٦/ ٢١٠)، والسلسلة الصحيحة للألبانى برقم: (٢٥٩٤).

الأعلى المودودى، والإسلام برئٌ من أقوالهم، وأفعالهم، وكل ما ينتسب إليهم، وإليك سماحة الإسلام فى تلك الأحاديث التى نسوقها إليك:

(١) روى أبو داود من حديث صَفْوَان بْن سُلَيْم أن رسول لله ﷺ قال: (أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ حَقَّهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١).

(٢) وروى ابن ماجه، والحاكم عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا)(٢).

(٣) وروى الإمام أحمد من حديث أبى بكر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِى غَيْرِ كُنْهِهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) (٣).

(٤) وروى البخارى من حديث ابن عمرو - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) (٤).

(٥) وروى الإمام أحمد، والنسائى من حديث أبى بكر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ: أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا)(٥).

---

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود برقم: (٣٠٥٢)، وكذلك البيهقى عن صفوان ابن سليم، وصححه الألبانى فى (غاية المرام بتخريج أحاديث الحلال والحرام برقم: (٤٧١)، وروى عن عدد من أبناء الصحابة عن آبائهم، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٢٦٥٥-١٢٤١).

(٢) الحديث صحيح: جاء فى الترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٤٨-٢١٩٢).

(٣) الحديث صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائى، والحاكم عن أبى بكر - رضي الله عنه -، وجاء فى الترغيب (للمنذرى) برقم: (٣/ ٢٠٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٥٦).

(٤) البخارى (٣١٦٦، ٦٩١٤)، ورواه الإمام أحمد، والنسائى، وابن ماجه، عن ابن عمرو - رضي الله عنه -، وغاية المرام برقم: (٤٤٩)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٥٧).

(٥) الحديث صحيح: رواه النسائى برقم: (٤٧٥٠)، والترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٤)، والسلسلة الصحيحة للألبانى برقم: (٢٣٥٦)، وصحيح الجامع للألبانىّ أيضًا برقم: (٦٤٥٨-٢١٩٨).

(٦) وروى أبو داود سن حديث الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَيْبَرَ وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِدًا مُنْكَرًا، فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا، وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا؟ فَغَضِبَ - يَعْنِى النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: (يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ، ثم نَادِ أَلاَ إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِمُؤْمِنٍ، وَإِنِ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاَةِ)، قَالَ: فَاجْتَمَعُوا، ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلاَّ مَا فِى هَذَا الْقُرْآنِ، أَلاَ وَإِنِّى وَاللهِ! قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ، أَوْ أَكْثَرُ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ بِإِذْنٍ، وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ، وَلاَ أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمْ الَّذِى عَلَيْهِمْ)[١].

خُلُقُ الرَّحْمَةِ فِى حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينْ:

● كان صحابة رسول الله ﷺ يُحْسِنُونَ التعامل مع أهل الكتاب، لأَنَّ مِنْ حُسْنِ التَّعَامُلِ الإِسْلاَمِيِّ، وَمَزَايَا إِسْلاَمُنَا الْحَنِيفِ إِعْطَائِهِمْ حُقُوقِهِمْ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك. قال: ومالك؟ قال: أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر فأبلت فرس لى، فلما ترآها الناس قام محمد ابن عمرو، فقال: فرسى ورب الكعبة!، فلما دنا منى عرفته، فقلت فرسى ورب الكعبة، فقام يضربنى بالسوط! ويقول: خُذْهَا، خُذْهَا؛ وأنا ابن الأكرمين! قال فوالله، مازاد عمر على أن قال: اجلس، ثم كتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابى هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمدًا. قال فدعا عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثًا؟ أجنيت جنايةً؟ قال: لا، قال: فما بال عمر يكتب فيك! قال فقدما على عمر. قال أنس فوالله إنَّا لعند عمر بمنى إِذْ نحن بِعَمْرٍو وقد أقبل فى إزارٍ ورداءٍ،

(١) رواه أبو داود (٣٠٥٠)، وضعفه الألبانى فى (ضعيف الجامع) برقم: (٢١٨٤).

فجعل عمرُ يلتفت هل يرى ابنه! فإذا هو خلف أبيه، فقال: أينَ المصريّ؟ فقال: ها أنا ذا، قال: دونك الدِّرَّةِ اضرب ابن الأكرمين! قال: فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أَجِلْهَا على صلعة عمرو، فوالله، ما ضربك إلا بفضل سلطانه! فقال: يا أمير المؤمنين لقد ضربت مَنْ ضربني، فقال: أما والله لو ضربته مَا حُلْنَا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه. أَيَا عَمْرُو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحرارًا أمهم؟ ثم التفت إلى المصرى، فقال: انصرف راشدًا، فإن رابك ريب فاكتب إِلَيَّ [1].

وَرَوَى عمر بن شَبَّةْ بإسنادٍ له. قال: قال عمرو بن العاصر لرجل من تُجَيْب: يا منافق، فقال التُّجِيبِيّ: ما نافقت منذ أسلمت ولا أغسل لى رأسًا، ولا أدهنه حتى آتى عمر، فآتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن عَمْرًا نَفَّقَنِى، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب عمر إلى عمرو، وكان إذا غَضِبَ كتب: إلى العاصى بن العاص: أَمَّا بَعْدُ، فإن فلانا التجيبى ذكر أنك نفقته وإنى أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين، أو سبعين، فقام فقال: أنشد الله رجلاً سمع عَمْرًا نَفَّقَنِى إلا قام، فشهد، فقام عامة المسجد، فقال له حشمه، أى: خدمه ومن يغضب له: أتريد أن تضرب الأمير؟ قال وعرض عليه الأرش، أى: دِيَةِ الجِرَاحَاتِ، فقال: لو ملأت لى هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حشمه: أتريد أن تضرب الأمير؟ فقال ما أرى لعمر ها هنا طاعة، فلما وَلَّى. قال عمرو: رُدُّوهُ، فأمكنه من السَّوْطِ وجلس بين يديه، فقال: أتقدر أن تمتنع منى بسلطانك؟ قال: لا، قال: فَامْضِ لما أُمِرتَ به. قال: فإنى أدعك الله [2].

وقد كانت حُرْمَةُ المسكن مكفولةٌ ومصانةٌ فى عهد عمر بن الخطاب وعصر الخلفاء الراشدين، وأما حرية الملكية فقد كانت مكفولة ومصانة أيضًا فى عصر الخلفاء الراشدين

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. على محمد عمر ص: ١١٢-١١٣، والأثر أورده ابن عبدالحكم مختصرًا فى فتوح مصر ص: ١٩٥، ومن طريق صاحب الكنز برقم: (٣٦٠١٠).

(٢) المصدر السابق، والأثر أورده ابن شبه: تاريخ المدينة: (٣/ ٨٠٨).

ضمن أبعد الحدود التى تقرها الشريعة الإسلامية فى هذا المجال، فحين اضطر عمر - رضي الله عنه - لأسباب سياسية، وحربية بإجلاء نصاري نجران، ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربية، إلى العراق والشام أمر بإعطائهم أرضًا كأرضهم فى الأماكن التى انتقلوا إليها احترامًا منه وإقرارًا لحقِّ الملكيةِ الفردية الذى يكفلهُ الإسلامُ لأهل الذمة مثلما يكفله للمسلمين (١).

وَحَرِصَ عُمَرُ بْنُ الخطابِ على حريةِ العقيدةِ الدينيةِ، لأن دين الإسلام لم يُكْرِهْ أحدًا من الناس على اعتناقه، بل دعا إلى التفكر والتأمل فى كون الله ومخلوقاته، وأمر أتباعه أن يجادلوا الناس بالتى هى أحسن، كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦). ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ ﴾ (الشورى: ٤٨). ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥). ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وَلِذَلِكَ نَجِدُ الفاروقُ عمرُ فى دولتِهِ حَرِصَ على حماية الحرية الدينية، ونلاحظ أنه سار على هَدْيِ النبى ﷺ والخليفة الراشد أبى بكر فى هذا الباب، فقد أَقَرَّ أهل الكتاب على دينهم، وأخذ منهم الجزية وعقد معهم المعاهدات وحفظت معابدهم، ولم تُهْدَمْ وَتُرِكَتْ على حالها، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ ﴾ (الحج: ٤٠) وحركة الفتوحات التى قام بها الصحابة تشهد على احترام الإسلام للأديان الأخرى، وَحِرْصِ القيادة العليا على عدم إكراهِ أحدٍ فى الدخول فى الإسلام، حتى إن الفاروق نفسه جاءته ذات يوم امرأة

(١) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، على محمد محمد الصلابى ص: ١٤٣-١٤٤، والسياق جاء فى نظام الحكم فى عهد الراشدين لحمد الصمد ص: ١٦٥.

نصرانية عجوز كانت لها حاجة عنده، فقال لها أَسْلِمِى تَسْلَمِى؛ إن الله بعث محمدًا بالحق، فقالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إِلَىَّ أقرب، فقضى حاجتها، ولكنه خَشِىَ أن يكون فى مسلكه هذا ما ينطوى على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل وقال: اللَّهُمَّ إِنِّى أَرْشَدْتُ، وَلَمْ أُكْرِهِ. (١)

وكان لعمر - رضي الله عنه - عَبْدٌ نَصْرَ نِىٌّ اسمه (اشق) حَدَّثَ فقال: كنت عبدًا نَصْرَانِيًّا لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغى لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم، فأبيت، فقال: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) فَلَمَّا حضرته الوفاة اعتقنى وقال: اذهب حيث شئت (٢).

وقد كان أهل الكتاب يمارسون شعائر دينهم وطقوس عبادتهم فى معابدهم وبيوتهم، ولم يمنعهم أحد من ذلك، لأن الشريعة الإسلامية حفظت لهم حق الحرية فى الاعتقاد، وقد أورد الطبرى فى العهد الذى كتبه عمر لأهل إيليا (القدس) ونص فيه على إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم (٣).

وكتب والى عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهدا جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، وأكد ذلك العهد بقوله: على ماضى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين (٤).

وقد اتفق الفقهاء على أن لأهل الذمة لهم ممارسة شعائرهم الدينية وأنهم لاَ يُمْنَعُونَ من ذلك ما لم يظهروا، فإن أرادوا ممارسة شعائرهم إعلانًا وجهرًا كإخراجهم الصلبان

(١) معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى إدوار غالى ص: ٤١.
(٢) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى ظافر القاسمى: (١/ ٨٥).
(٣) تاريخ الطبرى: (٤/ ١٥٨).
(٤) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ٩٨).

يرون منعهم فى ذلك فى أمصار المسلمين، وعدم مَنْعِهِمْ فى بُلْدَانِهِمْ وَقُرَاهُمْ [1].

يقول الشيخ العزالى عن كفالة الإسلام لحرية المعتقد إن الحرية الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظير فى القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفين فى الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار، مثل ما صنع الإسلام، ولقد حرص الفاروق على تنفيذ قاعدة حرية الاعتقاد فى المجتمع وَلَخَّصَ سياسته حِيَالَ النصارى واليهود بقوله: وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم، وَأَنْ لاَ نُحَمِّلَهُمْ ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدوهم بسوء قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلى بينهم وبين أحكامهم، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم، وإن غيبوا عنا لم نعترض لهم [2].

وقد ثبت عن عمر أنه كان شديد التسامح مع أهل الذمة، حيث كان يعفيهم من الجزية عندما يعجزون عن تسديدها، فقد ذكر أبو عبيد فى كتاب الأموال: أن عمر - رضي الله عنه - مَرَّ بِبَاب قَوْمٍ وعليه سائل يسأل - شيخ كبير ضرير البصر - فضرب عضده من خلفه وقال: مِنْ أَيِّ أَهل الكتاب أَنْتَ؟ فقال: يهودى، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشىء من المنزل، أى: أعطاه شيئًا ليس بالكثير، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيته، ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه، وقد كتب إلى عماله مُعَمِّمًا عليهم الأمر، وهذه الأفعال تدل على عدالة الإسلام وحرص الفاروق على أن تقوم الدولة على العدالة والرفق برعاياها ولو كانوا من غير المسلمين، وقد بقيت الحرية الدينية مَعْلَمًا بَارِزًا فى عصر الخلافة الراشدة، مَكْفُولَةٌ من قبل الدولة، ومصانةٌ بأحكامِ التشريعِ الرَّبَّانِيِّ [3].

---

(١) السلطة التنفيذية د. محمد الدهلوى: (٢/ ٧٢٥).

(٢) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين. حمد الصمد ص: ١١٧.

(٣) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره ص: ١٣٨-١٣٩.

وَمِنْ حُسْنِ التعاملِ أيضًا لقاء عمرو بن العاص، والبابا بنيامين.

يَقُولُ المُؤَرِّخُ ابن عبدالحكم: كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: أبو بنيامين، وكان هاربًا فى الصحراء بسبب الاضطهاد المذهبى الذى تعرض (٤) له الأقباط على أيدى الرومان المسيحيين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر، كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقى عمرو فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما صاروا يومئذٍ لعمرو أعوانًا (١).

وقد جاء فى رواية المؤرخ القبطى (ساويرس بن المقنع) أن سانوتيوس أحد رؤساء القبط وقتئذٍ، والذى كان يتولى إدارة شئون الكنيسة مدة اختفاء البطريق بنيامين، وقد روى لعمرو موضوع الأب المجاهد بنيامين البطرك، وأنه هارب من الروم خَوْفًا منهم، فكتب عمرو بن العاص إلى عُمَّالِ مصر كتاباً يقول فيه الموضع الذى فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمنًا مطمئنًا وَيُدَبِّرُ حال بيعته وسياسة طائفته، فلما سمع القديس بنيامين هذا عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبةِ ثلاث عشرة سنة، فلما ظهر فرح الشعب وكل المدينة بمجيئه، ولما علمَ عمروٌ بوصوله أمر بإحضارهِ بكرامةٍ وإعزازٍ ومحبةٍ، فلما رآهُ أكرمهُ وقال لأصحابه: إن فى جميع الكور التى ملكناه إلى الآن ما رأيتُ رجلاً يشبه هذا، وكان الأب بنيامين حسن المنظرِ جدًا، وجيد الكلامِ بسكونٍ ووقارٍ، ثم التفت عمرو إليه وقال له: جميع بيعتك ورجالكَ اضبطهم وَدَبِّرْ أحوالهم، وانصرف من عنده مُكَرَّمًا مُبَجَّلاً، وَعَلَّقَ الأستاذ الشرقاوى على هذا اللقاء فقال: وَقَرَّبَ عمرو إليه البطريق بنيامين حتى لقد أصبح من أَعَزِّ أصدقائه عليه، واطمأن العرب الفاتحون فى مصر، وخطبهم أميرهم عمرو بن العاص فى أَوَّلِ جُمْعَةٍ صلاها بجامعه بالفسطاط، فقال: ... استوصوا بمن جاوركم من القبط، فإن لكم فيهم ذِمَّةً وَصِهْرًا، فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَعِفُّوا أَبْصَارَكُمْ (٢).

(١) فتوح مصر وأعوانها. لابن عبدالحكم ص ٧٣، ٧٤.

(٢) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره ص: ٦٧٥، ٦٧٦.

خُلُقُ الرَّحْمَةِ للأَقْبَاطِ فِى حَيَاةِ السَّلَفِ:

لَقَدْ تَعَلَّمَ صَحَابَةُ رسول الله ﷺ الرحمة من أقوال النبى ﷺ، وأفعاله، وشمائله قولاً وعملاً، ثم عَلَّمُوا السَّلَفَ مَا تعلموهُ، فطبقوهُ على الجانب العمليِّ على أنفسهم، وعلى غيرهم من الملل والطوائف الأخرى، فقد روى مسلم من حديث أبى موسى الأشعرىِّ أن رسول الله ﷺ قال: (أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّى، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ)(1).

قال ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا (نَبِيُّ الرَّحْمَةِ) فهو الذى أرسله الله رحمة للعالمين، فَرَحِمَ به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا فى ظله وتحت حبله وعهده (2).

ولذلك قال عن نفسه ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) كما جاء فى شعب الإيمان للبيهقى، والدارمى، والحاكم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) (3).

أى: ما أنا إلا رحمةٌ أهداها الله للعالمين أجمعين مؤمنهم وكافرهم، فمن أجل ذلك تعلم السلف هذا الخلق العظيم، وكان من أثره أن ابن عمر - رضي الله عنه - كان لهُ جارٌ يهوديٌّ، فكان إذا ذبحَ الشاةَ يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها، وَرُوِىَ أن الجارَ الفقيرَ يتعلقُ بالجارِ الغنىِّ يوم القيامة ويقولُ: يَارَبِّ! سَلْ هَذَا لِمَ مَنَعَنِى مَعْرُوفَهُ، وَأَغْلَقَ عَنِى بَابَهُ، فقد جاء فى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أنهُ ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ، فجعل يقول لغلام: أهديت لجارنا اليهودى، أهديت لجارنا اليهودى، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)(4).

---

(1) رواه مسلم: (2355)، وجاء فى (الروض النضير) برقم: (401، 1017)، وصحيح الجامع برقم: (1473).

(2) زاد المعاد لابن القيم: (1/ 95).

(3) السلسلة الصحيحة برقم: (490)، وغاية المرام برقم: (1)، والمشكاة برقم: (5800) وصحيح الجامع برقم: (2345).

(4) رواه البخارى فى (الأدب المفرد) (101)، ومختصر مسلم (1780)، والإرواء (891)، وصحيح الجامع برقم: (5628).

وَكَانَ لِلْحَسَنِ جَارٌ نَصْرَانِيٌّ، وكان له كنيف على السطح، وَقَدْ نَقَبَ ذلك فى البيت، فكان يَتَحَلَّبُ منهُ الْبَوْلُ فى بيت الحسن، فأمر بإناء فوضع تحته، فكان يخرج ما يجتمع منه ليلاً، ومضى على ذلك عشرون سنة، ثم مرض الحسن ذات يوم فَعَادَاهُ النصرانى، أى: زاره، فرأى ذلك، فقال: منذ كم تحملون منى هذا الأذى؟ فقال الحسن: منذ عشرين سنة، فقطع النصرانى زِنَّارَهُ وَأَسْلَمَ، وَالزِّنَّارُ: حزام يشده النصرانى على وسطه. (١)

قَالَ الإمامُ الذهبيُّ: (فقد روى عن سهل بن عبدالله التسترى: أنه كان له جَارٌ ذِمِّيٌّ وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت دار سهل بَثْقٌ، أى: ثُقْبٌ، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث على هذه الحال زمانًا طويلاً إلى أن حضرت سهلا الوفاة، فاستدعى جاره المجوسى وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة فقال: ما هذا الذى أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمانٍ طويلٍ يسقط من دارك إلى هذا البيت، وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرنى أجلى وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك، وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى، فقال المجوسى: أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مُقِيمٌ على كُفْرِى؟ مُدَّ يَدَكَ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم مات سهل) (٢).

– وَأَمَّا آدَابُ الْحَرْبِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكُفَّارِ: فقد أصدر محمد ﷺ دستورهُ ومواثيقهُ، لمن أَمَّرَهُمْ على جيوشِ المسلمينَ، بأن لاَ يُمَثِّلُوا بِجُثَثِ الْأَعْدَاءِ، وَلاَ يَغْدُرُوا، وَلاَ يَقْتُلُوا وَلِيدًا، فقد روى مسلم وغيره من حديث سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أَمِيرًا على جيشٍ، أو سريةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: (اغْزُوا بِاسْمِ الله فِى سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ

(١) رياض النعيم. أبو عبدالرحمن سلطان بن على الحسنى (ص: ٦٢٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ٦٢٨)، والأثر ورد فى الكبائر للذهبى (ص: ٢٠٧).

بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغْلُوا، وَلاَ تَغْدُرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: أَوْ خِلاَلٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنَ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَكَ لاَ تَدْرِى أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ)[1].

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِمَا يَلِي:

(١) تحريمُ التمثيلِ، والغلوِ، والغدرِ، وقتلِ الوليدِ.

(٢) يُشْرَعُ للإمام بعثُ الجيوشِ والسرايَا.

(٣) لا يجوزُ القتالُ قبل الدعوةِ، لأنهُ جعلَ القتالَ آخرَ مرحلةٍ.

(٤) جواز أخذ الجزية من غير اليهود والنصارى والمجوس، لأن أهل الكتاب نص القرآن على أخذها، والمجوس وردت به السنة، والصحيح أنها تؤخذ من جميع الكفار، لعموم قوله ﷺ: (من كفر بالله)، ولم يقل: اليهود والنصارى.

(٥) الإشارة إلى أن القتال ليس لإكراه الناس على أن يدخلوا فى الدين، أو يقاتلوا، وهذا هو الراجح الذى يؤيده القرآن والسنة، وأما قوله ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ

(١) رواه مسلم (١٧٣١)، وأخرجه ابن أبى شيبة (٩/ ٤٢٤)، وأبو داود (٢/ ٢٦)، والترمذى (علل) (٢/ ٦٩٣)، والدارمى (٢٤٣٩) (٢٤٤٢)، وابن ماجه (٢٨٥٨)، والنسائى (كبرى) (٨٧٦٥)، والطحاوى (مشكل) (٧٥٧٣) (٣٥٧٥)، وفى (المعانى) (٣/ ٢٠٦)، وأحمد (٥/ ٣٥٢)، والإرواء برقم: (١٢٤٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٠٧٨-٥٠٦)، والجميع عن بريدة - رضي الله عنه .

أُقَاتِلَ النَّاسَ)[1]. فَهُوَ عَامٌّ مَخْصُوصٌ بِأَدِلَّةِ الْجِزْيَةِ.

(٦) عِظَمِ الْعُهُودِ، وَلاَ سِيَّمَا إِذَا كَنَتْ عَهْدًا للهِ وَرَسُولِهِ.

(٧) جواز نزول أهل الحصن على حكم أمير الجيش.

(٨) أنهُ لا يجوزُ أَنْ يُنْزِلَهُمْ على حكم الله، إما فى عهد الرسول ﷺ، أو مطلقًا.

(٩) أن المجتهد قد يصيب، وقد يخطئ، لقوله ﷺ: (فإنك لا تدرى أتصيب فيهم حكم الله، أم لا)، وقال النبى ﷺ: (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ)[2].

● إِذَنْ، هَلْ لِكُلِّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ؟

قِيلَ: لَيْسَ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مَصِيبًا، وَقِيلَ: كُلُّ مُجْتَهِدٍ مصيبٌ فى الفروعِ، دُونَ الأصولِ.

وَالصَّحِيحُ: أن كل مجتهد مصيب من حيث اجتهاده، أما من حيث موافقته للحق، فإنه يخطئ ويصيب، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (فاجتهد فأصاب، واجتهد فأخطأ) وظاهر الحديث والنصوص أنه شاملٌ للفروع والأصولِ، حيث دَلَّتْ تلك النصوص على أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، لكن الخطأ المخالف لإجماع السلف خطأٌ ولو كان من المجتهدين، لأنه لا يمكن أن يكون مصيبًا والسلف غير مصيبين، سواء فى علم الأصول، أو الفروع.

(١٠) أن باب الاجتهاد باقٍ، لقوله ﷺ: (لا تدرى أتصيب فيهم حكم الله أم لا)، فالواجب على من تمكن من أخذ الحكم من الكتاب والسُّنة أن يأخذه منهما، لكن لكثرة السنن وتفرقها لا ينبغى للإنسان أن يحكم بشىءٍ بمجرد أن يسمعَ حديثًا فى هذا الحكم حتى يثبت، لأن هذا الحكم قد يكون منسوخًا، أو مقيدًا، أو عامًا، وأنت تظن بخلاف ذلك.

---

(١) السلسلة الصحيحة برقم: (٤٠٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٣٧٢-٥٩٩) من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه.

(٢) رياض الصالحين برقم: (١٨٦٥)، ومختصر مسلم (١٠٥٦)، وصحيح الجامع برقم: (٤٩٣)، وجاء فى الصحيحين، ورواه الإمام أحمد، والأربعة من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -.

(١١) فيه إثبات الحكم لله - عزّ وجل - وحكم الله ينقسم إلى قسمين:

أ - حُكْمٌ شَرْعِيٌّ: وهو ما يتعلق بالشرع والعبادة، وهذا من الناس من يأخذ به، ومنهم من لا يأخذ به، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ (الممتحنة: ١٠).

ب - حُكْمٌ كَوْنِيٌّ: وهو ما يتعلق بالكون، ولا يمكن لأحد أن يخالفه، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ (يوسف: ٨٠). [١]

وَذَهَبَ الْإِمَامُ مَالِكُ إلى أنه قال فى هذا الشأن: (لا يقاتل الكفار قبل أن يُدْعُوا، ولا تلتمس غِرَّتَهُمْ إلا أن يكونوا قد بلغتهمُ الدعوةُ، فيجوز أن تلتمس غرتهم)، وهذا الذى صار إليه مالك هو الصحيح، لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين، فإذا علموا بذلك أمكن أن يكون ذلك سببًا مُمِيلاً لهم إلى الانقياد إلى الحق، بخلاف ما إذا جَهِلُوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للملك وللدنيا فيزيدون عُتُوًّا وَبُغْضًا، والله أعلم [٢].

● وَأَشَارَ الْإِمَامُ النَّوَوِىُ، بِمَا يُسْتَفَادُ من الحديث السابق، فوائد مُجْمَعٌ عليها وهى:

- تَحْرِيمُ الْغَدْرِ، أَىْ: لاَ يَتَّخِذُونَ عَلَى غِرَّةٍ، وَلاَ يُفَاجَئُونَ بِالْمَوْقِفِ.

- تَحْرِيمُ الْغُلُولِ، أى: الذى قُيِّدَتْ يَدَاهُ وَرِجْلاَهُ، أَوْ عُنُقُهُ.

- تَحْرِيمُ قَتْلِ الصِّبْيَانِ إِذَا لَمْ يُقَاتِلُوا، أى: حرمة قتل الصبيان، إلا إذا بدأواهم بالقتال.

- كَرَاهَةُ الْمُثْلَةِ، أي: يكره التمثيل بجثث الموتى، وتقطيع أعضائهم والتشهير بها.

- استحباب وصية أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى.

- الرِّفْقُ بِأَتْبَاعِهِمْ، وتعريفهم ما يحتاجون فى غزوهم، وما يجب عليهم، وما يحلُّ لهم،

(١) فتح المجيد بشرح كتاب الوحيد. الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل شيخ: (٢/ ٣٣٦: ٣٣٨).

(٢) المصدر السابق: (٢/ ٣٣٩).

وما يُحَرَمُ عليهم، وَمَا يُكْرَهُ وَمَا يُسْتَحَبُّ.(١)

وَقَدْ نَقَلَ د. سهيل ذكار فى كتابه (حطين مسيرة التحرير) ص: (٧، ٨) تحت عنوان (سيرتهم وسيرتنا) أنه كتب: (وحفلت الكتابات الأوربية للعصور الوسطى بالحديث عن أكل الأوربيين للحوم العرب، فقد حدثت أثناء الحملة الصليبية الأولى أن شكا قائد وحدة من رجالات الحملة جوع أتباعه، وانعدام الطعام إلى بطرس الناسك، فأشار عليه بطرس بجمع جثث قتلى المسلمين وَسَلْخِهَا وَشَيِّهَا لأكلها)، وقبل ذلك التاريخ - ١٠١٨م -: (أغار - روجر النورماندى - على (الأندلس)، وقام بجمع الجثث، من العرب، وأقام (وَلِيمَةً) كبيرةً لجيشه كان طعامها من لحوم الجثث، ومثل هذا وُرِدَ وَاضِحًا فى ملحمة (ريتشارد قلب الأسد) المكتوبة فى القرن الثانى عشر، أيام رتشاد وأثناء الحديث عن الحملة الصليبية الثالثة وحصار مدينة عكا، ففى أثناء ذلك أُصِيبَ ريتشارد بِحُمَّى حَادَّةً، ألزمته الفراش وجعلته يرفض مَا يُقَدَّمُ له من طعامٍ وشرابٍ، وطلب فى أحد الأيام أَنْ يَقُدَّمَ لَهُ شِوَاءِ خِنْزِيرِ، وقام طباخ الملك بالتفتيش عن خِنْزِيرِ فلم يجد، وهنا قال لنفسه: خُذْ فَتَى عَرَبِيًّا يَانِعًا قَدْ فَارَقَ دُنْيَاهُ التَّعِسَةِ لِتَوِّهِ، وعليك بتنظيفه، وفركه، وسلخه، وقبل أن يَفسدَ لحمهُ مَلِّحْهُ وَضَعْ لَهُ تَوَابِلَ حَارَّه، وَاطْلِهِ بالعصفر، ثُمَّ اشْوِهْ، فعندما يتذوق مليكنا طعم هذا الشواء سيشفى من حُمَّاهُ الشديدة وستعودُ لهُ قُوَاهُ، وأكلَ الملكُ اللَّحْمَ وشَرِبَ المرقَ، ثم غرق فى سُبَاتٍ عَمِيقٍ أفاق بعده وقد اسْتَرَدَّ عَافِيَتَهُ، وحمل سلاحه، وامتطى حصانه، ونزل ساحة الوغى، حيث قاتل قتالاً شديدًا، وعندما عاد إلى خيمته فى المساء، طرحَ سلاحهُ جانبًا، ونزع ثيابهُ، ثم نادى طباخهُ، وقال له: أخشى عودة الْحُمَّى إِلَىّ، لذلك أَحْضِرْ لِى رَأْسَ الْخِنْزِيرِ، وَهُنَا تَرَدَّدَ الطَّبَاخُ، وخاف من ملكه، ثم أقدم على حمل رأس الْعَرَبِىِّ إليه، ووضعه أمامه على مائدته، وَفُوجِئَ الملك فى البداية، لَكِنَّهُ ما لَبِثَ أَنِ انْفَجَرَ ضَاحِكًا، ذلك أنه فهم الحكاية، وصاح: عَجَبًا هَلْ لُحُومُ الْعَرَبِ طَيِّبَةٌ إِلَى هَذَا

(١) مسلم بشرح النووى: (٦/ ١٦٩).

الْحَدُّ؟ بِحَقِّ مَوْتِ الرَّبِّ وصُعُودَهُ، لَنْ تُهْدَرُ حَيَوَانَاتَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ جَوْعًا، مَادُمْنَا قَادِرِينَ على الهجوم، ونقتل العرب وَنُعَوِّض نقص الْـمُؤَنِ لدينا، فقد نَعِمْنَا بمذاق لحومهم، وما علينا إلا أن نشوى جثثهم، أو نقليها، أو .....)[1].

وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ تَمَامًا، فَيُنْقَلُ تحت عنوان (سيرتنا) (ص: ٦)، قال الحق تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٣٩) وقوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ويقول من كان فى خدمة (صلاح الدين): (ولقد كتب راكبًا فى خدمته، أى: (صلاح الدين) فى بعض الأيام قبالة الإفرنج، ولقد وصل بعض (اليزكيَّة)، أى: طلائع الجيش، ومعه امرأةٌ شَدِيدَةَ التَّحَرُّقِ كَثِيرَةَ الْبُكَاءِ، متواترة الدَّقِّ على صَدْرِهَا، فقال اليزكىُّ: إن هذه خرجت من عند الإفرنج، فَسَأَلَتْ الحضورُ بينَ يَدَيْكَ، وقد أَتَيْنَا بِهَا، فأمر الترجمان أن يسألها عن قضيتها، فقالت: اللصوص المسلمون دخلوا البارحة إلى خيمتى، وسرقوا ابنتى، وَبِتُّ البارحة أستغيث إلى بُكْرَةَ النَّهَارِ، فَقِيلَ لِى: الْمَلِكُ هُوَ رَحِيمٌ، ونحن نخرجك إليه تطلبين ابنتك منه، فأخرجونى إليك، وما أعرف بنتى إلا منك، فَرَقَّ لَهَا وَدَمَعَتْ عَيْنَيْهِ، وَحَرَّكَتْهُ مُرُوءَتُهُ، وأمرَ مَنْ ذهب إلى سوق العسكر يسأل عن الصغيرة من اشتراها، ويدفع لها ثمنها، وَيُحْضِرُهَا، فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ حتى وصل الفارسُ والصغيرة على كتفه، فما كان إلاَّ أَنْ وقعَ نظرها عليها، فَخَرَّتْ إلى الأرض تُعَفِّرُ وَجْهَهَا فى التراب والناسُ يبكونَ على ما نالهَا، وَهِىَ تَرْفَعُ طَرْفَهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَلاَ نَعْلَمُ مَا تَقُولُ، فَسُلِّمتْ ابنتها إليها، وَحُمِلَتْ، وَأُعِيدَتْ إلى عَسْكَرِهِمْ)[2].

وَلِذَلِكَ فَقَدْ غَزَا مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ محمد ﷺ تسع عشرة غزوة عَلَّم فيها الصحابة أن لا يجهزون على جريحٍ، ولا يتبعون مُدْبرًا، ولا يقتلون أسيرًا، ولا معاهدًا، فقد جاء فى

(١) (ريتشارد قلب الأسد) ترجمة إنكليزية – ط – نيويورك ١٩٦٦م (ص: ١٩٣).

(٢) رياض النعيم. أبو عبدالرحمن سلطان بن على سلطان (ص: ٦٠٠).

الحديث المتفق عليه من حديث أبى إسحاق أنه قال: قلت لزيد بن أرقم: كم غزا رسول الله ﷺ؟ قال: تسع عشرة غزوة، قلت له: كم غزوة أنت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشر غزوة، قال: قلت: ما أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ؟ قال: ذو العشيرة، أو ذا العسيرة. (١)

وأخرج مسلم من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه قال: غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل منها فى ثمان (٢).

قَدْ غَيَّرَ فِيهَا ﷺ أَغْرَاضَ الْحُرُوبِ وأهدافها التى كانت تضطرم نار الحرب لأجلها فى الجاهلية، فبينما كانت الحرب عبارة عن النهب والسلب والسرقة والإغارة والظلم والبغى والعدوان، وأخذ الثأر، والفوز بالوتَرَ، وَكَبْتُ الضَّعِيفِ، وتخريب العمران، وتدمير البنيان، وهتك حرمات النساء، والعبث والفساد فى الأرض - فى الجاهلية - إِذْ صَارَتْ هذه الحرب - فى الإسلام - جِهَادًا فى تحقيقِ أهدافِ نبيلةٍ، وأغراضٍ سامية، وغاياتٍ محمودةٍ، يَعْتَزُّ بها المجتمع الإنسانىُّ فى كل زمانٍ ومكانٍ، فقد صارت الحرب جهادًا فى تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان، إلى نظام العدالةِ وَالنَّصَفِ، مِنْ نِظَامٍ يَأْكُلُ فِيهِ الْقَوِىُّ الضعيفِ، إلى نظام يصير القوىُّ فيه ضعيفًا حتى يُؤْخَذَ مِنْهُ، وصارت جهادًا فى تخليص ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ٧٥)، وصارت جهادًا فى تطهير أرض الله من الغدرِ والخيانةِ والإثم والعدوانِ، إلى بسطِ الأمنِ والسلامةِ والرحمةِ ومراعاةِ الحقوقِ والمروءةِ، كما شُرِعَ للحروبِ قواعد شرعية ألزم التَّقَيدَ بها على

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب (المغازى) باب (غزوة العشيرة) (٤/ ١٤٥٣) حديث رقم: (٣٧٣٣)، قال: حدثنى عبدالله بن محمد حدثنا وهب، حدثنا شعبة ... به.

ومسلم فى كتاب (الجهاد) باب: (عدد غزوات الرسول ﷺ) (٣/ ١٤٤٧/ ١٢٥٤) قال: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار واللفظ لابن المثنا. قال: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن أبى إسحاق.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب (الجهاد) (٣/ ١٤٤٨/ ١٨١٤).

جنوده وَقُوَّادُهَا، ولم يسمح لهم بالخروج عنها بحال، وكان يأمرُ بالتَّيْسير فَيَقُولُ: (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا) [(١)].

وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بِلَيْلٍ، لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبِحَ، ونهى أَشَدَّ النَّهْى عن التحريق فى النار، ونهى عن قَتْل الصَّبْر، وقتل النساءِ وضربهنَّ، ونهى عن النَّهْبِ حتى قال: (إِنَّ النُّهْبَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ الْمَيْتَةِ) [(٢)].

وَنَهَى عَنْ إِهْلاَكِ الْحَرْثِ، وَالنَّسْلِ، وقطع الأشجار إلا إذا اشتدت إليها الجاحة، ولا يبقى سواه سبيل، وقال عند فتح مكة: (لاَ تُجْهِزَنَّ عَلَى جَرِيحٍ، وَلاَ تَتْبَعَنَّ مُدْبِرًا، وَلاَ يَقْتُلَنَّ أَسِيرًا)، وَأَمْضَى السُّنَّةَ بِأَنَّ السَّفِيرَ لاَ يُقْتَلُ، وَشَدَّدَ فى النَّهْىِ عَنْ قَتْلِ الْمُعَاهِدِينَ حَتَّى قَالَ: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) [(٣)].

وَقَالَ أَيْضًا: (مَنْ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا) [(٤)].

إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التى طَهَّرَتْ الحروب من أدران الجاهلية حتى جعلتها جهادًا مقدسًا. [(٥)]

---

(١) مختصر مسلم (١١١٢)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١١٥١)، وصحيح الجامع برقم: (٨٠٨٧-٣١٧٠)، ورُوِىَ فى الصحيحين، ومسند الإمام أحمد من حديث أبى موسى - رضي الله عنه -، ومسلم: (٢/ ٨٢، ٨٣)، والمعجم الصغير للطبرانى: (١/ ١٢٣، ١٨٧).

(٢) السلسلة الصحيحة برقم: (١٦٧٣)، وصحيح الجامع: (١٩٨٦).

(٣) غاية المرام (٤٤٩)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٦٤٥٧)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٥٧)، والحديث رواه البخارى، وابن ماجه، والنسائى، والإمام أحمد من حديث ابن عمرو - رضي الله عنه -.

(٤) الحديث صحيح: جاء فى سنن ابن ماجه، والحاكم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، والترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٤٨-٩١٩٢).

(٥) الرحيق المختوم للمباركفورى (ص: ٣٧٩)، وَانْظُرْ ذلك مُفَصَّلاً فى زاد المعاد لابن القيم: (٢/ ٦٤-٨٢).

بَادِرْ إِلَى الْخَيْرِ يَاذَا اللُّبُّ مُغْتَنِمًا وَلاَ تَكُنْ مِنْ قَلِيلِ الْخَيْرِ مُحْتَشِمَا
وَاشْكُرْ لِمَوْلاَكَ مَا أَوْلاَكَ مِنْ نِعَمٍ فَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الإِفْضَالَ وَالْكَرَمَا
وَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللهِ وَارْعَهُمُ فَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

فالله يرحم الرحماء، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الرحمن، كما قال ﷺ: (مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ، لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ)[1]، وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: وهو على المنبر: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يُغْفَرُ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[2].

فَاعْلَمْ عَبْدَاللهِ أَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى، أَرْحَمُهُمْ لِخَلْقِهِ.

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد فى مسند، والترمذى من حديث جرير - رضي الله عنه -، وأبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه -، وصحيح الجامع برتم: (٦٥٩٧).

(٢) الحديث رواه البخارى فى (الأدب)، ورواه الإمام أحمد (٦٥٠٥)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم: (٤٨٢).

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ:

الأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا

الْقُرْبُ وَالْمَوَدَّةُ:

إن الناظر فى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ليجد علاقةً عضويةً بين الإسلام واليهودية والمسيحية، وهذه العلاقة تُجَسِّدُهَا النصوص التى أُرْسِلَتْ من عند الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام، ليبلغها للرسل، لِيُصْبِحَ الْمَضْمُونُ وَالْمُحْتَوَى وَاحِدٌ، وهو القرآن والتوراة والإنجيل، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)، وجاء فى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نَحْنُ مَعْشَرُ الأَنْبِيَاءَ أَوْلاَدُ عَلاَّتٍ دِينُنَا وَاحِدٌ)[1].

أى: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومنهاجهم، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

أَمَّا عَلَى مُسْتَوَى الأَنْبِيَاءِ فهم أخوة ولا فرق بين أحد من الرسل، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وجاء فى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ نَبِىٌّ، وَالأَنْبِيَاءُ

(١) البخارى (٣٤٤٢، ٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

أَوْلاَدُ عَلاَّتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)[1].

وأَمَّا عَلَى مُسْتَوَى الْكُتُبِ، فالقرآن يصدق التوراة والإنجيل، والكتب تصدق بعضها بَعْضًا، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ (آل عمران: ١-٤) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ (المائدة: ٤٤).

فَالْقُرْآنُ مُرْتَبِطٌ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَمَا شُرِعَ فى القرآنِ، شُرِعَ بها قبلهُ، فأصبحوا يدعون إلى أصول مشتركة، لأن الرسالات الثلاثة تضمنت رسالةً واحدةٌ الأصلُ فيهم عبادة الله وحده لا شريك له، والقرآن يصور ويرسم العلاقة بين الأديان الثلاثة بالمودة والرحمة، ولكن شَذَّتْ عنهم اليهودية وانحرفت عن طريق الصواب وذلك بإظهار العداء للنبى ﷺ، ولم يكتفوا بذلك، وإنما تحركُوا بتحركاتٍ عدائيةٍ لِوَأدِ شَأْفَةِ الإسلامِ وَإِبْطَالِ دَعْوتِهِ، لأنهم تحالفوا مع أهل مكة من الوثنيين على إخراج النبى من مكة وهى أحب البلاد إلى قلبه، ولم يكتفوا بذلك، بل تحالفوا على قتله، ولذلك انزل الله تعالى فى كتابه التحذير من هؤلاء، وإبراز العداوة لأهل الإيمان، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ (المائدة: ٨٢).

فالآية الكريمة تبين وتوضح ثلاثة علاقات فى هذا الشأن:

فَالْمَقْطَعُ الأَوَّلُ من الآية هو إظهار عداوة اليهود والمشركين، لأنهم هم الذين بدأو بها، وقد أُسْنِدَ الله العداوة لهم ضد المؤمنين نتيجة تصرفهم ضد المسلمين.

وَالْمَقْطَعُ الثَّانِى: وهو الذى يبين علاقة المسلمين بالمسيحيين، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ (المائدة: ٨٢)

(١) الحديث رواه البخارآن ومسلم، وجاء فى اسند للإمام أحمد، وسنن أبى داود من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - وجاء فى مختصر مسلم (١٦١٨)، وصحيح الجامع برقم: (١٤٥٢).

ومعنى كلمة (نصارى)، أى: الذين نصروا عيسى عليه السلام، فعلاقة النصارى بالمسلمين علاقة مَوَدَّةٌ وَمَحَبَّةٌ، وقد بيّن القرآن الكريم التحليل النفسى لذلك حيث قال: (ذلك بأن منهم قسيسين) أى: علماءً، ورهبانًا.

وَأَمَّا الْمَقْطَعُ الثَّالِثُ: وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أى: متواضعون، ولا يقولون: (نحن شعب الله المختار)، ولذلك اختلفت النصارى عن اليهود بثلاثة صفات:

علماء دين، الزُّهَّاد، أى: الصَّالِحُونَ، ثم الأهم من ذلك كله، عَدَمُ الاِسْتِكْبَارِ، أى: أَهْلُ تَوَاضُعٍ، وَأَهْلُ مَوَدَّةٍ، أَمَّا الْيَهُودُ، فهم علماء، ولكن عندهم الاستكبار والجهل، وجفاف الروح، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ (البقرة: ٨٨)، وأنهم مستكبرون، أى: لا يميلون إلى الحق، لِذَلِكَ قَدْ مَيَّزَ اللهُ قُلُوبَ النَّصَارَى عَنِ الْيَهُودِ، بأن جعل فى قلوب الذين اتبعوا عيسى عليه السلام الرأفةَ والرحمة فى قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ (الحديد: ٢٧) أى: فى قلوب الذين اتبعوه من غير المسلمين رحمةً إلى يوم القيامة، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ﴾ قَالَ الْمَهَايِمِيُّ: إنما عاداهم اليهود لإيمانهم بعيسى ومحمد ﷺ، وعاداهم المشركون لتوحيدهم وإقرارهم بنبوة الأنبياء، وَقَالَ غَيْرُهُ: لِشِدَّةَ إِبَائِهِمْ، وَتَضَاعُفِ كُفْرِهِمْ، وَانْهِمَاكهم فى اتباع الهوى، ورُكونهم إلى التقليد، وبُعدهم عن التحقيق، وتمردهم على التَّمَرُّدُ والاستعصاء على الأنبياء، والاجتراء على تكذيبهم، ومناصبتهم العداء لهم، ولهذا قتلوا كثيرًا منهم حتى هَمُّوا بقتل رسول الله ﷺ غير مَرَّةٍ، وَسَمُّوهُ وَسَحَرُوهُ، وَأَلَّبُوا عليه أشباههم من المشركين،

وفى تقديم (اليهود) على (المشركين) إشعارٌ بتقدمهم عليهم فى العداوة، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (البقرة: ٩٦) إيذانًا بتقدمهم عليهم فى الحرص ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ أَىْ: لِلِينِ جَانِبِهِمْ، وَقِلَّةِ غِلِّ قُلُوبِهِمْ(١)

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أى: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مَوَدَّةٌ لِلْإِسْلَامِ وأهله فى الجملة، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِمَا فى قلوبهم إذْ كانوا على دين المسيح من الرِّقَّةِ وَالرَّأْفَةِ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ (الحديد: ٢٧)، وفى كتابهم: (مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنَ، فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الأَيْسَرَ)، وليس القتالُ مشروعًا فى مِلَّتِهِمْ، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، أى: يوجد فيهم القِسِّيسُونَ وهم: خُطَبَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وأما قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أى: تضمن وصفهم، بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه وانصافه، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة: ٨٣) أى: مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به، عن عبدالله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية فى النجاشى وفى أصحابه، يقول تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّٰلِحِينَ ﴾ (المائدة: ٨٤) وَهَذَا الصِّنْفُ من النصارى هم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ ﴾ (آل عمران: ١٩٩) وهم الذين قال اللهم فيهم: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِۦ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ

(١) محاسن التأويل للقاسمى: (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).

ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القصص: ٥٢-٥٥) وقوله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٨٥) أي: ماكثين فيها أبدًا لاَ يُحَوَّلُونَ وَلاَ يَزُولُونَ ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: فى اتباعهم الْحَقَّ، وانقيادهم لهُ حَيْثُ كَانَ، وَأَيْنَ كَانَ، وَمَعَ مَنْ كَانَ. [١]

وَلَمَّا اشْتَدَّ الْكَرْبُ بِصَحَابَةِ رسول الله ﷺ، وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ، وضاقت عليهم مَكَّةَ وَأُوذُوا، وخافوا على أنفسهم فى دينهم، ورسول الله ﷺ لا يستطيع دَفْعَ الضُّرِّ عنهم فى تلك الآونة، أوصاهم بالذهاب إلى الحبشة، لأن بها مَلِكًا لا يظلم عنده أحد، كما جاء فى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد من حديث أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت: (لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ فى مَنْعِةٍ مِنْ قَوْمِهِ ومِنْ عَمِّه، لا يصلُ إليه شيءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ من أصحابه، فقال لهم: (إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا، وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فيه)، فخرجنا إليه أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخيرِ دَارٍ وإلى خيرِ جارٍ آمنًا على دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا، فلما رأت قريش أنا قد أصبنا دارًا وأمنًا اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا فيخرجنا من بلاده، وَلِيَرُدَّنَا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص، وعبدالله بن أُبَيِّ بن ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يدعوا منهم رجلاً إِلاَّ هَيَّئُوا لَهُ هَدِيَّةً عَلَى حِدَةٍ، قالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن يكلمهم فافعلوا، فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته وكلموه، فقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك فى سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم فى دينهم، ولم يدخلوا فى دينكم، فبعثنا قومهم لِيَرُدَّهُمُ الملك

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٦٦٤-٦٦٥).

عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل، ثم قَدَّمُوا إلى النجاشى هداياه، وكان من أحبِّ ما يُهْدَى إليه من مَكَّةَ الأدمُ، فلما أَدْخَلُوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك إن فتيةً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجئوا إلى بلادك، فَبَعَثَنَا إليك فيهم عَشَائِرُهُمُ آباؤهم، وأعمامهم، وقومهم، لِتَرُدَّهُمْ عليهم فهم أعلاهم عَيْنًا، فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا أعلاها عَيْنًا، فإنهم لم يدخلوا فى دينك فتمنعهم بذلك، فغضب، ثم قال: لا لعمر الله لاَ أَرُدَّهُمْ إليهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظرُ ما أمرهم، قَوْمٌ لجئوا إلى بلادى واختاروا جِوَارِى على جوار غيرى، فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أخل ما بينهم وبينهم، ولم أُنْعِمْهُمْ عَيْنًا، فأرسل إليهم (النجاشى) فجمعهم، ولم يكن شىء أبغض إلى (عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة) من أن يسمع كلامهم، فلما جاءهم رسول النجاشى، اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول؟ نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا وما جاءنا به نبينا ﷺ كَائِنٌ فِى ذَلِكَ مَا كَانَ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم (جعفر بن أبى طالب).

فقال النجاشى: ما هذا الدين الذى أنتم عليه، فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا فى يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين؟

قال جعفر: أيها الملك، كُنَّا قَوْمًا على الشرك نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسىء الجوار، وَنَسْتَحِلُّ الْمَحَارِمَ بعضنا من بعض، فى سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئًا وَلاَ نُحَرِّمُهُ، فبعث الله إلينا نَبِيًّا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلى لله، ونصوم له، ولا نعبد غيره.

قال: فقال: فهل معك شىءٌ مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته، فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال له جعفر: نعم.

فقال: هَلُمَّ فَاتْلُ عَلَيَّ ما جاء به، فقرأ عليه صدرا من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ (مريم: ١) فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته، حتى اخضلوا مصاحفهم، ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها عيسى، انطلقوا راشدين، لا والله لاَ أَرُدَّهُمْ عليكم ولا أُنْعِمُكُمْ عَيْنًا، فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبدالله بن أبى ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لأَتِيَنَّهُ غَدًا بما استأصل به خضراءهم فلأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذى يُعْبَدُ عيسى ابن مريم عَبْدٌ، فقال له عبدالله بن ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رَحِمًا ولهم حَقًّا، فقال: والله لأَفْعَلَنَّ، فلما كان الْغَدُ دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم فسألهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مِثْلُهَا فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون فى عيسى إن هو سألكم عنه؟ نقول والله الذى قال الله تعالى فيه، والذى أمرنا به نبينا محمد ﷺ أن نقول فيه، فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر: نقول: عبدالله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فَدَلَّى النَّجَاشِى يدهُ إلى الأرض وأخذ عويدًا بين إصبعيه فقال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العُويد، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله، اذهبوا فأنتم سُيومٌ فى أرضى، والسيوم: الآمنون، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثَلاثًا، مَا أُحِبَّ أَنْ لِى دَبْرًا وأنى آذيت رَجُلاً منكم، وَالدَّبْرُ بلسانهم الذهب، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِى فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس فِيَّ فأطيع الناس فيه، رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لى بها، فاخرجا من بلادى فرجعا مقبوحين مردودًا عليهما ما جاء به، فَأَقَمْنَا مَعَ خَيْرِ جَارٍ، وَفِى خَيْرِ دَارٍ [(١)].

(١) الحديث إسناده صحيح: أخرجه أحمد فى (مسنده) (١/ ٢٠١) حديث رقم (١٧٤٠) من طريق إسحاق .... به، وأورده الهيثمى فى (المجمع) (٦/ ٢٥-٢٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرَّح بالتحديث، ورواه المصنف فى (السنن الكبرى) (٩/ ١٤٤) قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ... به، وصحح إسناده الشيخ/ أحمد شاكر.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّجَاشِيُّ وعلم رسول الله ﷺ صلّى عليه رسول الله ﷺ هو والصحابة صلاة الغائب، فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره من حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال للصحابة: (إِنَّ أَخَاكُمُ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ) [1].

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ نَعَى لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى وَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ. [2]

وأخرج ابن حبان وغيره من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (كَانَ لاَ يَزَالُ يُرَى عَلَى قَبْرِ النَّجَاشِيِّ نُورٌ) [3].

---

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث عمران بن حصين، ورواه مسلم، والنسائي من حديث جابر - رضي الله عنه -، وجاء في أحكام الجنائز برقم: (٩٠)، والإرواء برقم: (٧٢٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٥٤٩-٦٩١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (الجنائز) باب (الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه) (١/ ٤٢٠) حديث رقم: (١١٨٨) قال: حدثنا إسماعيل. قال: حدثني مالك عن ابن شهاب ... به، ومسلم في كتاب (الجنائز) باب (في التكبير على الجنائز) (٢/ ٦٥٦/ ٩٥١) قال: حدثنا يحيى قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب .... به.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن حبان في (صحيحه) (١١/ ٥١٥) حديث رقم: (٥١١٤)، والطبراني في (الكبير) (٢٥/ ٨١) حديث رقم: (٢٠٥)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) (٨/ ٩٥)، والمصنف في (السنن لكبرى) (٦/ ٢٦) حديث رقم: (١٠٩٦٠) جميعًا من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أم كلثوم، قال ابن وهب: وفي روايته أم كلثوم بنت أبي سلمة قالت ... فذكره، والشيباني في (الآحاد والمثاني) (٦/ ٢٢٦) حديث رقم: (٣٤٥٩) من طريق مسلم بن خالد حدثنا موسى بن عقبة عن أن أم كلثوم ... فذكره، وسعيد بن منصور في (سننه) (١/ ١٦١) حديث رقم: (٤٨٥)، من طريق مسلم بن خالد عن موسى عن عقبة عن أم كلثوم ... به، والحاكم في (المستدرك) (٢/ ٢٠٥) حديث رقم: (٢٧٦٦) من طريق مسلم بن خالد ... به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وَلَمَّا جَاءَ وَفْدُ (نَصَارَى نَجْرَانُ) وكانوا سِتُّونَ رَاكِبًا منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعةوالعشرون منهم ثلاثة نفرٍ يَؤُولُ إليهم أمرهم، ولما دخلوا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ دخلوا فى تجملٍ وثيابٍ حِسَانٍ، وقد حانت صلاة العصر، فقاموا يصلون إلى المشرق، فقال رسول الله ﷺ: (دعوهم)، فكان المتكلمُ لهم أبا حارثة بن علقمة، والسيد، والعاقب، حتى نزلت فيهم صدر (آل عمران) [(١)].

وَرُوِيَ ابن إسحاقٍ أنه قال: لَمَّا قَدِمَ وفد (نصارى نجران) على رسول الله ﷺ دخلوا عليه بعد العصر فحانت صلاتهم، فقاموا يُصلون فى مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: (دَعُوهُمْ فَاسْتَقْبَلُوا الْمَشْرِقَ فَصَلُّوا صَلاَتَهُمْ) [(٢)].

وَلَمَّا فَتَحَ عمر بن الخطاب بيت المقدس، وصالح نصارى نجران بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها، إِذْ دَخَلَ المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وَيُقَالُ: إنه لَبَّى حين دخل المسجد، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرا فى الأولى بسورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه، وفى الثانية بسورة (بنى إسرائيل) [(٣)].

الزَّوَاجُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالأَكْلُ مِنْ طَعَامِهِمْ:

لقد نشر الإسلام على أهل الذمة والمستأمنين والمعاهدين من اليهود والنصارى ظِلَّهُ وَحِمَايَتَهُ، وَكَفَلَ لهم جميع حقوقهم، وَحَسْبَهُمْ أَنَّ مَنْ ظَلَمَهُمْ، فقد خاصم رسول الله ﷺ، كما جاء فى سنن أبى داود، والبيهقى من حديث صفوان بن سليم أن رسول الله ﷺ قال:

(١) البداية والنهاية: (٥/ ٥٧).
(٢) إسناده ضعيف: أورده ابن القيم فى (زاد المعاد) (٣/ ٥٤٩)، وأورده الذهبى فى (تاريخ الإسلام) (١/ ٣٥٦) وقال: قال محمد بن إسحاق حدثنى: محمد بن جعفر بن الزبير ... به، فذكره وإسناده معضل لمحمد بن جعفر بن الزبير ثقة، ولكنه من صغار التابعين.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ٥٤).

(أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ حَقَّهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١).

أَيْ: أنا الذى أخاصمه وَأُحَاجُّه يوم القيامة، ومعاهدًا، أى: ذِمِّيًا من أهل العهد، أى: الأمان والميثاق، فإذا كان الأمر كذلك، ألا يحق لنا أن نتعجب من أعداء (الوطنية) والذين يريدون أن يكيدوا لمصر، وذلك بأن يضعوا فتيل الفرقة بين المسلمين والنصارى بِدَعْوَى كراهية المسلمين لهم، فكيف يبيح القرآن إذن للمسلم الزواج باليهودية والنصرانية، والأكل من ذبائح أهل الكتاب؟ كيف يدعونا إلى كراهيتهم، ثم يبيح لنا مصاهرتهم؟ أَلاَ سَاءَ ما يَفْتَرُونَ، كيف يرخص لنا الْبِرَّ بِهِمْ، والقسطِ إليهم، ثم يَحُضُّ على نَهْبِهِمْ، أو قتلهم بعد عَقْدِ أَمَانٍ كَمَا يَدَّعُونَ المغرضون؟ أَلَيست جسور متينة من العلاقات يُبَيِّنُهَا الإسلام لتقوية وَشَائِجِ الْقُرْبَى وأواصر المودة بين بنى البشر، لرحمته بالدعوة إلى الإسلام دين الرحمة؟ (٢).

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ (المائدة: ٥) لقد ذكر الله تعالى حُكْمَ ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى، فقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قال عدد من أهل العلم: يعنى ذبائحهم، وهذا أَمْرٌ مُجْمَعٌ عليه بين العلماء أن ذبائحهم حَلاَلٌ للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذَّبْحِ لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلاَّ اسْمَ الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو مُنَزَّهٌ عنهُ تعالى وَتَقَدَّسَ، وقد ثبت فى الصحيح عن عَبْدِاللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: أُدْلِيَ بِجِرَابٍ مِنْ شَحْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَاحْتَضَنْتُهُ، وَقُلْتُ: لاَ أُعْطِيَ

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود برقم: (٣٠٥٢)، وغاية المرام برقم: (٤٧١)، وصحيح الجامع برقم: (٢٦٥٥-١٢٤١).

(٢) رياض النعيم أبو عبدالرحمن سلطان بن على الحسنى: (ص: ٤٠٤).

الْيَوْمَ مِنْ هَذَا أَحَدًا، وَالتَفَتُّ، فَإِذَا النَّبِيُّ يَتَبَسَّمُ [١].

فَاسْتَدَلَّ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ يجوزُ تناولُ ما يحتاجُ إليه من الأطعمةِ وَنَحْوِهَا من الغنيمة قبل القسمة وهذا ظاهرٌ، وثبت فى الصحيح أَنَّ أَهْلَ خَيْبَرَ أَهْدَوْا لِرَسُولِ الله ﷺ شَاةً مُصْلِيَّةً وَقَدْ سَمُّوا ذِرَاعَهَا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ الذِّرَاعُ، فَتَنَاوَلَهُ فَنهش مِنْهُ نَهْشَةً، فَأَخْبَرَهُ الذِّرَاعُ أَنَّهُ مَسْمُومٌ فَلَفَظَهُ، وَأَثَّرَ ذَلِكَ السُّمُّ فِى ثَنَايَا رَسُولِ الله ﷺ وَفِى أَبْهَرِهِ، وَأَكَلَ مَعَهُ مِنْهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، فَمَاتَ، فَقَتَلَ الْيَهُودِيَّةَ الَّتِى سَمَّتْهُ، وَكَانَ اسْمُهَا زَيْنَبُ، فَقُتِلَتْ بِبِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ [٢].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنِ: أَنَّهُمَا كَانَا لاَ يَرَيَانِ بَأْسًا بِذَبِيحَةِ نَصَارَى بَنِى تَغْلِبَ، وَأَمَّا الْمَجُوسُ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ أُخِذَتْ مِنْهُمُ الْجِزْيَةُ تَبَعًا وَإِلْحَاقًا لِأَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُمْ لاَ تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ وَلاَ تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ [٣].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أى: ويحل لكم أن تُطْعِمُوهُمْ من ذبائحكم وليس هذا إخبارًا عن الحكم عندهم، اللهُمَّ إلاَّ أن يكون خبرًا عمَّا أُمِرُوا به من الأكل من كل طعامٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عليه سَوَاءً كان من أهل مِلَّتِهِمْ، أو غيرها، والأول أظهرُ فى المعنى، أى: ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم، كما أكلتم من ذبائحهم.

وقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أى: وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات، وذكر هذا توطئة لما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أَرَادَ بِالْمُحْصَنَاتِ: الْحَرَائِرَ دُونَ الْإِمَاءِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْحُرَّةِ: الْعَفِيفَةَ، وهو قول الجمهور ههنا وهو الأشبهُ، لئلا يجتمع فيها أن تكون ذِمِّيَّةً وهى مع

---

(١) الحديث متفق عليه: رواه البخارى (٣١٣٥، ٤٢١٤)، ومسلم (١٧٧٢) بلفظٍ قريب.

(٢) البخارى (٢٦١٧)، والذى فى الصحيح من حديث أنس - رضي الله عنه - أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ، فأكل منها، فقيل: ألا نقلتها؟ قال: (لا).

(٣) أنظر سنن سعيد بن منصور (١١٧، ٧١٩).

ذلك غيرُ عفيفةٍ فَيَفْسدُ حَالُهَا بِالْكُلِّيَّةِ، ويتحصلُ زَوْجُهَا على مَا قِيلَ فى المثلِ: (حَشْفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ).

وَالظَّاهِرُ مِنْ الآيَةِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُحْصَنَاتِ: الْعَفِيفَاتِ عَنِ الزِّنَا، كما قال تعالى فى آيةٍ أُخْرَى ﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ (النساء: ٢٥) وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى، وَلَمْ يَرَوْا بِذَلِكَ بَأْسًا أَخْذًا بهذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فجعلوا هذه الآية مخصصة للآية التى فى سورة البقرة ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ (البقرة: ٢٢١) فَإِنْ قِيلَ بدخول الكتابيات فى عمومها، وإلا فلا معارض بينها وبينها؛ لأن أهل الكتاب قد انفصلوا فى ذكرهم عن المشركين فى غير موضع، كقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة: ١) وكقوله: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ (آل عمران: ٢٠) وقوله: ﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أَىْ: مُهُورَهُنَّ، أَىْ كَمَا هُنَّ مُحْصَنَاتٌ عَفَائِفُ فَابْذُلُوا لَهُنَّ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وقوله: ﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ فَكَمَا شَرَطَ الْإِحْصَانَ فِى النساءِ وَهِىَ الْعِفَّةُ عن الزنا، كذلك شرطها فى الرجال وهو أن يكون الرَّجُلُ مُحْصَنًا عَفِيفًا [1].

- النَّهْىُ عَنْ قِتَالِهِمْ، لأن الله نهى عن قتال الطائفة التى لم تُبَادِئْ المسلمين بالقتال فقال: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨) أى: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلوكم فى الدين، ولا يعاونوا على إخراجكم كالنساء والضعفة منهم ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ أى: تُحْسِنُوا إليهم ﴿ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ أى: تعدلوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾، وقد جاء فى الحديث المتفق عليه من حديث أسماء بنت أبى بكر - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَدِمَتْ أُمِّى وَهِىَ

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٥٩٦-٥٩٨).

مُشْرِكَةٌ فِى عَهْدِ قُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا، فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّى قَدِمَتْ وَهِىَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، صِلِى أُمَّكِ)[1].

وجاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن الزبير أنه قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا: ضِبَاب، وقرظ، وسمن، وهى مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها، وَتُدْخِلَهَا بيتها، فسألت عائشةُ النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ الآية، فأمرها أن تقبل هديتها، وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا.[2].

قَالَ الرَّازى: وقوله: ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ بَدَلاً مِنْ ﴿ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ ﴾ وكذلك ﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ بَدَلاً مِنْ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾، والمعنى: لا ينهاكم عَنْ مَبَرَّةِ هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تَوَلِّى هؤلاء، وهذا رحمة لهم؛ لشدتهم فى العداوة، وهذه الآية تَدَلُّ على جواز الْبِرِّ بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاةُ منقطعةٌ[3].

(١) المصدر السابق: (٤/ ٤٢٧)، والحديث أخرجه البخارى (٣٠١٢)، (٥٦٣٤)، ومسلم (١٠٠٣)، وأحمد (٢٦٣٧٤) و(٢٦٣٧٥) و(٢٦٤٠٠) و(٢٦٤٥٤)، وعبدالرزاق (٩٩٣٢)، والطبرانى فى (الكبير) (٢٠٣) و (٣٤٢) من حديث أسماء بنت أبى بكر – رضي الله عنهما –.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٦٧٩)، والحاكم (٣٨٠٤) من حديث عبدالله بن الزبير، وقال: الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) محاسن التأويل للقاسمى: (٩/ ١٠١)، والسياق: تفسير الرازى: (٢٩/ ٣٠٥).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

قَسْوَةُ الْقَلْبِ
وَجَفَافُ مَاءِ الْوَجْهِ

إِطْلَالَـةٌ

عندما يقسُوا القلبُ، وتتبلدُ الجوارحُ والمشاعرُ، ويجفُّ حياءُ ماءُ الوجهِ، ويزدادُ اللغطُ، بلا ضوابطَ شعريةٍ، ولا عقليةٍ، ولا إنسانيةٍ، ولا نفسيةٍ، فَتَوَقَّعْ أَنَّ كلَّ شَيْءٍ مَنْهِيٌّ عنْه فى الوجود يُصْبِحُ مُبَاحًا، فَعِنْدَ ذلك تَوَقَّفْ على الفورِ، وَتَذَكَّرْ قولهُ ﷺ: (مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ، لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ) (١)

وَيَصْدُقُ فِى ذَلِكَ:

إِذَا ذَهَبَ مَاءُ الْوَجْهِ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ... وَلاَ خَيْرَ فِى وَجْهٍ إِذَا ذَهَبَ مَاؤُه

المَبَاحِثُ:

- المَبْحَثُ الأَوَّلُ: فِكْرُ الجَمَاعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ.
- المَبْحَثُ الثَّانِى: فِكْرُ جَمَاعَةِ الإِخْوَانْ.

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، ومسند الإمام أحمد من حديث جرير - رضي الله عنه -، ورواه الإمام أحمد، والترمذى أيضًا من حديث أبى سعيد - رضي الله عنه -، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٦٥٩٧).

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ

فِكْرُ الْجَمَاعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ

الجماعة الإسلامية خرجت من رحم الإخوان المسلمين، فأصبح المصدر لهذا الفكر تقريبًا واحدٌ، وقبل أن نتطرق إلى هذا الملف، لأَبُدَّ لنا أن نذكر فترة الثمانينات، والتسعينيات، ولكى نعرف تلك الحقائق، لابد لنا أن نعلم عدة نقاط:

- أولاً: من هم؟
- ثانياً: ما فكرهم؟
- ثالثًا: من أين جاءوا بهذا الفكر؟
- رابعًا: ما حكمهم على المجتمع؟

أولاً: مَنْ هُمُ الْجَمَاعَةُ فِى تِلْكَ الْفَتْرةِ؟

تأسست الجماعة فى فترة الثمانينات على يد مجموعة من الشباب لم يَتَعَدَّ الواحد منهم عشرين عَامًا، مِمَّا دعى إلى الاستيلاء على عقولهم وتغييبها وانخراطها نحو دغدغة العواطف بسبب الكلمات الرَّنَّانة، واستعراض القوى أمام الجيران الذين وصفوهم بالأبطال.

مجموعة الشباب: أسامة حافظ - صلاح هاشم - ناجح إبراهيم - كرم زهدى.

- وتتمثل قيادة الجماعة فى داخل السجن من:

كرم زهدى - ناجح إبراهيم - عبود الزمر - عاصم عبدالماجد - عصام دربالة - على الشريف

- وفى خارج السجن من:

طلعت فؤاد قاسم - رفاعى طه - طلعت يس - صفوت عبدالغنى - محمد مختار -

على الدينارى - أحمد عبده سليم - عبدالآخر حماد - حسنى محمود - أحمد عبدالرحمن

وكان يغيب فى تلك الفترة (صلاح هاشم)، لعمله فى السعودية.

وكان مسرح العمليات فى تلك الفترة، أى: فترة الثمانينات مدينة أسيوط.

ثانياً: فِكْرُ الْجَمَاعَةِ

الجماعة الإسلامية منذ ذلك التاريخ أصبحت ذاتِ طابعٍ سلفىٍّ متشددٍ يعتمد على كتب التراث، حتى أصبحت هذه الكتب هى المصدر والمعينَ لواسع فكرها، والذى تم القبض على مؤسس الجماعة محمد عبدالسلام فرج والذى كان يعمل بشكلٍ سرِّىٍّ فى خطة أحداث اغتيال الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) عام ٨١م، وَحُكِمَ علَى أغلب مجلس شورى الجماعة بالسجن المؤبد، ويمثل كتاب (الفريضة الغائبة) لمحمد عبدالسلام فرج الأيدلوجية الحقيقية للجماعة قبل أن تصبح لها أبحاث ومؤلفات، والحقيقة أنه لم يُرَ هذا الكتاب مُطْلَقًا ولكن يُقَالُ أن: محمد عبدالسلام تكلم عن مبدأ إغفال الجهاد بالرغم من أهميته الْقُصْوى وخطورته الْعُظْمَى على مستقبلِ الأمة والدين، ويصوغ (فرج) الأفكار ويحدد موقعه من الواقع وهو الدار ويقول: (إِنَّ مِصْرَ دَارَ كُفْرٍ) اسْتِرْشَادًا بفتوى، لابن تيمية فى الفتاوى الكبرى، ويقول: (بجواز الخروج على الطائفة التى امتنعت عن الشريعة الإسلامية) والاستراتيجية تتحدد وفق قوله بمعيارين هما: تحديد العدو القريب، والعدو البعيد، وأن القتال فَرْضٌ ويقول أيضًا: (بأن هناك من يقول، بأن ميدان الجهاد هو تحرير (القدس) كأرضٍ مقدسةٍ، والحقيقة أَنَّ تحريرَ الأراضى المقدسة أَمْرٌ شَرْعِيٌّ وَاجِبٌ على كل مُسْلِمٍ، ولكن يجب أن نوضح أن قتال العدو القريب أَوْلَى من قتال العدو البعيد) وهو يقصد بالطبع بالعدو القريب حكام المسلمين، لقد أصبح كتاب الفريضة الغائبة وكتابات (سيد قطب) هما الأساس للتبرير الفقهى لكل الأعمال التى قامت بها الجماعة بعد ذلك[1].

(١) الخروج من بوابات الجحيم. لماهر فرغلى (ص: ٤٠).

ثَالِثًا: مِمَّنْ جَاءُوا بِهَذَا الْفِكْرِ؟

لقد قامت الجماعة الإسلامية بأعمال القتل والعنف فى فترة الثمانينات وَبَرَّرَتْهُ فِكْرِيًّا من خلال تَصَوُّرِهَا، ومن خلال بعض الكتب والتى منْ أهمها، تفسير ابن كثير، والعقيدة الطحاوية، ومعارج القبول (للحافظ بن الحكمى)، ونيل الأوطار (للشوكانى)، ورياض الصالحين (للنووى)، وكتاب الفريضة الغائبة (لمحمد عبدالسلام فرج)، وأفكار (سيد قطب)، و(محمد قطب)، و(مصطفى شكرى)، (سيد أبو الأعلى المودودى) وكل هذه الأفكار كانت تَتَمَرَّدُ على النظام الحاكم فى مصر وَتُسَمِّهِ بالجاهلية، وكتب ابن تيمية، وابن القيم، حتى أصبحت شخصية ابن تيمية مع سيد قطب مِحْورًا لجميع الأفكار خصوصًا فى اللقاءات والمحاضرات، وخطب الجمعة حول جاهلية المجتمع ومفهوم الحاكمية، ورسالة صغيرة سُمِّيَتْ (بالرسالة الليمانية)، لأن صاحبها كتبها فى (ليمان طره) وعنوان (حتمية المواجهة) والذى قام بجمعه (كرم زهدى) والتى قامت الجماعة بتوزيع أربعة آلاف نسخة تَحُثُّ على حتمية المواجهة أى: مواجهة (النظام) وكتابٌ آخر اسمه (ميثاق العمل الإسلامى) كتبه: ناجح إبراهيم - وعصام دربالة - وعاصم عبدالماجد عام ٨١، وكان الباب الأول من هذا الكتاب قد كُتِبَ فيه: (الجهاد سبيلنا)، والجهاد من وجهة نظر الجماعة، ليس لمن اغتصب الأراضى المحتلة، ولكنهُ جِهَادٌ دَاخِلِيٌّ، أى: جهاد السلطة الحاكمة، وتكفير النظام ومن يواليه، وهذا الكتاب كان يقع فى ٢٨٥ صفحة، وأصبح فى تلك الآونة كالقنبلة الموقوتة.

رَابِعًا: حُكْمِهِمْ عَلَى الْمُجْتَمِعَ

كل هذه الكتب التى ظهرت على الساحة وفى تلك الآونة كَفَّرَتْ السلطةُ، أو النظامُ وَمَنْ يُوَالِيهَا، وبالتالى كَفَّرَتْ بقية المجتمع الذين لا يؤيدون فكرهِم، وكانت نتيجة هذا الفكر المتوارث من فكر الخوارج والتكفيريين أدى إلى كثير من الاغتيالات فى المجتمع المصرى وغيره.

فتنة التكفير فى تلك الآونة منشؤها فكر (سيد قطب):

- إن سيد قطب هو أبرز مفكرى الجماعات الإسلامية، وجماعة الإخوان وقد ظهر وَاضِحًا جَلِيًّا مما نص عليه فى كتاباته:

لقد كَفَّرَ (سيد قطب) عَامَّةَ المسلمين، بمن فيهم المؤذنين الذين يُرَدِّدُونَ (لا إله إلا الله) على المآذن، وَلَوْ قَدَّمُوا الشعائر لله وحده (فى مواقف كثيرة من مؤلفاته).

يقول: (ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريقٌ يُرَدِّدُ على المآذن: لا إله إلا الله).

ثم يستطرد قائلاً: (البشرية عادت إلى الجاهلية وَارْتَدَّتْ عن لا إله إلا الله، والبشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يُرَدِّدُونَ على المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله، بلا مدلولٍ ولا واقعٍ، وهؤلاء أثقل إثمًا، وَأَشَدُّ عذابًا يوم القيامة لأنهم ارْتَدُّوا إلى عبادة العباد من بعدما تبين لهم الْهُدَى ومن بعد أن كانوا فى دين الله [1].

- ثم يقول فى موضع آخر من (الظلال):

باعتبار أن جميع المجتمعات التى تُظِلُّ المسلمينَ، أنها فى جاهليةٍ وَرِدَّةٍ وشركٍ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ: (ولو اعتقدوا أن لا إله إلا الله، وَأَدُّوا شعائر العبادة لله وحده، بسبب ارتكابهم صغائر الذنوب، أو المباحات باتخاذهم أعيادًا، ومواسمَ، وأزياءَ، وعاداتَ، وتقاليدَ، ونظم حياة لم يشرعها الله، أَمَّا عن عُبَّادِ الأصنام والأوثانِ من المشركينَ: (ما كان شركهم الحقيقى من هذه الجهة (عبادة الأصنام تقربًا إلى الله وطلبًا للشفاعة إليه)، ولا كانَ إسلام من أسلم متمثلاً فى مجرد التخلى عن الاستشفاء بهذه الأصنام)[2].

ثم يقول فى كتابه (معالم فى الطريق) (ويدخل فى إطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات

(١) ظلال القرآن سيد قطب: (٢/ ١٠٥٧).
(٢) المصدر السابق: (٣/ ١٤٩٢).

التى تزعم لنفسها أنها مسلمة، لا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل فى هذا الإطار، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده فى نظام حياتها)[1].

وكان نتيجة الأفكار المتزاحمة فى رأس (سيد قطب) الشركية والتكفيرية، وَوَصْفَهُ لمجتمعات المسلمين، بأنها مجتمعات تعيش فى جاهلية جهلاء، أعطى لنفسه الحق أن يطلب من جميع المسلمين فى هذا العصر (قادتهم وشعوبهم) هَجْر جماعة المسلمين واعتزال مساجدها فى قوله: (لا نجاة للعصبة المسلمة فى كل أرض مِنْ أَنْ يقع عليها العذاب، إلا بأن تنفصل عقيديًا وشعوريًا ومنهج حياة، عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعورًا كاملاً بأنها هى الأمة المسلمة، وَأَنَّ مَا حَوْلَهَا ومن حولها ممن لم يدخلوا فيها دخلت فيه، جاهلية وأهل جاهلية)[2].

وَيَقُولُ أَيْضًا فى تفسيره، لقول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس: ٨٧).

(يرشدنا الله إلى اعتزال معابد الجاهلية (المساجد) واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تُحِسُّ فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلى)[3].

وبذلك، فقد وصف (سيد قطب) بيوت الله فى بلاد المسلمين اليوم (معابد الجاهلية) ووصفها أيضًا بأنها (مساجد الضرار) وأوصى أتباعه باعتزالها والصلاة فى البيوت مخالفًا صريح الكتاب وصحيح السنة وسبيل المؤمنين، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ (النور: ٣٦)، وأين من قول رسول الله ﷺ: (إِنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ فِى الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا)[4].

---

(١) معالم فى الطريق: (ص: ١٠١).

(٢) الظلال: (٤/ ٢١٢٢).

(٣) الظلال: (٣/ ١٨١٦).

(٤) الحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، ومختصر البخارى (٢٦٥)، ومختصر مسلم (٣٢٢)، وصحيح الجامع برقم: (٢٠٩٨-٩٤٤).

وبما أنه قد حَثَّ على الاعتزال عن المجتمع، فبالضرورة أيضًا أنه لا يصلى صلاة الجمعة، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة: ٩).

وهذا رسول الله ﷺ يُرَغِّبُ فى صلاة الجمعة فيقول: (مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ الإِمَامُ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَ يُصَلِّى مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمْعَةِ الأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلاثَةَ أَيَّام)[١].

فمن أراد أن يطبع الله على قلبه، أَوْ أَنْ يَعِشْ على النفاق، فليتبع كلام هذا الدَّعِىِّ، فقد روى الطبرانى فى الكبير من حديث أسامة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَرَكَ ثَلاَثَ جُمْعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ)[٢].

ثُمَّ يُرَهِّبُ رسول الله ﷺ تاركى صلاة الجمعة فيقول: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقُ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمْعَةِ بُيُوتَهُمْ)[٣].

وبذلك فقد أفرز هذا الْفِكْرُ الضَّحْلُ الهجرة من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر، ومن العمران إلى حياة الكهوف فى الصحراء، وهى الجماعات الإرهابية اتى توجد فى سيناء الآن، والذى أصبح منهجهم التفجير، أو الاغتيال، أو منازعة وُلاَةِ الأمرِ والتصدى لهم بالعنف والإرهاب.

---

(١) الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٦٠٦٢-٢٠٠٣).

(٢) الحديث صحيح بشواهده: عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ١٩٢) للطبرانى فى اكبير، وجاء فى الترغيب (للمنذرى) برقم:(١٠٩٢)، وصحيح الترغيب للألبانى برقم: (٧٣١)، وصحيح الجامع برقم: (٦١٤٤).

(٣) رواه مسلم والحاكم بإسناد على شرطيهما عن لبن مسعود - رضي الله عنه - أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة ... الحديث. برقم: (٦٥٣)، والحاكم: (١/ ٢٩٢)، ورواه الإمام أحمد، ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وجاء فى مختصر مسلم برقم: (٣٢٦)، والروض النضير برقم: (٦٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٥١٤٢).

- أما فكر (محمد قطب) فهو فِكْرٌ جَانِحٌ إلى التكفيرِ، ويطابقُ فكر الخوارج الذى يخالفُ منهج أهل السنةِ والجماعةِ، فالخوارج لهم نظرة خاصة فى الإمام معقدةٌ، لأن الْحُكَّامَ فى نظرهم لا يستحقون الخلافة؛ لعدم شروط الخوارج القاسية فيهم، إضافة إلى أنهم فَسَّرُوا الْخِلاَفَ بين عَلِيٍّ، ومعاوية - ﭭ - بأنهُ نِزَاعٌ حول الخلافةِ، ومن هنا استسهلوا الخروج على عَلِيٍّ ومعاوية من بعده، فكانوا يرددون فى خطبهم ومقالاتهم، أن الحكام ظلمة والمنكرات فاشية، والواقع أنه حينما خرجوا فعلوا أضعاف ما كان موجوداً فى المظالم والمنكرات [1].

وَيَتَفِقُ هذا الفكر تمامًا مع فكر جماعة (التكفير والهجرة) وهذه الجماعة نهجت فكر الخوارج فى التكفير والخروج على الحكام، فتبلورت أفكار ومبادئ جماعة المسلمين والتى عُرِفَتْ بجماعة (التكفير والهجرة) فى السجون المصرية وخاصة بعد اعتقالات ١٩٦٥م والتى أُعْدِمَ على أثرها (سيد قطب) وإخوانه بأمر من (جمال عبدالناصر) حاكم مصر آنذاك، وفى سنة ١٩٦٧م طلب رجال الأمن من جميع الرعاة المعتقلين تأييد رئيس الدولة فانقسم المعتقلون إلى فرقٍ ثَلاَثْ:

الفريق الأول: وهو الفريق الذى سارع إلى تأييد الرئيس ونظامه بُغْيَةَ الإفراج عنهم والعودة إلى وظائفهم، وزعموا أنهم يتكلمون باسم الجماعة.

الفريق الثانى: وهو فريق الدعاة المعتقلين، فقد لجأوا إلى الصمت ولم يعارضوا، أو يؤيدوا باعتبار أنهم فى حالةِ إكراهٍ، بينما رفضت فئة قليلة من الشباب موقف السلطة وأعلنت كفر رئيس الدولة ونظامه، بل اعتبروا الذين أَيَّدُوا السلطة من إخوانهم مُرْتَدِّينَ عن الإسلام ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كُفَّارٌ، لأنهم موالون للحكام وبالتالى، فلا ينفعهم صَوْمٌ، وَلاَ صِيَامٌ وكان إمام هذه الفتنة ومهندس أفكارها الشيخ

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. مصطفى بن محمد بن مصطفى (ص: ١٠٥).

(على إسماعيل) والذى اصبح إمَامًا لهذه الفئة من الشباب داخل المعتقل، وهو أحد خريجى الأزهر، وشقيق الشيخ (عبدالفتاح إسماعيل) وأحد الستة الذين تَمَّ إعدامهم مع (سيد قطب) وقد ساغ الشيخ (على) مبادئ العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أُطُرٍ شَرْعِيَّةٍ حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسُّنة ومن حياة الرسول ﷺ فى الفترتين (المكية والمدنية) متأثرًا بأفكار الخوارج؛ إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار التى كان ينادى بها.

- أما فكر (شكرى أحمد مصطفى (أبو سعد) والذى انبثقت أفكاره من أفكار الشيخ (على عبده إسماعيل)، بل أصبح فكره أكثر تطرفًا وإرهابًا على أرض الواقع، وهو من مواليد قرية (الحواتكة بمحافظة أسيوط ١٩٤٢م، وهو أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين الذين اعتقلوا عام ١٩٦٥م لانتسابهم لهذه الجماعة وكان عمره وقتئذٍ ثلاثة وعشرين عامًا، تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ (على عبده إسماعيل) وهذه الأفكار قد أدت إلى تنفيذ حكم الإعدام فيه وفى إخوانه فى القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م، وفى ٣٠ مارس ١٩٧٨م. قد تم إعدامه هو ومن شارك معه وهم خمسة من قادات الجماعة فى قضية مقتل وزير الأوقاف الشيخ (محمد حسين الذهبى).

أَفْكَارُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ وَمُعْتَقَدَاتُهَا:

* إن التكفير عنصر أساسى فى أفكار ومعتقدات هذه الجماعة.

- فهم يكفرون كل من ارتكب كبيرة وَأَصَرَّ عليها وَلَمْ يَتُبْ.
- يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل.
- يكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضًا بإطلاق ودون تفصيل.
- يكفرون العلماء، لأنهم لم يكفروا هؤلاء، ولا أولئك.

- يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم، ولم يقبله، أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ولم يبايع إمامهم، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مُرْتَدٌّ حَلاَلٌ دَمُهُ، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهى كافرة مارقة عن الدين، وكل من أخذ بأقوال الأئمة، أو بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة، أو بالقياس، أو بالمصلحة المرسلة، أو بالاستحسان ونحوهما فهو فى نظرهم مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

- يتصورون أن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجرى كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد.

- قول الصحابى وفعله ليس بحجة عندهم، ولو كان من الخلفاء الراشدين.

- لا قيمة عندهم للتاريخ الإسلامى، لأن التاريخ هو أحسن القصص الوارد فى القرآن الكريم فقط.

- لا قيمة لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد، لأن كبار علماء الأمة فى القديم والحديث بزعمهم مُرْتَدُّونَ عن الإسلام.

قالوا بِحُجِّيَّةِ الكتاب والسنة فقط ولكن كغيرهم من أصحاب البدع الذين اعتقدوا رأيًا، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه، وما خالفها تحايلوا فى رَدِّه، أوردِّ دلالته.

- دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث (نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ...) فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد الإسلامية، أو غير ذلك، لأنها مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن مساجد الضرار.

- أطلقوا أن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية، لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلاَم، فما العلم إلا مَا يَتَلَقَّوْنَهُ فى حلقاتهم الخاصَة.

- قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد، لأن المساجد كلها ضرار، وأئمتها

كُفَّارٌ إلاأربعة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوى وقباء، والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضًا إلا إذا كان الإمام منهم.

- نادوا بالهجرة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلى، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية، والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية، وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة فى بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية، برأيهم، كما عاش الرسول ﷺ وصحابته الكرام فى الفترة المكية.

- يزعمون أن أميرهم (شكرى مصطفى) هو مهدى الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته، ما لم يحقق على يد محمد ﷺ من ظهور الإسلام على جميع الأديان.

- ادَّعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سَلَفًا وَخَلَفًا.

- هذه الجماعة أحيت فكر الخوارج فى معظم محافظات مصر، وبعض الدول العربية مثل اليمن، والأردن، والجزائر .... وغيرها.

- وأهم كتاب كشف عن أسرار دعوتهم وعقيدتهم هو (ذكريات مع جماعة المسلمين - التكفير والهجرة) لأحد أعضاء الجماعة (عبدالرحمن أبو الخير) والذى تركهم فيما بعد.

أما أفكار (العزومى) ومدى مطابقتها لأفكار (شكرى مصطفى)

فهو: (محمد خميس العزومى) المُكَنَّى (بأبى عاصم) يوصف بأنهُ (مُنَظِّرْ تنظيم التوحيد والجهاد) المتواجد فى سيناء، ولا يعرف بدقة عدد أتباعه، ولكن مصادر فكره تتلخص فى تلك الكتب:

(مجموعة التوحيد لابن تيمية، وابن عبدالوهاب) - معالم على الطريق (سيد قطب) - ملة إبراهيم (لأبى محمد المقدسى) - العمدة فى إعداد العدة (لعبدالقادر عبدالعزيز).

وله بعض الكتب منها: التقيه ضوابط وأحكام (وَقَدَّمَ لَهُ الدَّاعِيَانِ السَّلَفِيَّانِ: أحمد

فريد، ووحيد عبدالسلام بالى)، وأضواء على ضوابط وأحكام التوحيد - أضواء على الحل الديمقراطى - الديمقراطية وآلياتها بين الإخوان والسلفيين - التوحيد وواقعنا المعاصر)

ويلاحظ أن أفكاره والتى أُخِذَتْ من هذه الكتب تدور فى فلك رفض الديمقراطية واعتبارها شركًا ووثنًا يُعْبَدُ من دون الله، ويرى:

- أن المراجعات كُلِّيَّةً اخْتِرَاقًا من الأمن، لأنها لم تُفَرِّقْ بين مَرْحَلَتَيْ الاستضعاف والتمكين.

- رِدَّةُ كل من يرضى بالديمقراطية، لأنهم رضوا بالحل الديمقراطى وآلياته، لأنهم أهملوا شرع الله، ووصف جماعة (الإخوان) و(السلفيين) بالكفر، ولم يتوان عن تكفير الرئيس (مرسى) بالإسم، (وتكفيرُه تكفيرًا معينًا)، لأنه حكم بالقانون الوضعى، واستحل دماء المسلمين فى سيناء لاختلافه معهم فِكْرِيًّا.

- يؤمن بوجود ثلاث مبادئ يكفرُ مَنْ يُنْكِرُ إحداها:

(١) الإيمان بالله قلبًا وقالبًا.

(٢) الولاء لله تعالى والرسول والمؤمنين، يقصد بذلك (الولاء والبراء).

(٣) الحاكمية لله تعالى، فلا شريك له، وَهِيَ مُسْتَقَاةٌ من بعض كتابات (سيد أبو الأعلى المودوى، وسيد قطب).

- ومن أخطر ما كان يَتَبَنَّاهُ ويتفق مع فكره. فكر التكفير والهجرة، فكرتى:

جهاد العدو القريب، وقد اعتمدوا على القول، بأن أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى هى العدو القريب، ويقصد بالعدو القريب هُمُ الْحُكَّامُ ومن يوالونهم، بينما الغرب هو عدو بعيد واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة: ١٢٣) ومعنى يلونكم، أى: الأقرب إليكم.

وَقَدْ عَلَّقَ على هذه الأفكار الشيخ (ناجح إبراهيم)، فقال:

- أن هذا الفكر دَيْدَنَهُ تكفير كل شيء، وتكفير عوام المسلمين.

- أن هذا التكفير هو أسوأ لوثة أصابت العقل الإسلامى، فمهمةُ الدَّعَاةُ هى هداية الخلائق وتهذيب سلوكهم، والأخذ بأيديهم إلى الجنة.

- الفكرُ التكفيريُّ لا يشغله سوى الحكم على إيمانِ وكفر الناسِ، بل مهمته إخراج الناس من الإسلام إلى ظلمات الكفر.

- الحكم على الناس مهمةُ القضاةِ ونحن دعاةٌ، وَلَسْنَا قُضَاةٌ، كما قال (المضيبى) رحمه الله - فالمؤسسات الحاكمة هى مؤسسات اعتبارية يقصد (الجيش، والشرطة، والقضاة) وغيرها لا يلحقها وصف كفر، أو إيمان، فهى لا تلحق إلا بالإنسان المكلفُ شرعًا وهو الشخص البالغ العاقل الراشد العالم بما يفعل.

- أن تطبيق الشريعة لا يكون إلا بحسبِ وُسْعِ المجتمع، فَالتَّدَرُّج فى الأحكام من وسائل الإسلام المرنة، كتحريم (الخمر) على خمس مراحل، وكذلك الرِّبَا على أربعة مراحل.

- مصر دولة الإسلام منذ فتحها (عمرو بن العاص) ولم يَقُلْ أَحَدٌ من علماء المسلمين المتقدمين، أو المتأخرين أن مصر يعلوها أحكام الكفر، أو ما شابه ذلك.

- كَمَا أَنَّ تَبَنِّى فكرة الديمقراطية بضوابطها الشرعية، ليست دِينًا يُعْبَدُ من دون الله، ولا موازى للإسلام، كما يتصور ابعض، فهى فكرةٌ عبقريةٌ لاختيار الحاكم جَنَّبَتْ الدول الانقلابات والنزاعات وكل مبدئ الشريعة جاءت مطلقة، بينما الآليات تُرِكَتْ لعلماء ومجتهدى كل عصرٍ بما يلائمهم.

أما عن (الجزية)، فقد علق قائلاً:

هناك نظرية فقهية اسمها غياب المحل، فباشتراك النصارى معنا فى الجيش، ودفاعهم عن دِيَارِ الإسلام انتفت (الجزية) عنهم، مثل آيات الرقيق (كعتق رقبة - أو

إطعام مسكين)، فبانتهاء الجوارى، يلزمنا الحكم الثانى.[1]

وَبِمَا قَدْ تَقَدَّمَ، قد ظهر لنا من فكر السلفية الجهادية وحكمهم على المجتمع، وما أدخلونا فى نفقٍ مظلم، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٍ من تلك الجماعات الإرهابية التى لها خطرها على البلاد والعباد والشجر والدواب، والتى قد بلغ عددها الآن فى سيناء بنحو ١٤ فرقة جهادية ومسمياتها كالآتى:

بدأ تاريخ الجماعات التكفيرية والجهادية فى سيناء مع نهاية الثمانينات، وأوائل التسعينات، بعد أن ظهرت ثلاثة جماعات هى: السلفية الجهادية، وتنظيم الجهاد، وجماعة المسلمين، والتى تَغيّر اسمها فيما بعد وأصبح يطلق عليها (جماعة التكفير والهجرة) وأخطر هذه الجماعات أنصار بيت المقدس، وأنصار المجاهدين، ومجلس شورى المجاهدين، والتوحيد والجهاد فى سيناء، التكفير والهجرة، وجماعة أصحاب الرايات السوداء، وجند الإسلام، والناجون من النار، والدعوى والتبليغ، وأكناف بيت المقدس، وأهل السنة والجماعة، وكتائب الفرقان. وقدبلغ عدد الجهاديين فى سيناء بنحو ١٨٠٠٠ مجاهد، وكان من أخطر تلك التنظيمات الجهادية جماعة (التوحيد والجهاد)، لأنها أكثر التنظيمات تسليحًا، حيث امتلاكها لأسلحة ثقيلةٍ متطورةٍ ومنها الـ(آر – بى – جيه)، (وقذائف الهاون)، و(مدافع الجرينوف) وتتركز هذه الجماعة فى جبل (الحلال، وجبال المهدية) والتى تعتبر أهم قاعدة عسكرية، وانضم لهم بعض العناصر الفلسطينية، أما جماعة (أنصار بيت المقدس) فَتُعَدُّ من أكبر التنظيمات الإرهابية وأخطرها فى سيناء، وظهرت هذه الجماعة عقب تولى الرئيس المعزول (محمد مرسى) حكم مصر وتحديدًا عقب مذبحة (رفح الأولى) والتى راح ضحيتها ١٦ جنديا مِصْريًّا، وأعلنت مسئوليتها عن تفجير خطوط الغاز المتجهة إلى إسرائيل وأذاعت فيلمًا تسجيليًا بذلك، وفى شهور

(١) شبكة الانترنت.

قليلة جدًا أصبح تنظيم (أنصار بيت المقدس) أكبر تنظيم جهادى بسيناء من حيث العدد والعتاد، وأصبحت جميع التنظيمات الأخرى تتبعه، وأن عدد عناصره تجاوز الـ(٦ آلاف) مجاهد بخلاف أنصاره من التيارات الحليفة له، وعندما وصل الرئيس (محمد مرسى) إلى سُدَّةِ الحكم كان له أثرٌ كبيرٌ فى تجرؤ قيادات التنظيم بسيناء على القيام ببعض العمليات التخريبية، مشيرًا إلى أنه فعل كل ما فى وسعه لازدهار الحركات الجهادية فى سيناء، ومن جهة أخرى تأكد أن تنظيم (أنصار بيت المقدس) تنظيم دولى يستمد أفكاره ونهجه من تنظيم القاعدة، مستغلين الفراغ الأمنى عقب ثورة يناير، موضحًا أن أعضاء هذا التنظم غالبيتهم من سيناء وبعض المحافظات الأخرى، وأن القيادات المصرية الحقيقية ليسوا من أبناء سيناء، ولكن غالبيتهم من محافظة المنوفية، وكان الحلم الذى يُرَاوِدُ القيادات الإخوانية، وحركة حماس هو تكوين (جيش حر) مثل الجيش الموجود فى سوريا، ليكون قادرًا على تنفيذ أجندتهم ومخططاتهم والسيطرة على شبه جزيرة سيناء لتوسيع دولة الخلافة الإسلامية كما يظنون، ولكن الأمر كان أخطر من ذلك وهو تنفيذ المخطط الصهيوأمريكى للشرق الأوسط، والذى سنتعرض له بعد ذلك.

وَنَعُودُ بالذاكرة إلى الوراء بقليل، لنتذكر مَا خَلَّفَهُ فكر الجماعات التكفيرية للنظام، وحكمهم على المجتمع بالكفر، ثم لتَّصَدِّى للسلطة الحاكمة فى فترة الثمانينيات والتسعينيات والمواجهات الدامية التى حدثت بمدينة أسيوط آنذاك:

المُوَاجَهَاتُ الدَّامِيةُ مَعَ السُّلْطَةِ :

لقد تصاعد الخلاف بين الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) وبين الجماعات الإسلامية بعد إصداره لقرارات التحفظ على العديد من قيادات وأعضاء هذا التنظيم، والتى انتهت باغتياله فى السادس من أكتوبر تشرين الأول ١٩٨١م، منطلقًا من تلك المعتقدات التى آلت لهم من تلك الكتب، والرسائل التكفيرية التى اسْتُقوهَا من الكتب

التى سبق ذكرها، ورغم أن (خالد الإسلامبولى) اتخذ قرار التخلص من (السادات) منفردًا بعد اعتقال شقيقه (محمد شوقى)، فقد عرض قراره على (محمد عبدالسلام فرج) الذى كانت تربطه به علاقة، والذى دعا على الفور مجلس الشورى فى منزل (عبدالحميد عبدالسلام) بضاحية عين شمس شرق القاهرة، بسط الإسلامبولى خطته وطالبهم بتوفير الأفراد المعاونين له لإتمام الخطة، وبعد نجاح خالد وإخوانه عبدالحميد عبدالسلام، وعطا طايل حميدة، وحسن عباس، ومن ورائهم محمد عبدالسلام فرج مخططًا، ومعاونًا، ومعدًّا فى اغتيال السادات، اجتمع على الفور فى أحد أحياء أسيوط مجلس شورى الوجه القبلى بزعامة كرم زهدى، حيث اتفقوا على مواصلة العمل الجهادى الرَّامى إلى قلب نظام الحكم، باستهداف خمسة أهداف للأمن فى أسيوط هى مديرية الأمن هناك، وقسم ثان، والدورية اللاسلكية، ومباحث أمن الدولة، والمباحث الجنائية، ونقطة شرطة إبراهيم، ثم الزحف بعد ذلك إلى محافظات الوجه البحرى وإثارة الجماهير، وكانت ساعة الصفر، حيث قاد العملية (على الشريف، وعاصم عبدالماجد)، وتم اقتحام مديرية الأمن وَقُتِلَ فيها عدد كبير من الضباط والجنود وَتَمَّ فَتْحُ النار أيضًا على بعض سيارات الأمن المركزى التى كانت تحمل الجنود فى الميادين والشوارع العامة بأسيوط، كما تم اقتحام نقطة شرطة إبراهيم فأصيب عصام درباله، لأنه كان يُمْسِكُ فى يده قنبلة يدوية، فلما رأى بعض إخوانه أمامه وبعض الناس فى النواحى الأخرى، فَفَدَى الجميع وَظَلَّ مُمْسِكًا بها مِمَّا أَدَّى إلى بَتْرِ يَدِهِ الْيُمْنَى، وأما على الشريف فأصيب فى بطنه إصاباتٍ شديدةٍ أَدَّتْ إلى فشلِ المخطط والقبض عليهم أحياء، ومعهم كرم زهدى، وَتَمَّ تَرْحِيلَهُمْ فى طائرةٍ خَاصَّةٍ إلى القاهرة بصحبة وزير الداخلية آنذاك اللواء (النبوى إسماعيل)، وقد بدأت أحداث مدينة (أسيوط) فى حوالى الساعة ٣ صباحًا يوم ٨/ ١٠/ ١٩٨١م، حيث كانت دورية مرور ليلية تقوم بعملها المعتاد بمدينة أسيوط فى عيد الأضحى، وقبل موعد صلاة العصر بنصف ساعة تقريبًا، انتشرت قُوَّاتُ الأَمْنِ وتفرقت على مساجد أسيوط لتحرسها بلا

سلاح، حتى لا تستنفر المصلين، وخلت مديرية الأمن من ضباطها وجنودها، وفي الساعة السادسة صباحًا وقفت سيارة بيجو ٤٠٤ لونها الأصلي أبيض تَمَّ طَلْيُهَا طَلْيًا رَدِيئًا باللون الأزرق ورقم لوحتها ١٢٦٠٠ ملاكى القاهرة مكتوبة باليد، وسيارة أخر فيات ١٢٥ جديدة تحمل رقم ١١٧٢ ملاكى سوهاج أمام مبنى مديرية الأمن ونزل من السيارتين ثمانية أفراد مسلحين وفتحوا نيران أسلحتهم الآلية على جنود الحراسة ولم تتح لهم الرَّدَّ بإطلاق النار من المفاجأة، وسقط الملازم أول أحمد وحيد عند مدخل المديرية، ووجدوا العميد شكرى رياض مساعد المدير مُرْتَدِيًا بيجامة فى استراحة المديرية فأردوه قَتيلاً، والرائد حسن الكردى، و١٦ سيارة، ٣٢ من جنود الخدمة المسلحين بالرشاشات، واتخذ شباب الجماعة مواقع فوق سطح المبنى واستولوا على ٣٠ بندقية، ومدفعين من طراز (برن)، واتجهت مجموعة أخرى إلى مركز شرطة قسم ثان فى شرق أسيوط لاحتلاله، كان فيه ١٧٤ جنديًا، و٣٠ ضابطًا، واتجهت مجموعة أخرى إلى مركز شرطة قسم أول فى غرب أسيوط لاحتلاله وكان فيه ١١٢ جنديًّا، و٤ ضباط، وقسم مباحث التموين كان فيه ١١٤ جنديًّا، و٤ ضباط، وبعد أن انتهت مهمتهم انطلقوا إلى المديرية حيث أُصيب عاصم عبدالماجد بثلاثةِ أعيرةٍ ناريةٍ بركبته اليسرى والساق اليمنى فعجز عن الحركة، وتولى القيادة من بعده على الشريف الذى أصيب بدوره أيضًا بثلاث رصاصات نفذت اثنتان منهما بالجانب الأيمن فعجز عن الحركة تمامًا، وَتَوَلَّى من بعده فؤاد حنفى، والذى رأى خطورة الموقف فانسحب من مبنى المديرية وهرب واستولى على سيارة لورى شرطة، وتمكن من نقل زملائه المصابين بداخلها، واستمرت الجماعة فى موقفها المُتَشَدِّدِ من نظام الحكم فى مصر، ففى رسالة نشرتها مجلة (المرابطون) الناطقة بلسان الجماعة عدد يوليو / تموز ١٩٩٠ للدكتور (ناجح إبراهيم) (طالب خلالها بضرورة كشف وتعرية النظام العلمانى الحاكم وبيان عدائه للإسلام ومحاربته لأهله، وتوضيح أن القنوات الدستورية، والسبل القانونية التى تم العمل بها على بعض السُّذَّجِ ليست إِلاَّ سَرابًا وَوَهْمًا وَخِدَاعًا،

وختم رسالته بأن لن يرتدع الطُّغَاةُ عن فتنة المسلمين ولن تتم إزاحتهم عن كراسى الحكم إلا بالقتال)، وكان اغتيال الدكتور علاء محيى الدين الناطقُ الرَّسْمِىُّ للجماعة عام ١٩٩٠ دَافِعًا إلى استمرار عمليات الثأر والانتقام ضد رموز النظام المصرى، فبادرت إلى اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب آنذاك، وقال ممدوح على يوسف أبرز قيادات الجماعة، والمتهم الأول فى قضية اغتيال المحجوب فى كلمة له بقاعة المحكمة فى أول جلساتها فى يونيو / حزيران ١٩٩١م: (إن الممارسات الإرهابية لنظام الحكم لن تثنى حملة لواء الدعوة الإسلامية عن المُضِىِّ فى طريقهم) (١).

وباعتراف حامد عبدالعال وهو أحد الذين شاركوا مشاركة مباشرة فى العملية والذى صَرَّحَ بعدم الرضا عَمَّا حصل حيث أنه قال كان المقصود بهذه العملية هو اللواء محمد عبدالحليم موسى وزير الداخلية آنذاك حيث جاءتنا الإشارة من فوق الكوبرى الذى سيمر عليه عبدالحليم موسى فسارعنا إلى حصار السيارتين، ثم تَرَجَّلُوا وراحوا يُطلقون النار على مَنْ فيهما بلا رحمة، ثم اكتشفوا أنه المحجوب، فأخذوا يُكبرون، ومن بين ٤٠٠ طلقة خرجت من أسلحتهم استقرت ثمانون طلقة فى جسد الدكتور (رفعت المحجوب) وحارسه الشخصى الجالس إلى جواره المقدم (عمرو سعد الشربينى)، وسائقه (كمال عبدالمطلب)، وموظف بمجلس الشعب (٢).

وفى يوم ١٦/ ١٢/ ١٩٨٩م. كانت محاولة اغتيال وزير الداخلية (زكى بدر) بتفجير سيارة ملغومة أسفل كوبرى الفردوس بالقاهرة ولكن المحاولة فشلت، وفى تلك الآونة نشرت الجماعة بحثها الصغير حتمية المواجهة وقامت بتدريس اغتيالات النبى ﷺ، لبعض مشركى العرب واليهود مثل (أُبَىّ بْنِ كَعْبٍ) (٣).

(١) مواقف متفرقة من كتاب الخروج من بوابات الجحيم لماهر فرعلى.

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٣).

(٣) المصدر السابق: (ص: ١٣٩).

تداعيات مقتل دكتور/ فرج فوده

بعد اغتيال الرئيس محمد أنور السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ على أيدى وبتخطيط إرهابيين جدد، اشتدت المواجهة بين هؤلاء لإرهابيين الجدد والنظام وكذلك المجتمع، وكان الحل الأمنى عنصرًا بَدِيهِيًا لمواجهة هذه العناصر المتطرفة، وبالإضافة لهذا الحل الأمنى حاولت الدولة تنشيط الحركة الثقافية والفكرية، ودخل المثقفون وَالْكُتَّاب المعركة مع الدولة فى مواجهة المتطرفين وكتب كثيرون مثل غالى شكرى، وجابر عصفور، وحسن حنفى، وسعيد العشماوى، وآخرون، وكان ذلك فى نهاية عقد الثمانينات، وبداية عقد التسعينات بين القرن الماضى وكانت للمواجهات الصحفية تغمر الحياة بقوة، ولم تكن المواجهة الأعمق إلا من كُتَّابِ ومفكرين قلائل وهنا ظهرت كتابات الدكتور نصر حامد أبو زيد، والدكتور فرج فودة، ويبدو أنهما أصابا هؤلاء المتطرفين بلوثة عقلية، فتربصوا لهما، وذهبت حياة فرج فودة برصاصات غادرة من شخص جاهل فى ٨ يونيو ١٩٩٢م[1].

لقد أثارت كتابات دكتور فرج فودة جَدَلاً وَاسِعًا بين المثقفين والمفكرين ورجال الدين، واختلفت حولها الآراء وتضاربت، لأنه قد طالب بفصل الدين عن الدولة، وكان يرى أن الدولة المدنية لا شأن لها بالدين. حاول فرج فودة تأسيس (حزب المستقبل) وكان ينتظر الموافقة من لجنة شؤون الأحزاب التابعة لمجلس الشورى المصرى ووقتها كانت جبهة علماء الأزهر تَشِنُّ هجومًا كبيرًا عليه، وطالبت تلك اللجنة، لجنة شؤون الأحزاب بعدم الترخيص لحزبه، بل وأصدرت تلك الجبهة فى ١٩٩٢ (بجريدة النور) بيانًا (بكفر) الكاتب المصرى فرج فودة ووجوب قتله، واستقال فرج فودة من حزب الوفد الجديد، وذلك لرفض تحالف الحزب مع جماعة الإخوان المسلمين لخوض انتخابات مجلس

(١) مجلة الهلال – نوفمبر ٢٠١٣م ص: ١٤٠.

الشعب المصرى ١٩٨٤، وأسس الجمعية المصرية للتنوير فى شارع (أسماء فهمى) بمدينة نصر، وهو قد اغْتِيلَ أمامها.

تَفَاصِيلُ اغْتِيَالِهْ:

تم اغتياله فى القاهرة ٨ يونيو ١٩٩٢ حين كان يَهِمُّ بالخروج من مكتبه بشارع أسماء فهمى بمدينة نصر، إحدى ضواحى القاهرة بصحبة ابنه الأصغر، وأحد أصدقائه الساعة السادسة و٤٥ دقيقة، على يَدِ أفراد منظمة تستخدم العنف السياسى عُرِفَتْ باسم الجماعة الإسلامية، حيث قام شخصان بينهما مُطْلِقُ الرصاص من بندقية آلية بقتله، فيما كانا يركبان دراجة نارية، فيما أُصِيبَ ابنه (أحمد) وصديقه إصابات طفيفة، على أثرها أصيب (فرج فودة) بإصاباتٍ بالغةٍ فى الكبد والأمعاء، وظل بعدها الأطباء يحاولون طوال سِتِّ سَاعَاتٍ لإنقاذه إلى أنه لفظ أنفاسه الأخيرة، ونجح السائق، وأمين الشرطة الذى تواجد بالمكان فى القبض على الجناة، وتبين أن الجريمة جاءت بفتوى من شيوخ (جماعة الجهاد) وعلى رأسهم الشيخ (حسين الغزالى) المسجون حاليًا فى روما، وفى شهادة الشيخ (محمد الغزالى) فى أثناء محاكمة القاتل وصف الغزالى فودة، بأنه مُرْتَدٌّ وجب قتله، وأفتى بجواز أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود عند تعطيلها، وإن كان هذا افتياتًا على السلطة، ولكن ليس عليه عقوبة، وهذا يعنى أنه لا يجوز قتل من قتل فرج فودة حسب تعبيره، وفى أثناء المحاكمة سُئِلَ قاتل فرج فودة:

لماذا اغتلت فرج فودة؟

القاتل: لأنه كافر.

وَمِنْ أَىٍّ مِنْ كُتُبِهِ عَرَفْتَ أَنَّهُ كَافِرٌ؟

القاتل: أنا لم أقرأ كتبه.

كيف؟

القاتل: أنا لا أقرأ ولا أكتب.

وبعد ثورة ٢٥ يناير فى مصر أُطلق سراح (أبو العلا محمد عبد ربه) أحد الضالعين فى جريمة الاغتيال والذى أُفْرِجَ عنه بِعَفْوٍ بعد قرار الرئيس (محمد مرسى) بالإفراج عن عدد من أعضاء الجماعة الإسلامية. [(١)]

اغْتِيَالُ الدكتور نصر حامد أبو زيد مَعْنَوِيًّا:

لقد تقدم عدد من الباحثين بعريضة دعوى عام ١٩٩٣ للتفريق بين أبى زيد وزوجته الدكتورة (ابتهال يونس)، وهذا لأنهم يَرَوْنَ أن أبا زيد كافر وخرج عن دين الإسلام، لماذا؟ لأنه كتب كتابًا عنوانه (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) وفيه، كما يَرَوْنَ - خروج كبير عن ما هو إيمانى، ويرى أحد الباحثين أن الدكتور (نصر) فى هذا الكتاب يتلخص فى نقطتين:

الأولى: العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسُّنة والدعوة إلى رفضها وتجاهل ما أتت به.

الثانية: الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى.

فمن أجل ذلك: ظلت الملاحقات الرجعية والقمعية تدفع بحججها الظالمة لتكفير الدكتور نصر، وخاصة من الدكتور عبدالصابور شاهين، والذى كتب كتابًا كبيرًا تحت عنوان: (قصة أبى زيد وانحسار العلمانية فى جامعة القاهرة) وأعاد فيه كافة الاتهامات السالفة الذكر، وأضاف عليها افتراءات أخرى، وكان يحرضُ عليه، وَيُؤَلِّبُ الناسُ جميعًا على القتل الأَدَبِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ بإشاعة تهمة الكفرِ والإلحاد عن الدكتور أبى زيد، وكل ما ارتكبه أبو زيد من جرائم أنه حاول إِعْمَالَ العقلَ وتحريك الثوابت، وإعادة قراءة المفاهيم الثابتة، كما فعل من قبل طه حسين، وعلى عبدالرازق، وخالد محمد خالد، وآخرون، وما كان من عبدالصبور وصحبه إلا الافتراءات والتأويلات غير الصحيحة، وقراءة ما يريدون قراءته من أجل الوصول إلى غاية مفادها إسكات العقل، فتم الترصد بنصر

(١) شبكة الانترنت ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وتحميله باتهامات لم يرتكبها مثلما ترصد شاهين لأبى زيد فى مقال نشره الأخير فى مجلة الهلال عن المسكوت عنه عند ابن عربى، فلم يخرج منه عبدالصبور إلا بأن أبا زيد ينكر إعجاز القرآن الكريم، وأنه يرى: (إعجاز القرآن ليس إلا فى تغلبه على الشعر، ولكنه ليس معجزًا) وهنا نلاحظ أن عبدالصبور، كصحبه يجتزأ ويقص ويبتسر من نصوص نصر أبو زيد حتى يصل إلى غايته وهى تكفيره، وَوَصْفَهُ بالملحد، ورغم هذه الهجمة الشرسة التى قام بها التيار المتطرف فى الجامعة، قد نجحوا فى استصدار حكم من المحكمة بالتفريق بين نصر وزوجته، إلا أن التيار المستنير قام بدوره فى الدفاع عن نصر أبى زيد وعن حرية العقل والتعبير والقول، وأصدر المثقفون المصريون بيانًا جاء فيه: إن المثقفين المصريين من أدباء وفنانين وباحثين وأساتذة جامعيين قَدْ هَالَهُمْ الحكم الذى أصدرته إحدى دوائر محكمة استئناف القاهرة بالتفريق بين الدكتور نصر حامد أبو زيد، والسيدة زوجته يعلنون مؤازرتهم لهما فى معركة الدفاع عن حرية الاعتقاد والتعبير والبحث العلمى وحرية الحياة الشخصية، وإن المثقفين المصريين يَرَوْنَ أن هذا الحكم تشوبه مطاعن ومخالفات للحقوق الأساسية للإنسان ويرصد البيان كافة هذه المطاعن والخلافات والتى جاء على رأسها: إن هذا الحكم لا يستند على أساس من الدستور، أو القانون وأنه يأتى بمخالافات جسيمة وصريحة للاتفاقات وللعهود والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التى صَدَّقَتْ عليها مصر والتى تُعْتَبَرُ جُزْءًا من التشريع المصرى الملزم لكل مؤسسات الدولة والمجتمع وعلى رأسها المؤسسة القضائية واستطرد البيان فى إيضاح المخالفات الصريحة والجسيمة والفادحة التى ارتكبتها المؤسسة القضائية استجابةً للمذكرة العمياء التى تقدم بها أفراد متطرفون ومعادون لحرية الفكر والاعتقاد والتى أَقَرَّتْ بها كَافَّةُ الدساتير الديمقراطية فى العالم أجمع ولكن لأن الآفة الرجعية كانت تنخر فى جسد المجتمع، وجسد المؤسسات عُمومًا آنذاك ترصدت بهذا المفكر وحكمت بالتفريق بينه وبين زوجته ونجحت بالفعل فى إبعاده عن مصر، لتستقبله أكبر الجامعات

فى أوروبا ليعمل هناك، وبالفعل هاجر الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى هولندا قبل أن تناله يد الإرهاب الأسود لتريق دمه كما أراقت دم أخيه على الدرب دكتور فرج فوده. [1].

وكان من بين ما قاله الدكتور فرج فودة، بأنه كان يسترشد بجملة تراثية مهمة تقول: (اجتمع متكلمان فدعا أحدهما الآخر للمناظرة: فقال: على شرائط: لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، وَلاَ تُجَوِّزْ لنفسك تأويلَ آيَةٍ على مَذْهَبِكَ، إلاَّ جَوَّزْتَ لى تأويل مِثْلِهَا على مَذْهَبِى، وعلى أَنْ تُؤْثِرَ التصادق وَتَنْقَادَ للتعارف، وعلى أن كلامنا يبغى مناظرته على أَنَّ الْحَقَّ ضَالَّتُهُ وَالرُّشْدَ غَايَتُهُ) ومما قاله فى كتابه (قبل السقوط) الصادر عام ١٩٨٥ قائلاً: (لاَ أُبَالِى إذا كنت فى جانبٍ والجميع فى جانبِ آخر، ولا أحزن إن ارتفعت أصواتهم، أو لمعت سيوفهم، ولا أجزع إن خزلنى من يُؤْمِنُ بما أقول، ولا أفزع إن هاجمنى من يفزع لما أقول وإنما يؤرقنى أشدَ الأرق، أَنْ لا تصلُ هذه الرسالة إلى من قصدت، فأنا أخاطب أصحاب الرأى، لا أرباب المصالح، وأنصار المبدأ، لامُحْتَرِفِى المزايدة، وَقُصَّادَ الْحَقِّ لا طالبى السلطان، وأنصار الحكمة، لاَ مُحِبِّى الْحُكْمِ، وأتوجهُ إلى المستقبل قبل الحاضر، وألتصق بوجدان مِصْرَ لا بأعصابها، ولا أَلزم برأيى صديقًا يرتبط بى، أو حزبًا أشارك فى تأسيسه، وَحَسْبِى إيمانى بما أكتب، ويحظر أن لا أكتب ما أكتب، والله، ثم الوطن من وراء القصد [2].

تَبْرِيرُ الْجَمَاعَةِ بِأَحَقِّيَّةِ سَرِقَةِ الْقِبْطِ:

الجماعة الإسلامية تقوم فى فَتْوَاهَا بِلَيِّ النصوص لاستخدامها فى أغراضهم الشخصية، فإنه لا يستوى أبدًا حَقٌّ مَعَ بَاطِلٍ، ولا يستوى أبدًا حَلاَلٌ مَعَ حَرَامٌ، فعندما لجأ التنظيم الجديد لاستمرارية نشاطه لجأ إلى كسب الأعضاءِ الجددِ، كما لجأ إلى طرقٍ مختلفةٍ أخرى للتمويل مثل إقامة أسواقٍ خيريةٍ لبيع السلع، وبيع الكتب الدراسية والدينية

(١) مجلة الهلال نوفمبر ٢٠١٣.

(٢) المصدر السابق (ص: ١٠٨).

وَالزِّىِّ الإسلامىِّ للطالبات، فتطورت الحاجة إلى التمويل، وبناءً على فتاوى استحلال أموال النصارى المحاربين، وكانت أولى العمليات القتالية للتنظيم هى الاستيلاء على المشغولات الذهبية ببعض مَحَالِّ بيع الذهب التى يمتلكها نصارى بمدينة (نجع حمادى) فى صعيد مصر والاستيلاء أيضًا على إيراداتها المالية وقاد تلك العملية (على الشريف) حيث جرى اقتحام مَحَلَّيْنِ للذهب يوم الجمعة من العام ١٩٨٠، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَنَجَا مَنْ نَجَا وكانت أول غنيمةٍ غنمتها الجماعة أربعة آلاف جنيه مصرى وخمسة كيلوات ونصف كيلو من الذهب، وقاد (نبيل المغربى) صاحب الفكر الجهادى المشهور وأحد أفراد وجه بحرى عملية مماثلة فى اقتحام مَحَلِّ ذَهَبٍ لمالك نصرانى فى منطقة شبرا الخيمة [1].

فَانْظُرْ معى أخى الحبيب اللبيب النجيب عند فتوى الجماعة باستحلال سرقة أموال النصارى، وكيف يتصور العقل أن الله يقبلُ مَا حَرَّمَهُ الله عليك وعلى غيرك، لأن اللهَ طَيِّبٌ لا يقبلُ إلاَّ طَيِّبًا، وكيف يَتَصَوَّرُ عَاقِلٌ أَنَّ مَا سُرِقَ، وَنُهِبَ، وَاغْتُصِبَ يُؤْخَذُ، لِيَتَصَدَّقَ به على فقراء المدنية؟ فإذا قِيلَ أن هذا أَمْرٌ اضطرارىٌّ، فَنَقُولُ: أَنَّ الأَمْرَ الاضطرارىَّ له ضَوَابِطٌ، وهو أن تعمل جمعيات، أو لجانِ زكاةٍ بضوابط شرعيةٍ، لمساعدة الفقراء وَالْـمعْوَذِينْ، أو تطلب مساعدة هؤلاء من أغنياء المدينة، فإذا لم يَتَيَسَّرُ ذلك، فالله يَتَوَلاَّهُمْ، لأنه أعلم بحالهم، وأقرب إليهم من حبل الوريد، وأرحم بهم من الوالدة على الوليد، وأما التَّعَدِّى على مواشى القبط، فقد قال كاهن كنيسة العديسيات جنوب الأقصر (القسى صربا مون الشايب): (أن عضو مجلس الشورى هو المسئول عن الأحداثِ الدَّامِيَةِ، لأن أبوهُ هو الذى أزال الكنيسة السابقة عام ١٩٦٨، وهو الذى فَجَّرَ الأحداث فى تلك القرية وقام بتَهْييج الإخوان المسلمين يوم الأربعاء ١٨/ ١/ ٢٠٠٦، فقاموا بسرقة الأغنام المملوكة للأقباط، كما قاموا أيضًا بتكسير أَرْجُلِ البقر والجاموس المملوكة لهم أيضًا، وحرقوا حقول القصب، وقطعت الكهرباء عن القرية، وعملوا دائرة من النار حول القرية لإرهاب المسيحيين وإجبارهم التخلى عن الصلاة [2]

(١) الخروج من بوابات الجحيم للأستاذ ماهر فرغلى (ص: ٥٠).

(٢) شبكة الانترنت.

فالراحمون يرحمهم الرحمن، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله، فاللفظ هنا للعموم، والرحمة هنا لكل الناس، وليست لرحمة المسلم للمسلم فقط، ولكن الرحمة تَعُمُّ المسلم والقبطيَّ واليهوديَّ وجميع الملل على السواءِ، فقد جاء فى مسند الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذى، والحاكم من حديث ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ارْحَمُوا مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ)(١).

فأقرب الناس من رحمة الله، أرحمهم لخلقه، وَخَلْقُ الله لَيْسُوا هُمُ الْبَشَرُ وَفَقَطْ، ولكن جميع خلق الله الذين يَدِبُّونَ على الأرض وَجَبَتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّى لأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّى لأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا، فَقَالَ ﷺ: (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ)(٢). فهذه وصايا رسول الله ﷺ عَنِ الرَّحمةِ بالشَّاةِ فى ذَبْحِهَا، فَمَا بَالُنَا بتَقطِيعَ أَرْجُلِهَا، ثم يَخُصُّ رسول الله ﷺ من هو أصغر من ذَلك بكثير وَهُوَ مَأْكُولٌ يذْبَحُ كالعصفور، أَلاَّ وَجَبَ رَحْمَةَ مَا فَوْقَهُ، فقد جاء فى الحديث الصحيح من حديث القاسم بن عبدالرحمن عن أبى أمامة مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَحِمَ، وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ - رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٣).

بَادِرْ إِلَى الْخَيْرِ يَاذَا اللُّبِّ مُغْتَنِمًا ... وَلاَ تَكُنْ مِنْ قَلِيلِ الْخَيْرِ مُحْتَشِمَا
وَاشْكُرْ لِمَوْلاَكَ مَا أَوْلاَكَ مِنْ نِعَمٍ ... فَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الإِفْضَالَ وَالْكَرَمَا
وَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللهِ وَارْعَهُمُ ... فَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

(١) الحديث صحيح: السلسلة الصحيحة برقم: (٩٢٥)، وصحيح الجامع برقم: (٣٥٢٢).

(٢) رواه البخارى فى (الأدب المفرد) رقم: (٣٧٣)، والطبرانى فى (المعجم الصغير) (ص: ٦٠)، وفى (الأوسط) (١/ ١٢/ ١- من زوائده)، و(الكبير) (١٩/ ٢٢)، وكذا أحمد (٣/ ٤٣٦ و٥/ ٣٤)، والحاكم (٣/ ٥٨٦)، وابن عدى فى (الكامل) (ق ٢٥٩/ ٢) وأبو نُعيم فى (الحلية) (٢/ ٣٠٢ و ٦/ ٣٤٣)، وابن عساكر (٦/ ٢٥٧/ ١)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٢٦).

(٣) رواه البخارى فى (الأدب المفرد) (رقم ٣٧١)، وفى (الفوائد) (ق ١٩٤/ ١)، والبيهقى فى (الشعب) (٣/ ٣/ ١٤٥/ ١)، ورواه الطبرانى فى (الكبير) (٣/ ٧٩ و ٧٩١٥)، ورجاله ثقات، وَحَسَّنَهُ الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم: (٢٧)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٦١).

تَدَاعِيَّاتُ حَرْبِ الْكَنَائِسِ فِى مِصْرَ:

لقد تجمعت الآراء والدراسات على أَنَّ فترة حكم السادات قد شهدت قمة التطرف الدينىِّ وَتَأَجُّجِ المشكلة الطائفية، وترجع هذه الحقيقة إلى سياسة الانفتاح الاقتصادى، وإلى الأيديولوجية اللاعقلانية التى صاحبتها وبررت لها، وإلى استخدام السادات للجماعات الدينية، وتسابق الصراع الطبقى وضرب قوى اليسار، وإلى خلق السلطة الحاكمة للمناخ الثقافى والفكرى الهابط والذى أَدَّى إلى تفاقم المشكلة الطائفية والذى ما زال الوطن يُعَانِى منه إلى الآن، وتذهب الدراسات إلى أن من شأن غَيْبَةِ المشروع القومى وجود الفراغ الذى دفع إلى التَّحَزُّبِ الدِّينِىِّ والصراع بين المسجد والكنيسة، مِمَّا أَدَّى إلى نُمُوِّ الجماعاتِ الدينيةِ، وَتَفَرُّقِ هذه الدراساتِ تَفْرِيقًا حَادًّا بين الفترة الناصرية التى تَوَفَّرَ لها مشروعها القومى للتحرر والتنمية مُوَحِّدًا بين عُنْصَرَىْ الأُمَّةِ، وفترة حكم السادات بما سادها من انحطاطٍ اقتصادىٍّ وثقافىٍّ لا عقلانى، مما أدى إلى تفاقم المشكلة وازدياد الصراع بين المسجد والكنيسة، وكان من نتيجة ذلك مَا نَعْرِضُ له جزءًا منه حتى لا نطيل: حرق كنيسة العديسيات، وكنيسة المعمورة، وتعويق المشروعات الكنسية، وتعويق ترميم الكنائس، وهدم منازل الأقباط، وهدم مبانى الخدمات، وهدم سور كنيسة إنجيلية، وموجة الإرهاب بالفيوم، وأرض الكنيسة بهارينا، وكنيسة العذراء بمحافظة المنيا، وكنيسة مار جرجس بكوم حمادة، وهدم سور كنيسة بسيناء، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٤، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٥، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٦، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٧، وفى يوم الأربعاء ١٨/ ١/ ٢٠٠٦ تسببت أعمال التعصب الدينى وهجوم جماعة من الإخوان بمحاصرة كنيسة قبطية إلى سقوط ١٤ من الأقباط المسيحيين ما بين قتيل وجريح فى قرية العديسيات بمحافظة الأقصر السياحية، ولما خاف المسيحيون من الخروج أشعلوا النار فى المبنى حتى يموت المسيحيون بداخلها خَنْقًا بالنيران، واضطروا للخروج فهاجموهم بِالْعِصِىِّ والجنازير مما أدى إلى وقوع القتلى والجرحى كما ذُكِرَ [1].

(١) شبكة الانترنت، والذى كان متصدر الخبر آنذاك جريدة الأهالى الأربعاء ٢٥ يناير ٢٠٠٦م.

فأين المبادئ العقدية الدينية التى استلهمناها من فم رسول الله ﷺ، وأخذها وطبقها بعده صَاحِبَيْهِ أبى بكر، وَعُمَرَ - رضي الله عنهما -، ثم سار على نهجها بقية الصحابة الكرام، وقد كان أبو بكر يُوصى أسامة بن زيد قبل تحركه بجيشه فيقول: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأةً، ولا شيخًا كبيرًا، ولا طفلاً، ولا تقطعوا شجرةً مُثْمِرَةً، ولا تقلعوا نخلاً، ولا تذبحوا شاةً، ولا بقرةً، ولا بعيرًا إلاَّ لمأكله، وسار من بعده على هذا النهج وهذه الصفة خلفه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فقد حَرِصَ على حماية الحرية الدينية وسار على هَدْيِ النبى ﷺ، والخليفة الراشد أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -، فقد أَقَرَّ أهل الكتاب على دينهم، وَأَخَذَ منهم الجزية، وعقد المعاهدات، وقد أورد الطبرى فى العهد الذى كتبه عمر بن الخطاب لأهل إيلياء (القدس) ونص فيه على إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم [1].

وكتب والى عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهدًا جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، وَمِلَّتِهِمْ، وأموالهم، وكنائسهم، وَصُلُبِهِمْ، وَبَرِّهِمْ، وَبَحْرِهِمْ، وأكد ذلك العهد بقوله: على ما مضى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وَذِمَمَ المؤمنينَ) [2].

وقد اتفق الفقهاء على أن لأهل الذِّمَّةِ لهم ممارسة شعائرهم الدينية، وأنهم لاَ يُمْنَعُونَ من ذلك ما لم يظهروا؛ فإن أرادوا ممارسة شعائرهم إِعْلاَنًا وَجَهْرًا، كإخراجهم الصلبان يَرَوْنَ منعهم من ذلك فى أمصار المسلمين، وعدم منعهم فى بلدانهم وقراهم، يقول الشيخ الغزالى فى كفالة الإسلام لحرية المعتقد: (إن الحرية الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظيرٌ فى القارات الخمس، ولم يحدث أَنِ انْفَرَدَ دِينٌ بالسلطة، ومنح مخالفيه فى الاعتقاد كل أسباب البقاء، والازدهار، مثل ما صنع الإسلام) [3].

(١) تاريخ الطبرى: (٤/ ١٥٨).

(٢) البداية والنهاية: (٧/ ٩٨).

(٣) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره. على محمد محمد الصلابى: (ص: ١٣٨).

وَكُنَّا قد تعرضنا لذلك فى الصفحات السابقة، بل وزدنا على ذلك تفصيلاً فى حرية المعتقد الدينيِّ لأهل الكتاب مع الصحابة والسلف، وحسن جوارهم، فَهَلاَّ تَأَسَّيْنَا بِهَؤُلاَءِ الأَفْذَاذْ.

التَّرَاجُعَاتُ لِلْجَمَاعَةِ الإِسْلاَمِيَّة

اعترف بعض الجماعة فى سجن (الوادى الجديد) بأخطائهم، ومنهم الشيخ (كرم زهدى) والذى قال كلماته أمام المسجونين من الجماعة الإسلامية، فتبادر قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أقسم باللهِ العلىِّ العظيم أنى أقول هذا الكلام ليس رهبةً، ولا خوفًا من هؤلاء) وأشار إلى الضباط، واستطرد قائلاً: (لكنهُ اتِّقَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ سبحانهُ... إنَّ مَا فعَلْنَاهُ، كَانَ خَطَأً وَمَا حَدَثَ كَانَ فِتْنَةٌ) ثم رفع الشيخ كرم يَدَهُ وَعَرَّفَ الْوَاقِفِينَ بِاسْمِهِ وَقَالَ: أخوكم (كرم زهدى)، فَصَاحَ الْعَنْبَرُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثم أشار إلى المشايخ لِيُعَرِّفَ الْوَاقِفِينَ بأسمائهم، فأغلبُ المعتقلينَ لم يقابلوا المعتقلين يَوْمًا مَا، ولكنهم كانوا يسمعون عنهم وَيُجِلُّونَهُمْ حتى وصل ذلك عند البعض إلى حَدِّ القداسة لأنهم كُتَّابَ أبحاث الجماعة وهم الذين يحركون الأحداث من حولهم!! وقام الجميع بالتسليم بحرارةٍ شديدة، والشيخ (كرم زهدى) يُشِيرُ إلى أحدهم ويقول: هذا هو الشيخ (فلان)، وَمَرَّ بَعْضَ الأُخْوَةِ بالمشايخ، فاحتضنوهم، ومنهم من قَبَّلَ رؤوسهم وأيديهم ...، ومنهم مَنْ هَوَى على قدمِ الشيخ (ناجح إبراهيم) لِيُقَبِّلُهَا، فصرخ المأمور: (إيه اللى بيحصل دا ... يا ناس حرام عليكم هو دا اللى ضيعكم)[1].

● **ثم أردف الشيخ (كرم زهدى) قائلاً:**

(لقد جئنا إليكم يسبقنا الشوق إلى لقائكم، وكم هذه اللحظات جميلة ومؤثرة أن التقيناكم ونحن نعرف أننا لسنا فى نزهةٍ خلويةٍ، لنتسامر معًا، ولكننا جئنا هنا لنصحح أوضاعًا كانت خاطئةً ... كان الأمر صعبًا علينا ونحن نعرف أنه صعبٌ عليكم، ولكن لابدَّ من خوضه، ولم يكن ثِمَّةَ خيار، ولكن لابد من إيصال الحق مهما كان مُرًّا، ونحن

(١) الخروج من بوابات الجحيم للأستاذ/ ماهر فرعلى: (ص: ٢٠).

نعرف أنكم ستقولون للحق سمعًا فلِلَّهِ دَرُّكُمْ جَمِيعًا ... إننا جئنا إلى هنا لتعظيم حرمات الله، وإنهاء مسلسل البكاء والعويل ووقف نَزْفِ الدِّمَاءِ ... ما أردنا إلا الحق، فالحَقُّ بُغْيَتَنَا وَمُرَادَنَا ولم تَعُدِ الدُّنيا تمثل شيئًا بعد أن قَضَيْنَا فى السجون اثنتين وعشرين عَامًا، فَمَنْ رَضِىَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ).

● ثم بادر الشيخ (ناجح إبراهيم) قَائِلاً:

(أطلقنا المبادرة حَقْنًا لدمائكم، والدماء عمومًا فى مصر ... أطلقناها حِفَاظًا على الأنفس أن تهلك فى غير ميدان، أو أن تقتل دون مصلحةٍ شرعيةٍ صحيحةٍ، أو هدفٍ شرعىٍّ ...

أطلقنا المبادرة صونا لحرمات البيوت أن تنتهك وحماية للبيوت المسلمة، والأسر المسلمة أن تهدم، ولوقف مسلسل الْيُتْمِ وَالتَّرَمُّلِ والطلاق، فالمبادرة جاءت من أجل مئات اليتامى من الفريقين، ومن أجل مئات الأرامل ... أطلقنا المبادرة، لأننا رأيناها الأقرب إلى الحق، وهى الأهدى سبيلاً، أطلقناها، لأننا عِشْنَا مع قول النبى ﷺ: (والذى نفسى بيده لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) ونحن نقول لا يسألنا أحدًا طريقةً، أو سبيلاً، أو آليةً، تُحْقَنُ فيها الدماء، وَيُمْنَعُ بها اقتتال أبناء البلد الواحد، وَتُمْنَعُ المفاسد العظيمة التى لحقت بالإسلام وأهله فى مصر إلاَّ أَجَبْنَاهُ إليها دون قَيْدٍ، أَوْ شَرْطٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ (النساء: ١٢٨).

أَىْ خَيْرٌ للفريقين ... لكل الناس ... خَيْرٌ لِلأَهَالِى ... خَيْرٌ لنا وللجميع، والصلحُ يحتاجُ إلى رجالٍ شُجْعَانٍ مثل (الْحَسَنِ بنْ عَلِىْ)، وهؤلاء الأفذاذ هم الذين يتحملونَ لَوْمَ اللائِمِينَ، ومزايدة الزائدين، لقد قال بعض الشيعة للحسن: (يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينْ)، فكان يقول: (لست بمذل المؤمنين، ولكن جماجم العرب كانت بيدى، فكرهت أن أقتلكم على الملك) وكانوا يقولون له: (يا عار على المؤمنين، فكان يرد، ويقول: عَارٌ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ)، فَالصُّلْحُ أعظمُ آلِيَةً شَرَعَهَا الإسلامُ لِرَأْبِ الصَّدْعِ، وَلَمِّ الشَّمْلِ، وهو أعظم

الآليات لإنهاء الأزمات بين المسلمين، ولولا وجود هذه الْآلِيَةِ، لكان أَىِّ نِزَاعِ مُسَلَّح بين طائفتين مسلمتين يَسْتَمِرُّ إلى النهاية، أو يستمر حتى يُفْنَى الفريقان، إِنَّ الصَّلْحَ بَابٌ عَظِيمٌ من أبوابِ الخير شرعه الله لِتُحْقَنَ به الدماء، وتُعصم به الأرواح ... إن هذه المبادرة التاريخية، وهذه المصالحة الوطنية هى واجبٌ يفرضُهُ علينا الشرع ويدعونا إليه الواقع، وتلزمنا به الحكمة، ويهدينا إليه العقل السليم، ونحن على استعدادٍ لِتَحَمُّلِ تَبِعَاتِ هذه المبادرة العظيمة، وهذه المصالحة المباركة نتحملها بالصبر الجميل والحلم الكبير، فكل صلح لا يحلُّ حرامًا، ولا يحرمُ حلالاً، بل يحقن الدماء، ويحمى بلادنا من التمزق هو واجبٌ شَرْعِيٌّ ينبغى لنا الالتزام به والعمل به وله).

وَأَكْمَلَ قَائِلاً: (إن هذه المصالحة الوطنية التى حدثت مع هذه المبادرة ليست بجائزة فحسب ولكنها واجبة، فهى التى تُوَحِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَتُنْهِى الْمَآسِىَ والأحزان، فكل صُلْحٍ حدث فى الأرض حتى فى مجال الأسرة، لابد له أن يكون فيه طَرَفٌ قَدْ هُضِمَ فيه حَقُّهُ وتنازل عن بعض حقوقه، ولولا ذلك مَا تَمَّ الصل على أكمل وجه، وإننا نجد فى صلح (الحسن مع معاوية)، فقد تنازل الحسن عن معظم حقوقه ورغم هذا قال عنه النبى ﷺ: (إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مَنَ الْمُسْلِمِينَ)[1].

وَإِكْمَالاً لمراجعات الجماعة الإسلامية بادروا بعملٍ موقع على (النَّتِّ) يشرح ميثاق العمل الإسلامى، والعلاقة بين ما هو قديمٌ وما هو جديدٌ، والدراسات الجديدة التى تكمل الأمور التى ظهر مسيس الحاجة إليها، وتصحيح الأشياء التى ساء فهمها، وأيضًا تصحيح المسارات التى كانت خاطئة مثل قتال الطائفة التى زاد لهيب نيرانها فى التسعينات من أحداث لم يكن قتال طائفة، لأن أصنافه ليست

(١) المصدر السابق (ص: ٢١-٢٢).

والحديث صحيح: جاء فى السنن الأربعة، إلا ابن ماجه، والبخارى، ومسند الإمام أحمد عن أبى بكر - رضي الله عنه -، وجاء فى الروض برقم: (٩٢٣)، والإرواء برقم: (١٥٩٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٥٢٨).

من أصناف الطائفة، ولأن الهدف وقتئذٍ من القتال مع الحكومة كان لمنع الظلم، وكان القتال فى فترة التسعينات أقرب إلى القتل من القتال، وقتال الطائفة حُكْمٌ ثَابِتٌ مُجْمَعٌ عليه وفى مصر يوجد امتناع من الشريعة وهو أَمْرٌ وَاقِعٌ، أَمَّا كَوْنُ أَنَّ هُنَاكَ عُذْرًا، أم لا؟ فهذا فيه خلافٌ: وهذا يحتاج إلى توضيح وتكميل فى الأسباب الموجبة للقتال والموانع التى لَابُدَّ أن تكون موجودة، وياليتنا ألحقنا ببحث الطائفة الموانع والشروط ... هذه الأشياء لَابُدَّ أن توضح ولكن بشرط أَلاَّ نلغى الحكم، لأن الحكم مُجْمَعٌ عليه من العلماء.

وَالنُّمُوذَجُ الثَّانِى هو مشكلة الأقباط، وهذه المسألة كان فيها تَعَدٍّ وَظُلْم مُنْذُ التسعينات، ولم تكن هناك دراسة توضح هذه المسألة والأيام أثبتت أن مسألة النصارى أثبتت نفسها على الجميع سواء الحكومات: أم الجماعات [1].

ولهذا أصبح الاعتراف من خلال الجماعة الإسلامية وَاضِحٌ جَلِيٌّ، لأن الاعتراف بالحق، وعدم التمادى فى الباطل من شِيَم الكرام، ووجب على كل من اعترف بالذنب وَأَقَرَّ بالظلم التوبة على ما مضى، لأن التوبَةَ تَجُبُّ كل الذنوب الماضية وإن كانت مثل زبد البحر، ثُمَّ يَخْلُوا الْمَرْءُ بنفسهِ لِيُعْلِنَ عن ندمه، لأَنَّ الندمُ تَوْبَةٌ، كما جاء فى التاريخ للبخارى من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبى ﷺ قال: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ)[2].

وفى رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ) [3].

---

(١) المصدر السابق: (ص: ٢٤٤).

(٢) رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم، والتاريخ للبخارى من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – ورواه أيضًا الحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أنس – رضي الله عنه – وجاء فى الروض النضير برقم: (٦٤٢ و ١١٥٠) وصحيح الجامع برقم: (٦٨٠٢).

(٣) رواه الطبرانى فى (الكبير)، وجاء فى الحلية لأبى نُعَيم من حديث أبى سعيد الأنصارى – رضي الله عنه – وَحَسَّنَهُ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٨٠٣).

المَبْحَثُ الثَّانِى

فِكْرُ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانْ

جَمَاعَةُ الْإِخْوَانِ: هى جماعة فاشية دينية، استخدمت الدين للوصول إلى الحكم، وذلك إذا استعرضنا مَا كُتِبَ منذ بدايتها سيتبين صدق ما نقول: لقد جاء فى الكتابِ الْقَيِّم للكاتب الراحل عبدالله إمام بعنوان (عبدالناصر والإخوان المسلمون) والذى يعرض فيه الأعمال الإرهابية التى ارتكبها (الجهاز الخاص) للإخوان المسلمين قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وفى هذا السياق يوضح الكاتب جوانب واسعة من العلاقات القديمة التى ربطت قيادة الثورة بجماعة الإخوان، مشيرًا إلى أن هذه العلاقات كانت معقدة وبدأت فى الأربعينات حين كان مشروع إعادة بناء الدولة الوطنية الحديثة مجرد فكرة تختمر فى عقول ونفوس عدد محدود من الضباط الوطنيين الذين تألموا لأوضاع البلاد وحاولوا تلمس طريق الخلاص من فساد الأحزاب السياسية، فلم يجدوا عندهم أَىَّ حَلٍّ للقضية الوطنية وللقضايا الاقتصادية والاجتماعية، ولم يعد أمام هؤلاء الضباط فى ضوء تلك الحالة المحبطة سوى الاعتماد على أنفسهم وَقُوَّتِهِمْ، والشروع فى تشكيل تنظيم محدودٍ سرعان ما نما وتطور وأصبحت له خلايا وفروع داخل صفوف ضباط الجيش.

لم يكن تنظيم الضباط الأحرار مُوَحِّدِ الفكرِ والأهداف، لكنه كان يضم مجموعة متباينة من الضباط الوطنيين الذين التقوا حول عدد محدود من الأهداف وهى المبادئ الستة التى أعلنتها الثورة، بَيْدَ أن ذلك التوحد لم يحل دون أن يكون لعدد منهم انتماؤه السياسى والفكرى، فكان بينهم الإخوان المسلمون، والماركسيون، والقوميون، وغيرهم، وقد بدأت العلاقات الاقتصادية بين الإخوان وقادة الثورة منذ الأيام الأولى للثورة حيث أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا بحل الأحزاب، ولكنه استثنى جماعة الإخوان،

لأنها كانت تقدم نفسها كجمعية دينية دعوية، كان الإخوان منذ اليوم الأول لقيام الثورة حريصين على تحريض مجلس قيادة الثورة ضد الأحزاب وتكوين قناعة بضرورة حَلِّهَا، وعندما اقتنع قادة الثورة بعدم قدرة الأحزاب على تحقيق التغيير الذى يحتاجه الشعب بسبب فسادها وَتَرَهُّلِهَا، طلبت وزارة الداخلية من الأحزاب أن تقدم إخطارات عن تكوينها، فقدم المرشد العام شخصيًا أثناء زيارة مكتب (سليمان حافظ) وزير الداخلية (إخطارًا رسميًا) بأن الإخوان جمعية دينية دعوية، وإن أعضاءها وتكويناتها وأنصارها لا يعملون فى المجالِ السياسىِّ، ولا يسعون لتحقيق أهدافهم عن طريق أسباب الحكم كالانتخابات، ونفى أن يكون ذلك من بين أهداف الجماعة، الأمر الذى جعل قانون حل الأحزاب الذى أصدره مجلس قيادة الثورة لا ينطبق على الإخوان، وأثناء اللقاء الذى عرض فيه الإخوان تصورهم لحجاب المرأة، وبعد أربعة أشهر على قيام الثورة، وبالتحديد فى صبيحة يوم صدور قانون حل الأحزاب فى يناير سنة ١٩٥٣ حضر إلى مكتب جمال عبدالناصر وَفْدٌ من الإخوان مكون من الصاغ الإخوانى صلاح شادى، والمحامى منير الد لة، وقالا له: (الآن وبعد حل الأحزاب لم يبق من مؤيد للثورة إلا جماعة الإخوان، ولهذا فإنه يجب أن يكونوا فى وَضْع يليقُ بهم وبدورهم وبحاجة الثورة لهم) فقال لهما جمال عبدالناصر: (إن الثورة ليست فى أزمة، أو محنة، وإذا كان الإخوان يعتقدون أن هذا الظرف هو ظرف المطالب وفرض الشروط فأنتم مخطئون) لكنه سألهما بعد ذلك: (حَسَنًا ما هو المطلوب لاستمرار تأييدكم للثورة؟).

فقالا له: (إننا نطالب بعرض كافة القوانين والقرارات التى سيتخذها مجلس قيادة الثورة قبل صدورها على مكتب الإرشاد لمراجعتها من ناحية مدى تطابقها مع شرع الله والموافقة عليها، وهذا هو سبيلنا لتأييدكم إذا أردتم التأييد) فقال لهما: (لقد قلت للمرشد فى وقت سابق إن الثورة لا تقبل أى وصاية من الكنيسة، أو ما شابهها، وإننى أكررها اليوم مرة أخرى، وبكل عزمٍ وحزمٍ) وبعد ذلك تم اللقاء بين جمال عبدالناصر،

والمرشد العام للإخوان حسن الهضيبى فى منزله بمنشية البكرى فى حى مصر الجديدة شمال مدينة القاهرة على أساس أن يكون هناك تعاون وتنسيق بين (الثورة والإخوان) بعيدًا عن الوصايا الدينية، أو السياسية، لكنه فوجئ بأن الهضيبى تراجع عن الشروط السابقة، وكان من ضمنها ما يلى:

أولاً: (ألاَّ يصدر أَىَّ قانونٍ إلاَّ بعد أن يتم عرضه على مكتب الإرشاد للإخوان ويحصل على موافقته).

ثانيًا: (ألاَّ يصدر أىَّ قرارٍ إلاَّ بعد أن يَقِرَّهُ مكتب الإرشاد).

وقد رفض جمال عبدالناصر بكل حزمٍ هذين الشرطين، لأن الإخوان أرادوا من خلالهما وغيرهما من الشروط الأخرى الحكمَ من خلف الستار وعدم تحمل تبعات الحكم الداخلية والخارجية، وقد حدث من جَرَّاءِ ذلك أن تَحَوَّلَ موقفهم من الثورة وحكومة الثورة، إذْ دَأَبَ (المرشد) بعد هذا التحول على إعطاء تصريحاتٍ صحفية مهاجماً فيها الثورة وحكومتها فى الصحافة الخارجية والداخلية، كما صدرت الأوامر والتعليمات إلى هيئات الإخوان بأن يظهروا دائماً فى المهرجانات والمناسبات التى يحضرها وينظمها رجال الثورة بمظهر الخصم المتحدى!!

- **أما الشروط التى قدمها حسن الهضيبى بَدَلاً عنها وتتمثل فى مطالبة مجلس قيادة الثورة بإصدار مراسيم بالآتى:**

* فرض الحجاب على النساء.
* إقفال دور السينما والمسارح.
* منع وتحريم الأغانى والموسيقى.
* تعميم الأناشيد الدينية.
* إصدار مرسوم يلزم القائمين على حفلات وقاعات الأفراح باستخدام أناشيد

مصحوبة بإيقاعات الصاجات (الدفوف) فقط.

* منع النساء من العمل.

* إزالة كافة التماثيل القديمة والحديثة من القاهرة وكل أنحاء مصر.

وكان رَدُّ (عبدالناصر) على كل هذه المطالب كالآتى:

* لن نسمح بتحويل الشعب المصرى إلى شعب يعيش حياةً بدائيةً فى أدغال أفريقيا.

وبعدها قابل عبدالناصر مُوفَدَيْ عرضا عليه رسومًا قالوا إنها تقريبية لثلاثة نماذج من الحجاب يمكن تطبيقها على مراحل بصورة تدريجية، وفور مشاهدة عبدالناصر لهذه الرسوم التقريبية ضحك سَاخِرًا، ثم قال: (أنا مش عارف سبب اهتمامكم باستهداف الستات!!)، ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى (محمد حامد أبو النصر) الذى أصبح مرشدًا للإخوان فى وقت لاحق من الثمانينات متسائلاً: (طيب ليه بناتك سافرت يا أستاذ حامد، وليه متلزمهمش بواحد من الحجاب ده اللى عايزين من مجلس قيادة الثورة فرضه على الستات بمراسيم!!؟)

وعندما أقرت الثورة تشكيل حكومة برئاسة محمد نجيب بالإضافة إلى منصبه كرئيس لمجلس قيادة الثورة على أن يكون للإخوان حقائب وزارية منها وزيران، أو ثلاثة، وقد اتصل المشير عبدالحكيم عامر ظهر يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢م، بالمرشد العام الذى رشح وزيرين من الجماعة هما الشيخ: أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الإرشاد، والأستاذ أحمد حسنى، وبعدها ببضعة ساعات حضر إلى مبنى القيادة بكوبرى القبة الأستاذان حسن العشماوى ومنير الدولة وقابلا عبدالناصر وقالا إنهما قادمان ليدخلا الوزارة وموفدان من المرشد العام فردَّ عليهما جمال عبدالناصر بقوله: إنه أبلغ الشيخ الباقورى وأحمد حسنى بالترشيح وسوف يحضران بعد ساعة من الآن ليحلفا اليمين، ثم اتصل عبدالناصر بالمرشد العام فورًا ليستوضح منه سبب تغيير أسماء المرشحين بعد أن تم إبلاغ الباقورى وحسنى، فرد المرشد العام بأنه سيدعو مكتب الإرشاد للاجتماع بعد

قليل وسوف يَرُدَّ بعد ذلك على عبدالناصر، ولكنه لم يرد، فعاود عبدالناصر الاتصال به، ففوجئ بِرَدِّ المرشد العام الذى أفاده بأن مكتب الإرشاد قَرَّرَ عدم الاشتراك فى الحكومة الجديدة، وعندما قال له عبدالناصر إن مجلس قيادة الثورة أبلغ الشيخ الباقورى وأحمد حسنى وأنهما سيحضران بعد قليل لأداء اليمين رَدَّ عليه المرشد قائلاً: (نحن رشحنا صديقين للإخوان ولا نوافق على اشتراك الإخوان فى الوزارة).

وفى اليوم التالى نشرت الصحف المصرية تشكيل الوزارة الجديدة بعد أداء اليمين وكان ضمن أعضائها الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الإرشاد وزيرًا للأوقاف، فاجتمع مكتب الإرشاد وَقَرَّرَ فصل الشيخ الباقورى من جماعة الإخوان واستدعى عبدالناصر الأستاذ حسن عشماوى وعاتبه على هذا التصرف وَهَدَّدَ بنشر جميع التفاصيل التى لازمت تشكيل الوزارة لكن العشماوى رجاهُ عدم النشر حتى لا تحدث مشكلة بين صفوف الإخوان تُسِيءُ إلى موقف المرشد العام، وَيُورِدُ الكتاب جزءًا من مذكرات محمد نجيب تتعلق بالإخوان قال فيه: (حاول الإخوان الاتصال بى فى ديسمبر ١٩٥٣م عن طريق محمد رياض الذى اتصل به حسن العشماوى ومنير الدولة وطلبوا أن تتم مقابلة سريةٌ بينى وبينهم، واقترحوا مكانًا للمقابلة منزل الدكتور اللواء أحمد الناقة الضابط بالقسم الطبى فى الجيش، وكانت هذه مفاجأة، لأننى عرفت لأول مرة أن الدكتور أحمد الناقة له ارتباطًا بالإخوان، ورفضت فكرة الاجتماع السرى بهم وأبلغتهم بواسطة محمد رياض أننى مستعد لمقابلتهم فى منزلى، أو فى مكتبى، لكنهم اعتذروا عن ذلك وطلبوا أن أُفَوِّضَ مندوبًا عنى للتباحث معهم فوافقت وعينت محمد رياض ممثلاً عنى للاجتماع معهم بعد أن زودته بتعليماتى واجتمع محمد رياض بممثلى الإخوان حسن عشماوى ومنير الدولة عدة مرات).

ويحسب المذكرات أوضح محمد رياض لممثلى الإخوان رأى محمد نجيب فى إنهاء الحكم العسكرى الحالى وعودة الجيش إلى ثكناته وإقامة الحياة الديمقراطية البرلمانية وعودة الأحزاب وإلغاء الرقابة على الصحف، ولكنهم لم يوافقوا على ذلك، بل طالبوا ببقاء الحكم العسكرى الحالى،

وعارضوا إلغاء الأحكام العرفية وطالبوا باستمرار الأوضاع كما هى، وكانت المطالب كالآتى:

* أن ينفرد محمد نجيب بالحكم، وإقصاء جمال عبدالناصر، وباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة.

* يتم تشكيل حكومة مدنية لا يشترك فيها الإخوان، ولكن يتم تأليفها بموافقتهم.

* طالب الإخوان تعيين (رشاد مهنا) وهو (إخوانى) قائدًا عَامًّا للقوات المسلحة.

* تشكيل لجنة سرية استشارية يشترك فيها بعض العسكريين الموالين لمحمد نجيب.

* يتم تشكيل عدد مُسَاوٍ لهم من الإخوان بحيث يتم عرض القوانين على هذه اللجنة قبل إقرارها.

* يتم العرض على هذه اللجنة الاستشارية السرية سياسة الدولة العامة وأسماء المرشحين للمناصب الكبرى.

ويضيف (محمد نجيب) فى مذكراته التى أوردها الكتاب: (كان الإخوان يريدون بذلك السيطرة الخفية على الحكم دون أن يتحملوا المسؤولية) ثم يمضى قائلاً: (رفضت جميع هذه الاقتراحات وانتهت المفاوضات السرية التى جرت بين محمد رياض، وموفدى الإخوان، وقد تعرض محمد رياض للمتاعب فى وقتٍ لاحقٍ بعد أن اعترف الصاغ حسن حمودة، وكان من الإخوان - أمام المحكمة فى شهر نوفمبر ١٩٥٤م، بأن اتصالاً سرِّيًّا تم بينى وبين الإخوان بواسطة محمد رياض وذكر أمام المحكمة آرائى التى نقلها محمد رياض إلى حسن عشماوى ومنير الدولة، وصدر الأمر بالقبض على محمد رياض بتهمة التخطيط للانقلاب على مجلس قيادة الثورة بالتعاون مع الإخوان، ولكنه استطاع الهرب إلى المملكة العربية السعودية بالطائرة) [1].

ولأننا تعرضنا إلى الفاشية الدينية، فلابد لنا أن نتعرض لمعناها، ومبادئها، وخصائصها.

---

(١) شبكة الانترنت.

الفاشية الدينية : هى مصادرة حق النقد

فكل بلد يتم فيه مصادرة حق النقد ويطبق على القاصى والدانى، ويتم التضييق على الحريات لا يمكن تحت أى ظرفٍ من الظروف أن تتحسن هذه الدولة، ولا يمكن لها أن تتماشى فى ركاب الدول المتحضرة مهما أن طال بها الزمن وهى على تلك الحالة، فإنه لا يمكن أن تتحسن وتتطور المجتمعات الإنسانية بدون ممارسة النقد على نطاقٍ واسعٍ، فالبلد التى تحاصرها الفاشية الثقافية، لا يمكن لها أن تأخذ بأسباب المناهج العلمية المتطورة، ولا بأساليب البحث العلمى الحديث، ولا بأدوات التقدم، ولا بمنتجات الحداثة، ولا بمظاهر العولمة، ولا بمتطلبات الديمقراطية الحديثة، ولا بمستلزمات السياحة العصرية، ولا بمناخ الاستثمار الجذاب، ولا بالاستقرار السياسىِّ القائم على الحكم الرشيد، ولا بالإعلام المتوازن الموضوعىِّ المهنىِّ ...، وباختصار، فإن البلد الذى تحاصره الفاشية الدينية، والثقافية يخرج سريعًا من التاريخ.

مبادئ الفاشية وخصائصها :

(١) إلغاء الحريات الفردية، مثل: حق الحياة – حق الكرامة – الخصوصية.

(٢) تريد الفاشية أن تكون قويةً على حساب الآخرين.

(٣) تَشُكُّ الفاشيةُ، بأن يُصْبِحَ سلامٌ دائمٌ بين جميع دول العالم.

(٤) تقييد حريات الفرد، مثل حرية الصحافة، وحرية الاجتماع.

(٥) سيطرة جهاز الحكم على وسائل الإعلام واستخدامها للتأثير على الرأى العام[١].

وهذا ينطبق تمامًا على (جماعة الإخوان) وما ظهر فى حكمهم من خلال عام حكموه

(١) شبكة الانترنت. الموقع الرئيسى لمؤسسة الحوار المتمدن.

لمصر، ولكى نقترب من هذا المشهد، وجب علينا أن نقترب من دهاليزهم وأنفاقهم حتى نصل إلى الحقيقة عن طريق معرفة عدة نقاطٍ وأهمها:

أولاً : من هم؟

ثانياً: شعاراتهم وما تحمل من دلائل.

ثالثًا: ما فكرهم؟

رابعًا: من أين جاءوا بهذا الفكر؟

خامسًا: ما حكمهم على المجتمع؟

سادسًا: موالاتهم لأعداء الإسلام.

سابعًا: التمكن والتمكين للقفز عى سلم المجد باستلام السلطة.

أولاً : من هم ؟

لجماعة الإخوان رؤوس تُديرها، أو محركٌ يحركها فى أكثر من ثمانين دولة على مستوى العالم وهم كالآتى: (مرشدى جماعة الإخوان فى مصر)

(١) حسن البنا – المرشد الأول؛ ومؤسس الجماعة فى الفترة من (١٩٢٨ : ١٩٤٩).

(٢) حسن الهضيبى – المرشد الثانى للجماعة فى الفترة من (١٩٤٩ : ١٩٧٣).

(٣) عمر التلمسانى – المرشد الثالث فى الفترة من (١٩٧٣ : ١٩٨٦).

(٤) محمد حامد أبو النصر – المرشد الرابع فى الفترة من (١٩٨٦ : ١٩٩٦).

(٥) مصطفى مشهور – المرشد الخامس فى الفترة من (١٩٩٦ : ٢٠٠٢).

(٦) مأمون الهضيبى – المرشد السادس فى الفترة من (٢٠٠٢ : ٢٠٠٤).

(٧) محمد مهدى عاكف – المرشد السابع فى الفترة من (يناير ٢٠٠٤ : ١٦ يناير ٢٠١٠).

(٨) محمد بديع – المرشد العام الثامن فى الفترة من (١٦ يناير ٢٠١٠ : ٣٠ يونيو ٢٠١٣، والتى أسقطها الشعب المصرى).

أعضاء مكتب الإرشاد العالمى وهم كالآتى:

(١) محمد بديع – المرشد العام للجماعة، وعضو مكتب الإرشاد العالمى من ٢٠٠٧م.

(٢) محمد مهدى عاكف – المرشد السابق للجماعة.

(٣) راشد الغنوشى – هو السياسى، والمفكر الإسلامى فى تونس، وزعيم حركة النهضة، والذى تولى مقاليد الأمور فى تونس من بعد ما يُقال عنها ثورات الربيع العربى، أى: أصبح رئيسًا للدولة بعد ثورة تونس.

(٤) إبراهيم منير – مصرى مقيم فى لندن، والمتحدث باسم الإخوان بأوروبا.

(٥) عبدالمجيد ذنيبات – المراقب العام السابق للإخوان فى الأردن.

مراحل تجنيد (الإخوانى): (الْمَرْحَلَةُ الأُولَى)

البحث عن (الإبل النجيبة) والأولوية (لأبناء الأغنياء) فى كُتَيِّب مُعنون بـ(الدعوة الفردية) يُوزع على أعضاء الجماعة يُطلب من الأخ البحث فى الدوائر المحيطة به عن العناصر المستهدفة بالتجنيد فى الجماعة، ثم وضعها فى قائمة يُلخص فيها معلومات تتعلق بهم وما تنطوى عليه شخصياتهم من مميزاتٍ وعيوبٍ، وبعد ذلك يُكلف بالحديث مع النقيب (المسؤول) فى صفات هذا الشخص المستهدف، ولكن هذا التكليف تضع له الجماعة بعض الضوابط والشروط، فتكون حريصة فى توجيه (الأخ المجند) على نوعية من يختار للدعوة الفردية، فتشترط عليه أن يختار الأقرب لدائرته حتى يكون التواصل معه أيسر، ويكون إضافةً حقيقية للجماعة وليس خصمًا من رصيدها، وتضرب الجماعة مثالاً شهيرًا يسود فى أدبيات الجماعة تُوصى به أعضاءها وهو: (لا تتعامل مع الجماعة على أنها مستشفى يقدم العلاج للمرضى، بل كما يتعامل الجواهرجى الذى يتعامل مع اللآلئ)

وتتمثل بمقولة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (الناس كالإبل مائة لا تجد فيها راحلة) بمعنى: أن على (الأخ) أن يبحث عن (الرواحل) النجيبة التى تتحمل السفر الطويل والأثقال، فإذا كان (المستهدف) طالبًا، فمن الأفضل أن يكون نجيبًا، كما يفضل الموسر ماديًا، لأن المطلوب هو أن ينفق على الدعوة، وكلما كان من أسرة غنية أفضل من أن يكون من أسرة فقيرة، عند هذه النقطة نتوقف مع (أحمد بان) الباحث فى شئون الجماعات الإسلامية، ليحدثنا عن النوعية التى تفضل جماعة الإخوان أن تجندها فى صفوفها، قائلاً: (إن حسن البنا كان إذا نزل قرية، بحث فيها عن وُجهاء القوم ليضمهم لجماعته، وعند تكوين شعبة فى هذه القرية يسند مسئوليتها لِعِلْيَةِ القوم فيها، وكان هذا أَمْرًا مُتعارفًا عليه فى الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضى).

ويقول (متولى) وهو أحد نقباء الأسر (الإخوانية): يخضع هذا الأخ لمنهج الدعوة الفردية الذى يبدأ بمرحلة التعارف، كما تحتوى العملية طُرُقًا محددة تُعتبر مداخل مدروسة ومجربة للوصول للشخص المستهدف بالدعوة) ويصف (أحمد بان) المناهج التجنيدية بقوله: (إنها أقرب للعلوم النفسية منها للعلوم الشرعية، لأن الـْمُجنِّدِينَ، يُعتبرون أنفسهم يتعاملون مع نفوس بهدف ترويضها، والولوج فيها للسيطرة الكاملة عليها لتجنيدها، فالأخ يجند هؤلاء الأفراد لكى يكونوا جنودًا عند هذا التنظيم) ويقول (متولى): (يبدأ الاتصال بالفرد بعد مرحلة التعارف، فنسعى لصداقته، والاقتراب منه جدًّا، لنقترب من عالمه النفسىِّ، فنعرف مَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ) ويستشهد المتحدث (بحسن البنا) فيقول: (كان كلما يريد أن يدعو شخصًا يعرف ما يحب هذا الشخص وما يكره، فإذا كان محبًا للكلاب يذهب البنا ليقرأ عن الكلاب لكى يشاركه اهتمامه ويقترب منه أكثر، ويكون ذلك مدخله له) ويضرب (أحمد بان) مثالاً توضيحيًا آخر يردده الإخوان كثيرًا لأفرادهم المنوط بهم (التجنيد) قائلاً: (لو كان المستهدف يعشق الطوابع، فالمفترض أن تكون خبيرًا

فى جمع الطوابع، وإذا كان من هواة كرة القدم، فمن المفترض أن تكون خبيرًا فى ذلك، فهذا هو مدخلك لكى تقترب من عالمه النفسى) وبعد مضى مدة، يُحاول (المجند) التقرب من (المستهدف) أكثر، فيتعرف على محيطه الاجتماعى، فمن الممكن أن يكون لهذا الشخص شقيقٌ، أو قريبٌ ينتمى لأحد الأجهزة الأمنية، أو الحساسة، التى لها وضعيةٌ خاصةٌ لدى التنظيم، وبعد مرحلة التعرف على المحيط الاجتماعى، يذهب الداعية المجند إلى النقيب المسئول لكى يجيب عن عدة أسئلة تتعلق بالعنصر المستهدف، وغالبًا ما يُقدم تقريرًا عنه يتناول سيرته الشخصية ومحيطهُ الأسريُّ، وهواياته، وتحليلاً لشخصيته، وما إذا كان مُجادِلاً من عدمه، وَدَرَجَةِ تَدَيُّنِهِ، ومشاكله الجنسية، وعلاقاته العاطفية، أما الصفات التى يمكن أن يستبعد من أجلها (المستهدف بالتجنيد) من قبل (النقيب المسئول) فهى أن يوصفُ بأنه (غير كتوم) وَلاَ يُؤْتَمَنُ على الأسرار، وأن يكون ثِرْثَارًا، لأن السِّرِّيَةَ منهجٌ عند الجماعة، ويضيف (بان) أما عن المجادل، فيمكن أن يقبل فى البداية، لكن إن وُجِدَ أن الجدال خلقٌ أصيلٌ فيه، فيمكن الاستمرار فى ضمه على أن يبقى جزءًا من دوائر التنظيم العامة، وهو ما يُطلق عليه (الربط العام) ويُوصى (النقيب المسئول) عن صرف (المجند المستهدف) أن يبتعد عن مناطق الخلاف الفقهية، فالتنظيم ليس له مذهب فقهى بعينه، ويكتفى فقط بنصحه بقراءة كتاب (فقه السنة) للشيخ (السيد سابق) لأنهُ مَبْنِيٌّ على تجميع كل المذاهب الفقهية، ولا يكون ابن مذهبٍ فقهىٍّ بعينه، ويحظر على (النقيب) أن يفتح عالمه النفسى للشخص المجند، فلا يعطيه إلّا ما يجعله يحبه، وينبهر به أكثر، وَيُقَدِّرُهُ أكثر، فهذا الداعية يجب أن يتمكن من نفس المدعو بحيث يُصبح هذا الداعية مرجعًا له فى كل شىء فى حياته، يرجع له فى كل أحواله، وتصرفاته الكبير منها والصغير على السواء، وحتى هذا الوقت لا يحدثُ الأخ الشخص المجند، أى: العنصر المستهدف فى الإسلام، أو الدعوة إلا بقدر ما يُسمح به الحوار العادى على حد قول (بان)، وعندما تتحول العلاقة إلى (علاقة معلقة) ينتقل معه المجند إلى المرحلة الثانية من (التجنيد).

(المَرْحَلَةُ الثَانِيَةُ) السيطرة على (المستهدف) بنظرية (المؤامرة على الإسلام)

بعد انتهاء المرحلة الأولى وهى ما تسمى بمرحلة (التعارف) ينتقل المجند المستهدف إلى مرحلةٍ جديدةٍ وهى ما تُسمى بـ(إيقاظ الإيمان) فيقول (المجند) (أنت مؤمن، لكن هذا الإيمانُ مُخدَّرٌ بداخلك، وأن هذا الدين هو دينٌ مستهدفٌ بالمؤامرات على مدار التاريخ)، ثم يستحضر له كل المشاهد قديماً وحديثًا بدْءًا من (خُبيب بن عدىْ، حتى سيد قطب، وعلاء الزهيرى) وكل شخص أُوذى من أجل دينه، وبهذا المعنى، تُصبح مسيرة الجماعة هى مسيرة هذا (الإسلام المضطهد)، وحيث تُصبح الجماعة هى الامتداد الطبيعى لمسيرة الإسلام على الأرض، لا لمسيرة فصيلٍ معين، فهؤلاء هم (الإسلام) بطريقة ما، فى استكمالِ لهذا المدخل العاطفىّ الجَذَّابْ ويتذكر (أحمد سعيد)، وهو (إخوانى) بدرجة منتظم، كيف وأن أول تأثرٍ له بالإخوان كان وقتها طفلاً يبلغ من العمر ١٠ سنوات، حيث جمع الإخوان عددًا كبيرًا من أبناء القرية فى بيت أحد الأخوة وعرضوا عليهم شريط فيديو يُسمى (الوعد) يحكى عن مَآسٍ تعرض لها الفلسطينيون على يد قوات الاحتلال الصهيونى، ودور حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى صَدِّ هذا العدوان، فضلاً عن مشاهد من (انتفاضة الحجارة) وكانت الصورةُ مصحوبةٌ بأصواتِ منشدينَ شاميِّينَ ويقول (أحمد) تأثرنا جميعًا وبكينا، وزاد حُبُّنَا بهذا الدين وارتباطنا بالجماعة، وَكَوْنُهَا هى الأمل الوحيد فى عودة الإسلام: ورفع رايته خَفَّاقَةً فوق المسجد الأقصى، الأمر الذى كان يحدث بعد ذلك فى حرب (البوسنة والهرسك) وقبلها فى حروب أفغانستان، (والشيشان، وكوسوفو) وتشكل عقلية العنصر (المستهدف) تركيبًا عاطفيًا بحتًا يُحاول فيه (المجند) شحذ وجدان (المستهدف) ويلهمه حتى يزرع فيه حب (التنظيم)، لكى يُؤمن به على أساس أنه يُمثل (دِرْعَ الأُمَّةِ) والسبيلُ الوحيدُ إلى نصرتها بعد ما تقف على أرجلها من جديد.

ويقول (علاء محمد) وهو باحث منشق عن (جماعة الإخوان) (إن الأكثرية تنتمى إلى الجماعة انتماءً عاطفيًا فقط) وهذا المعنى هو نفس ما قاله الدكتور (عصام العريان) القيادىٌ الإخوانىٌ حيث قال: (مِنْ أَنَّ مَنْ معنا فى التنظيم أُنَاسٌ عاطفيون فقط، ولا يفهمون إلى أين هم ذاهبون) ويقول الباحث (أحمد بان): (هذا أمرٌ دقيقٌ ١٠ فى المائة فقط، فهى مادة العمل داخل الصف الإخوانى، ٢ فى المائة يخرجون عن طاعة التنظيم، ٨ فى المائة يظلون قانعين بأن يخوضوا معركتهم داخل الصف من الإخوان، ٩٠ فى المائة تُسلم قيادها إلى قيادات التنظيم، وتثق فيها ثقة عمياء، من منطلق أنها تُدبر لنصرة هذا الدين، ولنصرة هذا المشروع، ولقد منحتها الثقة بموجب بيعة شرعية، ويضيف (بان) أن التنظيم لا يحاول أن يزرع فى وجدان وعقل الأعضاء سوى رُكْنَىْ الطاعة والثقة فى القيادة، مع أن (حسن البنا) كان يلجأ إلى الشورى، ويغض التنظيم الطَّرْفَ عن باقى الأركان، ومنها الفهم والتجرد، فهو لا يستدعى سوى مفردات (الثقة والطاعة) مع أنه لا ثقة ولا طاعة دون فهم، ومن خلال زرع الثقة فى نفسية (المستهدف) عِبْرَ مَنْهَجٍ فِكْرِىٍّ معين يُصبح مُهَيَّأً لفكرة (تفويض القائد) لاتخاذ القرار، وفى التدبير لأمور الجماعة) ويتابع الباحث: (وتسود هنا مَقُولات من نوع) (لَدَىَّ ثِقَةٌ أن لديهِ من المعطياتِ مَا لَيْسَ لَدَىَّ) أو (الرؤية لدى القائد أدق، وقراره صائب) ومن موجبات هذا العمل الجماعى أن يكون هناك قيادة، ومن موجبات هذه القيادة أن تحظى بالثقة على أساس أن هذا العمل سَيُهْدم لو كل فرد يفكرُ ويدبرُ ويقررُ لنفسه بمعزل عن الجماعة، ونحن فى مواجهة التدبير الجماعىِّ للحرب ضد الدين فى حاجة إلى تدبير جماعة فى مواجهة هذه الحرب).

ويتم تسويق مقولات دينية فى هذا الصدد حسبَ ما صَرَّحَ به الباحث مثل مقولة: (لا إسلام إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بالطاعة، ولا طاعة إلا بجماعة) فضلاً عن الآية الكريمة والتى تقول: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) إضافةً إلى حَشْدٍ من الآيات تَحُضُّ على العمل مع الجماعة، ويتسع نطاق النص ليتم تطويره فى المساحة التى

يريدها التنظيم لخدمته، وهو أمرٌ حاضرٌ فى الجماعة على امتداد تاريخها، فعندما نقرأ فى نصوص (البنا) تجد استشهادات قرآنية فى غير موضعها، ويتسع مفهوم النص لكى يلائم ما ذهب إليه من مفهوم، وشيئًا فشيئًا تتحول الأمور فى التبعية فى الإسلام إلى التبعية للتنظيم باعتبارها (وَلاَءٌ لِلهِ) مع العلم أن أداة فكرة التمكين للدين والدولة مجرد وعاءٌ لهذا التمكين، فيمضى (المستهدف) مع هذا التنظيم منذ بداية إدراكه، بأن هذا الدين هو المستهدف، وثبتت الأفكار الجذرية التى توضح فى ذهن الشخص تشكل أفكاره ووجدانه أن الإخوان هى جماعة المسلمين) وهذا هو مَا يَسْتَنْبِطُهُ الضميرُ (الْإِخْوَانِيُّ) وَإِنِ ادَّعَى أنه يقول عكس ذلك. وهذا يُلَقِّنُ المستهدف خلاصة ما تقوده إلى أن (الإخوان) هم من يفهمون الإسلام على حقيقته، وأنهم الممثلون الحريصون لدين الله فى الأرض، وأنه ما من أحد يعمل لهذا الدين سواهم كما يعملون له، وأنهم أدق الناس فهمًا لمعانى الإسلام ومراميه، وهناك جذران ينهض بهما (الأخ) لفهم الدعوة الإسلامية هما كتابا (الطريق لجماعة المسلمين) و(ماذا يعنى انتمائى للإسلام؟ وهذا هو الأساس الذى يخضع له تكوين (الأخ) المستهدف تجنيده منذ أن يَلِجَ أولى عتبات هذا التنظيم المغلق، وَيَبْدءِ دخوله فى التكوين الفكرىِّ تنتهى مرحلة التعارف ومرحلة إيقاظ (الإيمان المخدر) فى الصدور من خلال تعويده على مجموعة من العبادات، ثم إدراكه أن هناك مؤامرة على هذا الدين، وأن هذه المؤامرة تستلزم كيدًا جماعيًا، وبالتالى يجب أن يكون عمله عملاً جماعيًا، وهناك جماعات كثيرة تعمل على الساحة، فأى جماعة سيكون إليها ولاءه؟ فى هذه المرحلة تُشْرَحُ له طرائق العمل الجماعى التى تدعى الصلة بالمنهج الإسلامى، فَيُقَالُ له: إن هناك (سلفيين) يهتمون بالعبادات والطقوس والإشارات، والمظاهر على حساب الجوهر، وهناك (الصوفيون) وهؤلاء منسحبون من العالم، وهناك (الجهاديون) الذين يحملون مهمة الجهاد بالسلاح، ولكن (الإخوان) هم الذين يجمعون كل هذه الأمور، فهى (الجماعة الشاملة).

(المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ) أهلاً بكم فى (دولة الإخوان)

تبدأ مرحلة التأهيل الفكرى والتربوى بدءًا من المرحلة الثالثة، وتعتمد هذه المرحلة على غرس قيم مجتمعية وأخلاقية ودينية داخل الفرد، من خلال إطار تنظيمى ضيق يُسمى فى العرف الإخوانى بـ(الجلسات التربوية) ولا تتمتع هذه الجلسات بالصرامة التنظيمية والانضباط الكامل فى ظل رغبة الجماعة، فى هذه المرحلة التَّوَدُّدِ إلى (المدعو) أكثر من توجيه الأوامر له بشكل يدفعه إلى الهروب، أو الشعور بِالْغُرْبَةِ سريعًا من التنظيم.

وتعتمد مرحلة (الجلسات التربوية) على مقوماتٍ مهمةٍ أهمها (المحتوى التربوى) الذى يتم تدريبه للمدعو، ويتضمن كافة القيم الأخلاقية والمجتمعية التى تنوى الجماعة زرعها داخله، وهذه المحتويات الفكرية والثقافية تقوم الجماعة بإسناد وضعها إلى قسم التربية فى التنظيم، ويتم تكليف المسئول (النقيب) بتدريسها للمدعو ويهدف التنظيم فى هذه المرحلة إلى ترسيخ فلسفة الاستيعاب النفسى للشخص لكى يشعر بقيمة المجتمع الجديد الذى يبدأ فيه أولى خطوات حياته الجديدة، وتقوم فلسفة الاستيعاب النفسى على ما يُسمى بـ(الإحاطة الاجتماعية) وأولها أن يشعر بأن حوله حفنة من الجمهور الملتزم أصحاب الأيادى المتوضئةِ والوجوهِ النَّيِّرَةِ وأصحاب الحيثية المجتمعية، لِتُضْفِى عليه (قِيمَةً مَا) فيشعر بدوره فى المجتمع وحاجة هذا المجتمع له، ومن هنا يشعر وكأنه أحد الأعمدة المهمة فى المجتمع دَعَوِيًّا، وَسِيَاسِيًّا، وَتَتَوَلَّدُ لَدَيْهِ أهمية الانتماء إلى تنظيم دِينِىٍّ، ثم الرغبة فى الولاء التام والتبعية لهذا التنظيم.

وأما النقطة الثانية، وهو ما يحدث بها يُسَمَّى بـ(التآلف المادى) حيث تتبنى الجماعة الكثير من شئونه المالية، خاصة إن كان من أبناء الطبقة المتوسطة، أو الفقيرة لكى يترسخ فى داخله ولاءهُ، وتبعيتهُ المطلقة، بجانب إيمانه الراسخ بأن (الإخوان) هو التنظيم البديل عن الدولة، وأنه القادر على خلق كافة الحلول التى يحتاج إليها بما فيها الحلول المالية، ويتبع

كل ذلك الإطار الفكرى الذى يُعتبر كالحبل المتين من خلال استجلاب بعض الكتب التى تُوَصِّلُ لقدسية التنظيم، مثل كتاب (الطريق إلى جماعة المسلمين) للكاتب (حسين جابر) وهو أحد قيادات التنظيم بالسعودية، والذى يُوصل لأهمية العمل للإسلام من خلال الجماعة، ويُحاول الكتاب إسقاط النصوص الدينية والشرعية على اعتبار أنها (جماعة المسلمين) وليست جماعة من المسلمين، وأن شرف الانضواء تحت رايتها لا يضاهيه شرف، وتعتمد مرحلة الإطار الفكرى على ما يُسمى (بذبح الآخر) حيث يسعى النقيب إلى تشويه صورة التيارات الإسلامية الأخرى، بدعوى نقص، أو عدم اكتمال الفهم الكامل للإسلام لديها، وأن (الإخوان) هى الجماعة الوحيدة التى تفهم الإسلام بشموليته، وهذا موجودٌ فى كتاب (حسن البنا) (إسلام الإخوان المسلمين)، ويعمدُ النقيب فى علاج الشبهات الفكرية إلى بعض النصوص الشرعية لعلاج أقوى ما يمكن مواجهته من جانب المدعو، وهى الشبهات الفكرة التى يلوكها المدعو على أذن الداعية (الإخوانى)، وربما يكون قد سمعها من جانب بعض التيارات الإسلامية الأخرى لمداراة عجزه فى تقديم ردودٍ فكريةٍ وثقافيةٍ وعقلانيةٍ للمدعو، ويتم توجيه أوامر بعدم الخوض فى أيِّ نقاشاتٍ جانبيةٍ مع التيارات الأخرى، واستخدام حديث النبى ﷺ: (إنى زعيم بيت بربوة فى الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا) إذْ يعتبر الجدل من الأمور المنهى عنها داخل التنظيم، ودائمًا ما يقول (النقيب) (خلينا عمليين أحسن) فتزيد مساحة الحركة على الفكرة، لأن النقيب يُريدُ من العضو أن يكون حركيًا أكثر منه مفكرًا، ولذا تبدأ مرحلة تغييب العقل الإخوانيِّ من مرحلة الدعوة الفردية، ليتم تطويعه بعد ذلك من خلال الثقة فى القيادة، وطاعة القيادات دون مناقشة ولا جدال، وفى حالة الفشل التَّامِّ فى مواجهة الشبهات ينتقل سريعًا إلى مرحلة الدفاع من خلال اتهام المدعو بالتقصير فى طاعته لله، ومن ثم يقول له: (راجع موقفك من الله، ومستوى علاقاتك مع الله)[1].

(١) جريدة الوطن الصادرة يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرى ١٤٣٤هـ - ١٥ أبريل ٢٠١٣م، السنة الأولى العدد ٢٥١.

لِذَا نستخلصُ مما سبقَ ذكرهُ أَنَّ جماعةَ الإخوانِ يتنازعها من الداخل تياران متعارضان فى فهمها والفارق بينهما بَوْعٌ شَاسِعٌ ومسافةٌ كبيرةٌ، كما بين السماء والأرض، فالتيار الأول: هو الذى يؤمن بالدعوة إلى الله خالصة، ويؤمن بما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥) أى: اجعل الدعوة لله خالصةً، لا من أجل تنظيم، ولا من أجل جماعة، ويكون قدوتك فيها محمد ﷺ، وصحابته الكرام، وأن يكون كلامك مشفوعٌ بالدليل الساطع الموضح للحق، والعبر اللطيفة التى تنزل على القلوب، لتكون بلسماً يشفى قلوب الحيارى الملهوفين، وأملاً يحيى قلوب الشاردين المجروحين، وأمثال ذلك كُثُرْ قد خرجوا من الجماعة عندما علموا بالتنظيم السرى وعلموا حقيقته، فأيقنوا أن كل ما سمعوه فى الجماعة كان وهمًا وسرابًا، بل كان كذبًا، وأما التيار الثانى، وهو التيار الذى اتخذ العنف منهجهُ وطريقهُ، وهو التيارُ التكفيريُّ الذى أخذ منهجه من التكفيريين أمثال حسن البنا، وسيد قطب، وسيد أبو الأعلى المودودى، لأنهم كَفَّرُوا السلطة الحاكمة، بل خر جوا عليها بالقتل، وتفجير المنشآت، وكذلك طوائف الشعب المخالفين لهم، فاستدلوا استدلالاً فاسدًا بقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٣) فياليتهم قاتلوا أعداء الله، بل إنهم يقاتلون أبناء جلدتهم، وإخوانهم فى الدين، واستدلوا استدلالاً فاسدًا أيضًا بالحديث الذى رواه الإمام أحمد، ومسلم، والأربعة من حديث أبى سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)[1].

فالتغيير لا يتم إلا بأولى الأمر العقلانيين، أو العلماء الربانيين، أو رجال الأزهر الوسطيين فى أحكامهم، وإلا لَوْ تُرِكَ الأمر كما يتصورون باستدلالاتهم الفاسدة لأصبح

(١) الحديث صحيح: جاء فى تخريج مشكلة الفقر برقم: (٦٦)، وصحيح أبى داود برقم: (١٠٣٤)، ومختصر مسلم برقم: (٣٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٥٠).

المجتمع يعيش حياة الغاب القوى يأكل الضعيف، والمتسلح بسلاح البنادق الآلية، والأحزمة الناسفة والعربات المفخخة يحصد الآمنين حصدًا.

الزَّوَاجُ الْبِينِىُّ

الإخوان يستفيدون من حالات الزواج البينى، حيث يتزوجون من بعضهم البعض، فتتسم الاتصالات فيما بينهم، بأن لها غطاءً مهمًا جدًّا، وهو غطاءُ النسبِ والقرابةِ، ومن جانبٍ آخر هو تضليل رجال الآمن، أما باقى أفراد المناطق يتم الاتصال بهم فُرادى، أو تزورهم مجموعة المسئولين فى كل منطقة كل واحدٍ منهم على حِدَةٍ، ويوزعون عليهم البرامج فُرادى وأما فى الريف فينتهزون الفرصة من آن لآخر فى المناسبات السعيدة، أو المناسبات الدينية، أو توزيع الجوائز على الأشبال الصغيرة من حفظة القرآن الكريم، فينعقد الاجتماع فى المسجد واستحضار أحد دعاة الإخوان، وغالبًا ما يكون من القرية، أو ما يجاورها، لإلقاء كلمة بعد توزيع الجوائز، ثم يتم تلقى الأوامر من القيادة العليا بالقاهرة عن طريق بعض الأشخاص بقادة المناطق، وهم بدورهم يقومون بإبلاغها إلى المستويات الأدنى حتى تصل إلى جميع الأفراد بيسرٍ وأمانٍ.

ثُمَّ يُطِلُّ علينا الأستاذ (صبحى صالح) فى إحدى القنوات الفضائية بتغريداته الجميلة، وابتساماته الساخرة مطالبًا بألا يتزوج الإخوانى من غير الإخوانية، فقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١) وبعد البرنامج وصلت ردود أفعال كثيرة وصلت إلى تقديم بلاغات تتهمه بقذف المحصنات، فعلق قائلاً: أنا كنت أعرض فكرى، وكنت أتحدث عن الإخوان، وعن منهج الإخوان فى إحداث تغيير مجتمعى أخلاقى سلمى متدرج، والإمام (البنا) شرحه فى سبع مراحل فى رسالة التعليم، وفيها منهج لا يوجد به عنف، ولا ثورة، ولا استعمال قوة، من خلال بناء فردٍ، ثم بيتٍ، ثم مجتمعٍ، ثم إصلاح الحكومة، فتحكيم الأقطار الإسلامية، فإعادة البناء

الدولى، وأوضح فى المقطع أن الفرد فى الجماعة يتصف بِعَشْرِ خِصَالٍ وهم أنه متين الخلق - قوى الجسم - مثقف الفكر - سليم العقيدة - صحيح العبادة - مجاهد لنفسه - قادر على الكسب - منظم فى شؤونه - نافع لغيره - محافظ على أخته، ثم يستطرد قائلاً: (إن الأخ، أو الأخت الذين استوفوا عشرة أركان، فيتزوجوا، فيكون قد تم بناء بيت، وبعدها يتم تكوين المجتمع، لذا ينبغى أن يكون الأخ صريح، والفتاة التى أصبحت بالفعل من الإخوان متينة الخلق صحيحة العقيدة، واستوفت المقومات (إحنا كنا هانربيها ليه؟)، أنا أرضى أجوز بنتى اللى متربية على المقومات العشرة، لواحد متربى على أربع مقومات؟ المتدين يسيب كاملة السلوك، وكاملة التدين علشان واحدة حبها من على الرصيف؟) وأضاف، قال رسول الله ﷺ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[1].

ثم يختم تعليقه فيقول: وأنا هنا أتحدث عن بنات الإخوان اللاتى قمنا بتربيتهن، وأؤكد أننا لسنا أحسن من الناس، لكن البنت التى تربت على القيم لا يستحقها إلا مثلها.

أقول معلقًا على تصريحات محامى الإخوان (صبحى صالح) وحثه للإخوان على الزواج من الإخوانيات حتى يعطى الفرصة للقاءات والاجتماعات وتضليل رجال الأمن، وحتى إذا رأى الناظر هذه الاجتماعات يحجم عن الكلام بسبب المصاهرة، وأما الجانب الآخر، ألا وهو الشوفونية أى: أنه يرى نفسه وغيره من الإخوان، أنهم هم الأزهد فى الدين، وهم الأطهر، وهم الأنقى، ألم يَقُلْ: (إن الإخوان أنقى من ماء المطر، لو لم أكن إخوانيًا، لوددت أن أكون إخوانيًا، وبدلاً من أن يقول: اللهم أمتنى على الإسلام، قال وبقصد: اللهم أمتنى على الإخوان).

(١) الحديث: رُوِىَ فى الصحيحين، وأبى داود، والنسائى، وابن ماجه عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، وجاء فى المشكاة برقم: (٣٠٨٢)، ومختصر مسلم برقم: (٧٩٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٠٠٣).

الشَّبَكَةُ الإِخْوَانِيَّةُ، وَالْمَصَالِحُ الْعَائِلِيَّةُ

حقيقة ابن آدم أنه ينظر دائمًا إلى الدنيا ويتمناها، بل ويشتهيها، كما يشتهى الفقير المعدم الطعام الشهى، فإذا جاءهُ وتحقق منه، ورأى بناظريْهِ أنه بين يديه وذاق طعمه جَنَّ جنونه وتملكته الرغبة الجامحة فى المزيد ولو على حساب أشياء كثيرة خطيرة تجول فى خاطره ولو كانت مستحيلة، وهكذا الدنيا بمظاهرها الخداعة، وأزيالها وزخارفها البراقة عندما يمتلكها الإنسان ويمتلك نعيمها الزائل، كما يقول المثل الدارج: (شَبَعْ بَعْدَ جُوعْ)، أو (شَبْعَه بَعْدَ جُوعَهْ)، فيصر عى الاستحواذ على هذا النعيم ولو على حساب القضاء على الآخرين، كالأسد المفترس الذى يفترس الفريسة بعد جوع شديد، فإذا اقترب أقرانه منه فى تلك اللحظة افترسهم، كذلك مَنْ فى السلطة يفعلون ذلك، فإذا كانوا خارجها انتقضوا مَنْ فى السلطة وَجَرَّحوا مَنْ فيها، بل وَعَرُّوهُمْ حتى يُسقطوهم ويُسقطوا أقنعتهم، فإذا امتلكوا السلطة مكانهم لا يعتبرون، ولا يتعظون بسنن الله الكونية، فيظلون يتمادون فى غَيِّهِمْ حتى يلتف حبل قضاء الدنيا حول رقابهم، وفى ذلك السياق سنضرب مثلاً بمنظومة الحكم عند نظام (مبارك) و(الحزب الوطنى)، ونظام الرئيس المعزول (محمد مرسى) و(حزب الحرية والعدالة للإخوان): وإليك المقارنة:

كانت منظومة الحكم عند نظام (مبارك)، ولدى الحزب الوطنى، اعتمدت على شبكة من النسب والمصاهرات والعلاقات والتربيطات، وهذا هو الميثاق السرى الذى يقوم عليه الحكم الاستبدادى، فالحكم المستبد لا يبحث عن الكفاءة ولكنه يبحث عن الولاء، وعن حاملي الطبول، ولا يبحث عن العقول المستنيرة التي تخدم الوطن والمواطنين وهم كُثُرْ، لذلك فإننا لو بحثنا فى أسماء الوزراء والمسؤولين فى عهد مبارك المستبد فسنجد أنهم كَوَّنُوا فى ما بينهم شبكة متكاملة تعتمد على المصاهرة، والقرابة، والمصالح، والشراكة، ولكن اللافت للذكر أن هذه الشبكة لم تتشكل أركانها إلا فى السنوات الأخيرة من حكم

مبارك، بمعنى أن مبارك لم يصل إلى درجة إنشاء شبكة حكم تتواصل فى ما بينها فى خلال المصاهرة والقرابة والعلاقات التجارية إلا بعد عشرين عامًا من حكمه، ولم يفعل ذلك إلا عندما استشعر ضعف نظامه، وأنه لكى يبقى ويصلح فيه الإرث والتوارث يجب أن يعتمد على أصحاب الولاء، ومن غير الأصهار وشركاء المال، يتوافر فيهم الولاء الكامل، فالمركب الذى يُقِلُّ الجميع إذا غرق فسيغرق بالجميع، ومن شأن الأقارب وأصحاب المصالح الذين ركبوا سفينة الحكم أن يتعاضدوا فى ما بينهم من أجل الاستمرار، ومع ذلك لم تفلح جهودهم فى الاستمرار، وعند الغرق فَرَّتْ فئرانهم من السفينة المعطوبة، لقد عتبت جماعة الإخوان كثيرًا على النظام المصرى السابق إذا أقدم أحد أفراده على الاستعانة بنجله، أو شقيقه، أو أحد أقاربه فى العمل السياسى العام إلى أن حدثت ثورة الشباب واستجاب هذا النظام وتنازل مُكْرَهًا عن مَلَفِّ التوريث، مع العلم أن ما يعيبه جماعة الإخوان على النظام المصرى السابق هو ما تقع هى فيه من الداخل حيث تُوَرِّثُ العمل لأفرادها بعضهم البعض، هذا بفرض أنه توريث، والبديهى أن تتذرع الجماعة بأن العائلات التى أنجبت أكثر من قيادىٍّ فى العمل الإخوانى، أفرادها لم يَصِلُوا إلى هذه المكانة بالتوريث، ولكن بالجهد والعمل، وهنا يكون الرَّدُّ، أنه كما ترى الجماعة (أن الجد والعمل هما المعيار، وليس التوريث)، ولا أظن مثلاً أن ما ينطبق فى الدنيا على جماعة الإخوان مثل المثل القائل: (أن تسمع بالمعيدى خَيْرٌ من أن تراه) ولكن شاءت الأقدار أن ينزل (المعيدى) صاحب المثل الوارد إلى أرض الميدان، ثم إذا به يقفز على حكم البلاد قفزةً حطمت كل القيود، فأصبحنا نراهُ برلمانًا، فوزارةً، فرئيسًا، بعد أن كنا نسمع عنه كشبح مختبئ فى الكواليس، فإذا به شديد الشبه بالمثل العربى القائل: (شِهَابُ الدِّينِ أَضْرَطُ مِنْ أَخِيهِ)، ولعلك أدركت عزيزى القارئ أن شهاب الدين هو جماعة الإخوان، وأن أخاه هو الحزب الوطنى، هذا مثل ذاك لا فارق بينهما إلا فى الاسم، أما الفعل والمحتوى فهو هو، ولكن شهاب الدين، ونقصد به الإخوان، وهذا ما فعلته فى الشهور

الأولى من جلوسها على كرسيِّ الحكم، وهو ما فعله مبارك فى أواخر سنواته، حيث أنشأت منظومة حكم تعتمد فى المقام الأول، وأيضًا المقام الأخير على شبكة المصاهرات والقرابة والشراكات المالية. وليصبح الحكم الإخوانى قائمًا على بزنس العائلات، وبزنس المال، ونحن هنا نطرح الفكرة بموضوعية حتى لو انتفت شبهة التوريث أصلاً داخل الجماعة، فلا ندرى أى مسمى نطلق على ما بين أيدينا، فالمرشد السابق (محمد مهدى عاكف) يتولى ابن شقيقه (مصطفى عاكف) مسئولية شعبة مساكن شيراتون وهو من القيادات الوسيطة داخل جماعة الإخوان ويجرى إعداده لأحد المناصب العليا، كما أنه أحد المسئولين الرئيسيين بقسم الطلبة، كما أن (محمد مهدى عاكف) متزوج من شقيقة الدكتور (محمود عزت) القيادى البارز فى الجماعة والذى يتحكم بأكبر الملفات وأكثرها سخونةً وأهميةً بالجماعة، ألا وهو التنظيم السرى بالجماعة، أما (خيرت الشاطر) نائب المرشد العام، (فبهاء الشاطر) شقيقه كان مدير معارض السلع المعمرة بنقابة المهندسين، والمسئول الأول عن الملف الاقتصادى داخل الإخوان، و(أيمن عبدالغنى) أيضًا صهر خيرت الشاطر، وهو أحد المسئولين الرئيسيين بقسم الطلبة بالجماعة والمسئول الأول عن النشاط فى جماعة الأزهر، أما (حسن عز الدين مالك) فهو نجل عز الدين مالك أحد القيادات التاريخية للإخوان، ورفيق درب (حسن البنا، ومصطفى مشهور)، لذلك أصبح ابنه حسن عز الدين مالك أحد المسئولين عن الملف الاقتصادى للإخوان وصاحب كلمة نافذة داخل الجماعة، ومن أشهر العائلات الإخوانية التى ورثت العمل داخل الجماعة وورثته لأبنائها: (عائلة البنا) نسبة إلى مؤسس الجماعة (حسن البنا)، حيث يأتى ابنه (أحمد سيف الإسلام حسن البنا) الذى كان فى وقت من الأوقات من كبار قيادات الإخوان، وعضوًا بمكتب الإرشاد، وساندته الجماعة على مدار ثلاث دورات فى انتخابات نقابة المحامين كأمين عام، ثم ترك الجماعة وتفرغ للعمل النقابى، ومن عائلة البنا جاء أيضًا (عبدالحكيم عابدين) أحد أقارب الدرجة الأولى لمحافظ كفر الشيخ السابق،

ووزير التنمية المحلية (أحمد زكى عابدين)، وسكرتير عام الإخوان ومسئول القاهرة وعضو مكتب الإرشاد ومؤلف نشيد الجماعة، وأحد من طُرِحَتْ أسمائهم بقوة لتولى منصب المرشد العام بعد اغتيال حسن البنا، وعبدالحكيم عابدين هو زوج أخت حسن البنا الصغرى والتى كانت ذراع حسن البنا اليمنى فى العمل الدعوى النسوى، ومن نفس العائلة يأتى (سعيد رمضان) زوج ابنة حسن البنا، وسعيد رمضان أحد القيادات الإخوانية الكبيرة وأحد المسئولين فى قسم الطلبة فى بداية ١٩٥٤م، ولكنه ترك مصر هربًا من (عبدالناصر) حيثُ فَرَّ إلى السعودية، ثم إلى أوروبا وعاش بين السويد وألمانيا، وابنه (طارق سعيد رمضان) حفيد حسن البنا وهو أحد المسئولين الكبار فى التنظيم الدولى للإخوان، وهو المسئول عن المناظرات التى يقيمها الإخوان بينهم وبين العلمانيين، أما (استشهاد حسن البنا) بنت حسن البنا مؤسس الجماعة، فهى إحدى المسئولات فى قسم الأخوات ولها دَوْرٌ دَعِوىٌّ بَارِزٌ بين صفوف النساء، وبعد عائلة البنا تأتى عائلة (الهضيبى) التى أنجبت للجماعة اثنين من المرشدين هما (حسن الهضيبى) المرشد الثانى، و(مأمون الهضيبى) المرشد السادس، والجدير بالذكر أن عائلة الهضيبى لها مركز قوى جدًا داخل الجماعة، لذلك نجد أن (إسماعيل الهضيبى) أحد القيادات التاريخية ومحامى توظيف الأموال والذى انخرط فى العمل داخل الجماعة، وهناك أيضًا (عصام سلطان) زوج بنت أخت الهضيبى الذى كان قياديًا بارزًا قبل انشقاقه عنهم مع تأسيس حزب الوسط، ومن عائلة البنا والهضيبى إلى عائلة (عودة) ومنها (خالد عبدالقادرة عودة) ابن عبدالقادر عودة وكيل الجماعة فى عهد حسن الهضيبى والذى قام عبدالناصر بإعدامه بعد أحداث المنشية وكان مقدرًا له أن يُصبح مرشدًا للجماعة له مؤلفات عن القانون الجنائى الإسلامى، أما خالد عبدالقادر عودة، فهو أستاذ بكلية العلوم قسم الجيولوجيا، ورشحته الجماعة بمجلس الشعب بأسيوط وهو المسئول الأول عن الإخوان فى محافظة أسيوط، و(سعيد فتوح) شقيق الدكتور (عبدالمنعم أبو الفتوح) مسئول منطقة جنوب

القاهرة، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح هو الوحيد فى العائلة الذى دُوِّنَ (اسمه أبو الفتوح) فى شهادة الميلاد، وباقى إخوته مدونون تحت اسم فتوح، فملف التوريث داخل الجماعة يضم أيضًا (مختار نوح) الذى يمت بصلة قرابة إلى (أحمد السكرى) أول وكيل لجماعة الإخوان، ونوح اختلف مع البنا فى الأربعينات واستقال من الإخوان وانضم لحزب الوفد وكتب عدة مقالات وهاجم فيها البنا وجماعة الإخوان، والغريب أن مختار نوح دخل الجماعة على يد المرشد (عمر التلمسانى)، أما عائلة (قطب) فقد أمدت الجماعة بالشيخين (سيد قطب) و(محمد قطب) وكانا من القيادات الإخوانية البارزة القديمة، (فحميدة قطب) متزوجة من الإخوانى المتوفى (صالح شادى) أحد قيادات الجماعة والذى كان مسئولاً عن (التنظيم الخاص)، أما (عائلة مشهور) فملف التوريث مرتبط حاليًا بالدكتورة (وفاء مشهور) ابنة المرشد السابق (مصطفى مشهور) وهى إحدى المسئولات الكبار فى قسم الأخوات وابنها كان من ضمن من أُلْقِيَ القبض عليه فى أحداث مليشيات طلبة الأزهر الإخوانية، أو مَا عُرِفَ وقتها باستعراض القوة من قبل الجماعة ٢٠٠٧، أو فرق مليشيات الكاراتيه الإخوانية، وتم الإفراج عنه، أما الدكتورة (مكارم الديرى) واحد ثالث ثلاثة من أكبر الأخوات قيادة بالجماعة والتى رشحتها الجماعة فى مدينة نصر فهى زوجة (إبراهيم شرف) الذى كان سكرتير عام مكتب الإرشاد، إلى جانب أنها قيادية بارزة فى الجماعة، وهناك أيضًا الدكتور (سيد عبدالستار المليجى) نائب رئيس مجلس إدارة شركة الشريف، أو الفضيحة التى زلزلت جماعة الإخوان، فهو زوج بنت (أحمد حجازى) أحد القيادات التاريخية للإخوان.

أَيْنَ المْوَعِظَةُ يَا أُولِى الأَلْبَابْ؟

لابد للمرء أن يتعظ بما سبق، ولا يدع ما سبق من عهود سابقات أن تمر عليه مرور الكرام، بل له أن يتدبر ويحكم العقل حتى يتجنب المخاطر له ولغيره، فحالة الاستبداد

الذى ظهرت عليه جماعة الإخوان حتى وهى مضطهدة وخارج دائرة الحكم هو الذى رفعها قطعًا لمزاولة خطيئة أي مستبدٍ جاهلٍ تَسَيَّدَ عليها وعلينا، حيث يتحول الذى عانى الاستبداد، بعد ما يحكم، إذْ بِهِ يُمارس نفس سلوك الحاكم الذى استبد به وقهره، فإذا ما وصل هذا المقهور إلى الحكم مارس نفس سلوك المستبدٍّ وطبق أفكارهُ وَرُؤَاهُ، وقلدهُ فى كل شىء حتى فى إنشاء شبكة المصالح، لذلك على خُطى (الحزب الوطنى) تسير (جماعة الإخوان وذراعها السياسية، حزب الحرية والعدالة) بعد صعودها للسلطة، لتتحول المصاهرات وصلات الدم، والقرابة، والنسب، والشراكة التجارية، والبيزنس، والمصالح المشتركة إلى بوابة سحرية للترقى فى مؤسسات الدولة بعد سيطرتهم عليها، تمامًا كما كان الوضع داخل الجماعة والتنظيم الإخوانى، (المحافظون والوزراء، وأغلبية أعضاء الجمعية التأسيسية، ومجلس الشورى، وقيادات فى المؤسسات التنفيذية) تحقق إحكام السيطرة على مفاصل الدولة، وصولاً إلى (رئيس الجمهورية، محمد مرسى)، بفريق رئاسى، (وهيئة استشارية) تجمع بين الصفقات السياسية والاقتصادية والعائلية، التى تمتد جذورها إلى الشبكة الأضخم والأهم داخل الجماعة أما عائلة الدكتور (مرسى) فلها نصيب فى مقعدين فى السلطة بالرئيس محمد مرسى نفسه، وزوج شقيقته، وحما ابنته أيضًا الدكتور (أحمد فهمى) والذى تَحَوَّلَ بسرعة البرق إلى أحد نجوم الحياة السياسية بعد الثورة، بعد فوزه بترشيح الجماعة له على منصب رئيسَ مجلس الشورى بفضل صلة المصاهرة (المركَّبة) سكرتير الرئيس المهندس الكندى الجنسية (خالد القزاز) هو شريك (خيرت الشاطر) نائب المرشد العام، وأحد أهم كوادر حملته الانتخابية التى ورثها مرسى بعد ذلك، وأيضًا أحد أبرز مهندسي العلاقات الخارجية فى جماعة الإخوان، وحزب الحرية والعدالة، حيث تلقى تعليمه فى كندا، وأقام هناك لسنوات طويلة، ومنسق العلاقات الخارجية بحزب الحرية والعدالة!!، كما كان أحد أعضاء الوفد الإخوانى الشهير الذى سافر إلى واشنطن بالتزامن مع ترشيح الشاطر رئيسًا للجمهورية، والتقى

بإعلاميين وسياسيين، وأكاديميين أمريكيين وعُقدت ندوات مفتوحة، واجتماعات مشتركة مع شخصيات، وجهات أمريكية منها مسؤولين كبار بمجلس الأمن القومى الأمريكى، والجدير بالذكر أن خالد القزاز، هو نجل المهندس (عدلى القزاز)، أو كلمة السر الجديدة فى وزارة التربية والتعليم، وكان عضو بمجلس إدارة جمعية أصحاب المدارس الخاصة، وهو صاحب (المقطم للغات) المدارس الإخوانية الأشهر والتى تلقى شهرة وإقبالاً واسعًا بين العائلات الإخوانية الكبرى، وكانت هذه المدرسة كلمة السر فى علاقته بالقزاز الابن والأب أيضًا، حيث كان نجل الشاطر ويدعى (حسن) تلميذًا فى المدرسة فى أثناء المحاكمة العسكرية الأخيرة لوالده وعدد من قيادات الإخوان، وعندما قررت المدرسة إعفاءه من المصاريف كاملة، وقد حفظ خيرت الشاطر الجميل لعدلى، وولده خالد فنقلهما نقلةً نوعيةً، ومن بعد شقة كانت الأسرة تسكنها أصبحت قصرًا مشيدًا على هضبة المقطم تتحاكى عنه الأساطير!!، وشخص آخر من عائلة القزاز هو الدكتور (حسين القزاز) الضلع الثالث من (لوبى) عائلة القزاز داخل قصر الرئاسة، وأحد أبرز أعضاء الهيئة الاستشارية للرئيس محمد مرسى، والمستشار الاقتصادى لحزب الحرية والعدالة، وأحد أهم المؤسسين للجانب الاقتصادى فى (مشروع النهضة) كما زَوَّجَ له الشاطر، وكان العضو الاحتياطى (بتأسيسية الدستور) والأهم أنه مسؤول التنظيم الدولى للإخوان فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا ضابط الاتصال بين الإدارة الأمريكية وجماعة الإخوان، عبر عقود من الهجرة لسنوات طويلة إلى أمريكا فى (لوبى) عائلى ثلاثى الأضلاع، وكان مخترق الدولة وقتها، بمؤسساتها التنفيذية والتشريعية، بصلات دم ومصالح مشتركة بين قصر الرئاسة والهيئة الاستشارية وصولاً إلى (التأسيسية) و(التربية والتعليم)، فالحداد هو رجل الأعمال الإخوانى الشهير وصاحب المجموعة العربية للتنمية (إنتر بيلد) لتنظيم المعارض، ونائب جمعية تنمية الأعمال (ابدأ) التى يترأسها (حسن مالك)، وهو الصاعد أيضًا بسرعة الصاروخ فى الجماعة بمجرد

خروج خيرت الشاطر من السجن عقب الثورة، إذ قام الشاطر بإدخاله مكتب الإرشاد بالتعيين لا بالانتخاب فى الرابع من فبراير الماضى، بينما يتمتع الحداد الابن أيضًا بنفوذ عائلى خرافى داخل الجماعة بحكم مصاهرته لعضو مكتب إرشاد آخر هو الدكتور (محمود أبو زيد)، إذ تزوج (جهاد الحداد) ابنته، بينما كانت ابنته الثانية (فاطمة أبو زيد) عضوًا فى لجنة وضع الدستور الأولى، هذا ناهيك بصلة نسب أخرى بين (جهاد الحداد) وعضو مكتب إرشاد ثالث هو (محمد إبراهيم) زوج خالته، الأمر الذى وضع جهاد الحداد بشكل مباشر فى بؤرة الدائرة المقربة من خيرت الشاطر، بينما لم يتحدد بعد الوضع الجديد (لوليد الحداد) أحد الكوادر الشابة لحزب الحرية والعدالة الذى يجرى (تلميعه إعلاميًّا)، تمهيدًا لتصعيده سياسيًا فى أقرب وقت، فى القصر الرئاسى أيضًا يسكن ثلاثة من أهم كوادر التنظيم الدولى للإخوان، تربط بينهم المصلحة الواحدة والبيزنس المشترك والشراكة الوطيدة مع الشاطر، الرجل الحديدى فى الجماعة الأول: هو الدكتور (أحمد عبدالعاطى) مدير مكتب رئيس الجمهورية، والمنسق العام السابق للحملة الانتخابية، ثم لمحمد مرسى من بعده، وهو أحد كوادر التنظيم الدولى للإخوان، ومسؤول طلاب الإخوان تنظيميًا على مستوى العالم، والأمين العام السابق (للاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية، وشريك الشاطر فى واحدة من أهم شركاته ألا وهى شركة (الحياة للأدوية) والتى كان يدير فرعها فى الجزائر ويستقبل العمالة الإخوانية من المصريين للعمل فيها بتكليف من الشاطر وأما الثانى هو المهندس (أسعد الشيخة) نائب رئيس ديوان رئيس الجمهورية، ورجل الأعمال الإخوانى البارز الذى ظهر فى المشهد الشهير للرئيس فى ميدان التحرير، والذى ظل مُمسكًا بالميكروفون لمدة ١٠ دقائق فى أثناء إلقائه خطاب ميدان التحرير [1].

وفى حركة المحافظين الجديدة وقع الاختيار أيضًا على عضو مكتب الإرشاد المهندس

(١) http://youtube/oiR8-TEPgns

(محمد على بشر)، ليكون رأس حربة الجماعة محافظا للمنوفية، وذلك وفق حسابات الإخوان وخطتهم المحسوبة جيدًا لغزو المحافظات التى تلقوا منها الصفعة التصويتية فى انتخابات الرئاسة، لم يخرج بشر أيضًا من حسابات شبكة المصالح العائلية بحكم صلة النسب مع واحد من أهم وأبرز أعضاء مجموعة (الصقور) فى الجماعة، هو الدكتور (محمود حسين أمين) الذى تزوج نجلة المهندس (ياسر سارة) ابنة بشر!! ...، وفى نفس الوقت الذى لا تزال ترتبط فيها المصالح التنظيمية والمالية لمحافظ كفر الشيخ الجديد أيضًا (سعد الحسينى) بشكل كامل بالجماعة، فى ما يعتبر من أبرز أهل البيزنس والسلطة فى الإخوان، فهو صاحب شركة (المدائن للإنشاءات الهندسية) والتى تُعتبر إحدى أضخم شركات المقاولات فى الدلتا...، أما رجل الأعمال الإخوانى (حسن مالك) أحد قطبى الإمبراطورية الاقتصادية للجماعة ورئيس جمعية تنمية الأعمال (ابدأ) ورئيس لجنة (تواصل) المنوط بها تحقيق الاتصال بين رجل الأعمال ومؤسسة الرئاسة، التى أظهرت نفوذًا لا حدود له فى كل سفريات محمد مرسى، لقد كانت جماعة الإخوان تعتب على نظام مبارك فى قضية التوريث وهم ينطبق عليهم المثل القائل: (اللى بيته من الزجاج ميحدفش الناس بالطوب)، ولكن الإخوان ينطبق عليهم المقولة التى تقول: (أسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك أستعجب) فنحن نسمع منهم كلامًا معسولاً يصورون أنفسهم فيه للناس بأنهم مناضلون من أجل الحرية وشرع الله فى المعترك السياسى من أجل القضاء على الفساد وهم حاملوا لواء الفضيلة والقيم السامية فى حين أن تصرفاتهم التى تختفى تحت الشعارات البراقة تعكس واقعًا آخر [1].

قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ (النساء: ١١٥) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢) وقال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥) وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

(١) شبكة الانترنت.

(النمل: ١٤) فهؤلاء لا يحسنون استخدام عقولهم، ولا يُمعنون النظر فى استخدام الفهم الصحيح، لأنهم لو أدركوا ما كان فى الزمن الماضى، ما وقعوا فى قيود وزنازين الزمن الحاضر، لأنهم لو أدركوا ذلك ما أصبح هذا حالهم ومآلهم، لأن المبصر للأمور هو الذى ينظر للأمام طويلاً، ولا ينظر تحت قدميه، ولا ينظر إلى الحزبية العمياء، ولا العصبية الجهلاء، ولكن وجب عليه أن ينظر إلى الوراء، ويرى ما فُعل بغيره، ومن هم على شاكلته ومن فى مستواه، بل وكانوا أغنى منه وأقوى؛ فزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم وانتهوا، فأصبحوا أثرًا بعد عين، فسقط القناعان وأنظمتهم، ومن والاهم، فهم الآن فى السجون يحاكمون على حماقاتهم، ليذوقوا مرارة الحسرة والندامة والألم، وهكذا كم هى الدنيا خداعةٌ، ألا فاعتبروا يا أولى الألباب، ولكنها السنن، قال رسول الله ﷺ: (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا فَذِرَاعًا) [١].

ولفظ أحمد: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ) [٢].

ثَانِيًا: شِعَارَاتُ الْإِخْوَانِ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ دَلَالَاتٍ:

لقد اتخذ الإخوان، والسلفيون الجهاديون شعارات دينية، لدغدغة عواطف الشعب المصرىّ لأنهم يعلمون جيدًا طبيعة هذا الشعب ومدى حبه للإسلام، وميله لتلك الشعارات، فاستغلوها لصالحهم، وهم وللأسف الشديد يقولوها بأفواههم، وما تنطق به حناجرهم، عكس تمامًا مع ما تُكِنُّ به صدورهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢-٣) فإذا لم تطابق الأقوال الأفعال، فلعنة الله على قائليها، ولعنة الله على فاعليها، ولعنة الله على المروجين لها، لأن ذلك هو الكذب بعينه، والكذب ليس من صفة الإسلام أبدًا،

(١) أخرجه البخارى (٧٣١٩)، وأحمد (٨٣٠٨) (٨٣٤٠) (٨٤٣٣) (٨٨٠٥) (٨٨٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٤)، والبخارى (٣٤٥٦) (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، والطيالسى (٢١٧٨)، وأبى عاصم فى (السنة) (٧٤)، وابن حبان (٦٧٠٣).

بل الكذب هو صفةٌ من صفات اليهود، والمنافقين، فعندما سُئِل رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله: (أَيَكُونُ الْمُسْلِمُ جَبَانًا، قَالَ: نَعَمْ، أَيَكُونُ بَخِيلاً، قَالَ: نَعَمْ، أَيَكُونُ كَذَّابًا، قَالَ: لاَ) إذن، فبموجب هذا الحديث، فقد نهى رسول الله ﷺ عن الكذب عن أمة الإسلام، فعن عبدالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رضي الله عنهما – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ). (1)

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ، وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (2).

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدبٍ – رضي الله عنه – أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي؛ فَأَخَذَا بِيَدَيَّ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ، فَيَشُقُّهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْ قَفَاهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ فَيُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ الآخَرِ، وَيَلْتَئِمُ هَذَا الشِّدْقُ، فَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ يَشُقُّ شِدْقَهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (3).

(1) رواه البخارى (٣٤)، ومسلم (٥٨)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذى (٢٦٣٢)، والنسائى (٨/ ١١٦).

(2) رواه الستة، البخارى، ومسلم، والسنن الأربعة، أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، فى (الإيمان)، وأبو الشيخ فى (التوبيخ) عن أنس – رضي الله عنه – وجاء فى الصحيحين – عن ابن عمرو، وأبى هريرة – رضى الله عنهما – وفى السنن الأربعة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٠٤٣)، وجاء فى الترغيب والترهيب (للمنذرى) ولفظة (ثلاثة) بدلاً من (ثلاث) ولفظة (إذا حدث) بدلاً من: (من إذا حدث) برقم: (٤٣١٥)، ورواه أبو يعلى برقم: (٤٠٩٨)، وذكره الهيثمى فى المجمع (١/ ١٠٧).

(3) هذا جزء من حديث طويل رواه البخارى برقم: (١٣٨٦)، ورواه الإمام أحمد، ومسلم عن سمرة – رضي الله عنه – وجاء فى الترغيب والترهيب للمنذرى برقم: (٤٣١٢)، وجاء فى صحيح الترغيب أيضًا للشيخ الألبانى برقم: (٥٧٧, ٢/ ١٩٠)، وصححه الألبانى أيضًا فى صحيح الجامع برقم: (٤٣٦٢-١٤٠٢).

● والآن، فهيا بنا نتابع شعارات الإخوان، والجماعات السلفية الجهادية وما تحمله من دلالات:

* الشِّعَارُ الْأَوَّلُ: (الإسلام هو الحل، ونريدها إسلامية).

فيامن تتشدقون بهذه الشعارات، الشعبُ المصريُّ دَيِّنٌ بطبيعتهِ، وَجُبِلَتْ جِينَاتِهِ على الإسلام، فنحن نعرف الإسلام جيدًا، فَأَيْنَ الْحَلُّ؟

لقد وجه الشيخ (أحمد فريد) انتقادًا حَادًّا، لجماعة الإخوان، وهو من الداعمين الأساسيين لحملة الرئيس المعزول (محمد مرسى) فقال: (يجب أن تغير الجماعة شعارها إلى: التنازل عن الإسلام هو الحل) وَتَدَاعِيَّاتُ ذَلِكَ: قيادات الدعوة السلفية شنت هجومًا حادًّا على (جماعة الإخوان) ورئيسهم (محمد مرسى) بسبب السماح للإيرانيين بدخول البلاد، وخطورة المذهب الشيعى، وَعَلَّقَ المشاركون فى المؤتمر لا فتات تحذر من خطورة المذهب الشيعى على البلاد، ومنها (الشيعة هم العدو فاحذرهم) و(الشيعة يكفرون الصحابة) و(الشيعة يتهمون أم المؤمنين عائشة بالفاحشة) وهم من (سبوا الصحابة، وسبوا أمهات المؤمنين) و(مَعًا ضد الشيعة) وسوف يكتب التاريخ أن الإخوان أدخلوا الشيعة إلى مصر، وخانوا العهد مع الطوائف السياسية التى وقفت معهم للوصول إلى الحكم، وضد دعوتنا بشعار (الإسلام هو الحل) هذه العبارات وجهها الشيخ (أحمد فريد) أحد أعضاء مجلس الدعوة السلفية إلى جماعة الإخوان، مُتسائلاً: (هى الشيعة كانت خط أحمر، والآن أصبحت خط أخضر؟) وانتقد (فريد) تصريحات (هشام قنديل، ووزير السياحة) بشأن إيقاف السياحة الإيرانية لمدة شهر ونصف لكى يهدأ الوضع[1].

- (يريدون أن يطبقوا على غيرهم، ما لا يطبقوه على أنفسهم)

ظهرت الحناجر الجوفاء من جماعة (الإخوان) يرددون الشعارات ويقولون: (نريد

(١) جريدة التحرير: الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ - ١٤ أبريل ٢٠١٣م - السنة الثانية العدد (٦٥١) ص (٦)

تطبيق الشريعة الإسلامية)، فأين أنتم من هذه الشعارات، وهذه المقولة؟

في أيام حكم المعزول (محمد مرسى) كان جدلاً واسعًا حول موافقة بعض العلماء من جماعة الإخوان على قرض (صندوق النقد الدولى) وكان من بينهم الدكتور (عبدالرحمن البر) مفتى الإخوان وعضو مكتب الإرشاد والذى صَرَّح بقوله: (إن الرِّبَا كحكم عام حرام شرعًا، ولكن هناك فتاوى خاصة بحالات محددة قد تتغير فيها الأحكام والآراء، وقد يكون لها شأنٌ خاصٌ، فمثلاً إذا أردنا أن نبدى الرأى فى حكم الاقتراض من (صندوق النقد الدولى) فيجب أن نعرف المعطيات والظروف وشروط هذا القرض، فقد تكون فائدته مجرد مصاريف إدارية وهذه لا تعتبر فائدة ربوية مثل إعطاء المواطنين قروضًا حسنةً، فليس من المعقول أن بنكًا لديه موظفين وإدارات تتولى إجراء هذا القرض، ثم يتحمل البنك مصاريف إدارة هؤلاء الموظفين لتلك القروض من مرتباتٍ وغيره، فهذه المصاريف يتحملها المقترض، وهى ليست ربا، وعلى هذا فلكل قضية، ولكل موقف فتواه الخاصة وهذا لا يرتبط بالحكم العام).

ومن جانبه شرح الشيخ (سيد عسكر) عضو مجلس الشعب عن حزب (الحرية والعدالة) موقفه لـ(العربية نت) فقال: (نعم كنت معارضًا لقرض صندوق النقد الدولى فى البرلمان المنحل وكانت وقتها حكومة الدكتور (كمال الجنزورى) وهى التى طلبت ذلك دون أن توضح لنا مزايا هذا القرض وعيوبه، وكنا على يقين بأن كل الحكومات السابقة كانت تقترض من الهيئات الدولية، وتغرق مصر وشعبها فى الديون دون أن تفعل شيئًا، وتبدد الأموال).

فهل تحلل الجماعة قرض (صندوق النقد الدولى) بعد وصولها للحكم، وتحرمهُ أثناء حكومة (كمال الجنزورى) وتعتبره ربا؟

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٦).

قوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ أى: يذهب ريعه، ويمحو بركته، وإن كان زيادةً فى الظاهر، فلا ينتفع به فى الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ (الروم: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ ﴾ (الأنفال: ٣٧)، ومعنى قوله: ﴿ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ أى: يكثرها وينميها وإن كانت نُقْصَانًا فى الشاهد.

قَالَ الْقَاشَانِيُّ: (لأن الزيادة والنقصان إنما يكونان باعتبار العاقبة والنفع فى الدارين، والمال الحاصل من الربا لا بركة له، لأنه حصل من مخالفة الحق، فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصى، إذ كل طعام يُوَلِّدُ فى آكله دواعى وأفعالاً من جنسه، فإن كان مُبَاحًا، فإلى مباحه، وإن كان من طعام فضلٍ، فإلى مندوباته، وإن كان بقدر الواجب من الحقوق، فأفعاله تكون واجبة ضرورية، وإن كان من الفضول والحظوظ فأفعاله تكون كذلك، وعليه إثم الربا، وآثار أفعاله المحرمة المتولدة من آكله، فتزداد عقوباته وآثامه أبدًا، ويتلف الله ماله فى الدنيا، فلا ينتفع به أعقابه وأولاده، فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الْمَحْقُ الْكُلِّيُّ، وأما المتصدقُ فلكون ماله مُزَكَّى، فيبارك الله فى تثميره مع حفظ الأصل، وآكلهُ لا يكونُ إلا مُطِيعًا فى أفعاله، ويبقى ماله فى أعقابه، وأولاده منتفعًا به، وذلك هو الزيادة فى الحقيقة، ولو لم تكن زيادته إلا ما صُرِفَ فى طاعة الله لكفى به زيادة، وَأَيُّ زِيَادَةٍ أفضل مما تبقى عند الله؟ ولو لم يكن نُقْصَانُ الربا إلا حصوله من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نُقْصَانًا، وأى نقصان أفحش مما

يكون سبب حجاب صاحبه وعذابه ونقصان حقه عند الله؟) [1].

قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبًا) [2].

وقال رسول الله ﷺ: (لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَكَاتِبَهُ). [3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم من حديث جابر - ﵁ - أن رسول الله ﷺ قال: (لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ، هُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) [4].

وروى الطبراني فى الكبير عن ابن مسعود - ﵁ - أن رسول الله ﷺ قال: (لَعَنَ اللهُ الرِّبَا، وَآكِلَهُ، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [5].

وَبِمَ أنهم تُجَّارُ دِينٍ، وَيُعْلِنُونَ غَيْرَ ما يخفونَ، ويطبقونَ على أنفسهم، غير ما يطبقونه على غيرهم، فَلِمَ يقومون بتحصيل ضرائب السجائر والخمور باعتبارها من الأموال الحرام؟

- ألم تعلن حكومة الدكتور (هشام قنديل) عن مَزَادٍ عَلَنِيٍّ فى يوم الخميس الموافق ٦/٦/٢٠١٣ عن بيع عدد ٦٥٤٠ زُجَاجَةَ خَمْرٍ، فكيف تفسرون ذلك؟

- ألم يقرأوا فى كتابه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

---

(١) تفسير القاسمى، للشيخ/ محمد جمال الدين القاسمى: (٢/ ٢٧١-٢٧٢).

(٢) الحديث ضعيف: جاء فى ضعيف الجامع برقم (٤٢٤٤)، والجامع الصغير برقم: (٦٣٣٦).

(٣) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وأبى داود، والترمذى، وابن ماجه، عن ابن مسعود - ﵁ -، وجاء فى الإرواء برقم: (١٣٣٦)، وغاية الغرام برقم: (٣٤٦)، وجاء فى أحاديث البيوع: للطيالسى، وابن حبان، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٥٠٨٩).

(٤) الحديث صحيح: جاء فى الإرواء برقم: (١٣٣٦)، ومختصر مسلم برقم: (٩٥٥) فى أحاديث البيوع، وجاء فى صحيح الجامع للشيخ الألبانى برقم: (٥٠٩٠ - ١٦٢٣).

(٥) الحديث صحيح: جاء فى الترغيب برقم: (٣/ ٤٩)، وصحيح الجامع برقم: (٥٠٩٤).

- ألم يستمعوا إلى قول رسول الله ﷺ وهو يقول: (لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعِهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرِهَا، وَحَامِلِهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلِ ثَمَنِهَا)[1].

أما عن مشروع الصكوك، فقد أحال الدكتور (محمد البلتاجى) هذا المشروع إلى مجلس الشورى لإقراره، وأكد (محمد البلتاجى) رئيس الجمعية المصرية للتمويل الإسلامى أن اللجنة التشريعية فى مجلس الوزراء انتهت من مراجعة المشروع بالفعل، ويقول: أتوقع أن يُحالُ إلى المجلس، وبالرغم من أن هيئة كبار العلماء فى الأزهر الشريف قد رفضوا المشروع إلا أنهم أصروا على تنفيذه، ولكن عناية الله، أبت أن لاَ يُفَعَّلَ هذا المشروع بثورة ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣م.

الصُّكُوكُ: هى جمع (صك) وتعنى شهادة ائتمانية وتقابل (شيك) باللغة الإنجليزية، وهى عبارة عن أوراق (صكوك) تثبت حق ملكية فى أصلٍ معينٍ، ويمكن تعريفها على أنها وثائق متساوية القيمة عند إصدارها، ويمكن تداولها، ولا تقبل التجزئة، وتمثل حصصًا شائعةً فى ملكية أعيانٍ، أو منافعٍ، أو خدماتٍ، أو فى موجوداتٍ مشروعٍ معينٍ، أو نشاط استثمارىٍّ خاصٍّ، ويراد بذلك تحويل الأدوات المالية والموجودات من الأصول والعقود، كعقود الاستهلاك، والايجارات - إلى صكوك متداولةً تحقق ربحًا، و(الصك الإسلامى) هو ملكيةٌ شائعةٌ فى أصولٍ، أو منافعٍ، وبالتالى فهى متوافقةٌ مع القاعدة الاقتصادية الإسلامية التى تُحَرِّمُ الرِّبَا المتمثل فى ضمان عوائد ثابتة بغض النظر عن الربح، أو الخسارة، وقد وصل عددها إلى أربعة عشر نوعًا، وقد قررت هيئة علماء الأزهر الشريف رفض التعديلات التى قدمتها وزارة المالية على مشروع الصكوك

(١) الحديث صحيح: رواه الحاكم وأبى داود، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - وجاء فى الروض النضير برقم: (٢١٦)، والإرواء برقم: (١٥٢٩)، وصحيح الجامع برقم: (٥٠٩١).

الجديد لكونه لم يتضمن ما يحمى ملكية أراضى الدولة للانتقال إلى أصحاب الصكوك، وقالت المصادر: أنها ستتخذ قرارها بالرفض فى الاجتماع المقرر عقده صباح يوم الأحد ٦/ ١/ ٢٠١٣، لكون المشروع يَضُرُّ بمصالح البلاد، ويعرضُ أملاكها للضياع بالانتقال إلى أصحاب الصكوك، وأكد الأزهر هو الجهة الوحيدة صاحبة الحق فى إبداء الرأى الشرعى، مُحَذِّرَةً أىَّ جهةٍ أُخرى من التدخل فى هذا الشأن، مُعْتَبِرَةً أن أى تدخل سيعود بالضرر ويؤدى إلى أزمةٍ كبيرةٍ فى الوقت الراهن الذى تمر فيه البلاد بالعديد من الأزمات، خصوصًا أن الدولة والحكومة لا تحتاجان إلى أزمة أخرى تضاف إلى أزماتها، وَتَمَسَّكَ الدكتور (أحمد الطيب) شيخ الأزهر الشريف بموقف الأزهر الرافض لمشروع قانون الصكوك الإسلامية المقدم من وزارة المالية لمجلس الشورى، إذا ما ظلت تسمح ببيع أصول ملكية عامةٍ فى الدولة، وقال بيان للأزهر صدر يوم الأحد عقب لقاء الدكتور (محمد عبدالمجيد الفقى) رئيس لجنة الشئون المالية والاقتصادية بمجلس الشورى: (إن أصول الدولة هى ملك للشعب وحده، ويجب علينا جميعًا المحافظة عليها، وأن كل ما لا يتفق مع الضرورات والواجبات الوطنية فهو غير شرعى) [1].

ثم يقول الدكتور (عبدالرحمن البر) مفتى الإخوان، بفتواهُ التى لاَ يُجَانِبُهَا الصوابِ فَيَقُولُ: (أن معتصمى رابعة العدوية يجوز لهم شرعًا الإفطار فى رمضان، لأنهم يجاهدون فى سبيل الله) قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) ووجه الدلالة فى الآية الكريمة شرطين:

الشرط الأول: فقد أوجب الصيام على جميع المسلمين كَافَّةً بشهودهم لهذا الشهر.

الشرط الثانى: فقد استثنت من هذا العموم السابق، وهو وجوب الصوم بشهود

(١) شبكة الانترنت.

الشهر فريقين وهما - من كان مريضًا -، ومن كان على سفر، وهؤلاء المعتصمون شاهدون للشهر، أصحاء، مقيمون، وغير مسافرين، وَمِنْ ثَمَّ، فعموم الآية يتناولهم فى وجوب أداء هذه الفريضة.

الشرط الثالث: وهو القول بجواز الفطر لهؤلاء وأمثالهم، بدعوى الجهاد فى سبيل الله، فهذا مدعاةٌ لانفراط عرى الدين عروة عروة، ويؤدى أيضًا إلى التقصير والتفريط فى بقية الفرائض، فمن يسعى على أولاده، ويعمل فى المصنع، أو فى الفرن أمام لهيب حرارة الشمس، أو فى منجم، وكذا الفلاح فى أرضه تحت لهيب الشمس، ونحو ذلك كل أولئك فى سبيل الله، والقول بإباحة الفطر لأولئك من شأنه أن يقودنا لإباحة الفطر لهؤلاء. أما فكرة (الجهاد) التى تحدث عنها (البر) فهو استدلالٌ فاسدٌ، وغير منضبط، ولا يمكن تعليل الحكم الذى انتهى إليه، فبإسباغ هذا الوصف وهو الجهاد على المعتصمين غير دقيق، فمن الممكن أن نسميهم معتصمين، ومتظاهرين معارضين، فهذا هو الوصف المناسب لهذه الحالة، أما وصف عملهم بالجهاد، فغير سائغٍ؟ ولا جائزٍ، وإلا فهو جهادٌ ضِدَّ مَنْ؟؟؟!!!

وأما القول بجواز الإفطار على النحو سالف الذكر لهؤلاء المعتصمون فى رابعة العدوية، بدعوى الجهاد من وجهة نظره، فهذا من شأنه أن يؤدى إلى القول بجواز الفطر لمن يعتصم فى كل ميادين مصر، بنفس الدعوى، وَكُلٌّ له تأويله السائغ عنده والمؤيد من قبل بعض رجال الفقه والدين، وفكرة الجهاد التى بنى عليها الدكتور (البر) قوله بجواز الفطر مؤسسةً ومؤصلةً على أنهم يدافعون عن شرعية الدكتور (محمد مرسى) الرئيس السابق، وهذه الشرعية قد أسقطها الشعب بملايينه التى خرجت تطالبه بالتنحى، وَمِنْ ثَمَّ فمناط الحكم الذى بُنِىَ عليه، وتم تأصيله عليه، غير موجود عملاً على أرض الواقع، وإنما هو شىءٌ نظرىٌّ بحتٌ، لا يمكن الاعتماد عليه، أو التعويل عليه، فى بناء الحكم الشرعى فى صورته الحالية، لذا نقول للدكتور (عبدالرحمن البر) والذى يتحدث عن

الجهاد، أيكون الجهاد ضد من؟ ضد الشعب المصرى، الذى انتخب الإخوان فى عدة مراحل؟ أليس هو نفسه الشعب الذى سحب هذه الشرعية، وحجب عنهم تلك الثقة؟ أم ضد الجيش المصرى، الذى طالما تغنى به السيد الرئيس السابق وبرجالاته؟ أم ضد من؟ [1].

جِهَادُ النُّكَاحِ

جهاد النكاح واقعة اختلفت الروايات حولها، فالبعض أكد حدوثها وراح يحكى عن الرجل الذى عرض زوجته على أصدقائه، لتمارس معهم الجهاد نكاحًا، وفى مقابل ذلك نفى آخرون حدوث ذلك، وحول جهاد النكاح تقول الباحثة (سامية سليمان): جهاد النكاح بمعنى أن الرجل يمكنه أن يختلى بمن يشاء من النساء ويعاشرها معاشرة الأزواج، فهذا لم يحدث فى (رابعة) ولكن الذى حدث هو أن الشيوخ أفتوا للمعتصمين بأن يتزوجوا من يشاءون لمدة معينة، بمعنى أن أى شاب، أو رجل يمكنه الزواج ممن تقبله من الفتيات، أو المطلقات ويكون الزواج لمدة محددة، ويتم الزواج بمجرد الإشهار دون توثيق عقد الزواج، وتضيف الباحثة فتقول: (رصدت بنفسى حوالى ٢٠ زواجًا من هذا النوع وكانت الخلوة الشرعية للمتزوجين تتم مجانًا داخل خيام المعتصمين، أو مقابل ٣٠ جنيهًا، لكل نصف ساعة فى الشقق المطلة على ميدان (رابعة) التى استأجرها الإخوان لإقامة المعتصمين، أو لتوفير خلوة شرعية للأزواج)[2].

وفى مفاجأة من العيار الثقيل وفى مؤتمر صحفى رسمى قال وزير الداخلية التونسى (لطفى بن جدو) إن نكاح الجهاد حقيقة حدثت بالفعل بعد عودة ١٤ فتاة تونسية من سوريا حوامل من آباء مجهولين، وهذه التصريحات قد أثارت عاصفة من الجدل ليست

(١) وكالة نادى المراسلين العالمية للأنباء. د. عبدالحليم منصور.

(٢) جريدة الوفد الثلاثاء ٢٥ من ذى القعدة ١٤٣٤هـ. أول أكتوبر ٢٠١٣م السنة ٢٧، العدد: (٨٣٠٥) (ص: ٩).

فى تونس وحدها، بل فى عواصم عربية عديدة تنتعش فيها تيارات الإسلام السياسى، وتتصل بما يدور فى سوريا، أو فى بعض دول أخرى تحاول فيها أن تطبق (الجهاد) للوصول إلى السلطة فى تونس، وتجددت ذكريات عاصفة للمجتمع التونسى مع الفتاة (رحمة عطية) ابنة الـ١٦ عامًا والتى خرجت فى عام ٢٠١٢ لتروى لأول مرة قصة حقيقية كانت هى بطلتها عندما أقنعها (السلفيين، والإخوان) فى بلدتها الفقيرة جنوب تونس العاصمة بالسفر إلى سوريا لدعم (المجاهدين) اعتقدت الفتاة أنها سوف تجاهد هناك بتقديم الدعم الطبى لمن يقاتلون (بشار الأسد) من المجاهدين وعناصر تنظيم (جبهة النصرة) الذى تجمع مجاهدوه أكثر من ٨٠ دولة، لكنها حين سافرت إلى هناك اكتشفت الصورة غير ما قيل لها وكما روت: (كنت متدينة وأحفظ القرآن، ومستعدة للدفاع عن الإسلام بأى صورة، ولصغر سنى اعتقدت أن الإسلام يحارب الكفر فى سوريا، وأن بشار هو ممثل هذا الكفر، لكننى عندما سافرت تعاملت مع بَعْض من أقسى القلوب التى يمكن أن يراها إنسان، لقد سمعت مصطلح (نكاح الجهاد) من (مجاهدين) لكنتهم غريبة بعضهم (باكستانى)، وبعضهم (أفغانى) وبعضهم من دول (إفريقية) وقد تزوجت من ١٥ رجلاً فى مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة حيث كنت أخرج من خيمة إلى أخرى ويتناوب عَلَىَّ المجاهدون بعد توقيع ورقة زواج عاجلة، ولم أكتشف أننى ارتكبت خطأً شنيعًا، إلا بعد أن عدت لبلادى ورويت لأسرتى ومعارفى ما حدث وكانت الكارثة [1].

ويفجر (عبدالله فتحى) قنبلة من العيار الثقيل فيقول: (اتصل بى أحد كبار الإخوان بالمنوفية تَـحَفَّظَ على ذكر اسمه، وطلب منى تجميع الناس للمشاركة فى (رابعة) وقال: أنا أعلم على أنك على علاقة بأناس كثيرين بحكم عملك، وقد وافقت على ما طلب بشرط أن آخذ فلوسى مقدمًا وبعد فترة قصيرة من انتهاء المكالمة جاء إلى منزلى نفس الشخص

(١) جريدة الصباح. الاثنين ١٧ ذو القعدة ١٤٣٤هـ ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣م – السنة الأولى، العدد: (١٤) ص: (٢٠).

وأعطانى ٥ آلاف جنيه، وقال دى فلوس لك علشان تجمع الناس وكل راجل تجيبه هياخد ٢٠٠ جنيه وممكن يوصل المبلغ ٤٠٠ جنيه، وقمت بتنفيذ المطلوب ٣ مرات، فى أول مرة ذهبت أنا والناس إلى (رابعة) وقعدت اليوم كله، ولما حاولت أمشى، قالوا رايح فين؟ قلت: مروح، قالوا: ليه؟ قلت: علشان عيالى وبيتى، وكده، فقيل لى: لو أنت مروح علشان تمارس حقك الشرعى مع زوجتك، فأنت مش محتاج تروح، ثم قالوا: هنا حريم مستعدين (لجهاد النكاح)، ومفيش داعى تروح، ولما سُئِلَ عن أن (جهاد النكاح) حقيقة قال: حقيقة، وأنا شفتها بعينى، حتى أنهم طلبوا منى تجميع ستات على استعداد لنكاح الجهاد وقالوا لو جمعت ستات من دول هتاخد ٤٠٠ جنيه فى اليوم[1].

فقد أباحت جماعة الإخوان كل الموبقات حالها كحال فرقة (الحشاشين) والذى كان يتزعمها (حسن الصباح) فقد أحلت لها كل الشهوات، وارتكبت كل الموبقات من الكذب، والخداع، والتدليس، واستحلال أعراض كل المخالفين، والقتل وسفك الدماء، وجهاد النكاح، وكأن فرقة (الحشاشين) وجماعة (الإخوان) اسْتُرْضِعَا من ثَدْيٍ وَاحِدٍ، أَوْ شَرِبَا مِنْ مَعِينٍ وَاحِدٍ.

أما حكم (نكاح الجهاد) فحكمه، حكم نكاح المتعة وقد استقر حكمه على التحريم فى الشريعة الإسلامية، وكان النهى عنه آخر ما صدر من النبى ﷺ بشأنه، فعن الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عن أبيه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ الْفَتْحِ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ)[2].

وعنه ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَقَالَ أَلاَ إِنَّهَا حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ أَعْطَى شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ)[3].

وما استقرت عليه شريعة الإسلام شيءٌ يُسمى بالزواج المؤقت، أو المتعة، وما شابه

---

(١) جريدة الوفد. السبت ١٩ من المحرم ١٤٣٥هـ/ ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م– السنة ٢٧ (ص: ٧).

(٢) أخرجه مسلم: (١٤٠٦/ النكاح / باب: نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ).

(٣) مسلم: (٢٥٠٩).

ذلك، فإنه يُقَامُ عليه حَدَّ الزنا، كما قال عمر بن الخطاب - ﷺ - (لاَ يَأْتِينِي بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلاَّ جَلَدْتُهُ الْحَدَّ ...) ولكن بعض أهل البدع من الضَّالِينَ لا يزالون يَرَوْنَ صحة زواج المتعة وهو نوع من الزواج المؤقت، مع أن ذلك منسوخ فى شريعة الإسلام [1].

فالسياسة تقوم على المصالح المتغيرة، فتتغير فتواها بتغير الظروف والمواقف، دون ضابط من الشرع، أو الفقه، أما الدين، فيقوم على اليقين المطلق، وأما ما شاهدناه فى فترة حكم الرئيس المخلوع (محمد مرسى) فقد قامت القنوات الدينية ومنها قناة (الحافظ) والذى قد وصف (عبدالله بدر) الفنانة (إلهام شاهين) بأفظع الصفات وتطاول عليها بالإساءة إليها بألفاظ أذت سمع كل من استمع إليها وذلك خلال استضافته فى برنامج (ميزان) وذكر أنها فاجرة وأنها ما قدمت للناس إلا عُرْيًا وأنها ما عَلَّمَتْ الناس من خلال أفلامها إلا الفساد وما يدعو إلى الزنا وقال لها كم واحد قبلك باسم الفن، وكم واحد اعتلاك باسم الفن؟ وهى ألفاظ نالت بحق من كرامة وسمعة إلهام شاهين وذلك دون مراعاة لجمهور المشاهدين، كما أشار التقرير إلى أن قناة الحافظ واظبت على استضافة أشخاص ساعدوها فى إلقاء الإساءات، والبذاءات فخرجت بمضمنها عن غاياتها فى خدمة المشاهد الذى لا يستفيد شيئًا من التعرض لأعراض وسمعة وكرامة الآخرين، كما أن ما اقترفته القناة قد شَوَّهَ المادة الإعلامية التى تقدم للجمهور، لذا فقد أوصت هيئة مفوضى الدولة المحكمة (الإدارية العليا) بمجلس الدولة بإصدار حكم نهائى بوقف بث قناة الحافظ لمدة ٣٠ يومًا، ومنع كل من الدكتور (عاطف عبدالرشيد)، والشيخ (عبدالله بدر) من الظهور فى أى قناة أخرى، أو أى برنامج آخر [2].

ألم يقرأ صاحب اللحية الطويلة، والسروال القصير عن (قذف المحصنات)، ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا

(١) موسوعة فتاوى معاصرة: (٣/ ١٥).

(٢) جريدة اليوم السابع. الأحد ٤ من جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ ١٤ أبريل ٢٠١٣م (العدد) (ص: ١).

﴿نَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝٤﴾ (النور: ٤)، ألم يقرأ قول رسول الله ﷺ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)[١].

ويقول رسول الله ﷺ: (مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ)[٢].

ثم يحذر رسول الله ﷺ السيدة عائشة فيقول: (يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ)[٣].

فأين نحن من سُنَّة رسول الله ﷺ أيها المتأسلمون؟ أيكونُ المسلمُ سَبَّابًا، أيكونُ لَعَّانًا، أيكونُ هَتَّاكًا لأعراض المسلمينَ والمسلماتِ؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: ٥).

الشِّعَارُ الثَّانِي: (لا رابطة أقوى من العقيدة، ولا عقيدة أقوى من الإسلام)

كانت النداءات التي تسيطر بها قادة الإرشاد لجماعة الإخوان، ولشبابها هي المحرك الأساسي لتجميع الشباب ليتم بهم السيطرة على الشوارع وإيقاف حركته ليظهر مدى قوة هذه الجماعة ودخول شباب الإخوان في هذا المنزلق، وهذ النفق الخطير، ثم يقومون بغسل أدمغتهم، والسيطرة على عقولهم، كالراعي الذي يسيطر على أغنامه يوجههم بإشاراته كيف يشاء، أو يوجههم بالسير أمامهم، فإذا سار في أرضٍ اتَّبَعُوهُ وساروا وراءه،

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجة عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وابن ماجة عن أبي هريرة، وعن سعد، والطبراني الكبير عن عبدالله بن مغفل، وعن عمرو بن النعمان بن مقرن، والدارقطني في (الإفراد) عن جابر - رضي الله عنه -، وجاء في شرح الحاوية برقم: (٣٦٩)، وإيمان أبي عبيد برقم: (٧٨)، ومختصر مسلم برقم: (٦٦)، وصحيح اجامع برقم: (٣٥٩٥).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وجاء في الأدب المفرد للبخاري، والترمذي، وابن ماجه، وجاء في المشكاة برقم: (٤٨٥٤)، وصحيح الجامع برقم: (٥٦٥٥).

(٣) الحديث صحيح: رواه أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها -، وجاء في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٢-٣٠١٦).

وإذا نزل فى بحرٍ ساروا وراءه، فالنظام الخاص كذلك ليتم السيطرة على هؤلاء الشباب بواسطة قاداتهم، فيوجهونهم إلى أىِّ اتجاهٍ يريدونه، بلا تفكيرٍ، ولا اعتراضٍ، ولا فتح أى مجال للحوار، لأن بنود السمع والطاعة بُنيت على سمعنا وأطعنا، بلا بصيرة، ولا تفكير ولا اعتراضٍ فى إصدار الأمر مهما أن كلفه ذلك، حتى ولو كانت حياته، أيكون جرمٌ فى حق النفس أكثر من أن يفجر الإنسان نفسه بعبوةٍ ناسفةٍ، لِيُقَالُ عنهُ أنهُ شهيد، أى فكرٍ هذا أتى به ليموت على الكفر قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ (المائدة: ٣٢) فما بالك بمن قتل نفسه وغيره، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ، يَنْصُرُ الْعَصَبِيَّةَ، وَيَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ)(١).

فأين التفكير يا أصحاب العقول، ألم يطرأ على أذهان من يقتلون أنفس بريئة، لم نقتل هؤلاء؟ ولم نحن؟ وَلِمَ لَمْ نَرَ أَحَدًا من أولاد قادة التنظيم، أو الإرشاد فى ذلك المشهد الدموىِّ؟ ولكنه السيطرة على عقول هؤلاء من خلال النداءات والصيحات والشعارات ولكن قادتهم حجبوا التفكير عنهم فأصبحوا لا يرون إلا برؤية قاداتهم، ولا يسمعون إلا من أفواه قاداتهم ولذلك قد تمت السيطرة على عقول أصحاب النظام الخاص، وتمت البيعة على السمع والطاعة، بلا بصيرة، ولا يتم ذلك إلا مع مجموعة (النظام الخاص)، وهو الجهاز السرى للجماعة باستعمال المصحف والمسدس، أما (إخوان الأسر) فهو النظام المعمول به لربط الإخوان تنظيميًا وجماعات، باستعمال المصحف فقط، ولكن عَمَّ يُبَايِعُ الفرد؟ إنه يُبَايِعُ على السمع والطاعة، وهذا سِرُّ مفتاح السيطرة والتحكم فى الأفراد، وهو سِرُّ تجمعهم عند نداء قادة جماعة الإرشاد عند الطلب، وذلك هو ما رأيناه

(١) رواه مسلم والنسائى من جندب – رضي الله عنه – ورواه ابن ماجة عن أبى هريرة – رضي الله عنه – وجاء فى السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى برقم: (٤٣٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٤٢).

فى كثير من الأحداث فى العام الذى تولى فيه مرسى رئاسة الجمهورية، فكان (عصام العريان) يجمعهم فى الميادين بإشارة، ويفرقهم بإشارة أيضًا عندما يستشعر رئيس حزب الحرية والعدالة آنذاك هذا (العصام) حتى يذوبوا مع الناس، ويصعب السيطرة عليهم، لذلك قد استغلت قادة التنظيم هذا السمع، وهذه الطاعة العمياء التى ما بعدها طاعة فى استدراج شباب الإخوان والمنتمية إلى (النظام الخاص) فى تطويعهم ودخولهم فى هذا المستنقع، وهذا الشَّرُّ المستطيرُ تحت مسمى أنهم يدافعون عن لواء الإسلام، والإسلام منه براء.

الشِّعَارُ الثَّالِثُ: (الأَنَاشِيدُ الدِّينِيَّةُ)

كانت الأناشيد الدينية فى فترة الأربعينيات، والثمانينات، تلهب حماس البسطاء وغير البسطاء من الشعب المصرى، لأن هذا الشعب الطيب المثالى الجميل، تهزه الكلمة، وتحرك مشاعره الكلمة الرقيقة الرقراقة، فمن أجل ذلك أكثر الإخوان، والسلفية الجهادية من تلك الأناشيد وهذه الشعارات مثل:

لَبَّيْكِ يَا قُدْسُ الْحَبِيبَةِ كُلُّنَا نَحْمِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ تَفْدِيكِ الرِّقَابُ بِالْأُلُوفِ الْمُسْلِمَهْ
لَبَّيْكِ . لَبَّيْكِ . لَبَّيْك
أَنَا عَائِدٌ يَا قُدْسُ عَائِدٌ رَغْمَ الآفِ السُّدُودْ
أَنَا حَامِلٌ رَوْحِى بِكَفِّى أَبْتَغِى أَجْرَ الشَّهِيدْ
يَا قُدْسُ لَنْ أَنْسَى
فَجَدِّى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدْ
لَبَّيْكِ . لَبَّيْكِ . لَبَّيْك

فِى سَبِيلِ اللهِ قُمْنَا نَبْتَغِى رَفْعَ اللِّوَاءْ
لاَ لِحِزْبٍ قَدْ عَمِلْنَا نَحْنُ للهِ مِنْ فِدَاءْ
فَلْيَعُدْ لِلدِّينِ مَجْدُهْ أَوْ تُرَقْ مِنَّا الدِّمَاءْ

* * *

إِلَى الْقُدْسِ هَيَّا نَشُدُّ الرِّحَالْ نَدُوسُ الطُّغَاةَ نَفُضُّ الْمُحَالْ
وَنَمْحُو عَنِ الْأَرْضِ فُجَّارُهَا بِعَزْمِ الرِّجَالِ وَسَيْلِ النِّضَالْ
بِعَزْمِ الْأُسُودِ وَمَجْدِ الْجُدُودِ وَنَارُ الْحَدِيدِ وَنُورُ الْهِلَالْ
فَهَلاَّ سَمِعْتُمْ يَا إِخْوَتِى حَنِينُ الرِّمَالِ بُكَاءُ الْجِبَالْ
وَنَوْحُ الْمَآذِنِ فِى لَوْعَةٍ وَآهِ الْحَصَى وَأَنِينُ التِّلَالْ
وَشَعْبِى الشَّرِيدُ يَسِيلُ دَمًا وَمَسْرَى الرَّسُولِ يَئِنُّ اشْتِعَالْ

ثُمَّ يَهْتِفُونَ بِشِعَارٍ يُحَرِّكُ الدَّمَ فى الشَّرَايِينِ، أَلاَ وَهُوَ:

(الجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أغلى أمانينا)

واتضح أن هذه الشعارات كانت شعاراتٍ جوفاءِ، لا معنى لها عند قائليها، ومردديها والهدف من وراء ذلك هو فتح باب التطوع، أى: يعنى فتح معسكرات التدريب، وفتح باب التبرع لجمع المال، وشراء السلاح، ثم تخزينه لحساب الإخوان، فتتكدس خزانة الإخوان بالأموال من تبرعات المسلمين من كل الدول الإسلامية، كما حدث سنة ١٩٤٨، وكان الهدف من ذلك ليس محاربة إسرائيل، وإنما الهدف هو محاربة الشعب المصرى والاستيلاء على السلطة، والركوب عليها حتى لو سالت دماء المسلمين فى الشوارع، وهذا ما ظهر

بعد فض اعتصامى رابعة والنهضة يوم الأربعاء ١٤ أغسطس ٢٠١٣م.

يقول الأستاذ ثروت الخرباوى: (إن الكتائب التى أرسلها البنا إلى فلسطين لم تذهب إلا لغزة وخان يونس، ولم تدخل إلى العمق الذى كانت الحرب فيه على أشدها، إذ إن الذى قاتل قتالاً حقيقيًا من المتطوعين هم كتائب (أحمد حسين) صاحب جمعية مصر الفتاة، ولكن دعايات الإخوان أعطت لجماعاتهم الدور الريادى على غير الحقيقة! [1]

ويقول الأستاذ (على عشماوى): (إن الإخوان لابد أن يجنوا الفائدة من كل عمل يقومون به فيكون منظره الخارجى عملاً وطنيًا، فلما أقاموا المعسكرات لتدريب الإخوان على حمل السلاح من أجل فلسطين، قاموا بتشوين نصف السلاح في مخابئ سرية خاصة بالجماعة، وقد تم اكتشاف العديد من تلك المخابئ سنة ١٩٥٤م) [2].

إذن، فتنقسم الأناشيد فى عُرْفِ جماعة (الإخوان) إلى قسمين:

قسمٌ تحت مُسمَى بَثِّ عَطْفِ عَامَّةِ المسلمينَ، لأنهم يعلمونَ جيدًا أَنَّ قضية (القدس الشريف) واستيلاء اليهود على هذه الأرض المقدسة تَشْغَلُ بَالَ كُل مُسْلِم، فيدخلون من خلال هذا المنعطف للتوجه بعد ذلك الاستعطاف إلى قيام أهل الخير بالتبرع وإعلان الحرب على إسرائيل ومن عاونها، فَيُرَدِّدُونَ الأناشيدَ الحماسيةَ التى تُلْهِبُ مشاعر المسلمين: لِيُفْرِغَ المتحمسينَ من المسلمينَ بما فى جُيُوبِهِمْ من أموالٍ، ومصوغاتٍ ذهبيةٍ وفضية لأجل ذلك، لأن الإخوان كانوا دائمًا يرددون تلك الأناشيد مثل: (لبيك يا قدس الحبيبة).

وأما القسم الثانى: وهو إلهاب العناصرُ الشَّابَّةُ من جماعة الإخوان على تدمير الجماجم، وياليتها جماجم أعداء الإسلام، ولكنها جماجم المصريين من رجال الجيش والشرطة، وحرق سياراتهم وممتلكاتهم وإراقة دمائهم، ومحاربة كل من ينتمى للسلطة:

(١) أئمة الشر، للأستاذ/ ثروت الخرباوى: (ص: ٢٤٢).

(٢) التاريخ السرى لجماعة الإخوان المسلمين، للأستاذ/ على عشماوى: (ص: ٥١).

أو يحرص على حماية هذا الوطن، لأنهم زرعوا فى نفوس هذا النشئ تكفير السلطة ومن والاها، وكان ذلك فى سرِّيَّةٍ تَامَّة، ولذلك فإن المتبرع الذى قَدَّمَ أموالهُ النقديةِ، وَمُدَّخَرَاتُهُ الفضيةِ والذهبيةِ تَبَرُّعًا من أجلِ (القضية الفلسطينية)، لم يعلم علم اليقين أن هذه الأموال سَتُطِيحُ بِهِ، وبأسرته، أو بأخيه، أو أبيه، أو أمه، وأن هذه الأموال الذى قَدَّمَهَا طَوَاعِيَةً هى التى دَمَّرَتْ جماجم أحبابه وفلذة أكباده، مثل:

لَبَّيْكِ إِسْلاَمَ الْبُطُولَةِ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِعِزِّكِ سُلَّمَا
لَبَّيْكِ إِنْ عَطِشَ اللِّوَاءُ سَكَبَ الشَّبَابُ لَهُ الدِّمَا
لَوْنُ الدِّمَاءِ غَدًا سَيَصْنَعُ مِنْ كِتَابِىَ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِعِزِّكِ سُلَّمًا يَا سُلَّمَا
لَبَّيْكِ إِنْ عَطِشَ اللِّوَاءُ سَكَبَ الشَّبَابُ لَهُ الدِّمَاً
لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ لَبَّيْك
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِعِزِّكَ سُلَّمَا
هَذِى الْجُمُوعُ غَدًا سَيَجْمَعُ شَمْلُهَا فِى دَوْلَتِى
وَلَسَوْفَ تَنْهَضُ كَىْ تُحَطِّمَ بَاطِلاً فِى جَوْلَتِى
وَلَسَوْفَ تَنْهَضُ فِى الْآفَاقِ الْخَافِقَاتِ بُنُودُهَا
لَوْنَ الدِّمَاءِ غَدًا سَيَصْنَعُ مِنْ كِتَابِىَ عِزَّتِى
وَلَسَوْفَ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ الْأَبْطَالُ عَاشَتْ رَايَتِى
لَبَّيْكِ إِسْلاَمَ الْبُطُولَةِ كُلُّنَا نَفْدِى الحِمَا
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِمَجْدِكِ سُلَّمَا

يَارَبِّ إِنِّى قَدْ سَأَلْتُكَ فَاسْتَجِبْ لِى دَعْوَتِى
قَدْ بِتُّ أَنْتَظِرُ اللِّقَاءَ يَوْمًا فَعَجِّلْ رِفْعَتِى
هَذَا سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ فَآمِنْ لِى رَوْعَتِى
لَبَّيْكَ إِسْلَامَ الْبُطُولَةِ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكَ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِمَجْدِكَ سُلَّمَا

الشِّعَارُ الرَّابِعُ: (خيبر. خيبر. يا يهود . جيش محمد سوف يعود)

بعد أن نقض اليهود لعهد مع المسلمين فى معركة (الخندق) وعاقبهم رسول الله ﷺ فى غزوة (بنى قريظة) وتم طردهم خارج المدينة، واتجه أغلبهم إلى (خيبر) وأصبحت خيبر المكان الرئيسى لانطلاق المكائد والدسائس على المسلمين، وإقامة الأحلاف العسكرية مع أعداء الإسلام، فقد عقدوا حِلْفًا مع (غطفان) لتكوين جبهة موحدة ضد المسلمين، واستقر المسلمين لغزو (خيبر) فى محرم من السنة السابعة من الهجرة، وجهز رسول الله ﷺ جيشًا قوامه ألف وربعمائة مجاهد.بينهم مائتا فارس بقيادة الرسول ﷺ، وبعد أن استطاع المسلمين إسقاط أول حصن كان يسمى حصن (ناعم) ثم بدأت الحصون تنهار واحدًا تلو الآخر حتى لم يتبق منهم سوى حصنى (الوطيح، والسلالم) فحاصرهم المسلمون أربعة عشر يومًا، فلم يَرَوْ غير الاستسلام، وطُردوا شر طرده،

وأما ما جاء عن هذا الشعار، فقد كان الإخوان، والسلفية الجهادية يصدرونه فى المشهد آنذاك لِيُلْهِبُوا مشاعر الجماهير، وليضموا أعدادًا غفيرةً ورائهم، وَلِيُبَيِّنُوا للمصريين أنهم ضد اليهود، ولكنهم فى الباطن، ومما وراء الستار يتحالفون مع اليهود، فتعالوا لنرجع إلى الوراء قليلاً لنتذكر ما قاله الدكتور مرسى فى مجلس الشعب وكلامه عن اليهود، ومعاداته للسامية فى ٢٠١٠م، فكان يَحُضُّ فيها المصريين على كراهية اليهود، والصهاينة وقد وصفهم بأنهم (مصاصى الدماء، وهم الذين يهاجمون الفلسطينين، وهم دعاة الحرب، وأحفاد القردة

والخنازير) وقال أيضًا فى لقطاتٍ من الفيديو لقطاع غزة (يجب أن لا ننسى أيها الإخوة أن نربى أطفالنا وأحفادنا على كُرْهِ اليهود والصهاينة) وأشار إلى أن حركة حماس امتداد لجماعة الإخوان، فقال: (إن فلسطين لن تحرر إلا عن طريق المقاومة) فتصريحات مرسى فى الماضى تختلف تمامًا عَمَّا صَرَّحَ به وهو يعتلى كرسى رئاسة مصر، فهذا نص الرسالة التى أرسلها مرسى إلى (شيمون بيريز) رئيس دولة إسرائيل، وقد سلمها السفير المصرى الجديد فى تل أبيب (عاطف سالم) ونص الرسالة يقول:

من محمد مرسى

رئيس جمهورية مصر العربية

إلى صاحب الفخامة السيد شيمون بيريز رئيس دولة إسرائيل

عزيزى وصديقى العظيم

لما لى من شديد الرغبة فى إطراد علاقات المحبة التى تربط لحسن الحظ بلدينا، فقد اخترت السيد السفير عاطف محمد سالم، ليكون سفيرًا فوق العادة ومفوضًا من قبلى لدى فخامتكم وأن ما خبرته من إخلاصه وخبرته وما رأيته من مقدرته فى المناصب العالية التى تقلدها لما يجعل لى وطيد الرجاء فى أن يكون النجاح نصيبه فى تأدية المهمة التى عهدت إليه فيها، ولاعتمادى على ما سيبذل من صادق الجهد ليكون أهلاً لعطف فخامتكم وحُسن تقديرها، أرجو من فخامتكم أن تتفضلوا فتحيطوه بتأييدكم وتولوه رعايتكم، وتتلقون منه بالقبول وتمام الثقة ما يبلغكم إليه من جانبى، ولا سيما إذا كان له الشرف بأن يعرب لفخامتكم عن ما أتمناه لشخصكم من السعادة وبلادكم من الرغد).

تحريرًا برئاسة الجمهورية بالقاهرة

فى ٢٩ شعبان ١٤٣٣هـ

١٩ يوليو ٢٠١٣م

ولك عزيزى القارئ أن تلاحظ فى نهاية الرسالة باعتراف الرئيس مرسى بدولة إسرائيل فى فلسطين المحتلة وهو يقول: وبلادكم من الرغد.

ونلاحظ أيضًا أن فى فترة حكمه لمصر على مدى العام لتوليه رئاسة مصر أنه لم يذكر كلمة إسرائيل ولو ببنت شفه، لا محذرًا، ولا مستنكرًا، ولا ممجدًا وهو ما يدعوا إلى الغرابة والتعجب، ولكن من عنده حنكة بالأمور السياسية يعلم جيدًا أن هذه السيناريوهات متفقًا عليها ثم تأتى بعد ذلك تصريحات (عصام العريان) ومناشدته للجاليات اليهودية بالرجوع إلى أرض مصر مرةً أخرى مِمَّا جَرَّأَ الهيئة اليهودية بباريس على تقديم طلب تعويض بقدر ٣٠ مليار دولار لليهود الذين أُجبروا على مغادرة مصر وتركوا ممتلكاتهم فى جميع المحافظات، كما نصّت عليه جريدة الدستور وجاء فيها: (أرسلت الهيئة اليهودية المصرية بباريس برقية شكر لجماعة الإخوان المسلمين وبالتحديد (للعريان) رَدًّا على تصريحاته بعودة اليهود إلى مصر واسترداد أملاكهم، وقالت اهيئة اليهودية فى نص البرقية (نهنئ الشعب المصرى، ونهنئكم على دستور جمهورية مصر العربية الجديد ونأمل أن يكون دستورًا يجعل من مصر استقرارًا ونموًا ويحصل اليهود المطرودين من مصر على حقوقهم الضائعة والمغتصبة والتى تصل إلى أكثر من ٣٠ ميار دولار) وأضافت الهيئة اليهودية: (نشكر القيادى الإخوانى (عصام العريان) على دعوته الرسمية لليهود المصريين بالعودة من إسرائيل، واسترداد أملاكهم حتى يفسحوا المجال للفلسطينيين بعد أن طردنا الزعيم (جمال عبدالناصر) وقال الدكتور (أشعياء وليم) رئيس الهيئة اليهودية المصرية بباريس: (نهنئ المصريين على الدستور الجديد الذى يُعَدُّ أنطلاقةً للدولة المدنية المصرية الحديثة، كما نهنئ أنفسنا على الدعوة الرسمية للدكتور (عصام العريان) لعودتنا لمصر والحصول على حقوقنا، وأضاف (وليم) فى المذكرة الثانية المرسلة أمس للقصر الجمهورى أننا رفضنا تقديم مشروع قانون للكنيست العام الماضى منذ اندلاع الثورة المصرية من أجل استعادة أملاك اليهود فى مصر وحقوقنا التى تركت بعد الإعلان عن

قيام دولة إسرائيل؛ مُؤَكِّدًا أن أملاك اليهود فى مصر تصل إلى ٣٠ مليار دولار لليهودى ذوى الأصول المصرية والذين أُجبروا على مغادرة مصر وأكد (وليم) أن لدى اليهود المصريين عددًا من القضايا المرفوعة منذ سنوات وأبرزها قضايا المطالبة بتعويضات عن ممتلكات اليهود فى مصر، مثل قضية رجل الأعمال اليهودى (ألبرت مستجر) والذى يمتلك عددًا من الفنادق الكبرى فى الإسكندرية، والمعروفة حاليًا بفندق (سوفيتيل) على شاطئ الكورنيش)[1].

× **الشِّعَارُ الْخَامِسُ، أَوِ النِّدَاءُ الْخَامِسُ يَقُولُ: (أمريكا عدوة الله، لعن الله أمريكا، ولعن الله من والاها، لعن الله أمريكا وإسرائيل. احرقوا أعلام أمريكا. إنهم قوم لا يتطهرون).**

دائمًا تتناقض الأفعال والأقوال عند الإخوان، فهم يقولون عكس ما يفعلون، ويفعلون عكس ما يصرحون، فعندما ينادون بشعاراتٍ تملأ الآفاق فى الشوارع والميادين، وكأنها قذائف صاروخية ليدغدغوا بها عاطفة البسطاء، فينادون بمقاطعة البضائع الأمريكية، والإسرائيلية، وهم يستخدمونها فى بيوتهم، فالظاهر أنهم ضد أمريكا وإسرائيل ومن يوالوهم، والباطن وما يخفونه بين الكواليس والسراديب والأنفاق، أنهم يتفقون معهم، ويجلسون معهم على مائدة المؤامرات والتآمرات على شعب مصر وأرضها وأمنها.

يكشف الدكتور (سعد الدين إبراهيم) بصراحته الأمريكية عن أنه كان عراب الاتفاق بين الإخوان والأمريكان، بل والمجتمع الغربى كله، قال سعد الدين إبراهيم فى حوار صحفى عام ٢٠٠٤: (حقيقة الأمر أن حواراً بدأ بينى وبين الإخوان فى سجن (مزرعة طرة) وكان أساسه: لماذا اهتم العالم بى، ولم يهتم بالإخوان. وبعد الخروج من السجن، اجتمعنا أنا وبعض أعضاء الجماعة الإسلامية أمثال (عصام العريان، ومحمد عبدالقدوس) وبعض الغربيين وجلسنا فى النادى السويسرى بإمبابة فى مصر، واستمر

(١) جريدة الدستور. الاثنين ١٨ صفر ١٤٣٤هـ. ٣١ ديسمبر ٢٠١٢م (العدد ١٩٢١ – الإصدار الثانى) (ص: ٣).

الحوار يومًا كاملاً، ثم تركتهم معًا لاستكمال الحوار وهذا كان دورى).

وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ قالت السيدة هلارى كلينتون فى مؤتمر صحفى لها فى بودابست: إن الإدارة الأمريكية تواصل سياسة إجراء اتصالات محدودة مع جماعة الإخوان، وهى اتصالات مستمرة، وجاء الحبل الأمريكى إلى مقر جماعة الإخوان، وكان الحبل الأمريكى الأول هو (وليم بيرنز) مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية (هيلارى كلينتون) وجلس مع قيادات الجماعة فى جلسة سرية، لم يُعرف ما دار فيها، وما حدث خلالها، حتى إن قيادات الجماعة منعت الصحفيين من حضور اللقاء، ومع ذلك فإن لقاء الإخوان مع (وليم بيرنز) فى حد ذاته كان لقاءً مستغربًا، وظهر من خلاله أن قيادات الجماعة ترغب فى لقاء أى شخصية أمريكية حتى ولو كان من شأنها تلويث البحر المتوسط، فوليم بيرنز هو أحد الأعمدة الصهيونية فى الحكومة الأمريكية، وأحد أكابر الداعمين لكل الاعتداءات الإسرائيلية التى حدثت ضد الشعب الفلسطينى، ويُعتبر نفسه مبعوث العناية الأمريكية لحماية أمن إسرائيل، لدرجة أنه سبق أن صرَّح بأنه لا يريد تحقيق أمن إسرائيل فقط، ولكنه على حدِّ قوله: (أنا أبحث عن رفاهية إسرائيل)، وعندما التقى (كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكية الأسبق مع وزير الخارجية المصرى السابق (محمد العرابى)، وكان اللقاء فى اسطنبول، وفى هذا اللقاء قال (كسينجر للعرابى): الإخوان المسلمون قادمون فى مصر، وأنا متأكد تمامًا أن الإخوان سيحكمون مصر قريبًا، وإذ سأله العرابى وما موقف أمريكا من هذا؟ قال كيسنجر للعرابى: ليس لدى أمريكا مشكلة لأن كل ما يهم الإدارة الأمريكية ثلاثة أمور مفصلية فى مصر، هى: الالتزام باتفاقية السلام مع إسرائيل، وضمان سلامة الملاحة فى قناة السويس، وأن تستمر الولايات المتحدة مصدرًا لتسليح الجيش المصرى[1].

(١) أماكن متفرقة من كتاب أئمة الشر، لثروت الخرباوى.

علاقة الإخوان بأمريكا

علاقة الإخوان بأمريكا ليست بجديدة، وقد كشفت تقارير تابعة للصحف الأمريكية أن هذا التواصل بين الجانبين لم ينقطع أبدًا، وكان قائمًا قبل ثورة يناير ولكنه لم يكن ظاهرًا على سطح الحياة السياسية المصرية بالشكل الكافى، ولاعتباراتٍ خاصةٍ بمصلحة الطرفين، فعلانية تلك اللقاءات كانت موضع نقد من بعض الدوائر الحكومية والسياسية المصرية، كزيارة (ريتشارد دونى) مسئول الاتصال السياسى بالسفارة الأمريكية لمقر جماعة الإخوان القديم (بشارع التوفيقية) بقيادات الجماعة واجتماعه بقياداتها، ولقاء دكتور (سعد الكتاتنى) القيادى الإخوانى مع (سيتى هوبز) زعيم الأغلبية الديموقراطية بالكونجرس بمقر السفارة الأمريكية بالقاهرة، فهذه اللقاءات كانت محل رصد وعلامات استفهام من جانب الصحف المصرية القومية والمستقلة على حد سواء، وحقيقة التواصل بين الإخوان والإدارة الأمريكية يبدو استجابة لتيار صاعد فى الدوائر السياسية والبحثية الأمركية يزكى العودة للحوار مع الإسلاميين المعتدلين، وبما يتفق مع معطيات مرحلة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر، فهناك تقرير صادر من (معهد بروكنجز) يوصى أوباما باستئناف الحوار مع الإخوان لمنع الجماعات السلفية من بسط سيطرتها على الحياة السياسية ومقاعد المجلس التشريعى فى مصر مع السماح للسفارات الأمريكية بإجراء نقاش مع التيار الوسطى الإسلامى بعد نحو عقد من قرار الرئيس الأمريكى (بوش) قطع هذه الاتصالات، هذا التقرير بَرَّرَ موقفه بأن قنوات الحوار المفتوحة مع الإخوان ستتيح للولايات المتحدة فرض بعض من نفوذها على الاستراتيجيات التى يتبعونها وخاصة ما يتعلق منها بالمشاركة فى الانتخابات والوصول للسلطة، كما يمكن توظيف النشاط الإخوانى السياسى والدعوى فى بعض البلدان الأوربية لصالح تنمية وتأييد سياسات أمريكا بالمنطقة، وأراء بعض القضايا الدولية،

وفى المقابل يقترح التقرير أن تسمح الولايات المتحدة بتمدد النفوذ الإخوانى فى مصر، وأن تكون هناك أيضًا تسهيلات سياسية ودعوية له بأنحاء العالم، بالإضافة لفتح أكثر من مركز خدمى ودعائى للجماعة بأمريكا ودون ممارسة أى ضغوط عليها، كما ستقدم الولايات المتحدة دعمًا ماليًّا للجماعة، وستلوح بجملة مساعدات ضخمة (لحزب الحرية والعدالة) لو تم تنفيذ أجندة أمريكية واضحة المعالم بمجلس الشعب القادم، وكذلك عند إعلانها لمرشحها الرئاسى، أو تزكيتها لمرشح بعينه ترضى عنه الإدارة الأمريكية، كما أن موقف جماعة الإخوان من القضية الاجتماعية والطبقية – الوارد ببرنامج حزب (الحرية والعدالة) يتحرك بوضوح على أرضية اليمين المؤمن بالاقتصاد الحر وقوى السوق، وجهاز الأثمان، وهو ما تشجعه الإدارة الأمريكية وتحرص عليه، كما أن نمو (الرأسمالية الملتحية) بمصر ووجود حكومة إخوانية راعية لصعودها وازدهارها مع توجهاتها الداعمة لعدم فرض سياسات حمائية، أو عرقلة تمدد الشركات الدولية وحركة رأس مالها الساخن – هى مفردات تؤهل قبول الجماعة لدى العم (سام) ولا يمثل الموقف الإخوانى من الصراع العربى الإسرائيلى عائق أمام تطور علاقة الجماعة بالإدارة الأمريكية، فالمرشد العام الحالى (د. محمد بديع، د. عصام العريان) أعلنا فى أكثر من مناسبة أنه لا تراجع عن معاهدة (كامب ديفيد) مع إسرائيل، الأمر الذى يعكس تغيرًا فى الخطاب الإخوانى التقليدى تجاه إسرائيل وَيُعَدُّ اعترافًا بوجودها كدولة جوار.[1]

الشِّعَارُ السَّادِسُ: (الْمُشَارَكَةُ، لاَ الْمُغَالَبَةُ)

عندما كان الحزب الوطنى متصدر الساحة السياسية أيام الرئيس (محمد حسنى مبارك) كان الإخوان يُطلقون هذه النداءات، وهذه الشعارات فى الشارع المصرى ليستعطفوا قلوب المصريين، ليتحالف معهم من يتحالف، وليقف بجانبهم من

(١) شبكة الانترنت. جريدة الأهرام ١٥ أغسطس ٢٠١٢م.

يقف، وليتوجه معهم إلى صناديق الانتخابات من يتوجه تعاطفًا معهم من أجل تلك الصيحات، لأن الحزب الوطنى كانت له المغالبة فى تلك الآونة، فأين هم من اتفاقهم مع اللواء (حسن عبدالرحمن) مدير مباحث أمن الدولة واتفاقهم معه بمعرفة الرئيس (محمد حسنى مبارك) على فوزهم فى انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥ بنجاح ٨٨ من مرشحيهم لمجلس الشعب، فما كانوا يشتكون منه قبل تَوَلِّيهم السلطةَ أصبحوا يطبقونه بالمسطرة عندما استولوا على السلطة، وتمكنوا من السطو على كرسىِّ الرئاسة فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢م، فأصبح كل ما يعانونه من الظلم والقهر والتهميش فى عهد مبارك أذاقوه للشعب المصرىِّ فى عهدهم، ولكن بطريقة ضحلة، ليس بها حرفية نظام (الحزب الوطنى) وذلك بسبب غبائهم السياسىِّ، لأنهم تعجلوا التمكين، فأخونوا أعدادًا كبيرة من الوزارات فى أقل من عام على ملإ من الجماهير الغفيرة من الجمهورية، ولكن كانت آذان السلطة كانت أذنٌ من طِينٍ، وَالأُخْرَى من عَجِينٍ، وقد بلغ عدد المتأخونين فى السلطة والوظائف الحكومية المرموقة بنحو ١٣٠٠٠ إخوانى فى جميع محافظات جمهورية مصر العربية، وكان العدد سيزيد أضعاف ذلك بكثير بعد ثورة ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣ لكنها إرادة الله أوقفت ذلك التمكين، وأوقفت السب والتشهير من المعارضين، فكل من اعترض على قراراتهم، ولم يكن فى صفهم أُطلقوا عليه لفظ (الفلول) وعندما سُئل (صبحى صالح موسى أبو عاصى) وهو الرجل الذى كان يشغل عضو اللجنة التشريعية بمجلس الشعب، عن أخونة المؤسسات، فقال: (هذا كلام سخيف، فلدينا ٧ ملايين موظف حكومى، ولا يعقل أن نستبدلهم بين ليلة وضحاها بموظفين إخوانيين، أما بالنسبة لاستعانة الرئيس بمن يؤمن بمشروعه، فهذا حقه، فالأهلى عندما يفوز بالكأس لا يمنحه للزمالك، أما اختيار موظفى الدولة فتلك أمور تحكمها القوانين واللوائح، أما من يقولون هذا الكلام، فلا يوجد توصيف لهم إلا إحساسهم بمرارة الفشل، لأن الرئيس (مرسى) يحكم دولة أكثر من ثلثيها (فلول)، ونحتاج لأخونة باقى مؤسسات

الدولة حتى نكون مسئولين عن البلاد)[1].

فإذا بحثنا عن الأصل اللغوى لكلمة (فَلّ)، أى: فَلَّ السَّيْفُ، فَلَلاَ، أَىْ: تَثَلَّمَ حَدُّهُ، وَالْفَلُّ: كَسْرٌ فِى حَدِّ السَّيْفِ، وَهُمْ قَوْمٌ فَلٌّ، أَىْ: قَوْمٌ مُنْهَزِمُونَ[2].

وقد شاع استخدام هذه الكلمة فى مجال السياسة لوصف بقايا نظام بائد، سواء كان هذا النظام جيشًا مهزومًا أو نظامًا سيسيًا قُضِىَ عليه، وقد انتشرت هذه الكلمة بعد سقوط نظام (مبارك)، وقد زاد هذا اللفظ لمعانًا فى فترة الرئيس المعزول (محمد مرسى) لوصف أعضاء مبارك وحزبه المنحل وانهيار نظامه، حيث أطلقتها وسائل الإعلام على نظامه، وعلى الأخص أعضاء الحزب الوطنى الديمقراطى، والذى صدر حكم قضائى بحَلِّهِ وتسليم مَقَارِّهِ، وقد أصبحت الكلمة أيضًا مثار استهزاء وسخرية من الكثير من الكُتَّابِ والمدوِّنين بوصفها غير محددة المعالم، وأثارت رسالة أصدرها المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى تولى مسؤولية حكم مصر بعد انهيار نظام مبارك أيضًا تساؤلاتٍ عديدةٍ حينما أورد هذه الكلمة فى رسالته الرابعة والثلاثين والتى اتهم فيها فلول النظام السابق ويقصد به نظام مبارك بالبلطجة، ويُطلق لفظ (الفلول) فى غير موضعه، لأن الفلول المفترض أن تكون هى الفئات الأضعف، والأقل عددًا والباحثة عن فرصة للتعبير عن نفسها، أو إثبات براءتها مما ارتكب من جرائم، أو العمل على تحسين صورتها أمام الرأى العام، بينما الظاهر للجميع بوضوح أن ما يحدث على أرض الواقع يؤكد أن من يطلق عليهم الفلول هم أصحاب الصوت الأعلى والمسيطرون على وسائل الإعلام الخاصة والحكومية المكتوبة والمرئية، ومن كان منهم يُنافق الحاكم السابق بمقدار معين، وزاد نفاقه للثوار أضعافًا، ولم يفقد أيًا منهم مميزاته وصلاحياته، بل على العكس تمامًا زادت نجومية الكثيرين منهم، وبعد أن كان الكثير منهم من رجال الرئيس أصبحوا

(١) جريدة الصباح. الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ - ١٥ أبريل ٢٠١٣م (العدد ١٨٦) (ص: ١٣).
(٢) المعجم الوجيز ص: ٤٨١.

الآن من رجال الثورة، ومع الوقت بدأ البسطاء يتأكدون أنهم كانوا يُرَوْنَ المشهد بشكلٍ خاطئ، وأن من يرونهم من نجوم الإعلام من الفلول ليسوا كذلك، وإنما هم مواطنون شرفاء لم يلوثهم النظام السابق، وإنما كانوا مناضلين فعلاً، ولم نكن نحن نراهم جيدًا لأننا على ما يبدو نحن الفلول الفعليين دون أن ندرى، وفى الأمثال يُقال: (لاَ يَفِلُّ الحديد إلا الحديد)، وورد عن عنترة فى قوله: (الشجاعة فى القلوب الحديد تَفِلُّ جلمود الصخر كما يَفِلُّ المبرد العود) و(فَلَّ عَنْتَرَةَ جَيْشَ الْأَعْدَاءِ فَلاًّ)، أى: ألحق بهم هزيمة نكراء. [1]

الشِّعَارُ السَّابِعُ: (يَسْقُطْ. يَسْقُطْ حُكْمُ الْعَسْكَرْ)

قبل أن نستطرد فى تفاصيل هذا الشعار، لأَبُدَّ لنا أن نعرف المعنى اللغوى لأصل كلمة (العسكر) العسكر: (الجيش، وجمعه عساكر) و(عسكر القوم بالمكان، أى: تجمعوا) و(الْعَسْكَرِىُّ: الْجُنْدِىُّ) و(الْمُعَسْكَرُ: مَكَانُ الْعَسْكَرِ وَنَحْوِهِمْ) [2].

فإذا أرادوا بهذا الشعار كما يدعون إسقاط حكم العسكر، فمن لنا بعد الله، إلا هم؟ ومن يحمى حمى مصر إلاهم؟ ومن يحمى ترابها، ويحافظ على حدودها ومقدراتها إلاهم؟ ومن يزود عن أرضها وسمائها إلا هم؟ ومن رُوى بدمائه رمال سيناء إلا هم؟

ألم يخرج الزعيم الخالد. الوطنى الخالص الأصيل المتأصل (جمال عبدالناصر) من تحت عباءة حكم العسكر؟ وقبل أن نذكر إنجازات هذا الزعيم الخالد، وجب علينا أن نذكر ما شهد به أعدائه: (كانت كل الدول تسعى للتقرب من (جمال عبدالناصر) ذلك الرجل (ساحر القلوب والعقول) كما وصفته رسميًا الوثائق الأمريكية (منتهى السرية) وكان البيت الأبيض فى العاصمة الأمريكية واشنطن يخطط للتعامل مع الرئيس جمال عبدالناصر، وَوُجِدَتْ فى تلك الوثائق أن الرئيس الأمريكى (داويت دافيد إيزنهاور)

---

(١) شبكة الانترنت.

(٢) المعجم الوجيز ص: ٤١٨.

قد أعد للرئيس جمال عبدالناصر خطة سلام متكاملة لإقرارها فى الشرق الأوسط)[1].

(وفى الواقع قد سارت المفاوضات بين الرئيس جمال عبدالناصر والولايات المتحدة الأمريكية فى هدوء شديد، ولم يكن الرئيس جمال عبدالناصر كما سجلت الوثائق الأمريكية فى عجلة من أمره، بل كان يريد أن يعرف نهاية المطاف، وكان لا يعرف بسر وجود تلك المفاوضات فى النظام المصرى إلا ثلاثة أشخاص فقط أولهم هو محمد أنور السادات والثانى عبداللطيف البغدادى، والثالث زكريا محى الدين وكان الثلاثة يرحبون ويؤيدون الرئيس جمال عبدالناصر ويشجعونه على الموافقة خاصة أن كل الشروط الأمريكية وحتى الإسرائيلية كانت يومها فى صالح مصر، ويوجد لدى الإدارة الأمريكية فى دائرة الحفظ القومى الفيدرالى عدد (٥ خطابات) (منتهى السرية) محفوظة عن الاتصالات السرية بين الإدارة الأمريكية للرئيس (جون كينيدى)، وَبَيْنَ الرئيس جمال عبدالناصر منها خطاب دعوة إلى الرئيس جمال عبدالناصر لزيارة واشنطن رسميًا وخطاب تهنئة من عبدالناصر بتولى كينيدى الرئاسة فى يناير ١٩٦١، وفى الواقع تقدمت المفاوضات الجانبية والسرية للغاية بين الرئيس (جمال عبدالناصر) وبين الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس إيزنهاور ووصلت إلى حد التفاوض على أن تكون مصر الحليف الأول للولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط مما كان سيمنح مصر مميزات غير مسبوقة، لكن الرئيس جمال عبدالناصر علم من التفاصيل أنه سيكون على مصر منح الولايات المتحدة عددًا من المناطق، أى: الأراضى - داخل الحدود المصرية فى أربع اتجاهات، حددتها الإدارة الأمريكية للرئيس (إيزنهاور) فى الشمال خارج مدينة الإسكندرية مكان برج العرب الحالية، وفى الجنوب فى سوهاج، وفى الشرق داخل شبه جزيرة سيناء، وفى الغرب فى عمق الصحراء الغربية على الحدود مع ليبيا، أما تلك

(١) أسرار ناصر - توحيد مجدى (ص: ١٠٣).

المناطق فكانت تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية كقواعد عسكرية لتمركز القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط وعندما رفض الرئيس جمال عبدالناصر بشدة حاولوا إقناعه من واشنطن بأن الرفض لا يعنى الكثير لأن إسرائيل وافقت على ذلك الشرط بل رحبت به، كما رفض الرئيس جمال عبدالناصر أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية فى المقابل بتحديث الجيش المصرى بالأسلحة الغربية الحديثة وبلا التزامات مالية تفرض على النظام المصرى، والغريب أن الرئيس جمال عبدالناصر أحرج الرئيس الأمريكى داويت إيزنهاور عندما حدثه هاتفيًا بشكل مباشر فى تلك النقطة وقال له: (أنتم تريدونا أن نتحول لمرتزقة لكم فى الشرق الأوسط وليس كحليف). وهو ما أغضب الرئيس إيزنهاور بشدة، لكنه لم ييأس وكان لديه أمل أن تكون زيارة الرئيس جمال عبدالناصر إلى نيويورك فى نهاية شهر سبتمبر ١٩٦٠ فرصةً جيدةً حتى تناقش الإدارة الأمريكية بحرية وفى سرية تامة كامل شروط معاهدة السلام السرية التى كانت تُعَدُّ فى الكواليس سرًّا[(١)].

وفى ذلك الصدد أيضًا لم يقبل الرئيس (محمد حسنى مبارك) وجود أى قواعد عسكرية أمريكية على أرض مصر، وقد عُرِضَ عليه من أمريكا وإسرائيل أخذ قطعة من أرض سيناء، ولكنه رفض ذلك وقال: (أنا ذهبت إلى المحكمة الدولية من أجل ٨٠٠ متر من سيناء أأقبل هذا، بل هذا مرفوض) وقد صرح بهذا اللواء. سامح سيف اليزل رئيس مركز الجمهورية للدراسات السياسية والأمنية على قناة الحياة.

هذه هى وطنية من يُطلقون عليهم (العسكر) وهم حُمَاةُ مصر وأرضها وأمنها، فأين أنتم من هذا؟ وقد تنازل الرئيس المدنى المنتخب والمعزول (محمد مرسى) عن ٢٠٠ متر من حلايب وشلاتين فى قعدة وُدٍّ وكرم مع أخيه الرئيس السودانى (البشير)، وأنكر مرسى ورجاله الفضيحة، وتحدوا بأن تكون الأرض المصرية، أو الحدود المصرية تم

(١) المصدر السابق ص: ١١٣-١١٥.

تعديلها، أو حتى المساس بشبر من الأرض، وبالطبع كان مرسى وجماعته وأهله على ثقة من أن موقفهم سليم، وأن الأرض المصرية والحدود المصرية لم يتم تغييرها، فقد تمت حماية الحدود المصرية وحلايب وشلاتين ولكن هذه الحماية لم يكن مرسى وراءها ولا علاقة له بها، فقد وافق مرسى، بل تحمس للتنازل عن ٢٠٠ متر من حدود حلايب وشلاتين المصرية للسودان، وعندما علم الجيش المصرى بهذه الكارثة تصرف على الفور، وجاء تصرفه على النحو الذى يحفظ لمصر أمنها القومى وحدودها، ويحمى أرضها، فعلى الفور سافر وفد رفيع المستوى من الجيش للخرطوم، وأفهم (البشير) أن يتعامل مع موضوع (حلايب وشلاتين) ووعد مرسى كأن لم يكن ورضخت السودان لهذا القرار، وانتهى الأمر، أو بالأحرى المهزلة عند هذا الحد، وبعد أن أنقذ الجيش المصرى حلايب وشلاتين ظهر مرسى فى خطبه يسخر مما يُقال هو تنازله عن حلايب وشلاتين، ويتحدى على طريقة (رامبو) أن يثبت المعارضون كلامهم، فقد كان مرسى واثقًا أن الجيش منع الكارثة، ولذلك أراد أن يخرج منتصرًا من ورطته، أو بالأحرى جريمته، لكن السودانيين لم يتركوه ينعم بانتصاره، فقد خرج مسئول سودانى على شاشات الفضائيات، وأكد الواقعة والفضيحة، وقال إن مرسى بالفعل وافق على تعديل يخص حلايب وشلاتين فخرس مرسى وجماعته، وحاولوا تجاهل الرد السودانى، ولكن داخل الجماعة اعترفوا بالقلم الذى أخذوه على قفا الجماعة، ولم يفهم مرسى ولا جماعته سر تخلى الأشقاء السودانيين عنهم، وفضحهم لمخطط تنازل مرسى عن أرض مصرية لصالحهم، وقد تم رصد مكالمة هاتفية للرئيس المعزول مرسى مع مسئول أمريكى فى هذه المكالمة وافق مرسى على منح أمريكا قاعدتين عسكريتين مرةً واحدةً .. أمريكا (حفيت) ولم تحصل على قاعدة عسكرية واحدة على أرض مصر، فإذا بمرسى يتعهد بإقامة قاعدتين عسكريتين مرة واحدة .. الأولى كانت ستبنى فى (رأس بيناس) والثانية كانت ستقام فى (السلوم)، ولكن ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م أوقفت الحلم الأمريكى وحمت الأرض المصرية من أن

تدنسها قواعد عسكرية أمريكية، فهل كان مرسى يحاول بموافقته على القواعد أن يثبت أقصى ولاء لأمريكا أم كان يريد أن يساوى بين مصر وقطر، ولا يفتخر المصرى بأن أرضه خالية من القواعد العسكرية الأمريكية؟ هل كان لموافقة مرسى على إقامة قاعدتين إحداهما فى السلوم له علاقة بخريطة أمريكا لإعادة ترسيم وتقسيم الوطن العربى؟ كل هذه الوثائق تؤدى إلى حقيقةٍ واحدةٍ وهذه الحقيقة هى أن الإخوان كانوا على استعدادٍ تامٍّ وبحماسٍ شديدٍ إلى تسليم مصر لأمريكا وتحويلها إلى أكبر قاعدة عسكرية فى المنطقة[1].

(وَعَوْدًا إلى أسرار ناصر) وعندما وصل الرئيس (جمال عبدالناصر) إلى نيويورك لإلقاء كلمة مصر أمام الأمم المتحدة التى قدمها فى صباح ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠، وقبلها بيوم كانت المفاوضات بين (جمال عبدالناصر وإيزنهاور) قد بدأت فى صباح ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ تحت أقصى درجات السرية بحضور طاقم مصغر للرئيس الأمريكى كان بينهم مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كان الرئيس جمال عبدالناصر مستعدًا للتفاوض حتى أنه حرص على عدم اصطحاب شخصيات مصرية بعينها وفضلت الإدارة الأمريكية عدم حضورهم الزيارة بدعوى أنهم سينقلون للاتحاد السوفيتى أسرار ما سيجرى فى نيويورك، وفى اللقاء طلب الرئيس جمال عبدالناصر أكثر من مرة عدم تسجيل نص بروتوكول اللقاء بأى طريقة حتى أنه رفض كتابة الملحوظات وفضل أن يتفاوض منفردًا وجهًا لوجه مع الرئيس دوايت إيزنهاور، فى هذا اللقاء السرى للغاية وقع الرئيس الأمريكى فى خطأ كبير، لأنه كان عليه طبقًا للوثائق أن يُغيِّرَ أو حتى يُعَدِّلَ كل النقاط التى رفضها الرئيس المصرى جمال عبدالناصر من قبل واتضح بعدها أن الإدارة الأمريكية لم تقم بتغيير أَيٍّ من النقاط السابق الاختلاف عليها سياسيًا حتى تلك التى أزعجت الرئيس جمال عبدالناصر فضاعت الفرصة قبل أن تبدأ وهى منح

---

(١) جريدة الفجر الخميس ١٩ ذو الحجة ١٤٣٤هـ - ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣م - (العدد ٤٢٩) - السنة السابعة (ص: ٥).

الولايات المتحدة الأمريكية عددًا من الأراضى داخل الحدود المصرية فى أربعة اتجاهات والتى سبق ذكرها قبل ذلك، ولكن فى الحقيقة طلب الرئيس جمال عبدالناصر كشرط أساسى قبل إعطاء كلمته الشخصية، أو التفكير فى قبول الشروط الأمريكية أن تُوقع إسرائيل بالتزامها عدم السعى لاحتلال المزيد من الأراضى العربية، واشترط الرئيس جمال عبدالناصر بشكل رئيسى أن توقع الحكومة الإسرائيلية على شرط يضاف للمعاهدة المطروحة وقتها بأن لا تكون الأراضى اسورية، أو الأردنية، أو العراقية، أو اللبنانية، أو المصرية، أو أى أراضٍ عربيةٍ وعلى رأس كل الأراضى مدينة القدس هدفًا لأى احتلال إسرائيلى أو هدفًا لأى عدوان إسرائيلى فى المستقبل وكان تاريخ اللقاء فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠، لكن الرئيس الأمريكى رفض هذا الطلب حتى قبل أن يعرضه على إسرائيل فرفع الرئيس جمال عبدالناصر صوته وقال للرئيس الأمريكى: (إذا أنت حللت اللغز لى وأنا كنت متأكد أن إسرائيل عينها على القدس إما عاجلاً، أو آجلاً) فردَّ عليه الرئيس الأمريكى مطالبًا إِيَّاهُ أن لا يستبق الأحداث خاصة أن إسرائيل لم تَعْتَدِ على القدس، ولم تغير من معالمها، ولا يوجد أى حديث على احتلال القدس، وعندما فشل الرئيس الأمريكى فى تهدئة الرئيس جمال عبدالناصر تحدث فى التليفون الرئاسى الأمريكى مع تلك أبيب، وكان الخط مفتوحًا من الأساس طيلة الوقت بين تل أبيب ونيويورك وكان على الخط الآخر رئيس الوزراء الإسرائيلى دافيد بن جوريون بنفسه حيث جلس بنفسه مستمعًا للحوار بين الرئيس جمال عبد لناصر والرئيس الأمريكى، حيث اشترط جمال عبدالناصر يومها على الرئيس الأمريكى أن لا يتحدث نهائيًا مع (دافيد بن جوريون) وأن ينقل الرئيس الأمريكى الطلبات بينهما دون الحديث المباشر، والمثير أن الرئيس جمال عبدالناصر ظل طيلة الحوار واجلسة السرية الذى استغرقت أكثر من ساعتين يخاطب دافيد بن جوريون دون ذكر اسمه وبلفظ (العدو الإسرائيلى) وعندما حاول (إيزنهاور) أن يثنى جمال عبدالناصر عن اللفظ بغرض إنجاح الحوار طلب (عبدالناصر)

من (إيزنهاور) أن يسأل دافيد بن جوريون هل جمال عبدالناصر صديق؟ فردَّ دافيد بن جوريون من الجانب الآخر على إيزنهاور مؤكدًا أن جمال عبدالناصر عَدُوٌّ لإسرائيل، فَقَبِلَ الرئيس الأمريكى أن يُدير الحوار بين (ناصر) و(بن جوريون) تحت استخدام لفظ (العدو الإسرائيلى) و(العدو المصرى) وفى الواقع لما أكدته الوثائق الأمريكية خرج الرئيس جمال عبدالناصر من اللقاء فى نيويوريك عصر يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ أشرس مما قبل بالنسبة لرأيه فى الولايات المتحدة الأمريكية والفكر الغربى وانهارت معاهدة السلام الأمريكية المقترحة ورفض الرئيس جمال عبدالناصر كافة الشروط التى عرضتها عليه، أو قدمتها إليه واشنطن، بينما خرج الرئيس الأمريكى وهو يكره الرئيس جمال عبدالناصر أكثر مما كان عليه قبل اللقاء، بل وكتب ملاحظاته الشخصية عقب نهاية اللقاء أكد فيها أن جمال عبدالناصر لم يمنحه الاحترام المفروض لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية وأن عبدالناصر رفع صوته عليه عدة مرات مما أحرج إيزنهاور الذى كان يُعتبر أسطورة تاريخية فى العالم وقتها [1].

عبدالناصر الرئيس الإنسان:

الرئيس جمال عبدالناصر هو الرئيس المصرى الوحيد الذى كان على مكتبه خط تليفون مباشر عادى كان يستخدمه بشكلٍ طبيعىٍّ عندما يريد أن يستدعى من يريده، أو يتصل بمن يريده دون تعقيدات غريبةٍ نسجها البعض عنه وعن حياته، أيضًا كان يقوم بالردِّ بنفسه على الهاتف دون أىِّ عُقَد نفسيةٍ يمكن أن تتمكن ممن فى مكانته الرئاسية وزعامته التاريخية وكان دائمًا لا ينسى أنه فى النهاية إنسان عادى بدرجة قائدٌ عسكرىٌّ رفيعُ المقام، وأما مَا نُشِرَ فى صحيفة قومية كبيرة كتبه المحرر السياسى الرئيسى عن قصة الطائرة الإسرائيلية دون الإشارة لأية تفاصيل، والسبب أن الرئيس جمال عبدالناصر

(١) المصدر السابق ص: ١١٥-١١٧.

لم يكشف سر ما حدث ذلك اليوم لأحد ولم يعرف حقيقة ما جرى سوى (زكريا محى الدين) الذى رد على الهاتف وكان يعلم بالسر منذ لحظة إبلاغ الرئيس به وكان نص الخبر الذى نشرته الصحيفة القومية كالتالى: (لدى هبوط الطيار الإسرائيلى (أيبى ناثان) فى مطار بور سعيد رفض الرئيس (جمال عبدالناصر) مقابلته لأنها لعبة إسرائيلية مكشوفة تستجدى فيها إسرائيل السلام من مصر وقد مزقت السلطات الأوراق التى حملها الطيار الإسرائيلى) والحقيقة أن ما حدث كان مختلفًا تمامًا، فالرئيس جمال عبدالناصر لم يكن ذلك الرجل الذى صوروه فى الخبر على أنه سعى طيلة حياته للحرب تلو الأخرى حتى لو كان ذلك تحقيقًا للحلم العربى الكبير، أو رفضه للاستعمار وهو من قالها صراحةً: (لقد فُرِضَ علينا القتال).

كان الرئيس جمال عبدالناصر إنسانًا بمعنى الكلمة حتى لو عاصرت المشاكل والحروب والتجاوزات الأمنية عهده، بل كان الرجل داعيةَ سلام فى الأصل قبل أن يكون باحثًا عن الحروب وكان مفكرًا كبيرًا وعبقريًا أقلق مضاجع الدولَ العظمى فى عصره، وَمَنْ نَشَرَ، أَوْ صَوَّرَ أنه كان يمكنه كمفكرٍ سياسيٍّ تمزيق (توكيلات السلام) فد أخطأ، أو قد تجاوز، أو ربما تَطَوَّعَ وساهم فى رسم صورة غير سليمة عن الرجل الإنسان والعظيم، والحقيقة لقد نُقل (أيبى ناثان) الطيار الإسرائيلى فى حفاوة بالغة لمكتب قيادة مطار بور سعيد حيث دار حوارٌ قصيرٌ معه حول أسباب اختراقه لمجال الجوى المصرى؟ وَالسِّرُّ وراء اختياره لمدينة بور سعيد؟ وقصة توكيلات السلام التى يحملها للرئيس جمال عبدالناصر؟

فى مكتب الرئيس (عبدالناصر) كانت المفاجأة أقوى على (زكريا محى الدين) الذى بدأ يُظهر علامات قلق وقبل أن يُفاتح الرئيس فى كيفية الرَّدِّ طمأنه الرئيس (عبدالناصر) وقال له سأتحدث إليه بنفسى لكن على أساس أنك من تحدثه، تعجب زكريا محى الدين وانفرجت أساريره وزال عنه القلق والمسئولية وطلب الرئيس أن يضعوا الطيار الإسرائيلى

(أيبى ناثان) على الهاتف، سأله الرئيس مباشرةً دون أن يُخبره بشخصيته قائلاً: (هل أرسلك أحد من الحكومة الإسرائيلية؟) فرد الطيار الإسرائيلى مُنْزَعِجًا بقوله: (أخبرتهم عدة مرات من لحظة هبوطى أن الشعب الإسرائيلى هو الذى كلفنى بحمل التوكيلات إلى الرئيس جمال عبدالناصر وطلب منى أصحاب التوكيلات أن أخبره أن هناك فى إسرائيل من يحترموه ويريدون عقد اتفاقية سلام معه) فضحك الرئيس جمال عبدالناصر وهو يحاول تهدئته قائلاً: (لا تنزعج اشرح لى ماذا تحمله للرئيس جمال عبدالناصر؟) فبدأ الطيار (أيبى ناثان) يشرح للرئيس عبدالناصر وهو لا يعلم أنه يتحدث مع زعيم الأمة العربية شخصيًا نَصَّ التوكيلات التى أُطلق عليها (توكيلات السلام) وعددها الذى تعدى ٤٥٠٠ توكيل وتوثيقاتها لدى عدد من المحاكم الإسرائيلية المختلفة طبقًا لتوزيع محلات السكن لكل موكل وأن نص التوكيلات مُوَحَّدٌ وفيه: (أقر أنا المواطن، أو المواطنة وأحمل هوية إسرائيلية رقم كذا باسم كذا مقر سكن كذا وظيفة كذا أننى وكلت السيد (أبراهام يعقوب ناثان) الشهير باسم (أيبى ناثان) للقاء الرئيس المصرى (جمال عبدالناصر) لإبلاغه شخصيًا بأننى موافق على عقد معاهدة سلام مع مصر وأتحمل كل المسئولية عن موافقتى وكل ما جاء فى هذا التوكيل) فتعجب الرئيس من صدق وجراءة الطيار الإسرائيلى وسأله ناصر فى هدوء: (وهل هؤلاء هم كل من يريدون السلام مع الرئيس جمال عبدالناصر فى إسرائيل؟) لكن الطيار الإسرائيلى أجاب سريعًا بقول: (لا نهائيًا أبدًا سيدى هناك آلاف ممن يريدون السلام مع مصر صدقنى، لكن أغلبهم خائفون وينتظرون اللحظة المناسبة) فردَّ الرئيس جمال عبدالناصر بقوله: (حسنًا لا تقلق أنا سعيد أننى تحدثت إليك شكرًا على المجهود الذى تحملته والمخاطر التى واجهتها بشجاعة، سأشرح للرئيس كل ما قلته، وبالمناسبة يرسل إليك الرئيس عبدالناصر تحياته الحارة وشكره العميق ويخبرك أنك ستعود إلى إسرائيل غدًا بعد أن تستريح وتقوم بزيارة بور سعيد كرجل سلام) وفى صباح يوم ٢٩ فبراير ١٩٦٦ سمح للطائرة الإسرائيلية الخاصة بالإذن بالإقلاع من مطار بور سعيد وقاد (أيبى ناثان) طائرته بنفسه كما حضر بها إلى مصر، ولدى دخوله المجال الجوى الإسرائيلى

أبلغ عن وصوله، وحصل على الإذن بالهبوط فى مطار (هرتسليا) الذى أقلع منه أول مرة: وعلى أرض المطار، كما نبهه مندوب الرئيس عبدالناصر فى مصر كان ضباط جهاز الموساد فى انتظاره مع ألف مواطن إسرائيلى من بين الذين منحوا ناثان توكيلات السلام يحملون الأعلام المؤيدة له لما قام به نيابة عنه، وفى نفس التوقيت اكتشفت كل وسائل الإعلام الإسرائيلية والعالمية أن الحكومة كذبت وأذاعت قبلها بيوم بيانًا فى راديو جيش الدفاع الإسرائيلى مفبرك عَمَّا حدث لطائرة أيبى (ناثان) فاعتذر مكتب رئاسة الوزراء زاعما وجود لبس حدث فى المعلومات، وبعدها تم إضافة بند جديد فى قانون الإذاعة الإسرائيلية يشدد العقوبة على من يُذيع أنباء كاذبة بالقصد حتى ولو كانت الحكومة الإسرائيلية نفسها، وتحت ضغط الرأى العام والشارع الإسرائيلى الذى شعر بأهمية ما قام به الطيار الإسرائيلى (أيبى ناثان) اضطرت السلطات الإسرائيلية لإطلاق سراح ناثان بعد ساعة واحدة من اعتقاله بكفالة لكن تحت بند اتهام: (الخروج من الحدود الإسرائيلية بشكل غير شرعى دون إذن، أو وثيقة رسمية، أو سندمن القانون) وفى شهر مارس ١٩٦٦ قرر المستشار القانونى للحكومة الإسرائيلية (موشيه بن زئيف) أنه لا وجه لإقامة الدعوى الجنائية ضد الطيار (أيبى ناثان) وأُغلقت القضية، والمثير للدهشة أن أيبى ناثان سافر بعدها فى رحلة حول العالم للدعوة للسلام مع مصر[١].

ثقةُ إسرائيلَ ثقةً عمياءَ فى عبدالناصر:

كانت إسرائيل تثق فى عبدالناصر ثقة عمياء مع كرههم الشديدُ لَهُ، فبعد العدوان الثلاثى على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأ (مائير عاميت) رئيس جهاز الموساد التخطيط مع (قمحى) مدير فرع عمليات الحوار السياسى والدبلوماسى السرى فى جهاز الموساد والوحيد الذى كان على علم مسبق بلقاءات (عاميت مع) (السادات) لوضع خطة عاجلة للضغط على الرئيس عبدالناصر حتى يجبروه على تعديل شروط لعبة التفاوض

(١) مواقف متفرقة من المصدر السابق.

التى فشل (عاميت) فى تعديلها مع مبعوث (عبدالناصر) حتى يوافق الأخير على اللقاء فى مكان دولى محايد، وكانت الحيلة بسيطة للغاية، فقد حصر (جهاز الموساد) الأسرى المصريين من مختلف الرتب العسكرية من الضباط الذين سقطوا فى الأسر عقب ٥ يونيو ١٩٦٧ وكانوا يومها موزعين على المعتقلات والسجون المختلفة فى إسرائيل بسبب كثرة أعدادهم رسميًا، وكان لدى إسرائيل وقتها ٥٥٠٠ أسير مصرى، كان فى وقتها العدد كبيرٌ للغاية وغير مسبوق حيث لم تتحمل القدرة الاستيعابية لدى مصلحة السجون الإسرائيلية يومها تسكين كل هذا العدد فى سجن أو معتقلٍ واحدٍ، فوزعتهم إسرائيل على السجون والمعسكرات تحت ظروف اعتقالٍ غير آدمية، وكان (عبدالناصر) يعلم هذه الحقيقة ويُدرك أن حياة ضباطه وجنوده فى خطرٍ حقيقىٍّ إذا لم يقرر سريعًا ويتصرف بالشكل السياسى المناسب لأجل إعادتهم إلى مصر، لذا قام جهاز الموساد الإسرائيلى بحصرٍ خاصٍّ للأسرى وفصلت السلطات الإسرائيلية الضباط المصريين بمختلف رتبهم العسكرية عن الجنود ووضعهم تحت ظروف اعتقال صعبة لدرجة أن بعضهم فقد حياته فى تلك اللحظة الدنيئة التى نفذها وأدارها وأشرف عليها جهاز الموساد، وعندما أوشك الأسرى المصريون من الضباط على الهلاك طلبت السلطات الإسرائيلية منهم تحت التهديد أن يكتبوا خطابات عاجلة لذويهم وعائلاتهم فى مصر بشرط أن يذكروا فيها أن إسرائيل حاولت مرارًا وتكرارًا مبادلتهم وإعادتهم لوطنهم مصر، لكن الرئيس جمال عبدالناصر كان يرفض فى كل مرة، بل إنه قدر التخلى عنهم فى سجون إسرائيل، وبالقطع كان ذلك غير صحيح بالمرة، لأن كان العكس هو الصواب لدى الرئيس جمال عبدالناصر، لكن جهاز الموساد أراد الضغط على ناصر [١].

وبدأت الخطابات تصل تباعًا إلى آلاف الأسر والعائلات المصرية التى كانت تنتظر

(١) المصدر السابق ص: ٢٣٧.

بفارغ الصبر عودة ذويها من الأسرى ، ومع أن الرسائل طمأنتهم مبدئيًا على ذويهم، لكن القلق والتسائل والشك بدأ يتردد فى كل منزل مصرى لديه ضابط أسير فى إسرائيل، وأصر مائير عاميت رئيس جهاز الموساد على إطلاق سراح كل جواسيس عملية فضيحة (لافون) والتى سقط أول أفراد جواسيس شبكتها وكان يُدعى (فيليب نتانزون) أمام مبنى سينما (ريو) فى مدينة الإسكندرية مساء ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٤ ويؤكد الباب أن كافة الجهود بما فيها الوساطات والضغوط الدولية لتحرير أعضاء الشبكة باءت بالفشل مع الرئيس جمال عبدالناصر وأنهم فى تل أبيب لم يكن لديهم سوى ما سجله الرئيس الثانى لدولة إسرائيل (إسحاق بن تسفى) الذى تولى منصبه ثلاث فترات رئاسية امتدت من ٨ ديسمبر ١٩٥٢، وحتى ٢٣ أبريل ١٩٦٣ عندما مات وهو فى المنصب، وكتب الرئيس الإسرائيلى (إسحاق بن تسفى) عقب إبلاغه بسقوط شبكة العملاء الإسرائيليين فى مصر وفشل كافة الجهود لتحريرهم يومها خطابًا أرسلت منه ثلاث نسخ كتب فيه جملة واحدة أمام التشاؤم والشعور بالفشل والإحباط الذى عانت منه القيادة الإسرائيلية وكانت تلك الجملة هى: (إذا ضاعت كل آمالكم تبقى كلمة جمال عبدالناصر التى أثق فيها)[1].

وعقب وصول رئيس جهاز الموساد الإسرائيلى (مائير عاميت) بصحبة (دافيد قمحى) لمطار القاهرة كان السادات ينتظرهما، بلا مراسم كالمتفق عليه وخلال أقل من ١٥ دقيقة كانوا أمام الرئيس جمال عبدالناصر وجهًا لوجه لأول وآخر مرة، وحاول مائير تقبيل الرئيس جمال عبدالناصر، لكن ناصر تراجع، فتذكر مائير عاميت بروتوكول اللقاء كما أعده مسبقًا (السادات) - بدون قبلات - فسلم بحرارة على ناصر الذى علت وجهه ابتسامة عادية وصفها (مائير) بالباردة بينما سلم (دافيد) بشكل عادى، وفى اللقاء قدم (عبدالناصر) لهما المشروب الرسمى المصرى، كما قال لهما يومها واتضح أنه مشروب (العرقسوس) فلم يشربا منه إلا رشفات معدودة وقبل أى خطوة طلب (ناصر) أولاً

(١) المصدر السابق ص: ١١٧-١١٨.

الاطلاع على خطاب (ليفى إشكول) رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى يفوض فيه رسميًا رئيس جهاز الموساد (عاميت) بالتفاوض باسم دولة إسرائيل مع (عبدالناصر) وبعدها بدأ الحوار بينهما، دخل الرئيس جمال عبدالناصر مباشرة فى الحوار، وبدأه ضاحكًا وهو يوجه حديثه لرئيس جهاز الموساد الإسرائيلى اللواء (عاميت) بقوله: (لو أن هناك فرصة لإلقاء القبض على رئيس جهاز الموساد ومدير عملياته السرية، فاليوم هى الأخيرة).

فَرَدَّ (مائير عاميت) فى هدوءٍ مبتسمًا على الرئيس جمال عبدالناصر: (ولو هناك فرصة أن أجد رجلاً تثقُ فى كلمته إسرائيل ثقةً عمياء، فأنا اليوم أقف أمامه) فابتسم (ناصر) وعاد فى كرسيه للوراء قليلاً وَهَزَّ رأسه شاكرًا عاميت، ثم قال له: (لا يهمنى كل ما حدث فى ٥ يونيو ولا أخفى عليكم الرَّدَّ المصرى سيصلكم عاجلاً، أم آجلاً، لكن الآن وقبل أىَّ شىءٍ آخر أُريد استعادة أولادنا فورًا ودون تأخير وإذا فاتتكم الفرصة اليوم ستندمون بشدة) وكان (السادات) حاضرًا طيلة الوقت يسجل الحوار ويحرص على ألا تضيع منه كلمة واحدة وكان يجلس بجوار دافيد قمحى لكنهما لم يتدخلا نهائيًا فى الحديث بين (ناصر، ومائير)، وكما كتب رئيس جهاز الموساد (مائير) فى ملاحظاته الشخصية عن اللقاء: (كانت أسرع عملية تفاوض فى العالم وكان (جمال عبدالناصر) حَادَّ الكلماتِ بشكلٍ مخيفٍ) وفى نهاية اللقاء وافق رئيس جهاز الموساد (مائير عاميت) من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلى (ليفى إشكول) بلا شروط على إطلاق سراح كل الأسرى المصريين من مختلف الرتب حتى الجنود، وكان معهم مدنيون آخرون ووافق الرئيس (جمال عبدالناصر) شفاهةً على إطلاق سراح جواسيس إسرائيل من السجون المصرية بشرط أن تُحافظ إسرائيل على سرية اللقاء بشكل أساسى ومعها بالقطع تفاصيل عملية التبادل [1].

(١) المصدر السابق ص: ٢٣٨-٢٤١.

ومن هنا بدأ جهاز الموساد ومن ورائه كل أجهزة المخابرات الإسرائيلة فى البحث عن وسيلة مناسبة للتخلص من (جمال عبدالناصر) دون إثارة لأى مشاكل دولية، وقد ولد جهاز الموساد الإسرائيلى فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٩ وعلى رأس أوليات أهدافه تصفية كل من يُشكل خطرًا على دولة إسرائيل الوليدة، بداية من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بدأ الخطر يتشكل لديهم فى مجموعة الضباط الأحرار، ثم راح الخطر يتركز فى شخص الزعيم الراحل (جمال عبدالناصر) بداية من ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ عندما تم عزل اللواء (محمد نجيب)، ومن الحاجة تتولد الفكرة فى إسرائيل، وفى الخلفية تجارب مماثلة قام بها علماء (النازى) فى ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية فيصدر رئيس الوزراء الإسرائيلى يومها (دافيد بن جوريون) قراره لإنشاء معهد سرى للأبحاث يكون هدفه الرئيسى إنتاج السموم والفيروسات الخبيثة حتى يمكن لأجهزة المخابرات الإسرائيلية المختلفة استخدامها فى تنفيذ عمليات الاغتيالات الهادئة، وسمى هذا المعهد هو معهد (نيس تسيونا) وطبقًا لما سُجِّلَ رسميًا كلف رئيس الوزراء الإسرائيلى (دافيد بن جوريون) مستشاره الخاص للعلوم العالم (إرنست دافيد بيرجمان) مدير مشروع المفاعل النووى الإسرائيلى فى (ديمونة) لتولى تنفيذ مشروع معهد الأبحاث والدارسات البيولوجية، وأول تكليف رسمى من (بن جوريون) لإدارة المعهد بعدها بأعوام قليلة هو إنتاج سم خاص يمكن عن طريقه اغتيال الرئيس (جمال عبدالناصر) وفى الواقع كان الحديث خطيرًا للغاية، فقد ذكر الحاضرون أن معلومات الأجهزة المعلوماتية الأمريكية فى هذا الشأن تشير إلى قرب توصلهم فى تل أبيب لطريقة علمية سيمكن بها التخلص من الرئيس المصرى المعادى للغرب جمال عبدالناصر، وتناول الحديث عملية جهاز الموساد الإسرائيلى الذى يخطط طبقًا لمعلوماتهم أثناء الجلسة للتخلص من عبدالناصر بطريقة (دس فيروس سام سيعبأ خصيصًا فى معهد إسرائيلى متخصص فى سن ضئيلة للغاية سيحقن بها عبدالناصر) استغرب القائم بالأعمال الأمريكى (بيرجس) من

معلومات ضيوفه وعندما استفهم عن كيفية أن عبدالناصر لن يشك ولن يشعر بما يحدث له؟ وأفهموه أن سن الحقنة، أو الوخزة الإسرائيلية سيكون ضئيلاً للغاية لا يمكن لأحد الشعور بها وحتى لو شعر بها الرئيس (جمال عبدالناصر) فستكون كأنها رعشة، أو شحنة كهرباء يمكن أن تحدث لأى إنسانٍ عادى وأكد لهم (بيرجس) يومها أن تلك المعلومات خطيرة للغاية ويجب على الولايات المتحدة الأمريكية العمل على منع حدوث تلك العملية لما يمكن أن ينتج عنها من ثورات معادية للغرب فى الشرق الأوسط كله، وأكد لهم أن الرئيس (جمال عبدالناصر) لم يكن يمثل وقتها منصب الرئيس المصرى فقط، بل كان يعتبر الزعيم الفعلى للعالم العربى، والتخلص منه بمثل هذه الطريقة ربما يكون كارثيًا بكل معانى الكلمة، وحينها تفوهت السيدة الوحيدة فى تلك الجلسة وهى الدبلوماسية الأمريكية (ميرى) بجملة ربما تحققت، ولا أحد يعلم، فقد قالت لهم: (ما أدراكم ربما يضعوا له هذا السن فى باقات الورد التى يستقبلها فسرح كل الحاضرين) أما الهدف فكما كتبه الرئيس (جمال عبدالناصر) بعدها بخط يده وهو يفرغ نص الحوار الذى نجحت أجهزة المعلومات المصرية يومها فى تسجيله ونقله إليه كما جرى ووجد فيه جملة دارت فى أثناء الجلسة ذكرت فيها السيدة (ميرى) مساعدة السفير الأمريكى فى تل أبيب: (بقاء إسرائيل رهن بالقضاء على (عبدالناصر) بالسم، أو بالمرض) [1].

وهذا قدرُ (مِصْرَ) وقدر الزعماء النبلاء الأوفياء، الذين باتوا مهمومين بقضية أوطانهم، وأمن وسلامة أراضيهم أن يغتالوا خِسَّةً ونذالةً على يدِ عبدةِ القردة والخنازير، وليس كما قال الأستاذ (محمد حسنين هيكل) أن (عبدالناصر) مات من أثر السُّمِّ الذى قدمه (السادات) فى فنجان القهوة، وهذا محض افتراء، وليس به من الصحة بشىء.

---

(١) المصدر السابق ص: ٢٨٧-٢٨٩.

إنجازات الزعيم الخالد (عبدالناصر):

مَرَّ أكثر من أربعين عامًا على وفاة الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) وما زالت قلوب المصريين تتلهف للاستماع إلى سيرته العطرة، وإنجازاته التى تملأ الآفاق افتخارًا بهذا الزعيم الأسطورة فى ثوبه المتواضع وحياته البسيطة، وتواضعه الجم، وثورته العارمة على كل خثيث وجبان يعبث بأمن مصر وشعبها وترابها، وها هى بعض النقاط التى توضح جزءًا من إنجازاته:

- وافق على مطلب السوريين بالوحدة مع مصر فى الجمهورية العربية المتحدة، والتى لم تستمر أكثر من ثلاث سنين تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨-١٩٦١) وسط مؤامرات دولية وعربية لإجهاضها.

- استجاب لدعوة العراق لتحقيق أضخم إنجازٍ وَحْدَوِيٍّ مع العراق وسوريا بعد تولى الرئيس العراقى (عبدالسلام عارف) رئاسة الجمهورية العراقية بما يُسمى باتفاق ١٦ أبريل ١٩٦٤.

- قام بتأميم قناة السويس، وإنشاء السد العالى على نهر النيل.

- قام بإنشاء بحيرة ناصر وهى أكبر بحيرة صناعية فى العالم.

- تأسيسه منظمة عدم الانحياز مع الرئيس اليوغسلافى (تيتو) والإندونيسى (سوكارنو)، والهندى (نهرو).

- المساهمة فى تأسيس منظمة التعاون الإسلامى عام ١٩٦٩.

- تأميم البنوك الخاصة والأجنبية العاملة فى مصر.

- قوانين الإصلاح الزراعى، وتحديد الملكية الزراعية والتى بموجبها صار فلاحو مصر يمتلكون للمرة الأولى الأرض التى يفلحونها، ويعملون عليها وتم تحديد ملكيات الاقطاعيين بِمَئَتَىْ فدانٍ فقط.

- إنشاء التليفزيون المصرى عام ١٩٦٠.

- قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١.

- إبرام اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤، والتى بموجبها تم جلاء آخر جندى بريطانى عن قناة السويس ومصر كلها فى الثامن عشر من يونيو ١٩٥٦.

- بناء استاد القاهرة الرياضى بمدينة نصر (ستاد ناصر سابقًا).

- إنشاء كورنيش النيل.

- إنشاء برج القاهرة.

- تأسيس جريدة الجمهورية المصرية عام ١٩٥٤.

- إنشاء معرض القاهرة الدولى للكتاب.

- التوسع فى التعلم المجانى على كل المراحل.

- التوسع المطرد فى مجال الصناعات التحويلية حيث أنشأ أكثر من ٣٦٠٠ مصنع.

- التوسع العمرانى الكبير حيث أنشأ فى عهده عدة مدن وأحياء جديدة مثل مدينة نصر.

- إنشاء التنظيم الطليعى.

- جلاء القوات البريطانية عن مصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤.

- إنشاء جهاز المخابرات العامة المصرية عام ١٩٥٤.

(وفيما يتعلق بالقطاع الزراعى فى عهد ناصر)

فقد قامت الثورة باستصلاح ٩٢٠ ألف فدان، وتحويل نصف مليون فدان من رى الحياض إلى الرى الدائم، ما يصل بنا إلى مساحة مليون وأربعمائة ألف فدان.

(وفيما يتعلق بالقطاع الصناعى فى عهده)

فقد حدث تغيير جذرى فى الدخل والإنتاج القومى، فقد زادت قيمة الإنتاج

الصناعى بالأسعار الجارية من ٣١٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١١٤٠ مليون جنيه سنة ١٩٦٥، ووصلت إلى ١٦٣٥ مليون سنة ١٩٧٠ وزادت قيمة البترول من ٣٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١٣٣ مليون سنة ١٩٧٠، ناهيك عن وفرة الطاقة الكهربائية، خصوصًا بعد بناء السد العالى.

(وفيما يتعلق بقطاع التعليم فى عهده)

فقد حدث تغيير شامل فى التعليم، وأن الثورة قد جاوزت نسبة ٧٥٪ فى الاستيعاب لمرحلة التعليم الإلزامى، وارتفع عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من ١,٦ مليون إلى ٣,٨ مليون، وعدد تلاميذ المدارس الإعدادية، والثانوية من ٢٥٠ ألف إلى ١,٥٠٠,٠٠٠، وعدد طلاب الجامعات من ٤٠ ألف إلى ٢١٣ ألف.

(الإسلام فى عهد جمال عبدالناصر)

فى عهد الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) فقد تم زيادة عدد المساجد فى مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد عام ١٩٧٠، أى: أنه فى فترة حكم ١٨ سنة لرئاسته تم بناء عدد (عشرة آلاف مسجد) وهو ما يعادل عدد المساجد التى بُنيت فى مصر منذ الفتح الإسلامى، وحتى عهد عبدالناصر.

- جعل مادة التربية الدينية (مادة إجبارية) يتوقف عليها النجاح، أو الرسوب كباقى المواد لأول مرة فى تاريخ مصر، بينما كانت اختيارية فى النظام الملكى.

- تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله لجامعة عصرية تدرس فيها العلوم الطبيعية بجانب العلوم الدينية.

- أنشأ مدينة البعوث الإسلامية التى كان وما زال يدرس فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين على مساحة ثلاثين فدانًا تضم طلابًا قادمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون فى الأزهر مجانًا ويقيمون فى مصر إقامةً كاملةً مجانًا أيضًا، وقد زودت

الدولة المصرية بأوامر من الرئيس (عبدالناصر) المدينة بكل الإمكانيات الحديثة وقفز عدد الطلاب المسلمين فى الأزهر من خارج مصر إلى عشرات الأضعاف بسبب اهتمامه بالأزهر الذى قام بتطويره وتحويله إلى جامعة حديثة عملاقة تُدَرَّسُ فيها العلوم الطبيعية مع العلوم الدينية.

- أنشأ منظمة المؤتمر الإسلامى التى جمعت كل الشعوب الإسلامية.

- تم ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم.

- تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التى تذيع القرآن على مدار اليوم كله.

- تم تسجيل القرآن الكريم كاملاً على أسطوانات وشرائط للمرة الأولى فى التاريخ، وتم توزيع القرآن مسجلاً فى كل أنحاء العالم.

- تم تنظيم مسابقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية، والعالم العربى، والعالم الإسلامى، وكان (ناصر) يُوزع بنفسه الجوائز على حفظة القرآن.

- تم وضع موسوعة (جمال عبدالنلصر) للفقه الإسلامى، والتى ضمت كل علوم وفقه الدين الحنيف فى عشرات المجلدات، وتم توزيعها فى العالم كله.

- تم بناء آلاف المعاهد الأزهرية والدينية فى مصر، وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر فى العديد من الدول الإسلامية.

- ساند (عبدالناصر) كل الدول العربية والإسلامية فى كفاحها ضد الاستعمار.

- كان أكثر حاكم عربى ومسلم حريص على الإسلام ونشر روح الدين الحنيف فى العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الناس.

- سجلت بعثات نشر الإسلام فى أفريقيا وآسيا فى عهده أعلى نسب دخول فى الدين الإسلامى فى التاريخ، حيث بلغ عدد الذين اختاروا الإسلام دينًا، بفضل بعثات الأزهر ٧ أشخاص من كل ١٠ أشخاص وهى نسب غير مسبوقة، وغير ملحوقة فى

التاريخ حسب إحصائيات الكنائس العالمى.

- صدر قانون بتحريم القمار ومنعه، كما أصدر قرارات بإغلاق كل المحافل الماسونية ونوادى الروتارى، والمحافل البهائية، كما تم إلغاء تراخيص العمل الممنوحة للنسوة العاملات بالدعارة التى كانت مقننة فى العهد الملكى، وتدفع العاهرات عنها ضرائب للحكومة مقابل الحصول على رخصة العمل والكشف الطبى.

- وصلت الفتاة لأول مرة إلى التعليم الدينى، كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات، وأقيمت مسابقات عديدة فى كل المدن لتحفيظ القرآن الكريم، وطبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم، وأهديت إلى البلاد الإسلامية، وأوفدت البعثات للتعريف بالإسلام فى كل أفريقيا وآسيا.

- تم طباعة كل كتب التراث الإسلامية فى مطابع الدولة طبعات شعبية، لتكون فى متناول الجميع، فيما يتم تسجيل المصحف المرتل لأول مرة بأصوات كبار المقرئين، وتم توزيعه على أوسع نطاق فى كل أنحاء العالم.

- كان (عبدالنصار) دائم الحرص على أداء الصلاة يوميًا مع زملائه، وموظفى مكتبه فى القيادة، كما كان دائم الحرص على أداء فريضة صلاة الجمعة مع المواطنين.

- ... (فهل كان عدو الله والإسلام، كما زعم الإخوان المسلمون؟) ....

- ... (وهل كان يمثل الثقافة الإسلامية العقيمة، كما زعم أحد الكتاب المنتمين إلى التنظيم السرى للإخوان المسلمين فى اليمن، وكأنه أراد القول زورًا وبهتانًا أنَ الإخوان بمنهجهم الظلامى ورصيدهم الإرهابى وأفكارهم المتطرفة وتاريخهم الدموى يمثلون الثقافة الإسلامية الخصبة؟) .....

كان (عبدالناصر) مسلمًا نقىَّ القلب، والتصرفات من غير تَصَنُّع، ولا افتعال، أو مظهرية، وكان متدينًا فى سلوكه اليومىِّ، وحياته الخاصة، ولم يُعرفَ عنه فى حياته

العائلية خروج عن الإسلام، ويعرف المصريون جيدًا منجزاته، وأعماله التى استقرت فى ضمائرهم وعاشوها واقعًا ملموسًا، وعلى أساسها واصل بناء مصر الحديثة، مهما حاول الإخوان تشويه منجزاته تحت ستار الدين، ومهما حاول المتاجرون باسمه السكوت أمام هذه الهجمة القذرة التى يتعرض لها القائد الراحل من خلال ممارسة أرخص أنواع النفاق السياسي والتحالفات الانتهازية مع أعدائه التاريخيين الحاقدين، وتوفى عبدالناصر يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ والذى يوافق ٢٧ رجب ١٣٩٠هـ، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها فى ذكرى يوم الإسراء والمعراج، وهو يومٌ فَضْلُهُ الدينىُّ عظيمٌ ومعروفٌ للكافةِ.

ويبقى القول: (إن عبدالناصر عاش من أجل خدمة وقضايا وطنه وشعبه وأمته، وكان مع الدين فى حياته الخاصة، والعامة، وضد كل من يُعادى الدين استغلالاً ونفاقًا وقتلاً وإجرامًا).

وهذه قصيدة نسجها الشاعر (عبدالرحمن الأبنودى) لِيَرُدَّ بِهَا على ما قاله الرئيس المعزول (محمد مرسى) فى خطابه الذى ألقاه فى ميدان التحرير بعد فوزه فى انتخابات الرئاسة، وقد كتبها الشاعر عام ٢٠١٠ وتداولها النشطاء على موقع التواصل مقطع فيديو بعنوان (الأبنودى يرد على مرسى ويرد اعتبار عبدالناصر) ليزود بها عن أسطورة عصره وزمانه، وبها يدغدغ مشاعر المصريين، ليحيى أجمل النسمات، والعبرات، والذكريات، لأيامٍ عاشها الشعب المصرى وهى من أجمل أيام البطولة والفداء، وكانت أجمل أيامٍ تناغمَ فيها الحب والعطف والحنان بين الرئيس ومرؤوسيه، فأبدع قائلاً:

من يمدحه يطلع خاسر

ويشبر وله ..... أيامه

يعيش جمال عبدالناصر

يعيش بصوته وأحلامه ... فى قلب شعوب عبدالناصر

مش ناصرى ولا كنت ف يوم

بالذات فى زمنه وف حينه

لكن العفن وفساد القوم

نسانى حتى زنازينه ... فى سجون عبدالناصر

***

إزاى ينسينا الحاضر ..

طعم الأصاله اللى فى صوته؟

يعيش جمال عبدالناصر

يعيش جمال حتى ف موته ... ماهو مات وعاش عبدالناصر!!

***

إسمه جمال وجميل فعلا

ياما شفنا شجعان خوافه

عظيم . . وكان إنسان طبعا

المجد مش شغل صحافه ... علشان ده عبدالناصر

***

أعداؤه كرهوه ودى نعمه

من كرهه أعداؤه صادق

فى قلبه كان حاضن أمه

ضمير وهمه ومبادئ .. ساكنين فى صوت عبدالناصر

ملامحنا رجعت بعد غياب

دلوقت بس اللى فهمناه

لا كان حرامى ولا كذاب

ولا نهبها مع اللى معاه ... أنا باحكى عن عبدالناصر

* * *

عشنا الحياه وياه كالحلم

فلا فساد ولا رهن بلاد

يومها انتشينا ثقافة وعلم

وف زمنه ما عشناش آحاد ... كنا جموع فى زمن ناصر

* * *

كان الأمل فى حضرته بكر

مافيش لصوص للقوت والمال

ومصر أبطال ورجال فكر

ومثقفين ستات ورجال ... جيوش جمال عبدالناصر

* * *

كان الهلال فى قلبه صليب

ولا شفنا حزازات فى بلادنا

ولا شفنا ديب بيطارد ديب

ولا جرس خاصم مادنه ... وحدنا صوت عبدالناصر

دفعنا تمن الحريه

بدم مش بدينار ودولار

يوم وقفته (فى المنشية)

خلى الرصاص يهرب من عار .... أعداء جمال عبدالناصر

* * *

رغم الحصار كنا أحرار

وفى الهزيمه الشعب ماجعش

كان اسمها (بلد ثوار)

وقرار زعيمها ما بيرجعش ... قرار جمال عبدالناصر

* * *

خلى بلاده ... أعز بلاد

ليها احترام فى الكون مخصوص

لاشفنا وسط رجاله فساد

ولا خطط سمسرة ولصوص ... كان الجميع عبدالناصر

* * *

لولاه ما كنتوا اتعلمتوا

ولا بقيتوا (دراكولا)

ياللى انتو زعما وإنجازكو

دخلتوا مصر الكوكاكولا ... وبتشمتوا ف عبدالناصر

* * *

عمره ما جاع فى زمانه فقير
أو مالتقاش دوا للعله
دلوقت لعبة (اخطف طير)
والأمة فى خدمة شله ... تكره جمال عبدالناصر

* * *

يتريقوا على طوابيره
علشان فراخ الجمعية
شوفوا غيره دلوقت وخيره
حتى الرغيف بقى أمنيه ... يرحم جمال عبدالناصر

* * *

فيه ناس بتنهب وتسوف
لايهمها من عاش ، أو مات
ورضا العدو عنا يخوف
معناه أكيد إننا قفوات ... من يوم مامات عبدالناصر

* * *

الأرض رجعت للإقطاع
وقالوا: (رجعت لصاحبها)
وصاحبك الفلاح تانى ضاع
ضاعت العقود واللى كاتبها ... وخط إيد عبدالناصر

أنا أذكرك من غير ذكرى
والناس بتفتكرك بخشوع
الأمس واليوم ده وبكره
يبكوك بعظمه مش بدموع ... يكفى نقول: (عبدالناصر)

* * *

دلوقت رجعوا الفقرا خلاص
سكنوا حجورهم من تانى
رحل معاك زمن الإخلاص
وجه زمن غير إنسانى ... ماهوش زمان عبدالناصر!!

* * *

صحينا على زمن الألغار
يحكمنا فيه (أهل الأعمال)
وللعدو صدرنا الغاز
بفرحه وبكل استهبال ... نكايه فى عبدالناصر!!

* * *

بنملدها بغاز الأجيال
تحويشة الزمن القادم
إتوحشوا ف جمع الأموال
ورجعنا ساده ... وخوادم ... ضد اتجاه عبدالناصر

يا جمال ... نجيب زيك من فين

يانا ... يا ثورة ... يا ندهة ناى ...

البوسطجى ... اللى اسمه (حسين)

- أبوك - منين جابك؟ وازاى ... عمل جمال عبدالناصر؟!

***

لو حاكتبك ... ما تساع أقلام

ولا كلام غالى وأوراق

الأمر وما فيه أنا مشتاق

فقلت أمسى عليك وأنام ... نومة جمال عبدالناصر!!

المُلوكُ بِجَانِبِهِ صِغَارًا :

أما العنصر الثانى، والذين يُطلقون عليهم الإخوان بالعسكر، فهو العسكرى الذى عنده من الوطنية ودمائها الحارُّ، ما تملأُ به شرايين الإخوانِ جميعًا ولا يوفونَ حقهُ، لأنه هو الفرد الجرئُ فى قراراته، الذكىُّ فى توقعاته، الحكيمُ فى تصرفاته، الحريصُ على عِزِّ أرضه وتراب أوطانه، المحب العاشق لنسمات سماء أوطانه، ألا وهو رجل الحرب والسلام (محمد أنور السادات) اسمه يخلد فى التاريخ بحروف من نور، لأنه رجلُ المواقف الصعبة، ومفكك طلاسم العقد عقدةً عقدة، يقول عنه وزير الخارجية الأمريكى (هنرى كيسنجر) فى مستندات البيت الأبيض:

(كان رجلاً عظيمًا يبدوا بجانبه الملوكُ صغارًا، وكان يحب الحديث بشكل عام، لكن عند الدخول فى العمل كان يصبحُ شخصيةً مختلفةً، تشعرُ أنك لم تعرفها أبدًا، وكان يحب التركيز فى المعلومات بدقةٍ متناهيةٍ، بل إن ضُبَاطًا بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

طَوَّرُوا بعدها طريقةً لعرضِ المعلوماتِ ظلت تُدَرَّسُ باسم السادات) وتسجل الوثائق الأمريكية السرية للسادات والرئيس الأمريكى (ريتشارد نيكسون)، فتكشف أنهم كانوا يتقربون من الرئيس السادات عن طريق مدة بالمعلومات وكما سجل (هنرى كيسنجر) قائلاً: (وَصَلْنَا لمرحلةٍ اعتقدنا أن السادات جَنَّدَنَا للعملِ لحسابهِ حتى الرئيس (ريتشارد نيكسون) وجدها طريقةً سهلةً لكسبِ وُدِّ الساداتِ وثقتهِ) ونعود لما سجلته الوثائق الأمريكية السرية عن تلك الزيارة الأولى (للسادات، لنيكسون) بعد أحداث مايو ١٩٧١ وقد شكر نيكسون عن المعلومات التى كشفت الانقلاب فى مصر، فضحك الرئيس الأمريكى وأكد للسادات الشغوف بالأسرار، أن هناك المزيد منها سجله تقرير سرى عن حرب ١٩٦٧، وراح نيكسون فى الحوار بينهما يستخدم الطريقة الأكيدة للتقرب من السادات، وكان قد بدأ حراره مع السادات قائلاً: (سأبدأُ معكَ من ذكرياتِ جسيمةٍ غير سعيدةٍ وقعت لِبَلَدِكَ مِصْرَ، بلاَ دَاعٍ) فصمت السادات بينما بدأ نيكسون يحكى له أن الرئيس (جمال عبدالناصر) ارتكبَ سِتَّةَ أَخْطَاءٍ سياسيةٍ خطيرةٍ معروفةٍ فى علوم استراتيجيات المواجهات العسكرية عرضت مصر للضربة الإجهاضية التى بدأت بها إسرائيل هجوم ٥ يونيو ١٩٦٧.

أولاً: (فى ١٦ مايو ١٩٦٧ بث إذاعة (صوت العرب) من القاهرة تصريحًا (لجمال عبدالناصر) رحب فيه بالحرب التى أكد أنها ستدمر إسرائيل وكانت الجملة الأخيرة من أخطر الجمل التى تستخدم فى استراتيجيات العرب).

ثانياً: (فى ١٨ مايو ١٩٦٧ طلب عبدالناصر من القوات الدولية إخلاء شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، فَنَفَّذَ السكرتير العام للأمم المتحدة يومها (يوتانت) الطلب دون تمريره على الهيئة الدولية).

ثالثًا: (فى ٢٠ مايو ١٩٦٧ أمر عبدالناصر بنقل ٩٠ ألف جندى مصرى إلى داخل

سيناء مع ٩٠٠ دبابة مصرية).

رابعًا: (فى ٢٣ مايو ١٩٦٧ أعلن الرئيس جمال عبدالناصر عن غلق مضايق التيران التى تسيطر عليها مصر فى وجه السفن الإسرائيلية وخنق إسرائيل فى البحر الأحمر).

خامسًا: (فى ٢٧ مايو ١٩٦٧ أعلن عبدالناصر فى إذاعة (صوت العرب) والتليفزيون المصرى أن الحرب مع إسرائيل ستكون شاملة وهدفها هو تدمير إسرائيل، وكان هذا التصريح الثانى الذى شمل جملة (تدمير)).

سادسًا: فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ وَقَّعَ الرئيس جمال عبدالناصر مع الملك (الحسين بن طلال) ملك الأردن اتفاقية الدفاع المشترك وُضعت القوات الأردنية من صباح ذلك اليوم تحت قيادة رئيس الأركان المصرى)[1].

وقبل أن نستكمل الحوار الذى دار بين الرئيس المصرى (محمد أنور السادات) والرئيس الأمريكى (هنرى كيسنجر) لابد لنا أن نوضح من خلال واقع ملفات المخابرات المركزية الأمريكية أن الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) خُدعَ فى الرادارات التى تعاقد عليها مع روسيا، ومن خلال معرفة الرئيس الأمريكى وعلمه من فريق الخبراء النفسيين أن السادات شخصية تعشق التعلم وأنه كان يبحث طيلة حياته على العلم والمعرفة، فقرر نيكسون أن يدخل إليه من هذا الباب فكان يرسل مستشاره للأمن القومى (هنرى كيسنجر) بملفات المعلومات التى كان يحتاجها (السادات) من آن لآخر ودون أن يحجب عنه إلا بما يضر بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وطبقًا للمستندات الأمريكية كانت معظم الملفات التى طلبها السادات للاطلاع عليها ملفات عن حقائق وقعت فى الماضى كان السادات يسعى لفك طلاسمها، ولذلك لم يخش

(١) أسرار السادات، من واقع ملفات (منتهى السرية). فى المخابرات المركزية الأمريكية، للأستاذ / توحيد مجدى ص: (١٥٥-١٥٧).

(نيكسون) أن يكشفها له مقابل صداقته وثقته فى الإدارة الأمريكية، أما على الجانب الشخصى والإنسانى فكان نيكسون يعتبر السادات شخصية تاريخية لن تتكرر، وفى بداية أبريل ١٩٧٢ أرسل الرئيس نيكسون للقاهرة هنرى كيسنجر مستشاره للأمن القومى ليقابل الرئيس السادات كى يُناقش معه عددًا من النقاط الهامة فى العملية السياسية المتعثرة بالمنطقة، وفى نفس الوقت حَمَّلَهُ مَلَفًّا خَاصًّا (سرى للغاية) عن أسرار حرب يونيو ١٩٦٧ كان نيكسون قد نَوَّهَ للسادات عنه فى محادثةٍ هاتفيةٍ لوثائق أسرار السادات هدف نيكسون يومها تسهيل مهمة (كيسنجر) بالقاهرة، وكان الملف السرى بمثابة هدية معلوماتية للسادات ستكشف له مفاجآت خطيرة فى ماضى بلاده أهمها أن سبب نكسة يونيو ١٩٦٧ كان فى وحدة رادار روسية الصنع من طراز (بى - ١٠)، هذا الرادارُ الْغَبِيُّ كان عبارة عن وحدة كشف ومسح إليكترونية جوية محملة على شاحنة عسكرية صغيرة الحجم كان المفترض أنها من أعظم ما أنتجته الصناعات الروسية وقتها سلمتها وزارة الدفاع الروسية إلى الجيش المصرى بداية من عام ١٩٦٦، وكانت تلك الوحدة طبقًا لكتيبات تشغيلها تكشف أىَّ جِسْمٍ جَوِّىٍّ مهاجم يتعدى الخمسين كيلو مترًا مربعًا، وتعاقدت مصر يومها على ١٠ وحداتٍ كانت تكفى تغطية جبهة المواجهات العسكرية المعروفة آنذاك بين مصر وإسرائيل على طول ١٧٥ كيلو مترًا، وفى الحقيقة أثار ذلك الملف عند السادات ذكريات حضرها بنفسه على الهاتف من القاهرة حيث كلفه الرئيس (عبد الناصر) بمتابعة الوفد المصرى الرفيع الذى زار موسكو عام ١٩٦٦ لاستلام الوحدات دون أن يعرف السادات خفايا الزيارة أو سببها الحقيقى، وفى صيف عام ١٩٦٦ أقامت وزارة الدفاع الروسية فى موسكو (حفلاً سريًا) مهيبًا حضره الزعيم الروسى (ليونيد بريجينيف)، كما حضره معه (أندريه جريشكو) وزير الدفاع الروسى، وقد دعت وزارة الدفاع الروسية من الجانب المصرى يومها المشير (عبدالحكم عامر) وزير الحربية، والقائد العام للجيش المصرى، وفى الواقع تثبت الوثائق التى حصل عليها

الرئيس (السادات) يدًا بيد من (كيسنجر) فى أبريل ١٩٧٢ بالقاهرة أن تلك الوحدة كانت السبب الفعلى وراء قرارات الرئيس (جمال عبدالناصر) الست والتى أدت لهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧، ومنها إخلاء سيناء من المراقبين الدوليين، وغلق قناة السويس، وغلق مضايق التيران، وتحريك القوات والقطع البحرية، لقد (وثق عبدالناصر) فى قدرة تلك الوحدة الأسطورية من الرادار الروسي وقدرتها على كشف الطائرات الإسرائيلية حتى قبل إقلاعها من مطاراتها، كما قالوا له عبر الهاتف، ولذلك قد تصرف بقوة، وبالتأكيد لم يتوقع الرئيس (عبدالناصر) يومها أن جملة واحدة مشفرة مكونة من ستة كلمات أرسلتها جاسوسة عملت لحساب الموساد الإسرائيلى فى شبكة السيدات سيئات السمعة التابعة (لصلاح نصر) فى القاهرة كان محتواها: (الرادار الروسى أعمى تحت ٥٠٠ متر) ستكون سبب نكسة ٦٧ وتفاخر إسرائيلى زائف بقوة غير حقيقية، والحقيقة أن الجاسوسة المصرية كل مَا وُجِدَ عنها من معلومات، أنها كانت فنانة مصرية شهيرة، ولأن المعلومات مصنفة على أنها محظورة، فلا نجد لتلك الفنانة المصرية اسماً، أو أىَّ بياناتٍ محددةٍ فى الأوراق تمكننا من التكهن بشخصيتها ولو من قريب الشبه، والتفاصيل كما وقعت تكشف أن الزمان كان أحد ليالى شهر مايو صيف ١٩٦٧، أما المكان فهو شاليه يملكه (صلاح نصر) فى منطقة (صحارى سيتى) بالقرب من هضبة الأهرامات فى الجيزة، ويؤكد ما توفر من معلومات أن الفنانة المصرية التى اصطحبها (صلاح نصر) ليلتها فى ذلك الشاليه كانت ضمن عدد آخر من السيدات استغلهن صلاح نصر فى عمليات جنسية شاذة فى إطار عمليات الكنترول والسيطرة المخابراتية على عناصر أجنبية ومحلية) وفى الواقع مثبتٌ بوضوح أن صلاح نصر يجهل تمامًا عمل تلك الفنانة المصرية لحساب الموساد الإسرائيلى، وتشير الوثائق أنه كان لا يكشف عادة عند بداية تجنيده واختياره للسيدات فى مجموعته إلا عن ألوان ملابسهن الداخلية، ولذلك لم يتمكن من كشف عمالتها لإسرائيل، وخلال أحداث تلك الليلة الساخنة وفى لحظة ما رن جرس الهاتف،

فطلبت منه الفنانة الجاسوسة أن لا يردَّ، لكنه أكد لها أنه لن يأخذ سوى دقيقة، لأنه ينتظر تليفونًا هامًا وكان حظها أن تتعثر فى أغلى معلومة أُرسلت لإسرائيل من مصر منذ بداية انقلاب الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وحتى تلك الليلة الغريبة، وعلى الهاتف كان القائد العام للجيش (عبدالحكيم عامر) وقد كان صوته مرتفعًا فى حديثه مع (صلاح نصر) ولذلك كانت الجاسوسة تسترق السمع جيدًا وهى مستندةً بخنوع على صدرهِ قريبةً من السماعة بينما (عامر) على الطرف الآخر لا يدرك ما يحدث على فراش (صلاح نصر) يَسِبُّ وَيَلْعَنُ وزارة الدفاع الروسية بدعوى أنها ضحكت على مصر وسلمتها رادارًا غَبِيًّا لا يرى تحت ٥٠٠ متر، وطبقًا لمعلومات الوثائق الأمريكية كانت الجمل واضحة للغاية والمفاجأةُ مدويةً بالنسبة لنا اليوم على الأقل، فالمشكلة كشفها أحد الطيارين المصريين المدربين فى الاتحاد السوفتيى وَيُدْعى (محمد حسنى مبارك)، وكان قد وقع فيها عن طريق الصدفة وهو يجرب رَدَّ فِعْلِ واستجابةِ الرادار الجديد، وفى نهاية الحوار طلب (عبدالحكيم عامر) من (صلاح نصر) الذى كان متوترًا أن يُوافيه فورًا من مكتبه بينما (صلاح نصر) يعتذر عن إفساد الليلة ويرتدى ملابسه ليلحق (بعبدالحكيم عامر) وكانت الجاسوسة فى تلك اللحظة ممددة على الفراش لا تريد أن تستر جسدها الذى كان سببًا فى التقاط آذانها أغلى معلومة فى تاريخ الحروب بين مصر وإسرائيل، وبعدها بساعةٍ واحدةٍ كانت الكلماتُ السِّتَّةُ قد وجدت طريقها إلى (تل أبيب) حتى قبل أن يُنهى (عبدالحكيم عامر) اجتماعه مع (صلاح نصر). فى ما تم بينهما فى اللقاء كان من اليسير على المخابرات الأمريكية أن تتوقعه، فقد قرر الاثنان يومها إخفاء الموضوع عن الرئيس (جمال عبدالناصر) وتلقين الطيار المصرى المذكور حتى لا يفتح فمه خشية أن يدفع أحدهما منصبه ثمنًا للمشكلة بعد أن كانا مسئولين معًا على التعاقد على هذا الرادار بعقدٍ ملزم طويل المدة، بالقطع يمكننا أن ندرك بوضوح سر شجاعة إسرائيل فى مهاجمة المطارات المصرية والعربية فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧، فببساطةٍ لم يتطلب الهجوم الجوى

الإسرائيلى إلا رسم مسار جوى منخفض فوق مستوى سطح البحر، وخلال الجغرافيا المستوية فى سيناء، وقد طارت يومها الطائرات الإسرائيلية المهاجمة فى خطوط مستوية متعرجة على ارتفاعات لم تتخط حاجز الـ(٤٥٠ متراً) فوق سطح البحر، أو الأرض، وقبل أهدافها كانت تظهر فجأة فى شكلٍ مُبَاغَتَةٍ هجوميةٍ ضد الدفاعات الأرضية المصرية والباقى سجلته أوراث تاريخ عدوان هذا اليوم الحقيقة كما سجل (هنرى كيسنجر) فى أوراقه الشخصية كان (السادات) مُتَأَلِّمًا للغاية لأنه تَذَكَّرَ أَنَّ إسرائيل نَفَّذَتْ بعدها فى ليلة ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ عمليةً مشابهةً هاجمت فيها جسر مدينة (قنا، ونجع حمادى بصعيد مصر)، كما تذكَّر عمليةً أخرى نَفَّذَتْهَا بعدها فى ليلة ٢٦ ديسمبر ١٩٦٩ عُرفت فى سجل العمليات الإسرائيلية بعملية (الديك الرومى - ٥٣) هاجمت فيها القوات الإسرائيلية الخاصة شواطى مدينة (رأس غارب) المصرية القريبة من البحر الأحمر، ونجحت يومها فى رفع وحدة رادار روسى من نفس أسرة الرادار الأول لكن طراز (بى -١٢) وذلك بواسطة الطائرات الأمريكية الصنع من طراز (سكور سى - ٥٣) العمودية العملاقة التى كانت تُجَرَّبُ لأول مَرَّةٍ يومها، وكان حزن (السادات) أن أحدًا من القادة فى القاهرة لم يهتم بتأمين ذلك الرادار، ولم يفهم خطورة ما حدث منذ البداية، وتكشف الوثائق أن (السادات) بعد أن أَتَمَّ قراءة الملف الأمريكى السرى شكر (كيسنجر) وطلب منه أن يشكر الرئيس (ريتشارد نيكسون) عندما يعود، وعندما سأله (كيسنجر) عن السبب ابتسم وصمت، وَطِبْقًا للأحداث المسجلة كان (السادات) قد اتخذ فى ١٨ يوليو ١٩٧٢ قراره بطرد الخبراء الروس من مصر، فكانت أُولَى خطوات خطة الخداع الاستراتيجى الكبرى التى صرفت نظر العالم عن أنه يفكر فى الحرب ثانية، إذ نجح (السادات) فى الضغط على (الروس) حتى قَدَّمُوا له فى مارس ١٩٧٣ صفقة أسلحة كُبْرَى اعتمد عليها فى بدء (حرب أكتوبر ١٩٧٣)، أما أهم مَا تَعَلَّمَهُ (السادات) يومها من الملف الأمريكى السرى، فكان تغيير وتطوير مصادر أنواع المطارات المصرية ونشرها بعد تأمين مواقعها

جيدًا، وقد كان لقراره أعظم أسباب نجاح قوات الدفاع الجوى المصرى فى مواجهة القوات الجوية الإسرائيلية المعادية وردعها وإخراجها من معادلة الهجوم الإسرائيلى المضاد للعبور فى أول وأخطر وأهم ساعات التاريخ المصرى الحديث[1].

الْفَلاَّحُ الْمِصْرِىُّ الذَّكِىُّ:

ونعود أدراجنا سريعًا إلى تكملة الحوار الذى دار بين الرئيس المصرى (السادات) والرئيس الأمريكى (هنرى كيسنجر) كان يعتقد الرئيس (الأمريكى) قد حجبها عن (السادات) فيقول: (أعتقد أن اليوم أحمل لك أسرارًا أخرى حجبها عنك الرئيس (جمال عبدالناصر) عن قصة بدأت منذ عام ١٩٥٤)، فعاد (السادات) للصمت بينما (نيكسون) يفجر مفاجأة جديدة كما وعده، وهى أن الزعيم (عبدالناصر) كان بينه وبين إسرائيل محادثات جانبية غير مباشرة أشرفت عليها الولايات المتحدة الأمريكية فى سريةٍ تامةٍ بدأت قبل فترة (نيكسون) علمًا أنه تولى الرئاسة فى ٢٠ يناير ١٩٦٩ وحتى يوم وفاة (جمال عبدالناصر) فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وفى الواقع أن (السادات) كان فى شبه الصدمة، لأنه تولى منصب نائب الرئيس بدايةً من ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ وحتى وفاة (عبدالناصر) ومع ذلك لم يسمع نهائيًا عن تلك الاتصالات السرية التى انطلقت بين (عبدالناصر) و(إسرائيل) عقب سقوط شبكة (لافون بالإسكندرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٣)، وفى وثائق الجلسة توقف السادات وسأل (نيكسون) مباشرةً: (من أدارها من النظام المصرى؟) فرد نيكسون دون تفكير: (على صبرى)، فصمت السادات لحظات، وبعدها عاد يسأل نيكسون عن تلك المفاوضات، لأنه خَشِىَ أن يكون (عبدالناصر) قد تعهد فيها بشىء لأمريكا وإسرائيل، ربما لا يوافق هو عليه، ثم وجد فى الوثائق ملاحظة للرئيس (ريتشارد نيكسون) سجل فيها: (لقد تملكت السادات شخصية الفلاحُ المصرىُّ

(١) مختصر من المصدر السابق.

الذكيُّ فى هذه اللحظة، ولأننى أعرف أنه شخصٌ لديه ذَكَاءٌ أُسْطُورِيٌّ، فكنت قد طلبت نسخ عدد من الوثائق الهامة تثبت كل كلمة مما سأكشفه له وقد أعددت نسخًا، ليدرسها كما يشاء بعدما يعود للقاهرة)، وبالفعل كما توقع نيكسون استأذن الرئيس الأمريكى إذا كان يملك أى مستند عن تلك المفاوضات، فقدم له نيكسون الوثائق المؤيدة لكلامه، فتأكد السادات من المعلومات وعاد يسأل الرئيس الأمريكى عن الأسباب القوية التى دفعت الرئيس (جمال عبدالناصر) ببدء مفاوضات سرية مع إسرائيل؟، فَرَدَّ نيكسون على سؤال السادات مؤكدًا: (كانت أسباب عبدالناصر إنسانيةً بحتةً، فقد كان قَلِقًا على مصير عشرات الآلاف من جنود وضباط مصر الذين سقطوا أسرى لدى إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧) فطلب السادات منه أن يبدأ من البداية، وبالفعل بدأ نيكسون يحكى للسادات مؤكدًا له أن الرئيس الأمريكى الديمقراطى (ليندون جونسون) الذى تولى الرئاسة الأمريكية من ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣، وحتى ٢٠ يناير ١٩٦٩ كان على علم بتلك المفاوضات السرية، كما أن (عبدالناصر) أطلع على السِّرِّ صديقة (جوزيف بروز تيتو) الرئيس اليوغسلافى، وأنه شارك فى نفس السِّرِ (جواهر لال نهرو) رئيس الوزراء الهندى الأول، وأنهم توسطوا سرًّا بين (ناصر، وتل أبيب)، أما القصة طبقًا لما سجلته وثائق أسرار السادات فقد بدأت فى مساء يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٣ أمام سينما (ريو بمدينة الإسكندرية) عندما سقطت جواسيس فضيحة (لافون الشهيرة فى مصر)، وأن محاكمة جواسيس لافون الـ١٣ بدأت برئاسة اللواء (محمد فؤاد الدجوى) رئيس المحكمة العسكرية التى أصدرت حكمها فى القضية يوم (الخميس الموافق ٢٧ يناير ١٩٥٥) بإعدام كل من الدكتور (موسى مرزوق) و(شموئيل عازر) وقد نفذ الحكم فيهما فى سجن الاستئناف بباب الخلق فى فجر يوم ٣١ يناير ١٩٥٥ أما باقى الأحكام الخاصة بشبكة الجواسيس فكانت الأشغال الشاقة المؤبدة لكل من: (فيكتور ليفى) و(روبرت

داسا) وفيليب (نتاترون)، والسجن ١٥ عامًا على (مرسيل فيكتورين نينو) المعروف أن حكمها كان أشد حكم من نوعه على سيدة مصرية حتى ذلك الوقت ومن بعدها بدأت محاكم الجنايات المصرية تغلظ العقوبات على السيدات، كما حكمت المحكمة يومها على كل من: (ماثير زحفران) و(ماثير ميوحاس) بالسجن لمدة ٧ أعوام، وقامت بتبرئة كل من إيلي نعيم و(تسزار كوهين) من التهم المنسوبة إليهما لعدم توافر الأدلة، وكعادته، ولأنه عاصر القضية انتظر (السادات) الجديد من المعلومات وهو ينظر بتفحص إلى الرئيس الأمريكى (ريتشارد نيكسون)، وهنا كشف (نيكسون للسادات) أن موضوع المفاوضات بدأ بعرض سرى قدمته (إسرائيل) (لعبدالناصر) مساء يوم الخميس الموافق ٢٧ يناير ١٩٥٥ بواسطة السفير الأمريكى الجديد يومها بالقاهرة (هنرى بيرود)، وراح نيكسون يحكى للسادات أن العرض كان فى شكل قرض إسرائيلى لا يُرد مدفوع بشيك دولى من حساب دولة إسرائيل، لدى الفرع الرئيسى لبنك (كريديت ليونيه) الفرنسى بباريس ضمنته واشنطن، وأن العرض الإسرائيلى بدأ فى مساء ٢٧ يناير ١٩٥٥ بمبلغ ٣٠ مليون دولار أمريكى رفعته تل أبيب بسبب رفض (عبدالناصر) خلال الأربعة أيام التالية أى: قبل تنفيذ حكم الإعدام فى ٣١ يناير على (موسى مرزوق، وشموئيل عازر) إلى ٣٠٠ مليون دولار أمريكى مع تعهد من السفير الأمريكى (لعبدالناصر) أن تحول بلاده قيمة العرض فورًا للقاهرة حال موافقة الرئيس (عبدالناصر) على إطلاق سراح الجواسيس، فضحك السادات وكأنه فهم سرًّا جديدًا عليه، فى الحقيقة (ضحك السادات)، لأن (نيكسون) كان يتحدث عن الحكم الذى صدر على مجموعة لافون، وهو نفس التوقيت الذى احتاج فيه (عبدالناصر) لمبلغ ٤٠٠ مليون دولار أمريكى لتشييد مشروع السد العالى، وقد ضحك أيضًا يومها على أساس أنه فوجئ أن إسرائيل عرضت يومها على (عبدالناصر) الاستغناء عن أية قروض أو مساعدات من الاتحاد السوفيتى،

أو البنك الدولى، أو غيره لتمويل مشروع السد العالى فقط مقابل الإفراج عن جواسيس عملية (لافون) ومع ذلك رفض عبدالناصر وَفَضَّلَ أن يستدين على أن يشترى السد العالى بحفنة من جواسيس إسرائيل الذين سقطوا فى فضيحة لافون، وكان السادات قد انتبه للقصة وبدأ يضحك بصوت مسموع قليلاً وهو يتعجب من عبدالناصر (الرجل والزعيم) وفى ١٣ يناير ١٩٦٨ كان كل جواسيس فضيحة لافون بمصر قد تجمعوا فى تل أبيب وفى نهاية عام ١٩٦٨ أرسل (عبدالناصر) لإسرائيل رفات الجاسوسين الدكتور (موسى ليتو مرزوق) و(شموئيل بخور عزرا) سرًّا إلى (تل أبيب) بعد أن استخرجت رفاتهما من مقابر اليهود بالقاهرة والإسكندرية، وتم أيضًا الإفراج عن العشرة جواسيس المتبقين فى سجون مصر من شبكة (لافون) مقابل مبادلة عدة آلاف من الجنود والضباط المصريين أسرى حرب ١٩٦٧ [1].

وفى التقرير المنسوب إلى السفير الأمريكى بالقاهرة (ألفريد إل. أثرتون) نجد فقرة ربما تقلب استراتيجيات كثيرة راسخة ونصها كالتالى: (مصر هى القاعدة الأساسية للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهى الاستثمار الفعلى على الأرض للولايات المتحدة الأمريكية، بينما إسرائيل تمثل قسم الشرطة، أو وحدة الحراسة التى تحرس قاعدة المصالح الأمريكية).

وفى وثائق أسرار السادات تعترف الولايات المتحدة أن علاقاتهم معه كانت متوازنة (وأن السادات أجبر واشنطن طيلة الوقت على احترام سيادة قراراته التاريخية وتأكيد أمريكى رسمى حزين على أن مصر فقدت فى عملية اغتياله ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٦ أكتوبر ١٩٨١ زعيمًا أسطورياً أحب مِصْرَ أكثر مما سجله التاريخ) [2].

---

(١) مختصر من المصدر السابق.

(٢) أسرار السادات من واقع ملفات (منتهى السرية) فى المخابرات المركزية الأمريكية، للأستاذ توحيد مجدى ص: ٢٩٢.

السادات مع قادة حرب أكتوبر:

بعد وفاة الرئيس (جمال عبدالناصر) فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وكونه نائبًا للرئيس أصبح رئيسًا للجمهورية، وقد اتخذ فى ١٥ مايو ١٩٧١ قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى فى مصر وهو مَا عُرِفَ بثورة التصحيح، وفى نفس العام أصدر دستورًا جديدًا لمصر، وقام فى عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن ما يقرب من ١٧٠٠٠ خبير روسى فى أسبوع واحدٍ، ولم يكن خطأ استراتيجى، ولم يكلف مصر الكثير إذ كان السوفيت عِبْءٌ كَبِيرٌ على الجيش المصرى، وكانوا من قُدامى العسكريين السوفيت، والمحالين على التقاعد، ولم يكن لهم أَيَّ دَوْرٍ عَسْكَرِيٍّ فِعْلِيٍّ خلال حرب الاستنزاف على الإطلاق، وكان الطيارين السوفيت برغم مهمتهم فى الدفاع عن سماء مصر من مطار (بنى سويف)، إلا أنهم كانوا قد فشلوا فى تحقيق المهمة بالكامل، والدليل على ذلك خسارتهم لـ(٦ طائرات ميج ٢١) سوفيتية بقيادة طيارين سوفيت فى أول وآخر اشتباك جوى حدث بينهم وبين الطائرات الإسرائيلية، والحقيقة التى يعرفها الكثيرون بأن إقدام السادات على هذا التخلى كان من خطوات حرب أكتوبر، حيث أراد السادات عدم نسب الانتصار إلى السوفيت، وكذلك من أهم الأسباب التى جعلته يقدم على هذه الخطوة هو أن الاتحاد السوفياتى أراد تزويد مصر بالأسلحة بشرط عدم استعمالها إلا بأمرٍ منه، حيث أجابهم (السادات) بكلمة: (آسف)، فلا أقبل فرض قرار على مصر إلا بقرارى وقرار الشعب المصرى، كما أن هؤلاء الخبراء الروس كانوا معيقين بالفعل للعمليات العسكرية المصرية خلال حرب الاستنزاف، وتم اكتشاف عدد منهم يتجسس لحساب إسرائيل بالفعل، وكان الضباط والجنود المصريين لا يتحدثون معهم فى أى تفاصيل عن العمليات الحربية، أو حتى عن التدريب، لقد كان تواجد هؤلاء الخبراء مجرد رمز على الدعم السوفيتى، ولعبة سياسية لا أكثر، وقد أقدم على قرار مصيرى له ولمصر وهو قرار الحرب ضد إسرائيل، والتى بدأت فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش كسر خط بارليف وعبور قناة السويس،

وبذلك فقد قاد مصر إلى أول انتصار عسكريٍّ على إسرائيل.

* أهم الأعمال التى عمل بها وَنُسِبَتْ إليه:

- عمل مراجعًا بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨.
- عمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقه (حسن عزت).
- فى عام ١٩٥٠ عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور (يوسف رشاد) الطبيب الخاص (بالملك فاروق).
- فى عام ١٩٥١ تكوّنت الهيئة التأسيسية للتنظيم السرى فى الجيش، والذى عُرِفَ فيما بعد تنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها، وتطورت الأحداث فى مصر بسرعة فائقة بين عامى ١٩٥١-١٩٥٢، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦، وبعدها اندلع حريق القاهرة الشهير فى يناير ١٩٥٢، وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.
- وفى ربيع عام ١٩٥٢ أعدت قيادة تنظيم الضباط الأحرار للثورة.
- وفى ٢١ يوليو ١٩٥٢ أرسل (جمال عبدالناصر) إليه فى مَقَرِّ وحدته بالعريش يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمساهمة فى ثورة الجيش على الملك والإنجليز، وقامت الثورة، وأذاع بصوته بيان الثورة، وقد أُسْنِدَ إليه مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك (فاروق) بعد الثورة.
- فى عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة بجريدة الجمهورية، وَأُسْنِدَ إليه رئاسة تحرير هذه الجريدة.
- وفى عام ١٩٥٤، ومع أول تشكيل وزارى لحكومة الثورة تولى منصب وزير دولة وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٤.
- انْتُخِبَ عُضْوًا بمجلس الأمة عن دائرة (تلا منوفية)، ولمدة ثلاث دورات، ابتداءً من عام ١٩٥٧، وكان قد انتخب فى عام ١٩٦٠ رئيسًا لمجلس الأمة، وكان ذلك

فى الفترة من ٢١ يوليو ١٩٦٠، إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٦١، كما انتخب رئيسًا لمجلس الأمة للفترة الثانية من ٢٩ مارس ١٩٦٤، إلى ١٢ نوفمبر ١٩٦٨، كما أنه فى عام ١٩٦١ عُيِّنَ رئيسًا لمجلس التضامن (الأفرو - آسيوى).

- فى عام ١٩٦٩ اختاره (جمال عبدالناصر) نَائِبًا لَهُ، وظل بالمنصب حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وبعد وفاة الرئيس (جمال عبدالناصر) فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وكونه نائبًا للرئيس أصبح رئيسًا للجمهورية.

أهم أعماله:

من أهم الأعمال التى قام بها (السادات) قيامه بإعادة الحياة الديمقراطية التى بَشَّرَتْ بها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولم تتمكن من تطبيقها، حيث كان قراره الذى اتخذه بعام ١٩٧٦ بعودة الحياة الحزبية، حيث ظهرت المنابر السياسية، ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حِزْبٍ سِيَاسِيٍّ وهو الحزب الوطنى الديمقراطى، كأول حزب بعد ثورة يوليو وهو الحزب الذى أسسه وترأسه، وكان اسمه بالبداية (حزب مصر)، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى، كحزب (الوفد الجديد) وحزب (التجمع الوحدوى التقدمى)، وغيرها من الأحزاب، وبتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ اتخذ الرئيس قراره الذى سبب ضجة بالعالم بزيارته للقدس وذلك ليدفع بيده عجلة السلام بين (مصر، وإسرائيل)، وقد قام فى عام ١٩٧٨ برحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض، وتحقيق السلام، كمطلب شَرْعِيٍّ لكل إنسان، وخلال هذه المرحلة وَقَّعَ اتفاقية (السلام) مع (كامب ديفيد) برعاية الرئيس الأمريكى (جيمى كارتر)، وقد وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع كُلٍّ من الرئيس الأمريكى (جيمى كارتر) ورئيس الوزراء الإسرائيلى (مناحم بيجن) والاتفاقية هى عبارة عن إطار للتفاوض يتكون من اتفاقين:

الأولى: إطار لاتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل.

الثانية: خاصة بمبادئ السلام العربي الشامل في الضفة الغربية وقطاع (غزة والجولان).

وقد انتهت الاتفاقية الأولى بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩، والتي عملت إسرائيل على إثرها إرجاع الأراضي المصرية المحتلة إلى مصر، وقد حصل على جائزة (نوبل للسلام) مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي (مناحم بيجن) وذلك على جهودهما الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط، ولم تكن ردود الفعل العربية إيجابية آنذاك لزيارته لإسرائيل، وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها في الجامعة العربية، وتقرر نقل المقر الدائم للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس العاصمة، وكان ذلك في القمة العربية التي تم عقدها في بغداد بُنَاءً على دعوةٍ من الرئيس العراقي (أحمد حسن البكر) في ٢ نوفمبر ١٩٧٨، والتي تمخض عنها مُنَاشَدَةِ الرئيس المصري للعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل، مما سيلحق الضرر بالتضامن العربي، ويؤدي إلى تقوية وهيمنة إسرائيل وتغلغلها في الحياة العربية، وانفرادها بالشعب الفلسطيني، كما دعى العرب إلى دعم الشعب المصري بتخصيص ميزانية قدرها (١١ مليار دولار) لحل مشاكله الاقتصادية، إلا أنه رفضها مفضلاً الاستمرار بمسيرته السلمية المنفردة مع إسرائيل، وقد أقدمت الدول العربية على قطع علاقتها مع مصر، باستثناء (سلطنة عمان، والسودان) وقد اعتبر كثير من الباحثين أن هذا القرار كان مُتَسَرِّعًا وغير مدروس، وكان في جوهره يُعَبِّرُ عن التطلعات المستقبلية للرجل الثاني في العراق آنذاك (صدام حسين)، لكن سُرعان ما عادت الجامعة العربية لجمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩، وبحلول خريف عام ١٩٨١ قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية، ومسئولي الكنيسة القبطية، والكتاب، والصحفيين، ومفكرين يساريين، وليبراليين، ووصل عدد المعتقلين في السجون المصرية إلى ١٥٣٦ معتقلاً، وذلك على إِثْرِ حدوث بوادر فتنٍ واضطراباتٍ شعبيةٍ رافضةً للصلح

مع إسرائيل، ولسياسات الدولة الاقتصادية، وفى ٦ أكتوبر من العام نفسه (بعد ٣١ يوم من إعلان قرارات الاعتقال)، تم اغتياله فى عرضٍ عسكريٍّ كان يُقام بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر، وقام بقيادة عملية الاغتيال (خالد الإسلامبولى) التابع لمنظمة الجهاد الإسلامى التى كانت تُعَارِضُ بِشِدَّةٍ اتفاقية السلام مع إسرائيل، ولم يَرْقَ لها حملة القمع المنظمة التى قامت بها الحكومة فى شهرِ (سبتمبر)، وجاء اغتيال (السادات) بعد أشهرٍ قليلةٍ من حادثة مقتل المشير (أحمد بدوى)، وبعض القيادات العسكرية فى تحطم طائرته الهليوكبتر بشكلٍ غامضٍ جِدًا، مما فتح الشكوك حول وجود مؤامرة.

لقد عاش (أنور السادات) عمره كله من أجل مصر، ولم يبخل عليها يومًا بلحظةٍ من عمره، ولا قطرةٍ من دمه، وهبها حياته وفكره، لِذَا كانت (مصر) تعيش أبدًا فى وجدانه، ورحلة كفاح الرئيس (السادات) صورةٌ نابضةٌ بالحب لشعبه، ووطنه، كما سَطَّرَهَا التاريخُ مُنْذُ مولده بميت أبو الكوم، وتدرجهُ فى التعليم حتى تخرج ضابطًا فى الكلية الحربية ودخوله السجن، ودوره البارز فى ثورة يوليو، وتقلده العديد من المناصب إلى أن تولى رئاسة الجمهورية ليحقق لبلاده أروع الإنجازات [١].

وفى فبراير ١٩٨١ يصل (السادات) إلى أوربا فى زيارة لعدة دولٍ أوربيةٍ، ويقدم سِرًّا لرئيسة الوزراء (مارجريت تاتشر) تقريرًا أمنيًّا به معلومات خطيرةٍ كشف فيها الرئيس (السادات) أَنَّ حياتُه فى خطرٍ، فوعدته تاتشر أَنْ تُسَاعِدَهُ أَمْنِيًّا، وفى نفس الزيارة كُشِفَ عن سِرٍّ آخَرَ من أسرار السادات، فنجد اعترافًا أمريكيًّا صريحًا، وهو: (أنهُ ظَلَّ طوال رئاسته لمصر يرفض الطلبات الأمريكية، لإقامة قواعد عسكرية أمريكية داخل شبه جزيرة سيناء، وتوثق المستندات أن (واشنطن) عرضت عليه ١٠ مليارات دولار أمريكى سنويًا معونةً ثابتةً لاَ تُرَدُّ لمصر، لإنعاش اقتصادها المتدهور، لكن (الرئيس السادات)

(١) شبكة الإنترنت.

فَضَّلَ الصعوبات التى واجهت نظامه، ورفض منح الأمريكيين موافقته على إنشاء أَىِّ قواعد أمريكيةٍ رسميةٍ ثابتةٍ، لكن الوثائق لا تنفى أنه وافق على التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية عسكريًّا، لكن كما سجلوا بأنفسهم فى حدود السيادة المصرية).

رحل الرئيس البطل الشهيد (محمد أنور السادات) وقبل أن يرحلَ سافرَ للبيت الأبيض فى آخِر رحلةٍ له لواشنطن بِدْءًا من ٤ أغسطس ١٩٨٠ حيث قابل رئيسها (رونالد ريجان) وفى اللقاء أخطر الإدارة الأمريكية، بأنهُ يشعرُ أنها آخر زيارةٍ لهُ، ويقول الكاتب: ولا يمكننا أن نختم رحلتنا مع وثائق (أسرار السادات) إلا بعد أن نتوقفَ طويلاً بالفحصِ والدرسِ، أمام خِطَابٍ هَامٍّ نجدهُ مُفَصَّلاً للرئيسِ الراحِلِ (محمد أنور السادات) احتفت به الوثائق بشكل ملحوظ، قال فيه رحمةُ اللهِ عَلَيْهِ:

(وكنتُ واثقًا أنهُ سوفَ يجيءُ يومٌ تظهرُ فيه الحقيقةُ لغيرى، كما كانت ظاهرةً لى .. وحين تظهرُ الحقيقةُ، فإنَّ الناسَ سوفَ يعرفونَ، وسوفَ يقدرونَ، وأحمدُ اللهَ .. لَكِنَّنِى أردتُ كَمَا قُلْتُ لكم وللأمةِ مِرَارًا وَتِكْرَارًا أَنَّ ذَلِكَ قَدَرِى، وَأَنَّنِى حَمَلْتُهُ عَلَى يَدِى، عَاهَدْتُ اللهَ وَعَاهَدْتُكُمْ، وَحَاوَلْتُ مُخْلِصًا أَنْ أَفِى بِالْوَعْدِ مُلْتَمِسًا عَوْنَ اللهِ) [١].

أهم إنجازات الرئيس (محمد حسنى مبارك):

الشخصية الثالثة، والتى سيطرت على الساحة السياسية أكثر من ثلاثين عامًا، ألا وهو الرئيس (محمد حسنى مبارك) وبالرغم من أن يديه، وأيدى أولاده (جمال وعلاء) وأيدى بعض وزراءه تلوثوا بالفساد المالى، وقد تسببوا فى تدهور الأحوال الاقتصادية على مدى ما يقرب من ثلثِ دَهْرٍ من الزمان إلا أنه فى الوطنية وحب تراب بلاده سلك مسلك سَلَفَيْهِ على ذلك الضرب ورفض بناء قاعدة أمريكية على أرض مصر، ولم يفرط فى

(١) أسرار السادات، من واقع ملفات (منتهى السرية) فى المخابرات المركزية الأمريكية للأستاذ/ توحيد مجدى (ص: ٣٣٨-٣٣٩).

حَبَّةِ رَمْلٍ من رمال سيناء لأعداء مصر ومن يوالوهم، وقد ذكرنا ذلك سابقًا، وإن كانت هذه فقط فكفى، وإليك عزيزى القارئ بعضًا من أهم إنجازاته خلال فترة رئاسته:

- شبكة مترو أنفاق القاهرة والجيزة، أفضل شبكة فى أفريقيا.

- تطوير مطار القاهرة الدولى، ليصبح أفضل مطار فى أفريقيا.

- مستشفى سرطان الأطفال ٥٧٣٥٧ يعتبر أكبر مستشفى سرطان للأطفال فى العالم.

- جسر مبارك السلام أعلى جسر فى الشرق الأوسط.

- ست طائرات بوينج (٧٧٧-٣٠٠) أكبر طائرة فى أفريقيا.

- القرية الفرعونية.

- الشركة المصرية لصناعة المواسير ولوازمها (أكوافلو) أكبر شركة فى هذا المجال فى الشرق الأوسط.

- بناء دار الأوبرا المصرية.

- استصلاح أكثر من ٣ ملايين فدان لتصل إجمالى الأرض الزراعية ٩ مليون فدان.

- تطوير ميناء الإسكندرية، ليصبح أهم وأفضل ١٠ موانئ فى العالم وهو يبلغ ٦٠٪ من إجمالى التجارة فى مصر.

- السيادة الكاملة على سيناء.

- المكتبة المركزية لجامعة القاهرة، وتسع مليون كتاب، وهى من أكبر المكتبات فى مصر.

- بناء مكتبة الإسكندرية، لتكون أكبر مكتبة فى أفريقيا والشرق الأوسط.

- ترميم وإصلاح وتطوير برج القاهرة، وإعطائه لمسة معمارية متميزة.

- معهد جراحات القلب.

- استاد برج العرب أكبر استاد فى إفريقيا، والشرق الأوسط يسع ٩٠ ألف متفرج.

- مجمع الصالات المغطاة أفخر، وأكبر، وأفضل مجمع صالات فى أفريقيا، والشرق الأوسط وتعتبر الثالثة على مستوى العالم.

- إسكان مبارك للشباب.

- كوبرى ٦ أكتوبر أكبر كوبرى فى الشرق الأوسط وأفريقيا.

- طريق طابا.

- الفنادق والقرى السياحية الفاخرة، وتضاعف عدد السائحين فى مصر.

- اكتشاف المئات من الآثار، وترميم الكثير منها أيضًا، ومضاعفة عدد السياح فى تلك الفترة، بشكل غير عادى.

- شبكة بنية تحتية هائلة، ليدل على مضاعفة السياحة فى مصر.

- عودة العلاقات مع الدول الإسلامية والعربية، وعودة مقر الجامعة العربية للقاهرة.

- إقامة علاقات دولية متميزة، مكنت من إسقاط نصف مديونية مصر الخارجية.

- إعادة إحياء القمم العربية بعد انقطاعها منذ الغزو العراقى للكويت بدعوة من مصر عام ١٩٩٦، وتقنين دورة انعقاد القمة بمبادرة منها.

- قيادة مصر فى دعم القضية الفلسطينية عربيًا ودوليًا، ومساندة الشعب الفلسطينى فى مواجهة الاحتلال، وتأمين حقوقه المشروعة وصولاً إلى قيام دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس.

- التصدى بحسم وبقوة القانون، وبتضامن الشعب لقوى الإرهاب، لضمان استقرار الوطن وتقدمه.

- تدعيم العلاقات مع الاتحاد الأوروبى تحقيقًا للتوازن فى سياسات مصر الخارجية،

وإبرام اتفاقية الشراكة الأوروبية.

- إنشاء محاكم الأسرة.

- إقرار حق الخُلْعِ للمرأة المصرية.

- ضمان تنفيذ أحكام بإنشاء صندوق لتأمين الأسرة.

- المساواة بين الأب والأم المصرية فى حق منح الجنسية للأبناء

- التوسع فى المناصب القيادية للمرأة.

- حرية التعبير والرأى من خلال ٥١٥ صحفية تعمل فى مصر، منها ٤٨ صحفية حزبية.

- زادت قيمة الصادرات الزراعية من نحو ٠,٥ مليار جنيه، لتصل لنحو ٧ مليارات، و٣ ملايين فدان مستصلحة، لتصل بالرقعة الزراعية إلى ٨,٣ مليون فدان.

- حرية الفلاح المصرى فى زراعة وتسعير إنتاجه.

- تحديد العلاقة بين المالك والمستأجر.

- زيادة قيمة الإنتاج الزراعى بحوالى ١٦ مرة من نحو ٥,٨ مليار جنيه إلى ما يقرب من ٩١ مليار جنيه.

- زيادة دعم المعاشات بـ٢٢ ضعفًا من ٥٥٤ مليون جنيه، إلى ١١ مليار جنيه.

- وصل معاش الضمان الاجتماعى، ومعاش الطفل إلى نحو مليار جنيه.

- زاد عدد المُؤَمَّنِ عليهم من نحو ١٠,٣ مليون مواطن إلى ١٩ مليون مواطن.

- زيادة الإنفاق على الدعم المباشر على السلع والخدمات من ٢ مليار جنيه إلى ٣٥,٤ مليار جنيه.

- زيادة دعم السلع التموينية من مليار جنيه إلى ١٠ مليارات جنيه.

- زيادة دعم المنتجات البترولية من ١٠٠ مليون جنيه إلى أكثر من ٢٢ مليار جنيه.

- ٤٠ مليون مواطن يستفيدون من البطاقات التموينية.

- تحول رصيد الميزان التجارى من عجز قدره ٢,٣ مليار دولار إلى فائض بلغ ٣,٧ مليار دولار.

- زادت قيمة الصادرات الصناعية (بدون البترول ومنتجاته) من نحو ٥, ٠ مليار دولار إلى نحو ٦, ٦ مليار دولار.

- زادت إيرادات قناة السويس من نحو ٩٠٩ ملايين دولار إلى ٤, ٣ مليار دولار.

- تضاعفت قيمة الصادرات إلى دول الاتحاد الأوروبى فى الست سنوات الأخيرة ووصلت إلى نحو ٧, ٢ مليار دولار.

- تضاعف إنتاج الغاز الطبيعى منذ بداية التسعينات ليصل ٦, ٢٣ مليون طن.

- تضاعف احتياطى الغاز الطبيعى أكثر من أربع مرات منذ بداية التسعينات ليصل إلى ٦٥ تريليون قدم مكعبة.

- توقيع بروتوكول إنشاء المناطق الصناعية المؤهلة، لتسهيل نفاذ كافة المنتجات المصنعة بهذه المناطق إلى السوق الأمريكية، بدون تعريفة جمركية، أو حصص حكومية، أو غير ذلك من قيود.

- بناء جيش قوى قادر على حماية البلاد [١].

كل مَا ذُكِرَ سَابِقًا لمن يجهلون تاريخ الرئيس (مبارك) ومن معه، ومن حوله من قيادات، وبالرغم ممن لُوِّثَتْ أيديهم بالفساد المالى، فكل ذلك يهون مالم تلوث أيديهم بالقتل، وحرق المنشآت، وخيانة الأوطان، أو بالتفريط فى حبة رَمْلٍ وَاحِدَةٍ من رمال

(١) شبكة الانترنت.

أوطاننا الغالية، فَتَفْنَى الأَنْفُسُ، والأموالُ والأبناءُ، وَكُلُّ شَيْءٍ من متاعِ الدنيا الزائلِ، وَتَعِيشُ مِصْرَ، وَتَعِيشُ مِصْرَ، وَتَعِيشُ مِصْرَ.

الصَّامِتُ الذَّكِيُّ، وَالشُّجَاعُ الأَبِيُّ:

أنواع الرجال متفاوتة، ومواقفها تُوافق تكوين الشخصية وما اندرجت عليه من سُلوكيات تأصلت فيه وتعلمها من خلال احتكاكه مع أقرانه، أو أصدقائه، فانطبعت فى تكوينه، فأصبح يعيش عليها ويتأثر بها، فهناك أُنَاسٌ يتكلمون بأعينهم، وابتساماتهم، وَتَأَمُّلاَتِ، أو حركات وجوههم، وهذه الشخصية من هؤلاء لا يتكلمون إلا عند الضرورة القسوى، فإذا تكلموا فعلوا، وجاز فى وصفهم الرجال الأشداء، وهناك نوعية من الرجال يتكلمون ويعملون، فإذا تكلمَ، أَوْ تَوَعَّدَ وَفىَّ، وهذه النوعية من الرجال لا يتكلمون إلاَّ حَقًّا، ولا يتلونون بحسب المواقف، واتجاهتها، ولا يخونون، ولا يغدرون، ولا يتوجهون لأى وجهة لا ينتمون إليها، وولائهم يكون لأوطانهم كَالزَّعِيمَيْنِ الخَالِدَيْنِ (عبدالناصر، والسادات) أما الشخصية الثالثة والتى اندرجت، وتعودت على الكلام، بلاَ جَدْوَى، فهؤلاء هم الثَّرْثَارُونَ، والمتنطعون، والمتفيهقون، والمتشدقون، الذين يتكلمون بما لا يفهمون، وهؤلاء أمثالهم كثيرٌ، وَيُسَمَّونَ فى قرى مصرى (الْهَجَّاسُونَ)، أو كما قال المثل الدارج: (كَثِيرُ الْكَلاَمِ، قَلِيلُ الْعَمَلِ)، وأما الشخصية لرابعة، فهى شخصيةٌ يَرْتَسِمُ على وجهها الجلالُ، والوقارُ، فإذا رأيتهم تمنيت أن تقترب منهم، وتتعامل معهم، بل وَتَتَوَدَّدَ إليهم، وَلَكِنَّ المفاجأة الكبرى أنك إذا اقتربت منهم، وتعاملت معهم، ودار الحوار بين أيديهم وجدتهم كأطفالٍ صغارٍ فى تصرفاتهم، والكلمات تخرج من أفواههم، كأطفالٍ يقذفونك بالحجارة فى أى اتجاه، وأما الشخصية التى نتناولها بين أيدينا الآن وهى شخصية الصَّامِتُ الذكيُّ، والشجاعُ الأَبِيُّ، ألا وهو معشوق كل المصريين، وقاهر من يسيرون فى الظلام، أمثال الشياطين، الفريق أول (عبدالفتاح سعيد السيسى)، والذى أصبح يتردد اسمه على ألسنة كل المصريين، من مُحِبِّينَ،

وَحَاقِدِينَ، لأن الـمُتصَدِّى للباطلِ، الْمُتَمَسِّكُ بالحقِ، كَثُرَ حُسَّادَهُ، وحاقديه، وقد ظهر على هذا الرجل من مواقفه السياسية، والإنسانية، أنه قليل كلامه، وكثير فعله، ولا يتكلم إلا نادرًا، ولا يتكلم إلا حقًّا، وإذا تكلم، فكلامه صدقٌ، وإذا فعل، ففعله حقٌّ، لا يراوغْ، ولا يداهنُ، ولا يتلونُ بتلونِ المواقفِ والاتجاهاتِ، وهذه الشخصية وكأنها درست، وتعلمت من الزعيمين الخالدين (عبدالناصر، والسادات)، فأخذت من الأول الصرامة، والشجاعة، والقوة، والتصدى للباطل مهما أن كلفها ذلك، لأنها تضع رقبتها على كَفِّهَا، ولا تخاف على حياتها، مهما تصدى لها المتجبرون، والمتوعدون، والمتشدقون، وأخذت من الثانى الْحُنْكَةِ السياسيةِ، والهجوم على الخصم بعد الصبر عليه، ومحاورته بالحسنى، واللين معه فى كل الاتجاهات، فإذا فشلت مساعيه هجم عليه بعد الصبر، وهذا ما فعله (السيسى) مع الرئيس المعزول وحزبه وأنصاره ومؤيديه، لأنه ما اهتم بالتهديدات ولا وضع اعتبارًا للمتفجرات، ولا أىّ سبيلٍ يُثنيه عن التحديات، طالما أن ذلك كله فى مصلحة الوطن والمواطنين، وقد ظهر ذلك واضحًا جليًّا فى القضاء على إرهاب جماعة الإخوان، فأظهر عوارهم، وأقمع إرهابهم، وأفلسهم أمام جميع المصريين، وأظهر للناس جميعًا مدى خيانتهم لأوطانهم، فالناس تهتف لثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ونحن نؤيد ذلك، ولكن الحقيقة تشير بأن الفضل لله أولا، ثم الجيش والشرطة وتصديها لجبروت الإخوان، فلو تظاهر غالبية شعب مصر، ولو سُدَّتْ بالمتظاهرين شوارع القاهرة، مَا أُجْبِرَ الإخوان على التنازل عن الحكم، ولكن إرادة الجيش هى التى أجبرتهم على ذلك، ولذلك أصبح العداء الشديد على الجيش والشرطة، فكل هذه الآلاف من الإخوان عداؤها فى شخص الفريق أول (عبدالفتاح السيسى) ولمن يُعاونوه، أو يؤيدوه، أو يعضدوه، لأنه هو الذى أجهض مخططاتهم فى سرقة مصر، أو بالأحرى فى التنازل عن مصر، لأمريكا، وحماس، وتركيا، وإيران، ولذلك قد ظهر الْكُرْهُ واضحًا جليًّا فى شخصه وفى اسمه، وقد اتخذت الناس بل وغالبية الشعب المصريِّ أغنية (تسلم الأيادى، تسلم يا جيش بلادى) سِمَةً فى أفراحهم، وما من فرح من غير الإخوان يمر إلا وهذه الأغنية

تتردد على ألسنة المطربين، ويرددها معازيم الفرح، أو المدعووين، لأن هذه الأغنية أشبعت رغبة المصريين، كما أشبعتهم قبل ذلك فى أيام الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) وقد حانت اللحظة لتنسم نسيم الوطنية فى تلك الأغنية:

نَاصِرْ كُلِّنَا بِنْحِبَّكْ
نَاصِرْ وِهَا نِفْضَلْ جَنْبَكْ
نَاصِرْ وِنْعِيشْ وَنْقُولَّكْ
نَاصِرْ يَا حَبِيبِ الْكُلِّ يَا نَاصِرْ
نَاصِرْ وَانْتَ اللِّى حَامِتْنَا
نَاصِرْ وَبَنِيتْ وِحْدِتْنَا
نَاصِرْ وَجَمَعْت صُورِتْنَا
نَاصِرْ يَا حَبِيبِ الْكُلِّ يَا نَاصِرْ
نَاصِرْ رَايْتَكْ عَرَبِيَّهْ
نَاصِرْ وَالْخَطْوَا الْجَايَّهْ
نَاصِرْ عَ الصُّهْيُونِيَّهْ
نَاصِرْ يَا حَبِيبِ الْكُلِّ يَا نَاصِرْ

فهذه الأغنية كما كانت تملأ صدور المصريين فى الستينات بنسيم العزة، والوطنية، والشموخ والكبرياء، كذلك فعلت مثيلتها (تسلم الأيادى) فى القرن الحادى والعشرين لأنهما ارتبطا بمشاعر جياشة تدل على حب الوطن، وحب زعماء الوطن، ولكن هناك أناس فى شخص الإخوان يفسدون أفراح المصريين، فيريدون أن يقتلوا بهجتهم فى صدورهم، فإذا تغنى الناس فى أفراحهم قام الإخوان ومن يوالوهم بحديدهم

وقديدهم، وأسلحتهم على أصحاب هذا الفرح ومن معهم بالتعدى عليهم وتحويل هذه الأفراح إلى أحزان، أما إذا وجد الإخوان القوة والحسم فى القائمين على تلك الأفراح انسحبوا مقهورين مرددين (تتقطع الآيادى) بغلٍّ وحقدٍ منقطع النظير، وإليك عزيزى القارئ ما يدل على الأكثر من ذلك أن حلاقًا يُدْعَى (السيد مصطفى محمد على خضير) ٣٩ سنة، وشهرته (السيد اللورد) يقطن فى حى الزهور ببور سعيد، قتله أحد المنتمين لجماعة الإخوان، لأنه قام بتعليق صورة (السيسى) على واجهة المحل، فقام القاتل واسمه (مصطفى فاروق خضر) ملتح من سكان حى السيدة خديجة ببورسعيد، وطرق غرفة نوم القتيل المطلة على الشارع بالدور الأرضى بعد صلاة الفجر، واستدعى القتيل بألفاظٍ نابيةٍ وقال له: (اصحى قطعت لك صورة السيسى) اللى أنت حاططها على المحل، وتعال شوف بنفسك، وعند خروج القتيل ليستوضح الأمر، طرحه الإخوانىُّ أرضًا، وأوسعه ضربًا وطعنًا، ولم يتركه إلا جثةً هامدةً، صارخًا: (ده جزاء من يرفع صورة السيسى) وتبكى الزوجة وهى تنظر إلى ولديها (ياسمين ١٠ سنوات) و(مصطفى ١٢ سنة) اللَّذَيْنِ أصبحا يَتِيمَيْنِ على يد الإخوانى، ويضيف الأب قائلاً: (الكافر قتل ابنى بعد صلاة الفجر، وهو يصرخ حى على الجهاد)، ثم يقول متسائلاً: هل قتل ابنى جهاد؟ وتابع قائلاً: دم ابنى فى رقبة (السيسى) فهو نصيرنا بعد الله، ونحن نعشقه، وأملنا فيه كبير، مضيفًا: أخطأنا بانتخاب مرسى، فيما رفعت الأم وأبناؤها صورة (السيسى) الممزقة، وانهمروا فى نحيبٍ طويلٍ[1].

والضحية الثانية فى حب (السيسى) أيضًا من محافظة الدقهلية، حيث قامت جماعة الإخوان بذبح سائق سيارة أجرة بالمنصورة مساء الاثنين ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م خلال مظاهرة لأعضاء الجماعة بالمحافظة، ويدعى (محمد جمال الدين بدير) من مدينة

(١) جريدة الوطن، الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥هـ ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م، السنة الثانية – العدد (٥٩٦) ص: ١.

(سندوب) حيث قام الإخوان بسحله، وطعنه ٩ طعنات بأسلحة بيضاء، وإشعال النيران فى سيارته بسبب محاولته المرور أثناء تنظيمهم مسيرة بشارع الجيش، واستمعت النيابة لعدد من شهود العيان الذين أجمعوا على أن فتاة لا يتعدى عمرها ٢٥ سنة ترتدى خمارًا لونه (بيج) هى التى بدأت بطعن المجنى عليه حيث أخرجت سلاحًا أبيض من تحت الخمار، وطعنت به الضحية، ثم وجه باقى المتهمين عدة طعنات أودت بحياة القتيل وقد تمكنت قوات الشرطة والمباحث من القبض على ١٤ من المنتمين للإخوان، والمشاركين فى المظاهرات، وأحالت ٩ منهم للنيابة، بعد ثبوت تورطهم فى الحادث وفق تحريات جهاز الأمن الوطنى، وتفريغ فيديوهات صورها عدد من المارة، وقد تم القبض على الدكتور (ياسر شاهين) أستاذ الكبد والجهاز الهضمى، ووجهت له تهم التحريض على القتل، والعنف، وتنظيم مظاهرة دون تصريح، بعد أن أكدت التحريات وشهادة الشهود أنه منظمُ ومولُ المظاهرة التى تسببت فى الحادث [1].

لذلك نقول: أَىَّ فِكْرٍ يُخَيِّمُ على هؤلاء الأقزام؟ وما الضرر الذى يصيبهم فى تعليق صورة (السيسى) على واجهة صالون حلاقة، أو على خلفية سيارة، أو على حائط مبنى؟ نقول: لا شىء، فقد اعتادت الأمم على عادة تعليق صور الزعماء فى الميادين، والشوارع، وعلى خلفيات السيارات، بل وكتابة أسماء البعض على بعض الشوارع والميادين، وَلاَ ضَيْرَ من ذلك أبدًا، ولكن الحقيقة التى لا تضاهيها غيرها أنهم يحقدون على كل وَطَنِىٍّ مُخْلِصٍ لوطنه يعمل لصالح بلده، لأنهم فاقدى الوطنية، والهوية، لأن الوطن عندهم هو المَسكن فقط، ولكن إذا تصفحنا التاريخ ورجعنا إلى الوراء قليلاً، لرأينا مدى حقد الإخوان (لعبدالناصر)، وتحالفهم عليه، والتآمرِ وَدَسِّ الفتنِ والمكائد لَهُ، وحاولوا اغتياله، حيث جرت محاولتان الأولى سنة ١٩٥٤، والثانية سنة ١٩٦٥، وكان الهدف

(١) جريدة المصرى اليوم، الخميس ١٦ صفر ١٤٣٥هـ ١٩ ديسمبر ٢٠١٣م – السنة العاشرة، العدد ٣٤٧٥ – ص: (٤).

من المحاولتين هو الاستيلاء على الحكم، كل ذلك لأنه زعيمٌ وطنيٌّ حتى النخاع، وأن ولائه لله، ثم لوطنه، وهكذا كان كرههم (للسادات) بالرغم من أنه قد أخرجهم من السجون، وأدخلهم فى العمل السياسى، وجعل لهم الحرية فى التَّحَرُّكِ علي أرض السياسة، كالأحزاب الأخرى، وبعد هذا كله قاموا بتصفيته واغتياله، فَكُلُّ وَطَنِيٌّ مخلصٌ لوطنه تَصَدُّوا له، وقاموا بتصفيته، واغتياله، لَفْظِيًّا، أو جسديًّا، أما لفظياً: فيقومون بالتشنيع عليه، وإلصاق التهم إليه جُزَافًا، وتعريضه، ولبيته باتهامات ما أنزل الله بها من سلطان، وأما جسديًّا: فيقومون بقتله، ولا يتورعون أبداً من ذلك، ولا يفكرون فى القصاص العادل فى الدنيا، والآخرة، ثم نعود لما بدأناه سريعًا، فنقول: لم كل هذا الحب، بالرغم من أن ذلك الحب تُزهق من أجله الأرواح. ولا يكتفى الشعب المحب لهذا الرجل عند هذا الحد فقط، بل ويتحدون بحبهم هذا كل جدران الخوف وجسورها، ويعبرون بذلك الحب كل صعب عسير، ألم يرد على الإخوان حينما اتهموا الجيش بضرب وسحل المتظاهرين حينها قام على الفور وقال: (تتقطع إدينا، إذا اتمدت على أى مواطن مصرى) وقام وقتها أحد المتسلقين الموجودين بين جدران السجون الآن، والمنتمى للإخوان، بالتهكم على ذلك آنذاك فى حكم المعزول، ألم يقل أحد آباء الجنود الـ٢٥ الذين قُتلوا فى ما يسمونه (برفح الثانية)، وبالرغم من مرارة الأسى والحزن على ابنه وفراقه يقول هذا الرجل: (إحنا كلنا خدامينك، ونبوس جزمتك، ونفديك بحياتنا)، ثم قام (السيسى) بِكُلِّ أَدَبٍ جَمٍّ رَفِيعٍ وتناول رأسه، ثم قَبَّلَهَا، من أجل ذلك حاز هذا الرجل على حب الغالبية من شعب مصر، رجالهم، ونسائهم، أطفالهم، وشيوخهم، وشبابهم، لأنه انحاز للشعب المظلوم، المكلوم المصدوم، الذى أُصْدِمَ فى رئيسه الذين اختاروه، ولم يفى بِأَيِّ وَعْدٍ من وعوده الذى أخذها على نفسه، وحلف عليها يمينه عند تسليم السلطة، بل الأدهى والأمر أنهم تجرعوا مرارة الحزن والأسى حينما علموا يقينيًا أنه جاسوسًا، خائنًا لهذا الوطن حريصًا على تدميره،

ووجدوا أيضًا أن ولاءه ليس لمصر، بل كان ولاءه لأعداء مصر، مما جعل المصريين الشرفاء الذين اختاروه يتصورون فى قرارة أنفسهم أنهم قد أخذوا قلمًا على (قفاهم) قَدْ سَمَّعَ الجميع من حولهم، ولما قام الجيش بإزاحة هؤلاء من على عاتق الشعب المصرى، والذين أُطْبِقُوا على صدورهم قرابة الـ(٣٦٨ يَوْمًا) من حكم المعزول، تنفس المصريون أنفاس الحرية، وبالرغم من أنهم يُقتلون، ويتهددون، لكنهم راضون كل الرضا عن هذا الجيش وقادته، ولذلك اختاروا (السيسى) رمزًا لهذا الحب الكبير، وهذا الولاء العظيم، فأصبحوا يَتَغَنَّوْنَ باسمه، لأنه امتلك حُبَّ قُلُوبِ الكثرةِ من هذا الشعب العظيم وليست القلوب فقط، بل وصل إلى ما هو أكثر من ذلك، ُقد وصل إلى شِغَافُهَا، أى: تأصل هذا الحب إلى أن وصل إلى شرايين هذه القلوب لِيَسُدَّ مسامها جميعًا، لأن هذا الشعب قد وَعِىَ الدرس، وعلم أن الإخوان قد جاءوا للسلطة لبيع هذا الوطن وتقسيمه، لتنفيذ المخططُ (الصهيو أمريكى) بمساعدة (تركيا، وحماس، والمخابرات الأمريكية، وإيران، وأموال قطر) لكن الله حمى (مصر) بولاء هذا الرجل، وولاء قادة جيشه، وولاء الشرطة، وطيبة هذا الشعب، وما تحرك هذا القائد بهذه القوة التى أزهلت العالم أجمع، إلا لدعم المطلبِ الشعبىِّ، فأوقف النَّزِيفَ المِصْرِىَّ الناجم عن عام حكمه (الإخوان) بالإقصاء، والتشويه للمعارضين، ومحاولة التكويش على جميع مفاصل الدولة، وتهميش جميع الفصائل والأحزاب، إلا محبوهم، ومن والوهم، وبالرغم من أنه قد عَرَّضَ نفسه لمخاطر كثيرة، إلا أنه لم ينتزع السلطة لنفسه، ولا للمؤسسة العسكرية، ولكنه اختار الوقوف، والانحياز لهذا الشعب، ورسم معالم خارطة الطريق نحو مستقبلٍ أفضلٍ لهذا الوطن، وَمِمَّا يَدُلُّ على صِدْقِ ما قلناهُ هو ما قاله (السيسى) خلال حضوره المناورة (بدر ٢٠١٣)، والتى نَفَّذَتْهَا قوات الجيش الثالث، حيث قال بوضوحٍ تامٍّ: (لا أحب أن تطالبوا بى رئيسًا للجمهورية، ولن أترك أحدًا ينعم بالراحة حتى تستعيد مصر عافيتها الاقتصادية) وقد أَحَسَّ السيسى من أول يوم

تسلم فيه قيادة القوات المسلحة بشكوك الرئيس المعزول نحوه، وقد أحس أيضًا بمراوغة، ومداهنة المعزول أيضًا تُجاهَ من ارتكبوا مجزرة (رفح الأولى)، والتى قُتِلَ فيها ١٦ جنديًا مصريًا فى رمضان، وعدم حماس رئيس الجمهورية لذلك الأمر آنذاك، ورفضه استمرار عمليات القوات المسلحة فى سيناء لملاحقة الإرهابيين ثانياً: رفضه إلزام حماس بتسليم من اشتبه فيهم فى تلك المجزرة. ثالثًا: استضافت مؤسسة الرئاسة فى احتفالات أكتوبر ٢٠١٢ إرهابيين تورطوا فى اغتيال الرئيس الراحل (أنور السادات)، وبدلاً من أن يجلس على المنصة وبجواره السيدة (جيهان السادات، وأولادها) لأنهم أصحاب هذا الْعُرْس، أجلس على المنصة هؤلاء سافكى الدماء الذكية لهذا الزعيم الخالد، بل الأدهى والأمر، أنه أجلسهم بجوار قادة القوات المسلحة، وكأنه يقولُ لحماةِ هذا الوطنِ، ودرعهُ وسيفهُ (موتوا بغيظكم) وذلك مما أدى إلى ذرع غُصَّةٍ فى قلوبِ قادةِ القواتِ المسلحةِ جميعًا، وعلى مَضَضٍ قد كتم الفريق أول (السيسى)، وبقية قادته غيظهم، وتفرغوا لما هو فى أَمَسِّ الحاجة آنذاك، للتدريب الْفَعَّالِ لتقوية هذا الجيش وزرع الثقة به، بعد أن تراخى لمدة عام، أو أكثر فى السيطرة على الوضع الداخلىِّ للبلاد، بعد ثورة يناير ٢٠١١، والذى زاد من حيطة (المعزول) وَكُرْهِهِ الدفينِ (للسيسى) حيث أنه رفض فى تلك الآونة ما طلبه (المعزول) بقيام القوات المسلحة بالتصدى للمتظاهرين فى مدينة (بور سعيد، ومدن القناة، كالسويس، والإسماعيلية) بعد رَفْض خطر التجول، والذين تَصَدُّوا لرجال الأمن، فخرجوا محتجين على الأحكام التى صدرت بحق أبنائهم فى قضية (مجزرة بور سعيد)، ومما زاد الطين بلة أن بعض جنود الجيش الثالث قد شاركوا المواطنين لعب الكرة فى أوقات حظر التجول، مما اعتبره المعزول، ومن معه من هيئة الإرشاد ومعاونيهم دَعْمًا لأهالى مدن القناة، وَدَعْمًا للشعب المصرى، لأن القوات المسلحة قد آثرت أن تعمل جَاهِدَةً من أجل الشعب المصرىِّ فقط، وأن تجعل نفسها مَمْلُوكَةً لهذا الشعب وحده، وليس لِأَىِّ فِئَةٍ، أو طائفةٍ،

أو جماعةٍ تصورت نَفْسَهَا قادرةً على أن تَتَحَكَّمَ فى مصير هذا الشعب الْحُرِّ الأَبِيِّ الكريم، وهذا مَا تَسَبَّبَ فى حالةِ الهياجِ النفسىِّ، والغضبِ الهستيرىِّ الذى انتاب المعزول وجماعته حينها انحازت القوات المسلحة للإرادة الشعبية، وإرادة الثلاثين مليونًا فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ يطالبون برحيل الحكم الدينىِّ الغاشىِّ المستبدِ، وإجراءِ انتخاباتٍ رئاسيةٍ مبكرةٍ، يختارون فيه ما يرونه لصالح البلادِ، والعبادِ، والشجرِ، والدوابِّ، ويطالبون أيضًا بتنفيذ خارطة الطريق الذى رسمها (السيسى) آنذاك، ومما أقلق القوات المسلحة أيضًا، الاعتداء على المتظاهرين السلميين، والمحتجين على الإعلان الدستورى أمام الاتحادية، وقيام الإخوان بتعذيبهم فى ساحة القصر الرئاسى، وأمام أعين المعزول، وقد أباح الإخوان لأنفسهم أن يكونوا بمثابة الشرطة فى سؤالهم للمتظاهرين، واستجوابهم، بل والتعدى عليهم، وكأنهم محققين من جهة النيابة، أو الشرطة، وأجازوا لأنفسهم التعدى على المتظاهرين بالضرب، والسحل، والتعذيب، والتزمت القوات المسلحة فى تلك الآونة بالصمت، ولكنها بعينٍ ذكيةٍ وجهت اللواء (أحمد جمال الدين) وزير الداخلية السابق، بعدم التورط فى أعمال العنف ضد المتظاهرين، وأن لا يكون كَبْشَ فِدَاءَ، كما كان (حبيب العادلى) والذى تم على إِثْرِهِ إِمْتِعَاضِ المعزول وجماعة الإخوان من موقفه الرافض لاستخدام العنف مع المتظاهرين، مما أدى إلى أن المعزول قد أجبره على تقديم استقالته مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ، ولما كشفت القوات المسلحة المؤامرة، وأعلنت عن خطر بيع الأراضى على الحدود المصرية فى سيناء، وطالبت بملاحقة الذين ارتكبوا مذبحة (رفح الأولى)، وملاحقة الذين خطفوا جنودنا فى سيناء، بدأ الإخوان يستخدمون المكائد والدسائس ضد الجيش، والشرطة وهذا ديدنهم، لإيقاع الشعب ضد الجيش والشرطة، وهذا ما حاولوا فعله تكرارًا ومرارًا، وتصوروا أنهم سينجحون، كما فعلوه فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، ولكنهم فى هذه المرة فشلوا، لأن الشعب المصرى قد وعى الدرس جيدًا، وأن المؤمنَ الْكَيِّسَ لا يُلدغ من جحرٍ مرتينِ، كما قال رسول الله

ﷺ: (لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)[1]. وبذلك قد فشلوا، لأن الشعب عندما احْتَكَّ معهم في ساحة الواقع السياسي عكف عمّا كانوا يدبرونه من مؤامرة وقوف الشعب ضد الجيش والشرطة، وبالرغم من ذلك، قد أدى هذا المخطط الخسيس إلى قلق قيادة الجيش، وَعَبَّرَ عن ذلك (السيسي) في لقائه مع ضباط الجيش قائلاً: (إن القوات المسلحة كانت تتابع ما يحدث وهي موزعة بين اعتبارين، الأول: اعتبار دورها الذي قبلته وارتضت به، وهو البعد عن السياسة، والثاني: اعتبار القرب من المسئولية الوطنية سواء بالمبدأ، أو بخشية أن تفاجئها ضرورات القرار السياسي في يد من يملك السلطة، يكلفها بِمَهَامٍّ لا تتوافق مع ولائها لشعبها وهذا حقه وحده في توجيهها وتحديد مهامها) أراد (السيسي) أَنْ يُطَمْئِنَ المعزول ويضع في (بطنه بطيخه صيفي)، لينام قَرِيرَ الْعَيْنِ من جانبه، ومن جانبٍ آخَرَ قد تعامل (السيسي) مع (المعزول) بذكاءٍ شديدٍ، حيثُ عَمِدَ إلى طمأنته، ليرفع الشك من جانبه، وليزيد من ثقته فيه وفي قادة الجيش، وليعلمه أن قادة الجيش لن تدخل في الخلاص من حكمه، فقال: (محدش هيشيل حد، والجيش لن ينزل الشارع لغير أنظمة، وإذا نزل؛ فإن مصر ستعود إلى الوراء ٤٠ عَامًا، والوقوف أمام صناديق الانتخاب ولو لمدة ١٢ ساعة، أفضل من تدمير البلد) ولعلم (المعزول) أن هذا الجيش ولاءه لهذا الشعب، ثم الوطن، وقد عَهِدَ ذلك في زعماء مصر السابقين، لم يهدأ جفن المعزول، ولم يَنَمْ قَرِيرَ العينِ، ولم يطمئنَّ من جانبه، بل أضمر في نفسه هو وجماعته إزاحته من قيادة الجيش، كما فعل مع (طنطاوي، وعنان) ومن جانبٍ خفيٍّ ظل يُمَجِّدُ في خطبه للجيش وقيادته، لِيَبْلَعَ (السيسي) ومن معه من القادة (الطُّعْمَ)، لأنه قد أَعَدَّ هو، ومكتب الإرشاد خمسة قرارات كانت جاهزةً على طاولة التنفيذ الفعلي

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجة من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وجاء في مختصر مسلم برقم: (٤٤)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١١٧٥-٤/ ٢٦٠)، وصحيح الجامع برقم: (٧٧٧٩).

لذلك المكتب، وتم تأجيل تنفيذها على أرضِ الواقعِ إلى يوم (٥ يوليه ٢٠١٣) بعد أن تهدأ عاصفة الشعب الجارفة والتى تمت يوم (٣٠ يونيو ٢٠١٣) وهذه القرارات الخمس هى كالآتى:

(١) إقالة الفريق أول (عبدالفتاح السيسى)، ورئيس الأركان (صدقى صبحى)، وعدد من قيادات الجيش.

(٢) السيطرة على السلطة القضائية، وذلك بتسريح ٣٥٠٠ قاضٍ، وإحلال من ينوبون عنهم من جماعة الإخوان، ومن يوالوهم.

(٣) إقالة وزير الداخلية، وتسريح عددٍ كبيرٍ من قيادات وضباط الشرطة.

(٤) إصدار قانون لتنظيم الإعلام، لإغلاقِ عددٍ كبيرٍ من القنوات الفضائية المعارضة لحكم المعزول، وطرح العديد من سلبياته هو ومكتب الإرشاد، وطبخ عديد من القرارات فى مجلس الشورى، لمحاولة تركيع الشعب أمامه وأمام جماعته، وأهم هذه القنوات التى تم الموافقة على إغلاقها (الفراعين)، و(سى - بى - سى)، و(أون - تى - فى)، و(القاهرة والناس)، و(دريم).

(٥) اعتقال قائمة من الإعلاميين، والسياسيين الذين تَصَدُّوا للرئيس وجماعته، لأنهم كشفوا عن وجههم القبيح، وخيانتهم لوطنهم مصر، وهذه القائمة قد ضمت على ما يربوا بنحو ٣٨ اسمًا، وقد يَتِمُّ طبخ هذا المخطط فى حينه فى مجلس الشورى، كما أسلفنا سابقًا.

ولما رأى (السيسى) أن الأوضاع فى مصر المحروسة قد تأزمت فى كل المجالات، بل أصبحت تهدد الأمن القومى، بل وتهدد المؤسسة العسكرية أيضًا، وبدأت أنوف الإخوان وأفواههم يتطاولون على قادة الجيش والمتمثلة فى الفريق (السيسى) وبعض قادته، وشيخ الأزهر الدكتور (أحمد الطيب) مطالبين التخلص من فضيلته بدس المكائد فى قضية فساد الأطعمة لطلبة المدينة الجامعية والتى تسببت فى حالة غثيان وإسهال كثير من

الطلبة آنذاك، وقد فشل ذلك المخطط آنذاك، لأنه قد ثبت أنهم هم المحرضون الفعليون لذلك وأن رجال الأزهر بريئون من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وقد تعرضت (الكنيسة) أيضًا لهذا الهجوم الإخوانيُّ السافرُ، لذا فقد أصدر (السيسى) بيان القوات المسلحة الصادر يوم ٢٣ يوليو ٢٠١٣ حيث قال فيه: (إن القوات المسلحة لن تظل صامتةً أمام انزلاق البلاد فى صراعٍ يصعب السيطرة عليه، وأن إرادة الشعب هى التى تحكمها، ولا يمكنُ أَنْ نَسمحَ بالتعدى على هذه الإرادة، وليس من المروءة الصمت أمام تخويف، وترويع أهالينا المصريين، والموتُ أشرفُ لنا من أن يَمَسَّ شعب مصر فى وجود جيشه) هذه الكلمات فى حينها نزلت على الشعب المصرى كَالتِّرْيَاقِ الذى يشفى كُلَّ مجروحٍ، أو عليلٍ، فعلم كل مصرىٍّ أنه قد قبل التحدى وأنه ماضٍ لمواجهة غرور الإخوانِ وجحافلهُ، واتضح أيضًا أن الجيش المصرى بقادته، وضباطه، وجنوده جميعهم على قلب رجلٍ واحدٍ، للتصدى لإرهاب (المعزول) و(جماعته) وأن الجميع ماضٍ لرسم خيوط الأمل والمستقبل لهذا الوطن العزيز، وأن الجيش المصرى هو حامى حمى المصريين من بطش الإرهابيين وتعدياتهم على هذا الشعب الطيب المسالم، ولم تقف مؤسسة الرئاسة مكتوفة الأيدى، مغلقة الأفواه تُجَاهَ بيان القواتِ المسلحةِ، فأعلنت أنها ماضية فى طريقها نحو التصدى لكل من يقترب من المعزول وجماعته، كما قال (صفوت حجازى) فى (ميدان رابعة): (اللى حيرش مرسى بالمية، حنروشه بالدم)، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل أعلن الدكتور (أحمد عمران) أحد مستشارى المعزول، والذى قال فيه: (لا توجد مشكلة بالنسبة للتظاهر السلمى، ونحن مطمئنون بأن مؤسسات الدولة تدعم الشرعية، وهناك أعدادٌ كبيرةٌ من المواطنين تَدْعَمُ شرعية الرئيس، سواء القوات المسلحة، أو غيرها، ثم أردف قائلاً: إذا سقطت شرعية الرئيس المنتخب بالعنف، سيجرى الرد بالعنف، سيجرى الرد بالعنف، وهو لن يقدم استقالته، ومستحيل أن يَدْعُوَ لانتخاباتٍ رئاسيةٍ مبكرةٍ، وعلى رقبنا أن تُكْسَرَ شرعيةٍ منتخبة) هذه الكلمات التى ذكرت فى حينها، اتضح بها للقاصى، والدانى أن

(المعزول) ماضٍ نحو المجهول الذى يؤدى إلى الشرِّ المستطيرِ، وأنه لا يترك منصبه، وسيظل فى طريقه المعادى لإرادة شعبه، وأنه سوف يُدافع عن شرعيته ومنصبه بحياته ودمه، لأنه كان يتخيل هو وجماعته أن الأمريكان الذين أَتَوْا به لن يخذلوه، وسيحاربون من أجله، وأن حماس، وتركيا، وقطر سيدعمونه فى ذلك الشأن، كما دعمته قبل ذلك فى انتخابات الرئاسة، بالتزوير فى قاعدة البيانات، والمطابع الأميرية، والأقلام الصينية التى تزول بعد كتابتها بنصف ساعة، وإنفاق الأموال الطائلة على البسطاء، والفقراء من طوائف الشعبِ المصريِّ الذى اضطرهم الْفَقْرَ وَالْعَوَزَ إلى ذلك، ولكن هيهات. هيهات من هذا التصور، لأن الشعبَ المصريَّ استوعب الدرسَ كاملاً بعد أن عاش طيلة الـ٣٦٨ يَوْمًا من أيام (مرسى) العجاف فى ذُلٍّ وَتَحَدٍّ وَقَهْرٍ لم يسبق لهما نظير، ولكن إرادة هذا الشعب لا تؤثر فيها الرياح الهوجاء، وأن مصر قادرة على حماية شعبها، وأرضها، وترابها، وحدودها، بفضل الله أولاً، ثم الجيش، والشرطة، والشعب ثانيًا.

حَالَةُ الْغُمُوضِ الَّتِى تَنْتَابُ هَذَا الرَّجُلْ:

أما حالة الغموض التى تنتاب الفريق أول (عبدالفتاح سعد السيسى) حيث يدعمه مظهره بنظارته الشمسية السوداء قد أدى إلى فضولٍ كبيرٍ فى مختلف وسائل الإعلام الغربية التى حاولت التَّحَرِّىَ عن حاضر الرجل وماضيه، فأفردت مجلة (نيوزويك) غلاف عددها ١٦ أغسطس ٢٠١٣ (للجنرال الهادئ) وَرَكَّزَتْ، فى تقريرها المطول عن نشأته على هذا الغموض، مُوَضِّحَةً أن صور (السيسى) أكثر انتشارًا فى شوارع القاهرة من الهدايا التذكارية (لأبى الهول)، فصورةُ تَحَدِّقُ إليك من فوق الجدران، والمقاهى، والنوافذ، والمبانى الحكومية، والمصريون يرفعون لافتة (هذا الرجل هو الذى نثق فيه)، والبعضُ يطلقُ عليه (نِسْرُ الْعَرَبِ)، ومع ذلك، فالرجل الذى يُقارنه المصريون (بناصر) لاَ يُعْرَفُ عنه شىء، وقلة الناس يعرفون شيئًا عن عائلته، فهو نادرًا ما يتحدث للصحفيين،

وأصدقاؤه المقربون يترددون فى التحدث للصحافة، وغالبًا ما يتصلون للاعتذار إذا تسرعوا بالموافقة على الحديث مع أحد الصحفيين، أستاذه الأمريكى البروفيسور (ستيفن غراس) الذى دَرَّسَ (للسيسى) فى كلية الحرب العليا الأمريكية فى الفصل الدراسى ٢٠٠٥-٢٠٠٦ خلال دراسته للزمالة، كشف جانبًا من شخصيته، قال عنه: (كان طالبًا ذكيًا يتقن اللغة الانجليزية، وكان جَادًّا ويعتبرُ من أكثر الطلاب العسكريين الذين كانوا يَدْرُسُونَ الزمالة بجدية) وأضاف غراس: (دعوت السيسى لحفلٍ بمنزلى، ولفت نظرى أن الضابَط المصرىَّ الْجَادَّ لم يكن مهتمًا كثيرًا بالألعاب والمسابقاتِ الترفيهية التى أقبل عليها زملاؤه من العسكريين الأجانب، وبدلاً من ذلك اهتم بالحديث مع والدتى التى تبلغ من العمر ٨٠ عامًا، وشرح لها معانى ودلالات كل اللوحات المكتوبة باللغة العربية فى منزلى) (غراس) الذى كان أستاذًا (للسيسى) فى ٣ مواد دراسية بالكلية، يُؤَكِّدُ أن تلميذه السابق لم يكن مثل غيره من العسكريين الأجانب، الذين عادةً ما يعتبرون دراستهم فى أمريكا فرصةً للراحةِ والاستجمام، ووصف (غراس) تلميذه بأنه (مُسْلِمٌ تَقِىٌّ، وَلَدَيْهِ مَعْرِفَةٌ عَمِيقَةٌ بِدِينِهِ) لكن رغم تَدَيُّنِ (السيسى) الواضح، فلا يوجد أَىَّ دَلِيلٍ على انتمائه لتيار الإسلام السياسى، أو الإخوان: حيث انتقد بشدة الإخوان فى حواره مع صحيفة (واشنطون بوست) الذى كشف عَنْ أَنَّهُ لاَ يَكِنُّ لَهُمْ أَىَّ تَعَاطُفٍ.

برهن (السيسى) أنهُ رجلٌ قوىٌّ فعلاً: إذ استطاع الحفاظ على استقلال القرار السياسى المصرى، وأرغم الولايات المتحدة على مراجعة مواقفها من ثورة ٣٠ يونيو، ولم يَلِنْ لإدارة الرئيس (باراك أوباما) عقب تجميد المعونات الأمريكية لمصر، لذا نجح وزير الدفاع فى أن يجعل أمريكا كلها تتعامل مع مصر من (منطلقِ رَدِّ الْفِعْلِ)، بعد أن كانت تتصور أنها قادرة على أن تتحكم فى مجرى الأحداث فيها، وأعاد (السيسى) القرار إلى يَدِ القاهرةِ، فارتبكت واشنطن، وظلت تسعى بكل الطرق، لاستعادة ما فقدته من سيطرة، وبالمثل، لم يرضخ (السيسى) لضغوط تركيا، وتجاوزات قيادتها السياسية المنحازة لعهد

الحكم الإخوانى، بل طرد السفير التركى من القاهرة، ولم يَتَرَدَّدُ فى أن يقدمَ الشكر علنًا لدول الخليج العربية على مساعدتها مصر.

(صورة السيسى) لدى واشنطن مرت بعدة مراحل سريعة منذ ظهوره على مسرح الأحداث، ففى ١٢ أغسطس ٢٠١٢ اتخذ المعزول قراراتٍ قويةٍ صادمةٍ، عندما أقال المشير (حسين طنطاوى)، ونائبه الفريق (سامى عنان) وغالبية أعضاء المجلس العسكرى السابق، وعين (السيسى) وزيرًا للدفاع، واعتبر المراقبون أن (المعزول) أخرج الجيش من المعادلة السياسية للأبد، وأنهى ٦٠ عامًا من سيطرة العسكر على السلطة فى مصر، وفى تلك الآونة قَدِ اتُّهِمَ (السيسي) بأنه رجل الإخوان فى الجيش، وذهب البعض إلى وصفه بالإخوانى، بل إن مقدم البرامج التليفزيونية فى قناة الفراعين فى برنامج مصر اليوم، الدكتور (توفيق عكاشة) قال عن السيسى قبل توليه المنصب بنحو شهرين اللواء (عبدالفتاح السيسى) رجل الإخوان فى الجيش، وعندما تولى منصب وزير الدفاع قال (عكاشة) عنه: (الفريق السيسى صاحبى، وصديقى، وأنا اللى قُلْتُ إنه من الإخوان، وأنا اللى قُلْتُ إن المشير (طنطاوى) هيمشى قبل الفطار، وهيجى الفريق أول عبدالفتاح السيسى) وتابع عكاشة: (إيه يعنى إنه من الإخوان).

اعتقد المصريون فى تلك اللحظة أن (السيسى) (إِخْوَانِيٌّ)، أو على الأقل (إِسْلاَمِيٌّ) من المتحمسين للتجربة الإسلامية فى الحكم، إلا أن الواقع أثبت غير ذلك تمامًا، وثبت أنه ربما كانت تلك الشائعات مقصودةً، وربما ساهم السيسى شخصيًا، بصفته مديرًا للمخابرات الحربية، فى نشرها، لإيهام (الإخوان) بأن الحكم ومؤسسات الدولة السيادية قد دانت لهم، حتى يكون زمام المبادرة دومًا فى يده فى البداية، إذن كانت هناك قناعةٌ، بأن (السيسى رجل الإخوان) بين صفوف القوات المسلحة المصرية، هذه القناعة عَبَّر عنها بوضوح الباحث الأمريكى (دانيال بايبس) فى نوفمبر ٢٠١٢، عندما كتب فى مجلة (ناشيونا انتريست) تفسيره لنجاح الرئيس المعزول فى إقالة المشير (حسين طنطاوى) فى أغسطس ٢٠١٢، وَبَرَّرَ ذلك بأن (نفوذ ضباط

الجيش المتعاطفين مع الإخوان أكبر مما تخيل الجميع، وهم إما أعضاء بالجماعة، أو متعاطفون معها، والجماعة تُنكر عضوية وزير الدفاع الحالى (عبدالفتاح السيسى) لها، لكن أحد قادتها أَقَرَّ بأنه ينتمى إلى أسرة الجماعة غير الرسمية) وذهب (بايبس) فى تحليله إلى أبعد من ذلك، مُؤَكِّدًا أن (السيسى) أجهض حسب زعمه محاولة لانقلاب كان يُخَطِّطُ له (طنطاوى) فى ٢٤ أغسطس ٢٠١٢، وقال الباحثُ نَصًّا: (استطاع السيسى كرئيس للاستخبارات العسكرية الحصول على انقلاب ٢٤ أغسطس، وتعقب المسئولين الموالين (لطنطاوى) وفصلهم، وهناك شواهد أخرى تؤكد كلامى، (فطارق الزمر) القيادى الجهادى، وأحد مؤيدى (مرسى) وهو ضابط سابق بالقوات المسلحة، اعترف بأن اختيار (السيسى) كان يهدف لانقلاب عسكرىٍّ على (مرسى)، كما أن اللواء (عباس مخيمر) الذى كان مسئولاً عن تطهير القوات المسلحة من (الإخوان)، و(الجماعات الإسلامية الأخرى) كان متحالفًا مع الإخوان، إن لم يكن عضوًا بها) زادت قناعة الأمريكان بإخوانية (السيسى) عندما عثروا على ورقةٍ بحثيةٍ كتبها السيسى ٢٠٠٦ أثناء التحاقه بكلية الحرب التابعة للجيش الأمريكى بعنوان (الديمقراطية فى الشرق الأوسط) وهو البحث الذى وصفه مُحاضر فى كلية الدراسات البحرية العليا، وهو البروفيسور (روبرت سبرنغبرغ) فى مقال نُشرَ فى (فورين أفيرز) بالقول: (يبدو كوثيقةٍ أعدتها جماعة (الإخوان) الطريق أن البعض ظل مُتَمَسِّكًا بقناعته بإخوانية (السيسى) حتى بعد عزل (مرسى)، وذلك فيه خلطٌ واضحٌ تَدَيُّنِ وزير الدفاع، واعتناق أفكار الجماعة، ومع تَصَاعُدِ الأزمة السياسية بين (مرسى) ومعارضيه، وظهور بوادر أَوَّلِيَّةً على إمكانية تدخل الجيش فى السياسة مرة أخرى، لم يكن الأمريكان، شأنهم فى ذلك شأن (مرسى) نفسه، قلقين من السيسى، وتولدت لديهم قناعةٌ أن الجنرال الهادئ لن يحرك دبابة باتجاه قصر الاتحادية، وسيأخذ بنصيحة واشنطن التى تكررت على مسامعه يوميًا وفحواها: (لا تقترب من مرسى) لكن ما حدث أن (السيسى) نجح فى إبقاء الإدارة الأمريكية فى (الظلام) بشأن ما يحدث فى مِصْرَ من تطوراتٍ رَافِضًا الكشف عن خططه، حتى فوجئت (واشنطن) بقرار عزل (مرسى)

فى ٣ يوليو ٢٠١٣ ضَارِبًا بنصائح واشنطن عَرْضَ الْحَائِطِ، وَعَبَّرَ تقرير صحيفة (وول ستريت) عن حجم الصدمة والإحباط الأمريكى من تجاهل (السيسى) لـ(٨ مكالمات مع وزير الدفاع الأمريكى) (تشاك هيغل)، مليئة بالنصائح والتحذيرات أيضًا) ونجح (السيسى)، لتخرج (مصر).من أَزْمَةِ عَامٍ مُثْقَلٍ بِالْأَزَمَاتِ والكوارثِ فى عهد الإخوانِ.[1]

هذا هو الجيش الذى لا يعرف الخيانة، ولا يعرف الجاسوسية، ولا يكن فى عُرْفِهِ، ولا فى دَمِهِ إلا الواجب، والفداء لهذا الوطن بكل مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، هذا الجيش والذى يُطلقون عليه (الإخوان) بـ(العسكر) هو أنا، وأنت - أبى، وأبيك - أخى، وأخيك - خالى، وخالك - عمى، وعمك، هو أولاد الطبقات العليا الراقين. وهو أولاد الطبقات الدنيا الفلاحين، هذا الجيش هو كل المصريين.

وما أصدق مقالة الشاعر (أحمد فؤاد نجم) وهو يَصِفُ الْجَيْشَ الْمِصْرِيَّ (بالورد البلدى) فيقول:

دُولاَ مِين، ودُولاَ مِينْ
دُولاَ عَسَاكِرْ مَصْرِيِّنْ
دُولاَ مِين، ودُولاَ مِينْ
دُولاَ، وِلاَدِ الْفَلاَّحِينْ
دُولاَ الْوَرْدِ الْبَلَدِى
يصْحَى يِفَتَّحْ اَصْحِىَ يَا بَلَدِى
دُولاَ خُلاَصِةْ مِصْرِ يَا بَلَدِى
دُولاَ عُيونِ الْمَصْرِيِّنْ
دُولاَ مِين، ودُولاَ مِينْ

(١) جريدة الصباح الاثنين – ١٣ صفر ١٤٣٥ هـ – ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م السنة الثانية – العدد: (٢٥) ص: ١٣.

***

دُولاَ الْقُوَّهْ، وِدُولاَ الْعِزْ
دُولْ رَاضْعِينْ مِنْ أَطْهَرْ بِزْ
هِزْ يَا هَلاَلْ هِلاَلَكْ هِزْ
وِاحْنَا وَرَاكْ مَلاَيِينْ جَايِّنْ
دُولاَ مِينْ، وِدُولاَ مِينْ

***

دُولاَ اخْوَاتْنَا، وِدُولاَ بَنِينَا
دُولاَ الأَمَلِ اللِّى مْخَلِّينَا
دُولاَ الْمَجْدِ اللِّى مْخَلِّينَا
فُوقْ الْجَرْحِ نِعُودْ سَالْمِينْ
دُولاَ مِينْ، وِدُولاَ مِينْ

***

دُولاَ يَا سِينَا وِلاَدِ الشُّهَدَا
دُولاَ التَّارْ لاَ يْنَامْ وَلاَ يْهْدَا
خَلِّى تُرَابِكْ يِسْكُنْ يِهْدَا
وِيْضُمِّ الشُّهَدَا الْجَايِّنْ
دُولاَ مِينْ، وِدُولاَ مِينْ
دُولاَ عَسَاكِرْ مَصْرِيِّنْ

الشعارُ الثامنُ: (دَعْنا نتَعاوَنُ فيمَا نَتَفقُ عَلَيْه، وَيَعْذرُ بعضُنا بَعْضًا فيمَا اخْتَلفنَا فيه)

كان (حسن البنا) يرفعُ هذا الشعار الذى سمعه من شيخه (رشيد رضا) وكان هذا الشعار هو مفتاح السيطرة فى أخذ مزايا مَا اتُّفِقَ عليه، ثم يحاصرون الخصم ويدفعونه إلى الحائط ويجبرونه على التسليم فيما اخْتُلِفَ فيه، هذا هو أسلوبهم، وتلك هى وسائلهم، لقد راقبوا جميع حكام الدول العربية التى عملوا بها، وفتحت لهم أبوابها، كم جمعوا عنهم معلومات؟ وكم استعملوا تلك المعلومات ضدهم أحيانًا، أو للسيطرة والحصول على مزايا ومواقع فى تلك الدول؟ وعندما ينكشف عوارهم يستعملون شعارهم: (دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) لأنهم يستخدمون جميع الوسائل للحصول على ما يريدون، لقد تعاونوا مع جميع الحكام ما داموا يحصلون على ما يريدون، ثم ما يلبثون أن ينقلبوا عليهم حين تختلف المصالح، وأكبر مثال على ذلك ما حدث فى الجزائر، حين تحالفا مع جبهة الإنقاذ، ودفعوا الأمور نحو الحافة، ولما حدث الصدام تركوهم لمصيرهم وهم يشاركون فى الحكومة ويتعاونون مع رئيس الجمهورية، بينما زعماء الجبهة ما زالوا تحت التحفظ!

هم دائمًا يتصرفون على أنهم أوصياء على الإسلام، ويقيمون الناس على أساس فهمهم، ولابد أن يتفق الجميع مع وجهة نظرهم، وإلا واجهُوه، وحاربوهُ، وَجَرَّحُوا فهم الآخرين للدين، هكذا فعلوا مع الصوفية، وهكذا فعلوا مع الجمعية الشرعية، ثم باركوهم حين سلموا لهم القيادة، إنهم يتعاونون مع (الشيعة) ما دامت هناك مصالح مشتركة بين الطرفين، لقد استغلوا (الوهابية) وركبوا موجتهم فى السعودية حتى تركوا لهم القيادة فى تربية الشباب وتوجيهم، وكل ذلك حدث بفعل جمع المعلومات المختلفة واستعمالها، إنهم يركزون على الأحزاب الموجودة فى الساحة، يكثفون عمليات المراقبة، والاختراقِ بُغْيَةِ السيطرة على أكبر عدد ممكن من الأحزاب الموجودة [1].

(١) التاريخ السرى لجماعة الإخوان. مذكرات على عشماوى ص: ٧٣.

وفى عام ٢٠١٠ وقبل ثورة يناير صرح المرشد العام (محمد بديع) فى برنامج العاشرة مساءً، (أن مبارك أب لكل المصريين، وأنه لا يمانع هو شخصيًا فى أن يرشح جمال مبارك نفسه للرئاسة) ولما تولى المعزول حكم مصر ظلت أفواههم تردد (القصاص. القصاص) يريدون إعدامه، وهم من تسببوا فى قتل المتظاهرين فى أحداث (محمد محمود) وموقعة (الجمل) وغيرهما وسيشهد التاريخ والأيام على ذلك، ثم تحالفوا مع الشباب الأنقياء، أصحاب ثورة ٢٥ يناير الحقيقيين، وعندما تملكوا زمام الأمور، قالوا لهم (باى، باى)، ثم تحالفوا مع الأحزاب الوطنية، والذين سَمَّوْا أنفسهم جبهة الوفاق الوطنى ويجتمعون معهم ويناورون، وتتكرر الاجتماعات اجتماع تلو الآخر، ولا يخرجون بأى نتيجةٍ سوى المناورة، وعندما تمكنوا من السلطة، أطلقوا عليهم جبهة الخراب الوطنى، وفى الفترة الانتقالية التى تسلم فيها المجلس العسكرى مقاليد البلاد خرج الإخوان يهتفون: (يا مشير. يا مشير، ألف تحية من التحرير) (يا مشير. يا مشير، من النهارده انت الأمير) وعندما تسلم (مرسى) مقاليد البلاد دفعو المشير إلى الحائط وأجبروه على التسليم، هذا هو هدفهم، وهذا هو ديدنهم، يناورون طالما المصلحة ما زالت على أرض الواقع فإذا دانت لهم، وَرَأَوْ أنهُ قد طاب قِطَافُهَا هجموا عليها بمخالب القط، ولا يتركونها إلا وهى بين أيديهم، ولكنى أقول: أين هم الآن؟ فكل ما جاء بباطلٍ يذهب أدراج الرياح، وكما خرجوا من السجون إجبارًا وقهرًا، زُجُّوا فى السجون أيضًا إجبارًا وقهرًا، لأن إرادة الله لَابُدَّ وأن تسود قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦).

الشِّعَارُ التَّاسِعُ وَهُوَ: إِشَارَةُ رَابِعَةُ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَلَائِلَ، وَحَقَائِقَ

الشعاراتُ تَصِفُهَا الكلماتُ، والإشاراتُ تصفها الحركاتُ، ولكل واحدةٍ منهما لهُ اتجاهاتهُ، وأهدافهُ، ومعناهُ، وإشارة (رابعة) هى إشارة أخذت من رئيس الوزراء التركى (رجب طيب أردوغان) وَفَعَّلَهَا الإخوان بعد ذلك فى ميدانى (رابعة)، و(النهضة) وجميع الاعتصامات التى تخص الإخوان حتى الآن، والإشارة تكون كالآتى: يفردُ من يطلق الإشارة أصابع كف اليد الواحدة، ومنهم من يفرد الكفين، وهم كالآتى: الخنصر، والبنصر، والوسطى، والسبابة وَيُقْبَضُ على الأبهة، وهذه هى الإشارة، ولكن مدلولاتها، وحقيقتها، ليس كما يتصوره الغالبية من شعبنا الطيب الكريم، ولكن حقيقة هذه الإشارة وواقعها، هى شعار الماسونية الصهيونية، و(الإخوان) قد خرجت من باطن الماسونية، أى: الصهيونية العالمية، وكُتب فى (ملحق الأهرام) مَا نَصُّهُ: (ما أن أشار (رجب طيب أردوغان) رئيس الوزراء التركى بأصبعه الأربع، خلال كلمة ألقاها بمدينة (بورصة) غرب تركيا، فإذا بجماعة الإخوان تتلقف هذه الإشارة وتنشرها بسرعة البرق كشعارٍ لأعضائها يستعملونه كصور لهم على (الفيس بوك) وفى التظاهر وشارة للقنوات التابعة لهم، وفى الوقت نفسه انتشرت التعليقات والصور المضادة لهذه الإشارة، فظهرت مجموعة كبيرة من (الكوميكس) تعطى أشكالاً ومضمونًا مختلفًا لهذه الإشارة، وقد انتقد (دولت بهتشلى) زعيم حزب الحركة القومى بتركيا موقف أردوغان وقال: كأن إشارة (رابعة العدوية) صارت الهواية المفضلة لدى إردوغان، أينما ظهر يُشير بها، وكأنه يُنَصِّبُ نَفْسَهُ ممثلاً للإخوان فى تركيا، وكان يتعين علينا إسداء النصح لإخواننا بمصر بالاستماع إلى صوت العقل والضمير وممارسة أقصى درجات ضبط النفس للحيلولة دون إراقة الدماء) ويأتى هذا بعد أن ظل المصريون طوال العام الماضى يُتابعون حديث الرئيس المعزول عن الأصابع التى تعبث بأمن البلاد مما جعل الحديث عن الأصابع مادةً للسخرية اللاذعة

استغلها الإعلامى (باسم يوسف) بطرقٍ مبتكرةٍ، وجاء أقوى تعليق من الصحفى (إبراهيم عيسى) على هذه الإشارة فَسَّرَهَا، بأن الشعب قد عزل (مرسى) فى أربعة أيام، وأرجح الكثيرون هذه الإشارة إلى أنها علامة أساسية فى (الماسونية) ومعناها الحرفى هى (البناؤون الأحرار) وهى عبارة عن منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكارًا واحدةً فيما يخص الأخلاق وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالقٍ إلهىٍّ، وتتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض، وبالذات فى شعائرها فى بدايات تأسيسها ما جعلها مَحَطَّ كثيرٍ من التحليلات كما تقول عنها (موسوعة ويكيبيدا) وهناك الكثير من نظريات المؤامرة حول تسمية الماسونية، فهى تعنى هندسة بالإنجليزية ويعتقد البعض أن فى هذا رمزًا إلى مهندس الكون الأعظم، ومنهم من ينسبهم آخرون إلى فرسان الهيكل الذين شاركوا الحروب الصليبية، كما يرى بعضهم أنه إحياء للديانة الفرعونية المصرية القديمة، وهناك العديد من المُنَظِّرِينَ العرب الذين يرجعون الماسونية إلى الملك (هيرودس) أكريبا عام ٤٣ ميلادية، وكان الأزهر قد أصدر فتوى نَصُّهَا: (أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونيا، لأن ارتباطه بالماسونية انْسِلاَخٌ تَدْرِيجِيٌّ عن شعائر دينه ينتهى بصاحبه إلى الاِرْتِدَادَ التَّامِّ عن دينِ اللهِ) وَفَسَّرَ البعض كلمة R4BIA، بأن حروفها تشير إلى:

R= Ready B= brother hood for

I=independent A=Army

وتعنى جاهزون من أجل الجيش الإخوانى الحر، ويستخدم (عبدة الشيطان) هذه الإشارة أيضًا فى أكثر من موقع على الشبكة الدولية لنشر أفكارهم المسمومة، التى يصنعها سيد الأصابع الأربع (Mr – Four – Fingers) في دهاليزه المخيفة، والموقع التالى يمثل أحد المواقع المُؤَمَّنَةِ برمزية الأصابع الأربعة، وما تنطوى عليه من توجهاتٍ

إجراميةٍ مريبةٍ، وَسَيُصَابُ من يَتَصَفَّحَ هذا الموقع بصدمةٍ كبيرةٍ)[1].

(ويدعم هذا الطرح (ثروت الخرباوى) المحامى، وهو أحد قيادات الإخوان سابقًا في كتابه (سر المعبد) حيث ربط تنظيم الإخوان بالماسونية، وكشف الكاتب عن صلة التنظيم بأمريكا، والطرق السرية التى اتبعها هذا التنظيم لعقد تلك الصلة وسرد كيف أن جماعة الإخوان هى عبارة عن مجموعةٍ مغلقةٍ تضمر في نفسها حقائق مفزعة لا يعرفها معظم أفرادها، فالأسرار محفوظة عند الكهنة الكبار في صندوقٍ خَفِيٍّ لا يستطيع أحد أن يطلع على ما فيه، وسرد واقعة قديمة تدعم تشبيهه هذا فعندما قرأ كتاباً للشيخ (محمد الغزالى) وجد فيه أن (حسن الهضيبى) المرشد الثانى لجماعة الإخوان كان ماسونيًا) وقال أيضًا عن جماعة الإخوان: (لقد زعمت أنها تريد أن تصلح السياسة بالدين، فأفسدت دينها بالسياسة) أما المطرب (محمد عساف) (نجم أراب إيدول) والذى نشرت له عدة صور يشير فيها بأصابعه، فقد صَرَّحَ أن الرقم الذى يظهر في صوره يمثل الصيغة (٤٤٢) والذى ينص على إرجاع إسرائيل للأراضى العربية التى احتلتها قبل الحرب، ونفى إنتماءه، أو تأييده لأى تيار سياسى ونشر بعض النشطاء صورًا للممثلة الأمريكية (جريس كيلى) والتى تعتنق الماسونية وهى تشير بنفس الإشارة بعد حصولها على جائزة أوسكار عام ١٩٥٤، وصورة أخرى لأعضاء في الكنيست الإسرائيلى في سبعينات القرن الماضى وهم يشيرون بالإشارة نفسها أيضًا، وقد استغلت الصين كعادتها الموقف وسارعت بصنع الكثير من المنتجات التى تحمل نفس العلامة مثل التيشيرتات وأغلفة المحمول)[2].

وتهدف هذه المنظمة على القضاء على الدين المسيحى، فمنذ بداية نشأتها كانت تهدف إلى القضاء على انتشار الدين المسيحى منذ عام ٤٤ ميلاديًا، وحتى الآن، ونحن فى القرن الواحد والعشرين، هدفت أيضًا إلى نشر ثقافة الانحلال والقضاء على الأخلاق، ومحاربة الدين الإسلامى.

(١) http://www.mrfourfingers.com

(٢) ملحق جريدة الأهرام، ليوم الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ - ٦ ديسمبر ٢٠١٣م (ص: ٨).

تأسيسها:

لقد أسسها (هيرودس أكريبا) (سنة ٤٤م) ملك من ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين - (حيران أبيود) : (نائب الرئيس) ، (مواب لامى): (كاتم سر أول)

التحرك على أرض الواقع:

هذه المنظمة بدأت تتحرك على أرض الواقع من خلال مرحلتين:

المرحلة الأولى:

منذ نشأتها، فقد اعتمدت على المكر، والتمويه، والإرهاب حيث اختاروا رموزًا وأسماءً، وإشارات للإيهام والتخويف، وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل (سليمان عليه السلام).

قال (الحاخام لاكويز): (الماسونية يهودية في تاريخها، ودرجاتها، وتعاليمها، وكلمات السر فيها، وفى إيضاحاتها ... يهودية من البداية إلى النهاية)

وأما تاريخ ظهورها، فقد اخْتَلِفَ فيه لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة ٤٤ م. وَسُمِّيَتْ القوةُ الخفيةُ وهدفها التنكيل بالنصارى واغتيالهم، وتشريدهم، ومنع دينهم من الانتشار، وكانت تُسمى في عهد التأسيس (بالقوة الخفية) ومنذ بضعة قرون تَسَمَّتْ (بالماسونية) لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها، ثم التصق بهم الاسم دون حقيقة.

المرحلة الثانية:

وقد بدأت سنة ١٧٧٠م عن طريق (آدم وايزهاويت) المسيحى الألمانى، والذى ألحد واستقطبته الماسونية، وَوَضَعَ الخطة الحديثة للماسونية بهدف السيطرة على العالم، وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، وَوُضِعَ أول محفل في هذه الفترة باسم (المحفل النورانى)

نسبة إلى الشيطان الذى يقدسونه، ومع غياب المؤسسات التعليمية، كان يتم توريث المعلومات، والخبرات الحيوية اللازمة لاستمرار المجتمع من خلال نقابات الحرفيين، وبدون هذه العملية، لم يكن المجتمع ليحقق أى استمرار، وكانت جماعات الْبَنَّائِين من أقوى الجماعات الحرفية، ذلك لأن العصور الوسطى كانت في العصر الذهبى لبناء الكاتدرائيات، والأديرة، والمقابر، وكان البناؤون يعيشون على أجرهم وحده، على عكس الحرفيين الآخرين، مثل النساجين، والحدادين الذين كانوا يتقاضون من زبائنهم مُقَابلاً عَيْنيًا من خلال نظام المقايضة، ولذلك فكان المنشغلون بعملية البناء عليهم الانتقال من مكانٍ إلى آخر بحثًا عن عمل، ولذا، يمكن القول بأن البنائين كانوا من أكثر القطاعات حركية في المجتمع الوسيط في الغرب، وكان على البنائين أن يجدوا إطارًا تنظيميًّا يتلائم مع حركيتهم، فالنقابات الحرفية بتنظيمها المألوف كانت ملائمة للحرفيين الثابتين، أما بالنسبة لِلْبَنَّائِينَ، فكان لابد من ابتداع إطارٍ حَرَكِيٍّ خَاصٍّ بهم، ومن هنا كانت فكرة البناء الذى يُقَالُ له بالإنجليزية: (لودج lodge) أى (المحفل) والمحفل هو عبارة عن كوخ يُبنى من الطين، أو مادة بناء أخرى تَسْهُلُ إزالتها بعد عملية البناء، وكان المحفل هو المكان الذى يلتقى فيه البناءون حيث يتبادلون المعلومات، ويعبرون عن شكواهم وضيقهم من أحوال العمل، ويتبادلون الأخبار، والمشروبات، كما كان بوسعهم النوم في المحفل وقت الظهيرة، وكان العضو الجديد من جماعة البنائين يذهب إلى المحفل لمقابلة أبناء حرفته، ومن هنا ظهرت فكرة السرية والرمزية، إذ كان لابد أن يتوصل هؤلاء البناءون إلى لغةٍ، أو شفرةٍ خاصةٍ بهم لا يفهمها سواهم، ولا يستطيع صاحب العمل، أو غير المشتغلين بحرفة البناء فهمها، وقد أخذت الشفرة شكل عباراتٍ خاصةٍ وطرقٍ معينةٍ في المصافحة، وإشاراتٍ بالأيدى الهدف منها أن يتمكن البَنَّاءُ من التفرقة بين أبناء حرفته الحقيقيين الذين تلقوا التدريب اللازم، وينتمون إلى نقابة الحرفيين وبين الدخلاء على الحرفة، وقد التزم البناءون بمجموعةٍ من الواجبات ضمها مَا يُسَمَّى (كتب

الواجبات، أو كتب التعليمات، أو الدساتير) ومن أهمها مخطوط (ريجوس) الذى يعود إلى عام ١٣٩٠م، (وتذكر كتب الواجبات) أن الْبَنَّاءَ يَتَعَيَّنُ عليه مساعدة زملائه، وعدم ذَمِّهِمْ، وعليه تعليم المبتدئين منهم، كما أن عليه إيواء الدخلاء.

الْمَبَادِئُ وَالطُّقُوسُ الْخَاصَّةُ بِالْمَاسُونِيَّةِ:

يصف الماسونيين حركتهم بمجموعة من العقائد الأخلاقية مثل الحب الأخوى، والحقيقة، والحرية، والمساواة، واستنادًا على الماسونيين، فإن تطبيق هذه المبادئ يتم على شكل طقوس يتدرج العضو فيها من مرتبة متبدأ إلى مرتبة خبير، ويتم التدرج في المراتب اعتمادًا على قدرة العضو على إدراك حقيقة نفسه، والعالم المحيط به وعلاقته بالخالق الأعظم الذى يؤمن به بغض النظر عن الدين الذى يؤمن به العضو، وهناك الكثير من الغموض حول رموز وطقوس وتعاملات الماسونية وفى السنوات الأخيرة أدرك قادة الماسونية أن كل هذا الغموض ليس في صالح الماسونية وأن السرية التى كانت ضرورية في بدايات الحركة قد تم استعمالها لنشر الكثير من نظريات المؤامرة حول الحركة، فقامت الحركة بدعوة الصحافة، والتليفزيون إلى الاطلاع على بعض الأمور الـمُتْخَفِيَّة، وتصوير بعض الجلسات، ولكن لم يسمح الإعلام بتصوير، أو مشاهدة جلسات اعتماد الأعضاء، واستنادًا على الماسونيين، فالطقوس المستعملة والتى يصفها البعض بالمرعبة، ماهى إلا رموزٌ استعملها البناؤون الأوائل في القرون الوسطى ولها علاقة بفن العمارة والهندسة، وَيُعْتَبَرُ الزاوية القائمة والفرجار من أهم رموز الماسونية وهذا الرمز موجود في جميع مقرات الماسونية إلى جانب الكتاب المقدس الذى يتبعه ذلك المقر، وعند اعتمادِ عضوٍ جديدٍ يُعطى له الحق باختيارِ أيِّ كتابٍ سماويٍّ يعتبره ذلك الشخص مقدسًا، ويستخدم الماسونيين بعض الإشارات السرية ليتعرف بواسطتها عضوٌ في المنظمة على أَيِّ عضوٍ آخر، وتختلفُ هذه الإشارات من مقرٍّ إلى آخرَ.

أفكارهم، ومعتقداتهم:

(١) يكفرون بالله ورسله، وكتبه، وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خُزَعْبَلاَتٍ، وَخُرَافَاتٍ.

(٢) يعملون على تقويض الأديان.

(٣) العمل على إسقاط الحكومات الشرعية، وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها.

(٤) إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

(٥) العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكلٍ دائمٍ.

(٦) تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

(٧) بث سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

(٨) تهديم المبادئ الأخلاقية، والفكرية، والدينية، ونشر الفوضى، والانحلال، والإرهاب، والإلحاد.

(٩) استعمال الرشوة بالمال، والجنس مع الجميع وخاصة ذوى المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية تبرر لوسيلة.

(١٠) إحاطة الشخص الذى يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانبٍ لإحكام السيطرة عليه وتيسيره كما يريدون، ولينفذ صاغرا كل أوامرهم.

(١١) الشخص الذى يلبى رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابطٍ دينيٍّ، أو أخلاقيٍّ، ولينفذ صـغرًا كل أوامرهم.

(١٢) إذا تململ الشخص، أو عارض في شيءٍ تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.

(١٣) كل شخص استفادوا منه، ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

(١٤) العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

(١٥) السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة.

(١٦) السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

(١٧) بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

(١٨) دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم، وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى.

(١٩) الدعوة إلى العقم الاختيارى وتحديد النسل لدى المسلمين.

(٢٠) السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين، كمنظمة الأمم المتحدة للتربية، والعلوم، والثقافة، ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة، والشباب، والشابات في العالم.

وللحركة الماسونية تاريخ أسود، وتردد اسمها عند نشأة كثير من الحركات السرية، والعلنية، وفى مؤامراتٍ عديدةٍ، وعُرفت بطابع السرية والتكتم، وبالطقوس الغريبة التى أخذت الكثير من رموزها من التراث اليهودى، وكُتبت حولها الآلاف من الكتب في الغرب، وفى الشرق، ومن أهم الحركات والثورات التى كانت الماسونية وراءها (الثورة الفرنسية)، وحركة الاتحاد والترقى التى قامت بحركة انقلابية ضد السلطان (عبدالحميد الثانى) ووصلت إلى الحكم، ثم ما لبث أن ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية

الأولى مما أدى إلى تمزقها وسقوطها، والماسونية حركة بدأت في أوربا (في العالم الغربى) إلا أنها انتشرت في العالم بأسره، ورغم انتشارها هذا إلا أنها لم تصبح حركة عالمية، إذ لا يوجد نمط واحد للتطور، فالماسونية في الغرب مختلفة عنها في العالم الثالث، وهى في إيطاليا مختلفة عنها في أمريكا اللاتينية، وكما أن الحركات الماسونية المختلفة خدمت دولها لذا قامت الحركات الماسونية البريطانية بخدمة الاستعمار البريطانى، وقامت الحركة الماسونية الفرنسية بخدمة الاستعمار الفرنسى، ولذا نشب صراعٌ بين الحركتين، والماسونية وراء عدد من الويلات التى أصابت الأمة الإسلامية. ووراء جُلِّ الثورات التى وقعت في العالم، فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية، وعزل السلطان عبدالحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية، والبلشفية، والبريطانية، وقد تم إغلاق المحافل الماسونية في (مصر) لأنها رفضت أن تخضع لتفتيش وزارة الشئون الاجتماعية نظرًا لأن هذا يتعارض مع ما تتطلبه الحركةِ من سريةٍ وكتمانٍ فيما يتصل بالطقوس، وقد أغلقت محافل الماسونية في (مصر سنة ١٩٦٥م) بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل.

الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنَ الْمَاسُونِيَّةِ :

قال الشاعر (إبراهيم اليازجى) الذى كان ماسونيا من لبنان، وقد كتب القصيدة التالية في أواخر القرن الماضى قائلاً:

الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِى هَدْمِ الْجَوَامِعِ وَالْكَنَائِسْ
وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ مَا بَيْنَ الْعَمَائِمِ وَالْقَلاَنِسْ
مَا هُمْ رِجَالُ اللهِ فِيكُمْ، بَلْ هُمُ الْقَوْمُ الأَبَالِسْ
يَمْشُونَ بَيْنَ ظُهورِكُمْ تَحْتَ الْقَلاَنِسِ وَالطَّلاَنِسْ

تمنى هذا الماكر الخبيث، والذى ارتدى رداء الأباليس أن يهدم الإسلام، والديانة الإسلامية والمتمثلة في الجوامع، أو مساجد المسلمين، وكنائس الأقباط، وأشار في البيت

الثانى أن كل الشرور تكمن بين (العمائم) وهم رجال الأزهر الشريف، (والقلانس) والمتمثلة في القساوسة رعاة الكنائس ويهدف كذبًا أن كل الشرور ما بين الرؤوس التى تتغطى تحت (العمائم، والقلانس)، ويستطرد في البيت الثالث أن هؤلاء، والمشار إليهم سابقًا، ليسوا من رجال الله، ولكنهم قومٌ من الأباليس والشياطين، وهم يمشون بين المسلمين، والأقباط متسترين تحت غطاء الرأس من العمائم، والطلانس، أو القلانس، وهما غطاء رأس (القس) أثناء الْقُدَّاسِ، أو غطاء رأس (الرهبان) أقول لك أيها الماكر العربيد: (كبرت كلمة تخرج من فاهك إلا كذبا)، ولن تبلغ أمنياتك الشيطانية، لأن الله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

وقد أصدرت (جامعة الدول العربية) عام ١٩٧٩ القرار رقم ٢٣٠٩ والتى نصت على: (اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية، لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذى يدعم اقتصادها ومجهودها الحربى ضد الدول العربية) وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ أصدر الأزهر فتوى كان نصه: (أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونيا، لأن ارتباطه بالماسونية انسلاخٌ تدريجىٌ عن شعائر دينه ينتهى بصاحبه إلى الارتداد التامِّ عن دين الله) وأصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بيانًا، بشأن الماسونية، والأندية التابعة لهذا مثل الليونز، والروتارى جاء فيه: (يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يتمثل لأمر رسول الله ﷺ حيث يقول: (لاَ يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً يَقُولُ: إِنْ أَحْسَنَ الناسُ أَحْسَنْتَ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتَ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفَسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ) وواجب المسلم أن يكون يَقِظًا لاَ يُغَرَّرُ به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها، وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه، ولا ما نخفيه والله أعلم، وأصدر المجمع الفقهى التابع لرابطة العالم الإسلامى فتوى جاء فيها: (قد قام أعضاء

المجمع بدراسةٍ وافيةٍ عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كُتِبَ عنها من قديمٍ وجديدٍ، وما نُشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفاتٍ، ومن مقالاتٍ في المجلات التى تنطق باسمها وقد تبين للمجمع بصورةٍ لا تقبل الرَّيْبَ من مجموع ما اطُّلِعَ عليه من كتاباتٍ ونصوصٍ ما يلى:

(١) أن الماسونية منظمة سرية تخفى تنظيمها تارةً، وتعلنه تارةً، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التى تقوم عليها هى سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها، إلا خواصِّ الخواصِّ الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عُلْياَ فيها.

(٢) إنها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساسٍ ظاهريٍّ للتمويه على المغفلين، وهو الإخاءُ الإنسانِيُّ المزعومُ بين جميع الداخلينَ في تنظيمها دون تمييزٍ بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

(٣) أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساسٍ أَنَّ كل أخٍ ماسونى مجند في عون كل أخ ماسونى آخر، في أى بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوى الطموح السياسى ويعينه إذا وقع في مأزقٍ من المآزقِ أيًّا كان على أساس معاونته في الحق، لا الباطل، وهذا أعظم إغراءٍ تصطاد به الناس في مختلف المراكز الاجتماعية، وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

(٤) إن الدخول فيه يقوم على أساسٍ احتفالٍ بانتسابِ عضوٍ جديدٍ تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التى تصدر إليه بطرق التسلسل في الرتبة.

(٥) أن الأعضاء المغفلين يتركون أحرارًا في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من

توجيههم وتكليفهم في الحدود التى يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة، أو المستعدون للإلحاد فترتقى مراتبهم تدريجيًا في ضوء التجارب، والامتحانات المتكررة للعضو حسب استعدادهم لخدمة مخططاتهم ومبادئها الخطيرة.

(٦) أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرةٍ، أو خفيةٍ.

(٧) أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور، ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية، وصهيونية النشاط.

(٨) أنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

(٩) أنها تحرص على اختيار المنتمين إليها من ذوى المكانة المالية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو العلمية، أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذًا لأصحابها في مجتمعهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفى الدولة ونحوهم.

(١٠) أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهًا وتحويلاً للأنظار، لكى تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيطٍ ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة (الروتارى، والليونز)، إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التى تتنافى كليًّا مع قواعد الإسلام وتناقضهُ مُناقضةً كُلِّيَّةً) [١].

يقول الأستاذ (على عشماوى) والذى قد تم تجنيده فى الجهاز السرى، أو التنظيم الخاص للإخوان: (لقد أصبح الإخوان يعيشون فى مجموعة مغلقة فى جميع أنحاء العالم لهم طقوسهم بأنهم فرقة من الفرق الإسلامية، وإن بعض الدول والحكومات يتخوفون

(١) شبكة الانترنت – موسوعة ويكيبيديا.

منهم بشدة نتيجة هذه السلوكيات الغربية، وينظرون إليهم كما لو أنهم يتشبهون (بالماسونية، أو نوادى الروتارى المنتشرة فى العالم كله) [1].

عِلاَقَةُ الإِخْوَانِ بِالْمَاسُونِيَّةِ :

يقول الأستاذ (ثروت الخرباوى): (انكببت فى فترة من حياتى على القراءة عن الماسون والماسونيين وكان مما قرأته أن الأفراد العاديين للماسون لا يعرفون الأسرار الْعُظمى لتنظيمهم العالمى، تلك الأسرار تكون مخفية، إلا على الذين يؤتمنون على الحفاظ على سِرِّيَّتِهَا، وتكون هى الهيكل الذى يحفظ كيان الماسونية، وعند بحثى فى الماسونية استلفت نظرى أن التنظيم الماسونى يُشبه من حيث البناء التنظيمى جماعة الإخوان، حتى درجات الانتماء للجماعة وجدتها واحدة فى التنظيمين، وبعد الاطلاع والبحث قد وقع تحت يدى طبعة قديمة لأحد كتب الشيخ (محمد الغزالى)، وإذ جرت عينى على سطور الكتاب وجدته يتحدث عن أن المرشد الثانى (حسن الهضيبى) كان مَاسُونِيًّا! ولم تتحمل عينى استكمال القراءة، فأغلقت الكتاب ووقعت فى حيرة مرتابة [2].

وفى أحد حوارات الكاتب مع الأستاذ (أحمد أبو غالى) قال: (إن بعض الإخوان لهم صلات بالماسونية، وهناك صلة بين كل الجمعيات السرية فى العالم، فطريقتها واحدة، حتى ولو اختلفت الأفكار والتوجهات، ولا تقوم جمعية سرية إلا لتُعد نفسها ليوم مشهود تكون فيه فى منتهى الجاهزية لفرض أفكارها على العالم، والماسونية من هذه الجمعيات، وقد كانت لها هيمنةٌ وتأثيرٌ على المجتمع المصرى فى بدايات القرن العشرين إلى منتصفه، وبعد أن ألغاها (عبدالناصر) أخذت تظهر فى صورٍ أخرى، لذلك كُن على يقين أن الماسونية استطاعت دخول جماعة الإخوان، ودخولِ جمعياتٍ أُخرى) [3].

(١) التاريخ السرى لجماعة الإخوان. مذكرات على عشماوى ص: ٧٥.

(٢) سر المعبد، للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: ٢٦.

(٣) المصدر السابق ص: ٢٣٦-٢٣٧.

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: كيف يقبل أعضاء الجماعة هذا الأمر؟

فيجيب الأستاذ (أحمد أبو غالى) مُعَلِّقًا: (ومن قال لك إنهم يعلمون عند صحة هذه الفرضية أنهم يعملون لتحقيق مصالح الماسونية، هذا أمر شبيه بمواطن مصرى مسلم ومتدين يعمل فى مؤسسةٍ أمريكيةٍ كُبْرَى، هو فى الحقيقة فى عمله هذا يخدم توجهات مؤسسته حتى ولو كانت تنتج آلة من آلات الدمار التى ستقوم أمريكا فى يومٍ ما باستخدامها لتدمير أهله وبيته، وليس شرطًا أن يعلم أن مؤسسته هذه تنتج هذه الآلة وأنها ستدمر بها أهله، ومع ذلك عمله ساعدها فى ذلك، وبالتالى ووفقًا لهذا الاستنباط من الممكن أن تعمل مؤسسة كُبرى كمؤسسة الإخوان بكل أفرادها فى خدمة بعض أهداف الماسونية، أو الأمريكان، أو الصهيونية، دون أن يعلم أفراد الإخوان أن جماعتهم حين تقوم باتخاذ موقفٍ مَا إنها تخدمُ جهةٍ مَا، لأن شكل القرار سيكون وكأنه يصب فى مصلحة الإسلام، وبالتالى سيكون أَيَّ مُعَارِضٍ لهذا القرار وكأنه يقف ضد تمكين الإسلام) ثم يعلق الكاتب مُتَعَجِّبًا فيقولُ: (يا ربى !! المسألة أكبر مما كنت أتوقع، بل أكبر من أى توقع لأى فرد سليم الطوية، هذا خليطٌ بشرىٌّ مدهشٌ مكونٌ من الماسونية والإخوانية والأمريكية، (ماسيو إخوانكية)، وهذا مصطلحٌ سياسىٌّ جديدٌ!)[1].

ولكى نحلل عزيزى القارئ، وعلى أرض الواقع أن الإخوان قد خرجت من باطن الماسونية، أى: الصهيونية العالمية، فيجب علينا أن نحلل أفكار ومعتقدات هذه المنظمة أولاً، وثانياً: نربط هذه الأفكار والمعتقدات بواقع (الإخوان) لنجد بها تشابهًا كبيرًا على واقع التطبيق، فمثلاً نجد فى النقطة رقم (٣) من الصفحات السابقات، والتى تقول: (العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية فى البلاد المختلفة والسيطرة عليها) وهذا ما تم بالفعل فى ثروات ما يدعون بأنها ثورات (الربيع العربى)،

(١) المصدر السابق ص: ٢٤٧-٢٤٨.

ولكنها كانت ثورات انضباب، والخراب العربى، فنجد أن الإخوان قد استولوا على الحكم فى (تونس)، وقد فشلوا بعد اغتيال العديد من قيادات الأحزاب المخالفة لحزب النهضة والبارزين فى مجتمعهم، وإراقة دماء الكثيرين من شباب هذه البلدة، ثم يليها (ليبيا) وقد دَمَّرَ الإخوان الكثير من المنشآت، وكثير من الاغتيالات، وفشل الإخوان أيضًا، وما زال الخلاف والتقسيم قائمًا. ثم يليها (مصر) وقد قامت الإخوان بليلٍ بالاستيلاء على السلطة، ومحاولة تركيع المصريين على مفاصل الدولة، وتهميشهم فى كل متطلابتهم، بل ورفعوا أنوفهم وتطاولوا على هذا الشعب المخلص لبلده، وقدِ صُمَّتِ الآذان على أبسط حقوقهم، وطبقوا المثل الدارج (وِدْنٌ مِنْ طِينٍ، وَأُخْرَى مِنْ عَجِينٍ)، ثم قاموا باغتيال الشباب الأطهار الذين هم أصل الثورة ووقودها، والذين كانوا ينادون: (بالعيش والحرية، والعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية) ثم قاموا بإحراق المنشآت الحكومية، واغتيال بعض أفراد الشرطة، وبعض أفراد الجيش، واستخدام العربات المفخخة، والأحزمة الناسفة، مما أدى إلى كُرْهِ المصريين لهؤلاء، فأزاحهم الشعب عن الحكم وأعادهم إلى ما كانوا عليه فى السجون مرة أخرى، وإذا نظرنا إلى النقطة الرابعة، والتاسعة، والثامنة عشر، وهم كالآتى: (إباحة الجنس، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة)، و(استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوى المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية تبرر الوسيلة عندهم)، و(دعوة الشباب، والشابات إلى الانغماس فى الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى) وهذا ما تم بالفعل فى اعتصام (رابعة العدوية) فهيا لنقترب من المشهد، ولنعلم حقيقة مَا يُقَالُ، يقول: (عبدالله فتحى) وهو شاب فى منتصف الثلاثينات: (اتصل بى أحد كبار الإخوان بالمنوفية وقد تحفظ على ذكر اسمه، وقد أعطانى ٥٠٠٠ جنيه، وقال: دى فلوس لك علشان تجمع الناس وكل راجل تجيبه هياخد ٢٠٠ جنيه، وممكن يصل إلى ٤٠٠ جنيه، ثم يستطرد قائلاً: فى أول مرة ذهبت أنا

والناس إلى (رابعة) وقعدت اليوم كله، ولما حاولت أن أمشى، قالوا لى: رايح فين؟قلت: مروح، قالوا: ليه؟ قلت: علشان عيالى، وبيتى، وكده، فقالوا لى: لو انت مروح علشان تمارس حقك الشرعى مع زوجتك، فأنت مش محتاج تروح، فقلت: يعنى إيه؟ قالوا: هنا حريم مستعدين لجهاد النكاح، فمفيش داعى تروح) [1]، وقد حدث ذلك بالفعل، وسمعنا من مصادر صحيحة أن أكثر البيوت قد خُرِبَتْ من جَرَّاءِ ذهابِ السيداتِ، والشاباتِ إلى (رابعه) وعندما عُرفت الحقيقة وظهر آثار الحمل على الشابات عقب فض الاعتصام وعودتهن إلى بيوتهن ظهر المستورُ، واتضحت الحقائق وقد قادت الناشطة التونسية (سلمى اللومى) أكبر حركة احتجاج ضد استمرار هذه الظاهرة فى بلادها وانتقالها فى عدد من البلدان العربية ومن بينها (مصر) والتى سافر منها عددٌ كبيرٌ من الشباب المنتمين للتيار الإسلامى من الجنسين إلى (سوريا) فى أثناء حكم الرئيس المعزول (محمد مرسى)، قالت الناشطة فى بيان لها: (هذه الفتوى كلها عار على تونس) ودعت للتصدى لتدفق الدعاة الوهابيين، وفى مصر بدأ الأمر مرتبطًا بشدة فيما يدور بتونس حول هذه المظاهرة، ففى ميدان (رابعة العدوية) المكان الذى تجمع فيه أنصار الرئيس المعزول، لإرباك الدولة، ومحاولة صنع ازدواجية فى الحكم وذلك قبل فَضِّ الاعتصامِ فى قرارٍ بدأ للمتطرفين بعيدًا عن التحقق مع وجود سلاح وتهديد من الإرهابيين بتفجير مصر، لو تم فض الاعتصام، وكانت قضية (جهاد النكاح) من القضايا المطروحة خاصة وأن شهادات متعددة روت أن هذا النوع من الزواج يتم الحث عليه، وكالعادة نفى الإخوان والإرهابيون الموالون لهم ذلك، لكن بعض الْفَضِّ عُثِرَ أسفل المنصة وداخل خيام الاعتصام على كُتَيِّبَاتٍ تتحدث عن (الحور العين) التى تنتظر المجاهدين، لو استشهدوا على أرض المعركة، وأحد هذه الكتيبات كانت تتحدث عن (جهاد النكاح) ووجود تأصيل فقهى له ودعم وجهة النظر هذه وجود سوريين كثيرين بين المعتصمين من

(١) جريدة الوفد – السبت ١٩ من المحرم ١٤٣٥هـ – ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م العدد (٨٣٥٠) ص: ٧.

مُنَظر فى الشام الذين وُجِدُوا فى حكم (مرسى) ملاذًا آمنًا للهاربين من أحكامٍ قضائيةٍ فى بلادهم، أو الموضوعة أسماؤهم فى قوائم التنظيمات المتطرفة، وقد نفى (الإخوان) وجود حالات (زواج مناكحة) قبل أن تُكشف هذه الكتيبات التى تم تحريزها والاحتفاظ بها فى ملفات قضايا من حَرَّضُوا على العنف والموجودين فى الاعتصام بهذا النوع من (الجهاد) وقد كان معروفًا أن (صفوت حجازى) وكما قال هو نفسه فى تصريحاتٍ مسجلةٍ له، قد أرسل عشرات الشباب المصرى إلى سوريا، بل اعترف أيضًا بإمداد المتطرفين هناك بالسلاح وهو لم يُنكر بشكلٍ حاسمٍ وجود توافق بين قيادات التطرف على ضرورة (التسرية والترفيه) عن المقاتلين من أحل ما يعتقدونه (حكم الشرع والشريعة)، ولوحظ ذلك فى حكم تونس ومع وجود حكم (إخوانى) لم يسقط حتى الآن رغم سقوط حكم الجماعة الأم فى القاهرة، ولم يتم نفى كلام أكبر مسئول أمنى هناك، ولم يخرج (راشد الغنوشى) رئيس الوزراء الإخوانى هذا الكلام رغم صدوره من مسئول من حكومته يعرف بحكم منصبه للمعلومات الحقيقية والكاملة عَـمَّـا يتحدث فيه، وَلُوحِظَ أَيْضًا أن الجماعة سواءً فى القاهرة، أو تونس ليس لديها وجهات نظرٍ متعددة فى قضيةٍ، بل على العكس ما يُؤمن به مَنْ هُنَا هو نفس ما يؤمن به مَنْ هُنَاكَ، فالجماعة فاقدة العقل تثبت الأحداث أنها فاقدة الأخلاق، ولقد استفز كشف حقيقة وجود (جهاد النكاح) وما يُعتقد فيه ويُنفذه مُجَاهِدُوا الإخوان والجماعات المتطرفة مُفَكِّرًا إسلاميًّا فلسطينيًّا قال بعد تصريحات وزير الداخلية التونسى: (إن مضمون جهاد المناكحة أن يقوم المجاهد بالزواج لساعاتٍ محدودةٍ من سوريات وذلك لكى يفسح المجال الآخرين، ذلك أن هذا النوع من الزواج يَشِدُّ من أزر المجاهدين وَيُعْتَبَرُ من موجبات الجنة لمن يقمن به، وهذه الفتوى لا تختلفُ كثيرًا عن الفتاوى التى تَعِدُ (المجاهدين) بالحور العين فى جنات النعيم، وبعشاءٍ فاخرٍ فى صحبة الرسول الأعظم فى ذلك اليوم الذى تصعد فيه روح المجاهد إلى السماء، وَيُعَقِّبُ على نَصِّ الفتوى قائلاً: (تقول الفتوى: يَنُصُّ على أن يقوم المجاهد بعقدِ

زواجٍ على الفتاةِ التى لابد أن يكون عمرها أربعة عشر عامًا فأكثر، أو من المطلقات، أو من الأرامل، ثم يقضى حاجته الجنسية بطريقةٍ شرعيةٍ، ثم يتم بعد ذلك إلغاء العقد ليعقد لذات الفتاة على مجاهدٍ آخرَ رُبَّما فى نفس النهار، أو ذات الليلة، والحقيقة أنه إذا لم تكن هذه هى الدعارة، أو البغاء بعينه، فماذا يمكن أن تكون)؟ [1].

وإذا نظرنا إلى النقطة الخامسة فى أفكار ومعتقدات الماسونية والتى تقول: (العمل على تقسيم غير اليهود إلى أممٍ متنابذةٍ تتصارع بشكلٍ دائمٍ) لنجد حقيقة ذلك على أرض الواقع، فالسودان قد قُسِّمَتْ إلى جزئين (الشمالى، والجنوبى) الشمالى بقيادة (البشير)، و(الجنوبى) بقيادة (سالفاكير)، وتتنازع الجنوب الآن لتنقسم هى الأخرى وحتى تتفتت السودان إلى دويلاتٍ صغيرةٍ، كما هو مخطط الشرق الأوسط الكبير، وقد حدث ذلك فى ليبيا، ويحاولون ذلك أيضًا فى سوريا، ونجحوا فى ذلك المخطط فى العراق ونجحوا أيضًا فى تونس، ونجحوا أيضاً في اليمن ولكنهم فشلوا فى مصر، لأن الله راعيها، بفضل شيوخها، وأطفالها، وعلمائها الربانيين، وكل ذلك قد تم بتخطيط من الصهيونية العالمية والمتمثلة فى أمريكا وإسرائيل، وبعض الدول الأفروآسوية مثل إيران، وتركيا، وقطر، وحماس، أما التنفيذ على أرض الواقع فهم (جماعة الإخوان) الموجودين فى تلك البلاد، ولكننا لم نجد ذلك التقسيم فى أرض فلسطين المحتلة، أى: التى اغتصبتها إسرائيل، ألم يجب علينا، كأمة الإسلام والعرب جميعًا أن نتمسك بوحدتنا ووحدة أراضينا، ويكون التقسيم لعدونا الغاشم المتربص بنا وبأرضنا؟ وأما النقطة الثامنة والتى تقول: (تهديم المبادئ الأخلاقية، والدينية، ونشر الفوضى، والانحلال، والإرهاب) وقد حدث ذلك بالفعل على يد (الإخوان) وفى حكم (مرسى المعزول وأيامه) العجاف، من هدمٍ للأخلاقِ، وذلك بتسليط الإخوان للبلطجية أن يندسوا بين المتظاهرين فى ميدان (التحرير) وغيرها

(١) جريدة الصباح الاثنين ١٧ ذو القعدة ١٤٣٤ هـ - ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣ م. - السنة الأولى - العدد: ١٤ - ص: ٢٠.

من الميادين، بالتعدى على السيدات والتحرش بهن، حتى يُمنعوا من أبسط حقوقهن، وهو حق التظاهر والتعبير عن الرأى، وهذا يؤدى إلى طمث الحريات، وهدم المبادئ الأخلاقية والدينية، ولم يكتفوا بذلك، بل أثاروا الذعر والفوضى العارمة حتى يُظهروا للدول المتحالفة معهم مثل أمريكا وغيرها أن مصر غير قادرة على حماية شعبها، وأنها تعيش فى فوضى، ثم أرادوا أن يُبيحو لأنفسهم أنهم جهة تحقيق مكان السلطة التنفيذية والمنوط بها جهاز الشرطة، وقد ظهر ذلك واضحًا أمام قصر الاتحادية من إرهابٍ وإرعابٍ للمتظاهرين، والتعدى عليهم بالسبِّ والضرب، وغير ذلك من أنواع الإرهاب والتعذيب، ثم قاموا بتصفية أجساد كل من عارضهم، فاستخدموا الإرهاب الأسود فى إزهاق الأرواح، وإحراق المساجد، والكنائس، والمنشآت بالمولوتوف، والأحزمة الناسفة، والسيارات المفخخة، والقنابل المدمرة، وهذه شهادة المهندس الزراعى (سعيد عبدالعاطى) يقول: (إن أبناء عمومته قد ضغطوا عليه بشدة لكى يُشارك فى إحدى التظاهرات التابعة (للإخوان) وهددوا بمقاطعته إلى الأبد إذا لم يفعل، ويستطرد قائلاً: أمام ضغوط أبناء عمومتى اضطررت للذهاب إلى إحدى تظاهراتهم وياريتنى مارحت؟ ثم يُكْمِلُ حديثه قائلاً: كنت وسط المظاهرة وأثناء سيرنا وعلى بُعد ١٠ أمتار منى رأيت أحد المتظاهرين يُخرج من ملابسه مُسدسًا وبسرعةٍ غريبةٍ أطلق الرصاص على أحد المتظاهرين، ثم أدخل المسدس فى حقيبة كان يحملها، وأعطاها لمتظاهرٍ بجواره ربما كان على ثقة منه ثم أسرع بالجرى عكس اتجاه المظاهرة وهو يهتف الجيش بيضرب نار .. الجيش بيضرب نار، ثم يقول: حاولت أن أتتبعه وأمسكه ولكنه اختفى وسط الزحام وعجزت عن الوصول إليه خاصةً، بعد أن ساد هرجٌ، ومرجٌ بين المتظاهرين، ثم ينهى حديثه قائلاً: إن الإخوان يقتلون بعضهم بعضًا فى التظاهرات لكى يلصقوا التهمة بالجيش والشرطة)[1].

(١) جريدة الوفد – السبت ١٩ من المحرم ١٤٣٥ هـ – ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م السنة (٢٧) العدد: (٨٣٥٠) ص: (٧).

أما النقطة السادسة عشر والتى تقول: (السيطرة على أجهزة الدعاية، والصحافة، والنشر، والإعلام، واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية) وهذا مَا تَمَنَّوْهُ، ولكنهم فشلوا مع الجرائد الحكومية، لأنهم قد حاولوا مرارًا وتكرارًا إبعاد الأستاذ (جمال عبدالرحيم) رئيس تحرير جريدة (الجمهورية) وأوقفوه عن عمله، ولكنه أبى أن يخرج من مكتبه وحافظ على حقه، ثم قاموا بمحاصرة مدينة (الإنتاج الإعلامى) لِيُرْهِبُوا، ويُرْعِبُوا مذيعى، ومقدمى البرامج فى القنوات الفضائية، ولم يُخيفهم ذلك، ولم يُثْنِيِهِمْ عن الصدق، وقول الحق، وطرح الأحداث على أرض الواقع وهم كُثُر، ثم حبهم لهذا الوطن، أما (جماعة الإخوان) فقد قاموا ببث الكذب فى قنواتهم، وجرائدهم مثل قناة (مصر ٢٥) و(الحافظ) و(الجزيرة) وغيرهما فى بث الكذب على المخدوعين منهم واستئجار محاورين مأجورين ينعقون بما لا يعلمون، ثم قام (عبدالمقصود) وزير الإعلام السابق بسرقة عَرَبَتَىْ بث مباشر بملايين الجنيهات من التليفزيون المصرى ووضعها فى (رابعة) لتساعد قناة الجزيرة فى بث الكذب، وليتطاول الأقزام على أسيادهم فى تلك الآونة.

وأما النقطة السابعة عشر، والتى تقول: (بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق، لتحويل عقول الجماهير، وطمس الحقائق أمامهم) وهذا ما فعله بعض الإخوان وكان أكثرهم حرصًا على ذلك (مسيلمة الحداد، أو جهاد الكذَّاب)، فلو كان لك أن ترسم صورةً للكذب المحض، فما عليك إلا أن تستلهم ملامح هذا الشاب المتحذلق (جهاد الحداد)، فهو الذى يميز بإتقانٍ أكثر ما يميز الجماعة وقياداتها، فهو الأكذب، والأكثر على تزييف الحقائق وتبديل الأدوار، والتى تعدت كل الحدود، فقد أصبحت شهرته فى الكذب (عالمية) وصار وصفه وصفته هو أنه أكذوبةٌ عالميةٌ على أرضٍ مصريةٍ، ووصلت درجة أكاذيب الحداد إلى اختلاق وقائع وليس تزييفها فحسب، فكتب تغريدة على موقع التواصل الاجتماعى تويتر، يَدَّعِى فيها أن هناك طائراتٍ تُلقى النار

على مُعْتَصِمِى (النهضة) وأن وَابِلاً من الرصاص يَنْصَبُّ على رؤوس المعتصمين، ثم نشر (هاشتاج) دعا إليه بالإنجليزية بعنوان (أنقذوا مصر من الانقلاب) وهو الأمر الذى أثار فزع مراسلة أجنبية هى (بيل ترو) مراسلة شبكة (روسيا) والتى قالت له عبر حسابه الرسمى: (أين أعمال العنف وإطلاق لنار التى تتحدث عنها؟ ولم أسمع، أو أشاهد شيئًا، ولم يتحدث أحد عن أىِّ شَىْءٍ من هذا القبيل .. ما كل هذا التضليل؟ ثم قالت فى تغريدة أخرى: هذا القدر الكبير من المعلومات لمغلوطة من قبل الجماعة، جعلنى أشعر بأننى مشوشة بصورة كبيرة .. أين الحقيقة؟؟!!، أما مراسل صحيفة (وول ستريت جورنال) الأمريكية (مات برادلى) قد رد فى تغريدةٍ قائلا: (كذب قيادات الإخوان يفقدهم أى مصداقية مستقبلية، وهذا الأمر خطير) ثم نقل برادلى مجموعة من الصور التقطها (لميدان التحرير)، و(فى محيط قصر الاتحادية) على متن طائرة هليكوبتر تابعةً للقوات المسلحة، واصفًا إياها بقوله: (الملايين ينشرون فى ميادين مصر تأييدًا لدعوة السيسى للتصدى للإرهاب) هذا بخلاف ما قاله المحلل السياسى فى معهد (بروكنجز) (شادى حامد) قائلاً: (رغم إدانتى الكبيرة لسقوط ضحايا فى طريق النصر، فإن على قيادات الجماعة أن تتحرى الدقة فى بياناتها، لأن تناقض تصريحات، وتغريدات (جهاد الحداد) مع الواقع أَمْرٌ مُفْزِعٌ لكل وسائل الإعلام العالمية، وَيَهْدِمُ بِمِصْدَاقِيَّةَ الجماعة إلى الأبد)[(1)].

وأما الثانية عشر، والثالثة عشر وهما كالآتى: (إذا تململ الشخص، أو عارض فى شىءٍ تُدَبَّرُ له فضيحة كبرى وقد يكون عصيره القتل) و(كل شخص استفادوا منه، ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة) يقول الأستاذ/ على عشماوى فى مذكراته: (أُصِبْتُ بإحباطٍ شديدٍ وغضب وثورة داخلية تكاد تقتلع قلبى من مكانه حُزْنًا على عمرى الذى أضعته كله مع هذه الجماعة، وقررت الانسحاب حتى

(١) جريدة اليوم السابع، ليوم الخميس ٢٣ من رمضان ١٤٣٤ هـ - أول أغسطس ٢٠١٣م - العدد (٧٩٣) ص: (٧).

قبل أن تُداهمنا الاعتقالات ودخول السجون، ولكن الأحداث كانت أسرع، وما إن تم الانفصال داخل السجن، إلا وتبعهُ اضطهادٌ من الجماعة، وتتالت الفتاوى فى حقى، (بالتكفير تارة)، و(بالنفاق تارة أخرى) ورأيت وعشت، كيف تخرج الفتاوى من ترزية هذا النوع من الفقه؟ ثم ساعد على قسوة الأمور ما صاحب الفتاوى من سمعٍ وطاعةٍ من أفراد الجماعة دون أن يُعْمِلَ أحدهم فكره ويعترض، ثم فوجئت بعد أن انتهت المحاكمة، جائنى الأخ (عباس السيسى) بعرضٍ محددٍ وهو نسيان ما كان فى أثناء المحاكمة، ونسيان الفتاوى إذا حَدَّدْتَ موقفى من الحكومة وهو ما كان إذا كنت أنوى تأييدها، أم لا ، فأجبته أن الحقَّ أحقَّ أن يُتَّبَعْ، وأننى انتهيت منهم تمامًا، فزادت جرعة المقاطعة والتشهير، وبعد أن خرجت من السجن وجدتهم قد أَلَّفُوا كتبًا كثيرةً تقول عنى الكثير من التشهير، وَالسَّبِّ، وحين تركت لهم المنطقة كلها وذهبت إلى أمريكا، وجدت التعليمات إلى الإخوان فى أمريكا قد سبقتنى إلى هناك، وهكذا فهم يجيدون إيذاء كل من وقف معهم فترة من الزمن ثم انشق عليهم، وخرجت من (أمريكا) إلى (قطر) حيث ذهبت للعمل فى (الدوحة) فى مؤسسة (المسند)، وكان الشيخ (ناصر المسند) رحمه الله صديقًا عزيزًا، وقد ذهبت معه فى سنة ١٩٨١ للعمل فى مؤسسته بعد أن عدت من أمريكا، وقد كنت أعمل فى الماضى ببعض النشاط الإخوانى مع الأخ (سليمان الشناوى)، فاتصلت به، وجاء لمقابلتى وَرَحَّبَ بى فى (قطر) ثم دعانى إلى الطعام فى بيته، ولكنه قد دُسَّ لى السم فى الطعام، وخرجت من عنده لإفراغ ما فى معدتى، وفطن زملائى أنه تسمم، فنقلونى إلى المستشفى حيث أُجريت لى عملية غسيل معدة، وأخبرتهم أننى ربما قد تناولت طعامًا فاسدًا، ثم طلبت من الشيخ (ناصر المسند) أن يسمح لى بالعودة إلى مصر، وبعد إلحاحٍ منى، والرجل لا يعرف سبب إلحاحى على العودة وافق وأعادنى إلى مصر، وتلك تجربة لم أَبُحْ بها لِأَحَدٍ من قبل، لأنهم يُوزعون كتابًا يتضمنُ هُجُومًا عَلَيَّ، ولكل من حولى إمعانًا فى التشهير بى، حتى إن إحداهن قد التقت بابنتى وهى عائدةً من الدرس، لتقرأ عليها ما

كُتِبَ عنى من سَبٍّ وَقَذْفٍ [1].

ويقول الأستاذ ثروت الخرباوى: (وأنا جالس فى مكتبى أقلب الأفكار حملنى بساط الزمن إلى عام (١٩٥١) لأجد فى قلب القاهرة حواراً محتدمًا بين الشيخ (محمد الغزالى)، وبعض شباب الإخوان، وكان الغزالى قد ترك الإخوان وانشق عنهم بعد أن لم يَرْتَضِ البيعة للمستشار (حسن الهضيبى)، سأل (الغزالى) شباب الإخو ن: هل نحن جماعة من المسلمين) أم جماعة المسلمين؟ قال له بعضهم: بل نحن جماعة المسلمين، وقال آخرون: بل نحن جماعة من المسلمين، ثم بادرهم بِرِدِّهِ قائلاً: (إجابتكم هذه يترتب عليها نتائج ذات بال، بل نتائج ترتبط بها صيانة دماءٍ وأموالٍ! فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة الأستاذ (حسن الهضيبى) ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا ممهدة إلى النار وبئس القرار)!

خرج (الغزالى) من هذا اللقاء وهو يتعجب من طريقة تفكير بعض الإخوان، ولكنه لم يتوقع أن تُصبح نغمة (جماعة الإخوان هى جماعة المسلمين) نغمةً سائدةً وَمُسَيِّدَةً عند الشباب، أنظر إلى (الغزالى) وهو فى زمنه، والآن، وبعد تحاوره مع هؤلاء الشباب يصطحب رفيقه وصديقه الشيخ (سيد سابق) فى نزهة سَيْرٍ قريبًا من شعبة الإخوان فى (المنيل)، فمرَّ بهما اثنانِ من شباب الإخوان من أولئك الشبان المفتونين بقيادتهم وأبيا إلا إسماعهما رأيهما فيهما فقالا لهما بألفاظٍ صريحةٍ فجةٍ فظةٍ: أنتما من أهل جهنم! وصادف ذلك من الشيخين ساعة تبسط، وَضَحِكَا فمضيا فى طريقهما وقد سقط طنين الكلمة النابية على الثرى قبل أن يتماسكا فى آذانهما) [2].

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: (وعندما كنت أقلب بعض صفحات الكتب إذ أمسكت بأناملى كتاب الأستاذ (سعيد حوى) وهو بعنوان (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين)

(١) التاريخ السرى لجماعة الإخوان مذكرات/ على عشماوى ص: (١٢-١٣).
(٢) سر المعبد للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: ٢٧٦-٢٧٧.

وبينما كنت أُقلب صفحات الكتاب فوقع بصرى على عبارة غريبة يقول فيها: (إننا فى هذا المدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسلمين، وَبَرْهَنَّا على أنها موجودة فى دعوة (الأستاذ البنا) ثم يقول: وعندما كنتِ أُقِرُّ الصفحات إذ وقعت عينى على عبارةٍ أُخرى، والتى تقول: (إن مواصفات الجماعة التى يُصبح أن تعتبرها جماعة المسلمين موجودة فى جماعة الإخوان كما أقامها البنا) إذن جماعة الإخوان، بلا مواربةٍ، أو توريةٍ هى جماعة المسلمين !![1]

وهؤلاء يصدق فيهم قول الحق تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠) والاستفهامُ هنا إنكاريٌّ للنفيِ، أى: لا أحد أضل منه، وكيف لا؟ وهو أظلم الظلمة، بتقديم هواهُ على هدِى اللهِ، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أى: الذين ظلموا أنفهسم بالانهماك فى اتباع الهوى، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين[2].

ثم يذكر (القرضاوى) فى مذكراته قبل نحو ٦٠ عامًا قائلاً: (بأنهم غدارون، ولا أمان لهم، ولا يبحثون سوى عن مصالحهم) ثم يكشف لنا فى جانبٍ آخر من تلك المذكرات، حقيقةِ تبادل الاتهامات بينه وبين الإخوان، عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتحديدًا فترة الخلاف بين الجماعة مع الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر)، حيث روى ذكرى مؤلمة عليه، بحسب تعبيره، عندما اتهمه الإخوان بالخيانة؛ لأنه أَيَّدَ الصلح بين الإخوان والثورة حرصًا على مستقبل الدعوة، ووصف الشيخ قيادات الجماعة بالغدارين قائلاً: (يُعاب على الإخوان أنهم إذا أحبوا شخصًا رفعوه إلى السماء السابعة، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى، والمفروض فى الإنسان المؤمن الاعتدال فى الحكم على الناس، الإخوان نشروا نبأ أن (القرضاوى) انضم إلى ركب الخونة، وعلى الإخِوان أن يحذروا منه، لأننى أيدت الصلح بين

(١) المصدر السابق ص: ٢٧٩.
(٢) تفسير القاسمى: (٧/ ٥٤٨).

الإخوان والثورة حرصًا على مستقبل الدعوة) ثم يتحدث الشيخ عن نشرة أصدرتها الجماعة فى هذه الفترة قائلاً: (لقد أذاعت هذه النشرة نبأ قالت فيه: إن (القرضاوى) و(العسال) مرقا من الدعوة وانضما إلى الخونة، وعلى الإخوان أن يحذروا منهما، وقد استجاب الإخوان لذلك حتى قابلنى بعض الإخوة الذين كانوا يعتبرون من تلاميذى، فأعرضوا عنى، ونأوا بجانبهم، وبعضهم قال لى: لم يعد بيننا وبينك رباط) وتابع: (هذا أمرٌ شائعٌ فى الإخوان، أذكر حين صدر أمر بفصل الشيخ (الغزالى)، والأستاذ (صالح عشماوى)، والدكتور (محمد سليمان)، والأستاذ (عبدالعزيز جلال) وكنا فى معتقل (العامرية) وكنت أتحدث مع أحد وعاظ الإخوان المعروفين، وجاء ذكر الشيخ (الغزالى) فقال: (الغزالى لم يَعُدْ أَخًا لَنَا، لا هو، ولا إخوانه المفصولين من الجماعة، فقلت له: لم يعد أَخًا لنا فى الجماعة، لكنه بقى أَخًا لَنَا فى الإسلام، فَرَدَّ عَلَيَّ بقولِهِ: (إن عمله فصل ما بيننا وبينه، فقلت له: وهل يهدم تاريخ الشخص وجهاده كله بزلة واحدة يزلها؟ إن الله سبحانه، لو عامل الناس بهذه الطريقة، لدخلوا جميعًا جهنم) وتساءل (القرضاوى): (لو كان هذا هو تعامل الإخوان مع أعضاء جماعتهم، فما ظنك بغيرهم)[1].

ثَالِثًا: مَا فِكْرُ جَمَاعَةِ الإِخْوَانْ؟

عندما يقف المرء أمام أفكار هذه الجماعة، ليفتح بابها يجد نفسه واقفًا أمام حقيقة تصدمهُ، بل تَفْجَعْهُ، لأنه يرى مجموعة حقائق تدميرية، فالمظهر العام أنها دعوية، لأن الغطاء الخارجى لتلك الأفكار تراه أنت أنه دعوىٌّ، أما فى داخل القشرة أى: فى اللب، أو العمق صادمٌ وكأنك تغوص فى بحرٍ متلاطم الأمواج، فإذا خضت فى ظلمته داهمتك الأخطار التى تودى بحياتك، وكذلك (جماعة الإخوان) حقيقتهم من وراء الستار دموية، أو تدميرية، وذلك ما قد شاهدناه صادمًا صارخًا بعد فَضِّ اعْتَصَامَىْ (رابعة،

(١) جريدة الوطن الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١٣ هـ - السنة الثانية، العدد (٥٩٦) ص: (٥).

والنهضة) يوم ١٤ أغسطس ٢٠١٣م، لأن الأقوال، والتهديدات أُعْلِنَتْ على منصة (رابعة) من تهديدٍ ووعيدٍ، وحرقٍ لمصر ومنشآتها، وتدميرٍ لجيشها وشرطتها، وقتلٍ لأبناءِ هذا الشعبِ دون ذنبٍ، أو جريمةٍ يُقتل عليها، وكل ما قالوه، أو هددوا به طبقوه قولاً وعملاً، فتعال معى عزيزى القارئ ندخل سويًّا فى هذه الأفكار ودهاليزها حتى ندرس حقيقة هؤلاء، لنتعامل معهم على قَدْرِ هذه الأفكار، وتلك الأخطار:

(الْجَانِبُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْمَلَفُّ، هُوَ فِكْرُ الْخَوَارِجِ):

عزيزى القارئ قبل أن ندخل فى خِضَمِّ هذا الملف المحفوف بالمخاطر، لاَبُدَّ لنا أن نُمْسِكَ بطرف الخيط من أوله، وأول الخيط فى ذلك الخلاف هو الذى نشب أيام النبى ﷺ من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر به، أو ينهى عنه، وَاعْتُبِرَ حديثِ ذِى (الخويصرة التميمى) هو أول ذلك الخلاف، وهذا الخلاف لم يكن مع شخصٍ عادىٍّ، بل كان مع نبىٍّ ارتبطت أقواله بحبل ممدودٍ من السماء إلى الأرض إذ قال هذا الشقىُّ: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، حتى قال عليه الصلاة والسلام: (إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، فَمَنْ يَعدِلْ؟؟!!) فعاد اللعين فكررها وقال: هذه قسمة ما أُرِيدُ بها وجه الله تعالى، وذلك خروجٌ صريحٌ على قول النبى ﷺ، وقد صار من اعترض على الإمام المحق، أو الرئيس خَارِجيًّا، فما بالك بمن اعترض على أقوال الرسول ﷺ، أليس أحق بأن يكون خَارِجيًّا، أو ليس ذلك حكمًا بالهوى فى مقابلة النص؟ أو ليس ذلك استعلاءً بالعقل على النقل؟ حتى قال ﷺ: (سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِىءِ هَذَا الرَّجُلِ قَوْمٌ يَمْرَقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) (١).

فينطبق وصف (الخوارج) على كل من خرج على الأئمة، أو على الناس، أو على عَلِىٍّ بن أبى

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٣٤٤، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٥٦٢، ٤٧٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبى سعيد – رضي الله عنه – واللفظ للبخاري .

طالب كانت حقًا فى نظرتهم، وقد أجمع مؤرخو الفرق على تسميتهم بهذا الاسم (الخوارج)[1].

لذلك فقد انطبق هذا المسمى على جماعة الإخوان قولاً واحدًا لا لبس فيه ولا غبار، لأنهم خوارج هذا الزمان، (وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ).

- ألم يقوموا باغتيال (النقراشى باشا) رئيس وزراء مصر فى عهد الملك (فاروق) فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م عندما أمر بحل جماعة الإخوان.

- ألم يقوموا أيضًا باغتيال (أحمد باشا ماهر) رئيس وزراء مصر فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥، لأن التنظيم الخاص داخل (جماعة الإخوان) قرر الانتقام منه بعد إسقاط (البنا) فى دائرة انتخابات بالإسماعيلية.

- وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يقول (عبدالناصر): (أثناء ماكنا نتعاون مع الإنجليز من أجل جلائهم عن مصر كان الإخوان يعقدون اجتماعات سرية مع السفارة البريطانية، للإطاحة بالثورة المصرية، فحركة (الإخوان) كاذبة وتتاجر بالدين وَتُمَوَّلُ، وتعملُ لدى الاستعمار، ويقول أيضًا: حاولت التعامل معهم ولكن بكل أسفٍ وجدت فكرهم يتلخص فى الوصول إلى السلطة بأىِّ ثمنٍ، ولا يوجد أى مستقبلٍ لديهم فى رفعة وإعلاء الوطن، وعندما انتقدتهم حاولوا اغتيالى، ولا يوجد لديهم أىُّ مانعٍ على الإطلاق)، ولذلك فقد حاولوا اغتياله بالفعل والاستيلاء على الحكم فى عامى (١٩٥٤ و ١٩٦٥) والمحاولتان قد باءتا بالفشل.

- ألم يقوموا باغتيال الزعيم الراحل (محمد أنور السادات) فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ خلال احتفال الرئيس الراحل بنصر أكتوبر فى (حادث المنصة) وكان الزعيم الراحل كان يُدرك ما يحيط به، إذ صَرَّحَ لجريدة (لوفيجارو الفرنسية) فى ٢٦ سبتمبر من نفس العام فقال: (السلام يضايق البعض ... وإذا تم اغتيالى ابحثوا عن المستفيد من الجريمة).

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ١٧٠).

ثم يستطرد قائلاً: (الإخوان مُساقون إلى الهاوية، لأنهم يلتزمون طريقة العلم فى سِرِّيَّةٍ حتى بعد أن قام الشعب بثورته، ويقول أيضًا: (الإخوان يحرصون على العملِ السِّرِّىِّ والتنظيمات والتشكيلاتِ الخاصةِ، وكأنهم أمةٍ أُخرى وشعبٍ آخر، غير هذه الأمةِ، والشعب المصرىِّ)، لِذَا لم يتغير منهجهم، ولا طريقتهم، ولا هويتهم فى الخيانة لأوطانهم، وكأن التاريخ يعيدُ نفسهُ فمصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، لا تختلف كثيرًا عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ففى الحالتين حاول (الإخوان) الوصول إلى الحكم، بكل الطرق، لكنهم فشلوا فى الأولى، ونجحوا فى المرة الثانية وَمَنْ يقرأ المقالات التى كتبها الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) عام ١٩٥٤ عن الجماعة يُدْرِكُ أَنَّ التاريخَ يُعِيدُ نَفْسَهُ، وأن الجماعة لم تتغير، بل يمكن ببساطةِ القولَ إن ما كتبهُ (السادات) ينطبق بالضبط على ما يحدث الآن، إذْ يتحدث (السادات) عن (الإخوان) قبل ٦٠ عامًا وكأنه يتكلم عنهم الآن، يتحدث عن المرشد الثانى (حسن الهضيبى) وكأنه يتحدث عن المرشد الثامن الدكتور (محمد بديع)، أو المهندس (خيرت الشاطر)، أو المعزول (محمد مرسى)، أو بقية أعضاء مكتب الإرشاد عن إدمانها العملُ السِّرِّىُّ [١].

أما الدليل من كتاب الله، وسُنة رسوله ﷺ، فهى تفوق الحصر، ولا كنا سنتكلم عنها باختصارٍ بإذنه تعالى:

من السنن الكونية الاختلاف، والاختلاف بين الأمة رحمة، إذا كان اختلافاً دعويًّا منهجيًّا يَصُبُ فى الصالح العام، ولا يكن اختلافًا دَمَوِيًّا يُبِيحُ الْقَتْلَ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩) قال عدد من العلماء: نزلت هذه الآية فى اليهود والنصارى، وَقِيلَ: (هُمُ الخوارجُ)

(١) شبكة الانترنت - عن جريدة التحرير - الأربعاء ١٧ أكتوبر ٢٠١٢م.

وقيل: هُمُ أَصْحَابُ الْبِدَعِ، والظاهر أن الآية عامة فى كل من فارق دين الله، وكان مُخالفًا له، فإن الله بعث رسله بالهدى ودين لحق ليظهره على الدين كله، وشرعهُ واحدٌ لا اختلاف فيه، ولا افتراق، فمن اختلف فيه (وكانوا شيعًا) أى: فِرَقًا كأهلِ المللِ، والنحلِ، والأهواءِ، والضلالاتِ، فإن الله تعالى قد بَرَّأ رسول الله ﷺ مِمَّا هُمْ فِيهِ، حيث قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الشورى: ١٣)[١].

(فهؤلاء الخوارج) لا يقتلون تحت راية الجهاد فى سبيل الله، ولكنهم يقتلون أبناء جلدتهم وقتالهم ليس تحت راية الإسلام، ولكن قتالهم تحت راية عَمِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، و(تحت راية التنظيم السرى للإخوان) حيث قال رسول الله ﷺ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةِ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةٍ، فَقُتِلَ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلاَ يَتَحَاشَا مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِى لِذِى عُهْدَةٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّى، وَلَسْتُ مِنْهُ).[٢]

وقال ﷺ: (مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِّيَّةٍ، يَنْصُرُ الْعَصَبِيَّةَ، وَيَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ)[٣].

أما: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ)[٤]

أَمَّا مَا نَحْنُ بصدده من اختلافاتٍ، فهذه الاختلافاتِ ليست عَقَدِيَّةٍ ولكنه اختلافٌ سِيَاسِىٌّ، لأن السياسة تقوم على فن الممكن، والسياسة أيضًا تقومُ على المصالح المتغيرة،

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (٢/ ٩٦).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٢٣٢)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٩٨٣)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٢٧).

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم، والسنائى عن جندب، وابن ماجة عن أبى هريرة - رضي الله عنه - وجاء فى السلسلة الصحيحة برقم: (٤٣٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٤٢).

(٤) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد والبخارى، ومسلم، والأربعة (أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة) من حديث أبى موسى رضي الله عنه - وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٠٨٨)، والمشكاة برقم: (٣٨١٤)، وصحيح الجامع للألبانى برقم: (٦٤١٧).

أما الدين فيقوم على اليقين المطلق، ولذلك ترى (الإخوان) وبقية الشعب المصرى يُصَلُّونَ بجوارِ بعضهم البعض، ولكنهم إذا اتجهوا (للسياسة) يحدث الاختلاف والفرقة، والقتل، وسفك الدماء، قال رسول الله ﷺ: (سَيَكُونُ فِى أُمَّتِى اخْتِلاَفٌ وَفُرْقَةٌ)[1].

فخروج الخوارج على عثمان - رضي الله عنه - وعلى عَلِىٍّ - رضي الله عنه - لم يكن خُرُوجًا، أَوِ اخْتِلاَفًا عقائديًا، لأن هذه (الفرقة) لم يكن لها أثرٌ فكرىٌّ، أو عقائدىٌّ يُذْكَرُ، وكذلك خروج (جماعة الإخوان) على الشعب المصرى، ولذلك قد أُطلق عليهم (خوارج هذا الزمان) ويصدق فيهم ما قاله رسول الله ﷺ، بأنهم شرار هذه الأمة الآن حيث قال: عندما سألت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن الخوارج، فقال: (هُمْ شِرَارُ أُمَّتِى يَقْتُلُهُمْ خِيَارُ أُمَّتِى)[2].

وقال ﷺ عنهم أيضًا فى رواية ابن الجوزى والذى ينتهى سنده إلى عبدالله بن أبى أوفى - رضي الله عنه - حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الْخَوَارِجُ كِلاَبُ النَّارِ)[3].

وقد واجهنا هذا الشر المستطير من (خوارج هذا الزمان) من فتاوى تُبِيحُ القتل، وتساعد على سفك الدماء، فقد أطل علينا الشيخ (محمد عبدالمقصود) بفتواه قائلاً: (أن كل من خرج يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فهو كافر، وكل من فعل هذا فهو مرتد خارج عن الإسلام، يجب أن يعامل معاملة المرتدين، وأن تطبق عليه أحكامهم فى الشرائع، لأن الخوارج كانوا يقتلون أصحاب النبي ﷺ، فما وجه الشبه يا شيخ بين متظاهرين سلميين خرجوا علي رئيس

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، والحاكم عن أبى سعيد، وأنس معًا، ورواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن أوس وحده وجاء فى المشكاة برقم: (٣٥٤٣)، وصحيح الجامع برقم: (٣٦٦٨).

(٢) الحديث إسناده حسن: أورده الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٣٩) رواه البزار من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها -، وجاء فى الحافظ فى الفتح (١٢/ ٢٩٨).

(٣) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وابن ماجة، والحاكم عن عبدالله بن أبى أوفى - رضي الله عنه -، ورواه الإمام أحمد عن أبى أمامة - رضي الله عنه -، وجاء فى الروض النضير برقم: (٩٠٦، ٩٠٨)، والمشكاة برقم: (٣٥٥٤)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٣٤٧).

ظالم يقتل شعبه، فهل تشبه هذا المرسى ببعض الخلفاء الراشدين الذين خرجت عليهم الخوارج؟ والله إنه لتشبيه ينقصه الدليلُ اليقينيٌّ من الكتاب والسنة، وقد وصف رسول الله ﷺ الخوارج فقال فيهم: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تُحَقِّرُونَ، صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وصِيَامِكُمْ مَعَ صِيَامِهِم، وعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَقْرَؤُونِ القرآن لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِن الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ الرَّامِي فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيِ فلا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارى فِي الْفُوْقِ، هَلْ عَلِقَ بِهِ مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ) [1]

وقال أيضًا: (سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [2].

فمن شابه هؤلاء فهو الذى يستحق القتل حقًا، لأن مُتَظَاهِرِى ٣٠ يونيو خرجوا مطالبين بحقوقهم التى لم تُلَبَّى فى ثورتهم الأولى وهى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ والتى نادت جموع الشعب المصرى فى كل الميادين بـ(عيش - حرية - عدالة اجتماعية - كرامة إنسانية) ولم يتحقق من أىِّ المطالب مطلبٍ واحدٍ، بل على العكس تطاول أنف الحاكم، وأنوف الإخوان، وأنوف أعضاء مكتب الإرشاد على الشعب المصرى، بل الأدهى والأمرّ من ذلك بأنهم قاموا بالتعدى عليهم وسحلهم وإراقة دمائهم إذن أيها الشيخ الفاضل أقول لك: (من يستحق هذا الوصف؟) الشعب الذى خرج مسالمًا مطالبًا بحقه، أَمْ مَنْ سَوَّلَتْ لهم أنفسهم بإرهاب وإرعاب، واستخدام أعمال العنف مع كل طوائف المصريين، فبديهيات الإسلام تقطع بأن من استحل الدم الحرام، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، لأن الله تعالى

(١) الحديث صحيح: رواه البخارى، ومسلم، وابن ماجة عن أبى سعيد - رضي الله عنه - وجاء فى السنة برقم (٩٢٣-٩٢٦-٩٣٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٨٠٥٣).

(٢) الحديث رواه البخارى، ومسلم عن عَلِيٍّ - رضي الله عنه -، وجاء فى الإرواء برقم: (٢٤٧٠)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٦٦٤).

قال: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء: ٩٣) فإن الله سبحانه وتعالى يتوعد القاتل الذى يقتل النفس الحرام بأشد الوعيد، لأن القاتل الذى يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرًا كبيرًا، أما القتل السياسى فهو مطمئن النفس راضى القلب اعتقادًا منه أنه يفعل خيرًا بسبب الفتاوى التكفيرية، التدميرية التى لُوِّثَتْ بدماء الأبرياءِ. قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاغْتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلاَ عَدْلاً)[1].

وَالْجَانِبُ الثَّانِى مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، هُوَ فِكْرُ الشِّيعَةِ:

● سنحاولُ الآن أَنْ نُعَرِّجَ على معنى (الشيعة) فى اللغة، وفى السنة، وفى القرآن، وفى الإسلام.

- المعنى اللغوى للشيعة: يُقَالُ تَشَيَّعَ الرَّجُلِ أى: انتحل مذهب الشيعة، والشيعة: هى الْفِرْقَةُ والجماعةُ، والأتباعُ والأنصارُ، وهى فرقةٌ كبيرةٌ من المسلمين اجتمعوا على حُبِّ عِلِّيٍّ وآلِهَ وَأَحَقِّيَّتِهِمْ بالإمامة، وَجَمْعُهَا شِيَعٌ، وَأَشْيَاعٌ.[2]

- أما لفظ الشيعة فى السنة، فقد جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى الرجل الذى قال للنبى ﷺ: لم أرك عدلت ...، قال فيه عليه الصلاة والسلام: (سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةً يَتَعَمَّقُونَ فِى الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ)[3].

- أما لفظها فى كتابه تعالى: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجر: ١٠)

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، والضياء عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -، وجاء فى الترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٤)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٤٥٤).

(٢) المعجم الوجيز ص: ٣٥٧.

(٣) الحديث صحيح: وهذه اللفظة أخرجها أحمد (٧٠٣٨)، وابن أبى عاصم فى السنة (٩٣٠) وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٢٨)، ورجال أحمد ثقات، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، وَجَوَّدَ الألبانى فى إسناده فى السنة (٩٣٠).

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ (القصص: ٤)، وقوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ (الروم: ٣٢).

- أما لفظها فى التاريخ الإسلامى: ففى الأحداث التاريخية فى صدر الإسلام ورد لفظ الشيعة بمعناه اللغوى الصرف، وهو المناصرة والمتابعة، بل وجد فى وثيقة التحكيم بين الخليفة عَلِىٍّ، ومعاوية - رضى الله عنهما - وورود لفظ الشيعة بهذا المعنى، حيث أُطلق على أتباعِ عَلِىٍّ وشيعته، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع عَلِىٍّ فقط، ومما جاء فى صحيفة التحكيم: (هذا ما تقاضى عليه عَلِىٌّ بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان (وشيعتهما) ...، (ومنها): وأن عَلِيًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، وَرَضِىَ معاوية وشيعته بعمرو بن العاص... (ومنها): فإذا توفى أحد الحكمين، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه ...، ومنها: وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود فى هذه القضية، فلشيعته أن يختاروا مكانه رَجُلاً يرضون عدله) [1].

ومن هذا يتضح: أن اسم (الشيعة) كان لَقَبًا يُطْلَقُ على أية مجموعة تلتف حول قائدها، وإن كان بعض الشيعة يُحاول أن يتجاهل الحقائق التاريخية وَيَدَّعِى بأن الشيعة هم أول من سُمُّوا باسم التَّشَيُّعِ فى هذه الأمة، ويتناسوا بأن (معاوية) أُطلق أيضًا على أتباعه كلمة الشيعة، ولكن الوقائع التاريخية تقول بأن لقب الشيعة لم يختص إطلاقه على أتباع عَلِىٍّ إلا بعد مقتل (عَلِىٍّ) - رضي الله عنه - كما يرى البعض، أو بعد مقتل (الحسين) كما يرى آخرون [2].

- ثُمَّ يَسْأَلُ سَائِلٍ، وما شأن هذا الكلام بما هو قَائِمٌ بين أيدينا الآن؟ يُقَالُ وَبِالله التَّوْفِيقِ كانت أفكار (حسن البنا) تدور فى فلك لتقريب بين المذاهب، لأنه كان يحلم بالخلافة الإسلامية فأراد أن يقرب بين (مذهب الشيعة)، (ومذهب أهل السنة)، واللافت للنظر

---

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. فضيلة الشيخ مصطفى بن محمد بن مصطفى ص: (١٦٧).
(٢) المصدر السابق ص: (١٦٨).

أن (الشيعة) وأصابعها التى بدأت تتحرك فى سريةٍ تامةٍ من خلال حديث (هادى خسرو شاهى) عن التقريب بين (السنة، والشيعة) يظهر لنا سبب هذا الاختفاء غير العادى! وكان سبب الاختفاء لم يرد فى كتابات الإخوان يقول الأستاذ (ثروت الخرباوى): (المعروف أن الإخوان يقولون: إن حسن البنا ساهم فقط فى إنشاء دار التقريب، ولكن الذى أفتى بجواز التعبد لله على مذهب الإمامية الاثنا عشرية هو الشيخ (محمود شلتوت) شيخ الأزهر بعد وفاة (حسن البنا) بعدة سنوات، ولكن (خسرو) يكشف الغطاء عن شيءٍ آخر، كان (حسن البنا) هو أول من اعترف بالمذهب الإمامى الشيعى، كاد (خسرو) يقول فى بحثه: إن البنا اعتنق المذهب الإمامى الاثنا عشرى، ولكن (خسرو) اكتفى فقط بمسألة الاعتراف! فقال: وقد اعترف الشيخ بالمذهب الإمامى الشيعى) وقد أورد (خسرو) أسباب إيمان (البنا) بهذا المذهب الشيعى فقال: إنه آمن به (نظرًا للحقائق، والدور القَيِّم للشيعة فى اعتلاء الإسلام والحضارة الإسلامية) آمن حسن البنا بالشيعة ومذهبهم، كما قال (خسرو)، لأن هناك حقائق وبراهين تُثبت أن الشيعة ساعدوا فى اعتلاء الإسلام! كان هذا هو ما وقر فى عقيدة (البنا)، بل إن هذا التأثر وهذه العقيدة لا تمكث فى نفسية (البنا) ولا تتحرك ولكنها كانت فاعلةٌ ومؤثرةٌ لدرجة أن عددًا من شيوخ الأزهر تأثروا بما اعتنقه (البنا)، ومن أجل (البنا)، والبنا فقط، أصدر الشيخ (محمود شلتوت) فتواه[1].

كان (البنا) حريصًا غاية ما يكون الحرص على نشر المذهب الشيعى فى مصر: وَتَخْلُصُ القصة التى رواها (آية الله السيد رضا الصدر) ونقلها عنه (خسرو) فى أنه (احتج بعض المصريين فى أحد المراسم التى أقيمت فى موسم الحج، والتى كان قد حضرها (البنا) من منطلق عدم معرفتهم لحقيقة التشييع، على الشيعة المشاركين فى الحج... وعندما عرف المرحوم (حسن البنا) بالأمر حضر فى مركز تجمع الحجاج المصريين وألقى كلمةً تَنْوِيرِيَّةً

(١) أئمة الشر - للأستاذ / ثروت الخرباوى ص: (٢٣٤).

مُحَذِّرًا فيها من مغبة هذا الشيء، وقال: لاَ يَحِقُّ لِأَيِّ فردٍ آخر أن يُهاجم المسلمين الآخرين، وأضاف بعد ذلك فى كلمته قائلاً: إِنَّ الْفَرْقَ الْـمَوْجُودَ بين بعض أهل السنة، وبين الشيعة هو أن الشيعة يُحبون أهل بيت رسول الله ﷺ أكثر من غيرهم، وهذا الشيء أَدَاءٌ لهم للدين، فينبغى أن يشكل هؤلاء القدوة لنا نحن المصريين الذين لنا ولاء لأهل البيت).

وبذلك التصريح قد هَوَّنَ (البنا) الفرق بين (الشيعة، والسنة)، بل جمع أمرًا مُـمَيَّـزًا خصَّ الله به الشيعة، فهم فقط يحبون آل البيت أكثر من حب السنة لآل البيت! وبما أننا فى مصر نحب آل البيت فلا تثريب علينا إن اتبعناهم، فهم قُدْوَةٌ لَنَا، وهم أحبوا آل البيت؛ لأن هذا كان أداء لهم للدين!

كانت هذه دعوةٌ صريحَةٌ لا لبس فيها ولا غموض، ولا تمويه، ولا تقية، الشيعة قدوةٌ لكم أيها المصريون البسطاء، فاتبعوهم يحببكم الله، لأن هذا أَدَاءٌ للدين، هل هناك أكثر من ذلك حتى يَحْتَفِي اشيعة (بحسن البنا) وحتى يُطلق (الخمينى) على نفسه لقب (المرشد) إيمانًا بالدور الذى لعبه (البنا) فى فتح الطريق أمام الشيعة فى مصر؟

ويقول (خسرو) فى دراسته وهو يعترف بجميل البنا نحو (لسيعة) وقد أرسى البنا علاقاتٍ طيبةٍ مع علماء الشيعة، وكان يعتبر من جملة الطلائع فى حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة إلى جانب العلامة الشيخ (محمد تقى القمى).

لم يكن البنا إذن مؤمنًا فقط بالشيعة، ولم ينقل إيمانه إلى البسطاء فقط من المصريين، ولكنه نقل ما آمن به لرجال الأزهر القريبين منه، ثم أقام علاقات طيبة مع رجال الدين من الشيعة، كان هذا هو رأى البنا إذن فى الشيعة، وهذا هو سبب حب الشيعة (للبنا)، لقد اقترب البنا من الشيعة اقترابًا كبيرًا، ولكن هذا الاقتراب أثار غضب علماء السنة على (البنا)، حتى أقرب المقربين من البنا اتهموه بخيانة عقيدته مقابل دراهم معدودة، يقول الكاتب: ليس هذا كلامى، ولكنه كلام أساتذة البنا المقربين [1]

(١) المصدر السابق ص. (٢٤٤-٢٤٥).

ولذلك فإن بعض الإخوان قد ترك المذاهب السنية، والتحق بالشيعة دينًا ومذهبًا، فها هو أحد أقطاب (الإخوان) القدماء المستشار (الدمرداش زكي العقالي) الذي كان مُتَيَّمًا بحسن البنا وتاريخه، ها هو يُصبح شِيعِيًّا كبيرًا له تقديره في المجتمع الإيراني، بل يُصبح المسئول الأكبر عن شيعة مصر، وهذا المستشار له حالة فريدة على الساحة الإسلامية، فالرجل كان رئيسًا لمحكمة (الاستئناف)، و(عضو مجلسي الشعب والشورى)، و(نائبًا لرئيس حزب العمل المصري قبل إغلاقه)، و(مستشارًا للرئيس الأسبق محمد حسني مبارك)، نشأ (الدمرداش) وتربى في كنف (حسن البنا) مؤسس جماعة الإخوان، ومع ذلك فقد فاجأ الجميع بتحوله من التسنن إلى التشيع، وفي كل حواراته يعتبر أن البنا هو أستاذه ومعلمه وصاحب الفضل عليه، ومن بعده في التَّشَيُّع أيضًا الدكتور (أحمد راسم النفيس) الذي ظل ولا يزال يُمارس نشر العقائد الشيعية في مصر بدأب وإصرار شديدين. وهو لم يكن واحدًا من عَوَامِّ المسلمين، ولكنه كان من زعماء طلبة الإخوان في الجامعة في السبعينات من القرن العشرين، وكان رئيس اتحاد طلاب كلية الطب بجامعة (المنصورة) عن الإخوان من عام ١٩٧٥ : ١٩٧٧م.

وهو حاليًا من أبرز شيعة مصر، ومن أكثر المتحمسين لنشر مذهب الإمامة الإثنا عشرية، وهو مع فريقٍ من الشيعة المصريين من أصحاب الجذور الإخوانية كانت هناك جماعة الإخوان الأم التي كانت تمارس أنشطتها بشكلٍ مستمرٍ رغم التضييق الأمني، والسياسي في بعض الأحيان، واللقاءات المحرمة تتم ليلاً في التجمع الخامس الذي كان منطقةً نائيةً وقتئذٍ، وفي أذهان الجميع دار التقريب التي يراهنون على أنها ستؤتي ثمارها، ولن يجني الشيعة هذه الثمار إلا بالتوافق مع الإخوان، والاتفاق معهم، فهم حُلفاء الأمس، وما زال الحلف قائمًا بينهم[1].

(١) المصدر السابق ص: (٢٠٨).

الْغُلُوُّ فِى الْأَشْخَاصِ:

استدلت الشيعة على أن الإمامة لا تكون إلَّا بِنَصٍّ، وأن الرسول ﷺ نَصَّ على عَلِيٍّ وأولاده، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة، فهذه هى عقيدتهم والتى ظهرت على يد السبئية، والهاشمية، والشيطانية، إلا أن شيوخ الشيعة ادعوا أن هذا الأمر هو من شرع الله ورسوله ﷺ، وأقوال أئمة أهل البيت، فأخذوا يستدلون على ذلك بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، فأصبح أكثرها موضوع، أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة [1].

وتقول الشيعة: أن الإسلام بُنِىَ على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية ويقول (ابن بابويه القمى) فى رسالته الاعتقادات: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين عَلِيٍّ بن أبى طالب، أنه كمن جحد نُبُوَّةَ الأنبياءِ، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أَقَرَّ بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد ﷺ وقال (مقداد الحلى): أن مستحق الإمامة عندهم، لابد أن يكون شخصً معهودًا من الله تعالى ورسوله، لا أى شخص، ويقرر كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثنى عشرية فى هذا العصر: أن الإمامَة مَنْصِبٌ إلهىٌّ كالنبوة: فكما أن الله (سبحانه) يختار ما يشاء من عبادهِ للنبوةِ والرسالة ويؤيده بالمعجزة التى هى كنصٍّ من الله عليه ... فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده. فمفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفى الله (سبحانه) من خلقه أنبياء، يختار (سبحانه) أَئِمَّةً، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، ويُنزل عليهم الكتب، ويُوحى إليهم، ولا يقولون، أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه ... أى: أن الإمامة هى النبوة، والإمام هو النبى [2].

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. مصطفى بن محمد بن مصطفى ص: (٢٧٣).

(٢) على بن أبى طالب – شخصيته وعصره د/ على محمد محمد الصلابى: (٢/ ٢٣٥).

ولذلك قالوا: أن الإمامة صنو النبوة، أو أعظم، وهى أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، ولهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إمامة واحدٍ من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود فى النار، وخصصوا باللعن والحكم بالرِّدَّةِ جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية [1].

والشيعة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم فى عداد الكفار، مع أن عَليًّا بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وزوجهم وتسرى من جهادهم، ولما وَلِيَ الخلافة سار على نهجهم، ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، ومن مبالغتهم فى عصمة الأئمة أنهم قالوا: لا يسهون، ولا يُخطئون، ولا ينسون، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله [2].

وهذا مما جعل الشيعة تُنْزِلُ (عَلِيًّا) بمنزلة الأنبياء، لأن مفهوم الإمامة عندهم كمنزلة النبوة لأن الله يقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحى إليهم، ولا يقولون ولا يفعلون إلا بأمر الله ووحيه، وهذا هو الغلو فى الدين، وفى الأشخاص، فكان أحق بالغلو رسول الله ﷺ، ولكنه نهى عن ذلك، فيقول: لا تمدحونى فتغلوا فى مدحى، كما غلت الأمم السابقة فى مدح أنبيائهم، فقد جاء فى الحديث الذى رواه البخارى من حديث عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تَطْرُونى كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا، عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ) [3].

وقد حذر رسول الله ﷺ من الغلو فى الدين فقال: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ

(١) المصدر السابق: (٢/ ٢٣٧).

(٢) أ. هـ أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. الشيخ / مصطفى بن محمد بن مصطفى ص: (٢٨٩).

(٣) أخرجه البخارى (٢٤٦٢) (٣٤٤٥) (٣٩٢٨) (٤٠٢١) (٦٨٢٩) (٦٨٣٠) (٧٣٢٣)، ومسلم (١٦٩١)، وأبو داود (٤٤١٨)، والنسائى (كبرى) (٧١٥٧) (٧١٥٨)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، وابن حبان (٤١٣) (٤١٤)، والدارمى (٢٣٢٢) (٢٧٨٤)، وأبو يعلى (١٥٣)، وأحمد (١٥٤) (٣٣١) (٣٩١)، وصحيح الجامع برقم: (٧٣٦٣) عن عمر - رضي الله عنه -.

كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ)[1].

وهذا الطرح يسوقنا إلى غُلُوِّ الشيعةِ فى شخصِ عَلِيِّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - كما غلت الإخوان فى شخص (حسن البنا) ومن بعده، وفى فترة رئاسة المعزول (محمد مرسى) غلت الإخوان فى أشخاصهم ورموزهم.

الْغُلُوُّ فِى شَخْصِ الْبَنَّا:

عندما وجد (البنا) أن الجماعة ضمت بعض الشباب الذى يفكر ويناقش ويجادل أراد أن يخضعهم لطريقته وأسلوبه ونهمه وحده، لذلك قال فى أحد الأيام للشيخ الشاب الدكتور (عبدالعزيز كامل) عندما وجده يفكر: (أنا أعلم نوع تفكيرك وتمسكك بالسنة، وستأتى أيامٌ وظروفٌ قد نختلف فيها، وَأَوَدُّ فى هذه الظروف أن تترك رأيك لرأيى، ألا تطمئن إِلَيَّ) وبذلك قد أغلق على (الإخوان) أبواب الفهم، واحتكرها لنفسه، وما ذلك إلا لأنه (الإمام المهدى) الذى طال انتظاره، والذى يصحح للناس أفهامهم الدينية ويجعلهم قالبًا واحدًا، أما أولئك الفقهاء الكبار الذين اجتهدوا ووضعوا قواعد ذهبية فى تنوع الأفهام، وتعدد الصواب، واختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان فأولئك ليست الجماعة منهم فى شىء، إذ أنهم لا يعرفون إلا (حسن البنا) وحده، ولا يفهمون غير أفكاره، ولا يتقربون بالدعاء إلا من خلال الأدعية التى جمعها (البنا) وجعل منها أذكارًا للجماعة لذا كان قتل (البنا) نكبة وقعت على رءوس الإخوان، فبكوه وأسرفوا فى البكاء، ورثوه وأسرفوا فى الرثاء، قال الأستاذ (عمر التلمسانى) بعد مقتل البنا: (وكف القلب

---

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد (٢/ ١٨٠)، وأحمد (١٨٥١)، والنسائى (٥/ ٢١٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، وأبو يعلى (٢٧:٢)، وابن الجارود (٤٧٣)، وابن حبان (٣٨٧١)، والطبرانى (١٢٧٤٧) (١٢٧٤٨)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -، وصححه الألبانى فى (الصحيحة) (١٢٨٣)، وصحيح ابن ماجه (٢٤٥٥).

المعلق بالعرش عن النبض فى هذه الحياة لينبض فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)[1].

ونقول: وكأن الإخوان يكشفون الغيب من وراء ستر رقيق، وما ذاك إلا رَجْمٌ بالغيب ولا يعلم الغيب إلا الله، ثم يستطرد الكاتب قائلاً: يقول الأستاذ (مصطفى السباعى) (فما هو إلا النور المرسل من السماء؛ ليكشف عن أهل الخلود ظلماتهم، ثم يظل فى السماء دائمًا وأبدًا، ولن يختلط بتراب الأرض؛ إلا كما تقع أشعة الشمس على أعلى القصور وأدناها)[2].

ونقول أيضًا: هذه الفيوضاتُ، والنورانياتُ، والتجلياتُ الربانيةُ لا تَتَأَتَّى إلا للأنبياء والصالحين، أَمَّا مَا يُصَرَّحُ به فى هذا الشأن ما هو إلا خُزَعْبَلاَتٍ شَيْطَانِيَّةٍ ثم يُكْمِلُ الكاتب كلامه قائلاً: لذلك لا يأخذنا العجب حينما نقرأ فكرة (الإمامية) وَاضِحَةً جليةً فى عيون الإخوان، إذ اعتبروا (حسن البنا) الإمام الملهم الموهوب الذى لم يقع فى حياته فى خطأ قط، فيقول الإخوانى السورى (سعيد حوى) رحمه الله: (ونعتقد أنه لا جماعة كاملة إلا بفكر الأستاذ البنا، وإلا بنظرياته وتوجيهاته)

فشيخهم (البنا) قد حَيَّرَ ألبابهم وسلب عقولهم، وأصبح فى نظرهم مساويًا لسيدنا محمد ﷺ حتى إن الأستاذ (محمود عبدالحليم) رحمه الله يقول عنه فى كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ الجزء الأول): (لقد كنت أحار فى تصور قول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ إنه كان خلقه القرآن، حتى لقيت (حسن البنا) وَصَاحَبْتَهُ، فبدت الصورة تتضح أمامى).

وعلى ذات النسق يقول المرشد الثالث الأستاذ (عمر التلمسانى) عن حسن البنا: (لما كان الأمر أمر تجميع، وتكوين، وتوحيد مفاهيم أمة مسلمة، لما كان الأمر عودة المسلمين

(١) أئمة الشر للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (١٨١-١٨٢).
(٢) المصدر السابق ص: (١٨٢).

إلى الإيمان، لما كان الأمر كذلك اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا)

ولذلك فيقارن (حسن البنا) بين إيمان الإخوان، وإيمان غيرهم، فيقول فى رسالة دعوتنا: (والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا فى الإيمان، أنه عندهم إيمانٌ مخدرٌ نائمٌ فى نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمانٌ ملتهبٌ مشتعلٌ قويٌّ يقظٌ فى نفوس الإخوان المسلمين) أنزل (البنا) حكمه، فوصف أن إيمان غير الإخوان مخدر، أما إيمان الإخوان، فهو الإيمان الملتهب المشتعل القوى اليقظ!، وبعد سنواتٍ من مقتل (حسن البنا) بات من المعروف داخل الإخوان أن لقب البنا هو (الإمام الربانى) أو الملهم الموهوب، بل إنَّ كتابات الإخوان كانت فى صحفهم ومواقعهم تأخذ منحىً آخر إذ يكتبون دائمًا عبارة: (حسن البنا ﷺ!) وكان من أعلام الإخوان الذين استخدموا هذه العبارة الشيخ (محمد عبدالله الخطيب) حيث وضعها كعنوان فى جريدة الحرية والعدالة، وكأن البنا كان من الصحابة المقربين [٣].

ويصرح الأستاذ (على عشماوى) بأن الإخوان كانوا يُنْزِلُونَ (البنا) بمنزلةٍ تقترب من منزلة الأنبياء، حتى أنه حين دَبَّ الخلاف بين الإخوان وهم فى السجون، وكانت خطة الأستاذ (سيد قطب) وأفكاره قد بدأت تنتشر بشدة بين الإخوان فى السجون، ولما انقسم الإخوان على قسمين، طالب المعترضون أن يتم الاحتكام إلى أقوال (حسن البنا) لحسم الخلاف، ولم يقل أحدهم لنحتكم إلى كتاب الله، وسُنة رسوله ﷺ، بل كان الاحتكام إلى أحاديث البنا [٤].

ولما جاءت فترة حكم المعزول (محمد مرسى) بدأت أنوف الإخوان تتعالى على أفراد الشعب المصرى وكأنهم هم الأنقى، والأتقى، فيقول (صبحى صالح): (أن الإخوان أنقى من ماء المطر، ولو لم أكن إخوانيًا، لوددت أن أكون إخوانياً، واللهم أمتنى على الإخوان).

(٣) المصدر السابق ص: (١٨٤-١٨٥).

(٤) التاريخ السرى لجماعة الإخوان المسلمين - مذكرات على عشماوى ص: (٣٢).

ثم يثير الداعية الإسلامى الدكتور (جمال عبدالهادى) التابع لجماعة الإخوان جدلاً واسعًا على مواقع التواصل الاجتماعى بعد حديثه عن ثلاث رؤى لمؤيدى (محمد مرسى) يظهر فيها الرئيس وكأنه وَلِيٌّ من أولياء الله الصالحين، فأول هذه الرؤى يقول عنها: (أن أحد الأشخاص رأى رؤية بها الرسول ﷺ، والرئيس (محمد مرسى)، وقد حان وقت الصلاة، فقدم الناس الرسول ليؤم الناس، فقال لهم: بل يصلى بكم الرئيس (محمد مرسى)

وَقَصَّ رُؤْيَا أُخْرَى لنفس الشخص قال فيها: (رأيت أن الناس كانوا فى الصحراء ومعهم خمسون جملاً، فاستغاث الناس بالله لعدم وجود ماء، فانفجرت ساقية ماء وصدر صوتٍ قال: ارعوا إبل الرئيس (محمد مرسى).

أما الرؤيا الثالثة، فكانت رسالة للدكتور (عبدالعزيز سويلم): (رأى فيها ثمانية حمامات خضراء على الكتف الأيمن للرئيس محمد مرسى، وَفَسَّرَها صَاحِبَهَا، بأن الرئيس سيكمل الثمانى سنوات فى حكم مصر).

أنصح هؤلاء أنهم لا يأكلون كثيرًا قبل أن يناموا، ويحتسون كوبًا من اللبن، ويضعون الغطاء على أجسادهم حتى لا يحلمون، ولا يهرفون بما لا يعلمون، ولكنى أَوَدُّ أن أطرح عليهم سؤالاً: أين مرسى الآن ومساعدوه؟ وأين هو من الثمانى سنوات من حكم مصر؟

الْجَانِبُ الثَّالِثُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، وَهُوَ فِكْرُ التَّقِيَّةِ:

تَعْرِيفُهَا: (التقية: هى كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقبُ ضررًا فى الدين والدنيا).

ويرى بعض أهل السُّنة: (أن أصحاب هذه العقيدة، هم أشر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فَيَرَوْنَ أن مَا يُبْطِنُونَ هو الحق، وأن طريقتهم هى منهج الرسل والأئمة) [١].

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. الشيخ – مصطفى بن محمد بن مصطفى – ص: (٢٨٨).

إذن المستفاد من تلك المقدمة (أن التقية يخفون فى صدورهم، أكثر ما يظهرونه ممن يطلقونه بأفواههم، أو تصريحاتهم، وذلك هو بعينه ما يحدث فى الماسونية، والتنظيمات السرية).

ولكى نقترب من المشهد أكثر فنقول: وما سبب هذا الطرح لما نحن بصدده؟

نقول: أكثر الناس معرفة بك، هم من عاملوك، واقتربت منهم، واقتربوا منك، وكما يقول المثل الدارج: (فلان تعرفه؟ أيو أعرفه - عاشرته ؟ فإذا كانت الإجابة بلا، يُصْبِحُ الرَّدُّ: يبقى إنت متعرفوش).

وأكبر الناس معرفة (بالإخوان) هم الملوك، والرؤساء الذين تعاملوا معهم، وانخرطوا سَوِيًّا فى العملِ السياسىِّ، والدليل على ذلك:

فى أيام حكم الملك (فاروق) قاموا بالتحالف معه على سبيل الظاهر للعيان، وأما فى الخفاء فطالت أيديهم باغتيال كبار رجال الدولة آنذاك وهم: (أحمد باشا ماهر) رئيس الوزراء، والمستشار (أحمد الخازندار)، ورئيس الوزراء أيضًا (محمود فهمى النقراشى).

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قامت (جماعة الإخوان) بالتحالف معهم فى السنتين الأوليتين، ثم تحول التحالف إلى خصامٍ، ثم أصبح صِدَامًا، إلى أن تم محاولة اغتيال عبدالناصر الفاشلة، والاستيلاء على الحكم مرتين فى عام (٥٤، ٥٦) فاعتقل الكثيرين منهم وأدخلهم السجون، وأعدم من تسبب فى من حاول قلب نظام الحكم، يقول (عبدالناصر) عندما سألت المرشد العام (حسن الهضيبى) عن الحرب فى مدن القناة، وما موقفهم من ذلك؟ قال: إحنا حنشوف بلد تانيا نحارب فيها.

وعندما تولى (السادات) حكم مصر، قام بإخراجهم جميعًا من السجون، ثم انقلبوا عليه واغتالوه يوم نصره فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١، وفى إحدى خطبه أعلن قائلاً: (جماعة الإخوان هم التقية، لأنهم يُخفون أكثر ما يُظهرون).

ولكى نقترب من المشهد أكثر تَعَالَوْ نُطَالِعُ ما كتبهُ الأستاذ (ثروت الخرباوى) فى

كتابه أَئِمَّةُ الشَّرِّ:

يقول الكاتب: للتقية قصة مع الإخوان، وهذه القصة مستمرة منذ عهد (البنا) والذى يطلقون عليه الإمام إلى وقتنا هذا، فقد آمن (البنا) بها واعتبرها أصلاً من أصول العمل الحركى للجماعة، وتقية (الإخوان) لا تختلف عن تقية (الشيعة) فى شيء، فهم يعتبرونها وسيلة من وسائل (التمكين) يسلكون سبيلها ليتقوا (الأعداء) ويتوسعون فيها حتى أصبحت أصلاً، فتقية الإخوان والشيعة هى هى، لا فرق بينهما، وهى تختلف قطعًا عن (التقية الشرعية) فالتقيه الشرعية هى مجرد فرع من الفروع، بينما هى عند الإخوان، والشيعة من الأصول، والتقية الشرعية تستخدم مع الكفار، لا مع المسلمين، ويقول (سعيد بن جبير): (ليس فى الإسلام تقية إنما التقية لأهل الحرب) بينما الشيعة والإخوان يستخدمون التقية مع غيرهم من المسلمين، والتقية الشرعية إنما تكون باللسان فقط، بينما تقية الإخوان والشيعة إنما تكون باللسان والأفعال.

● إذن ما هى قصة الإخوان تاريخيًا مع التقية؟

يحدثنا التاريخ أن الجماعة عندما كانت فى بدايتها، وبينما الإنجليز كانوا يتلاعبون بالملك (فؤاد) كما يشاءون، ويأخذون منه ما يريدون، ويسلبون إرادته حتى صار مَطِيَّةً لهم، فكرهه الشعب أيما كراهية، إلا أن الإخوان كانت لهم حاجة عنده، وعند نظامه، لذلك استخدم (البنا) التقية مع (فؤاد) وهو يخاطب الجماهير قائلاً: (إن الملك فؤاد هو زخر الإسلام!) وأخذ (البنا) يُداعب مشاعر (فؤاد) وينادى بأن يكون هذا الملك التابع للإنجليز (خليفةً للمسلمين) وبعد أن انتهى عهد (فؤاد) جاء عهد ابنه (فاروق الأول)، والذى أصبح ملكًا على مصر، فأراد (البنا) الاستحواذ على (فاروق) فأرسل له فرق الإخوان لتصطف فى الطرقات لاستقباله، ولتهنئه على سلامة العودة للبلاد لاستلام الحكم، وتمر السنوات ويقع (فاروق) فى أتون الفساد، فخرجت المظاهرات ضده منددةً

بفساده ورعونته، وعلاقاته النسائية، وإدمانه للقمار، إلا أن (البنا) رسم لنفسه طريق (التقية)، فوصف (فاروق) ساعتئذٍ بقوله إنه: (ضم القرآن إلى قلبه ومزج به روحه) وعندما تحرك (مصطفى النحاس) رئيس حزب الوفد على المستوى الشعبى والبرلمانى مطالبًا بتقليص الصلاحيات الدستورية للملك (فاروق) خرجت المظاهرات الشعبية من كل الأحزاب والتوجهات السياسية تهتف (الشعب مع النحاس) فإذا بمظاهرات إخوانية تخرج لهم وكأنها جحافلَ مختبئةً فى كهوف سريةٍ، والغريب أن هتافات الإخوان لم تنضم لمظاهرات الوطن، ولم تطالب بما طالب به الشعب، ولكنها انحازت لفاروق، فأخذت تهتف وتقول: (الله مع الملك)(١).

وتحالف (البنا) مع (إسماعيل صدقى) والذى قام بالتعديل الدستورى الذى كان يخالف المصالح الوطنية بكل المعايير، وقد أطلق عليه الشعب وقتها (عدو الشعب) وحينما استقبل الإخوان فى الجامعة (إسماعيل صدقى) قاموا بالاعتداء بالضرب على باقى طلاب الحركة الوطنية ليمعنوهم من الهتاف ضد (صدقى) وكانت المفاجأة، بل والكارثة الكبرى، عندما وقف (مصطفى مؤمن) زعيم طلاب الإخوان بالجامعة خطيبًا أمام (إسماعيل صدقى) مُفْتَتِحًا خِطْبَتَهُ، مُسْتَشْهِدًا بالآية الكريمة قَائِلاً: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ (مريم: ٥٤)(٢).

والتقيه تظهر صارخة أيضًا فى تعامل (جماعة الإخوان) على أرض الواقع، وعندما اغتيل (محمود فهمى النقراشى) رئيس الوزراء فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، لأنه أصدر قراراً بحل جماعة الإخوان باتهامها فى قضية السيارة الجيب فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ حيث قام عدد من أعضاء النظام (الخاص) بالجماعة فى مصر بنقل أوراق خاصة بالنظام وبعض الأسلحة، والمتفجرات فى (سيارة جيب) من إحدى الشقق بحى (المحمدى) إلى شقة

(١) أئمة الشر للأستاذ ثروت الخرباوى، ص: (١٨٦-١٨٧).
(٢) المصدر السابق: ص (١٨٩).

أحد الإخوان بالعباسية، إلا أنه تم الاشتباه فى السيارة التى لم تكن تحمل أرقامًا، وتم القبض على أعضاء التنظيم والسيارة لينكشف بذلك النظام الخاص السرى لجماعة الإخوان، وأدى هذا الحادث إلى إعلان (محمود فهمى النقراشى) رئيس الوزراء آنذاك أمرًا عسكريًّا بحل الجماعة، واعتقال أعضائها، وتأميم ممتلكاتها، وفصل موظفى الدولة والطلبة المنتمين لها، وكان هذا القرار سببًا لجعل النظام الخاص يقوم بقتل النقراشى وقبل ذلك قام النظام الخاص باغتيال (أحمد باشا ماهر) فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ رئيس الوزراء حينما كان متوجهًا لمجلس النواب لإلقاء بيان، واغتيل فى قاعة البرلمان، لأنه أسقط (البنا) فى انتخابات الدائرة بالإسماعيلية، وقام النظام الخاص باغتيال المستشار والقاضى (أحمد الخازندار) فى ٢٢ مارس ١٩٤٨ على خلفية مواقف الخازندار فى قضايا سابقة أدان فيها بعض شباب الإخوان لاعتدائهم على جنود بريطانيين فى الاسكندرية بالأشغال الشاقة المؤبدة، وفى إحدى جلسات المرشد (حسن البنا) مع رئيس التنظيم الخاص (عبدالرحمن السندى) وبعض أعضاءه ذكر المرشد أنه قال تعليقًا على أحكام الخازندار فى قضايا الإخوان: (لو حد يخلصنا منه) يقول المرشد: أن كلماتى لا تزيد على الأمنيات، ولم تصل إلى حد الأمر، ولم أكلف أحدًا بتنفيذ ذلك، ففهم (عبدالرحمن السندى) هذه الأمنية على أنها أمر، فاتخذ إجراءاته التنفيذية وفوجئت بالتنفيذ، وعلق (عمر التلمسانى) قائلاً: (ففى كل حزب، وفى كل هيئة قد يتصرف بعض أفرادها تصرفات لا تقرها رئاسة هذا الحزب، وقد تحمل الإخوان كل الأعباء التى حدثت من بعد، ولذلك عندما طلب من الإمام الشهيد أيام (النقراشى باشا) أن يصدر بيانًا يستنكر فيه ما حدث كان الإمام على أتم الاستعداد، ونشر فى الصحف بيانًا عنوانه: (هذا بيان للناس) وبيان آخر بعنوان: (ليسوا إخوانًا، وليسوا مسلمين) فالخطأ نحن لا نتمسك به، ولا ندافع عنه) [1]

فقل لى بالله عليك عزيزى القارئ، كيف تتعامل مع أناس تضمر شرًّا فى بواطنهم،

(١) شبكة الانترنت.

وتعلن خيرًا فى تصريحاتهم، أليس ذلك هو التقية بعينها.

وَعِنْدَمَا نُكَمِلُ هذا الملف الصادم للعقول، والمطبق بِهَمِّهِ على الصدور ونحن قد ذكرنا قبل ذلك بقليل مدى تحالفهم مع ثورة ٥٢ ومع من قاموا بها فى السنتين الأوليتين، ثم تحولوا سريعًا، فانقلبوا عليها، وقد كانت لجمال عبدالناصر علاقات قبل الثورة بالقوى السياسية فى مصر، وأبرزها الشيوعيون، والإخوان، وقد أعطى للطرفين انطباعاً على أنه منهم، وملتزم بفكرهم وتنظيمهم، حتى أنه قد بايع (عبدالرحمن السندى) رئيس النظام الخاص فى الإخوان على المصحف والمسدس، وعلى السمع والطاعة، وفى نفس الوقت كان له علاقة (بصلاح شادى، وحسن عشماوى) وغيرهم من قيادات الإخوان، واستغل (عبدالناصر) هذه القيادات فى تنفيذ أهداف الثورة فى أول أيامها للسيطرة على الشارع المصرى والجماهير، وكانت هذه فرصة ذهبية، ولكن بغبائهم السياسى لم يستطيعوا كعادتهم استغلالها، فحين قامت الثورة أيدها الإخوان فى كل مكان، وقد حفظ رجال الثورة حسن علاقتهم بالإخوان، ولكن الإخوان لم يُحسنوا قراءة رجال الثورة، ولم يعرفوا كيف يتعاملون معهم، حتى بعد أمرت القوى بحل جميع الأحزاب، لم يتم حل الإخوان وتركوا لهم السيطرة على الشارع وحدهم ولكن (الإخوان) تصوروا أنهم فعلاً القادة الوحيدون لهذه الثورة، وأرسل إليهم المرشد العام (حسن الهضيبى) ليعلنهم أنه يتوجب عليهم استئذان مكتب الإرشاد قبل أن يتخذوا أى قرار، وكان هذا الأمر هو القشة التى قسمت ظهر البعير، واستفزت رجال الثورة، وبدأ الإخوان يسيئون التصرف فى الواقعة تلو الأخرى حتى أن (عبدالناصر) حين اختار اثنين من الإخوان للعمل كوزيرين فى الوزارة الجديدة أجبرهم (حسن الهضيبى) المرشد العام للجماعة على الاستقالة لأنهما قبلا الوزارة قبل أن يرجعا إليهم، واعتبرها عبدالناصر إهانة موجهة له، وبدأ الجفاء بينهما حتى أنه كان سعيدًا حين اختلف الإخوان وحدثت بينهم انشقاقات، واستمر الإخوان بتصعيد الموقف حيث قامت جماهيرهم بمظاهرة كبرى فى مارس

١٩٥٤، واصطدموا برجال الأمن [١].

وقد تعرضنا لذلك فى شرح شعار (يسقط. يسقط حكم العسكر)، ولكن الإخوان فى كل زمان ومكان طبيعتهم مغرورون ومتسلطون ودائمًا يريدون كل شيء حتى على حساب مصلحة الوطن، حيث قاموا بتدبير محاولة اغتيال (عبدالناصر) وقلب نظام الحكم فى (المنشية بالاسكندرية) وبعد محاولة الاغتيال الفاشلة قد حدثت مناقشة بين (حسن عشماوى، ويوسف طلعت) قائد النظام الخاص الجديد حين سأل (حسن عشماوى ويوسف طلعت) ألم تعد العدة لخلع (عبدالناصر) فهذه هى الفرصة السانحة؟ لكن يوسف طلعت اعتذر لأمرين، أولهما: أنه يخشى أن يقتلوا الإخوان المحبوسين. أما الأمر الثانى: هو خوفهم من التدخل الخارجى، لأنهم لا يحسنون التصرف قبل التصادم مع الحكومة، لأنهم ليس لهم رؤيةً ثاقبةً، ولكنهم يندفعون بإشارة من قوى خارجية، لأنهم إذا أشار إليهم أحد القادة الأمريكيين بإشارةٍ غامضةٍ، تراهم يندفعون ملبين قائلين: (لبيك أمريكا لبيك) محركين كل قواهم دون أن يعلموا أو يستوثقوا من النتائج، والغريب أن هناك سِرًّا يُذَاعُ لأول مرة، أنه منذ قامت الثورة والمرحوم (عبدالرحمن السندى) كان مقتنعًا وساعده على هذه القناعة (جمال عبدالناصر) حيث كان يعطيه الانطباع دائمًا أنه ما زال على البيعة له، وأنه يُعتبر (السندى) رئيسًا له، وأنه حقق للجماعة أهدافها بإقامة الحكم الإسلامى، وقد تحققت بقيام الثورة، ولذلك وبناء على هذه القناعة، فقد قام (السندى) ورجاله بتسليم (عبدالناصر) قوائم بأسماء رجال النظام الخاص ومخازن الأسلحة الرئيسية، وقد استخدم ذلك ضد النظام الخاص فى سنة ١٩٥٤، ويقول (عشماوى): لقد سمعت ذلك بأذنى فى تحقيقات ١٩٦٥ حيث كان (أحمد عادل كمال) جالسًا فى غرفة العميد (سعد عبدالكريم) قائد البوليس الحربى حيث دَبَّرَ لى أن أقف خلف (أحمد عادل) وأسمع بنفسى وهو يعترف بأنهم سلموا الإخوان سنة

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوى آخر قادة التنظيم الخاص ص: (٤٤).

١٩٥٤ بكامل أسماء قوائم (النظام الخاص) ومخازن الأسلحة إلى جماعة (عبدالناصر)، وكان يُدَلِّلُ على ولائه للثورة واستحالة تآمره عليها [١].

وبعد أن جاء (السادات) لسدة الحكم قام بإخراجهم من السجون بعد أن ظهروا له الولاء والطاعة، وما أن مَرَّ الأمر سريعًا حتى انقلبوا عليه بأيد أثيمة، فقاموا باغتياله يوم انتصاره، ولما جاء نظام (مبارك) وفى عام ٢٠٠٥ خرجت القيادات تقسم (بالله العظيم، والعيش والملح، وتُربة أبيهم) إن الإخوان لم يعقدوا صفقة وإنهم أبرياء من هذه الفرية اللعينة والكذبة المفضوحة، ثم أَنْ مَرَّ على السنين سنون وقامت الثورة المصرية حتى خرج المرشد السابق، والرجل الصريح الأستاذ (مهدى عاكف) وقال: (نعم عقدنا صفقة مع النظام السابق عام ٢٠٠٥ وجلسنا مع شخصياتٍ أمنيةٍ كبيرة واتفقنا على كل شيء، ثم التزم نظام (مبارك) بالصفقة مع المرحلة الأولى للانتخابات وقتها، ثم نُكِّلَ عن الاستمرار فى الصفقة فى المرحلتين الثانية والثالثة!) ولا ننسى صفقة الإخوان لبيعة الإخوان لمبارك عام ١٩٨٧، إذ وقف المستشار (مأمون الهضيبى) وهو المستشار السادس لجماعة الإخوان وقت أن كان رئيسًا لنهيئة البرلمانية ليعلن بيعة الإخوان (لمبارك)، وقال فى بيعته: (وجدناك شريفًا فبايعناك، ووجدناك أمينًا فبايعناك، ووجدناك وطنيًّا فبايعناك) وبعدها أعلن الدكتور (عبدالستار فتح الله سعيد) استقالته من عضوية مكتب إرشاد الجماعة احتجاجًا على هذه البيعة لأنها تخالف اعتقاد جماعة الإخوان فى (مبارك) [٢].

وعندما وعد مرشد الإخوان (محمد بديع) الشعب المصرى بأنه لن يترشح أحد من الإخوان فى انتخابات الرئاسة، بل قامت الجماعة بفصل ابنها (عبدالمنعم أبو الفتوح) لأنه خالف قرار الجماعة وقرر خوض الانتخابات، إذا بالجماعة بعدها تقرر خوض انتخابات الرئاسة بمرشح أصلى هو (خيرت الشاطر)، وآخر احتياطى هو (محمد

(١) المصدر السابق ص: (٤٥).

(٢) أئمة الشر للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (١٩٥-١٩٦).

مرسى) الذى أصبح فيما بعد رئيسًا، والأمر الذى يعتبر نكولاً عن الوعد، حيث كتب أحد شيوخ الإخوان، ويُدعى الشيخ (فوزى شداد) ينشر فى موقع إخوان (أون لاين) يوم ٢١/ ٤/ ٢٠١١ دراسة شرعية تدور حول جواز النكول عن الحلف والوعد، ثم أداء الْكَفَّارَةِ، وفى الدراسة استدلالاتٍ فقهيةٍ فاسدةٍ فى غير موضعها مثل (جواز الصلح مع غير المسلمين، أو إيهامهم بالصلح للحصول على منفعةٍ منهم بذلك) واستدل الباحث الإخوانى فى دراسته، بأن الرسول ﷺ تصالح فى غزوة الخندق مع قادة عطفان على أن يمنعوا عنه الكفار من ناحيتهم على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، ثم نكل الرسول ﷺ عن وعده لأن الصحابة لم يوافقوا على هذا الوعد!! والاستدلالات طبعًا فى غير موضعها والقياس فيها فاسد، لأن فقه الحرب مع الكفار يختلف عن فقه السلام والدولة المسلمة إلا إذا كانوا يعتبرون أن مصر ليس فيها إسلام وأنها دولة حرب مع المسلمين (الإخوان) وفى ٢٠١٠ قبل ثورة يناير صرح المرشد (محمد بديع) فى برنامج العاشرة مساء بأن (مبارك أبٍ لكل المصريين وأنه لا يمانع فى أن يرشح (جمال مبارك) نفسه للرئاسة) رغم أن المظاهرات كانت قد انتشرت فى الشارع المصرى رافضةً مسلسل التوريث، وفى الفترة الانتقالية والتى أدار فيها المجلس العسكرى، و(المشير طنطاوى) شئون البلاد خرج الإخوان فى جمعة ٢٩ يوليو ٢٠١١ – يهتفون له (يا مشير . يا مشير ألف تحية من التحرير) وأيضًا (يا مشير . يا مشير .. م النهارده انت الأمير) وعندما وصل مرسى للحكم وحانت له لحظة التمكن قام بالإطاحة بالمشير (طنطاوى) رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ووزير الدفاع، فلم ينل المشير مع الإخوان إلا الطرد والإقصاء[1].

وموقف آخر لتفعيل فقه التقية (السياسى، لا الشرعى) للإخوان، وهذا الفقه الذى يستخدم فى التخفى والسرية والكذب والنفاق، فإذا نظرنا إلى مشروع (النهضة) والتى أعلنته الإخوان فى مشروع انتخابات مرسى، وهذا المشروع افتضح أمره بعد انتخابات

(١) المصدر السابق ص: (١٩٩-٢٠٠).

الرئاسة وإعلان النتيجة المزورة بنجاح (مرسى) أن هذا المشروع هو (الفنكوش) والذى أعلن عنه (عادل إمام) فى أحد أفلامه بعد أن أعلن عنه جماعة الإخوان بأنه المشروع الذى سيأتى بالنهضة لمصر وتقدمها فى جميع المجالات، واتضح أن هذا المشروع لا يمثل شيئًا عند الإخوان وأنهم لا يستوعبون فهمه على المستوى النظرى، لا التطبيق العملى، لأنه كما قلت سابقًا هو (الفنكوش)، وأما النقطة الأخرى أن (مرسى) حنث بالقسم الذى أخذه على نفسه ثلاث مرات، فى ميدان التحرير، وجامعة القاهرة، ومقر المحكمة الدستورية، وهو أن (يكون مخلصًا لجمهورية مصر العربية) وقد لحس هذا القسم واتفق مع الأمريكان وإسرائيل، وقطر وتركيا بتنفيذ خطة الشرق الأوسط الكبير وهو إعطاء ٣٠٪ من صحراء سيناء إلى غزة وفلسطين وإخلاء أرض فلسطين للإسرائيليين، وذلك لتمويت القضية الفلسطينية وإنهائها إلى الأبد، وإعطاء جزء من حلايب وشلاتين للسودان، ثم يُكمل مرسى القسم فيقول (وأن أرعى مصالح الوطن والمواطنين) وهو يحق قد دمر مصالح الوطن بالتفجيرات وتدمير بعض المنشآت العسكرية والشرطية، والمواطنين، بأنه قام باغتيالات بعض جنود الجيش والشرطة، وسحل واغتيال المواطنين من الشباب والأطفال والشيوخ، وبهذا يتضح من أفعال الإخوان أن المخبر سوء، بل هو السم الزعاف، والمظهر هُمْ دُعَاةٌ تنحنى الرؤوس أمامهم فكلامهم وشعاراتهم أحلى من رحيق الزهور، وأنقى من ماء المطر، كما يَدَّعُونَ، وأطعم من العسل، وأما ما خلف الصدور من تدميرٍ للمنشآت الحكومية واغتيالاتٍ، وتفجيراتٍ لكل من عاداهم، أو خالفهم، لم يكن له تبريرٌ إلا التقية، والنفاق بعينهما ويصدق فيهم قول الحق تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (النساء: ١٤٥) ويستثنى من ذلك من تابوا من ما فعلوه واقترفوه، ثم أصلحوا بعد ذلك أعمالهم، واعتصموا بحبل الله أى: قرآنه وسنة نبيه ﷺ، فأخلصوا عبادتهم ونيتهم لله الواحد الأحد، فى تلك الحالة سيصبحون فى عداد المؤمنين المتقين وسوف يؤتيهم الله أجرًا عظيمًا، وكما أن الإسلام

يَجُبُّ ما قبله، فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، كما جاء في الآية التي تلي الآية السابقة حيث قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾ (النساء: ١٤٦).

الْجَانِبُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، وَهُوَ فِكْرُ التَّكْفِيرِ عِنْدَ الْإِخْوَانِ:

فِكْرُ التكفير عند الإخوان مَنْشَؤُهُ (سيد قطب)، وتقول القاعدة العامة: (سُلُوكُ الْإِنْسَانِ وَلِيدٌ لِفِكْرِهِ)، فقد تأثر (سيد قطب) بفكر (ابن حزم - ابن تيمية - عباس محمود العقاد - حسن البنا - سيد أبو الأعلى المودودى)، ومن تأثروا به (عبدالله عزام - أسامة بن لادن - محمد قطب - عاصم المقدسى - محمد فرج - صالح سرية - عبدالحميد كشك - الشاذلى - أيمن الظواهرى - شكرى مصطفى - محمد بديع - خيرت الشاطر - محمد مرسى - أعضاء التنظيم السرى، ومكتب الإرشاد للإخوان).

ولَعَلَّ مأساة (سيد قطب) بقدر ما هو المأزق الثقافى الذى كابدته مصر عندما اختلطت الأفكار بالأفعال، ولم يعد الأمر مجرد آراء، وإنما ممارسات تتلبس بالعنف، وتختلط بالإرهاب، فيما وقع (سيد قطب) فى كتاب (معالم فى الطريق) فى خطأ استعارة رؤية (المودودى) مؤسس الجماعة الإسلامية بالهند عن (المفاصلة) وهى رؤية لها سياقها التاريخى، والنفسى المغاير فى شبه القارة الهندية حيث يشكل المسلمون أقلية، ومثل هذا الفكر القائم على المفاصلة والتقسيم لفسطاطين شحيح فى مسألة (النقد الذاتى) لأنه يُعانى دَوْمًا من إرهابِ الآخرَ وتحميله كل الأوزار، ولا ريب أنه يفضى عمليًا داخل الدولة المتعددة لانشطارٍ مجتمعىٍّ يُهَدِّدُ فى الصميم الأمن القومى للدولة بأى معيارٍ وبكل المقاييسِ، ولا جدال أن مصر عانت من هذا الفكر الْمُتَّشِحِ بالدينِ، والذى تحول إلى مأزقٍ ثقافىٍّ كما تُعانى من اتجاهاتٍ عمياءٍ، تسعى لهدم الدولة متشحة بأفكارٍ ثوريةٍ مزيفةٍ، أو فى أفضل الأحوال مراهقة تبغى

تحويل الوطن لمختبرٍ لأفكارٍ وفلسفاتٍ فوضويةٍ ثبت فشلها فى مواطنها بالغرب منذ عهد بعيدٍ، وغنىٌّ عن القولِ أَنَّ الكثير من هذه الأفكار التى تُنكر الدين على إطلاقه، لا محلَّ لها فى مصر المؤمنة برسالات السماء ونداء التوحيد، وتبدو أفكار (سيد قطب) بعيدةً عن مكونٍ أصيلٍ فى الفكر الحضاريِّ الإسلاميِّ مُمَثَّلاً فى أفكار (ابن رشد) التى شكلت بعقلانيتها أساسًا هامًا من أسس النهضة الغربية المعاصرة بفضل مَا عُرِفَ بتيار (الرشدية اللاتينية) الذى شاع فى جامعات فرنسا وإيطاليا منذ القرن الثانى عشر ومن مُفارقات التاريخ أن (ابن رشد الحى فى الغرب والميت فى الشرق) تعرض فى زمنه بالقرن الحادى عشر باتهاماتٍ بالتكفير من بعض الفقهاء، لأنه تأثر بالفلسفة اليونانية القديمة فى التأكيد على رفضِ الفكرِ المتشددِ، والمتشحِ بأرديةٍ دينيةٍ لأى نسقٍ فكرىٍّ مفتوحٍ، وتشبثه بالنسق المغلق، ونبذ الآخر والمغاير، والنسق هو (الربط بين جملة أفكار رَبطًا عُضْويًّا بحيث لا يتيسر معه فصلُ فكرةٍ عن الأفكارِ الباقيةِ إلا بالقضاءِ على النسقِ كلهِ) ويوضح (هنرى برجسون) الفيلسوف الفرنسى فكرته فيقول: (إن الفكرَ يتصلبُ فيعندُ، ومن يعندُ ينتهى إلى أن يَلْوِىَ الأشياء وفقًا لفكرهِ بدلاً من أن ينظم فكره وفقًا للأشياء) والفارق بين الأنساق المغلقة، والأنساق المفتوحة يكمن فى النظرة للزمان، فالأنسقة المغلقة لا تفرق بين الحاضر والماضى والمستقبل، فهى كلها حاضرةٌ ومتكررةٌ، وأما النسق المفتوحة، فتخلو من التكرار كما تخلو من العودة لنقطة البداية، ومن ثم تُنكر مقولة أن (كل ما حدث فى الماضى سيتكرر حدوثه فى المستقبل) كما يوضح المفكر المصرى الدكتور (مراد وهبه) ، ولعلّ (قضية النسق المغلق والمفتوح) تتجلى بوضوح فى عالم السياسة ووقائع دالة فى عديد من المجتمعات ومن بينها المجتمع المصرى حيث يبدو أحيانًا وكأن بعض المجتمعات تعيش بالفعل فى حلقةٍ مُفْرَغَةٍ، أو كأنها أصيبت بِلَعْنَةٍ تمنعها من التغييرِ الفعلىِّ والجوهرىِّ رغم تغير الأنظمة، فالنسق المفتوح (يعنى قابلية

الديمقراطية الحقة، والتعدد، والتنوع الذى يثرى المجتمعات، ويفتح لها أبواب التقدم فى الحاضر والمستقبل)

أما النسق المغلق (يكمن فى الأفكار الجاهزة، وجمود التطور، ووأد الخيال، واستمرار الممارسات القديمة ولو بأوجه جديدة، وفتح أبواب التخلف فى الحاضر والمستقبل، وغلق الفكر المتطور والمستنير)، فليست الهزيمة قدر مجتمعات بعينها، ولا الموت يقصد بشرًا بعينهم، ولا العالم يقصد شعوبًا بعينها، إنما هى لعنة (النسق المغلق).

- فهل حان الوقت لتبنى فلسفة (النسق المفتوح، وكسرِ الحلقةِ المُفْرَغَةِ)؟!

- هل حان الوقت لمراجعةٍ جوهريةٍ لأفكارِ (سيد قطب) المنتمية للنسقِ المغلقِ بمنظورٍ ثقافيٍّ؟!

تقول الدكتورة (هدى عبدالناصر) كريمة الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر) إن قضية (سيد قطب) بدأت فعليًّا بقراءة والدها لكتاب (معالم على الطريق) الذى طرح فيه (سيد قطب) أفكاره التكفيرية للمجتمع والجاهلية المعاصرة، وأن (جمال عبدالناصر) هو الذى بادر بالاستفسار من أجهزة الأمن حول أنشطة جماعة الإخوان، حينئذٍ وبعد أن استشعر خطورة ما ورد فى هذا الكتاب من أفكارٍ أَحَسَّ أن لها ما بعدها من أفعالٍ حَرَكِيَّةٍ، واكتشفت أجهزة الأمن بناءً على هذا الاستفسار من (جمال عبدالناصر) أن هناك بالفعل أنشطةٍ خطيرةٍ (لجماعة الإخوان)، وأن الأمر يتضمن اغتيال (عبدالناصر)، وَهَدْمِ الدولةِ ليبدأ على حَدِّ قَوْلِهَا صِرَاعًا وسباقًا مثيرًا بين (الدولة المصرية) و(جماعة الإخوان) قبل أن تُنَفِّذَ مخططها وتنال من (عبدالناصر) صِرَاعٌ كان لصاحب قصيدة (الْكَأْسُ الْمَسْمُومَةُ) ودورهُ الخطيرُ فيهِ حَيًّا، وَمَيِّتًا[1].

---

(١) شبكة الانترنت، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

● وإليك عزيزى القارئ القصيدة وهى بعنوان:

(الْكَأسُ الْمَسْمُومَةُ)

أَقْلاَكِ. أَقْلاَكِ كَالشَّيْطَانِ أَقْلاَكِ ... أَقْلاَكِ كَالسُّمِّ يَسْرِى جِدَّ فَتَّاكِ
أَقْلاَكِ: إِنَّكِ فِى نَفْسِى وَفِى زَمَنِى ... وَفِى حَيَاتِى أَفْعَى ذَاتُ أَشْوَاكِ
سَمَّمْتُ عَيْشِى وَأَحْلاَمِى وَأَخْيِلَتِى ... وَأَنْتِ شَيْطَانَةٌ فِى سَمْتِ أَمْلاَكِ
وَعِشْتُ أَرْعَاكِ فِى قَلْبِى وَأَنْتِ بِلاَ ... قَلْبٍ يُحِسُّ وَيَرْعَى كَيْفَ أَرْعَاكِ
مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنِّى حَائِرٌ قَلِقٌ ... أَأَنْتِ أُسْطُورَةٌ فِى سِفْرِ أَفَّاكِ؟

أحياناً تعبرُ الكلماتُ عن مكنونِ الإنسانِ وبواطنهُ، فإذا كانت متفائلةً تكونُ كلماتهُ تدلُّ على التَّفَاؤُلِ والأملِ والفرحةِ والابتهاجِ، وما إلى ذلك، وإذا كانت حزينةٌ، تَدُلُّ على الحزنِ والألمِ، وإذا كانت صادمةٌ تدميريةٌ، تدل على ذلك، والمقطع الأول من القصيدة يدل على معاناة الكاتِبِ وَكُرْهِهِ للواقعِ المؤلِمِ الحزينِ، ومدى تألمه لهذا الواقع وكرهه له، وقد شبه هذا الكره بالشيطان الذى يبث السم فيسرى فيه، فيسير فيه فَتَّاكًا، فَكُرْهَهُ الكامنُ فى نفسهِ، وفى زمنهِ كالأفعى التى تَنْفُثُ سُمَّهَا فينطبعُ ذلك على حياته، فلا تَصِيرُ فى نفسه إلا أشواكًا، حتى أنها بما تحمل من معاناةٍ، قد سَمَّمَتْ عَيْشُهُ، وبدنهُ، وخيالاتُه، إلا أنها كالشيطانِ فى هيئةِ ملاكٍ، فعاشَ يرعاها فى قلبٍ بلا قلبٍ حتى جَرَّدَتْهُ من كل شىءٍ يحسهُ ويرعاهُ، فيتعجبُ، ويتحسرُ من هذه الرعايةِ حتى تُسَائِلَهُ نَفْسُهُ مَنْ هُوَ؟ وَمَنْ أَنْتَ؟ فَيُجِيبُهَا، فَمَا أَنْتِ فِى قلبى إلا إنسانٌ حائرٌ قلقٌ مضطربٌ، لا يستطيعُ أن يحددَ هَوِّيتَهُ، حتى شَبَّهَهَا بالأسطورةِ فى سفرٍ، أى (الكتابِ) الساكنِ المقتضَى بهِ.

● ثُمَّ يُطَالِعُنَا الكَاتِبُ فى المقطع الثانى من القصيدةِ، فيقولُ:

أَنْسَى اللَّيَالِى الَّتِى قَضَّيْتُهَا قَلِقًا ... وَأَنْتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيَّاكِ

أَنْسَى الدُّمُوعَ الَّتِى أَرْسَلْتُهَا غَدَقًا وَلَسْتُ لَوْلاَ هَوَاكِ الْـمُرُّ بِالْبَاكِى
وَكِبْرِيَائِى الَّتِى مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا مِنْ قَبْلُ، أَوْ بَعْدُ فِى دُنْيَاىَ لَوْلاَكِ
أَنْسَى وَأَذْكُرُ أَحْلاَمِى وَأَخْيلَتِى كَـأَنَّهُـنَّ نُـجُـومٌ بَـيْنَ أَحْـلاَكِ
وَكُلُّهُنَّ نَسِيجُ الْوَهْمِ فِى خَلَدِى وَلَسْنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْـوَاكِ

أما المقطع الثانى من القَصيدة، فهو تَذْكِرَةٌ لِعَالَمِ الكاتِب رَغْمَ مَا يُعَانِيهِ، فَيُعَبِّرُ عَنْ لَيَالِيهِ، وَأَيَّامِهِ التى قضاهَا قلقًا حائرًا مضطربًا، وبالرغم من ذلك، فهى ساكنةً، راضيةً عن وجودها، فينسى الدموعَ التى سالت غزيرةً، بالرغم من هواها الْـمُرِّ الذى أبكاهُ طويلاً، ولولا كبرياؤُهُ، وَعِزَّتَهُ وكرامتهُ، ما كان يتنازلُ عنها أبدًا، من قبلِ، أو بعدِ فى هذه الدنيا، ولولا الهدفُ الذى عاهدتهُ نفسهُ عليها، وذكرياتُ أحلامِه التى عاشَ من أجلها، وكأنها نجومٌ بين زِينَتِهَا، وبين حِلْيَتِهَا كالنجومِ المتزينةِ، وَكُلُّهُنَّ نسيجٌ واحدٌ، ألا وهو نسيجُ الوهمِ الذى يدورُ فى خَلِدَهِ، أى: بَالَهُ، وليست حِيَلٌ، أو مصائبٌ، بل كلهنَّ صِعَابٌ.

• ثم يُسَطِّرُ الكاتبُ فى المقطعِ الأخيرِ من القصيدةِ، فيقولُ:

أَقْلاَكِ. لَيْتَ! فَإِنِّى لَسْتُ أَقْلاَكِ أَهْوَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّى لَسْتُ أَهْوَاكِ
أَهْـوَى وَأَقْـلَى وَأَيَّـامِـى مُوَزَّعَةٌ بَيْنَ الْهَوَى وَالْقِلَى كَالضَّاحِكِ الْبَاكِى
هَذَا الرَّحِيقُ وَهَذَا السُّمُّ قَدْ مُزِجَا وَلَسْتُ أُرْوَى بِكَأْسٍ غَيْرَ رَيَّاكِ
هَاتِى لِىَ السُّمَّ صِرْفًا، لاَ يُمَازِجُهُ هَذَا الرَّحِيقُ فَإِنِّى لَسْتُ بِالشَّاكِى
مَلَلْتُ كَأْسَكِ لاَ أَلْتَذُّ نَشْوَتَهَا وَلاَ أُحَطِّمُهَا تَحْطِيمَ سَفَّاكِ

أما المقطع الثالث، والأخير من القصيدة، فهو رغبةُ الكاتبِ، وسعيِهِ فى تحقيقِ الهدفِ رغم ما عاناهُ حتى ولو كان الهدف تَدْمِيرِيًّا، فيقولُ: مُتمنيًّا، متعجبًا، سائلاً: هل حقًا أنتِ

أقلاقِى التى أحبها؟ ليتك كنت أنت، ولكننى لست أحبك حُبَّ كُرْهِى وَأَيَّامِى، وهى موزعةً بين الهوى مثل الضاحكِ الباكِى، وهذا الرحيقُ، وهذا السمُّ الذى قد مُزِجَ، ولم يَرْوِ كأسًا غيرَ غَيَّاكِ أى: ما أتعطش منه فيروى ظمئى، فأتِ لِىَ السمَّ خالصًا نَقِيًّا من أيةِ شائبةٍ لاَ يُخَالِطُ بالرحيقِ الفانِى، ومع ذلك، فلستُ بالشاكى، فقد سَئِمْتُ هذا الكأس الذى تجرعتُه، فلم أستلذَّ بفرحتى، وإلا أُفتِّهَا، وأستبيحُهَا كالدمِ المستباحِ، أو القاتِل الذى يُرِيقُ الدماءَ ولا يبالى هل هى لطفلٍ رضيعٍ، أو شيخ وقورٍ؟ لأن الإرهاب الأسود يقوم على مبدأ الجبانَ (اضْرَبْ وَاهْرَبْ)، لأنه ليس له عقلٌ، ولا وطنٌ، ولا دينٌ، ولا يفرقُ بين التَّقِىِّ الْوَرِعِ، وَلاَ الْفَاجِرِ الْعِرْبِيدِ، وهذا الصراع الذى توالت صفحاته الدامية حتى دخلت اللحظة الفاصلة، والتى أذهلت جميع الشعوب العربية، وغير العربية فى انتفاضة الشعب المصرى الذى رفض هذ النسق المغلق والذى خرج بأكثر من ثلاثين مليونًا وهى ظاهرةً لم تكن مسبوقةً فى أىِّ زمنٍ من الأزمانِ، أو فى أىِّ عصرٍ من العصورِ، وكان يوم الأحد الثلاثين من يونيو ٢٠١٣ عندما خرج الشعبُ المصرىُّ ليحسم الصراع لصالح دولة الحريات، وكأنه يقول: (أنا أختار النسق المفتوح، وأرفض النسق المغلق) وكأنه اختار بملء إرادته إسقاطُ أفكارِ التكفيرِ الجماعىِّ الذى يفككُ الوطنَ، ويفكك الهويةَ المصريةَ، وقد أَبَتْ الهويةُ المصريةُ ذلك، فقد حاولت (جماعة الإخوان) تفريقَ المصريينَ، ولكنَّ الجيناتِ المصريةِ، عَصِيَّةً على الْفُرْقَةِ، لأن جينات المحبة بين هذه الأمة تُلْغِى من قانونها الْفُرْقَةِ، ليس بين المسمين فقط، ولكن بين جميع الطوائفِ والملل[1].

أَمَّا مَا يتحدثونَ عنِ (النسقِ المغلقِ) وكأن هذا النسق قد أصبح الملهم لهم، وأصبح مدرستهم الذين يتعلمون منه علمهم، ويستمدون منه أفكارهمْ، ليستخدموهُ فى واقع حياتِهِم الذى اختاره وليطالعنا عِن ذلك الأستاذ (ثروت الخرباوى) فيقول: لقد صرح

(١) هذه القصيدة نُشِرتْ، للكاتب (سيد قطب) فى أكتوبر ١٩٤٣م تحت عنوان (الكأس المسمومة) من ديوان سيد قطب، جمعهُ الأستاذ/ عبدالباقى محمد حسين ص: (٢١٧).

(القرضاوى) فى إحدى الندوات على أن: (سيد قطب خرج بفكره عن العقيدة التى عليها أهل السنة والجماعة) وفى اليوم التالى قد صرح (محمود عزت) بخصوص ما قاله القرضاوى قائلاً: (إن المشكلة ليست فى فكر (سيد قطب)، ولكن المشكلة فى أن الذى قرأ (لسيد قطب)، أى: (القرضاوى) لم يفهم ما قرأه (سيد قطب) وهو أبرز علماء السنة) وبعد أيام استضاف الباحث الإعلامى (ضياء رشوان) الدكتور يوسف القرضاوى فى (قناة الفراعين) ليسأله عن تفصيلات ما قيل فى ذلك الشأن فى ندوة نقابة الصحفيين، وردود فعل (جماعة الإخوان) عنها، فقال: ((سيد قطب) انتمى إلى جماعة الإخوان فى بداية الخمسينيات من القرن العشرين، وقد كان انضمامه للإخوان بناءً على رغبته واقتناعه بالجماعة، ولم تكن أفكاره فى أول الأمر تميل إلى التكفير، ولكنه أثناء تجربة السجن، أخذ يتحدث عن الحاكمية والجاهلية فى كتبه خاصة الطبعة الثانية من كتابه فى ظلال القرآن) واستطرد (القرضاوى) فى حواره التلفزيونى قائلاً: (ولك أن تعتبر يا أخى الكريم أن ما كتبه (قطب) من أفكار خلال المرحلة الأخيرة من حياته يؤكد خروجه عن أهل السنة والجماعة بوجه ما، فأهل السنة والجماعة يقتصدون فى عملية التكفير حتى مع الخوارج، ووفقًا لما استقرَّ عليه الفقه فى هذا المجال، فإننى أستطيع القول بأن الأستاذ (قطب) خرج عن الصراطِ السويِّ لأهل السنة والجماعة) ثم بادره بالسؤال أيضًا الإعلامى المحاور قائلاً: هل سيد قطب بهذه الأفكار ينتمى لجماعة الإخوان؟

رَدَّ (القرضاوى) قائلاً: (سيد قطب كان من المعجبين بالإمام (حسن البنا) مؤسس جماعة الإخوان، وكتب عنه مقالته الشهيرة (حسن البنا وعبقرية البناء) وقد أشاد فى هذه المقالة بقدرات البنا التنظيمية فى تأسيس، وتشكيل هياكلها التنظيمية، لكن قطب لم ينقل عن فكر البنا مثلما نقل عن الشيخ (أبو الأعلى المودودى)، فقد تأثر (قطب) (بالمودودى) كثيرًا وأخذ منه فكرة الحاكمية والجاهلية، ولكن (قطب) خرج فى النهاية بنتائج عن تكفير المجتمع وجاهليته تختلف تمامًا عن ما قاله المودودى).

ثم يستطرد (رشوان) قائلاً: وما هى الحاكمية، والجاهلية التى أصبحت علامة فى فكر (سيد قطب)؟ أجاب القرضاوى قائلاً: (لا غبار على الحاكمية فهى فكرة إسلامية أصيلة، وتعنى أن تكون المرجعية للشريعة الإسلامية، وقد تحدث عنها الإمام (أبو حامد الغزالى) وغيره من علماء المسلمين، أما (الجاهلية) فدلالتها تختلف عند (قطب) عمّا جاءت عليه فى القرآن الكريم اختلافًا كليًّا وجزئيًّا، حيث يعتبر (قطب) فى كتابه (معالم فى الطريق) أن المجتمع بالأساس غير مسلم، ومهمة المصلحين هى رَدُّ الناس أولاً إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا شك يا أخى الكريم أن (قطب) قد أخطأ فى قضية تكفير مجموع المسلمين وليس فقط الحكام والأنظمة، ولا شك أيضًا أن (قطب) يتحمل بعض المسئولية عن تيار التكفير، فقد أخذ أفكار (المودودى) وَرَتَّبَ عليها بأفكارٍ لم تخطر على بال المودودى نفسه، وهذا أيضًا ما فعله (شكرى مصطفى) حيث أخذ شكرى أفكار قطب، وخرج منها بنتائج لم تخطر على بال قطب، حيث اعتبر شكرى أن جماعته التى سماها (جماعة المسلمين) هى فقط التى على الإسلام، ومن دونهم فهم كفار) ثم تسائل رشوان قائلا: وهل تستطيع القول بأن هناك صلة بين (أفكار سيد قطب)، و(أفكار حسن البنا)؟

أجاب (القرضاوى) قائلاً: (انظر يا أخى، منهج (سيد قطب) ليس هو منهج الإخوان الذى وضع (حسن البنا) أسسه، (فسيد قطب) لم يعش فى الإخوان، ولم يَتَرَبَّ على حصيرتها، فقد كانت فترة وجوده فى الجماعة قليلة، وأنا أرى أن أفكاره لا توافق فكر الإخوان، وأُحذر كل الإخوان الذين يقرءون لسيد قطب من أن يقعوا أسرى لأفكاره) وكأن النار قد اشتعلت فى مقر الإخوان بالمنيل، وجاءت مكالمة تليفونية من أحد كبار الإخوان تطالب الأستاذ (ضياء) بفتح مجال فى برنامجه (منابر ومدافع) لكل من هاجم فكر الشهيد سيد قطب، فرد قائلاً: على الرحب والسعة أهلاً وسهلاً هذا شىء نسعى إليه ويسعدنا، وكان أن استضافت (قناة الفراعين) (محمود عزت)، و(محمد مرسى)

كممثلين لجماعة الإخوان ليردا على (القرضاوى) وفى هذه الحلقة قال (محمود عزت) رَدًّا على (رشوان): (أفكار (سيد قطب) هى أفكار الإخوان، والدليل على ذلك أن عددًا من أعضاء مكتب إرشاد جماعة الإخوان عندما كانوا فى السجن مع سيد قطب انتدبوا من بينهم الأستاذ (عمر التلمسانى) ليناقش الأستاذ (سيد قطب) فى أفكاره فقال له: أنا لا أكفر المسلمين، فخرج عمر التلمسانى لأعضاء مكتب الإرشاد وهم (عبدالعزيز عطية، وأحمد شريت، وحامد أبو النصر)، وقال لهم اتضح أن سيد قطب لا يكفر أحدًا، أما كتاب (دعاة لا قضاه) الذى كتبه المرشد (حسن الهضيبى) فهو ليس كتاباً للرد على أفكار سيد قطب، ولكنه كان لوضع معايير وأسس لكيفية فهم أفكار سيد قطب؛ أى إن الأخ من الإخوان قبل أن يقرأ لسيد قطب يجب أن يقرأ كتاب المعايير (دعاةٌ لا قضاةٌ) أولا حتى يفهم قصد سيد قطب) ثم نظر (رشوان) إلى (محمد مرسى) وبادره بالسؤال قائلاً: (هل أفكار الإخوان موجودة فى كتب سيد قطب) فأجاب (محمد مرسى) قائلاً: (الحقيقة أننى أتفق مع كلام الدكتور (محمود عزت) وهو الذى قرأ للأستاذ (سيد قطب) فى حياته، ولكننى قرأت للأستاذ سيد قطب بعد وفاته، وعندما قرأت له عشت فى كتاباته فصارت جزءًا منى، والحقيقة أننى عندما قرأت له عشت فى كتاباته فصارت جزءًا منى، والحقيقة أننى عندما قرأت له وجدت فيه الإسلام، بما فيه من السعة والرؤية الشاملة للإسلام، وصحيح أن الأستاذ سيد قطب يقول نصوصًا تكفيرية ولكنها نصوص تُحرك الوجدان، وتتحدى العقل، ويجب لمن يقرأ لسيد قطب أن يتعلم اللغة العربية أولاً، قلبى على (القرضاوى) الذى لا يعرف العربية، ولا يتقن غير التركستانية، فإذا عرف العربية سيعرف أن ما يقول قطب هو الإسلام، وأنا شخصيًا عندما قرأت لقطب تحريت الدقة وسألت الكبار حتى أفهم ما كتبه) وقبل أن تنتهى الحلقة تلقى (ضياء رشوان) مداخلة تليفونية على الهواء من الدكتور (محمد بديع) يؤيد فيها دفاع الصاحبين (مرسى، وعزت) عن أستاذهما وصاحب فكرهما سيد قطب، فتعجب الدكتور القرضاوى من ردود قادة

الإخوان على رأيه!! وحين التقى مع الدكتور (محمد سليم العوا) ودار النقاش بين أيديهما، سأله القرضاوى قائلاً: (من هؤلاء يا دكتور، أى: يقصد من أىِّ مدرسةٍ فكريَّةٍ هؤلاء، هل هم إخوان حقًا، ولماذا يدافعون عن قطب؟)

فقال الدكتور (سليم العوا): (هؤلاء يا مولانا هم تنظيم العشرات) فردَّ الشيخ (القرضاوى) وقد فغر فاههُ مشدوهًا: أهم هم؟! أهؤلاء من حَذَّرَنا منهم التلمسانى؟!! الآن أصبحوا قادة للإخوان ! إنا لله وإنا إليه راجعون، جزع الشيخ ممن نهلوا من (كتاب الظلال)، (ومعالم على الطريق) هؤلاء هم من جلسوا على حصيرة أخرى غير حصيرة الإخوان، واعتبروا الموسيقى زندقةٌ، والآداب العالمية محرفةٌ، والفنون شيطنةٌ، فتربت هذه الأجيال فكريًا على أن الديمقراطيةُ حرامٌ، والليبرالية كفرٌ [1].

رَابِعًا : مِنْ أَيْنَ جَاءُوا بِهَذَا الْفِكْرِ؟

لقد أجمع الباحثون على أن كتاب (معالم فى الطريق) هو إنجيل التطرف، وعلى أساس أفكار هذا الكتاب صاغ فقهاء، وأمراء الجماعات الإسلامية المتطرفة شعاراتهم وبرامجهم، وإذ يحاول (الإخوان) إعلان براءتهم من هذا الكتاب وإبعاد المسئولية عنه فى (سيد قطب) وتبرير تطرف أفكار الكاتب بظروف لسجن التى عاشها المؤلف، إلا أن الحقائق تدل على عكس ذلك وتفضح صلة جماعة الإخوان ومرشدهم العام بهذا الكتاب وأفكاره المدمرة، وكان المرشد العام (حسن الهضيبى) قد وافق على كتاب (سيد قطب) الذى أرسله إليه من السجن وراجعه ملزمة ملزمة، وأمر بطباعته وفقًا للروايات التى جاءت فى عدة كتب صدرت بعد رحيل (عبدالناصر) بعشرين عامًا، وكان دفاعًا عن سيد قطب فى حينه كتاب (دعاة لا قضاة) للمرشد الثانى (حسن الهضيبى) بحجة أن هذا الكتاب لم يُكتب للردِّ على أفكار سيد قطب، ولكنه كان لوضع المعايير والأفكار والأسس لكيفية فهم فكر (سيد قطب)، إلا أن قامت (زينب الغزالى) بفضح (جماعة الإخوان)، وما

(١) مختصر من كتاب سر المعبد، للأستاذ/ ثروت الخرباوى.

برّروه من تلك الأفكار وذلك التطرف فى كتابها (أيام من حياتى) فقالت: (إن التنظيم أُعيد بناؤه بصورةٍ سِرِّيَةٍ بعد قرارِ حَلِّهِ، وكانت بداية إعادة البناء سنة ١٩٧٥م. بعلم المرشد العام (الهضيبى) ومباركته على أن يتولاه (سيد قطب) وفيها أشارت اعترافات المتهمين بمؤامرة ١٩٦٥م. أمام المحكمة إلى أن (التنظيم السرى) بدأ بجمع الأسلحة، واستغل طاقات الشباب بصنع المتفجرات، وإعداد خطط الاغتيالات لعددٍ كبيرٍ من المسؤولين وفى مقدمتهم (عبدالناصر) وسبب اهتمام (جماعة الإخوان) (بسيد قطب)، وكتاباته مشروعه الإسلامى والذى اعتقد فيه بأنه (لابد وأن توجد طليعة إسلامية تقود البشرية إلى الخلاص) وهذه كانت بداية العلاقة بين (سيد قطب)، و(جماعة الإخوان) وكانت العلامة الفارقة فى ذلك حيث أشار (سيد قطب) فى كتاب (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) الطبعة الأولى فى الإهداء كتب قائلاً: (الفتية الذين ألمحهم فى خيالى قادمين يَرُدُّونَ هذا الدين جديدًا كما بدأ يُقاتلون فى سبيل الله فَيقتلون ويُقتلون). وفهم الإخوان أن هذا الإهداء يعنيهم هم، فأصبحوا يهتمون بأمره ويعتبرونه صديقًا لهم إلى أن انضم فيما بعد إلى الحركة وأصبح مسؤولاً للقسم الدعوى فيها [1].

ومما يتضح فى ذلك الشأن وما ذُكر سابقًا من أن (سيد قطب) اعْتُبِرَ من أوائل مُنَظِّرى فكر (السلفية الجهادية)، و(جماعة الإخوان) وذلك منذ ستينيات القرن العشرين، استنادًا إلى بعض توجهات جماعة الإخوان، ونشأة (التنظيم الخاص) وذلك باحتكامهم لكتاب (ظلال القرآن الكريم)، وكتاب (معالم فى الطريق) وقصائد شعرية، ومنها قصيدة (الكأس المسمومة) جميعها (لسيد قطب) حيث يدور فحوى تفكيره فى تلك الخواطر حول (اعتزال معابد الجاهلية، ويقصد بها المساجد، والانعزال عن المجتمع الجاهلى، أى: الانعزال عن كل طوائف المجتمع المصرى والذى يصفها بالجاهلية الجهلاء، إلا طائفته التى ينتسب إليها، أو جماعته التى وصفها بجماعة المسلمين، ومن سواهم فهو على الكفر).

(١) شبكة الانترنت – موقع القرضاوى عن مؤسسة هيئة التحرير ١٩٥٣.

وكتاب (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) للأستاذ (سعيد حوى) والذى يصف فيه (جماعة الإخوان) بأنهم جماعة المسلمين، وهذه الجماعة لا توجد إلى فى (جماعة الإخوان) كما وصفها البنا.

وكتاب (جاهلية القرن العشرين) للأستاذ (محمد قطب) ويدور فحوى هذا الكتاب حول تكفير المجتمعات المسلمة، وكتاب (ذكريات مع جماعة المسلمين - التكفير والهجرة) للأستاذ عبدالرحمن أبو الخير ويدور فحوى ذلك هو تكفير الحكام، لأنهم لا يحكمون بشرع الله، وتكفير المحكومين لرضاهم بحكمهم وعدم الخروج عليهم، وتكفير العلماء، لعدم تكفير أولئك الحكام، وأما العنصر الثانى، وهو الهجرة، ويقصد بها اعتزال المجتمع الجاهلى، وتتمثل فى اعتزال معابد الجاهلية، أى: مساجد المسلمين، وبالطبع اعتزال كل من يصلى فى تلك المساجد وعدم التعامل معهم.

و(تفسير ابن كثير)، وكتاب (العقيدة الطحاوية)، (ومعارج القبول) (للحافظ بن الحكمى) (ونيل الأوطار) (للشوكانى)، و(رياض الصالحين) (للنووى)، وكتاب (الفريضة الغائبة) (لمحمد عبدالسلام فرج)، و(مجموعة التوحيد) (لابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب) وتبنى أفكار (سيد أبو الأعلى المودودى) قال الأستاذ (على عشماوى) فى مذكراته: لقد درس الإخوان فكر جميع التنظيمات العالمية حين حاولوا بناء (التنظيم الخاص)، فقد تأثروا بالفكر الباطنى فى التاريخ الإسلامى، حيث التنظيمات العباسية، والعلوية، والشيعة وما صاحبها من فرقٍ سريةٍ، فأصبحت هذه الأفكار مصدرًا أساسيًّا تم الرجوع إليه ودراسته، والاستنارة به، وبفكرهِ الحركىِّ فى كل تنظيمٍ على حده، وفيها أيضًا كانت هناك وقفة شديدة أمام (فرقة الحشاشين) أتباع (مصطفى الصباحى)، وكان الانبهار من وصولهم إلى حَدِّ الإعجازِ فى تنفيذ آليات (السمع والطاعة)، وكيف كان الأفراد يسمعون ويُطيعون حتى لو طُلِبَ منهم قتل أنفسهم، أما الحركات العالمية الأخرى سواء كانت حركات إجرامية أو حركة سياسية، مثل المافيا العالمية، والتنظيمات

الفرنسية، وأخيرًا التنظيمات الصهيونية العالمية بما لها من قوةٍ وانضباطٍ واتصالاتٍ بجميع القوى السياسية، ومعرفة إخضاع الخصوم والسيطرة عليهم أو تصفيتهم، ولقد كان للأستاذ (سيد قطب) تعليق على ذلك فقال: (أَنَّ أَيَّ تنظيمٍ يطبع أفراده بصفته، أى أن التنظيم لو كان إجراميًا، خرج الأفراد مجرمين، وإذا كان صهيونيًا خرج الأفراد معجبين بالصهيونية)[1].

ولذلك قد أصبحت أفكار التكفير غالبة على فكر الجماعة، وهو ما قد شاهدناه فى معركة دستور مرسى ٢٠١٢، وما قامت به بعض القنوات الفضائية من عرضٍ لبعض الشاشات لمن يقول: نعم للدستور يقوم المُعِدُّ للبرنامج بتنوير الشاشة، ولمن يقول: لا للدستور يقوم المعد أيضاً بتسويد الشاشة، ثم يُعلقون بعد ذلك على أن ما يقولُ نعم للدستور سيدخل الجنة، وكذلك تم تداول تلك الأفكار فى انتخابات (المعزول) مع منافسيه فى انتخابات الرئاسة، وأما عن الاغتيالات فقد تمت اغتيالاتٌ لفظيةٌ للمخالفين مع (جماعة الإخوان)، وكان ذلك فى اعتصامى (رابعة والنهضة)، واغتيالاتٍ جسديةٍ بعد فضهما، وستعرض لذلك لاحقًا.

خَامِسًا: مَا حُكْمُهُمْ عَلَى الْمُجْتَمِعِ؟

قامت (جماعة الإخوان) بتكفير جميع المخالفين فى فترة حكم المعزول، استنادًا لأفكار (سيد قطب)، و(شكرى مصطفى)، و(محمد قطب)، وقد تأصل ذلك عندهم وَفَعَّلُوهُ فى (التنظيم الخاصِّ) (أو التنظيم السِّرِّيِّ)، لأنهم يستكثرون رحمة الله على عباده، ويستكثرون أيضًا أن يعيش الشعب المصرى فى الأرض الرحبة المتسعة التى لا حقد فيها ولا كراهية، ولا دسائس، ولا مكائد، لأن التكفيريَّ لو ملك رحمة الله على عباده لأغلقها عليهم، ولذلك قد قاموا بتكفير الجيش، والشرطة، لأنهما سِرُّ سعادة الشعب

(١) مذكرات على عشماوى، آخر قادة التنظيم الخاص. ص: (٨).

المصرى لتصديهم لإرهاب التكفيريين، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل قاموا بتكفير بقية مؤسسات الدولة من إعلام، وصحافة، وقضاة، لأنهم لم يقفوا بجانبهم فى غَيِّهِمْ، وَظُلْمِهِمْ، وقضية تكفير المسلم قديمة، ولها جذورها فى تاريخ الفكر الإسلامى منذ عهد الخوارج فقد كَفَّرَ (سيد قطب) عامة المسلمين، فقال فى كتابه فى ظلال القرآن: (البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله، البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله، بلا مدلولٍ ولا واقعٍ، وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة، أنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا فى دين الله) [1].

وقال أيضًا: (إنه ليست على وجه الأرض دولةٌ مسلمةٌ، ولا مجتمعٌ مسلمٌ قاعدة التعامل فيه هى شريعة الله والفقه الإسلامى) [2].

وفى مقابل إطلاقه أوصاف الجاهلية والردة والشرك على كل المسلمين (حكام ومحكومين) قال: (ولو اعتقدوا أن لا إله إلا الله، وأدوا شعائر العبادة لله وحده، بسبب ارتكابهم صغائر الذنوب، أو المباحات باتخاذهم أعيادًا، ومواسم، وأزياء، وعادات، وتقاليد ونظم حياة لم يشرعها الله، وكانت النتيجة المنطقية، والعملية لهذا الفكر أنه قد كَفَّرَ جميع المسلمين فى هذا العصر (قادتهم وشعوبهم) ودعا إلى هجر جماعة المسلمين واعتزال مساجدها فى قوله: (لا نجاة للعصبة المسلمة فى كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيديًا وشعوريًا ومنهج حياة، عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دارِ إسلامٍ تعتصم بها، وإلا أن تشعرَ شعورًا كاملاً بأنها هى الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية) [3].

(١) ظلال القرآن لسيد قطب: (٢/ ١٠٥٧).

(٢) المصدر السابق: (٤/ ٢١٢٢).

(٣) المصدر السابق: (٤/ ٢١٢٢).

وهذا تصريحٌ صريحٌ من (سيد قطب) بأمر اعتزال الجماعة، والإمام، والمسجد، وهجر جماعة المسلمين والاستعلاء عليهم، والتعصب للفرقة والاختلاف، وذلك مما يؤدى إلى ظهور الفتن وتفاقمها، وكثرة الاغتيالات، والتفجيرات، ومنازعة الأمر أهله، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩) قال رسول الله ﷺ: (الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ)[1].

وقال ﷺ: (مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ)[2].

وقد حَذَا حَذْوَ (سيد قطب) (محمد قطب)، و(شكرى مصطفى) والدليل على ذلك من أقوال (شكرى مصطفى) عند سؤاله فى تحقيق النيابة العسكرية فوجهت له المحكمة عدة أسئلة منها:

- أليس هناك مسلمون حقًا خارج جماعتك؟

أجاب قائلاً: (إن الجماعة المسلمة الوحيدة على الأرض هى جماعتى على أساس أن سنة الله بزعمه أن ينشيء سبحانه نواةً واحدةً للأمةِ الواحدةِ التى يريدها).

- ووجهت المحكمة سؤالاً آخر قالت فيه: ما الحكمُ الشرعِيُّ فى حالة تواجدك، أو واحد من أفراد جماعتك عند المسجد الحرام وقت النداء لصلاة الجمعة؟

- أجاب قائلاً: (وأنا أجيب، ولا أخشى إلا الله، وإن نودى بألف صلاةِ جمعةٍ من مُنَادٍ غيرِ خاضعٍ لجماعة المسلمين، وجماعة المسلمين غيرَ باسطةٍ سلطانها على هذا المسجد، فلا فريضة للجمعة عليها).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٨١٤، ٣٧٥)، وابن أبى عاصم فى (السُّنَّةِ) برقم: (٨٩٥)، وحسَّنه الألبانى فى (الصحيحة) برقم: (٦٦٧) عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - .

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن أبى ذر - رضي الله عنه - وجاء فى المشكاة برقم: (١٨٥)، وابن أبى عاصم فى (السُّنَّةِ) برقم: (٧٩٢)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤١٠).

- ولما سألته المحكمة عن (الشيخ الذهبى) تحديدًا؟

- أجاب قائلاً: (بأن الشيخ الذهبى فى نظره كافر، ويبرر كفره بأنه أقسم قسم الوزارة الذى يشتمل على القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية، وبأنه كان مسئولاً عن مساجد الضرار التابعة لوزارة الأوقاف).

ثم ننتقل إلى وجهٍ آخر، وهذا الوجه هو إحدى حوارات (جماعة الإخوان) وطرفى الحوار هما: الدكتور (جمال عبدالهادى) أستاذ التاريخ الإسلامى، والأستاذ (ثروت الخرباوى) الكاتب المعروف وكان مما قاله (الدكتور) رَدًّا على ما قالهُ (محمود عزت) روسيا الملحدة فى الستينيات، وأمريكا الكافرة فى التسعينيات: (لا نستطيع أن نتهم شخصًا بعينه بالكفر، فلا يجوز إطلاق القول بالكفر إلا بأن يثبت بالدليل الشرعى، وبالتالى لا يجوز تكفير الأعيان (أى الأشخاص) إلا إذا ثبت ذلك من خلالِ قولٍ، أو فعلٍ، ولكننا نستطيع تكفير الحكومات والأنظمة، ويثبت كفرها إذا امتنعت عن تحكيم شرع الله وهى تعلم وجوب هذا التحكيم، ويثبت علمها بالوجوب إذا أنذرها أهل العلم والفقه، ونظرًا لأننا أنذرنا حكوماتنا وأخذنا عليهم الحُجة فتكون الحكومات المصرية كافرةً كُفْرًا يُخرجها مِنَ الْمِلَّةِ)[1].

وهذا هو تفكيرهم، أى: تكفير الحكومات المصرية، وتشبيهها بأمريكا الكافرة، وما الحكومة إلا المؤسسة القضائية التى شهد العالم جميعًا بنزاهتها، والجيش والشرطة اللذان أثبتا بالواقع الْعَمَلِىِّ أن ولائهما لله أولاً، ثم الوطن ثانيًا، لأنهما دافعا عن تراب، وأفراد هذا الوطن بكل ما أوتوا من قوة، وَضَحُّوا بكل غال ونفيسٍ أى: بدمائهم وأرواحهم من أجل شعبٍ وترابِ هذا الوطن، ثم يندرج تحت ذلك الْمُسَمَّى جميع الوزارات، إذن كل ما هو دون سلطانهم فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، ويدخل فى التحاكم إلى الطاغوت،

(١) سر المعبد للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (٢١٥).

أي: نحن تحت حكم الطواغيت بمفهومهم، لأنهم يستدلون استدلالاً فاسدًا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ (النساء: ٦٠) يقول ابن كثير: (هذا إنكارٌ من الله عزّ وجل على من يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسُّنة رسوله، والآية عامة، فإنها ذَامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ها هنا، ولهذا قال: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) إلى آخرها [1].

ولهذا أقول للدكتور (عبدالهادى) وغيره من جماعة (الإخوان) هل المعزول تحاكم فى فصل الخصومات بكتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، ألم يُقِمْ حكمه على تقويض الشعب المصرى، وفرض السيطرة عليه هو وجماعته، ومحاولة إخضاع جميع مؤسسات الدولة تحت نفوذه وسيطرته، وهذا مما أدى إلى سقوطه سريعًا فى أقصرِ مدة يتولاها رئيسٌ مصرىٌّ فى ذلك الشأن، ثم أذكرهُ أيضًا بقول (حسن البنا): (الكذب على الأعداء فريضة) هكذا كان يصوره (البنا) لمريديه مِن منطلقٍ أن كل من ليس معه فهو عَدُوٌّ لهم، ولذلك استباحُوا الكذبَ على مخالفيهم من مُعْتَقِدِ أنهم أصبحوا بمثابة الأعداءِ حتى وإن كانوا من نفس فصيلة الإسلام، ومن بلدتهم، ومن جلدتهم، وفى جيرتهم، وأقول له أيضًا: (هل قرض بنك النقد الدولى حرامٌ فى حكومة الجنزورى، حلالٌ فى حكومة هشام قنديل؟) وأقول أيضًا: (هل نكاح الجهاد حلالٌ، أم حرامٌ؟) إذن، فلمن يكون الزنا أصلاً؟ وأقول له أيضًا: (هل تجسس (المعزول) على مصر لصالح أعدائها من الوطنية، وهل هو حلالٌ، أم حرامٌ؟، وهل التصرف فى أموال القصر واليتامى فى دولة الكويت، وغيرها من دول الخليج والسيطرة عليها، والتى أصبحت بالمليارات، واستخدامها فى سبيل أغراضهم،

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٤٩٦).

وهو ما ظهر فى الشارع المصرى من قتل الأبرياء من هذا الشعب، وتفجير المنشآت العسكرية، والشرطية، وإحراقٍ لبعض الكليات ومنها كليات الأزهر الشريف، هل هذا حلالٌ، أم حرامٌ؟) إذن فمن يتحاكم إلى الطاغوت أيها الشيخ الفاضل؟ إنى والله لأعتذرُ لنفسى عذرًا كبيرًا، لأنى أَجْلَسْتَهَا أمامِكَ لِتُحَاضِرُهَا فى نقابة الأطباء فى كفر الشيخ، ثم يتجلى الشيخ (محمد عبدالمقصود) بتصريحاته النارية، ليصفَ كل من سيخرج فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ بالكفار، فيردد فى نهاية كلمته فى المؤتمر الذى عُقد يوم ١٦ يونيو ٢٠١٣ فى دعائه: (أسأل الله – عزّ وجل – أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يجعل يوم الثلاثين من يونيو يوم عِزٍّ للإسلام والمسلمين، وكسر شوكة الكفار والمنافقين، اللهم رد كيدهم فى نحورهم، واجعل تدميرهم فى تدبيرهم، اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب.. إهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم انصر دينك وعبادك الصالحين، واجعلنا منهم يارب العالمين) فَارْتَجَّ استادُ القاهرةِ بتلكَ الدعواتِ عى الشعب المصرى الذى وصفه الشيخ بلكفار فى ذلك اليوم، وهذا فكر (سيد قطب، ومحمد قطب، وشكرى مصطفى، والعزومى) وغيرهم من التكفيريين، استناداً إلى جهاد العدو القريب، وقد اعتمدوا على القول بأن أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى هى العدو القريب، بينما (الغرب) هو العدو البعيد، فنقول إذا كان الحكم كان فى أيديكم أنتم فى تلك الآونة، قبل أَنْ يُعْزَلَ (المعزول) إذن، فلمن يصبح الكفر إذن؟ هل للثلاثينِ مليونٍ، أو أكثرَ ممن خرجوا فى ٣٠ يونيو؟ لأنهم آمنوا بفكرة (التوقف والتبين) وهى عدم الحكم على أىِّ مسلمٍ بكفرٍ، أو إيمانٍ حتى يتبين لهم كفره من إيمانه عبر عرض فكر جماعتهم عليه، فإن وافق على فكرهم، فقد دخل الإسلام، وإن أبى فقد أصبح كافرًا ،واستدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة: ١٢٣) وهذا هو فكر (التوقف

والتبين) والتبرير لقتل المخالفين وإن كانوا مسلمين، لأن معنى يلونكم أى: الأقرب إليكم، ولذلك أجازوا كفر بقية الشعب المصرى المخالف لعقيدتهم، والذى أصبح هو العدو القريب لهم، فاستباحوا دمه، وأعدوا الْعُدَّةَ لسحلِهِ، وإهانتِهِ وقتلِهِ، لأن هذا الفكر الشيطانى ألا وهو فكر الخوارج، وفى تعليقه على هذه الأفكار أَكَّدَ الشيخ (ناجح إبراهيم): (أن هذا الفكر ديدنه تكفير كل شىء، وتكفيرِ عَوَامِّ المسلمين، وأشار إلى أن هذا التكفير هو أكبر لوثة أصابت العقل الإسلامى فمهمة الدعاة هى هداية الخلائق وتهذيب سلوكهم، والأخذ بأيديهم إلى الجنة، أما الفكر التكفيرى، فلا يَشْغَلْهُ سوى الحكم على إيمانِ وكفرِ الناسِ، بل إخراج الناس من الإسلام إلى ظلمات الكفر، فالحكم على الناس مهمةَ القُضَاةِ، ونحن دعاةٌ، ولسنا قضاةٌ، كما قال (الهضيبى) - رحمه الله - فالمؤسسات الحاكمة هى مؤسساتٌ اعتباريةٌ، يقصد بها: الجيش، والشرطة، والقضاة، وغيرهما) لا يلحقها وصف كفرٍ أو إيمانٍ، وهى لا تلحق إلا بالإنسان المكلف شرعًا، وهو الشخص البالغُ العاقلُ الراشدُ العالمُ بما يفعلُ، ثم أردف قائلاً: أن تطبيق الشريعة لا يكون إلا بحسب وسع المجتمع، فالتدرج فى الأحكام من وسائل الإسلام المرنة كتحريم الخمر على خمسة مراحل، وكذلك الربا على أربعة، ومصر دولة الإسلام منذ أن فتحها (عمرو بن العاص) ولم يَقُلْ أَحَدٌ من علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين أن مصر يعلوها أحكام الكفر، أو ما شابه ذلك، كما تبنى فكرة الديمقراطية بضوابطها الشرعية حيث قال أن الديمقراطية ليست دينًا يُعْبَدُ من دون الله، ولا موازى للإسلام كما يتصور البعض، فهى فكرةٌ عبقريةٌ لاختيار الحاكم جَنَّبَتْ الدول الانقلابات، والنزاعات، وكل مبادئ الشريعة جاءت مطلقةٌ بينما الآليات تُرِكَتْ لِعَمَاءِ ومجتهدى كل عصر بما يلائمهم، وأشار إلى أكبر خَطَرٍ على الإسلام حاليًا هو فكر التكفير، بل خطرٌ على الرئاسة نفسها، فهو فكر يكفر بالمعصية ولا ينسب لأهل السُّنة والجماعة، فهم كفروا حتى سيدنا عَلِيّ - رضي الله عنه -

بل سَعَوْا فى قتله، فالعقل التكفيرى يضن برحمة الله على خلقه كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) وقد أخبر عنهم الرسول ﷺ، بأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان) [1].

سَادِسًا: مُوَالاَتِهِمْ لأَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ:

من البديهىّ جِدًّا أَنْ يُوَالِىَ أهل الإسلام، أهل الإسلام، وأهل الطغيان، أهل الطغيان، وليس من البديهىّ أن يُوَالِىَ أهل الإسلام، أعداءَ الإسلام وأهلَ الطغيان، ومما له دلالةٌ عميقةٌ بذلك هو أن المرشد العام (حسن الهضيبى) أدلى بتصريحٍ صحفىٍّ يوم ٥ يونيو ١٩٥٣ لوكالة (الأسوشيبيدبرس) قال فيه: (أعتقد أن العالم الغربى سوف يربح كثيرًا إذا وصل الإخوان إلى حكم مصر، وأنا عى ثقةٍ بأن الغرب سيفهم مبادئنا المعادية للشيوعية، والاتحاد السوفييتى وسيقتنع بمزايا الإخوان المسلمين) وهكذا قَدَّمَ المرشد العام مزاياهُ للغرب الاستعمارىِّ آنذاك، ولعلّ هذا الموقف وغيره من مواقف (جماعة الإخوان) هو الذى دفع المستر (انثونى ايدن) وزير خارجية بريطانيا إلى أن يسجل فى مذكراته: (أن (الهضيبى) كان حريصًا على إقامةِ علاقاتٍ ممتازةٍ معنا، بعكس الرئيس (جمال عبدالناصر) [2].

ولكى نقترب من المشهد أكثر تَعَالَوْا نُطَالِعْ ما كتبهُ الأستاذ (على عشماوى) فى مذكراته قائِلاً: (أما عن واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعيلية، وقد كان هذا الفندق يَعُجُّ بالإنجليز، وبالجواسيس فى جميع الأشكال: وقد أراد الإخوان ضرب هذا الفندق، ولكن حين تم التنفيذ تم إفراغ العملية من أى تأثيرٍ ضارٍّ بالإنجليز، وكان من نتيجة ذلك أن قُتِلَ منفذ العملية دونَ أَدْنَى ضَرَرٍ بالإنجليز) وقد أورد الحادث الأستاذ (صلاح شادى) فى مذكراته فقال: (لقد أُمِرْنَا داخل قسم الوحدات على القيام بعمليةِ إرهابٍ فى داخل فندق

(١) شبكة الانترنت.

(٢) المصدر السابق.

(الملك جورج) بإشعالِ عبوةٍ ناسفةٍ لا تُؤَدِّى إلى قتلٍ، أو إصابةٍ بجسامةٍ، وإنما تعلم فقط عن ملاحقته للعملاء والمخابرات الانجليزية، وكلفنا الأخ (رفعت النجار) من سلاح الطيران بالقيام بهذه العملية، بأن يحمل دوسيهًا به مادةٍ ناسفةٍ، ويشعلها، ثم يتركها فى ردهة الفندق إلى جوار الحائط خلفَ ستارةٍ مدلاةٍ على حائطِ الردهةِ، ثم يَنْهَضُ بعد ذلك ويمضى خارج الفندق، وجرى التنفيذ على أحسن وَجْهٍ، ولكن ظهر فجأة للأخ رفعت عند مغادرته المكان أحد رجال المخابرات من الإنجليز الذى اقترب من المكان، ولكن الآخر ظل ممسكًا بالدوسيه حتى انفجر فيه، ومات متأثرًا بجراحِهِ، فقد خَشِىَ أن يَقْتُلَ رجل المخابرات الإنجليزى) وهكذا فقد حافظوا على حياة الإنجليز، وَوَصَمُوا الجماعة بالإرهاب دون أدنى فائدة، ثم يستطردُ الكاتبُ قائلاً فيقولُ: (لقد نشط بعض الإخوان المتحمسين من غير إخوان النظام فى عملياتٍ خاصةٍ، من هؤلاء إخوان مصر الجديدة، وكانت لديه دراجة ومسدس، فكان يركب دراجته وينتظر اليهود أمام بيوتهم بمصر الجديدة، ثم يُطلق عليهم الرصاص وينطلقُ بدراجتهِ، فقتل بعض، وأصاب آخرين، وكان ذلك فى شهر أغسطس ١٩٤٨، فما كان من (عبدالرحمن السندى) إلا أن أصدر تعليماتٍ بالبحث عمن يفعلون ذلك، ومنهم النظام ومنعهم من أىِّ عملٍ مماثلٍ، لأن النظام الخاص كان يَحُدُّ من أىِّ عملٍ مماثلٍ) ثم يقول أيضًا: (بدأت أراجع جميع أعمال الإخوان والتى كانوا يعتبرونها أمجادًا لهم بعد معرفتى بعلاقات العمالة والتبعية من بعض قادة الإخوان للأجهزة الغربية الصهيونية والتى أَكَّدَهَالى المرحوم الأستاذ (سيد قطب) من أن (عبدالرحمن السندى) والدكتور (محمد خميس) والذى كان وكيلاً للجمعيةِ فى عهد الأستاذ (حسن الهضيبى) وأن أحد أصحاب المطابع الكبرى، والذى كان أحد كبار الإخوان عملاء للمخابرات الإنجليزية) ثم يُكْمِلُ حديثه عن ذلك فيقول: (أما تجربتى الشخصية والتى سمعتها مباشرة من صاحب الشأن وهو أننى التقيت فى عنبرٍ بالسجنِ الحربىِّ بالدكتور (م.ع.ف) رئيس مكتب إدارى إحدى المحافظات الكبرى فى مصر،

حيث قال: إنه كان فى نهاية الأسبوع دائمًا كان يذهب بصحبة زوجته، والتى وصفها بأنها كانت من أجل نساء الأرض، وكان يذهب كل أسبوع إلى الإسماعيلية حيث يسهر مع الضباط الإنجليز هو وزوجته، ويقضون الليل فى الرقص، ولعب البريدج، وكان يقول: أن الشىء الذى يتعب شباب الإخوان هو تفكيرهم الدائمُ فى الجهاد، وكان من السهل قيادتهم حين تحدثهم فى هذا الأمر)[1].

وهكذا كان الشباب الساذج من الإخوان الذين يندفعون وراء الشعارات الجوفاء، بِلاَ وَعْيٍ، أو بصيرةٍ، وقادتهم عملاء مخلصون للأجهزة الغربية الصهيونية.

وَمِمَّا لَهُ صِلَةٌ بذلك الموضوع ما وجههُ القياديُّ الإخوانيُّ الدكتور (صلاح سلطان) الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين رسالةً إلى مجلس العموم البريطانِيِّ يدعوهُ فيه إلى ضرورة التدخل لحل الأزمة فى مِصْرَ أُسْوَةً بسوريا، قال فيها: (وبالمناسبة ما أخبار القتل والحرق، والخنق الذى قام به الانقلابيون فى مصر ؟ - مَنْ قُتِلُوا بمصر فى الأسبوع نفسه أضعاف من قتلهم الجزار الأسد (١٥٠٠ بالكيماوى)، (فالسيسى) قتل فوق الخمسة آلاف مصرى سلمى! هل مصر خارج المنطقة الأخلاقية، والإنسانية فى العالم؟)

الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين، دعا عبر موقعه الرسمى جموع الشعب المصرى للنزول للشارع والمشاركة فى إسقاط الانقلاب الذى أجهز بالبيادة، والدبابة على صوتك فى سبعة انتخابات أشرف عليها الجيش والقضاء، قال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ ﴾ (العنكبوت: ٦)، ثم تابع: (قل: لا، لله، ثم لكرامتك، اخرج فى وجه من ظلمك، وإخوانك، وأخواتك، اخرج آمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وهو واجبٌ شرعًا، اخرج فى وجه من قتل، وحرق، وخنق أمك، وأباك، وأختك، وأخاك، اخرج فى وجه من قتل ٦٠٠٠، وجرح ٢٥٠٠٠، واعتقل ١٢٠٠٠، فهل تجلس فى

(١) مذكرات الأستاذ على عشماوى ص: (٩، ١٠).

بيتك حتى يقتل، ويحرق، ويعتقل كل من حولك؟ الراجل ينزل فى الميدان، ويدافع عن أرضه، وعرضه، ولا تخش فى الله لَوْمَةَ لائِمٍ وأضاف: بلدنا مصر أُمنا مغصوبة، وحرائرنا قُتِلْنَ، وَاعْتُقِلْنَ، وتحرش بهن البلطجية، وأموالنا مسروقةٌ، ورئيسنا مخطوفٌ، ودستورنا معطلٌ، وَكِرَامُ بَلَدِكَ إِمَّا شهداء، أو جرحى، أو معتقلين، فهل تَسْكُتَ خَوْفًا عَلَى رِزْقٍ، أَوْ أَجَلٍ؟ أما الرزق، والأجل فهما فقط بيد ربك، كما قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢) وكذلك الأجل، حيث قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤) خليها على الله وانزل، ثم تابع قائلاً، انزل كما قال الله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) والله إن فلاحك فى الدنيا والآخرة أن تنزل معنا إنقاذًا لمصر من الدمويين، المُرْتَدِّينَ على ثورتنا ٢٥ يناير .. وكما قال رسول الله ﷺ: (الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ) [(١)].

ووالله إنه لنعم الخير أن تقنع به أسرتك، وجارك، وقريبك، وشريكك. فنحن نريد كما قال الله تعالى: ﴿ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، فالربانيون هم الذين جَرَّدُوا حياتهم لله، والكثرة مهمةٌ فى إفاقة مغتصبى مصر، المعتدين على بناتنا، وشبابنا قَتْلاً، وَحَرْقًا، وَخَنْقًا مثل هتلر تمامًا)[(٢)].

(تعليق): هذه الأعداد التى أعلن عنها من يطلقون عليه (الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين) عَارِيةٌ من الصحةِ تمامًا، لأن (حسن البنا) رَسَّخَ فيهم مَقُولَةَ: (الكذب على

(١) الحديث صحيح: رواه البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه، والطبراني فى (الكبير) عن سهل بن سعد، وأبى مسعود - رضي الله عنه - وجاء فى السلسلة الصحيحة برقم: (١٦٦٠)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٣٩٩).

(٢) جريدة التحرير، الصادرة بتاريخ يوم السبت ٣١ أغسطس ٢٠١٣، ٢٤ شوال ١٤٣٤ هـ - السنة الثالثة - العدد (٧٩٠).

الأعداء فريضة) هكذا كان يصوره لمريديه من منطلق أن كل من ليس معه، فهو عدوٌّ لهم، ولذلك استباحوا الكذب على مخالفيهم من مُعْتَقِدِ أنهم أصبحوا بمثابة الأعداء، حتى وإن كانوا من نفس فصيلة الإسلام، ومن بلدتهم، وجلدتهم، وفى جيرتهم، وهذا هو فكر التكفير والهجرة، حيث اعتمدوا على فكرتى:

١- جهاد العدو القريب، أى: نحن المصريين، ما عدا فصيلهم، ومن والاهم، أما الغرب فهو العدو البعيد، وجهادهم فيه عبارة عن شعاراتٍ جوفاء، لدغدغة عواطف المصريين الطيبين، واستدلوا بذلك على قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة: ١٢٣) ومعنى يلونكم، أى: الأقرب إليكم، أى: قد استباحوا قتلنا نحن المصريين، أما أعداء الوطن، فهم يحافظون على دمائهم، كما ذُكِرَ سَابِقًا.

٢. يمانهم بفكرة (التوقف والتبين) وهى عدم إصدار حكمهم على أىِّ مُسْلِمٍ بكفرِهِ، أو إيمانِهِ، إلا إذا تم عرض أفكاره على جماعتهم، فإن وافقت أفكاره أهوائهم، قد دخل الإسلام، وإن لم توافق أفكاره أهوائهم كَفَّرُوُه، فأما ما دعا له الدكتور (صلاح سلطان) عِبْرَ موقعِهِ الرسميِّ عن قتل ما وصفهم بالبيادة، وهو يقصد الجيش، وأباح لنفسه الافتراء والكذب، بلا دليلٍ، وذلك بتصريحه عن قتل ٦٠٠٠، وجرح ٢٥٠٠٠، واعتقال ١٢٠٠٠، فهذا يدل على أنه كذابٌ أشر، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ (القمر: ٢٥) أَىْ: مَتَجَاوِزٌ فِى حَدِّ الْكَذِبِ، ولكى تظهر لنا الحقيقةَ واضحةً جَلِيَّةً، كشمسِ النهارِ فى ساعةِ الظهيرةِ، تَعَالَوْا نُطَالِعُ مَا نُشِرَ فِى ذَلِكَ، حيث جاء فى تقرير (الطب الشرعى) النهائى لفض اعتصامى (رابعة، والنهضة)، فكان عدد القتلى فى (رابعة) (٣٧١ ذكرًا)، و(٦ إناث)، وكان فى (النهضة) (٢١ فقط) والمفاجأة جثة لطفلٍ من دارِ الأيتامِ، وإليك عزيزى القارئ البيان كما نُشِرَ بالتفصيلِ: (سلمت مصلحة الطب الشرعى تقاريرها الخاصة ببيان الصفة

التشريحية، وسبب وفاة ضحايا فض اعتصامى (رابعة العدوية، وميدان النهضة)، وكذلك ضحايا الشرطة الذين سُقِطُوا فى ذلك اليوم، للنيابة العامة، لتغلق بشكلٍ رسميٍّ ونهائيٍّ باب الجدل الذى فتحه الإخوان منذ ١١٧ يومًا مرت على فض الاعتصام حول سقوط ضحايا بالآلاف، وفترة الـ(١١٧) كانت منذ فض الاعتصامين فى يوم ١٤ أغسطس إلى ٩ ديسمبر ٢٠١٣م وجاء التقرير الكامل الذى تسلمته النيابة فى أكثر من (٣٠٠٠ ورقة) ليتضمن تفاصيل عدد الحالات التى تم تشريحها، والتعامل معها داخل مشرحة (الطب الشرعى) وبمناظرة أطباء شرعيين تابعين للمصلحة، وَفُنِّدَتْ هذه الحالات حسب النوع؛ ذكر، أو أنثى، والفئة العمرية، ونوع الإصابة، وعيار السلاح المستخدم فى الإصابة، واتجاه الإصابة، وتضمن التقرير الطبى حالات رجال الشرطة الذين وقعوا خلال يوم فض الاعتصام، سواء على مستوى الجمهورية، أو حصرٍ لعدد الوفيات داخل فض الاعتصام.

(رابعة العدوية):

اختلفت أنواع الإصابة فى الميدان وكانت كالآتى: (٣٣١ حالة مصابة بطلق نارى مفرد أُطلق من سلاح نارى معد لإطلاق الأعيرة النارية المفردة، و٣١ حالة مصابة بطلق نارى خرطوش من سلاح نارى رش خرطوش، و٥ حالات مصابة بعيار نارى مفرد، وإصابةٍ أخرى من طلق نارى خرطوش، و٣ حالات مصابة بإصابات رضية نتيجة الضرب بالعصى، أو الطوب، أو الحجارة، و٧ حالات تَعَذَّرَ تحديد سبب الوفاة، بسبب الحروق غير الحيوية التى أصابت الجثث بعد وفاتها بالفعل حيث وصلت تلك الحروق إلى مرحلة التفحم، مما أدى إلى تعذر اكتشاف وجود أماكن الإصابات الأخرى التى سببت الوفاة، وحدد الطب الشرعى عددًا من أنواع عيار الأسلحة المستخدمة فى الأحداث، وجاءت كالآتى: ٣٥ حالة أصيبت بعيار نارى ٦٢ ,٧ مللى، (وحالتان) فقط إصيبتا بعيارٍ نارىٍّ ٣٥ ,٦ مللى، و٤ حالات أصيبت بعيار ٩ مللى، و٣٣٦ حالة لم يستقر

بها المقذوف النارى، وبالتالى تعذر تحديد نوع العيار النارى، والسلاح الذى أطلقت منه)

- وعن اتجاه الإصابة، أوضح التقرير أن: (٢٩ حالة أُصيبت من أعلى إلى أسفل، و٨٩ حالة أُصيبت من الخلف إلى الأمام، و١٢٩ حالة أُصيبت من الأمام إلى الخلف، و٧١ حالة أصيبت من اليمين إلى اليسر، و٥٩ حالة أُصيبت من اليسار إلى اليمين) وكان من ضمن هذه الحالات، حالتين لطفلين لم يَبْلُغَا عمر الـ١٨ عامًا، وواحدة من ضمن هذه الحالات كانت لطفل من إحدى دور رعاية الأيتام، وتم التعرف على الجثة عن طريق صاحب دار الأيتام، الذى استلم بنفسه الجثة من داخل المشرحة، وَأَقَرَّ أنها لأحد الأطفال المسجلين فى كشوف دار الأيتام التى يمتلكها، وكان من ضمن الأطفال الذين خرجوا فى مسيرات الأطفال التى تجوبت داخل اعتصام (رابعة العدوية) حاملينَ أكفانًا كُتِبَ عليها (مشروع شهيد).

- النهضة:

لقدسقطت خلال فض اعتصام (عيدان النهضة) ٢١ حالة فقط، من بينها ٤ حالات مصابة بطلق نارى خرطوش، وواحدة مصابة بإصابات رضية، و١٦ حالة مصابة بإصابات نارية من سلاح نارى مفرد، وجميع حالات فَضِّ اعتصامِ النهضةِ لم يستقر بها المقذوف النارى، وبالتالى تعذر تحديد انعيار ونوع السلاح، بالإضافة إلى أن هناك ٤ حالات أصيبت بحروق غير حيوية وصلت إلى مرحلة التفحم.

- ضَحَايَا الشُّرْطَة:

وَقَعَ يَوْمَ فَضِّ اعْتَصَامَىْ (رابعة، والنهضة) ٥٥ ضَابِطًا وَمُجَنَّدًا من رجال الشرطة على مستوى الجمهورية، من بينها حالة واحدة فى (أسيوط)، و ٣ فى (الإسكندرية)، و١٥ حالة فى (الجيزة)، منها ١٣ حالة من ضباط وجنود قسم (كرداسة)، وحالتان وقعتا أثناء فض اعتصام النهضة، و٦ حالات فى الفيوم)، و١٠ حالات (بالقاهرة)، منها ٨

حالات وقعت فى فض اعتصام (رابعة العدوية)، و١٥ حالة (بالمنيا)، و٤ حالات (ببنى سويف)، و(حالة واحدة بشمال سيناء).

- أمَّا مَا وَقَعَ يوم فض الاعتصام، وحتى ١٣ نوفمبر ٢٠١٣، فقد وصلت حالات ضحايا الشرطة (١٤٦ حالة) منها (٣٢ ضابطًا)، و(٥٧ فرد شرطة)، و(٢ موظف مدنى)، و(٥٥ مجندًا)[1].

ومن ذلك التقرير الذى أُعرض، وما شاهدناه فى إعداد تقرير الطب الشرعى، فعلينا أن نقارن بين ما عرضه هذا الكذاب على موقعه، لإثارة الرأى العام العالمى، ولإحداث الوقيعة بيننا وبين دول الغرب للتدخل العسكرى ضد مصر، وهذا هو ما تتمناه (جماعة الإخوان)، ولكن المكر لا يحيق إلا بأهله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (فاطر: ٤٣) وقال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠) وإن شاء الله تعالى، سيكون نهاية مكرهم، التفاف حبل المشنقة حول رقابهم، لأن الله غالب على أمره، ولكنهم لا يفقهون، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١).

وكان مما فعله (الرئيس المعزول) وجماعته فى هذا الشأن من موالاته لأعداء الإسلام غير معتادٍ، لا فى العرفِ الإنسانىِّ، ولا الريفىِّ، فعندنا فى عُرْفِ الفلاحين يكون الولاء بعد الله، للقريب من العصب، لأن القريب من العصب سيحافظ على المشاعر، ويحافظ على صلة الدم، وبذلك يكون أولى من القريب البعيد، والقريب البعيد أولى ممن ليس لهُ صِلَةٌ بالعائلة، وهكذا تكون الأعراف، أما (مرسى، وجماعته) لا يعترفون بذلك، فعندما ذهبت شخصياتٌ مهمةٌ توسطت لإقناع (مرسى) باستحالة عودته للحكم، وأن عليه الاعتراف بثورة ٣٠ يونيو والمرحلة الانتقالية حَقْنًا لدماء الأبرياء التى تسيل من

(١) جريدة الشروق الصادرة بيوم الثلاثاء ٧ صفر ١٤٣٥هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠١٣م (السنة الخامسة) - العدد: (١٧٧٣) ص: (٥).

أجل الجماعة، كما أكد الوسطاء له أن التحالف المسمى بدعم الشرعية أصبح عاجزًا، وأن الشعب لفظ الجماعة، فأكد لهم أنه الرئيسُ الشرعِيُّ للبلاد، وأنه لن يتراجع حتى لو سقطت ملايين القتلى، مشيرًا إلى أن الموقف الأمريكى ما زال قادرًا على الضغط، والتدخل فى الوقت المناسب، وأن الرئيس الأمريكى (باراك أوباما) لن يتخلى عن حلفائه، وأن سقوط الإخوان يعنى خسارته للانتخابات القادمة [1].

وبعد صدور بيان الجيش الذى القاه (السيسى) يوم الأربعاء (٣ يوليو ٢٠١٣) وكان قد دار حِوَارًا بين (الرئيس المعزول)، والفريق أول (عبدالفتاح السيسى) وكان كالتالى:

مرسى: الجيش موقفه إيه من اللى بيحصل، هيفضل كدا يتفرج، مش المفروض يحمى الشرعية؟

السيسى: شرعية إيه؟ الجيش كله مع إرادة الشعب، وأغلبية الشعب حسب تقارير موثقة مش عايزينك.

مرسى: أنا أنصارى كتير، ومش هيسكتوا.

السيسى: الجيش مش هيسمح لأى حد يخرب البلد، مهما حدث.

مرسى: طيب لو أنا مش عايز أمشى.

السيسى: الموضوع منتهى ومعدش بمزاجك، وبعدين حاول تمشى بكرامتك، وتطالب من تقول إنهم أنصارك بالرجوع لمنازلهم، حَقْنًا للدماء بدلاً من أن تهدد الشعب بهم.

مرسى: بس كدا يبقى انقلاب عسكرى، وأمريكا مش هتسيبكم.

السيسى: إحنا يهمنا الشعب مش أمريكا، وطالما أنت بتتكلم كدا أنا هكلمك على المكشوف .. إحنا معانا أدلة تدينك، وتدين العديد من قيادات الحكومة بالعمل

(١) جريدة اليوم السابع – الخميس ٢٦ ذى الحجة ١٤٣٤ هـ – ٣١ أكتوبر ٢٠١٣م – العدد (٨٨٤) ص: (٤).

على الإضرار بالأمن القومى المصرى والقضاء، هيقول كلمته فيها، وهتتحاكموا قدام الشعب كله.

مرسى: طيب ممكن تسمحولى أعمل شوية اتصالات، وبعد كدا أقرر هعمل إيه.

السيسى: مش مسموح لك، بس ممكن نخليك تطمئن على أهلك فقط.

مرسى: هو أنا محبوس، ولا إيه؟

السيسى: أنت تحت الإقامة الجبرية من دلوقتى.

مرسى: متفتكرش إن الإخوان هيسكتوا لو أنا سبت الحكم .. هيولعوا الدنيا.

السيسى: خليهم بس يعملوا حاجة، وهتشوف رد فعل الجيش .. غير كدا مش هنسيبهم. وإحنا مش هَنْقْصِى أحد، والإخوان من الشعب المصرى، ومتحاولش تخليهم وقود فى حربكم القذرة .. لو بتحبهم بجد تنحى عن الحكم، وخليهم يَرَوَّحُوا بيوتهم.

مرسى: عمومًا أنا مش همشى والناس بَرَّهْ مصر كلها معايا، وأنصارى مش هيمشوا.

السيسى: عمومًا أنا نصحتك.

مرسى: طيب خد بالك، أنا اللى عينتك وزير، وممكن أشيلك.

السيسى: أنا مسكت وزير دفاع برغبة الجيش كله، ومش بمزاجك وأنت عارف كدا كويس .. وبعدين أنت متقدرش تشيلنى، أنت خلاص لم يعد لك أى شرعية.

مرسى: طيب لو وافقت أن أتنحى .. ممكن تسيبونى أسافر بَرَّهْ، وتوعدنى أنكم مش هتسجنونى.

السيسى: مقدرش أوعدك بأى حاجة، العدالة هى اللى هتقول كلمتها.

مرسى: طيب طالما كدا بقى، أنا هعملها حرب، ونشوف مين اللى هينتصر فى الآخر.

السيسى: الشعب طبعًا اللى هينتصر.

وانتهى الحوار عند هذه الجملة بقول (السيسى): (أنت من دلوقتى محبوس)[1].

- فلو أراد خيرًا لهذه البلدة، لوافق على الوساطةِ المصريةِ، أو طلب وسطاءَ من الدول العربية المحبة لمصر، كرؤساء، وملوك دولة السعودية، والكويت، والإمارات، والأردن، والجزائر، ولكنه لم يُرِدْ الخير لمصر، فكما أنه خرج من السجون فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير بالخيانةِ الْعُظْمَى، دخل السجن أيضًا مَرَّةً أخرى بعدالةِ السماءِ، وسيلتفُّ حَبْلُ المشنقةِ حول رقبتِهِ، ورقبةِ أعضاءِ مكتبِ الإرشادِ بعدالةِ القضاءِ.

- فيا أيها (الْمُرْسِيُّ)، يا من أردت أن تُقِيمَ الخلافة الإسلامية فى مصر، كما زعمت، أنت وجماعتك وتظل هذه الخلافة (٥٠٠ عام) ويكون مركزها (القدس) تَعَلَّمْ مدى سماحة رسول الله ﷺ مع أعدائهِ، وَمُخَالِفِيهِ حتى تَـمُرَّ الأمور بسلامٍ، وَلاَ تَتَفَاقَمَ حتى لاَ تُحْدِثَ تصادماتٍ، أو انشقاقاتٍ تؤدى إلى إراقةِ الدماءِ، لأنهم فقهوا حُرْمَةَ الدماءِ من مُنْطَلَقِ قولِهِ تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) وقال ﷺ: (لَـزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)[2].

وقال ﷺ أيضًا: (لَـزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)[3].

فالراعى، أو القائد، أو الرئيسُ المحنكُ هو الذى يعلم جيدًا متى يتخلى عن منصبه حين يرى أن الناس غير راغبين فيه، ليس كما قال مرسى: (الشرعية، الكرسى، أو الدم) وظهر بعد ذلك الاغتيالاتُ، والتفجيراتُ، فهيا نستلهم الدروسَ والعبرَ من قُدْوَةِ

(١) جريدة الوطن – السبت ٢٧ شعبان ١٤٣٤هـ – ٦ يوليو ٢٠١٣م – السنة الثانية – العدد: (٤٣٣) ص: (٧).

(٢) رواه النسائى من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – وجاء فى غاية المرام برقم: (٤٣٩)، والترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٢)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٥٠٧٧).

(٣) الحديث صحيح: رواه ابن ماجه عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – وجاء في الترغيب برقم: (٣/ ٢٠٢)، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٥٠٨٧).

الْقُدْوَةِ محمد ﷺ، وصحابتِهِ الكرامِ، فعند إبرام (صلح الحديبية وبنودها) دعا محمد ﷺ عَلِيًّا، ليكتب كتاب الصلح، فأملى عليه: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله لا ندرى ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم، فأمر النبى ﷺ بذلك، ثم أملى: (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله فقال: (إنى رسول الله وإن كذبتمونى)، وأمر عَلِيًّا أن يكتب: محمد بن عبدالله، ويمحو لفظ رسول الله، فأبى على أن يمحو هذا اللفظ، فمحاه ﷺ بيده، ثم تم كتابة الصحيفة، ولما تم الصلح دخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ، وكانوا حليف بنى هاشم منذ عهد عبدالمطلب [1].

فقد كان صبر رسول الله ﷺ على تعنت قريش فى إبرام صلح الحديبية وتطاولهم عليه من أجل حفظ دماء المسلمين، وأن هذا الصبر قد أثمر عن أن صلح الحديبية كان بداية طَوْرٌ جديدٌ فى حياة الإسلام والمسلمين، لأن قريش كانت فى تلك الآونة أقوى قوةً وأكثرُ عَتَادًا وَعُدَّةً وهى أَلَدُّ أعداء الإسلام، فبانسحاب الإسلام عن ميدان الحرب، واللجوء إلى الصلح كسرت أجنحة الأحزاب الثلاثة، قريش، وغطفان واليهود، وبذلك قد منع رسول الله ﷺ من إراقة دماء المسلمين وعصمهم.

وعندما منع أمير المؤمنين (عثمان) رضي الله عنه - الصحابة للدفاع عنه حَقْنًا للدماء، وقد علم أن قتله قادمٌ لا محالة، أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل فشدها، ولم يلبسها فى جاهلية، ولا إسلام، وقال: (إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، وأبا بكر، وعمر، وأنهم قالوا لى: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه) [2].

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفورى ص: (٢٩٨-٢٩٩).

(٢) رواه أحمد (٥٢٧)، وأورد الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٩٧)، وقال: رواه عبدالله وأبو يعلى فى الكبير ورجالها ثقات.

وَسَببَ لبسه - رضي الله عنه - السراويل فى هذا اليوم لِئَلاَّ تَبْدُو عَوْرَتُهُ إذا قُتِلَ، لأنه كان شديد الحياء، فكانت تستحى منه الملائكة، كما نطق بذلك النبى ﷺ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء الله عز وجل، وَكَفَّ يَدَهُ عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته لنصروه من أعدائه، ولكن أمر الله كان قدرًا مقدورً[1].

وتنازل الحسن بن على، عن الخلافة، لمعاوية حِرْصًا منه على عدم إراقة دماء المسلمين، استلم الحسن بن على - رضي الله عنه - الحكم بعد والده ستة أشهر، وقيل ثمانية، وكان أول من بايع (الحسن) قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، فقال: أبسط يدك على كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، وقتال المخالفين. فقال الحسن: (على كتاب الله وسُّنة رسوله، فإنهما ثابتان) وكادت أن تندلع الحرب بين الحسن بن عَلِيٍّ ومعاوية بن أبى سفيان، وأنصاره من الشام، فقد سار الجيشان حتى التقيا فى موضع يُقال له (مسكن) بناحية الأنبار، وكان الحسن حريصًا على المسلمين وعدم تفرقتهم، وإراقة دمائهم، فتنازل عن الخلافة، لتكون الخلافة واحدة فى المسلمين جميعًا، ولإنهاء الفتنة وإراقة الدماء، وقيل كان تسليم الأمر إلى معاوية فى ربيع الأول سنة ٤١هـ وقيل فى ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الأولى سنة ٤٠هـ، فلما تنازل الحسن عن الخلافة أصلح الله بذلك بين الفئتين، كما أخبر رسول الله ﷺ حيث قال: (إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[2].

وسمى هذا العام الذى تنازل فيه (الحسن) عن الخلافة، لمعاوية بعام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على (معاوية)، وَقَدْ لاَمَ (الحسين) لأخيه (الحسن) على هذا الرأى، فلم يقبل منه، والصواب مع (الحسن) حيث قال رسول الله ﷺ: (الْخِلاَفَةُ بَعْدِى فِى أُمَّتِى

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ١٧٦)س

(٢) الحديث صحيح: رواه البخارى، والإمام أحمد، وأبى داود، والترمذى، والنسائى - عن أبى بكر - رضي الله عنه - وجاء فى الروض (٩٢٣)، والإرواء (١٥٩٧)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (١٥٢٨).

ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ)[1].

قال (الحسن): (فوالله، والله بعد أن يولى، لم يهراق فى خلافته ملء محجمة بدم) [2].

وحينئذٍ دخل (معاوية) إلى الكوفة، فخطب الناس بها بعد البيعة، وذكر (ابن جرير)، أن (عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن على)، أن يخطب الناس ويعلمهم بنزوله عن الأمر لمعاوية، فأمر معاوية الحسن، فقام فى الناس خطيبًا، فقال فى خطبته بعد حمدالله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ: (أما بعد أيها الناس! فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدةٌ، والدنيا دولٌ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ (الأنبياء: ١١١) وقد قام رجلٌ إلى الحسن بن عَلِيٍّ بعدما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أَوَ يَا مُسَوِّدَ وجوه المؤمنين، فقال: لاَ تُؤَنِّبْنِي - رحمك الله - فإن النبى ﷺ أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك) وقال (الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى) فى تاريخ بغداد من حديث أبو العريف أنه قال: (كنا فى مقدمة (الحسن بن عَلِيٍّ) اثنا عشر ألف (بمسكن) مستميتين من الجد على قتال أهل الشام، وعلينا (أبو العمر طة)، فلما جاءنا مصلح (الحسن بن علىٍّ) كأنما كُسِرَتْ ظهورنا من الغيظ، فلما قَدِمَ (الحسن بن على) على الكوفة، قال له رجل منا يُقَالُ لَهُ: أبو عامر سفيان بن الكتل: السلام عليك يَا مُذِلَّ المؤمنين، فقال: لا تقل هذا يا عامر! لست بمذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملك) [3].

وعندما انقلب الضباط الأحرار فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على (الملك فاروق)

---

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والترمذى، وابن حبان، وجاء فى مسند أبى يعلى - عن سفينة - رضي الله عنه - وجاء فى السلسلة الصحيحة بأرقام: (٤٦٠، ١٥٣٤، ١٥٣٥)، وصحيح الجامع برقم: (٣٣٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد، (١٩٩٣٥)، وإسناده صحيح.

(٣) المصدر السابق: (٨/ ١٩)، والأثر جاء فى تاريخ بغداد برقم: (١٠/ ٣٠٥) (٥٤٥٤).

وخلعوه من الحكم قال الحرس الملكى للملك، لو أردت أن نقاومهم، لقاومناهم، ولغلبناهم، ولأن (الملك فاروق) كان يعشق مصر وترابها، ومن فيها، قال: لا، لا أريد أن تُرَاقَ نُقْطَةَ دَمٍ واحدةٍ من دماءِ المصريينَ، وقامت الثورة، ولم يَمُتْ إلاَّ وَاحِدًا، فالراعى، للرعية بمثابة الأب الحنون الذى يحرصُ دائمًا على ألاَّ يُرَاقَ أىَّ نُقْطَةَ دَمٍ واحدةٍ من دماء أبنائه، أَوْ يُخْدَشَ أَىَّ ظِفْرٍ مِنْ أَظْفَارِهِمَا، وَرَحِمَ اللهُ (عُمَرَ) حِينَ قَالَ: (خِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْ بَغْلَةٍ فِى الشَّامِ، لِمَ لَمْ أُسَوِّىَ لَهَا الطَّرِيقِ؟)، وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى (حَجَّاجِ) مِصْرَ الَّذِى يَقْتُلُ شَعْبَهُ، وَيُرْعِبُ أَهْلَهُ.

سَابِعًا: التَّمَكُّنُ وَالتَّمْكِينُ لِلْقَفْزِ عَلَى سُلَّمِ الْمَجْدِ بِاسْتِلاَمِ السُّلْطَةِ

أحياناً يتخيل الإنسان بفكره العقيم، وتصوره المريض أن يستطيعَ أن يُسيطر على قريةٍ بإرهابهِ، أو إرعابهِ لمن يسكنوها، فإذا وهبهُ اللهُ ذكورًا كُثُرْ زرع فيهم من الصغر الحقدَ، والعداوةَ، والبغضاءَ لكل من حوله من الجيران، وغيرهم من أهل بلدته، وجيرته، وحثهم على كرههم، والاختلاف معهم لأتفه الأسباب، فإذا كَبُرَ أبناءهُ، وَاشْتَدَّ عودهم، نشأ الخلاف، والحقد بينهم، وبين مناوئيهم، إلى أن تأتى الأيام بسحاباتها المظلمة، فتنشأ معركةً عظيمةً بين أبناء هذا الرجل، ومخالفيه، فيفقد من أبنائه ما يفقد، ويدخل السجون بقيتهم، ليجلسَ متحسرًا، نادمًا على ما زرعهُ: وما غرسهُ فى نفوس أبنائه من حقدٍ، وكرهٍ لأبناء بلدته، وجيرته، وأهله وعشيرته. فهل ينفع الندم، بعد فوات الأوان، وإراقة الدماء، وإعلان الأحزان؟

وهكذا كانت جماعة الإخوان حين كشفت عن هويتها، وأظهرت لشعب مصر ما خبأته فى جعبتها، وقامت بعرض ما فى (باطن الزير) من أسرارٍ عندما تولت السلطة فى الفترة من ٣٠ يونيو ٢٠١٢ إلى ٣ يوليو ٢٠١٣، قامت خلال فترة الـ(٣٦٨) يومًا بتفويض الشعب المصرى، وعزل جميع الأحزاب المخالفة لهم، وعدم الأخذ بحرية الرأى،

والرأى الآخر، حيث كشف (البنا) فى مؤتمره (الخامس) عداوته للأحزاب والمخالفين، فقال: (الأحزاب أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم) فحرم الاختلاط بالأحزاب، والحركات السياسية، ودعا أنصاره إلى مقاطعتها، وهذا ما التمسناه فى فترة حكم (المعزول) حيث أنهم قد جعلوا المراوغة هى ديدنهم، فكانوا يراوغون الأحزاب المعارضة مثل جبهة (الإنقاذ الوطنى) حتى أن (المعزول) كان يجتمع معهم فى (الاتحادية) فيطمئنهم، ويوافق على كل ما يُعرضوه من مقترحات، ثم بعد قيامهم يضرب بكلامهم عرض الحائط، وكان لا يستمع إلا من كان معه من جماعته، والأحزاب المنتمين لجماعته، ومن هم على منهجهم، كحزب الوسط وغيره ممن ينتسبون لفكرهم، ويندرجون تحت هويتهم وجلدتهم، ولكى تقوم الجماعة بالاستيلاء على مفاصل الدولة، وتولى السلطة، وإجبار الشعب المصرى على الخضوع لإرادتهم وقهرهم، وإذلالهم، قاموا بتنفيذ رسالة (البنا) فى المؤتمر الخامس، وَنَسِيَ (مَنْ يَدَّعِي الذكاء والفهلوة) أن جماعته لا تقدر على إذلال، أو قهر إرادة شعب قِوَامُهُ أكثر من تسعين مليونًا، وَنَسِيَ أيضًا أن تحالف (مبارك) مع أمريكا لم يمنع (أوباما) من قوله (لمبارك) «now - now - now» أى: اترك السلطة الآن، وَنَسِيَ أيضًا أن أمريكا وحلفاؤُها، كشركةٍ كبيرةٍ، أو صيدلية كبيرةٍ، أو سوبر ماركتٍ كبيرٍ، لا يهمها إلا ما يدخل في جيوبها، ولكى نقترب من المشهد أكثر إليك نص رسالة (المؤتمر الخامس) (لحسن البنا) وبنوده والذى يكشف عن سبع خصائص تميز دعوة الإخوان عن غيرهما، وهما كالآتى:

١- البعد عن مواطن الخلاف.

٢- البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان.

٣- البعد عن الأحزاب والهيئات.

٤- العناية في التكوين والتدرج في الخطوات.

٥- إيثار الناحية العلمية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات.

٦- شدة الإقبال من الشباب.

٧- سرعة الانتشار في القرى والمدن.

وأخطر ما فى هذه النقاط هى النقطة الرابعة، والتى تعتمد على ثلاثة وسائل، ألا وهما:

(الوسيلة الأولى):

• الكتائبُ: وَيُرَادُ بها تقوية الصف بالتعارف، وتمازج النفوس والأرواح، ومقاومة العادات والمألوفات، والمران على حُسن الصلة بالله تبارك وتعالى، واستمداد النصر منه، وهذا هو معهد التربية للإخوان.

(الوسيلة الثانية):

• الْفِرَقُ: وَيُرَادَ بها فرقٌ (للكشافةِ، والجوالةِ، والألعابِ الرياضيةِ)، والمقصد من ذلك، كما يَدَّعِي صاحب المؤتمر على:

- تقوية الصف بتنمية جسوم الإخوان.

- تعويدهم على الطاعة، والنظام: والأخلاق الرياضية الفاضلة.

- إعدادهم للجندية الصحيحة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم، وهذا هو معهد التربية الجسمية للإخوان، وهذا هو ما فعله (حسن البنا)، أو تابعه من بعده (عبدالرحمن السندى) فى (التنظيم الخاص)، (التنظيم لسرى)، وهو (جيش الإخوان)، أو (الميلشيات).

• دروس التعليم، وتفعيلها فى الكتائب، أو فى أندية الإخوان، وَيُرَادُ بها تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسةٍ جامعةٍ، لأهم ما يلزم الأخ المسلم بمعرفته لدينه، ودنياه، وهذا هو معهد التربية العلمية، والفكرية لهم، ثم يستطرد قائلاً: (وبعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة، نخطوا إن شاء الله الخطوة الثالثة، وهى

الخطوة العملية التى تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان، وبهذه الخطوات يكون التركيز على التربية بكل أنواعها الروحية، والعلمية، والفكرية، والجسمية، ثم يسأل (البنا) إخوانه، فيقول: متى تكون خطوتنا التنفيذية؟

يقول: نحن هنا فى مؤتمر أعتبره مؤتمرًا عَائِلِيًّا يضم أسرة الإخوان، وأريد أن أكون معكم صريحًا للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة: إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ).

ثم يلفت (البنا) الانتباه بعد ذلك لِبعْدٍ هَامٍّ لا ينبغى أن يضيع من الداعية، ألا وهو الاعتماد على محبة الله وعدم إغفالها أبداً وهؤلاء هم المجاهدون، وهم الصفوة القلائل من الأنصار، قد يُخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله، وفى قصة (طالوت) بيان لذلك، فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة، والاختبار الدقيق، وامتحنوها بالعملِ، العملِ القوىِّ البغيضِ لديها، الشاقِّ عليها، وأفطموها عن شهواتها، ومألوفاتها، وعاداتها.

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن مواصفات الكتيبة المؤمنة التى ينشدها (البنا) ليتحقق بها آماله وطموحاته، فيقول: (وفى الوقت الذى يكون فيه منكم – معشر الإخوان – ثلاثمائة كتيبة قد جُهِّزَتْ كُلٌّ منها نَفْسِيًّا، وَرَوْحِيًّا بالإيمان والعقيدة، وَفِكْرِيًّا بالعلم والثقافة، وَجِسْمِيًّا بالتدريب والرياضة، فى هذا الوقت طالبونى، بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزوا بكم كل عنيدٍ جبار، فإنى فاعل إن شاء الله، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم ﴾ (الأنفال: ٦٠) وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ)[١].

---

(١) هذا جزء من الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود، والترمذى، وغيرهما من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– ونص الحديث كالآتى، قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ) رواه أبو داود (٢٦١١)، والترمذى (١٥٥٥)، وابن خزيمة فى صحيحه (٢٥٣٨)، وابن حبان فى صحيحه (٤٧١٧)، وَخَرَّجَهُ الألبانى فى صحيح أبى داود (٢٢٧٥).

معنى قوله ﷺ: (وَلَنْ يُغْلَبَ) أى: لاَ يَصِيرُ مَغْلُوبًا، وقوله: (اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) أى: جميع قرائن الحديث دائرة على الأربع، واثنا عشر ضعفًا، ولعلّ الإشارة بذلك تدعو إلى الشدة والقوة، واشتداد ظهرانيهم تشبيهًا بأركان البناء، قاله: (الطيبى)، وقوله: (مِنْ قِلَّةٍ) معناه: أنهم صاروا مغلوبين لم يكن للقلة، بل لأمرٍ آخر سواها، وإنما لم يكونوا قليلين، والأعداء مما لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى، فعن هذه الأثلاث: جيش قوبل بالميمنة، أو الميسرة، أو القلب فليكفها، ولأن الجيش الكثير المقاتل منهم بعضهم، وهؤلاء كلهم مقاتلون، ومن ذلك قول بعض الصحابة يوم (حنين)، وكانوا اثنى عشر ألفًا، لن نغلب من قلة، وإنما غُلِبُوا من إعجابٍ منهم، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ (التوبة: ٢٥) وكان عشرة آلاف من المدينة، وألفان من مُسْلِمِى فتح مكة[١].

وقد تأكد فى نص رسالة (البنا) فى المؤتمر الخامس، وأكدت كل الشواهد على أرض الواقع فى أيام حكم (المعزول)، وبعد فَضِّ اعْتِصَامِىْ (رابعة العدوية، و(ميدان النهضة) من اغتيالات للمتظاهرين السلميين، وبعض السياسيين، وبعض ضباطِ وجنودِ الجيشِ والشرطةِ، وتفجيراتٍ للمنشآتِ الشرطيةِ والجيش، وإصابة الأحياء بالشلل التام، مِمَّا يُؤَكِدُ يَقِينيًّا أن (جماعة الإخوان) لهم (تنظيمٌ سِرِّىٌّ، أو جيشٌ، أو ميلشياتٌ)، ولكى نكتشف الحقيقةَ واضحةً جليةً، سيقومُ الأستاذ (ثروت الخرباوى) بإزاحةِ الستارِ، لِنَرَى الحقيقةَ رَأْىَ الْعَيْنِ، فَيَقُولُ: قص علينا (محمود الصباغ) خبر البيعة، وهو الذى كان مسئولاً عن تنظيم الإخوان فى الجيش، أى: (قسم الوحدات) فقال: (كانت البيعة تتم فى منزل بحى الصليبية، حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه، والأخ (عبدالرحمن السندى) المسئول عن تكوين الجيش الإسلامى داخل الجماعة، وبعد

(١) تحفة الأحوذى بشرح الترمذى: (٤/ ٥٠٤)

استراحة فى حجرة الاستقبال يتوجه ثلاثتهم إلى حجرة البيعة فيجدونها مطفأة الأنوار، ويجلسون على بساطٍ فى مواجهة أخ فى الإسلام مُغطى الجسد تمامًا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه برداء أبيض يخرج من جانبه يداه ممتدتان على منضدةٍ منخفضةٍ (طبلية) عليها مصحف شريف، ولا يمكن للقادم الجديد مهما أمعن النظر فيمن يجلس فى مواجهته أن يُخمن بأى صورة من صور التخمين من عسى أن يكون هذا الأخ، وتبدأ البيعة، بأن يقوم الجالس فى المواجهة ليتلقاها نيابة عن (المرشد العام) بتذكير القادم للبيعة بآيات الله التى تحض على القتال فى سبيله، وتجعله فرض عين على كل مسلمٍ ومسلمةٍ، وتُبين له الظروف التى تضطرنا إلى أن نجعل تكويننا سَرِّيًا فى هذه المرحلة، مع بيان شرعية هذه الظروف، فإننا نأخذ البيعة على الجهاد فى سبيل الله حتى ينتصر الإسلام، أو نهلك دونه مع الالتزام بالطاعة والكتمان، ثم يُخْرِجُ من جانبه مسدسًا، ويطلب للمبايع أن يتحسسهُ، وأن يتحسس المصحف الشريف الذى يُبايع عليه، ثم يقول له: فإن خُنْتَ العهدَ، أو أفشيتَ السِّرَّ، فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير، فإذا قبل العضو بذلك كُلِّفَ بأداء القسم على الانضمام عضوًا فى الجيش الإسلامى والتعهد بالسمع والطاعة) ثم يستطرد الكاتب قائلاً: عندما قرأت للرجل الذى كان مقربًا من (حسن البنا) أى: سكرتيره، ومسئول التعليمات فى التنظيم (محمود عساف) والذى أخرجت له المطابع كتابه الشهير مع (الشهيد حسن البنا) فتقع عينى على صفحات من الكتاب يقول فيها (عساف): (فى يومٍ من أيامِ سنة ١٩٤٤ دُعيت أنا والمرحوم الدكتور (عبدالعزيز كامل) لكى نؤدى بيعة النظام الخاص، ذهبنا فى بيت فى حارة الصليبية، ودخلنا غرفة مُعتمة يجلس فيها شخص غير واضح المعالم يبدو أن صوتُه معروفٌ وهو صوت (صالح عشماوى)، وأمامهُ منضدةٌ منخفضةٌ الأرجلِ، وهو جالسٌ أمامها مُتَرَبِّعًا، وعلى المنضدة مصحف ومسدس، وطلب من كل منا أن يضع يده

اليمنى على المصحف والمسدس، ويؤدى البيعة بالطاعة للنظام الخاص، والعمل على نصرة الدعوة الإسلامية، كان هذا موقفًا غريبًا يبعث على الرهبة، وخرجنا معًا إلى ضوء الطريق، ويكاد كل منا يكتم غيظه)[1].

أما عن الميلشيات، فيسترسل الأستاذ (الخرباوى) قائلاً: (فى ليلة من شتاء ١٩٨٩م دعانى أخ من الإخوان المقربين إلى قبى اسمه (عادل السودانى) لحضورِ تدريباتٍ رياضيةٍ فى نادى الشمس، يعقبها مبارلة فى كرة القدم، استجبت لدعوته وانتظمت فى هذه التدريبات وكانت معى مجموعة من الإخوان وبعض أفراد لم أكن أعلم هل ينتمون للإخوان أم لا، وكان ينظم هذه التدريبات أخ اسمه (مصطفى) لم تكن هذه التدريبات عادية، فقد كانت أبواب نادى الشمس تُفتح لنا بعد منتصف الليل، بعد أن ينصرف كل رواد النادى، وكان الذى يفتح لنا النادى بعد إغلاقه أحد الأعضاء البارزين فى النادى وهو المرحوم (أشرف فوزى) الذى كان بطلاً من أبطال إفريقيا فى رياضة (الجودو) وقتها، وكان يقوم بأعمال مدير أمن الندى، وكنا نُجْرِى تدريبات رياضية متنوعة منها السباحة، وكان (أشرف فوزى) يُعطى تعليماته لمشرف حمام السباحة بتسخين ماء الحمام إذ أننا كنا فى شهر الشتاء، وكنا نتدرب أيضًا على رياضة (الكونغو فو) حيث كان يقوم بتدريبنا عليها الأخ (أحمد)، وأحيانًا كان يحضر لهذه التدريبات أخ من إخوان منطقة مصر الجديدة من المشاهير فى رياضة (الكاراتيه) (اسمه أيمن)، وقد كان بطلاً لمصر فى هذه الرياضة، وفى بعض الأحيان كانت تتم بيننا مباريات (كونغو فو) عنيفة حامية الوطيس، وأذكر أن أولى تلك المباريات كانت التحامًا عنيفًا بين الأخ الأستاذ (أحمد) بطل إفريقيا فى الكونغو فو، وكان مرشحًا لبطولة العالم، والأخ الدكتور (أيمن) بطل مصر فى الكاراتيه، وقد تفوق (أحمد) على (أيمن) تفوقًا واضحًا لدرجة أن (أيمن) لحقته

(١) سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوى، ص: (٢٢٤-٢٢٥).

إصابات متعددة فى كل أنحاء جسده من جرَّاء هذه المبارة)[1].

ومما قاله الحاج (لاشين أبو شنب) عن تاريخ الجماعة، و(حسن البنا): (الجماعة قامت على فكرة، والفكرة تظل نظرية طالما أنها فى الكتب، فإن أراد لها أصحابها أن تُصبح واقعًا، فلابد أن تساندها قوة) وعندا أعلن الدكتور (جمال عبدالهادى) فى إحدى حواراته قائلاً: (ولكن نصيحتى لكم أن تستعدوا ليوم التمكين، فى هذا اليوم يجب أن نكون جاهزين أصحاء أقوياء، فالمؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، ولقد عرفت من وَقْتٍ قريبٍ أن بعض الإخوة يقومون بعمل تدريبات رياضية، وليت هذه التدريبات تكون نواة لجيش مسلم، يقف فى مواجهة اليهود فى اليوم الموعود، كل منكم يجب أن يشترك فى هذه التدريبات)[2].

إذن كل الشواهد وكل الخيوط دلّت على أن (جماعة الإخوان) كانت تَعُدُّ نفسها للحظة التمكين من العدو، والعدو المستباح فى نظرها، ليس العدو البعيد أى: اليهود كما كانوا يزعمون، ولكن ما كانوا يَعُدُّونَهُ من خلفِ الستارِ، وتدريبات النظام الخاص، والميلشيات، كان للعدو القريب، أى: الشعب المصرى بهيئاته وسلطاته، وذلك يجعلنا نطرح سؤالاً، هل (حسن البنا) بدأ دعوته بالفكرِ الدعوىِّ، أم الفكرِ التطرفىِّ؟

كان (حسن بن على بن محمد الصباح) الشيعىُّ الشهيرِ، وصاحب المذهب الإسماعيلىِّ، مُنتميًا فى صغره كأهله إلى الإثنى عشرية، ثم تقابل مع شيخين كبيرين، فأقنعاهُ بأن يَحُطَّ رحالهُ فى المذهب (الإسماعيلى)، فتفقه فيه، ثم أنشأ جماعته (جماعة الدعوة) والتى عُرفت تاريخيًا باسم (الحشاشين) ومنها أنشأ فرقة الاغتيالات التى قامت باغتيال الكثيرين، وكان منهم الوزير نظام الملك (السلجوقى) الذى كان بمثابة كبير للوزراء، أى: (رئيس وزراء)، وكان يرى سيد قطب فى أواسط الأربعينات شبهًا كبيرًا بينه وبين (حسن البنا)

(١) المصدر السابق: ص (٢٥٦-٢٥٧).

(٢) مواقف متفرقة من المصدر السابق.

زعيم الإخوان [1].

وكان السؤال الذى يتردد فى ضمير (حسن البنا) دائمًا هو: هل تنفصل الدعوة عن الداعية؟ وحين أجاب عن هذا السؤال بعد سنواتٍ طويلةٍ كان ذلك عن طريق كتابه الوحيد الذى جعل عنوانه (مذكرات الدعوة والداعية).

نظر الصبى (حسن البنا) حوله يبحث عن طريقةٍ إسلاميةٍ تُشبع ذاته، فالتمسها فى (الطريقة الحصافية الصوفية)، فانخرط فيها، ونهل منها، ثم أخذ وهو فى سن المراهقة، عهد الطريقة الحصافية على يد شيخها (عبدالوهاب الحصافى) والذى سمح له بعد أَخْذِ العهدِ بالقيامِ بأدوارِ الحضرة ووظائفها بمسجد التوبة بدمنهور بمديرية البحيرة، وكانت هذه الطريقة هى بداية الطريق للبنا، تعلم من شيخها وأخذ من شيوخها (حلمى زكريا، وحسن خزبك) وغيرهما، ومنهم عرف التنظيم وآلياته والسمع، والطاعة، والثقة فى الشيخ، وأدرك أن وسيلته فى إقامة تنظيمٍ قوىٍّ مُحْكَمٍ يُدِينُ له بالولاء؛ لا تكون إلا بطاعة الأعضاء، كما يُطيع المريد شيخه، ففى الصوفية يكون المريد بين يَدَىْ شيخه كالميت بين يدى من يغسله، يقلبه كيف يشاء، وهكذا أصبح (البنا) فى مقتبل أيامه، وهكذا أصبح الإخوان بين يدى (البنا)، ولذلك فقد وجد أن طريق العلم والفقه ليس هو طريقه، ولكن طريقه، كما كان يقول: هو صناعة الرجال [2].

وقد صنع (حسن البنا)، ورفقاء طريقه من بعده الرجال كما يَدَّعُونَ، وجهزوا جيش الإسلام، بتدريباتهم العسكرية، وتنظيمهم السِّرِّىِّ، وميلشياتهم، فأصبحوا يَعُدُّونَ الْعُدَّةَ ليوم التمكين، ولكن ينقصُ تكملة الدور إلى آخره الموارد المالية التى تُدَعِّمُ ذلك، ثم دعم الدول الخارجية للوصول إلى الحكم:

(١) أئمة الشر، للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (١٦).

(٢) المصدر السابق. ص: (١٣٢).

أولاً : الموارد المالية :

كان (موضوع الأقصى) يُعطى الفرصة (لجماعة الإخوان) للمزايدة على الجميع، فيطالبون بفتح باب التطوع لإنقاذه، ويعنى هذا، فتح معسكرات التدريب، وفتح باب التبرع لجمع المال من جديد، ثم شراء الأسلحة، ثم تخزينها، لتتكدس خزانة الإخوان بالأموال من تبرعات المسلمين من كل الدول الإسلامية، ليتكرر ما حدث سنة ١٩٤٨، لأنهم لن يتركوا الفرصة السانحة تمر، المهم انتهاز جميع الفرص الممكنة لإحداث الفوضى وإثارة البلبلة، ومن ثَمَّ النفاذُ إلى هدفهم وهو إحكام السيطرة على مقدرات هذا البلد، ولديهم فتاوى دائمةً لكل موقف يحللون من خلالها استباحة كل شيء لهم ولمصلحتهم. وقد ظهر الأستاذ (سالم البهنساوى) وهو من (جماعة الإخوان) وتحيط حول اسمه وموقعه علاماتِ استفهامٍ كبيرةٍ، وخاصة حول علاقاته بالإخوان فى الكويت، والإخوان فى مصر، ظهر فى حديثٍ مثيرٍ للاهتمام، خلال برنامج شبكة التليفزيون، كشف فيه أنه كان مسئولاً عن التصرف فى أموالِ الْقُصَّرِ، واليتامى فى دولة الكويت عن طريق عمله فى وزارة الأوقاف الكويتية، وأنهم أفتوا أن تلك الأموال ينبغى أن تستثمر حتى لا تأكلها أموال الزكاة سنة بعد الأخرى، وقاموا هم باستثمارها وإخراج الزكاة عنها، وهذه الأموال تُقَدَّرُ بالمليارات، ولك أن تتصور حجم الأموال التى تم تحويلها للإخوان عن هذا الطريق، وهو سبيلٌ واحدٌ، فما بالك بباقى دول الخليج، وباقى الأساليب الأخرى المتبعة للسيطرة على المال وإنفاقه فى سبيل تحقيق أغراضهم، ناهيك بجمع أموال الزكاة من جميع أغنياء المسلمين فى الخليج، وفى غير الخليج حتى هنا فى مصر، فإنهم يتقربون من كل الأغنياء الذين تعدت رؤوس أموالهم المليون ويحيطونه كظله حتى لا يرى إلا من خلالهم ويتم السيطرة عليه لحسابهم، ثم يمتصون أمواله، وَيَا حَبَّذَا لو كان غير متعلم، ولا متحضر، ليصبح فريسة أسهل، وللدين تأثير السحر على الأفراد من هذا النوع، ولذلك يسهل قيادة وتوجيه من أرادوا استنزافه، وقديمًا حين

خرجَ (الإخوان) من السجون بِعَفْوٍ من الرئيس (السادات) الذى كافئوه بالاشتراك فى قتله يوم عيدالنصر، وحين خرج الإخوان وظهر أن (عمر التلمسانى) هو المرشد الجديد، فانهالت عليه الأموال من جميع بلاد العالم، وتم إِهْدَاؤُهُ خمس سياراتٍ لاستعمالِهِ الشخصىِّ، وكان مبهورًا من كل هذا، ولا يدرى أىَّ سيارةٍ يركبُ، المهم أن الإخوان لهم وسائل كثيرة فى جمع الأموال، وقد أصدر الأستاذ (سالم البهنساوى) فى الكويت فتوى تقول: (أن للحاكم الحق فى اختيار الرأى الذى يطبق فى البلاد حتى ولو لم يكن الرأى الراجح) وقد استدل بوقائع ثابتة، والفتوى صحيحة، ولكنهم يطلقون للبعض ويحجبونها على البعض الآخر، بمعنى أنهم يطلقون الفتاوى المناسبة لحكام الخليج، حتى يتركوهم ويطلقوا أيديهم ليفعلوا ما يريدون، فهل هذه الفتاوى يمكن السماح للحاكم فى مصر أن يتعامل معها، أو يستعملها؟ [1]

وقد ذُكِرَ على سبيل المثال، وفى إحدى القنوات الفضائية، على لسان الشيخ (نبيل نعيم) أنه قال: (كان جماعة الإخوان وزوجاتهم يجتمعون ببعض الأسر فى بعض دول الخليج، وكانوا فى حينها يطلقون عبارات الجهاد، وكانت الأخوات الإخوانيات يقمن بإلقاء كل ما تقتنيه فى أيديهن وصدورهن وتضعهن فى حجور بعض رجال الإخوان، فيقوم الإخوان بالتهليل، وإطلاق الشعلرات وقول الله أكبر، فيقمن الأخوات الخليجيات بإلقاء ما فى أيديهن، وصدورهن من الذهب، كما فعلت نساء الإخوان، يقول الشيخ: ما كانت تلقيه نساء الإخوان، لم يكن ذهبًا، ولكنه كان قشرة، أى ذهبٍ مضروبٍ).

وقد بلغ دخل (جماعة الإخوان) سنويًا بنحو (مليار، و٢٠ مليون جنيه) من جيوب فقراء التنظيم، لأن الجماعة تعتمد على تمويلات الأعضاء كمصدر رئيسى لتمويلها، حيث تقوم بتجميع اشتراكات من أعضائها كُلٌّ على قدر استطاعته، ويتم تجميع الاشتراكات

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوى ص: (٣٩).

عن طريق (الأسر، والشعب الإخوانية بالمحافظات) إلى ما يسمى داخل الجماعة (بيت مال الإخوان)، والاشتراكات تتراوح نسبها بين ٧٪، و٨٪، و١٠٪ حسب مرتبات ودخول أعضاء الجماعة، وهناك لجنة مسؤولة عن تجميع أموال الإخوان وصرفها فى الأنشطة التى تقوم بها، ويدفع كل عضو داخل التنظيم ٧٪ من المرتب، أو الدخل الخاص به، ويتم تقسيمها كالتالى: (٥٪ من ذلك الدخل لأنشطة الجماعة، ١٪ لأنشطة حزب الحرية والعدالة، ١٪ لدعم حركة حماس فى فلسطين) وحسب مصادر فى الجماعة، فإن العضو العامل فقط يدفع الاشتراك الشهرى، وعليه فإذا كان عدد أعضاء الجماعة العاملين نحو (٩٥٠ ألف عضو) حسب تصريحات بعض قيادات الجماعة، فإن مقدار الدخل الشهرى للجماعة فى حال ما إذا كان متوسط الاشتراك الشهرى لكل فرد نحو (١٠٠ جنيه) فقط سيبلغ (٩٥ مليون جنيه شهريًا) بما يعادل (مليار، و٢٠ مليون سنويًا)، ومصادر بالجماعة قالت (للتحرير) إن رواتب أعضاء مكتب الإرشاد تصل إلى (٨ مليون جنيه سنويًا) تدفع كمصاريف لمكتب الإرشاد ورواتب موظفيه، ومنهم موظفو الموقع الرسمى للجماعة (إخوان أون لاين) وبعض المواقع التابع لهم على (الإنترنت) ومبلغ (٥ ملايين جنيه) تُمَوَّلُ نفقات ورواتب القائمين بأعمال خاصة، وهم مجموعة من الرجال والنساء يتحفظ مكتب الإرشاد على الحديث عن أسمائهم، أو وضعها داخل أى كشوف لحساسية مراكزهم وهم من نطلق عليهم (الخلايا النائمة) رجال الإخوان فى كل مكان، و(٦ ملايين جنيه) كانت تدفع لوسائل الإعلام، أو بمعنى أصح للقائمين على وسائل الإعلام من مقدمى برامج، ومعدين، ومديرى قنوات، لتجميل وجه الجماعة، ومهاجمة من ترى فيهم الجماعة خطرًا عليها، وأيضًا يمول ذلك المبلغ مصروفات أعضاء (لجان الدعوة الإلكترونية) وهى مجموعة كبيرة من شباب الإخوان تنتشر على (فيسبوك) والمواقع الاجتماعية للدعوة للإخوان، أو للرد على ما ينشر عنهم على تلك المواقع والتى يُطلق عليها لجان (الكترونية)، و(٥ ملايين جنيه) تخصص لمصاريف سفريات أعضاء

البرلمان من الإخوان، وأصبحت ممتلكات الجماعة واستثماراتهم تنتشر فى شتى بقاع المحروسة حيث يشاركون فى فنادق (فيرمونت) بمصر الجديدة، وهو المكان المفضل للقاءات الجماعة، وفندق (سيتى ستار، ومول العرب التجارى بـ٦ أكتوبر)، والعديد من مصانع تجمع السيارات، وسلاسل السوبر ماركت، إضافة للسيطرة على أسواق أجهزة الكمبيوتر، صحيفة (واشنطن بوست) أوضحت فى مقال لها أن ما يظهر من ثروات وأموال (جماعة الإخوان) فى مصر وباقى دول العالم، لا يزيد على كونه الجزء الظاهر من (جبل الثلج) يختفى معظمه تحت الماء، هذه هى خلاصة التحقيق الذى أجراه الصحفى الأمريكى (فرج دوجلاس) الذى عمل فى السابق مديرًا لمكتب صحيفة (واشنطن بوست) فى غرب إفريقيا، تحت عنوان (اكتشاف جزء صغير من إمبراطورية شركات الأوف شور لجماعة الإخوان الدولية) وقدم دوجلاس تقريرًا يُعتبر من أوائل التقارير التى كشفت عن مصادر تمويل الإخوان وفيها أوضح الكاتب أن (الإخوان) نجحوا مع بدايات ظهور البنوك الإسلامية التى ظهرت فى الثمانينيات فى بناء هيكل متين من شركات الأوف شور، والتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من قدرتها على إخفاء، ونقل الأموال حول العالم، فهى شركات يتم تأسيسها فى دولة أخرى غير الدولة التى تمارس فيها نشاطها، وتتمتع هذه الشركاتِ بغموضٍ كبيرٍ، يَجْعَلُهَا بعيدةً عن الرقابةِ[1].

ثانياً: الاستقواء بالخارج للوصول إلى السلطة:

بعد أن اطمأنت (جماعة الإخوان) إلى أن خزائنهم قد تكدست بالأموال، لأن المال عصب الحياة، وبعد أن اطمئنوا أن لهم ميلشياتٍ، أو جيشٍ يحميهم من الداخلِ، وبعد أن حصلوا على ٨٨ مقعدًا من مقاعد مجلس الشعب، أصبح الأمل يحدوهم ناحية السلطة، وامتلاك مصر وإخضاعها إلى قبضتهم، أو سطوتهم، وهذا الأمل لم يكن وليد

(١) جريدة التحرير - الجمعة ٢ أغسطس ٢٠١٣ م - ٢٤ رمضان ١٤٣٤ هـ - (السنة الثالثة) - العدد (٧٦١) ص: (٦).

اللحظة فقط، بل كان هذا الفكر يتملكهم من قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وبمرور أكثر من ستين عامًا لم ينقطع هذا التفكير من مخيلتهم، بل كانوا يَعُدُّونَ لَهُ الْعُدَّةَ كل يوم ويطوعونها جيلاً بعد جيلٍ، وقد استحوذ على تفكيرهم أن ذلك الأمل لا يحصلون عليه إلا بالاستقواء بالخارج، وكانت هذه الفكرة لم تكن مصادفةً، ولكنها كانت قديمة من أيام المرشد الرابع (محمد حامد أبو النصر)، ومن قبله المرشد الأول (حسن البنا) حيث إنه كان عميلاً للمخابرات البريطانية، وقد حصل على مبلغ ٥٠٠٠ جنيه مصرى آنذاك من إيراد قناة السويس التابعة، أو الخاضعة لدولة بريطانيا آنذاك، وكانت هذه أول دفعة تدخل (لجماعة الإخوان) على سبيل التبرعات، وإليك عزيزى القارئ تفاصيل العلاقة بين (جماعة الإخوان)، و(بريطانيا) أولاً، ثم (أمريكا)، وخطة التمكين لحكم مصر: كشفت (عملية الملاءة الرطبة) تفاصيل هذه العلاقة، وما كان فيها من أسرارٍ واتصالاتٍ بين (جماعة الإخوان)، والـC.I.A تحت تسمية فرقة عملية (الملاءة الرطبة) في الفترة من عام ١٩٨١ حتى عام ٢٠١٣ تأمين مصالح مصر، وقد سميت هذه العملية بمجموعة (الكانفاس) - CANVAS - والتى تُعْنِى في عالم أجهزة الاستخبارات (الخام السرية)، أو مجموعة الأشرعة المجردة في أسرار دولة ما وهؤلاء مثلما ظهروا بالاسم واللقب تِبَاعًا وهم: (إم بابيك - إل جورديش - إم ويلسون - آربهالا - إم دوجرو - واى سعيد - كيه بوخارى - إف بوتون - إس نونان - بى بارسلى - إيه كوليبيا سانو - بى برايسلر - كيه هوبر - كيه كيه بولدين - إن هاجز - كيه فارنهام - إل فيدركا - إم جيرتكن - إيه واج) مع العلم أن ملف العملية ضم اسمين آخرين لعميلين محليين عملاً لحساب وكالة الاستخبارات المركزية C.I.A في دولة (البوسنة) جُنِّدَا وَدُرِّبَا ثوارًا مصريين شباب وللعميلين علاقةً مباشرةً بثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م وهما الضابط (سلو يودان)، والضابط (سركيب) واللذان عملا سرًّا في شركة إعلامية ما زالت نشطة وتداركوا جهة استخباراتية أمريكية في مدينة (سرايفوا) عاصمة جمهورية

البوسنة والهرسك، وهذه الحقائق موثقة من برقية شديدة الأهمية حُرِّرَتْ من القاهرة تحت رقم ٢١٢٢١٠ من تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٨٦ الساعة العاشرة وثلاثة وأربعون دقيقة مساءً بتوقيت القاهرة صُنِّفَتْ تحت بند (منتهى السرية) وَأُرْسِلَتْ بشكل عاجل إلى واشنطن برقم كود (٧٦٤٨٠)، وقبل نقل تلك الوقائع نوجه عناية القارئ في نفس السياق علاقة (جماعة الإخوان)، (وبريطانيا) حيث كشف في اللقاء الأول الذى دار بين المرشد (أبو النصر) ووكالة الاستخبارات الأمريكية حيث قال: (أن الرئيس (السادات) منح مرشد الجماعة الثالث (عمر التلمسانى) موافقةً خاصةً للاتصال بالسفارة البريطانية في مصر، لكنه رفض بشكل قاطع أن يتصل الإخوان بواشنطن. وأنه استغل موافقة السادات وقام بعقد علاقة سرية مع حكومة رئيسة الوزراء البريطانية (مارجريت تاتشر) غير أن الاتصالات السرية بين الجماعة والحكومة البريطانية لم تتم كطلب السادات في مدينة القاهرة، بل جرت سِرًّا في لندن بمنأى عن أعين الأجهزة الأمنية المصرية، والمثير من واقع بروتوكول ملف عملية (الملاءة الرطبة) أن ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A فاجأوا (أبو النصر) في أول لقاء، وكشفوا له أن (عمر التلمسانى) المرشد العام الثالث للجماعة كان من أقوى وأخلص أصدقاء الولايات المتحدة في مصر ومع ذلك لم يسبق له طلب التعهدات التى أصر (محمد حامد أبو النصر عليها)، بل حرص (التلمسانى) خلال الفترة من عام ١٩٨٤ وحتى عام ١٩٨٦ على التفاعل بشكل أسبوعى منتظم متفق عليه مع ضباط الجهاز الأمريكى في مصر لدرجة أنه قابل أحدهم قبيل وفاته مباشرة وهو على فراش المرض، فبرر (أبو النصر) أنه هدف بطلبه تغطية وتأمين مستقبل الاتصالات السرية مع الولايات المتحدة، وهو التزام الإدارة الأمريكية بصيغة الحاضر والمستقبل السيادية بحماية أسرار العلاقات والاتصالات السرية بين الولايات المتحدة وجماعة الإخوان في مصر، ثم طلب سماع رأى البيت الأبيض في الإسلام السياسى المعتدل ساعيًا للتعرف على متطلبات المصالح الأمريكية في تلك الفترة في مصر، وفى

اللقاء كشف (أبو النصر) ونائبه (مشهور) عن مخاوف (جماعة الإخوان) من بطش وانتقام الجماعات الإسلامية السلفية المتشددة إذا نمى لعلمهم الاتصالات الأمريكية - الإخوانية السرية، وفى مفاجأة من العيار الثقيل وَثَّق ملف عملية (الملاءة الرطبة) تعاون (جماعة الإخوان) المصرية على مدى (ثلاثة وثلاثين عامًا بداية من عام ١٩٧٥ وحتى نهاية عام ٢٠٠٨ مع وكالة الاستخبارات المركزية C.I.A) وأن الجماعة كَرَّسَتْ ذلك التعاون بينها وبين الجهاز الأمريكى لأعوام جمعت فيها لحسابه المعلومات عن الجماعات والفصائل الدينية الإسلامية المتشددة بدعوى محاربة التطرف والعنف الدينى بمنطقة الشرق الأوسط والقضاء على خصومها الإسلاميين المتشددين في مصر، الأمر الذى دفع (فرانسيس ريتشاردونى جونيور) السفير الأمريكى الذى رشحته واشنطن سفيرًا للقاهرة بتاريخ ٢ أغسطس ٢٠٠٥م حيث أُمْلِيَ على (وليام آرستيوارت) الوزير المفوض والمستشار السياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة البرقية (منتهى السرية) قيدت برقم ٥٦٢٠ بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠٠٨م كود رقم ٦٤٧٤ سجل فيها رأيه الشخصى كسفير عن (جماعة الإخوان) المصرية إلى الإدارة الأمريكية في واشنطن كتب فيه: (أعتقد بقوة أن جماعة الإخوان المصرية مصابة بمرض (شيزوفرينيا) رفض الواقع السياسى، وأن المرض تمكن من أعضائها بدايةً من مرشدها العام السابع (محمد مهدى عاكف) وحتى أصغر عضو في الجماعة ... انتهى)[1].

وعطفًا على ذلك ما كتبه الأستاذ (ثروت الخرباوى) في كتابه (سر المعبد) حيث قال: في ضحى عام ٢٠٠٣ كنا عند الدكتور (سعد الدين إبراهيم) وكنا ثلاثة لا رابع لنا (مختار نوح، وخالد بدوى، وأنا)، واستقبلنا الرجل خير استقبال، وتصادف أن كان عنده وقتها بعض الزملاء المحامين المنشغلين بحقوق الإنسان أذكر منهم الأساتذة

(١) جريدة الصباح - الاثنين ٥ ربيع أول ١٤٣٥هـ - ٦ يناير ٢٠١٤م - السنة الثانية - العدد: (٢٨) ص: (١٣).

(أحمد عبدالحفيظ، ونجاد البرعى، وفاطمة ربيع) وحين انفردنا بالدكتور هنأناه بسلامة الخروج من السجن، وتذكروا معًا ما كان يدور بينهم من حوارات أهمها ما يتعلق برغبة الإخوان في التقارب من الغرب، ومن الحوار عرفت أن الدكتور (عصام العريان) حين كان في السجن فتح هو الآخر حواراً مع الدكتور (سعد) بهدف التقارب مع أمريكا على وجه الخصوص وأن الدكتور (سعد) وعده بأن يبذل جهده في هذا الأمر [1].

وكان من بين الحوار أن الإخوان كتنظيم له أهدافه، وفكرته، وسيسعون إلى استخدام هذه المنافذ لا ليبحثوا عن حريتهم، ولكن ليصلوا إلى حكم البلاد، فيكون التنظيمُ الحديديُّ الذى يطوى في داخلِهِ أسرارٍ لا يعلمُ أحدًا عنها شيئًا وهو الاستقواء (بأمريكا) لوصولهم إلى الحكم، لا بالاستقواء بالشعب [2].

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: وفى أحد الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٥ ذهبت إلى أحد أعضاء مكتب الإرشاد فى بيته وهو من الإخوة الكبار أصحاب التاريخ، وفى هذا اليوم، كان متأثراً مهتاج المشاعر ساخطًا وبعد عبارات الترحيب ابتدرنى قائلاً: (الجماعة بدأت تسير فى هذه الأيام ناحية طريق خطير، تعجبت قائلاً كيف؟ قال: هو علاقتنا بأمريكا أخذت فى التطور، بيننا الآن مراسلات، واتفاقات، قلت: هذا شيءٌ طيبٌ فى رأيى، فأنتم فى أَمَسِّ الحاجة إلى من يخفف عنكم الضغوط الأمنية التى تُمَارَسُ عليكم قال: ولكن الاتفاقات تتجه ناحية تيسير طريقنا نحو الحكم، أمريكا ترغب فى أشياء تريدها منا ونحن نريد منها أشياء، وما تريده مِنَّا يخالف الثوابت التى دفعنا عنها لسنوات، قلت: ومن منكم يتفاوض مع أمريكا؟ قال: (خيرت الشاطر، وعصام العريان) وأحيانًا يكون هناك أشخاص بعينهم يقومون بمهام محددةٍ، قلت: وكيف تسكت على هذا الأمر؟ وكيف يسكت أيضًا الدكتور (عبدالمنعم أبو الفتوح، والدكتور محمد حبيب)؟!

(١) سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوى ص: (١٣٢)

(٢) المصدر السابق ص: (١٣٣).

قال: هذه المعلومات متكتم عليها جدًا حتى أنها لا تصل إلينا، ولا نناقشها فى مكتب الإرشاد وإنما يقوم بها (الشاطر) من وراء ظهورنا، وقد وصلت لى من خلال بعضهم، وكانت رسالة مرسلة من أحد الإخوان المسئولين فى أمريكا إلى (خيرت الشاطر) بها بعض المعلومات الخطيرة، وهم يطلقون على (خيرت) BIG أى: الرئيس والكبير، أو الهام، لذلك الخطاب موجه من إلى .B)[1].

● ونص الرسالة، أو الخطاب كالآتى:

السلام عليكم ورحمة الله – تحياتى وأشواقى لجميع الأخوة، أما بعد:

كانت الجهود التى بذلها دكتور (برونلى) أثرًا طيبًا في تقريب وجهات النظر إلى حدٍ كبيرٍ إلا أنه ما زالت بعض الاختلافات في وجهات النظر، وقد ظهر لى أن مستر (أيرلى) مُتَمَتِّعًا إلا أننى أوضحت للأصدقاء الآتى:

١-لن نغير خريطة المنطقة السياسية.

٢-نتعهد بالحفاظ على كل المعاهدات والاتفاقيات، وأبدى الأصدقاء سعادتهم بتصريحات المرشد عن إسرائيل وقالوا عنه: (He – is – a respectable – man) أى: هو يكون رجل محترم.

٣-نقبل وجود إسرائيل بالمنطقة، وقالوا: (أنه ينبغى ألا ننظر إلى إسرائيل، كما تنظر الحكومة إلينا، فلا هى محظورة، ولا نحن محظورون).

٤-أوضحت لهم إصرارنا على أن تقوم الإدارة الأمريكية بدعم التحول الديمقراطى بالمنطقة، وقد ظهر لهم من نتائج المرحلة الأولى أننا أصحاب الرصيد الجماهيرى، وقد أوضح الأصدقاء:

أ- سعادتهم بجرأتنا في تناول قضية الحوار مع أمريكا، وأن التناول كان واقعيًّا

(١) المصدر السابق ص: (١٣٦).

إلا أنهم أبدوا استياءهم من مسألة الحوار، وينبغى أن يتم عبر وزارة الخارجية المصرية، وقالوا: إننا ينبغى أن نتخلص من هذه النغمة.

ب- أوصوا بطرح مسألة الحوار مع أمريكا على أوسع نطاق حتى تصبح أمرًا واقعًا، وقتها لن يبحث الناس عن شرعية الحوار، ولكنهم سيبحثون عن نتائج الحوار.

ج- يجب أن يقدم الإخوان الحرب، وأن يكون هذا في خلال عام، وسيمارس الأصدقاء ضغوطًا على الحكومة للموافقة عليه.

د- تدعيم الحوار مع الحزب الوطنى، والتنسيق معه في القضايا الكلية ولا مانع من الاختلاف في الفرعيات.

هـ - ضرورة الحفاظ على الكيان الحاكم وعدم خلخلته دستوريًّا، أو شعبيًّا، وعدم المساعدة في أيِّ تجمع يسعى إلى إحداث خلخلةٍ للنظام، وينظر الأصدقاء إلى سفر (د- العريان) إلى بيروت في النصف الأول من ديسمبر لإكمال الحوار، وإن لم يتم سيحضر إليكم صحفى أمريكى، وسيقدم نفسه تحت اسم (جون تروتر) بوكالة (S.O.m).

- مطلوب أن يجلس مع (الشاطر ، ومحمود عزت) - حامل الخطاب (حسان) وهو من السودان .

- أرجو عدم الثقة بأى شخصٍ من (C a t R)

والسلام عليكم ورحمة الله

أخوكم

H . a[1]

(١) المصدر السابق ص: (١٣٨-١٣٩).

يقول الكاتب: وقفت كثيرًا عند الجُمل التى تُفيد أن الإخوان يستعينون بأمريكا من أجل الوصول للحكم، وهنا قفزت إلى ذاكرتى العبارات التى قالها الحاج (لاشين أبو شنب) قبل سنواتٍ طويلةٍ من أنه (يجوز الاستعانة بالكفار من أجل الوصول إلى الحق) وقوله قبلها: (إن الحق يجب أن تكون له قوة تحميه، فهل الإخوان يعتبرون أمريكا (الكافر) الذى يصل بهم إلى الحق؟)

وبعد عامين من قصة هذا الخطاب أدلى (عصام العريان) بتصريحٍ لجريدة الحياة اللندنية، قال فيه: (إن الإخوان إن وصلوا للحكم سيعترفون بإسرائيل، وسيلتزمون باتفاقية السلام معها) قال (العريان) نفس الكلام الذى كان مطلوبًا منه، والذى تلقى التعليمات بشأنه من الخطاب المجهول الذى وصل للإخوانِ من شخصيةٍ إخوانيةٍ مجهولةٍ تعمل فى الخفاء مع الإدارة الأمريكية، ولأن هذا التصريح نشرته (جريدة الحياة) فى عيد الفطر المبارك، فلم ينتبه له أحد، إلا أن (عصام سلطان) نائب رئيس (حزب الوسط) كشف عنه ونشره وهاجم العريان بسببه [1].

وإليك عزيزى القارئ خطة التمكين (لجماعة الإخوان) لحكم مصر، والتى رسمها وخطط لها وخطها بإحدى يديه تحت عنوان (فتح مصر).

(فالشاطر)، والذى يَدَّعِى أنه شاطرٌ استباح مصر، واعتبرها أرض بلا شعب، أو أرض للكفار كما شرب من المنهج التكفيرى (لسيد قطب، ومحمد قطب، وتبنى أفكار سيد أبو الأعلى المودودى) وغيرها من الكتب قد ذكرناها سابقًا، فيقول: (أن عليه، وعلى جماعته فتح مصر وضمها إلى إقطاعيات الإخوان ومن سار على دربهم من السلفيين).

قراءة الوثيقة جيدًا تنذر بالخطر الداهم خاصة وأنها تخص المرحلة الأولى من (فتح مصر) والتى تستهدف تأسيس كيان شرعى، أو الحصول على اعتراف بالشرعية، ونشر

(١) المصدر السابق ص: (١٤٠).

الدعوة فى ربوع مصر عن طريق التوسع الأفقى والوصول بعدد الإخوان إلى ما لا يقل عن ٣ ملايين أخ، وكما يقول الشاطر فى خلاصة وثيقته، فإذا ما تم تنفيذ المرحلة الأولى ولو بنسبة عاليةٍ، من المستهدف كان من السهل الاستئثار بمشاعر وحماس ما لا يقل عن ٥٠٪ من الشعب المصرى وهو ما يساعد الإخوان على الدخول للمرحلة الثانية من فتح مصر، وحتى يحين ذلك فإن قراءة الوثيقة تذهب بنا إلى عدة أوجه للخطورة يحملها هذا الإخوانى الخطير.

الأول: أن الجماعة تذهب لتصفية كل التيارات الإسلامية فى الساحة بالضم، أو بالتفريغ، أو الاحتواء، مع إدراكٍ كاملٍ لأهميةٍ أن يظهر الإخوان أمام الناس فى صورة من يمثل الإخوان وحدهم دون غيرهم حتى تستقر تلك الصورة فى أذهان الجماهير وبالتالى تنتفى تدريجيًا عن الآخرين أى صلة بالعمل الإسلامى، أى أن الإخوان يصبحون الإسلام، والإسلام هو الإخوان، وكما قال المرشد لإخوانه: (إذا عرفكم الناس عرفوا الإسلام، وإذا جهلوكم جهلوا الإسلام).

الثانى: استخدام التخفى والتمويه فى الغايات والأهداف وليس فى الوسائل، حيث يؤكد (الشاطر) أن المرحلة السرية فى الجماعة انتهت ودخل الإخوان فى مرحلة العلنية.

الثالث: وهذه النقطة هى الأخطر، أى: أن الجماعة قررت إقامة قنواتِ اتصالٍ بالحزب الحاكم وبشخصياتٍ نافذةٍ فى العمل السياسى، والأدهى أن نائب المرشد يذهب إلى أن هذا الأمر قد تم!! مع استخدام طريقة المسكنات والمهدئات مع الحكم وباقى المؤسسات والأحزاب المدنية.

الرابع: تجريح المخالفين واتهامهم بالرشوة والعمالة لتحييد معظم المختلفين وإسكات البعض الآخر، واختراق المؤسسات الصحفية القومية والتوافق مع بعض المؤسسات المستقلة.

الخامس: وفى المرحلة الأولى توقع الإخوان أن يدخل البرلمان ما لا يقل عن خمسين أخًا فقط، تلك كانت أمانيهم وتوقعاتهم، وأسسوا عليها المرحلة الأولى من (فتح مصر) وبعد أن وصلوا إلى ٧٦ مقعدًا يبحثون الآن تسريح عملية (فتح مصر).

وإليك عزيزى القارئ نَصَّ الوثيقة:

- الإخوان المسلمون
- فتح مصر
- برنامج عمل
- مقدمة

لا ينبغى لأحدنا أن ينزعج من صيحات أعداء الدعوة وتربصهم بنا، وكيدهم لنا، فهذا أمر منطقى اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الفرقان: ٣١) كما قال تعالى فى شأن أعداء الدعوة: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: ٢١٧).

مبدأيات

فى ظل هذا الصراع والتدافع ينبغى أن يعلم الإخوان

١. حتمية المحنة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ ﴾ (العنكبوت: ٢) ... وقافلة الإخوان لم يكن من شيمتها الجبن والخوف والهروب، لأنها كانت وما زالت مستعلية بإيمانها فوق الظروف.

٢. وحدة العمل الإسلامى فريضة شرعية، وقد أشار الحاج (مصطفى مشهور) عليه رحمة الله إلى وجوب توحيد العمل الإسلامى تحت رايةٍ واحدةٍ، وأشار الأستاذ (فتحى يكن) إلى أن وحدة العمل الإسلامى من الفرائض التى نتعبد بها الله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

تفريعات:

(١) عن حتمية المحنة:

أ- وجوب الصبر عند المحن والابتلاءات.

ب- الخروج من دائرة الصبر السلبى إلى الصبر الإيجابى.

ج- الالتزام بالدعاء لله فى كل الأوقات.

د- إدراك أن الصبر كما يكون عند المحنة يكون أيضًا على الطاعة، وكما يكون فى الابتلاء يكون أيضًا فى الرخاء.

هـ - إدراك أن المحن تدارى الأخطاء والرخاء يظهرها.

(٢) عن وحدة العمل الإسلامى وخطر التعددية، وقد أجملها (فَتْحِى يَكَنْ) فى الآتى:

أ- أعطت التعددية كثيرًا من المسلمين مبررات الهروب من الانتماء الحركى.

ب- فتت القوى الإسلامية وأضعفتها.

ج- سهلت على أعداء الإسلام عملية تصفية الاتجاه الإسلامى باستفراد كل كيان على حدة.

د- أفرزت حساسيات ومنافسات لدى أتباع كل تنظيم من آخر.

هـ - أدت إلى تأخر العمل الإسلامى.

من هنا ينبغى علينا أن ندرك وجوب تصفية أى إسلامى آخر إما بضمه، أو تفريغه، أو احتواءه مع عدم استعجال النتائج، كما يجب أن ندرك أهمية أن نظهر أمام الناس فى صورة من يمثل الإسلام وحدنا دون غيرنا حتى تستقر الصورة أمام الجماهير، وبالتالى تُنْفى تدريجيًا عن الآخرين.

حركيات:

(١) وجوب استخدام التخفى والتمويه لتحقيق خطة التمكين كما فعل الرسول ﷺ، ولا يعنى فى الخفاء، لأن هذه المرحلة انتهت أسبابها ودخلنا مرحلة العمل العلنى، ولكن التخفى والتمويه يكون فى الأهداف والغايات، لا فى الوسائل.

(٢) استخدام المرحلية، أى التدرج فى الخطوات، والمرحلية تعنى إقامة محطات الدعوى كما فعل الرسول ﷺ.

المرحلة الأولى لفتح مصر:

- الحركة:

(١) إقامة قنوات اتصال بين الإخوان والحزب الحاكم وبشخصيات نافذة فى العمل السياسى وقد تم هذا الأمر، وتم وضعه فى الاعتبار وهو فى إطار التنفيذ والاستفادة من هذه القنوات فى إتاحة أكبرها مش من الحرية لحركة الإخوان فى الشارع.

(٢) استخدام طريقة المسكنات والمهدئات مع النظام الحاكم وباقى المؤسسات والأحزاب المدنية.

(٣) شغل الرأى العام بالإخوان واستخدام النقد الإعلامى الذى يتم توجيهه لنا فى خلق حالة من التعاطف حولنا.

(٤) استثمار التعديل الدستورى وانتخابات الرئاسة فى إثارة حالة من الجدل حول الإخوان.

(٥) الاستفادة من حالة (الامتداد الإعلامى) والميديا العالمية فى خلق مساحة من الحرية لحركة الإخوان فى المجتمع.

(٦) الدفع بعدد كبير من الإخوان لخوض الانتخابات البرلمانية والاستفادة من هذا الطرح اسم الإخوان والشعار على أوسع نطاق والإعلان عن إنشاء مكاتب إدارية

للإخوان فى المحافظات.

(٧) إثارة حالة من الجدل حول شعار الإسلام هو الحل واسم الإخوان والمصحف والسيفين.

(٨) تجريح المخالفين واتهامهم بالرشوة والعمالة لتحييد معظم المختلفين وإسكات البعض الآخر.

(٩) موالاة اختراق المؤسسات الصحفية خاصة الحكومية منها والتوافق مع المؤسسات المستقلة.

(١٠) استثمار الانتخابات فى الدعوة والترويج لحتمية الحل الإسلامى وعالمية الدعوى واستخدام المساجد على أوسع نطاق.

(١١) استخدام النقابات المهنية والمنظمات المدنية فى خلق هامش كبير للحركة.

(١٢) ديمومة الاتصال بحركات حقوق الإنسان الدولية.

● **المرحلة الأولى لفتح مصر: الشرعية والمستهدف المبدئى.**

من المتوقع أن يدخل إلى البرلمان ما لا يقل عن خمسين أخ وهو ما يتيح لنا:

(١) تأسيس كيان شرعى، أو الحصول على اعتراف بشرعية مسموحة.

(٢) نشر الدعوة فى ربوع مصر عن طريق التوسع الأفقى.

(٣) الوصول بعدد الإخوان إلى ما لا يقل عن ثلاثة مليون أخ، فإذا ما تم تنفيذ المرحلة الأولى ولو بنسبة عالية من المستهدف كان من السهل الاستئثار بمشاعر وحماس ما لا يقل عن ٥٠٪ من الشعب المصرى وهو ما يساعد على الدخول للمرحلة الثانية فى فتح مصر.

توقيع
خيرت الشاطر[١]

(١) شبكة الانترنت والمأخوذ من مجلة المصور فى ٢ ديسمبر ٢٠٠٥م.

(تَعْلِيقٌ عَلَى وَثِيقَةِ الشَّاطِرِ)

 أولاً: التعليق على عنوان الوثيقة، والمسمى بفتح مصر، فنقول (للشاطر):

- ما المقصود بكلمة فتح مصر؟
- هل مصر مغتصبة وأنت وجماعتك ستفتحها؟

يا من يُقال عليك (الشاطر)كلمةُ الفتحِ لا تُطلق إلا على البلاد التى فتحها محمد ﷺ وصحابته الكرام لإخراج هذه البلاد من عبادةِ العبادِ، إلى عبادةِ رَبِّ العبادِ، كما كان يرسل محمد ﷺ رسله إلى الفرس والروم وغيرها من البلدان التى كانت تُعبد من دون الله، وكذلك فتح مصر على يد (عمرو بن العاص)، وفتح مدينة (إيليا) فى القدس وتحرير بيت المقدس على يد (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - ومصر بفضل الله تعالى تعبد رب العباد بفطرتها السليمة دون أدنى شك فى ذلك ومعنى كلامك هذا أن فى ظنك أنت وجماعتك القائمون على الإسلام، وأنتم الذين ستقيمون الخلافة الإسلامية ومركزها القدس، كما قال بعض الكذابين المنتسبين إلى جماعتك، فأنتم تتصورون أنكم أنتم الوحيدون القائمون على الإسلام وحدكم، وغيركم هم الكفار، أى: بقية مِصْرَ هُمُ الكفار، كما يصورُ لك ولجماعتك تلك الأفكار المريضة بتكفير مصر، وما أخذتموه من التكفيريين من كتب (سيد قطب، ومحمد قطب، ورسائل البنا، وفكر سيد أبو الأعلى المودودى) وغيرهما من الكتب التى ذكرناها سابقًا، فهذه أفكارٌ مريضةٌ، وما أصدق مقالة (وليام آر ستيوارت) الوزير المفوض والمستشار السياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة بالبرقية (منتهى السرية) والتى قيدت برقم (٥٦٢٠) بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠٠٨ كود رقم (٦٤٧٤) وقد سجل فيها رأيه الشخصى كسفير عن (جماعة الإخوان) المصرية إلى الإدارة الأمريكية فى واشنطن كتب فيه: (أعتقد أن جماعة الإخوان المسلمين المصرية مصابة بمرض شيزوفرينيا) (والشيزوفرينيا Schizophrenia -) أى: رفض الواقع السياسى وتعدد حالاتها المرضية إلى: إنفصام الشخصية - الشخصية المتعددة - الشخصية غير المنتظمة - تعدد الشخصية الفصامى، وتتمثل هذه التعددية في شخصٍ واحدٍ، ولكلٍّ هويةٍ

إدراكُها وتفاعلها مع البيئة بشكلٍ مختلفٍ، ونكمل ما قالهُ (ولِيام) بقوله: (وأن المرض تمكن من أعضائها بداية من مرشدها (محمد مهدى عاكف) وحتى أصغر عضو في الجماعة) وأما عن بقية بنود الوثيقة فشرحها يدور في أربعة محاور رئيسية، قد كُتبت في ذلك الكتاب قبل ذلك، وسأترك للقارئ أن يسترجعها في الآتي:

(١) الفاشية الدينية.

(٢) الماسونية العالمية.

(٣) قراءة رسالة المؤتمر الخامس (لحسن البنا).

(٤) فكر التقية، والمأخوذ من فكر الشيعة.

ولأن (آية الرأى الهوى، والغرض مرض) فنجد أن قراءة الإخوان عن الإسلام يتداخلها الهوى، ولأن جماعة الإخوان تهوى من زمنٍ بعيدٍ (السلطة)، فأصبحوا يقرأون الإسلام بأهوائهم، لا بأفئدتهم فيبذلون قصارى جهدهم فى الحصول على هذا المطلب بأى شكل، وبأى ثمن مهما كلفهم ذلك، ولا يهمهم فى الحصول عليه بالرشوة، أو بالتزوير، أو بالكذب، وَسَنُعَوِّلُ على ذلك فى قراءاتٍ بسيطةٍ

- ألم يُنشر فى الصحف أن الإدارة الأمريكية والمتمثلة فى الرئيس الأمريكى (باراك أوباما) أنها منحت (جماعة الإخوان) ما يقرب من ١٠ مليارات جنيه فى الدعاية الانتخابية بغيرِ وجهِ حَقٍّ وعلى خلاف القانون لأنها جماعة محظورة، وأكد المرشح الجمهورى السابق للرئاسة الأمريكية (ميت رومنى) أن إدارة (أوباما) دعمت الإخوان فى مصر بما يقرب من مليار، ونصف المليار دولار، ألم تكن هذه رشوة (يا مرسى) وما الثمن لهذه الرشوة؟ ألم تسمع حديث رسول الله ﷺ: (الرَّاشِى وَالْمُرْتَشِى وَالرَّائِشُ فِى النَّارِ) والرائش هو الوسيط الذى يسهل المأمورية لمن يقومون بها.

- ألم تقم أنت وجماعتك أثناء الدعاية الانتخابية عند ترشحك لرئاسة الجمهورية بعرض مشروع (النهضة) واتضح أنك لا تفهم أنت وجماعتك أى شيء عن هذا المشروع، واتضح أنه (الفنكوش) الذى قال عنه (عادل إمام) فى أحد أفلامه، ألم يكن

هذا هو الخداعُ والكذبُ بعينه؟ ألم يحذر رسول الله ﷺ من مغبة الكذب تحذيرًا شديدًا فقال: (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) [١].

وقال أيضًا: (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِى النَّارِ) [٢].

– هل الإسلام علمك (يا مرسى) أن تتسبب فى قتل النفس التى حرّم الله قتلها إلا بالحق، وأن تحرق منشآت الدولة، وأن تقوم بالتخابر مع أفراد حماس، حيث أحرقوا ٢٨ قسمًا، واقتحموا السجون، وقاموا بتهريب المساجين من سجن ليمان ٤٣٠ وادى النطرون، والذى فَرَرْتَ أنت ومن معك من مكتب الإرشاد، وبعض أفرادٍ من (حماس) حيث قام ملثمون باقتحام السجون وكانوا يرددون لهجات أعرابية، واستخدموا بعض اللودرات فى هدم السجون وفتح الزنازين، وإرهاب المساجين بإطلاق أعيرةٍ ناريةٍ فى الهواء لإجبارهم على الهروب، مما أدى إلى إصابة بعض المسجونين، وأفرادٍ من الشرطة، الأمر الذى أدى إلى إحالة القضية إلى النيابة العامة للتحقيق فيها، وإحالتها إلى محكمة الجنايات، وسيحاكم (مرسى) ومن معه من أعضاء مكتب الإرشاد على هروبهم من السجن يوم ٢٨ يناير ٢٠١١ بعد انسحاب الشرطة يوم ٨ يناير ٢٠١١م، وسيقول القضاء قولته والحكم عليهم يوم ٢٨ يناير الحالى ٢٠١٤ والله يهدى هؤلاء القضاة إلى الحق، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ (يونس: ٣٥).

– هل الإسلام علمك (يا مرسى) أن تحصل على ما تبغيه بالتزوير أنت وجماعتك؟

عندما دار حوار مع الدكتور (سعد الدين إبراهيم) عن ما يتردد فى أن الفريق (أحمد شفيق) هو من كان فائزًا فى انتخابات الرئاسة، وأن تهديداتٍ ما وصلت للجنة العليا للانتخابات الرئاسية؟

---

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وجاء فى الأدب المفرد للبخارى، ومسلم، والترمذى عن ابن مسعود – رضي الله عنه –، وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٨٠٩)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٤٠٧١).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وجاء فى الأدب المفرد للبخارى، وابن ماجه عن أبى بكر – رضي الله عنه – وجاء فى الروض النضير برقم: (٩١٧) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٤٠٧٢).

يقول: هذا حقيقيٌّ، و(شفيق) كان فائزًا فى سباق الرئاسة، ولدينا ٧ آلاف مراقب، وهذا العدد أعدَّ تقارير مفصلة تقول: إن الفريق (شفيق) كان متقدمًا فى عدد الأصوات عن الرئيس (مرسى) بـ ٣٠ ألف صوت فى جولة الإعادة، لكن الإخوان هَدَّدُوا أعضاء اللجنة العليا للانتخابات بتحويل ميدان التحرير إلى بحور دم وتفجير مجمع التحرير، والمتحف المصرى، فكان أعضاء اللجنة حريصون على سلامة الوطن، وهو ما خضع له أيضًا المجلس العسكرى إيثارًا لسلامة الوطن.

وعندما سُئِلَ: لماذا لم تعلن النتيجة للرأى العام؟

أجاب قائلاً: عندما خرجت اللجنة العليا للانتخابات بالنتيجة النهائية وَقَبِلَهَا (شفيق) اضطررنا لإخفاء نتيجة هذه التقارير عن الرأى العام واكتفينا بنشر هذه المعلومة داخليًا فى المركز، حتى لا تعمل (غلوشة) للرأى العام فى المرحلة الحرجة، فلقد كان يهم الجميع سلاسة انتقال السلطة دون عراقيل.

ولما سُئِلَ: لماذا لم يستخدم الفريق (أحمد شفيق) هذه النتائج للدفاع عن أحقيته فى الرئاسة؟

أجاب قائلاً: هو بالفعل تقدم بهذه الأوراق للمحكمة، كأحد المستندات ضمن أوراق القضية التى يُباشرها (شفيق) حاليًا مع محاميه ضد إعلان نتيجة الانتخابات حيث قام النائب العام الملاكى بوضع لقضية فى درجه الخاص ولم يُولِى بها اهتمامًا [1].

ومصداقًا لما قِيل فى ذلك الشأن أن صحيفة (معاريف الإسرائيلية) قد اعترفت أن نتيجة الانتخابات الرئاسية بين (شفيق، ومرسى) كانت نسبة نجاح (مرسى) ٤٠٪ وليست ٥١,٨٪ كما يَدَّعُونَ إذن النتيجة العادلة هى نجاح (شفيق) وأن النتيجة قُلبت لصالح (مرسى) ونجح (مرسى) بالتزوير، وجاء بليلٍ، وفى غفلةٍ، وذهولٍ لكل المصريين، ما عدا جماعته ومن يوالوهم ودخل قصر الاتحادية، وأصبح رئيسًا لجمهورية مصر العربية فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢ وتحقق حلم جماعته الذين سَعَوْا إلى تحقيقه على مدى الـ٨٤ عامًا الماضية.

---

(١) الفيس بوك – صفحة الموجز سعد الدين إبراهيم، فى حواره لجريدة الوطن.





مِصْرُ كِنَانَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ



مصر كنانة الله في أرضه، وقد حماها الله من كل اعتداءٍ غاشم يَمَسُّ إرادة شعبها، وحدودها، لأنها أرض الأنبياء والمرسلين، وأرض العلماء الربانيين، وبها أقدم جيشٍ نظاميٍّ ثابتٍ في العالم، والذي بدأ أول حروبه المجيدة من أول توحيد مصر على يد الملك "مينا" عام ٣٤٢٥ ق.م، وعلى مدى هذا التاريخ الطويل اتَّصَفَ بصفاتٍ قد ميزته عن أَيِّ جيش في العالم، لأنه لم يقم بالاعتداءِ، أو احتلالٍ، أو اغتصابِ أَيِّ أرضٍ من أراضِي الغيرِ، أو أخذِ أَيِّ حقٍّ من حقوقهم، بل كان قوةً من أجل دعم السلام وفرضه إذ تطلب الأمر، كما كان طوال فترة تاريخه الطويل مدرسةً للقيمِ الإنسانية النبيلة في أوقات السلم والحرب على السواء، ولذلك ستظل مصر آمنة، كما قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام حين آوى إليه أبويه، أي: أباهُ وأمهُ إلى مصر، فقال لهما: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩).

الْمَبَاحِثُ

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مِصْرُ فِي قَبْضَةِ الْإِخْوَانْ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: وَطَنِيَّةُ الْإِخْوَانِ، وَوَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطْ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مِصْرُ الْآمِنَةُ.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ:
مِصْرُ فِي قَبْضَةِ الْإِخْوَانْ

اعتقد مرسي وجماعته، في فترة حكمه القصيرة والتي لم تتعد الـ ٣٦٨ يوماً الماضية في الفترة من ٣٠ يونيو ٢٠١٢ إلى ٣ يوليو ٢٠١٣ أن مصر أصبحت مستباحةً لهم، وأنه سيتم إحكام السيطرة على شعب مصر بجميع طوائفه وسلطاته التشريعية والتنفيذية بقبضةٍ من حديدٍ وذلك بسن بعض القوانين وسلقها وتمريرها من خلال بوابة مجلس الشورى حيث كانوا يُحكمون قبضتهم على ذلك المجلس في تلك الآونة، ولأن الباطل أقدامه ضعيفةً وأعينه عمياء، فكلما أرادوا أن يطبخوا قانوناً تصدت لهم المحكمة الدستورية، وأسود رجال القضاء، ليفسدوه ويبطلوه بالقانون، لا بالعنترية الجوفاء، وتخيلوا أنهم أصبحوا قادرين على تنفيذ الأجندة الأمريكية، والتركية، والإيرانية، والقطرية من خلال منبر الجزيرة الكذوب والتحرك على الأرض بقيادة ميليشيات حماس الإخوانية، وتخيلوا من خلال تصورهم المريض أن يحكمون هذا الشعب بإرادتهم هم، وليس بإرادة الشعب نفسه، بل ويلتفون عليه ليسيطروا على معنوياته، بدسِّ المكائد، والإيقاع بين جميع طوائف الشعب وإطلاق الشائعات حتى يجعلوه في حوزتهم، ويجبرونه على الدخول في قبضتهم الحديدية حتى لا يستطيع الفكاك منها، ليحكموه كما يزعمون ٥٠٠ عام، وأنهم سيقيمون على أرضها الخلافة الإسلامية والتي تصبح مركزها القدس، فقاموا بتقويض هذا الشعب وإرهاب وإرعاب كل من ليس معهم، وقد حاولوا من خلال هذا الحاكم بأمره أن لا ترد له كلمةً، ولا يبدل له قرارًا تحت غطاء شرعية الصناديق والشريعة، والشرعية الدستورية، ولم

يعلمون جيداً أن الشريعة، أو الشرعية غطاءٌ يتسع لكل لأفراد الأمة، ولا يتحيز الراعي، أو ولي الأمر، أو الرئيس لأيِّ فصيلٍ من الفصائل، بل يكن تحيزه لكل أفراد شعبه على السواء، وذلك مما أدى إلى سقوطه هو وجماعته في فترةٍ قصيرةٍ، بل تُعَدُّ أقصرَ فترةٍ تولى فيها رئيس جمهورية على أرض مصر، لأنه لم ينظر إلى أعين الشعب كله نظرةً شموليةً تشمل كل طوائفه، بل نظر بعينٍ واحدةٍ إلى حزبه، ومن ينتمون إلى حزبه، ولذلك فقد سقطت شرعية الرئيس «محمد مرسي» للأسباب التالية:

(١) لقد سقطت سلطة الرئيس الشرعية والدستورية بتراجعه عن قراراته أكثر من مرة، وقد علم الشعب أن من يحكمه رئيسٌ مهزوزٌ، ومثل هذا يُسْقِطُ أيَّ رئيسٍ، لأن ولاَةَ الأمرِ يجب أن تكون قراراتهم نافذة ،ولا يُصدرُ أيَّ قرارٍ إلا بالدراسةِ والتمحيصِ واستشارةِ أصحابِ الرأيِ من المعهودِ بهم في النزاهة في ذلك، وفي أقل من ستة أشهر من مدة تولي «مرسي» الحكم أي، من شهر يوليو إلى ديسمبر ٢٠١٢ بلغ عدد الاحتجاجات والمليونيات بنحو ٤٠ مليونية و٢٤٠٠ احتجاجٍ على القرارات التي يُصدرها «مرسي» ثم يتراجع فيها.

(القرارات وعكسها)

- *إصدار القرار:* في ٨ يوليو، قرر الرئيس «محمد مرسي» سحب القرار رقم ٣٥٠ لسنة ٢٠١٢ باعتبار مجلس الشعب منحلاً اعتباراً من يوم الجمعة ١٥ يونيو الماضي، وعودة المجلس المنتخب لعقد جلساته وممارسة اختصاصاته المنصوص عليها من المادة ٣٣ من الإعلان الدستوري الصادر بتاريخ ٣٠ مارس ٢٠١١.

= *تراجعه:* في ١١ يوليو، أعلن الرئيس "مرسي" تراجعه عن قرار عودة مجلس الشعب وأكد التزامه بأحكام المحكمة الدستورية العليا في ١٠ يوليو قراراً جديداً بحل مجلس الشعب وعدم دستوريته، وأكدت رئاسة الجمهورية على احترامها للدستور

والقانون، وتقديرها للسلطة القضائية، والتزامها بالأحكام التي تصدر للقضاء المصري وحرصها البالغ لإدارة العلاقات بين سلطات الدولة ومنع أي صدام.

– في ١١ أكتوبر، أصدر "مرسي" قراراً بتعيين المستشار "عبد المجيد محمود" سفيراً لمصر في دولة الفاتيكان، وَكَلَّفَ أحد مساعديه بالقيام بعمله، لحين تعيين نائب جديد، عقب قرار محكمة جنايات القاهرة بتبرئة جميع المتهمين في موقعة الجمل.

= تراجعة: في ١٢ أكتوبر، اتفق "مرسي" خلال لقائه مع المستشار "عبد المجيد محمود" على أن يبقى الأخير في منصبه لتنتهي الأزمة بين مؤسسة الرئاسة والقضاء، وقالت النيابة العامة إن 'اللقاء الذي جمع "مرسي، ومحمود" انتهى باتفاق على أن النائب العام باقٍ في موقعه، وهناك سوء فهم بشأن تعيينه سفيراً لمصر لدى الفاتيكان.

= تراجعة: وعاد "مرسي" في قرلره للمرة الثالثة في ٢١ نوفمبر لِيُقيلَ "عبد المجيد محمود" مرةً أخرى من منصبه، ويعين بدلاً منه " طلعت عبد الله" وذلك كجزء من الإعلان الدستوري الذي ألغاه مساء السبت وأحل محله إعلاناً جديداً، لكن بقيت القرارات الصادرة عن الإعلان الأول نافذةً.

– إصدار القرار الثالث: هذا القرار كان بمناسبة 'غلق المحال'، وفي ٣٠ أكتوبر، أصدرت الحكومة قراراً بإغلاق المحال في الساعة العاشرة مساءً، وأعلنت وزارة التنمية المحلية أن القرار لا رجعة فيه.

= تراجعة: في ٣١ أكتوبر، أعلن اللواء "أحمد زكي عابدين" وزير التنمية المحلية، تأجيل تطبيق قرار إغلاق المحال التجارية من الساعة العاشرة مساءً، لدراسة تشديد العقوبات التي ستقع على المخالفين ولحين إقرار لائحة تنفيذية له.

= تراجعة: لكنه في ٢٠ نوفمبر، قال: إن قرار إغلاق المحال التجارية مازال جارياً ومن المتوقع تفعيل القرار في أول ديسمبر وغير صحيح أن الحكومة تراجعت عن

القرار بعد ضغوط وسائل الإعلام ولم يتم تطبيقه حتى الآن.

- في ٢١ نوفمبر ٢٠١٢: أصدر مرسي إعلاناً دستورياً يتضمن إعادة محاكمة رموز النظام السابق، حسب قانون حماية الثورة، بالإضافة إلى قرارات بتعيين نائب عام جديدٍ بَدَلاً من "عبد المجيد محمود" النائب العام السابق، وتحصين اللجنة التأسيسية للدستور ومجلس الشورى، وتحصين الإعلانات الدستورية والقوانين والقرارات الصادرة عن رئيس الجمهورية، بحيث تكون غير قابلة للطعن عليها بأي طريق وأمام أي جهة، وهو ما تُطالب قوى المعارضة بإلغائه، وبعد تظاهر عشرات الآلاف من المواطنين اعتراضاً على الإعلان الدستوري، وتهديدات القضاة برفض الإشراف على الدستور الجديد في ٩ ديسمبر ٢٠١٢، قرر "مرسي" إلغاء الإعلان الدستوري الصادر في ٢١ نوفمبر، وإصدار إعلان جديد، وإجراء الاستفتاء على الدستور في موعده.

- وفي ٩ ديسمبر ٢٠١٢، أقر "مرسي"، مساء الأحد، بصفته ممثلاً للسلطة التشريعية، زيادة أسعار السجائر، والغاز، والخمور، والمياه الغازية، والكهرباء.

= تراجعه: وبعد ساعات قليلةٍ، من فجر الاثنين ١٠ ديسمبر، قال بيان صادر عن رئاسة الجمهورية إن الرئيس قَرَّرَ وقف قرار زيادة الأسعار.

هذه القرارات التي أُخِذَتْ في حينها، وقد تم التراجع فيها، مما أحدثت غلياناً عند غالبية جماهير الشعب المصري، وقد فتحت مجالاً للرأي العام المصري بعدم أخذ الكثير من قرارات "مرسي" بالجدية والاهتمام، لأن القرارات التي يُصدرها، يتم إلغاؤها بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ، مما أدى إلى إصابة الكثير من جماهير الشعب المصري بالإحباطِ الشديدِ على هذا المتردِّدِ الذي اختاروه بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، مما أثار مزيداً من الفوضى وإراقة الدماء، وفتحت مجالات للبلطجية باللعب بمقدرات مصر، وأمنها، فإذا كان عيباً على الرجل مِناً أن يتكلم بكلمة، أو يأخذ عهداً على نفسه، ثم

يتراجع فيه، فيكون الردُّ البليغُ عنهُ مِمن استمعوا له، أو جلسوا في حضرته (أَنَّه رَجُلٌ عَيِّلٌ، يَقُولُ الْكَلِمَةَ وَيَرْجِعُ فِيهَا)، إما أن يُصدر "مرسي" قراراته ويتراجع فيها أمام شعبٍ تعدادهُ أكثر من ٩٠ مليوناً، فهذا ليس عيباً فقط، ولكنه تدنٍ وسقوطٍ، وتراجع، وخذلانٍ، فإذا كان هذا التَّردِّي يُؤْخَذُ عَيْبًا على الرجلِ العاديِّ مرةً واحدةً، فَيُصْبِحُ عيْبًا من رأس الدولة ورئيسها ملايين المرات؛ لأن ذلك التراجع مُعْلَنٌ على المستوى المحلي، والدولي في الصفحات المقروءة، والقنوات المنظورة والمسموعة، وعلى شبكات التواصل الاجتماعي، أي يُصبح ذلك مُعْلَنًا في كل بيت.

(مرسي وجماعته يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون)

= في يوليو ٢٠٠٥ صرح "مهدي عاكف" أثناء مقابلة صحفية بمجلة آخر ساعة (نؤيد ترشيح "مبارك" لفترة رئاسة أخرى، وأتمنى الجلوس معه).

= وفي يناير ٢٠١٢ أدلى "مهدي عاكف" بتصريحاتٍ صحفيةٍ أن (الرئيس "مبارك" كان نائماً على سرير الصهاينة، وطالبت "جمال، وسوزان مبارك" بالرحيل عن مصر).

= في إبريل ٢٠١٠ صرح "محمد بديع" أثناء لقاءٍ لَهُ على قناة دريم قائلاً: ("مبارك" والد كل المصريين، ولا مانع من ترشح "جمال مبارك" للرئاسة بشروط).

= في إبريل ٢٠١١ أدلى "محمد بديع" أثناء مؤتمرٍ جماهيريٍّ بدمنهور قائلاً: (مبارك ديكتاتور ونظام حكمه مستبد: وحاول الوقيعة بين الجيش والإخوان بالمحاكمات العسكرية).

= في ديسمبر ٢٠١٢ أدلى "خيرت الشاطر، وصفوت حجازي، وياسر برهامي" فتوى بتحريم تهنئة الأقباط بأعيادهم من خلال الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح.

= وفي ديسمبر ٢٠١٢ في الصفحة الرسمية 'لجماعة الإخوان' على 'تويتر' تُهنئ جميع المسيحيين في العالم بعيد الميلاد المجيد 'الكريسماس'.

= في يناير ٢٠١١ صرح "عصام العريان" المتحدث باسم 'جماعة الإخوان': (الإخوان لن تشارك في مظاهرة ٢٥ يناير التي دعت إليها حركة ٦ إبريل، لأن المشاركة تحتاج إلى تخطيط واتفاق بين كافة القوى السياسية قبل النزول إلى الشارع).

= وفي يناير ٢٠١٣ صرح "العريان" نائب رئيس حزب الحرية والعدالة أن: (الجماعة شاركت في مظاهرات الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ وتم تكليف النواب والنقابيين والرموز بالنزول أمام دار القضاء العالي والشباب بميدان التحرير).

= في يوليو ٢٠٠٣ صرح "مرسي" أن: (أقساط قروض الصندوق الدولي تتضمن فوائد، والتعامل بالفوائد ربا والربا محرم لا يجب الحصول عليه)، وقد صرح "السيد عسكر"، عضو مجلس الشعب المنحل قائلاً: (أنا لن أوافق على أيِّ قرضٍ أبداً).

= وفي أكتوبر ٢٠١٢ أعضاء جماعة الإخوان يُصرحون: (فوائد قرض صندوق النقد مصاريف إدارية وليست ربا.

= فى سبتمبر ٢٠٠٩ صرح «مرسى» عضو مكتب جماعة إرشاد جماعة الإخوان: (زيارة الوزير الصهيونى «نتنياهو» لمصر مرفوضة، لأن يد الصهاينة ملطخة بدماء العرب وفلسطين وسوريا).

= وفي يوليو ٢٠١٢ "مرسي" رئيس الجمهورية، في رسالة إلى الرئيس الإسرائيلي "شيمون بيريز": (إلى عزيزي وصديقي العظيم رئيس دولة إسرائيل صديقك الوفي محمد مرسي).

= في ١١ فبراير ٢٠٠٤ طالب "مرسي" بإلغاء قانون الطوارئ وإلغاء المحاكم الاستثنائية، لأنها حسب رأيه تمثل: (أفظع أشكال التعدي على حقوق الإنسان وحريته، وإلغاء هذه الأحكام الخطوة الأولى الحقيقية نحو الديمقراطية الفعلية).

= في ٢٩ إبريل ٢٠٠٦ أكد "مرسي": (أن قوانين الطوارئ تُستخدم لحماية اللصوص لكي يستتب وضع المستبد واستمرارِ لحالة التخلف).

= وفي ٢٧ يناير ٢٠١٣ فرض "مرسي" حظر التجول، وأعلن حالة الطوارئ بمدن القناة بعد أحداث العنف التي شهدتها في ظل موجات الاحتجاج المتزايدة ضد سياسته في أنحاء مصر.

= في مايو ٢٠١٢ قال "مرسي": (إذا خرجت مسيرات حاشدة بميدان التحرير، والميادين المختلفة تُطالب بإسقاطي، فأنا أول من ينزل بناءً على إرادة الشعب).

= وفي يناير ٢٠١٣ مظاهرات تندلع ضد "مرسي" في جميع المحافظات في الذكرى الثانية للثورة، فما كان منه سوى التجاهل، وإعادة آلة القمع من جديد.

= في يونيو ٢٠١٢ قال "مرسي": (أتعهد بأن لا تمس حرية الإعلام، ولا تغلق أي صحيفة، أو قناة، أو يمنع أي رأي، أو يقصف قلم).

= وفي يوليو ٢٠١٢ صدر قرار إداري بوقف 'قناة الفراعين' ٤٥ يوما وإنذارها بسحب ترخيصها إذا استمرت في تجاوزاتها ضد رئيس الجمهورية[(١)].

وعند زيارة وفد الكونجرس الأمريكي، والمكون من "سينسيا لوميز، وستيف ستوكمان، وبول كوك، ورورا باكار، ولوريتا سانشيز" بعد إعلان نتيجة الاستفتاء على دستور مصر ٢٠١٤ يوم السبت ١٧ ربيع أول ١٤٣٥هـ ـ ١٨ يناير ٢٠١٤م، حيث أدلى "رورا باكار" أحد أعضاء وفد 'الكونجرس الأمريكي' تصريحه في مؤتمر صحفي: (أن "مرسي" رغم أنه كان منتخباً، إلا أنه كذب على الشعب، فخرج الناس مطالبين بعزله)[(٢)].

وهذه شهادة ممن حالفوه، وأيدوه بالأموال، وآزروه بكثير من المراسلين الأجانب، وغيرهم حتى أوصلوه لكرسيِّ الرئاسة، فما بالك بشهادة من أذاقوهم

(١) جريدة الوطن ـ الاثنين ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٤هـ ـ ٤ فبراير ٢٠١٣م السنة الأولى ـ العدد: (٢٨١) ص: (١٠-١١).

(٢) جريدة الأخبار ـ الاثنين ١٩ ربيع أول ١٤٣٥هـ ـ ٢٠ يناير ٢٠١٤م ـ الطبعة الثانية ـ العدد: (١٩٢٧٤) ـ السنة: (٦٢) ص: (٧).

العذاب، بالسحل، والضرب، والسبِّ، والقتل، والتفجير، والإرهاب، والإرعاب، للآمنين من المصريين، وَعَطَفًا على ما سبق أن "مرسي" قد هدد الإدارة الأمريكية في ١٩ يناير ٢٠١١، بأن الثورة ستهز عروش دول عربية كبرى لو لم ترضخ 'واشنطن' لطلبات الجماعة، والهدف من ذلك أن "جماعة الإخوان" أرادت أن تحكم قبضتها على الثورة من بدايتها، ولكنهم نزلوا إلى الشوارع في فجر ٢٨ يناير ٢٠١١ عقب تأكدهم من نجاح الثورة، وانهيار جهاز الشرطة، فبدأوا بعرض مطالبهم السبعة إلى واشنطن مقابل تدارك ثورة دموية في مصر هي:

أولاً: تنحي مبارك فوراً عن الحكم.

ثانياً: إقالة الحكومة وتولي 'جماعة الإخوان' تشكيل حكومة جديدة.

ثالثاً: دعوة رئيس الجمهورية إلى انتخابات رئاسية مبكرة.

رابعاً: حل مجلسي الشعب والشورى المصريين مع الدعوة إلى انتخابات نيابية عاجلة.

خامساً: تعديل دستور ١٩٧١ وإلغاء المواد ٧٦، ٧٧، ٨٨.

سادساً: الموافقة على إجراء جميع الانتخابات تحت إشراف قضائي شامل مع حضور منظمات المجتمع المدني المحلية والدولية للمراقبة.

سابعاً: تأمين نسبة ٥١٪ من مقاعد البرلمان المصري لصالح 'جماعة الإخوان'.

وتأكيداً على معلومات "دوجرو" أبرقت الضابطة "كيه بوخاري" مديرة عملية 'الملاءة الرطبة' الإقليمية من تل أبيب في تمام الساعة الخامسة، و٢٤ دقيقة، و٤٢ ثانية برقيتها برقم ٢٧٤٥٨٦٣ بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١١ سجلت فيها باسم الدكتور "محمد مرسي عيسى العياط" ـ مواليد ٨ أغسطس ١٩٥١م، بأنه هدد فيها باسم جماعته أن ما سيحدث في مصر سيصيب عروش دول عربية كبرى في الشرق الأوسط، بعدها

أبرق "بي بارسلي" ضابط عملية 'الملاءة الرطبة' من القاهرة البرقية 'سري للغاية' رقم ١٠٩٨٩٤٣ بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١١ في تمام الساعة الخامسة و٥٣ دقيقة و١٦ ثانية كشف فيها معلومات وردت إليه من 'جماعة الإخوان' المصرية أكدت أن الجماعة المصرية طلبت من فرع 'جماعة الإخوان الأردنية' الخروج على الملك "عبد الله الثاني بن الحسين"، وأن جماعة الإخوان المصرية أرسلت بتفاصيل خطة الثورة الأردنية إلى العاصمة 'عمان' على أن تبدأ فعالياتها صباح يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ بالتزامن مع ما سيحدث في مصر ذلك اليوم ومن جانبه أبلغ الضابط (إم ويلسون) وهو ضابط برتبة مراقب بمجموعة (انكانفاس) canvas التي نفذت عملية 'الملاءة الرطبة' أبلغ فيها أن قيادته في واشنطن، بأن 'جماعة الإخوان الأردنية' أبلغته بقرار تكليف الدكتور "محمد مرسي" بملف الاتصالات السرية مع الإدارة الأمريكية بداية من ٣٠ يناير ٢٠١١ مؤكداً بأن معلومات وردت إليه من عدة مصادر موثوقٌ فيها قررت أن "مرسي" أصبح منذ ذلك التاريخ همزة الوصل الرسمية بين الجماعة المصرية والبيت الأبيض، حيث سجل معلومات وردت إليه من أحد أصدقاء واشنطن في 'جماعة الإخوان الأردنية' لم يُسَمِّه في البرقية لدواعي السرية، أفادت أن 'الجماعة الأردنية' طلبت من نظيرتها المصرية مهلة لخلع الملك "عبد الله"، وحتى تدرس ما ستسفر عنه الأمور في مصر بداية من الثلاثاء الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١، كما نقل أيضاً في برقية له معلومات عن نفس المصدر المجهول بين السطور أكد فيها أن 'جماعة الإخوان المصرية' هددت صراحةً بإشعال الشوارع في مصر، إذا لم توافق واشنطن على مطالب الإخوان السبعة، وأنه علم من جماعة الإخوان الأردنية أن واشنطن وافقت على تسليم رئاسة الجمهورية المصرية إلى جماعة 'الإخوان المصرية' بشرط حفاظهم على 'مبارك رئيسا' وأن الجماعة وافقت على شرط الإبقاء على "مبارك" حتى نهاية فترته الرئاسية، كما تعهدت بضبط ثورة الشارع المصري، وبالرغم من ذلك التعهد، فقد أبلغ الضابط

اتصالاً من 'جماعة الإخوان المصرية' أبلغوه فيه قرارهم النهائي بالنزول إلى الشوارع المصرية مع فجر ٢٨ يناير ٢٠١١ عقب تأكدهم من نجاح الثورة وقرب سقوط نظام مبارك، وفي ذات الإطار كُتبت برقية إلى ضابط العملية "بي بارسلي"، أكد فيها مطالبة 'جماعة الإخوان' المؤسسة العسكرية المصرية بالتخلي عن "مبارك" ودعوتها لعدم التورط في الأحداث ضد الشعب الثائر في الشوارع، والعودة إلى الثكنات، ووثقت ضابطة العملية "كيه بوخاري" مديرة العملية الإقليمية نص رسالة تحذير رسمية وردت إليها سِرًّا من 'جماعة الإخوان' حتى تنقلها إلى البيت الأبيض حذرت فيها الجماعة واشنطن من ممارسة الضغوط السياسية عليها، حتى لا تجبر على مواجهة المؤسسة العسكرية، والسلطة العسكرية، والسلطة القضائية المصرية إذا وقفتا أمام حق مشروع الإخوان في حكم مصر على حد تعبير "بوخاري" نقلاً عن نص رسالة الجماعة، ثم عادت ووثقت أن جماعة 'الإخوان المصرية' تواصلت مع "مبارك" شخصياً صباح ٤ فبراير ٢٠١١ عن طريق هاتف الرئاسة الخاص بصيغة التهديد تصميمها على مطلب تنحيه عن السلطة ورفضها تولى نائبه ـ اللواء ـ "عمر محمود حسين سليمان الفحام" مهام الرئيس بالوكالة غير أن "مبارك" رفض التهديد وأغلق في وجه الجماعة خطوط نظامه، ومن برقية "بوخاري" إلى برقية ضابط العملية "بي بارسلي" والتي وثق فيها تفاصيل المكالمة الهاتفية بين "مبارك" وجماعة الإخوان، ونطالع لأول مرةٍ أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ـ C.I.A ـ استخدمت في مكاتباتها السرية للغاية الاسم 'موبا' عند تبادل المعلومات بشأن الرئيس الأسبق "مبارك" وفي المتن نفاجئ حصريًا أن جماعة الإخوان رفضت بشكلٍ قاطعٍ مجرد طرح فكرة تواجد اللواء "عمر سليمان" مدير جهاز الاستخبارات العامة المصرية على رأس الحكم بعد مبارك ولو حتى بالوكالة، وأن الجماعة هددت 'واشنطن' صراحةً في ذلك التاريخ أنها ستواجه "سليمان" على الأرض بجميع الوسائل، وأبلغت الجماعة أنها اعتبرت "سليمان"

عدوًّا رسميًّا لجماعة الإخوان في مصر من لحظة تعيينه رسميا من قبل "مبارك" في منصب نائب الرئيس يوم ٢٩ يناير ٢٠١١، واللافت للنظر أن البرقية سجلت صحة التهديد، بأن "جماعة الإخوان" بدأت التعبئة والتحرك ضد "سليمان" انطلاقاً من 'ميدان التحرير'، وأن "سليمان" علم بالتهديد فدعا الجماعة رسميا للجلوس معه وَحَدَّدَ لهم موعدًا عاجلاً في التاسعة من صباح الثالث من فبراير ٢٠١١، وجماعة الإخوان بدورها وضعت أمام "سليمان" نائب الرئيس الجديد وقتها شرط تنحي "مبارك" أولاً، ورفضت الجماعة مناقشة مستقبل مصر معه، بل أخبرته شخصياً صراحةً أنه لا مكان له في هذا المستقبل، وأن عليه التفكير لنفسه، ولأسرته بشكلٍ عاجلٍ في منفى اختياري، وفي الواقع لم تسجل البرقية رَدَّ اللواء "سليمان" على تهديد الجماعة آنذاك، والمثير للدهشة أن "كيه بوخاري" سجلت في متن برقيتها معلومات حصلت عليها من عدة عناصر حذرت في ذلك التاريخ أن 'جماعة الإخوان المصرية' في طريقها لتشكيل قوة عظمى في الشرق الأوسط، وطبقًا لمعلومات مصادرها الموثوق بها أكدت "بوخاري" أن 'جماعة الإخوان' لديها خطة لسيطرة على العالم العربي حتى عام ٢٠٢٠، وحددت "بوخاري" بدقة أن خطة 'جماعة الإخوان' تُجاه دول الخليج الكبرى بدأت في ١٥ فبراير ٢٠١١ طبقًا لمعلومات مصادر وكالة الاستخباراتية المركزية الأمريكية ـ C.I.A ـ عندما عقدت 'الجماعة المصرية' يومها سرًّا في 'تركيا' أول اجتماع مغلق من نوعه لقادتها، بحثوا فيه ضرورة جيش إقليمي نظامي، وقوة شرطة إقليمية عملاقة تُدِينُ قواتها بالولاءِ التامِّ للجماعة وحدها، وفي برقية أثارت الفضول بعدما سجلت في خانة المحرر كلمة "لا أحد ـ NO ONE" الدالة على صدورها مباشرة عن قيادة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ـ C.I.A ـ كشفت أن 'جماعة الإخوان المصرية' أبلغت الإدارة الأمريكية في ذلك التاريخ صراحةً عزمها إنشاء 'حرب سياسي رسمي خاص بالجماعة' وثبت

في معلومات البرقية تأسيسه فعليًا بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠١١ ونفاجأ أن الإدارة الأمريكية وافقت بالفعل على كل مطالب الجماعة بما فيها إنشاء ذلك الحزب السياسي، وأن موافقة واشنطن صدرت بعد ساعة واحدة من إعلان اللواء "عمر سليمان" البيان التاريخي لتنحي "مبارك" عن الحكم من القاهرة بتاريخ ١١ فبراير ٢٠١١، وتتوالى أسرار ملف عملية "الملاءة الرطبة" في برقية ضابطة العملية "كيه بوخاري" سري للغاية رقم ٢٧٤٠٥٧٦ التي حررتها في تمام الساعة الرابعة وسبع دقائق، و١٨ ثانية من 'تل أبيب' بتاريخ الأول من مايو ٢٠١١ أبلغت فيها قيادتها في واشنطن معلومات موثقة وردت إليها من القاهرة، أكدت عزم 'جماعة الإخوان المصرية' على طلب تعهد أمريكي جديد يضمن للجماعة تأمين نسبة ٥١ في المائة من مقاعد مجلس الشعب المصري الـ ٤٩٨، وقد كشفت معلومات لقاء سري للغاية جرى في القاهرة خلف الكواليس السياسية الملتهبة صباح ٢ أكتوبر ٢٠١١ بين عناصر إستخباراتية أمريكية وجماعة الإخوان المصرية وعلى ضوء معلومات البرقية شارك في اللقاء دبلوماسيين من السفارة الأمريكية بالقاهرة لم تذكرهم البرقية شهدوا على تعهد 'جماعة الإخوان' المسلمين كتابة بصيغة المستقبل بمحاربة العنف الإسلامي المتشدد في مصر، وقد انتهى اللقاء بتسلم 'جماعة الإخوان المصرية' ورقة رسمية موقعة من البيت الأبيض تضمنت موافقة واشنطن السيادية على قبول الجماعة بدايةً من ٢ أكتوبر ٢٠١١ كطرف سياسي فاعل داخل أسرة المجتمع الدولي، أما البرقية سري للغاية التي حررها "بي بارسلي" ضابط العملية في تمام الساعة التاسعة و٥٨دقيقة، و١٩ثانية من واشنطن تحت رقم ٤٠٣٩٦٣٩ بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١١، فقد كشفت عن خلافات نشبت يومها بين 'جماعة الإخوان، والمؤسسة العسكرية المصرية' التي رفضت على حَدِّ معلومات البرقية تهميش المرأة، ودور شباب الثورة وَسَعْيِ الجماعة للسيطرة على نسبة ٧٥ في المائة من مقاعد البرلمان، بالإضافة إلى رفض المؤسسة العسكرية المصرية

اتفاق 'جماعة الإخوان' الجانبي مع عدد من 'الأحزاب السلفية' على شَغْلِ نسبة الـ ٢٥ في المائة الباقية من مقاعد البرلمان المصري، الأمر الذي أقلق الإدارة الأمريكية بقوةٍ من تداعيات تقسيم مقاعد البرلمان المصري على الجماعات، والأحزاب الدينية وحدها، مع اعتراض 'البيت الأبيض' على تهديد رجال أعمال الإخوان المبالغ فيه لأعمال البورصة المصرية وسعيهم للسيطرة عليها(١).

(٢) عدم قدرته على إدارة شئون البلاد، وتهميش قراراته وعدم الاستجابة بتنفيذ حظر التجول في المحافظات الثلاثة 'بورسعيد، والسويس، والإسماعيلية'، وذلك بعد الحكم في قضية بورسعيد «ألتراس أهلاوي»، يوم السبت ٢٦ يناير ٢٠١٣م، والذي راح ضحيتها ٧٢شابا في عمر الزهور، وبالرغم من إصدار "الرئيس المعزول" قرار حظر التجوال في المحافظات الثلاث، إلا أن هذه المحافظات ضربت بقرار "المعزول" عرض الحائط، بل وتصدت لقراره ولم تفعله، وظهر على شاشات التلفازات أن بعض الجماهير كانت تُجري مباريات كرة القدم في الساعة الواحدة صباحاً من اليوم الذي يلي هذا القرار مباشرة، مما أثار الكثير من الجدل والسخرية في أنحاء المعمورة لضعف هذا «المعزول» وعدم قدرته على تفعيل قراراته، أو تطبيقها.

(٣) قام بالحجر على حرية الرأي، ولم ينظر إلى المعارضين، أو الأحزاب المعارضة نظرة التواضع، بل نظر إليهم هو وجماعته نظرة استعلاءٍ وتكبرٍ وتهميشٍ، بل رفع أنفه هو وجماعته على هذا الشعب وهذه الجماهير الغفيرة الصاخبة على كثرة التصريحات التي أصابت الكثرة من الجماهير الواعية المدركة بالخوف على مستقبل هذا الوطن، لأنه نظر لمعارضيه على أنهم أعداء للوطن وليسوا معارضين شرفاء، ومنافسين أوفياء يحبون مصر، ويريدون لها الخير والاستقرار والرخاء، أكثر مما يريده هو وجماعته، ولذلك مما توقع سقوطه السريع، لأنه لم يحاول الاستفادة من أهل

(١) جريدة الصباح ـ الاثنين ١٩ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ـ ٢٠ يناير ٢٠١٤م ـ السنة الثانية ـ العدد: (٣٠) ص: (١١).

الخبرة والكفاءة، ولكنه لجأ إلى أهل الثقة والولاء له ولحزبه، ومكنهم من مفاصل الدولة من وزاراتٍ وإداراتٍ مختلفة، وتم التركيز في اختيار محافظين من فصيلهم للمحافظات التي لم تصوت لهم في الانتخابات الرئاسية، أو كانت نسبة التصويت ضئيلة وهذا نوع من الترويج لفكرهم ومنهجهم الخبيث الذي يريدون الترويج له لاكتساب ثقة الناس، وارتفاع شعبيتهم عند غالبية الجماهير في تلك المحافظات.

(٤) لم ينل "المعزول" الحب الجمعي كما ناله "ناصر والسادات"، ولم ينل أيضا شرعية الرضا الشعبي والتي سقطت أيضا بكثرة التظاهرات في جميع محافظات مصر، فأصبح الشعب يصفه بالكذاب، لأنه في مايو ٢٠١٢، قد صرح قائلا: إذا خرجت مسيراتٍ حاشدةٍ بميدان التحرير، والميادين المختلفة تُطالب بإسقاطي، فأنا أول من ينزل بناء على إرادةِ الشعبِ، ولكن الكذاب رأى بِعَيْنَيْ أُمَّ رَأْسِهِ الملايين الحاشدة في جميع المحافظات قبل ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ولكنه لم ينظر إلى ذلك؛ لأن التعالي والكبرياء في تلك اللحظة قد حجب عن أعينهم الحق والحقيقة، والأدهى والأمر من ذلك وهو حروج الجماهير المصرية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ والتي بلغ تعدادها أكثر من ٣٠ مليونا ملأت ميادين جمهورية مصر كلها، حتى أصبحت الصحف العالمية تُصَرِّحُ بأن هذه الحشود من الجماهير لم يشهد لها التاريخ بمثلها قبل ذلك، وبالرغم من هذه التصريحات، فقد أعلنت 'جماعة الإخوان' بكذبها الممنهج، بأن هذا 'فوتوشوب ـ Photoshop' وقد ضربوا بهذه التظاهرات عرض الحائط ولم يستجيبوا لأي نداءٍ من نداءاتِ أصحابِ الآراءِ الراجحةِ، والعقولِ المستنيرةِ، وتنحيه عن الحكم حفاظاً على دماء المصريين، إلا أنه أصر على كُرْسِيِّ الرئاسةِ محذرًا في خطابه الذي تلاه يوم ٢٨ يونيو ٢٠١٣ قائلا: (أنه سيحافظ على الشرعية بحياته، وأن من يبغي غير ذلك سيرتد عليه بغيه، وسيدخل البلد في نفق ضيقٍ مظلم، لا نعرف آخره، وندفع ثمنه كبيرا، وأنه لن يقبل بأن يخرج أحد ضد الشرعيةِ، وَرَدَّدَ قَائِلاً: هذا مرفوضٌ، هذا

مرفوضٌ، هذا مرفوضٌ، وَكَرَّرَ قَائِلاً" إذا كان الحفاظ على الشرعية ثمنه دمي، فأنا مستعد أن أبذله رخيصا حسبة لله) فبهذا التصريح الدمويِّ قد سقط من عين المصريين جميعاً ما عدا جماعته، وقد سقط أيضا من أعين الكثيرين ممن هم خارج مصر من دول العالم، والذين يحبون الحرية ويرغبون في تحقيقها، لأنه لم يتعظ بتجربة الرئيس الفرنسي "شارلي ديجول" عندما وجد الاحتجاجات من بعض الشباب وظهورهم في مظاهراتٍ، فأعلن الاستفتاء وقال: (إذا لم تأتِ النتيجة باستفتائي بـ ٦٥٪ سأترك منصبي في الرئاسة على الفور، ولما جاءت نتيجة الاستفتاء بأقل من ذلك ترك منصب الرئاسة على الفور، وأصبح اسمهُ يخلدُ في سجلٍّ عظماء التاريخ) لأنه بذلك قد أغلق باب الفتنة وصان دماء أهله وشعبه، أما "المعزول" فقد فتح باب الفتنة على مصراعيها وأهدر دماء المصريين الآمنين، وحراس الوطن أصحاب الأعين والساهرين على حدود الوطن والمواطنين، وبذلك سوف يسجل "مرسي وجماعته" في مزابل التاريخ.

(٥) لقد تعهد المعزول بعدم المساس بحرية الرأي لأي مصريٍّ، أو صحفيٍّ، أو منع أي قلم بالإدلاء برأيه مهما كانت التصريحات والنتائج، وكان ذلك في شهر يونيو ٢٠١٢، ولكنه سرعان ما تناسى تصريحاته وقام في شهر يوليو ٢٠١٢ بإصدار قرار إداري بوقف 'قناة الفراعين' لمدة ٤٥ يوما وأنذر القائمين عليها بسحب تراخيصها إذا استمرت في تجاوزاتها ضد "الرئيس المعزول" ولم يكتف الأمر بذلك بل حَرَّضَ أتباعه بالاحتشاد أمام المحكمة الدستورية لمنعهم من أداء عملهم، وخوفاً من أنهم يصدرون تشريعاً بإلغاء 'مجلس الشورى' كما تم في 'مجلس الشعب سابقاً'، ثم قام أنصار المعزول أيضا تحت مسمى 'حازمون' بالاحتشاد أمام مدينة 'الإنتاج الإعلامي' لإرهابهم وإرعابهم، والتعدي عليهم بالسباب، والتعرض لسيارات الإعلاميين وأشخاصِهِم بما لا يليق بهم وذلك لتكميم أفواههم، ولكن هؤلاء الإعلاميين أَبَوْا إلا أن يقولون غير الحقيقة، فَكَبْتُ الحرياتِ في عهد "المعزول" كان بمثابة 'الْقَشَّةِ الَّتِي

قَسَمَتْ ظَهْرَ الْبَعِيرِ[1]، فأراد أن يُقَيِّدَ الحرياتِ، ويجفف منابعها على أصحابها، وهذا ليس في الإسلام في شيء، بل إن الإسلام أطلق حرية الرأي، والاستماع إلى الرأي، والرأي الآخر، فقد كان محمدﷺ يستمع من غيره، ولا يحجر على أقوال الآخرين، وإذا أردت عزيزي القارئ أن تعرف ذلك جيداً فانظر إلى صلح الحديبية وقد تعرضنا له قبل ذلك، وكان من بعده صحابته الكرام، فقد ساروا على نهجه في هذا المجال، لأن الإسلام قد كفل للفرد حرية الرأي كفالةً تامةً، وقد كانت هذه الحرية مؤمنةً ومصانةً في عهد الخلفاء الراشدين، فكان «عمر بن الخطاب» يترك الناس يبدون آراءهم السديدة ولا يقيدهم ولا يمنعهم بما تكنه صدورهم، وكان النقد، أو النصح للحاكم في عهد "الفاروق" والخلفاء الراشدين مفتوحاً على مِصْرَاعَيْهِ، فقد قام الفاروق ـ رضي الله عنه ـ يخطب فقال: (أيها الناس، من رأى منكم فِيَّ اعوجَاجًا فَلْيُقَوِّمْهُ) فقام له رجلٌ وقال: والله لو رأينا فيك اعْوِجَاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بسيوفنا، فقَال عمر: (الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعْوِجَاجَ عمر بسيفه) واعتبر "عمر" ممارسة الحرية السياسية البناءة، أي: النصيحة تُعَدُّ وَاجبًا على الرعية ومن حق الحاكم أن يُطالبَ بها، فكان يقول: (أيها الرعية إن لنا عليكم حَقًّا: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير) وكان يرى أن من حق أَيِّ فَرْدٍ في الأمةِ أن يراقبُه وَيُقَوِّمُ اعْوِجَاجَهُ وَلَوْ بِحَدِّ السَّيْفِ إن هو حَادَ عن الطريق فقال: (أحب الناس إِلَيَّ من رفع إِلَيَّ عيوبي) وقال أيضا: (إني أخاف أن أُخْطِئَ، فلا يردني أحد منكم تَهَيُّبًا مِنِّي) وجاءه يوما رجل، فقال له ـ على رؤوس الأشهاد: اتق الله يا عمر، فغضب بعض الحاضرين من قوله وأرادوا أن يُسْكِتُوهُ عن الكلام، فقال لهم عمر: (لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها) ووقف ذات يوم يخطب في الناس، فما كاد يقول: (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا) حتى قاطعهُ أحدهم قائلاً: لاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ يا عمر، فقال عمر بهدوء: (لم يا عبد الله؟) قال: لأن كُلاً مِنَّا أَصَابَهُ قَمِيصٌ واحدٌ من القماش لستر عورته، فقال له عمر: (مكانك،

ثم نادى ولده "عبد الله"، فشرح عبد الله، أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه) فاقتنع الصحابة، وقال الرجل في احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين؛ وخطب ذات يوم، فقال: (لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القصة ـ يعني: "يزيد بن لحصين" ـ فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال) فقالت امرأة ـ معترضة على ذلك ـ: ما ذاك لك! قال: ولم؟ قالت: لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ٢٠) فقال عمر: (أصابت امرأة، ورجل أخطأ) وجاء في رواية أنه قال: (اللهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر) ثم رجع فركب المنبر فقال: (أيها الناس، إني قد نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يُعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل)[١].

فحرية الرأي بالنسبة للأمور الحياتية، والسياسية مطلقة، وليست مطلقة في نظر الشريعة، فليس للإنسان أن يفصح في كل ما يشاء، بل هي مقيدة بعدم مضرة الآخرين بإبداء الرأي، سواء كان الضرر عامًّا، أو خاصًّا، وهذا مما منعه عمر ـ رضي الله عنه ـ وحظره وقيده[٢].

وهذا مما لم يَسْتَوْعِبْهُ 'المعزول وجماعته'، فأراد أن يقسم ظهر المصريين بهذا الدستور المعيب، والذي طبخه في مكتب الإرشاد هو وجماعته، ووضعوا فيه قيودًا للشعب المصريِّ مَا وُضِعَتْ قبل ذلك في الدساتير منذ دستور ١٩٢٣ ولا قبل ذلك، وجيء بهذا الدستور بليل بعد ما طُبِخَ في 'مكتب الإرشاد' وَوَقَّعَتْ عليه لجنة المائة في 'مجلس الشورى'، مع العلم أنه لاقى بعض الاعتراضات من بعض من كانوا في اللجنة آنذاك، ولكن "الغرياني" استعجلهم في ذلك لِيُقِرُّوهُ رَغْماً عنهم ولكن إرادة الله غالبة، وكما يقول المثل الدارج عندنا في الفلاحين: (تيجي تصيده

(١) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره ـ د ـ علي محمد محمد الصلاَّبي ص: (١٤٥-١٤٦) والأثر قاله أبو يعلي في مجمع الزوائد برقم: (٤/ ٢٨٣)، وإسناده جيد.
(٢) المصدر السابق ص: (١٤٧).

يصيدك) فكما أرادت جماعة الإخوان والرئيس المعزول أن تصيد الشعب في هذا الدستور المعيب ومواده الناسفة لجميع الحريات، وجعل المعزول دكتاتوراً، صادهم الشعب المصري في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ووضع غالبيتهم في السجون قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١) ولولا أن الله قد هيأ الأسباب لهذا الشعب العظيم، وأرشدهم إلى النزول في ساحات الميادين في أنحاء الجمهورية طولها وعرضها في ٢٧ محافظة بأعداد غفيرة بلغت أكثر من ٣٣ مليون وساندهم جيش مصر العظيم، وقيد لهذه الجموع رجل وطني حتى النخاع الفريق أول «عبد الفتاح السيسي»، ولولا هذا الرجل ومعه قادته المخلصين ما تزحزح الرئيس وجماعته قيد أنملة عن الحكم، لأن حياء ماء الوجه لا يصل إلى وجوههم، لأنهم جُبِلُوا على التهميشِ والتطنيشِ، والتجارب السابقة تدل على ذلك، فقد قامت مليونيات كثيرة قبل ذلك أمام المحافظات، فكانوا يتصدون لها بإرهابهم، وعندما يرون أعداداً غفيرةً يغلقون أبواب المحافظات ويتركونها وقد رأيت ذلك بعيني أم رأسي، فى محافظة كفر الشيخ بأن مبنى المحافظة قد ترك خالياً وأغلقت أبوابه بالجنازير وكثير من المحافظات كانت قد اتبعت ذلك الأسلوب عندما كانت الجماعة تُحس بنزول الجماهير الغفيرة في الشوارع وقد سبق أن الدكتور «توفيق عكاشة» قد ضرب المثل الأعلى في المليونيات فقد ذهب إلى ١٧ محافظة على فتراتٍ متتابعةٍ وقد جرأ حزب الكنبة على النزول للميادين، وأكون صادقاً في ذلك أنه فعل بروفةً حقيقيةً لـ ٣٠ يونيو وعلى أثرها تناغم الشعب بجميع طوائفه، فأزاحوا طغيان «جماعة الإخوان» الجارف على مصر وشعبها، وضربوا كل المتآمرين على أُمِّ رأسهم، بل على قفاهم كَفًّا ساخِنًا، ليعلمون أن الشعب المصري وجيشه في رباط إلى يوم الدين من أجل أوطانهم وحدودهم، وأعراضهم، وأراضيهم الطاهرة، فأيد الله لهذا الشعب المخلصين من رجاله الأسود الذين حموا عن عرينهم كل خائنٍ وجبانٍ، مما تسبب في فشل «المخطط الصهيو أمريكي والمسمى بالشرق الأوسط الكبير، أو لعبة الشيطان الأمريكي» ضد مصر والعالم العربي، وعوداً إلى دستور ٢٠١٢ المكبل والمقيد للحريات، بعد

ما دار الصراع ما بين (نعم)، و(لا) وأصبح هذا الصراع السياسي في استفتاء مارس ٢٠١١ ولم نر صراعاً سياسياً قبل ذلك على مستوى العالم خصوصاً في مصر حيث أطلقت عبارات الإيمان والجنة لمن قال (نعم)، والكفر والنار لمن قال (لا)، وقد جرى على (دستور الإخوان) في يومين، اليوم الأول السبت ١٥ ديسمبر ٢٠١٢، واليوم الثاني السبت ٢٢ ديسمبر ٢٠١٢، وقد جرى الاستفتاء على دستور الشعب في يومين، اليوم الأول الثلاثاء ١٤ يناير ٢٠١٤، واليوم الثاني الأربعاء ١٥ يناير ٢٠١٤، وكانت مصر في هذين اليومين كالعروس التي زُينت يوم زفافها، فقد ظهر التجانس والتناغم مع جميع طوائف الشعب، أطفالاً، وشباباً، وشيوخاً، ونساءً ترتسم البسمة والفرحة على وجوههم جميعاً وكأنهم في يوم عِيدٍ، ولم يبالوا جميعاً بتحذيرات (جماعة الإخوان الإرهابية) كاشفين صدورهم جميعاً لتفجيراتهم، وإرهابهم، وإرعابهم وَلَبُّوا نداء من أحبوهُ حُبًّا جَمْعيًّا، لأن الچينات المصرية رأت الفارسُ الوطنيُّ الذي تصدى لكل من خان أمن هذا الوطن، فأعطته قلوبها طواعيةً، ووهبت هي الأخرى أرواحها لكل حبة رملٍ من رمال مصرنا المحروسة، وإليك عزيزي القارئ نتيجة لاستفتائين:

استفتاء الدستور المصري ٢٠١٢			استفتاء الدستور المصري ٢٠١٤		
الاختيار	الأصوات	النسبة المئوية	الاختيار	الأصوات	النسبة المئوية
نعم (✓)	١٠,٦٩٣,٩١١	٪٦٣,٨	نعم (✓)	١٩,٩٨٥,٣٨٩	٪٩٨,١
لا (✓)	٦,٠٦١,١٠١	٪٣٦,٢	لا (✓)	٣٨١,٣٤١	٪١,٩
أصوات جائزة	١٦,٧٥٥,٠١٢	٪٩٨,٢	أصوات جائزة	٢٠,٣٦٦,٧٣٠	
أصوات فارغة أو ملغاة	٣٠٣,٣٩٥	٪١,٨	أصوات فارغة أو ملغاة	٢٤٦,٩٤٧	

مجموع الأصوات	١٧,٠٥٨,٣١٧	١٠٠٪	مجموع الأصوات	٢٠,٦١٣,٦٧٧	١٠٠٪
نسبة المصوتين		٣٢,٩٪	نسبة المصوتين		٣٨,٦٪
المصوتون	٥١,٩١٩,٠٦٧		المصوتون	٥٣,٤٢٣,٤٨٥	

وسنعرض الآن المواد المختلف عليها في دستور ٢٠١٢ حيث اعترض عليه قطاع كبير من الساسة والقادة، لأن الأنامل التي كُتبت وسُطرت لهذا الدستور، لا تحب الوطن، ولا ترعى مصالحه، ولا تحب لهذا الشعب الكريم أن يعيش في أمنٍ وسلام وحسن جوارٍ، وقد بلغ عدد المواد التي تُحصن قرارات رئيس الجمهورية وتجعل منه دِكْتَاتُوراً يُحاسب الناس، ولا يجرؤ على حسابه أحد، ولذلك فقد تعددت المواد في الدستور والذي يتم فيها تناول صلاحيات الرئيس، فرئيس الجمهورية هو رئيس السلطة التنفيذية (مادة ١٣٢)، وهو يختار رئيس الوزراء (مادة ١٣٩)، ويضع السياسة العامة للدولة (مادة ١٤٠)، وهو المسئول عن الدفاع والأمن القومي، والسياسة الخارجية (مادة ١٤١)، ويرأس اجتماعات الحكومة التي يحضرها (مادة ١٤٣)، وَيُبْرِمُ المعاهدات الدولية (مادة ١٤٥)، وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة (مادة ١٤٦)، وهو من يُعين الموظفين المدنيين والعسكريين ويعزلهم (مادة ١٤٧)، ويُعلن حالة الطوارئ (مادة ١٤٨)، ويعفو عن عقوبة المحكوم عليهم ويخففها (مادة ١٤٩)، ويدعو الشعب للاستفتاء (مادة ١٥٠)، وهو الذي يُعين عشرة في المائة من أعضاء مجلس الشورى (مادة ١٢٩)، ويُعين أعضاء المحكمة الدستورية العليا (مادة ١٧٦)، ويُعين رؤساء الهيئات الرقابية بعد موافقة مجلس الشورى (مادة ٢٠٢)، ويرأس مجلس الأمن القومي (مادة ١٩٣).

ومن أبرز المعترضين على هذه المواد المرشح الرئاسي السابق «عمرو موسى» والذي اعتبر أن هذه المواد تؤسس لحكم استبدادي، فيقول: (احتفظ بكل سلطات الرئيس في دستور ٧١، وزاد عليها سلطة تعيين رؤساء الهيئات والأجهزة الرقابية التي تراقب عليه) وهو ما وافق عليه أستاذ القانون الدستوري، والمنسحب من الجمعية

التأسيسية الدكتور «جابر نصار» معتبراً أن اختصاصات الرئيس زادت بشكل غير طبيعي خلال مسودة الدستور، لتصبح ٢٢ مادة، بزيادة نحو ١٠ مواد تشمل صلاحيات جديدة بخلاف الدساتير السابقة.

أما المادة (٢١٩)، فتقول: (مبادئ الشريعة الإسلامية تشمل أدلتها الكلية، وقواعدها الأصولية والفقهية، ومصادرها المعتبرة في مذاهب أهل السنة والجماعة) وجاءت هذه المادة مفسرةً للمادة الثانية، والتي تنص على أن الإسلام دين الدولة، وسبب الاعتراض في أنه لم يحدث في تاريخ الدساتير على مستوى العالم أن وُضِعَ في دستور مادة تفسيرية لمادة أخرى، ومن أبرز المعترضين عليها «جابر نصار»، والذي أوضح أن هذه المادة سوف تُؤدي إلى أزماتٍ شديدةٍ، لأن النظام القانوني المصري كان يأخذ بنظم قانونية متعددة، وكان يفتح آفاقاً على مذاهب إسلامية كثيرة، والمعترضين أيضا القيادي بحزب التجمع «حسين عبد الرازق»، والذي أوضح أن المادة (٢١٩) ستحول الدولة إلى دولة دينية، وتكاد تكون لبنةً أولى لدولة ولاية الفقيه.

● مواد حرية الصحافة:

كان هناك عدة اعتراضات على المواد الخاصة بحرية الصحافة خاصة المادة رقم (٤٨) والتي تنص عى: (حرية الصحافة والطباعة والنشر وسائر وسائل الإعلام مكفولة، وتؤدي رسالتها بحرية واستقلال لخدمة المجتمع والتعبير عن اتجاهات الرأي العام والإسهام في تكوينه وتوجيهه في إطار المقومات الأساسية للدولة والمجتمع، والحفاظ على الحقوق والحريات والواجبات العامة، واحترام حرمة الحياة الخاصة للمواطنين ومقتضيات الأمن القومي؛ ويحظر وقفها، أو غلقها، أو مصادرتها إلا بحكم قضائي، والرقابة على ما تنشره وسائل الإعلام محظورة، ويجوز استثناء أن تُفرض عليها رقابة محددة في زمن الحرب، أو التعبئة العامة).

ومن أهم أسباب الاعتراضات على مواد حرية الصحافة هي عدم النص على حظر عقوبة الحبس في جرائم النشر، وعدم تحديد المقصود بمقتضيات الأمن القومي، ومن أبرز المعترضين عليها الإعلامي "حمدي قنديل" والذي اعتبر أن المادة (٤٨) مليئة بعبارات غامضة تفتح الباب أمام البطش بحرية الصحافة، وأوضح القيادي الإخواني السابق "مختار نوح" أن الصحف ونقابة الصحفيين كان لا يجوز حَلّهَا في دستور "٧١"، أما في الدستور الحالي، فيجوز حل الصحف بحكم قضائي، واعتبر الفقيه الدستوري "يحيى الجمل" أن مواد الصحافة بها نوعاً من العوار، فقد تم حذف السلطة الشعبية الخاصة بالصحافة كما أنها منعت حق تأسيس القنوات الفضائية بالفضائيات.

- مادة (٣٥):

(فيما عدا حالة التلبس، لا يجوز القبض على أحد ولا تفتيشه ولا حبسه، ولا منعه من التنقل ولا تقييد حريته بأي قيدٍ، إلا بأمر قضائي مسبب يستلزمه التحقيق، ويجب أن يبلغ كل من تقيد حريته بأسباب ذلك كتابة خلال اثنى عشرة ساعة، وأن يقدم إلى سلطة التحقيق خلال أربع وعشرين ساعة من وقت تقييد حريته، ولا يجري التحقيق معه إلا في حضور محاميه؛ فإن لم يكن ندب له محام، ولكل من تقيد حريته، ولغيره، حق التظلم أمام القضاء من ذلك الإجراء والفصل فيه خلال أسبوع، وإلا وجب الإفراج حتماً، وينظم القانون أحكام الحبس الاحتياطي ومدته وأسبابه، وحالات الاستحقاق والتعويض عن الحبس الاحتياطي، أو عن تنفيذ عقوبة صدر حكم بات بإلغاء الحكم المنفذة بموجبه).

ومن أبرز المعترضين على هذه المادة (جبهة التحرير القومية) التي اعتبرت أن المادة تتيح للداخلية ضبط أي مواطن دون جريمة واضحة ويتم احتجازه لمدة ١٢ ساعة، ويتم خلالها إهانة كرامة المواطن والاعتداء عليه بكل الوسائل.

- **المواد الخاصة بالقوات المسلحة:**

واجهت المواد الخاصة بالقوات المسلحة في الدستور عدة اعتراضات كان

أبرزها نصيب المادة (١٩٨) والتي تنص على: (أنه لا يجوز محاكمة مدني أمام القضاء العسكري إلا في الجرائم التي تضر بالقوات المسلحة؛ ويحدد القانون تلك الجرائم، ويبين اختصاصات القضاء العسكري الأخرى).

وسبب الاعتراض أنها تتعارض مع المادة (٧٥) والتي تنص على: (ألا يحاكم شخص إلا أمام قاضيه الطبيعي)، وتعترض أعداد من الأحزاب والحركات على هذه المواد من ضمنها حزب مصر القوية.

المواد الخاصة بالمحكمة الدستورية:

يعتبر حزب الجبهة أن مواد الدستور (١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) تقلل من اختصاصها المحكمة الدستورية خصوصاً المادة (١٧٦) والتي تنص على (تشكيل المحكمة الدستورية العليا من رئيس وعشرة أعضاء، ويبين القانون الجهات والهيئات القضائية، أو غيرها التي ترشحهم، وطريقة تعيينهم، والشروط الواجب توافرها فيهم، ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية)

وقد تم تقلص عدد أعضاء المحكمة الدستورية العليا من ١٨ إلى ١١ عضواً، ويعينهم رئيس الجمهورية، وهو ما يعني بحسب الرافضين للمواد التعدي على الجمعية العمومية للمحكمة، ويقضي على استقلالية أعلى مراتب السلطة القضائية.

المادة (٧٠):

ونص المادة يقول: (يحظر تشغيل الطفل قبل تجاوزه سن الإلزام التعليمي في أعمال لا تتناسب معه، أو تمنع استمراره في التعليم) وهذه المادة قيل أنها تُخالف المواثيق الدولية لحقوق الطفل، ومن أبرز المعارضين لهذه المادة (الجمعية المصرية لمساعدة الأحداث وحقوق الإنسان، وحزب الجبهة الديمقراطي)؛ حيث يطالب

الحزب تحريم تشغيل الأطفال على الإطلاق[1].

لذا فقد كثرت التظاهرات، والاحتجاجات في جميع المحافظات والميادين وكان الاحتجاج الصادم أمام قصر الاتحادية بسبب دستور مرسي وجماعته المكبل لكل الحريات، فمن أجل ذلك تم دعوة عدد من الأحزاب والقوى السياسية، حيث انطلقت يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر ٢٠١٢ مسيرات من مختلف مناطق القاهرة متجهة صوب القصر الرئاسي بمصر الجديدة، ترفع شعارات ضد الإعلان الدستوري الصادر من الرئيس "محمد مرسي" في يوم ٢١ نوفمبر ٢٠١٢، والذي حَصَّنَ قرارات الرئيس بما فيها الإعلانات الدستورية الصادرة عنه من الطعن أمام أي جهة قضائية، وأعطى الرئيس الحق للجوء لأية إجراءات استثنائية يراها ضرورية، كما أدانت مسيرات يوم الثلاثاء مشروع الدستور الذي استفتى عليه المواطنون لاحقاً في يومي ١٥ و٢٢ ديسمبر، من حيث المضمون والطريقة الإقصائية التي شُكلت بها الجمعية التأسيسية والمنهجية التي اتبعتها أثناء صياغة وإقرار مواد الدستور، ومع تزايد أعداد المتظاهرين بشكلٍ عفويٍّ، اضطرت قوات الأمن للتراجع وفتح الحواجز التي كانت قد أقامتها في الشوارع المؤدية للقصر الرئاسي، واحتشدت مئات الآلاف حول أسوار القصر مرددين هتافاتهم دون أن تُرصد أي مظاهر عنفٍ، أو محاولةٍ لاقتحام القصر الرئاسي حتى عقب انسحاب قوات الأمن التي كانت قد أعادت انتشارها بمحاذاة أسوار القصر، وبحلول الفجر وتناقص أعداد المتظاهرين عادت حركة المرور في الشوارع المحيطة بالقصر إلى طبيعتها، فيما قرر عشرات المتظاهرين بدء الاعتصام أمام بوابة القصر المطلة على شارع (الميرغني)، واتسم بالهدوء التام إلى أن تواترت الأنباء بحلول ظهر الأربعاء ٥ ديسمبر عن قيام مجموعات من أنصار "محمد مرسي"، وهم 'أعضاء جماعة الإخوان، وجماعات أخرى' بالاحتشاد للتوجه إلى مقر القصر الرئاسي، وأصدرت 'جماعة

(١) شبكة الإنترنت.

الإخوان' بياناً يدعو أعضاءها للتظاهر أمام القصر من أجل 'حماية الشرعية'، بينما صرح الدكتور "محمد سعد الكتاتني" رئيس حزب الحرية والعدالة أن: (الحزب سيشارك في التظاهرة التي تنظمها القوى الشعبية للتظاهر أمام مقر قصر الاتحادية عصر اليوم لدعم الشعرية التي انتخبها الشعب المصري)، وشهد باحثو المبادرة المصرية الذين تواجدوا بموقع الأحداث لرصد التطورات أنه بحلول الساعة الثانية ظهراً بدأ توافد المتظاهرين المؤيدين للرئيس بأعدادٍ كبيرةٍ، إلا أنه خلال الساعة الأولى وقف الجمعان، كل يطلق هتافاته ولا تفصلهما إلا أمتارٍ قليلةٍ، ولم تحدث اشتباكاتٍ إلا بعض المناوشات اللفظية والمشادات بالأيدي والتي حاول الطرفان في البداية السيطرة عليها، وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف، وبعد تجمع الآلاف من مؤيدي الرئيس بدأوا بمهاجمة خيام الاعتصام وضرب المعتصمين والصحفيين الموجودين بمكان الحدث ضرباً مبرحاً باستخدام العصي، والشوم، والحجارة، مما أدى إلى إصابتهم بجروح، في غيابٍ تامٍّ لقوات الأمن، وأفاد عدد من شهود العيان أنه كان هناك ما يكفي من الشواهد، بأنَّ التعليمات التي تلقاها المتظاهرون المؤيديون للرئيس كانت بإزالة الاعتصام المعارض بأيِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، وهو ما يتسق مع تصريحات القيادي في حزب 'الحرية والعدالة' "عصام العريان" في اليوم ذاته بأنه: (إذا كانت أجهزة الدولة ضعيفة ومثخنة بجراح الفترة السابقة، فإن الشعب قادر على فرض إرادته، وسيكون أعضاء الحزب إن شاء الله في مقدمة الصفوف)، وهو ما يحمل في طياته تهديداً باستخدام قوات غير نظامية لقمع المعارضين، ومع غروب الشمس كان أنصار "الرئيس مرسي" قد سيطروا تماماً على محيط القصر الرئاسي طبقا لرصد المبادرة المصرية، وبدأت مجموعة من المعتصمين الذين انضم لهم مئات من المواطنين ـ كانوا قد هبوا لنجدة المعتصمين المعتدى عليهم في الاحتشاد للتوجه لمحيط القصر الرئاسي مجدداً، إلا أنهم أثناء توجههم لمحيط القصر حوالي الساعة السابعة، فوجئوا بمدنيين يحملون

أسلحة خرطوش ويصوبون عليهم، كما تعرضوا لإطلاق قنابل الغاز بشكل كثيف من قِبَلِ نفس المجموعات من المدنيين، وأفاد الدكتور "كريم سيدراك" الطبيب بمستشفى القصر العيني الفرنساوي، والذي تواجد بدءاً من الساعة السابعة من مساء الأربعاء في المستشفى الميداني التي أقيمت في الكنيسة الإنجيلية وعند سور نادي 'هيليو ليدو'، بأن أغلب الإصابات كانت بطلقات خرطوش في منطقة الرأس والرقبة، وأشار إلى أنه عالج بنفسه ٢٠ حالة كان نصفهم على الأقل مصابين بطلقات خرطوش، وأكد أن معظم الإصابات كانت في صفوف المتظاهرين المعارضين، وقد أسفرت هذه الأحداث عن مقتل عشرة أشخاص وإصابة '٧٤٨' طبقاً لوزارة الصحة، وأكدت تقارير الطب الشرعي أن الوفيات التي وقعت في صفوف كل من المؤيدين والمعارضين جاءت نتيجة الإصابات بالرصاص الحي والخرطوش، واستطاعت المبادرة المصرية التأكد من ثمانية منهم: محمود محمد إبراهيم (٣٥ عاما)، ومحمد ممدوح الحسيني (٣٠ عاما)، ومحمد خلاف (٣٥ عاما)، وهاني محمد سند الإمام (٣٢ عاما)، ومحمد محمد سنوسي علي (٢٢ عاما)، وعلاء محمد توفيق (٢٨ عاما)، والصحفي الحسيني أبو ضيف (٣٢ عاما)، وخالد طه أبو زيد (٢٥ عاما)، بينما أضافت مصادر حزب الحرية والعدالة اسمي، ياسر محمد إبراهيم (٣٤ عاما)، ومحمد سعيد سلام (٤٢ عاما)، وتؤكد أحداث يوم الأربعاء ٥ ديسمبر ٢٠١٢ على ارتكاب أفراد مدنيون انتهاكات جسيمة في حق المتظاهرين، تشمل التعذيب البدني، والاغتيال اللفظي، من سب وقذف بأفظع الألفاظ، وكان ذلك أمام أبواب قصر الاتحادية على مرمى ومسمع من أعين "مرسي" وحاشية قصره، وقد نقلت ساعتها شاشات التلفازات التعدي بالضرب والسب والسحل على المتظاهرين الذين ليس لهم أي ذنب، إلا أنهم كانوا يعبرون عن بعض آرائهم، وفي شهادة اللواء أركان حرب 'محمد أحمد زكي' قائد الحرس الجمهوري السابق والذي يُحمل "مرسي" ومساعديه مسئولية أحداث الاتحادية مثل

المهندس "أسعد الشيخة"، و"أحمد عبد العاطي" مدير مكتب رئيس الجمهورية، و"رفاعة الطهطاوي" رئيس ديوان الرئاسة السابق، و"أيمن هدهد" المستشار الأمني للرئيس المعزول في أيام ٣، و٥، و١٧ أغسطس ٢٠١٣، ويضيف قائد الحرس قائلاً: (أثناء الأحداث، تلقيت اتصالاً من قائد مجموعة التأمين العميد "خالد عبد الحميد"، وقال لي: إن هناك أشخاص مضروبة على بوابة رقم ٤، والمهندس "أسعد الشيخة" عايز يدخل الناس دي جُوَّه القصر، اتنرفزت جداً وأصدرت له أمراً بعدم دخول أي مخلوق للقصر أيًّا كان من سيصدر هذا الأمر حتى لو كان رئيس الجمهورية).

فأراد مرسي ومساعديه إدخال بعض المتظاهرين والمحتجزين عند البوابة رقم (٤) لإظهارهم أمام النيابة أنهم هم الذين تعدوا على قصر الرئاسة ودخلوه بالقوة وهذا يخرج القضية عن مدلولها، ولذلك قد تم إخلاء سبيل المتهمين في أحداث قصر الاتحادية برئاسة المستشار "مصطفى خاطر" المحامي العام لنيابة شرق القاهرة الكلية، لأن النيابة لم تجد مبرراً لاتهام هؤلاء.

أما الأنامل التي سطرت لدستور لشعب ٢٠١٤ فهي أنامل قد أحبت هذا الشعب، وأرادت له الاطمئنان والحرية، والعيش في أمن وأمان، مُلَبِّيَةً نداء ثورته المجيدة، عيش ـ حرية ـ عدالة اجتماعية ـ كرامة إنسانية، وإليك استعراض بعض المواد المنادية بذلك، لِتَعْلَمَ صِدْقَ مَا نَقُولُ: فالدستور يشمل ٥٠ مادة نافذة بذاتها في المقومات الأساسية والحقوق والحريات وسيادة القانون، وسنذكر بعضاً منها حتى نتجنب الإطالة:

- الكرامة الإنسانية: فقد نصت المادة رقم ٥١ على أن: (الكرامة حق لكل إنسان، ولا يجوز المساس بها، وتلتزم الدولة باحترامها وحمايتها).

- وأما المادة٥٢، فقد نصت على أن: (التعذيب بجميع صوره وأشكاله، جريمة لا تسقط بالتقادم) قالﷺ: (الْإِنْسَانُ بُنْيَانُ الرَّبِّ، مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ هَدَمَهْ).

- ونصت المادة ٥٣ على أن: (المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والحريات والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الدين، أو العقيدة، أو الجنس، أو الأصل، أو العرق، أو اللون، أو الإعاقة، أو المستوى الاجتماعي، أو الانتماء السياسي أو الجغرافي، أو لأي سبب آخر، والتمييز والحض على الكراهية جريمة، يُعاقب عليها القانون، وتلتزم الدولة باتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على كافة أشكال التمييز، وينظم القانون إنشاء مفوضية مستقلة لهذا الغرض)

تُعَدُّ المساواة في الدين الإسلامي من أقدس الواجبات وأهمها، ونظر الدين الإسلامي على أن الناس متساوون، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، الغني والفقير، الأبيض والأسود، العرب والعجم، لذلك فإنه ألغى الفوارق بين الناس جميعاً بسبب الأجناس، والأنساب، والألوان، والطبقات، والحكام والمحكومين، كلهم في نظر الشرع سواء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ويوافق نص المادة ٥٥، المادة ٥٢، حيث جاء فيها: (كل من يُقبض عليه، أو يُحبس، أو تُقيد حريته تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامته، ولا يجوز تعذيبه، ولا ترهيبه، ولا إكراهه، ولا إيذاؤه بدنياً، أو معنوياً، ولا يكون حجزه، أو حبسه إلا في أماكن مخصصة لذلك، لائقةً إنسانياً وصحياً، وتلتزم الدولة بتوفير وسائل الراحة للأشخاص من ذوي الإعاقة، ومخالفة شيءٍ من ذلك جريمة يُعاقب مرتكبها وفقًا للقانون، وللمتهم حق الصمت، وكل قول يُثبت أنه صدر من محتجز تحت وطأة شيءٍ مما تقدم، أو التهديد بشيء منه يُهْدَرُ وَلاَ يُعَوَّلَ عَلَيْه).

وجاء نص المادة ٥٨، بأن: (للمنازل حرمة، وفي ما عدا حالات الخطر، أو الاستغاثة لا يجوز دخولها، ولا تفتيشها، ولا مراقبتها، أو التنصت عليها، إلا بأمرٍ

قضائيٍّ مسببٍ، يُحدد المكان، والتوقيت: والغرض منه، وذلك كله في الأحوال المبينة في القانون، وبالكيفية التي ينص عليها، ويجب تنبيه من في المنازل عند دخولها، أو تفتيشها، واطلاعهم على الأمر الصادر في هذا الشأن).

وهذا من الحقوق الواجبة لأي إنسانٍ على السواء، فقد حرص المجتمع الجاهلي في مكة على عدم التعدي على البيوت، ولنا شاهدٌ في ذلك، فلما اختارت مكة من كل قبيلة شاباً قويًّا لقتل محمدﷺ ووقفوا أمام بيته انتظاراً لخروجه لصلاة الفجر، ولم يَجْرُؤْ أحدًا منهم على الوثب على جدار بيت النبي والذي لا يتعدَّ ارتفاعه مترًا ونصفًا، لأن العرب كانت تَعُدَّ ذلك سُبَّةً، أَوْ مَعَرَّةً، وحرص الإسلام على صيانة البيوت والحضِّ عليها، والتصدى بكل قوة لمن يتعدى عليها بدون إذن أصحابها حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النور: ٢٧) فقد حث الإسلام على شرعية هذه الآداب، حيث أَدَّبَ اللهُ عبادهُ المؤمنينَ في الاستئذان في الدخول في بيوتٍ غير بيوتهم، إلا أن يستأذن صاحبها ثلاث، فإن أُذن له، وإلا انصرف على لفور لحديث أبي داود، عن أبي موسى أن رسول اللهﷺ قال: (إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَنْصَرِفْ)(١).

وفي رواية أخرى قال رسول اللهﷺ: (إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ)(٢).

فالاستئذان مَا جُعِلَ إلا لعدم اطِّلَاعِ العينِ على عوراتِ البيوتِ، لأن النظر بَرِيدُ

(١) إسناده صحيح لشواهده: أخرجه البخاري في لأدب المفرد (١٠٧٨) (٢/ ٥١٣)، وله شاهد عند أبي دواد برقم: (٥/ ٣٦٧).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والإمام مالك، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، عن أبي موسى، وأبي سعيدٍ معاً، وجاء في الطبراني الكبير، والضياء، عن جندب البجلي ـ رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣١٨).

الزِّنَا، لذلك فقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)(١).

ولذلك فلا دية ولا قصاص، لمن فَقِئَتْ عَيْنُهُ، عند اطلاعه في بيتٍ من بيوتِ قوم بغير إذنهم، فما بَالُكَ بمن يُدَاهِمَ الْبُيُوتَ عُنْوَةً بدون إذن أهلها، حيث قال رسول الله ﷺ: (مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَفَقَئُوا عَيْنَهُ فَلَا دِيَةَ وَلَا قِصَاصَ)(٢).

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ (البقرة: ١٨٩)، كما نهى الله عن التنصت والتجسس، فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ (الحجرات: ١٢)، فمن أجل ذلك تُصْبِحُ حُرْمَةَ الْمَسْكَنِ مَكْفُولَةً وَمُصَانَةً مِنْ آذانِ الْمُتَنَصِّتِينَ، وَأَعْيُنِ الْبَصَّاصِينَ.

ونصت المادة ٥٩ على أن: (الحياة الآمنة حق لكل إنسان، وتلتزم الدولة بتوفير الأمن والطمأنينة لمواطنيها، ولكل مقيم على أراضيها).

والأمن والأمان من أكثر النعم التي أنعم الله بها على عباده، فمن أجل ذلك أرسل الله الأنبياء والرسل حتى يتحقق الأمن والأمان للبشر أجمعين، ليصبح الهدف من ذلك هو إصلاح ذات البين الذي يجعل المرء آمناً على نفسه، فلا يَشْغَلْهُ شاغل، وَلَا تعْتَرِضْهُ الهواجس والمخاوف التي تجعله متفرغاً للعمل الجاد والعبادة الْمَرْجُوَّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالأمن من أَجَلِّ النعم على ابْنِ آدَمَ،، وَلاَ يَتَأَتَّى ذلك، إلا براع للبلادِ محنكٍ، قويٍّ، أمينٍ، حاذقٍ، يعرف مكمن الخطر

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ وجاء في مختصر مسلم برقم: (١٤٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٣٥٤)، وأخرجه أبو داود برقم: (٥/ ٣٦٧)، ورقم (٥١٧٤)، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام، والنسائي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، وجاء في الإرواء برقم: (٢٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٠٤٦).

على أمته، فيبادر سريعاً بالقضاءِ عليهِ بذكاءٍ وَرَوِيَّةٍ، بعيدًا عن الحذلقةِ والتهورِ، ليصون أمن البلاد والعباد في الداخل والخارج، أما في الداخل، فيحارب الإرهاب والبلطجة، لِيَصُونَ الأجسادِ، والأعراض، والمنشآتِ، وأما في الخارج، فيصون أمن الوطن، ويحافظ على حدوده وأراضيهِ من أيِّ اعتداء غاشم، لأن الأمن والأمان من مقومات الراعي، كما قال ﷺ: (كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[1].

ولذلك فقد حرص رسول الله ﷺ على توفير الأمن لرعاياه، ومن بعده صحابته الكرام صاروا على نهجه في هذا المجال، فهذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لم يحرص على الأمن والأمان لرعيته فقط، بل حرص عليهما، ووفرهما للحيوان أيضا، فكان يقول: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَتَعَثَّرَ بَغْلَةً فِي الْعِرَاقِ أُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وقوله أيضاً: (الْزَمُوا السُّنَّةَ، تُلْزِمُكُمْ الدَّوْلَةَ) أي: اثبتوا على طريق الله المستقيم، كما سار عليه محمد ﷺ، وصحابته الكرام، يُمكن لكم في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ (النور: ٥٥).

وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتَ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا)[2].

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما، وجاء في تخريج مشكلة الفقر برقم: (٩٣)، وغاية المرام برقم: (٢٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٤٥٦٩).

(٢) الحديث حسن: رواه البخاري، والترمذي، وابن ماجة، عن عبد الله بن محصن ـ رضي الله عنه ـ وجاء في صحيح الترغيب برقم: (٨٢٦)، والصحيحة برقم: (٢٣١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٠٤٢)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١١٢)، ورقم: (٣٠٠)، والترمذي (٤/ ٥٧٤)، ورقم: (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٧)، ورقم: (٤١٤١)، وأخرجه القضاعي (١/ ٣٢٠)، ورقم: (٥٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٤)، ورقم: (١٠٣٦٢)، وجاء في المتن بدلا من (جسده) (بدنه).

وجاء نص المادة ٦٣ على أن: (يحظر التهجير القسري التعسفي للمواطنين بجميع صوره وأشكاله، ومخالفة ذلك جريمة لا تسقط بالتقادم).

لذا وجب على رئيس الدولة حماية جميع الطوائف والملل الذين يعيشون على أرضه، مهما أن كلفه ذلك الأمر لأنه راعٍ لهما ومسئول عنهم يوم القيامة، ونحن نتذكر في عهد "المعزول" ما حدث يومي ١٤، ١٥ أغسطس٢٠١٣ بعد فَضِّ اعتصامي "رابعة، والنهضة"، وقيام 'جماعة الإخوان، والسلفية الجهادية' بتهجير نحو ١٥٠ أسرة من الأقباط عنوةً، وقهراً، وفرض الجزية على بعض الأسر، ومنهم من كان يدفع ٢٠٠ جنيه، والبعض الآخر كان يدفع ٥٠٠ جنيه، وسنتعرض لذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى، وهذا خارجاً عن مألوف سماحة الإسلام ورحمته بالضعفاء، فقد كانت حرية المسكن مكفولة ومصانة في عهد "الفاروق"، وعصر الخلفاء الراشدين، أما حرية الملكية فقد كانت مكفولة ومصانة في عصر الراشدين ضمن أبعد الحدود التي تقرها الشريعة الإسلامية في هذا المجال فحين اضطر "عمر" ـ رضي الله عنه ـ لأسبابٍ سياسيةٍ وحربية بإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربية، إلى العراق، والشام أمر بإعطائهم أرضًا كأرضهم في الأماكن التي انتقلوا إليها احترامًا منه وإقراراً لحق الملكية الفردية الذي يكفله الإسلام لأهل الذمة مثلما يكفله للمسلمين، وعندما اضطر "عمر" إلى نزع ملكية بعض الدور من أجل العمل على توسيع المسجد الحرام في مكة، ولم يكن دفعه للتعويض العادل إلا اعترافاً منه وإقراراً بحق الملكية الفردية التي لا يجوز مصادرتها حتى في حالة الضرورة إلا بعد إنصاف أصحابها، وحرية الملكية لم تكن في عهد الراشدين مطلقة، وإنما هي مقيدةً بالحدود الشرعية وبمراعاة المصلحة العامة، فقد روي أن (بلالاً بن الحارث المزني) جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يستقطعه أرضًا، فأقطعه أرضًا طويلةً عريضةً، فلما آلت الخلافة إلى "عمر ـ رضي الله عنه ـ" قال له: "يا بلال"، إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضًا طويلةً عريضةً فقطعها

لك، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله، وأنت لا تطيق ما في يدك، فقال: أجل، فقال عمر: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تُطِقْ، وما لم تَقْوِ عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال: لا أفعل والله شيئاً أقطعنيه رسول الله ﷺ، فقال "عمر": والله لتفعلن، فأخذ "عمر" ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين، وهنا يدل على أن الملكية الفردية مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بمصلحة الجماعة؛ فإن أحسن المالك القيام بما يتطلبه معنى الاستخلاف في الرعاية والاستثمار فليس لأحدٍ أن ينازعهُ ملكهُ، وإلا فإن لولي الأمر أن يتصرف بما يحول دون إهماله[1].

فأين عمر ـ رضي الله عنه ـ مما نحن فيه الآن؟

وأين قادة مصر ورؤساؤها من بعض القلة الذين يمتلكون آلاف الأفدنة بمبالغ زهيدة، ثم يبيعونها بالملايين؟ وأين هم ممن يمتلكون المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية، وأراضي البناء عُنْوَةً وَقَهْرًا، وَبِوَضْعِ الْيَدِ، ولا يجدون رادعًا يردعهم، أو يدًا قويةً توقفهم عند حدودهم؟ فأين العدالة الاجتماعية، والمساواة في الإسلام إذن؟

وجاء نص المادة ٦٥، بأن: (حرية الكلمة والرأي مكفولة، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه بالقول، أو الكتابة، أو بالتصوير، أو غير ذلك من وسائل التعبير والنشر).

كل ذلك مكفول للأفراد، ويكفله الإسلام لهم بحرية التعبير عن آرائهم، وأقوالهم، طالما أنه لا يمس العقيدة: ولا يحرض على القتل، وهدم مؤسست الدولة، وغيرها من الأمور التي تتسبب في إسقاط الدولة، أو إضعافها، وما عدا ذلك فهو مباح، ومن يحدد ذلك أناس متخصصون مخلصون لهذه البلدة، كرجال الأزهر الشريف، والعلماء الربانيين في مسائل العقيدة، والشريعة، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في

(١) عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره ـ د ـ علي محمد محمد الصلابي: ١٤٤.

هذا المجال، وكذلك في النواحي السياسية الذين يحافظون على أمن البلاد وحدودها ومثلها أيضاً نصت المادة ٧٢ على أن: (تلتزم الدولة بضمان استقلال المؤسسات الصحفية ووسائل الإعلام المملوكة لها، بما يكفل حيادها، وتعبيرها عن كل الآراء والاتجاهات السياسية والفكرية والمصالح الاجتماعية، ويضمن المساواة وتكافؤ الفرص في مخاطبة الرأي العام).

وجاء نص المادة ٧٣ بأن: (للمواطنين حق تنظيم الاجتماعات العامة، والمواكب، والتظاهرات، وجميع أشكال الاحتجاجات السلمية، غير حاملين سلاحاً من أي نوع، بإخطار على النحو الذي ينظمه القانون، وحق الاجتماع الخاص سلمياً، مكفول، دون الحاجة إلى إخطارٍ سابقٍ، ولا يجوز لرجال الأمن حضوره، أو مراقبته، أو التنصت عليه).

وهذا من باب الحريات للأفراد أيضاً، طالما أنه لا يضرُّ بمصالح الأفراد، والمنشآت، والمؤسسات، والمواطنين.

وجاء نص المادة ٧٨، بأن: (تكفل الدولة للمواطنين الحق في المسكن الملائم والآمن والصحي، بما يحفظ الكرامة الإنسانية ويحقق العدالة الاجتماعية، وتلتزم الدولة بوضع خطة وطنية للإسكان تراعي الخصوصية البيئية، وتكفل إسهام المبادرات الذاتية والتعاونية في تنفيذها، وتنظيم استخدام أراضي الدولة ومدها بالمرافق الأساسية في إطار تخطيط عمرانيٍّ شاملٍ للمدن والقرى واستراتيجية لتوزيع السكان، بما يحقق الصالح العام وتحسين نوعية الحياة للمواطنين ويحفظ حقوق الأجيال القادمة، كما تلتزم الدولة بوضع خطة قومية شاملة لمواجهة مشكلة العشوائيات تشمل إعادة التخطيط وتوفير البنية الأساسية والمرافق، وتحسين نوعية الحياة والصحة العامة، كما تكفل توفير الموارد اللازمة للتنفيذ خلال مدة زمنية محددة).

ونصت المادة ٨١ على أن: (تلتزم الدولة بضمان حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة

والأقزام، صحياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً، وترفيهياً، ورياضياً، وتعليمياً، وتوفير فرص العمل لهم، مع تخصيص نسبة منها لهم، وتهيئة المرافق العامة والبيئة المحيطة بهم، وممارستهم لجميع الحقوق السياسية، ودمجهم مع غيرهم من المواطنين، إعمالاً لمبادئ المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص).

ولذلك فقد حرصت المادتين ٧٨، ٨١ على الحقوق الإنسانية للأفراد، وتفعيلها، وهذا من الواجب القوميِّ، أما من الناحية الدينية فيدخل تحت باب الرفق، والرحمة بالضعفاء، وأصحاب الحاجات كما قال رسول اللهﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)[1].

لذا، فلم يعترض أحداً من المصريين على دستور الشعب ٢٠١٤، إلا من كانت له مصلحةً شخصيةً في تكبيل الدولة، وعدم السير بها إلى الاستقرار وتنفيذ خارطة الطريق، أو الإرهابيين الذين لهم أجندتٍ خارجيةٍ، قد فشلوا في تنفيذها، وأراد الله أن يحبطها بالتأييدِ الشعبيِّ، والتظاهرِ الجمعيِّ للمواطنين المصريين الشرفاء.

(٦) عدم قدرة "المعزول" على المحافظة على دماء المصريين التي تسيل في الشوارع، بلا رادع يردعهم، وعدم القدرة على إظهار لجاني الحقيقيِّ الذي تسبب في هذه الدماء، وإلقاء التهم جُزَافاً على الجاني والمجني عليه، وذلك بطمسِ الحقيقيةِ، بِلاَ مُبَرِّرٍ يُبْرِزُهَا، وهذا مما يجعلنا أن ندخل في ملف الاغتيالات، والاغتيالات تنقسم إلى قسمين:

- اغْتِيَالاتٌ لَفْظِيَّةٌ:

وهو أن ينال المغرضون ممن اغتيل لَفْظِيًا بتشويه سمعته؛ بل وتعريته أمام الجميع بالحق، أو بالباطل، لتوشيهه، وتشويه صورته، وتحقير شأنه، واللحاق به في كل مكان

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وأبي داود، والترمذي، والحاكم، عن ابن عمرو، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٥٢٢).

يذهب إليه، ثم يتعرضون بعد ذلك لأسرته بالتشهير، والافتراء عليها بالسب بأفظع الألفاظ، وهذا هو دين 'جماعة الإخوان' يقول الأستاذ "علي عشماوي" في مذكراته: (بعد أن قررت انفصالي عنهم، تتالت الفتاوى في حقي بالتكفير تارة، وبالنفاق تارة أخرى، ورأيتُ وعشتُ كيف تخرج الفتاوى من ترزية هذا النوع من الفقه، وساعد على قسوة الأمور ما صاحب الفتاوى من سمعٍ وطاعةٍ من أفراد الجماعة دون أن يُعْمِلَ أحدهم فكره ويعترض، ثم فوجئت بعد أن انتهت المحاكمة أن جاءني الأخ "عباس السيسي" بعرضٍ محددٍ هو نسيان ما كان في أثناء المحاكمة، ونسيان الفتاوى إذا حددت موقفي من الحكومة، وهو ما كان إذا كنت أنوي تأييدها أم لا، فأجبته أن الحق أحق أن يُتبع وأنني انتهيت منهم تماماً، فزادت جرعة المقاطعة والتشهير، ولكنهم لم يصلوا إلى الحد الذي وصلت به معاملة إخوان ١٩٥٤ لمن خرج عليهم وَأَيَّدَ الحكومة، فقد ضربوهم بشدة، وبعد أن خرجت من السجن وجدتهم قد ألفوا كتباً كثيرةً تقول عني الكثير من التشهير، والسب، وحين تركت لهم المنطقة كلها وذهبت إلى أمريكا وجدت التعليمات إلى الإخوان قد سبقتني إلى هناك، ولما تركت أمريكا وذهبت إلى قطر ودعاني الأخ "سليمان الشناوي" إلى الطعام في بيته، ودُسَّ السُّمَّ لي في الطعام، وخرجت من عنده لإفراغ ما في معدتي، وفطن زملائي أنه تسمم، فنقلوني إلى المستشفى حيث أُجريت لي عملية غسيل معدة، وأخبرتهم أنني ربما قد تناولت طعاماً فاسداً، ثم طلبت من الشيخ "ناصر المسند" أن يسمح لي بالعودة إلى مصر، وبعد إلحاح مني والرجل لا يعرف سبب إلحاحي على العودة، وبالفعل قد وافق على عودتي إلى مصر في الثمانينات، وتلك تجربة لم أَبُحْ بها لأحدٍ من قبل، لأنهم كانوا يوزعون كتاباً يتضمن هجوماً عَلَيَّ، ويمعنون في التشهير بي لكل مَنْ حولي، حتى إحداهنَّ قد التقت بابنتي وهي عائدةً من الدرس، لتقرأ عليها ما كتب عني من سَبٍ وقَذْفٍ!)[1].

(١) مذكرات الأستاذ/ علي عشماوي ـ آخر قادة التنظيم الخاص ـ ص: (١٢-١٣).

وأما ما كتبه قيادات الإخوان من مقالاتٍ، فمنهم من يقول عن الليبراليين: (الليبراليون فوضويون، أتباع 'ميكافيلي'، ومبدأ 'الغاية تبرر الوسيلة'، خمور، أو مخدرات، أو شذوذ، أو دعارة، أو احتكار، أو صفقات من أي نوع، أو زراعات من أي نوع: خشخاش، أو بانجو، أو تجارة في البشر، أو بيع للآثار، أو أرض الوطن، أو إنشاء مزارع للثعالب، ومزابل للخنازير، هؤلاء ليسوا مسلمين وإن صلوا، وصاموا، وحجوا البيت)، وأما ما كتبه الحاج "مصطفى مشهور" عن الديمقراطية والتي اعتبرها شركاً بالله، فاقرأ عزيزي القارئ تصريحات "محمود عزلان، ومحمد بديع، ومحمود عزت"، وغيرهم، هل تعرف ماذا قال أحدهم عن 'الناصريين، وعن حمدين صباحي، وحزبة الكرامة'؟ قال: (إنهم الشيوعيون، أتباع ماركس، وإنجلز ولينين، وماوتس تونج، وهنري كوريل مؤسس الحزب الشيوعي المصري 'حِدِتُّو'، وجيفارا، وفيدل كاسترو في أمريكا اللاتينية، إنهم ملاحدة، لعنهم الله في كل دين)[1]. هذه هي اللغة التي يتحدث بها هؤلاء الذين يزعمون أنهم يُدافعون عن الإسلام، والإسلام منهم براء، إستمع عزيزي القارئ إلى ما يقولونه أيضاً عن المعارضين لهم:

قُـولْ يَـا رَيِّـسْ كَـدَاكُـوَيِّـسْ   والـلِّي فِي الـتَّحْـرِيـرِ بِيْهَيِّسْ

كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّيِّـسْ

والـتَّـحْـرِيـرْ كُـلُّـهْ رَشَـاوِي   مَـيْـرُوحُـوشِ غِـيرِ الْـغَـاوِي

كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّيِّـسْ

زَمَـنْ الْـفَـوْضَى يَـا إِعْـلاَمْ   مَـاتْ كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّئِـيـسْ

اضْرَبْ يَـلْـلِّى فِي الْمَـلْـيَـانْ   واحْـبِـسْ كُـلِّ خَسِسْ وَجَبَانْ

كُـلُّـنَـا مَـعَ الـرَّئِـيـسْ

(١) . سر المعبد. للأستاذ/ ثروت الخرباوي ص: (٢١٢-٢١٣).

صَــوِّبْ مَـدْفَـعَـكَ الرَّشَّاشِي نَــاحْـيِــةْ وَائِـــلْ الإِبْــرَاشِــى

كُــلُّـنَــا مَـــعَ الــرَّئِـيــسْ

يَـا صَبَّاحِى الشَّعْبِ صَاحِى حَــنْـقَــدِّمَـكْ لِـلأَضَــاحِـى

كُــلُّـنَــا مَـــعَ الــرَّئِـيــسْ

والنُّخْبَةْ قَالُوا للدُّسْتُورْ رَافْضِينْ

هُـــــوَّ انْـــــتُـــــوا مِـــيْنْ

دَانْــتُــوا شِــوَيَّـــةْ مَـأْجُـورِيــنْ

كُــلُّـنَــا مَـــعَ الــرَّئِـيــسْ

يَـا تَهَــانِــى عَــمْـلَـهْ عَـافْـيَـهْ وَانْتِى واحْـدَهْ قَـاعْـدَهْ فَاضْيَهْ

بُـــكْــرَهْ يِجِـيـلِـكْ ضَرْبــا قَــاضْـيَــهْ

كُــلُّـنَــا مَـــعَ الــرَّئِـيــسْ

ولم تسلم الأحزاب المعارضة من ألسنتهم، والتي تضم حزب الوفد بقيادة الدكتور "سيد البدوي"، وحزب الدستور بقيادة الدكتور "محمد البرادعي"، والتيار الشعبي بقيادة "حمدين صباحي"، والحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي بقيادة الدكتور "محمد أبو الغار"، وحزب المؤتمر بقيادة الأستاذ "عمرو موسى"، والحزب الشعبي الاشتراكي بقيادة الأستاذ "عبد الغفار شكر"، وحزب المصريين الأحرار بقيادة الدكتور "أحمد سعيد"، ولأن هذه الأحزاب لم تتفق مع قراراتهم وتصريحاتهم، وتدعوا دائماً للتظاهر ضدهم لإقصائهم لجميع الأحزاب، ومحاولة فرض السيطرة على الشعب المصري في حكم "المعزول" فبدلاً من أن يرددوا "جبهة الإنقاذ الوطني" قالوا عنها:

"جبهة الخراب الوطني"، وَعَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ، فإن اللجان الإليكترونية "لجماعة الإخوان" والتي أسسها "خيرت الشاطر" بدعم ماديٍّ، وَتِقَنِيٍّ ضَخْم، احترفت تشويه سمعة المعارضين للجماعة، ونشر الأكاذيب والشائعات عبر مواقعَ إليكترونية تابعةً لهم، وصفحات، ومجموعات على شبكات التواصل الاجتماعي، ومع وصول 'حزب الحرية والعدالة' للحكم تعرض "حمدين صباحي وأسرته" لكمية اغتيالات معنوية، والسبب في ذلك، لأنه كان منافساً قوياً في الانتخابات الرئاسية والتي كانت ستصل به إلى مرحلة الإعادة مع "المعزول" ولم تسلم ابنته سلمى، وزوجته من التشهير أيضاً، فقد قِيلَ عن ابنته أنها كانت تعمل في قناة مملوكة لرجل الأعمال "محمد أبو العينين"، وبالنسبة لزوجته، بأن العيب فيها، أنها غير محجبة، وعندما أقام النائب "حمدي الفخراني" دعوى قضائية تطعن على قرار رئيس الجمهورية بإعادة مجلس الشعب المنحل بحكم قضائي، وطالب أيضاً بتقنين أوضاع 'الجماعة' مُطَالِبًا إنشاء مؤسسة باسم الجماعة، فاستلمود على المواقع الإليكترونية، واعتبروه أنه يهذي ويستهدف الشو الإعلامي، متجاهلين دوره الإعلامي، ووصفوه بالفلول، في حين أنه كان يخرج علنًا مُهَاجِمًا "لحسني مبارك، وابنه جمال، وأحمد عز" في عز قوتهم، ولم يكتفوا بذلك فقط، بل تعرضوا له بالضرب والسب وتمزيق ملابسه عندما كان برفقة عدد من نواب البرلمان المعارضين لحزب الحرية والعدالة مثل "إيهاب رمزي، ويوسف البدري". وقد شوهد ذلك على شاشات التليفزيون حيث جاء إلى بعض القنوات الخاصة لتسجيل الواقعة وملابسه ممزقةً، ولم يسلما كلاً من "مصطفى بكري، وأبو العز الحريري" من تشويه سمعتهم حيث عانيا كثيرًا من ذلك، والغرض من ذلك هو تكميم أفواه المعارضين، بسبهم، وتخوينهم، وإطلاق الشائعات عليهم.

فَــإِذَا كَــانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالدُّفِّ ضَارِبًا فَشِيمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ الرَّقْصُ

ألـم يَتَعَدَّ "هشام قنديل" رئيس وزراء المعزول على نساء 'محافظة بني سويف'،

بالسب والقذف، بأنهم يقضين حاجتهن في الحقول، فيتم اغتصابهن، ثم يتم الاعتداء عليهن للمرة الثانية بقوله: إن إصابة الأطفال بالإسهال يرجع لعدم نظافة ثدي الأمهات، ولم يسلم المعارضين من لسان "المعزول" أيضا باغتيالهم لفظياً، فقال في خطابه قبل ٣٠ يونيو ٢٠١٣، والذي استمر أكثر من ساعتين مُدَّعِياً أن الشخصيات التي تعمل في مجال السياسة، والعمال، والصحافة، بالبلطجة، ووجه لهم اتهامات بالتحريض ضد النظام، وأول هذه الشخصيات هو "مكرم محمد أحمد"، الكاتب الصحفي، ونقيب الصحفيين الأسبق، حيث وصفه، بأنه من فلول النظام السابق، وَيَدَّعِي الثَّوْرِيَّةَ الآن، قائلاً: (الواحد بيشوف حاجات غريبة.. ناس بتتكلم كأنها الثوار، ثم يتساءل قائلاً: هو مكرم محمد أحمد كان من الثوار؟ نقابة الصحفيين ثارت عليه وطلعته بَرَّهْ، واختارت حد تاني، وبعد سنتين في وجود الرئيس الطيب بيقول: أنا من الثوار، أما "أحمد شفيق"، فقد تساءل "مرسي" عنه قائلاً: هل يُعتبر شفيق من الثوار؟ وأضاف قائلاً: شفيق قاعد بَرَّه البلد وعليه قضايا، وبيقول كلام يحرض على قلب النظام، وكأنه أصبح رمزاً للثورة، ثم تطرق لعدة أسئلة منها: من المسئول عن عدم وضع اسم "شفيق" في نظر قضايا قتل المتظاهرين؟ ومن المسئول عن وضع اسم "محمود وجدي" وزير الداخلية الأسبق في القضايا؟ وبعد ذلك يطالبون بعودة النائب العام، أما الإعلام فقد قام على التركيز على السلبيات فقط، وتجاهل الإنجازات التي تحققت خلال عام، وطالبه أن يتوقف عن نشر الشائعات والفتن وخطابات الكراهة، وأن يعمل على توعية الناس، ثم قام باتهام "محمد الأمين" مالك قنوات (سي-بي-سي) قائلاً: (الأمين) عليه فلوس للضرايب، وكل لما نطالبه بالضرائب بيسلط الناس علينا، ثم قال عن "أحمد بهجت" مالك قنوات (دريم): "بهجت" عليه فلوس للبنوك أكثر من ٣ مليارات وكل لما نطالبه يسلط الناس في القناة بتاعته علينا، وأما أغرب الأسماء التي تعرض لها مرسي في خطابه أنه قال: "عاشور" البلطجي من الشرقية، و"فودة" بلطجي المنصورة، وبلطجي آخر لم يتذكر

اسمه من المعادي، يقومون بتأجير البلطجية للهجوم على مؤسسات الدولة، ثم يقوم باتهام رموز المعارضة المصرية وعدداً من القضاة بالتزوير).

ثم تأتي رياح الفتنة مكشرة عن أنيابها القاتلة، ليتصدر المشهد في عهد "المعزول" بعض الإمعات الذين يَحُضُّونَ على القتل بفتاواهم الدامية، ومنهم: الدكتور "محمود شعبان إبراهيم" ـ أستاذ البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، حيث صَرَّحَ مباشرةً بعد اغتيال المعارض التونسي البارز (شكري بلعيد) ـ أمين التيار الوطني الديمقراطي بالرصاص، بعد تحذيره من انتشار العنف في تونس خلال الفترة المقبلة، حيث صَرَّحَ في آخر ظهور تليفزيوني له قائلاً: (البيان الختامي لمجلس الشورى لحركة النهضة، تبنى تلك العصابات الإجرامية) وعلى أثرها أطلق "شعبان" فتواه قائلاً: (أن حكم أعضاء جبهة الإنقاذ الوطني في شريعة الله هو القتل، مُضِيفًا أن قادة هذه الجبهة التي تبحث عن الكرسي بوضوح يستحقون تنفيذ هذا الحكم، واستشهد "شعبان" على كلامه الذي جاء في برنامج 'في الميزان' والذي تذيعه قناة 'الحافظ' الفضائية حيث أورد في حديثه جزء من الحديث الذي رواه مسلم، والذي جاء فيه: (وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا رَقَبَةَ الآخَرِ)(1) وأضاف أن حكم من يريد إحراق مصر ويبحث عن السلطة فقط هو القتل شارحاً معنى الحديث، بأنه في حالة منازعة الإمام يجب دفع الثاني، لأنه خارج عن الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه لأنه ظالمٌ مُتَعَدٍّ في قتاله، وقال: (إن أكثر من رجل من قادة جبهة الإنقاذ الوطني وعلى رأسهم "البرادعي، وصباحي" تكرر على لسانهم

(1) الحديث صحيح: قال صاحب جامع الأصول: (٤/ ٦٨)، واللفظ لأبي داود، وهو طرف من حديث طويل أخرجه مسلم بطوله، وهو مذكور في كتاب الفتن: (٣/ ١٤٧٢)، أبو داود: (٤/ ٩٧)، ومسلم: (٧/ ١٥٢ - ١٥٤)، وابن ماجة: (٢/ ١٣٠٦).

إسقاط "مرسي" وأنهم يَسْعَوْنَ لإعادة انتخاباتٍ رئاسيةٍ، مُضيفًا أن جبهة الإنقاذ رفضت الدستور، لأنه لم ينص على إعادة الانتخابات الرئاسية) وهذا تصور فاسد من "شعبان" لأن "مرسي" ليس فيه صفة واحدة من صفات إمام المسلمين، لأنه لا يتصف بالعدل مع الجميع، فقد تحيزَ تحيزاً كاملاً لجماعته وحزبه، والأحزاب الأخرى المنتمية لجماعته، ومن أجل ذلك نقول لشعبان: هل الإمام العادل يقتلِ شعبه؟ هل الإمام العادل يتفاوض على خيانة أمن وطنه؟ هل الإمام العادل يتفاوض على التنازل عن حدود وطنه، وإهدار جزء من الضفة الشرقية لحماس والاستيطان بها، والتنازل عن حلايب وشلاتين للسودان؟ إذن فمن يستحق الخروج عليه يا أيها المتنطع الجهول؟

ثم يقول "محمد بديع" في كلمته أثناء اعتصام رابعة وتحريضه على القتال قائلاً: (نحن هنا إما لنحمل "مرسي" على أعناقنا، أو نفديه بأرواحنا)، ويقول "صفوت حجازي": (الرئيس "مرسي" المنتخب بشكلٍ شرعيٍّ في انتخاباتٍ نزيهةٍ، فمن يرشه بالمياه، سنرشه بالدم) وغيرها من التصريحات التي لا تدل إلا على الغباءِ السياسيِّ، وكأن دماء المصريين على أنفسهم، أرخص من دماء الدجاج الذي يسقط على الأرض.

- التَّثَبُّتُ مِنَ الْكَلِمَةِ:

الإيمانُ كلمةٌ، والكفرُ كلمةٌ ـ الصدق كلمة، والكذبُ كلمةٌ، وَشَتَّانَ بينهما ـ العدل كلمة، والظلم كلمة ـ الشرك كلمة، والإيمان كلمة، وَشَتَّانَ بينهما، فاللسان هو الذي يُقِرُّ ذلك، أو يرفضهُ، لذا وجب على المرء أن يتثبت من كل كلمةٍ يسمعها، أو ينطق بها حتى يتحقق منها، ومن صدقها، وإلا فلا داعي لسمعها، أو ذكرها، أو النطق بها، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) قال «الحسن البصري» ـ رحمه الله ـ: (احمدوا ربكم معشر

المسلمين، أنه لم يجعل للذنوب رائحة، وإلا لم يجلس مسلم بجوار مسلم من رائحة نتنه)، وقال رسول الله ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ قَالُوا بَلَى يا رَسُولَ الله، قال: هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ)(١).

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في زماننا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين رائحة النتن، ويكون مثال ذلك: مثال رجل دخل دار الدَّبَّاغِينَ، ولا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا، وقال حجة الإسلام «الغزالي» في الإحياء اعلم أن سوء الظن حرام، مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تُحَدِّثَ غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تُحَدِّثَ نفسك، وَتُسِيءُ الظَّنَّ بأخيك(٢)، ولذلك حض الإسلام على امتلاك اللسان، ولا يتركه المرء يمزق أعراض المسلمين، لأن اللبيب النجيب هو الذي يملك لسانه، وأما الأخرق، هو الذي يترك للسانه العنان يهتك أعراض الخصوم، أو المناوئين، فأمر رسول الله ﷺ، بامتلاك اللسان في تلك الآونة، حتى لا تتسع الْهُوَّةُ، وتزداد الفتنة، فقال: (أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)(٣).

ولما رأى «عزيز مصر» «امرأته، ويوسف عليه السلام»، يستبقان عند الباب، وقصد كل منهما سبق الباب، فيوسف عيه السلام يُريد أن يخرج من الباب وهي

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٥٤) من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ حيث قال: كنا مع النبي ﷺ، فارتفعت ريح منتنة، وذكر الحديث.

(٢) . تفسير محاسن التأويل للقاسمي: (٨/ ٤٣٧)

(٣) الحديث صحيح: رواه الترمذي، من حديث عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (٨٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٣٩٢).

تمنعه من الخروج، فعند امتناعها إيَّاهُ وهو يسير بسرعةٍ نحو الباب اجتذبته من خلفه، فانشق قميصه، فلما أرادت أن تبرأ ساحتها، قالت: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) وبالرغم من رؤية «عزيز مصر» لهذا المشهد وتحقق منه بعينيه، إلا أنه أراد أن يتثبت من قولها، فجاء العزيز بشاهدٍ، لِيُدْلِي بشهادته في ذلك المشهد، فقال: إذا كان جَذْبُ القميصِ من الأمام، فهي صادقة، أما إذا كان الجذب من الخلف فهي كاذبة، فلما شوهد أن قميص يوسف عليه السلام،انشق من خلفه، لأنها عندما اجتذبته من الخلف فَانْقَدَّ، أي: انْشَقَّ، فعند ذلك علم الزوج بتبرئة ساحة يوسف عليه السلام، كما حكى القرآن الكريم، وهذا هو التثبت في الحكم قبل إصدار القرار، حيث قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ (يوسف: ٢٣-٢٩).

وكان سليمان عليه السلام، قد وهبه الله الملك، وَسَخَّرَ له الإنس، والجن، والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان، وعند تفقده للطير، لم يَرَ الهدهد في حشود الطير التي اصطفت لتفقدها، وعندما تيقن من عدم وجوده في تلك الحشود، تَوَعَّدَ بأن ينتف ريشه، أو يقتله، أو يأتي بعذرٍ واضح يبين سبب تأخيره عن معسكر التمام الذي يتفقده سيدنا سليمان عليه السلام، ولما حضر الهدهد لم يُعَذِّبْهُ، ولم يَقْتُلْهُ،

كما تَوَعَّدَهْ، بل استمع منه، ليتثبت من قوله، فقال لسليمان: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت وجنودك، وجئتك بخبر صادق، وهو امرأة تملك أُناسٍ، فتسجد هي وقومها للشمس من دون الله، وهذه المرأة هي بلقيس ملكة سبأ، فعند ذلك لم ينظر سليمان عليه السلام في أمره إلا بعد أن يذهب بكتابه إلى بلقيس، وتحقق سليمان من صدق الهدهد، لأنه أمهله حتى يأتيه بالبرهان لبين، وذلك هو التثبت من الكلمة قبل الوقوع في المحظور، حيث قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (النمل: ٢٠-٣١).

والمراد مما سردناه، هو التثبت من الأقوال، لأن الكلمة المسمومة تُشعل في الأجواء نارًا، لأن الأقوال الكاذبة، والادعاءات الباطلة، والآراء التي تحمل في طياتها الشر المستطير، فهذه من الأمور التي تترك في النفوس الرِّيبَةَ فَتُفْسِدُهُمْ، فكلمة خرجت من فم «المعزول»، وكررها في خطابه بقوله: (إذا كان الحفاظ على الشرعية ثمنه دمي، فأنا مستعد أن أبذله رخيصاً حسبة لله) وراح في سبيل هذه الكلمة دماء كثيرة من المصريين الشرفاء، من أجل كرسيٍّ زائفٍ، جاء بالتزوير، وذهب بالدماء الذكية، قال

رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ)[1].

وما أصدق مقالة الشاعر الأموي «نصر بن ربيعة» الكناني حيث قال:

أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذْكَى وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدَؤُهَا كَلَامُ
فَإِنْ لَمْ يُطْفِئُوهَا عُقَلَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ، أَمْ نِيَامُ
فَإِنْ يَقِظَتْ فَذَاكَ بَقَاءُ مُلْكٍ وَإِنْ رَقَدَتْ فَأَنِّي لَا أُلَامُ
فَإِنْ يَكُ أَصْبَحُوا وَثَوُوا نِيَامًا فَقُلْ قُومُوا، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ
فَفُرِّي عَنْ رِحَالِكِ ثُمَّ قُولِي عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْعَرَبِ السَّلَامِ

- الاغْتِيَالاتُ الْجَسَدِيَّةُ:

ليس من حَقِّ أيِّ إنسانٍ أن يهدم بنيان الرَّبِّ، مهما بلغت سلطته، ومهما بلغ عِلْمُهْ، لأن الإنسان بنيان الرب ملعون، ملعون من هدمه، فالإرهابيون، والإرعابيون، والتدميريون، والتفجيريون، ليسوا من المسلمين، وحلال قتلهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر: ١١-١٤).

وبديهيات الإسلام تقطع، بأن من استحل الدم الحرام، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

(١) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٨٩)، وأحمد (٢٣٨٦٦)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٠٧٢)، وفي (الآحاد، والمثاني) (٢٨٣٢) و(٢٨٣٤)، والطبراني في (الكبير) (٣٠٢) و(٦٥١) و(٧٥١٥)، والحاكم (٨١٣٧)، والبيهقي (١٧٤٠٢) من حديث أبي أمامة الباهلي، وجاء في غاية المرام برقم: (٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٥٨٥).

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ (النساء: ٩٣) قال رسول الله ﷺ: (سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلام، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

فهؤلاء في قتلهم رَاحَةٌ للبلادِ، والعبادِ، والشجرِ، والدوابِّ، ولذلك فإن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: (مُسْتَرِيحٌ، أَوْ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ)[2].

وعندما يُفْتَحُ هذا الملف، يقع الإنسان في دهشةٍ غريبةٍ، فيضعُ كَفَّهُ على أُمِّ رأسهِ فَاغِراً فَاهَهُ مَشْدُوهاً، وكأنه يتذكر جاهلية ما قبل الإسلام من حروب، ومشاحناتٍ، وسفكٍ للدماء، وتشبثٍ بالآراء، وعدم الاستجابة لأقوال الحكماء، والبعد عن الأفواه الناصحة، أما الآن وبعد أكثر من أربعة عشر قرن من الزمان، وبعد ما نزل من القرآن، ومن السنة، وأعلمنا رسولنا الكريم حُرْمَةَ الدماءِ قرآناً، وسنةً؛ لذا وجب علينا في تلك الآونة الإحجام عن ذلك، والامتثال لكتابه تعالى، وسنة نبيه ﷺ، فالأدهى والأمر أن

---

(١) الحديث صحيح: رواه البخاري، ومسلم، وجاء في الإرواء برقم: (٢٤٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٦٥٤).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه مالك (١/ ٢٤١/ ٥٤) وعنه البخاري (٤/.٢٣٣)، وكذا مسلم (٣/ ٥٤)، والنسائي (١/ ٢٧٢-٢٧٣)، وأحمد (٥/ ٣٠٢-٣٠٣) كلهم عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن معبد بن كعب بن مالك، وأخرجه الشيخان، والنسائي، وأحمد (٥/ ٢٩٦ و٣٠٢ و٣٠٤) من طرق أخرى عن ابن كعب به، ورواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي قتادة ـ رضى الله عنه -، وجاء في مختصر مسلم برقم: (٤٦٦)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٧١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٨٧٢).

(جماعة الإخوان) يضربون بذلك الكلام، وتلك المفاهيم عرض الحائط، لأنهم يعتقدون أن (مكتب الإرشاد) وأعضاءه معصومون، ولا يُخطئون، وفي اعتقادهم أنه لا يوجد مُراجعات، بحجة أن مصادر الوعي، والمرجعية عندهم في أعضاء مكتب الإرشاد الذي لا يُخطئ، والذي تتوفر عنده جميع المرجعيات، إذ لا سبيل عند هؤلاء الأفراد إلا السمع والطاعة والتنفيذ، ولذلك عندما يأتمر الإخواني بَأمْرٍ من أعضاء مكتب الإرشاد، يُنَفِّذُ على الفور دون مرجعية لمصدري التنزيل، أو دينه، أوعقله، أو العلماء الربانيين الذين يتصفون بالعلم والزهد والورع، لاعتقادهم الأعمى في أن المرجعية الوحيدة لهم في أعضاء مكتب الإرشاد وفقط، عندما نتصفح صفحات من خمسينيات القرن الماضي، لنكتشف الحقيقة الْمُفْجِعَة، بَلْ وَالْمُرَّة، أنهم يقتلون بعضهم البعض بأمر من المرشد، أو أعضاء مكتب إرشادهم، فما بالك بمن لا ينتمون لجماعتهم، فهيا بنا نطالع ما كتبه «الأستاذ علي عشماوي» في مذكراته قائلاً: (لقد ظلم الإخوان أنفسهم، وظلموا المسلمين والإسلام حين تصدروا لهذا الأمر وهم يعلمون من تاريخهم المليء بالانقسامات والفتن والدسائس ما تضيق له الصدور، فلو تتبعنا الفتنة التي حصلت بينهم من أول مؤامرة تعيين الأستاذ «حسن الهضيبي» من قبل مجموعة أرادت أن تقوم بانقلاب داخل الجماعة، وقد تم لهم ما أرادوا، حيث جمع الأستاذ «منير الدلة» المجموعة المرشحة لتولي قيادة الجماعة بعد وفاة الأستاذ «البنا»، وهم «صالح عشماوي، والشيخ الباقوري، والأستاذ جمال البنا، والأستاذ عبد الحكيم عابدين» والذي كانت عليه بعض التهم الشخصية التي تجعله غير مؤهل لهذا المنصب، وفاتحهم الأستاذ «منير الدلة»، بأنه من المطلوب اختيار مرشداً خلفاً للمرشد الراحل، ولكنهم تعففوا جميعاً، فهم جميعاً راغبون في المنصب إلا أنهم يريدون أن يختارهم الآخرون، لأن طلب الولاية لَا يُوَلَّى، واستغل الأستاذ «منير الدلة» تلك الحالة وفاجأهم بعرض اسم الأستاذ «حسن الهضيبي»، ولم يكن معروفاً بين الإخوان، ولكنهم لم يعترضوا حياءً منه مع الاحتفاظ

بالضغينة في داخلهم، ونتيجةً لهذا السلوك العجيب الذي يعتبر الصراحة، ولكنهم يريدون للأمور أن تأتي لهم، ولكن بطريقٍ ملتوٍ وغير صريح، وقد تمت الموافقة على اسم «الهضيبي» وأخذت موافقة الهيئة التأسيسيّة بالتمرير، وكان هذا أول نجاح يحرزه «صلاح شادي» في صراع مع «السندي» حيث لم يكن يحبه وكانت المنافسة بينهما كبيرة حتى أن «صلاح شادي» قد أنشأ له جهازاً سرياً خاصاً به سمي مجموعة وحدات تولي الأستاذ «الهضيبي» القيادة، وأحاط نفسه بمجموعته المكونة من «صلاح شادي، ومنير الدلة، وحسن عشماوي، وعبد لقادر حلمي»، وغيرهم، ولما خرج إخوان السيارة الجيب من السجون، ودعا الأستاذ «الهضيبي» للقاء هؤلاء، فقال قولته الشهيرة: أنا لا أقابل المجرمين والقتلة، وكان لهذا التصريح عمل النار في الهشيم بين أفراد النظام الخاص، وبدأت حركة غير طبيعية بين هؤلاء الإخوان، وكان قد تم تعيين «السيد فايز عبد المطلب» رئيساً للنظام في غياب «السندي»، ولما بلغ «السندي» أن «السيد فايز» قد وضع ولاءه للمرشد الجديد اشتاط غضباً، وكان شخصية دكتاتورية لا يحب أن يُنازعه أحد، أو ينافسه أحد، بل كان يقضي على جميع منافسيه حتى لا يكون على الساحة غيره، فأرسل «للسيد فايز» من يقتله، فَأُرسِلَتْ له علبة حلوى في منزله انفجرت فيه حين فتحها)[1]، وفي هذه الظروف المريبة، والغامضة قد قُتل المهندس «السيد فايز عبد المطلب» عصر الثالثة بعد ظهر الخميس ٢٠ من نوفمبر ١٩٥٣ بواسطة صندوق من الديناميت وصل إلى منزله على أنه هدية من الحلوى بمناسبة المولد النبوي الشريف، وقد قُتِلَ معه بسبب الحادث شقيقه الصغير البالغ من العمر تسع سنوات، وطفلةً صغيرةً كانت تسير تحت الشرفة التي انهارت نتيجة الانفجار وَشُيِّعَتْ جنازته في اليوم التالي، ونشرت الصحف نبأ استشهاده صباح يوم الجمعة ٢١ نوفمبر ١٩٥٣م[2].

(١) مذكرات الأستاذ علي عشماوي ص: (٢٢-٢٣).

(٢) شبكة الإنترنت.

- الاغْتِيَالاَتُ السِّياسِيَّةُ فِي مِصْرَ:

لقد حاول (جماعة الإخوان) التصدي لكل من يحاول مخالفتهم في قراراتهم، أو التعبير عن رأيه على شبكة الإنترنت، أو التواصل الاجتماعي، فقد قاموا باغتيال زهرة شباب مصر، مثل «جيكا، ومحمد كرستي، ومحمد الجندي، والصحفي الحسيني أبو ضيف» وغيرهم الكثير ممن تصدوا لهم، وَعَبَّرُوا عن رأيهم من خلال المظاهرات، أو نشر آرائهم على مواقعهم في (الفيس بوك ـ Face Book)، ثم يسأل سائلٍ وكيف تعرف هذه الوجوه من خلال الآلاف في المظاهرات، نقول، وباعترافٍ ممن ينتمون لهذه 'الجماعة' أنهم أثناء المظاهرات يترصدون الشخص المستهدف، ثم يسير أحد الأعضاء المنتمين لهم بالوقوف خلفه ومعه حقيبة (صفراء اللون)، ليعطي إشارةً للقناص، فتتم عملية الاغتيال دون مشقة للبحث عن هذه الأشخاص، أما صورهم فتكون معروفةً من خلال مواقعهم على الفيس بوك، وتأتي محاولة تفجير موكب اللواء "محمد إبراهيم" وزير الداخلية الفاشلة 'بحي مدينة نصر' صباح يوم الخميس ٢٩ شوال ١٤٣٤هـ ـ ٥ سبتمبر ٢٠١٣م، لِيُعِيدَ إلى أذهاننا فتح ملف الاغتيالات السياسية والعمليات الإرهابية من جديد، والتاريخ مليء بالوقائع التي تفوح برائحة الدم حسب ما جاء في كتاب الاغتيالات السياسية في مصر ١٩١٠/ ١٩٨١ "لخالد عزب"، والبداية كان حادث اغتيال "بطرس باشا غالي" على يد "إبراهيم الورداني" الذي اعترف، بأنه ألقاتل وحده دون شريكٍ وأن سبب القتل كما جاء على لسان القاتل: (لأنه خائن للوطن، وجزاء الخائن البتر) وأُحيل الورداني في يوم السبت ٢ إبريل ١٩١٠ إلى محكمة الجنايات، التي قضت بإعدامه، وَنُفِّذَ الحكم في ٢٨ يونيو ١٩١٠ وجاء اغتيال "أحمد باشا ماهر" بعد توليه لمنصب رئيس الوزراء في أكتوبر ١٩٤٤، حيث تعرض لهجوم عنيف بعد إعلان دخول مصر الحرب 'ضد المحور'، وانحيازه للإنجليز، وقاد الهجوم 'الملك فاروق، وحزب الوفد' وأُشيع عنه أنه مُوَالٍ لليهود، وتابع للإنجليز، وفي ٢٥ فبراير ١٩٤٥ اقتحم شاب البهو

الفرعوني بمبنى البرلمان، وأطلق النار على "أحمد ماهر" الذي مات متأثراً بجراحه[1].

والذي أُطلق الرصاص هو الشاب "محمود العيسوي"، وبعد الحادث تم إلقاء القبض على كل من "حسن البنا، وأحمد السكري، وعبد الحكيم عابدين" ولكن بعد أيام تم الإفراج عنهم نتيجة اعتراف "العيسوي" بأنه ينتمي للحزب الوطني، وتأتي شهادة "أحمد حسن الباقوري" التي خطها بيده في كتابه 'بقايا ذكريات' لتثبت انتماء "العيسوي" للإخوان، والتي أقر فيها بأن أعضاء 'النظام الخاص' داخل الإخوان لم يكونوا معروفين إلا لفئة قليلة، وقد قرروا الانتقام من "أحمد ماهر" بعد إسقاط "البنا" في انتخابات الدائرة بالإسماعيلية، وكان "العيسوي" من أكثر المتحمسين لذلك[2].

ونتابع ما جاء في الجريدة: وفي يناير ١٩٤٦ تم اغتيال "أمين عثمان" الذي كان حادث اغتياله سِيَاسِيًّا بالدرجة الأولى: فقد وَطَّدَ "أمين عثمان" علاقته بالإنجليز وساند بقائهم في مصر، واستفزت علاقته بالإنجليز شباب 'الحزب الوطني'، وَقُبَيْلَ اغتياله بساعات كان في ضيافة "اللورد كيلرن" المندوب السامي البريطاني، فقد حاول التوفيق بين حقوق مصر في الاستقلال، ومركز انجلترا في الشرق الأوسط، مما أوقعه في خلافٍ سياسيٍّ مع كثير من الزعماء السياسيين في عصره، لذلك اتهمه البعض بالخيانة، وفي مساء ٥ يناير ١٩٤٦ قام ثلاثة من الشباب بإطلاق النار على "أمين عثمان"، وَقُبِضَ على القاتل "حسين توفيق" واعترف على بعض رفاقه وصدر عليه حكم بالسجن وكان ضمن المتهمين في هذه القضية الرئيس الراحل "أنور السادات" وهرب "حسين توفيق" من السجن ولم يعثر له على أثر فيما بعد، أما "محمود فهمي النقراشي" باشا، والذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء، ووزيراً للداخليةِ في آنِ

(١) جريدة الأهرام الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ ـ ٦ سبتمبر ٢٠١٣م ـ السنة (١٣٨) ـ العدد (٤٦٢٩٥) ص: (٦).

(٢) شبكة الإنترنت.

واحدٍ؛ فكان بمثابة عدو للإخوان، ففي وزارته الأولى أمر باعتقال "حسن البنا، وأحمد السكري، وعبد الحكيم عابدين» بناءٍ على الشك في تورط (جماعة الإخوان) في مقتل «أحمد ماهر»، حيث كان القاتل الذي كان ينتمي إلى (الحزب الوطني) مُوَالِياً لهذه (الجماعة)، وبلغت المواجهة بين حكومة النقراشي والإخوان ذروتها عندما أصدر النقراشي بصفته حاكماً عسكرياً في ٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ أمراً عسكرياً بحل جماعة الإخوان، وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٠ قام شاب يُدعى «عبد الحميد أحمد حسن» ينتمي إلى الإخوان، وكان يرتدي زِيًّا عَسْكَرِيًّا، بإطلاق الرصاص على النقراشي باشا رئيس الوزراء عند وصوله إلى مبنى وزارة الداخلية، وحكم على الجاني بالإعدام ونفذ الحكم، وخارج السياق ذُكِرَ أنه تم اعتراف رُوَّادُ المقهى الذي كان يَتَرَدَّدُ عليه الضابط المزيف فقالوا: (أنهم عرفوا الضابط المزيف باسم «حسني أفندي» وأنه تلقى مكالمةً تليفونيةً قبل الجريمة بعشرين دقيقة من شخص مجهول أخبره بأن «النقراشي باشا» في طريقه إلى مكتبه بوزارة الداخلية، أما الاسمُ الحقيقيُّ للقاتل، فهو «عبد الحميد أحمد حسن» وكان طالبا بكلية (الطب البيطري) وينتمي (لجماعة الإخوان) وعندما سأله المحقق عن مصدر البدلة العسكرية أجاب بتهكم قائلاً: (في سوق الكانتو منها كتير)، وقال القاتل في هدوءٍ وثباتٍ: أيوه قتلته وأعترفُ بكده، لأنه أصدر قراراً بحلِّ (جمعية الإخوان) وهي جمعيةٍ دينيةٍ ومن يحلها يهدم الدين... قتلته، لأني أتزعم شعبة الإخوان منذ كنت تلميذاً في مدرسة فؤاد الأول الثانوية)[1].

وعطفاً على ما تم كتابته في الجريدة، حيث جاء اغتيال «حسن البنا» المرشد الأول (لجماعة الإخوان) في فبراير ١٩٤٩، بعد سلسلة من الاغتيالات التي اجتاحت البلاد والتي بدأت بمقتل «أحمد ماهر» في فبراير ١٩٤٥، ثم أخذت تتطور، وتتنوع مظاهرها حتى أوائل ١٩٤٩، وذلك مروراً باغتيال «أحمد الخازندار» أمام منزله في حلوان،

(١) شبكة الإنترنت.

فيما كان متجهاً إلى عمله على أيدي شابين من الإخوان هما: «محمود زينهم، وحسن عبد الحافظ» سكرتير «حسن البنا» على خلفية مواقف المستشار «أحمد الخازندار» في قضايا سابقة أدان فيها بعض شباب الإخوان لاعتدائهم على جنود بريطانيين في الإسكندرية بالأشغال الشاقة المؤبدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧، وكان ذلك على أثر ما صدر من المرشد في قوله: (لو حد يخلصنا منه).

أما الدكتور «محمد حسين الذهبي» الذي تم اختطافه وقتله في ٣ يوليو ١٩٧٧، فقد كان أول من تصدى لأفكار التكفير والهجرة فكرياً، فقد اعتبر مسئولاً بدرجة كبيرة عن توضيح تلك الصورة السلبية (الجماعة الإخوان)، (فأصدر الذهبي) وقت أن كان وزيراً للأوقاف (كتيباً صغيراً) في يوليو ١٩٧٥ ناقش فكر (جماعة الإخوان)، والتي عُرِفَتْ وقتها في (الصحف المصرية) باسم (أهل الكهف)، أو (جماعة الهجرة) ونُسب فكر هذه الجماعة إلى (الخوارج)، وأثبت فيه بالاستناد إلى القرآن والسنة فساد الزعم الذي أطلقوه بأنهم وحدهم المسلمون، وأن المجتمع حولهم يُعَدُّ مجتمعاً كافراً، وتم القبض على «شكري مصطفى» وقدم للمحاكمة العسكرية هو وأربعة وخمسون آخرون، وأصدرت المحكمة يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧٧ حكمها بإعدامه، وأربعة آخرين، ومعاقبة ١٢ بالأشغال الشاقة المؤبدة وهم المجموعة التي اشتركت في خطف «الذهبي»، ومعاقبة ٧ بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة، ومعاقبة ٦ بالأشغال الشاقة لمدة ١٠ سنوات، ومعاقبة ٨ بالأشغال الشاقة لمدة ٣ سنوات، وبراءة ١٢ متهماً، وفي ٣٠ مارس ١٩٧٨ صباح زيارة «السادات» للقدس تم تنفيذ حكم الإعدام في «شكري مصطفى وإخوانه»، وجاء حادث اغتيال «السادات» في ٦ أكتوبر ١٩٨١، نتيجة تضافر مجموعة من الظروف السياسية المحلية والدولية، لتحقيق هذا الاغتيال، فقد اشتهر عهد «السادات» بظهور التنظيمات السرية لجماعات العنف والتكفير، بالرغم من

المميزات التي قدمها للتيارات الدينية في عهده[1].

ولما أُلْقِيَ القبض على «محمد الإسلامبولي» الشقيق الأكبر «لخالد الإسلامبولي» قبل حادث المنصة بحوالي شهر، وتحديداً يوم ٣ سبتمبر ١٩٨١، حيث قال له أخوه: (إن المجتمع الذي نعيش فيه كافر.. جاهل، لأن الناس فيه أخذوا أمورهم بأحكام غير مستمدة من شريعة الإسلام) وقال أيضاً: (أن الجاهلية ليست حالةِ دينية، وإنما حالة اجتماعية، ومن لم يكفر كافراً، فهو كافر)[2].

وإلحاقاً لما سبق ذكر الكاتب قائلاً: «السادات» كان عند «خالد الإسلامبولي» بمثابة حاكم متحققاً كفره، وبناء على هذا التصور فقط قتل خالد السادات، وكانت مبرراته محصورة في عدة عناصر وفقاً لما يلي:

- السادات حاكم لا يطبق شرع الله.
- زيارة السادات لإسرائيل.
- إهانة السادات لحجاب المرأة ووصفه إياه بالخيمة.
- قوله: أنه لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين.
- قيامه بإهانة الشيخين "أحمد المحلاوي"، و"حافظ أسامة"، أما عن الأول، فقد قال عنه "السادات": (الرجل بتاع الإسكندرية.. الخطيب اللي كان بينال مني.. ومن بيتي أهو مرمي في السجن زي الكلب، والله ما هرحمه، وبالقانون)، وأصدرت وزارة الأوقاف قرار بمنعه من الخطابة عام ١٩٩٦.

أما عن الثاني، فقد رفض زيارة "السادات" للقدس عام ١٩٧٧، ومعاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩، مما جعل الرئيس "السادات" يضعه على قائمة الاعتقالات في

(١) نفس المصدر السابق من جريدة الأهرام ص: (٦).
(٢) مبارك واغتيال السادات. عصام عبدالفتاح ص: (١٠٠).

سبتمبر ١٩٨١، وأُفرج عنه بعد اغتيال السادات.

وعندما سئل "الإسلامبولي" يوم ١١ أكتوبر ١٩٨١ أثناء التحقيق معه "لماذا قررت اغتيال السادات"؟

- ذكر بالنص قائلاً:

· أولاً: أن القوانين التي يجري بها حكم البلاد لا تتفق مع تعاليم الإسلام وشرائعه، وبالتالي فإن المسلمين كانوا يُعانون كافة صنوف المشقات.

· ثانياً: أنه، أي: «السادات» أجرى صُلْحًا مع اليهود.

· ثالثاً: اعتقل علماء المسلمين، واضطهدهم، وأهانهم[1].

- الاغْتِيَالاَتُ الْفَاشِلَةُ لِوُزَرَاءِ دَاخِلِيَّةِ مِصْرَ:

قائمةٌ طويلةٌ من وزراء الداخلية في مصر، تعرضوا لمحاولات اغتيال سواء بإطلاق النيران، أو باستخدام عبوات مفخخة، أو في أعمال انتحارية، لكن جميعها باءت بالفشل.

- اللواء النبوي إسماعيل:

جرت محاولة اغتياله في ١٣ أغسطس ١٩٨٧، حيث شن متطرفين هجوماً بالأسلحة النارية مطلقين النار بشكلٍ كثيفٍ على شرفة منزله وفروا، دون أن يتعرض النبوي لمكروهٍ أو إصاباتٍ.

- اللواء عبد الحليم موسى:

قامت الجماعة الإسلامية، وتنظيم الجهاد، بالتخطيط لاغتياله، غير أن القدر وقف لصالحه، حيث كان الإرهابيون يترصدون لموكبهِ بدراجةٍ بخاريةٍ أعلى كوبري قصر

(١) أ. هـ. المصدر السابق ص: (٩٨، ١٠٠).

النيل في أثناء مرور الموكب أمام فندق سميراميس في القاهرة وتصادف ذلك مع مرور رئيس البرلمان السابق الدكتور «رفعت المحجوب» من نفس الطريق الذي كانت الجماعة تعتقد أن موكب «موسى» سيمر منه، فأطلق الجناة على الموكب وابلاً من الرصاص، وفروا هاربين على دراجات بخارية في الاتجاه المعاكس، فاغتالوا بذلك «المحجوب» ظَنًّا منهم أنه وزير الداخلية «عبد الحليم موسى».

- **اللواء زكي بدر:**

شهد يوم ١٦ ديسمبر ١٩٨٩ محاول اغتيال «اللواء زكي بدر»، حيث دَبَّرَ محاولة اغتياله أمير الجماعة الإسلامية في أفغانستان، الذي اتهم أيضاً بمحاولة اغتيال الرئيس الأسبق «مبارك» في أديس أبابا عام ١٩٩٥؛ لكن تلك المحاولة أيضاً قد باءت بالفشل، وقد تولى «بدر» حقبة الوزارة خلال الفترة من ١٩٨٦-١٩٩٠ خلفا «لأحمد رشدي» بعد أحداث الأمن المركزي عام ١٩٨٦.

- **اللواء حسن أبو باشا:**

وقعت محاولة اغتياله الفاشلة في عام ١٩٨٧، على يد «مجدي زينهم الصفتي» قائد تنظيم (الناجون من النار) الذي حكم عليه بالسجن المؤبد، حيث أطلق المتهم النار عليه محاولاً قتله، لكن الوزير نجى من الحادثة، وتمتع بعمر مديد بالغ ٨٣ عاماً، وتوفي بعد صراعٍ مع المرض في سبتمبر عام ٢٠٠٥.

- **اللواء حسن الألفي:**

ورث «الألفي» محاولة اغتياله هو الآخر، حيث جرت محاولة قتله مرتين متتاليتين كإرثٍ في سياق الصراع بين وزراء الداخلية المصريين والإرهابيين المتطرفين، حيث صدر تكليفٍ مباشرٍ من «أيمن الظواهري» الرجل الثاني بذلك الوقت، لاثنين من أعوانه

هما نزيه «نصحي راشد، وضياء الدين محمود» باغتيال «حسن الألفي» وزير الداخلية السابق، عن طريق محاولة تفجير موكبه باستخدام موتوسيكل ملغم، لكن شاء القدر أن يُنقذ الوزير من المحاولة، مع إصابته في ذراعه اليمنى وقتل بعض المواطنين، بينما قُتل مُنفذي التفجير، كما تم تكرار محاولة قتله في صيف ١٩٩٣، لكن نجا «الألفي» من الموت، وأصيب فقط هو وعدد من حرسه بجروح بالغة، بينما قُتل عضو التنظيم(١).

- اللواء محمد إبراهيم:

قد تعرض لمحاولة اغتيالٍ فاشلةٍ في صباح يوم الخميس ٥ سبتمبر ٢٠١٣ عند مرور موكبه بشارع مصطفى النحاس بمدينة نصر حيث وضعت عبوة ناسفة كبيرة الحجم أسفل السيارة تزن نحو ٥٠ كيلو جراماً من مادة (TNT) شديدة الإنفجار، ووقع الحادث أمام العقار رقم ١٧ بتقاطع شارع مصطفى النحاس مع شارع الشعراوي، وقد تم تفجير السيارة عن بُعْدٍ بَعْدَ أن قام الجناة بمراقبة مواعيد نزول الوزير من منزله، وتوجهه إلى الوزارة، وقد نجا "الوزير" بعد أن أوضح في حواره مع "خيري رمضان" إلى الدعم الذي يقدمه وزير الدفاع الفريق أول (عبد الفتاح السيسي) إلى وزارة الداخلية من خلال إمدادهم بالمدرعات والسترات الواقية للرصاص، حيث أسفر الحادث عن إصابة ٢٢ شخصاً منهم ١٠ من قوات الحراسة بينهم ٦ ضباط، و٤ أمناء شرطة، وبقية المصابين من الأهالي من بينهم طفل تسبب الانفجار في بتر ساقه، وسيدتين أجنبيتين إحداهما صومالية، والأخرى غير معلومة جنسيتها.

٣ سنوات من تضحيات رجال الشرطة في سبيل الوطن:

قدمت الشرطة في هذه الفترة أكثر من ٤٢٠ شهيداً، وألاف المصابين، وحرق ٤٠٠٠ سيارة، و٩٩ قسم شرطة منذ ٢٠١١م، فقد عاش المصريون عقوداً طويلةً تحت

(١) جريدة التحرير الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ ـ ٦ سبتمبر ٢٠١٣م ـ السنة الثالثة ـ العدد (٧٩٦) ص: (٧).

القبضة الفولاذية للأمن حتى وصلت ذروتها في عهد وزير داخلية مبارك ـ «حبيب العادلي» ووصل العداء بين الشرطة والشعب ذروته في ٢٥ يناير ٢٠١١ وأسفر هذا الاحتقان والذي استغله (جماعة الإخوان الإرهابية) في اقتحام ٩٩ قسم شرطة على مستوى الجمهورية، والهجوم على السجون، وحرق وإتلاف أكثر من ٤ آلاف سيارة شرطية، ما بين بوكسات، ومدرعات، وناقلات جنود، كلفت الدولة أكثر من مليار جنيه، ويشير تقرير حديث عن شهداء ومصابي الشرطة خلال الفترة من ٢٥ يناير ٢٠١١، وحتى ١٦ نوفمبر ٢٠١٣ بلغت ٣٩٣ شهيداً، منهم ٨٢ ضابطاً، و١٧٥ فرد أمن، و١٦ خفيراً، و١١٨ مجنداً، بالإضافة لـ٢ موظف مدني، كما أُصيب خلال المواجهات مع عناصر الشغب وأثناء الانقضاض على البؤر الإجرامية والمطاردات مع الخارجين عن القانون ٨٨٢٥ شرطياً من رجال الشرطة، منهم ١٩٨٤ ضابطاً، و٢٠٨٧ من الأفراد، و٤ موظفين مدنيين، ٤٧٥٠ مجنداً، فرجال الشرطة ضربوا أروع الأمثال في الولاء والانتماء للوطن، وقدموا الكثير من الشهداء والمصابين الذين سالت دماؤهم الزكية لحماية أمن الوطن وأمان المواطنين، وكان عام ٢٠١٣ هو عام المواجهة التي أعلن فيها الإرهاب عن وجهه القبيح خاصة بعد فض اعتصامي (رابعة والنهضة) حيث استشهد ٣٤ من رجال الشرطة بينهم ٨ ضباط، وأصيب ٢١١ آخرون لتتواصل بعدها العمليات الإرهابية والمواجهات الدامية مع الإرهاب، ومداهمة بؤر الإجرام وكانت أشهرها مجزرة (قسم كرداسة) والتي حاول الإرهابيون السيطرة عليها بعد أن صوروها على أنها إمارة خاصة بهم والتي قتل خلالها اللواء "نبيل فراج" مساعد مدير أمن الجيزة ويحرر رجال الأمن كرداسة من قبضتهم حتى وصل عدد شهداء الشرطة إلى ١٢٨، و١١٤٩ مصاباً في الشهور الستة الأخيرة فقط، وكانت عملية تفجير مديرية أمن الدقهلية هي أقبح عملياتهم الإجرامية التي هزت جموع المصريين واستشهد فيها ٢٠ من أشرف رجال الشرطة، بينما أُصيب

١٣٠ آخرون من بينهم مدير الأمن وقيادات الأمن بالمديرية[1].

ولم يسلم جنود وضباط القوات المسلحة من أيدي الإرهابيين الآثمين، فقد طالت هذه الأيدي ١٦ جندياً كانوا يتناولون طعام الإفطار، فيما تسمى 'رفح الأولى' وانطلقت البنادق الآلية، لتحصد أرواحهم وهم يرفعون الطعام على أفواههم في رمضان، ثم خُطف ٧ جنود، ولما كَشَّرَ الجيش عن أنياب الغضب، فما على «المعزول» إلا أن قال: (نرجوا المحافظة على الخاطفين، والمخطوفين) فلا هم له إلا المحافظة على الخاطفين، لأن عملية الخطف قد تمت بمباركته، ثم تأتي عملية رفح الثانية والتي حُصد فيها روح ٢٥ شهيداً من الجنود بعد أن غُلَّتْ، أَوْ كُبِّلَتْ أيديهم، وأرجلهم، واصطفوا على الطريق، وأطلق عليهم الرصاص دفعةً واحدةً، وكأنهم أسرى حرب، وكأن منفذي العملية من أعداء الوطن، وليس من جلدتهم، أو ممن ينتمون لدينهم، ولكن ماذا نقول لخوارج هذا الزمان؟ أليس عثمان ـ رضي الله عنه ـ في زمن الفتنة ليس من جلدتهم؟ أليس عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالب ـ رضي الله عنه ـ ليس من جلدتهم؟ أليس الحسن، والحسين، أولاد عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالب ـ ليسا من جلدتهم، وقد قتلوهم...، وهم أولاد بنت محمد ﷺ وباتوا يبكون عليهم ويلطخون وجوههم بدمائهم في مناسبات قتلهم، وإليك عزيزي القارئ ما فقده جيشنا الباسل من دماءٍ زكيةٍ منذ ٥ يوليو ٢٠١٣ إلى ٢٤ نوفمبر ٢٠١٣، نحو ٥٠٣ فقدتهم القوات المسلحة، منهم ٣ ضباط، ٢٢ ضابط صف، والباقي من الجنود البواسل، و١٦٠ مصاباً هم حصيلة ما طالته أيادي الإرهاب منذ ذلك التاريخ[2].

---

(١) جريدة الأهرام ـ الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ـ ٢٤ يناير ٢٠١٤م ـ السنة (١٣٨) ـ العدد (٤٦٣٥) ـ ص: (٦).

(٢) جريدة الموجز الاثنين ـ ٢١ من المحرم ١٤٣٥هـ ـ ٢٥ نوفمبر ٢٠١٣م ـ العدد (٣٨٣) ـ الإصدار الثاني ـ السنة الحادية عشرة ـ ص: (٥).

- التَّفْجِيرَاتُ، وَالتَّدْمِيرَاتُ:

لم تقتصر أيدي الإرهاب الآثمة على الاغتيالات الجسدية فقط، بل طالت أيضا المنشآت الحيوية في الدولة، مما لا يدع مجالاً للشكِّ أن الإرهابيين في حربٍ ضروسٍ ضد شعب مصر، وضد منشآته ومؤسساته، لأنه لا يريد إلا الخراب لهذه الدولة، وشلَّ أيديها حتى تستسلم لهم وتركع، فنقول لهم: أنتم مخطئون، لأن الجماعات الإرهابية مهما أن طال أذنابها، وقويت شوكتها، وَكَشَّرَتْ عن أنيابها لا تهزم دولة أبدًا، والنتيجة في النهاية، أن هذه العصابة خاسرةٌ لا محالةَ، ولنا تجربةٌ في ذلك، ألا وهي دَحْرِ شوكة الإرهاب في تسعينيات القرن الماضي، وتسليمهم أنفسهم لأيدي رجال الأمن، وإعلان تراجعاتهم، وهؤلاء هم ما يطلقون عليهم (جماعات السلفية الجهادية) وقد تم ذكر تراجعاتهم في الصفحات السابقة، ولكي نعرف حقيقة هذا الملف، لَابُدَّ لنا من طرح عدة أسئلة، ومنها: ما حقيقة تلك التفجيرات، وما بدايتها، وبداية ظهورها على الواقع العملي؟

ولكي نعرف الحقيقة واضحةً جليةً، تَعَالَوْا بنا نُطَالِعُ ما كتبهُ آخر قادة التنظيم الخاص عند (جماعة الإخوان) الأستاذ/ علي عشماوي، وَمَا خَطَّهُ في مذكراتِهِ قائلاً: (تتحمل (جماعة الإخوان) المسئولية عن جميع أعمال العنف باسم الدين، والتي تحدث في أي مكان في العالم الإسلامي، وبجميع صوره وأشكاله، لأن لديهم جماعات انتحارية، وجماعات العنف قد خرجت من عباءتهم بطريقتهم، فهم:

- مفجروا ((الأزهر، وعبد المنعم رياض))، حيث وضع التنظيم الخاص طريقة السير وأسلوب العمل.

- من ابتكروا الحزام الناسف عام ١٩٥٤ لقتل "عبد الناصر"، وكان أول من تطوع لاستعماله هو الأخ "نصير"، وهذا الأسلوب هو الذي تطور بعد ذلك ليصبح القنابل البشرية، والمنتحرين والأجسام المفخخة وهكذا فإن ((الإخوان)) مسئولون عن هذا

الفعل وعن كل من استعمله وقتل الناس في طريقه.

• أما الأسلوب الآخر، فهو السيارات المفخخة، والتي تستعمل حتى الآن لإرهاب الناس وقتلهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهذه الطريقة وهذا الأسلوب يستعمل الآن فيما يُسمى الكفاح ضد الغزاة، وزعزعة الأرض من تحت الحكام، وقد ابتكر هذا الأسلوب أحد أقسام الإخوان وهو قسم الوحدات والذي يشرف عليه "صلاح شادي"، فقام بتفجير عربة محملة بالمتفجرات في حارة اليهود بالقاهرة في ٥/ ٦/ ١٩٤٨، ثم أتبعها بتفجير عربة يد أخرى في نفس المكان وهو حارة اليهود في ١٩/ ٧/ ١٩٤٨، وقد كان هذا في شهر رمضان، وقد قُتل في هذا الحادث مفجر العربة وعدد من المارة الذين لا حول لهم ولا قوة، إلا أنهم يمرون في نفس الشارع المفروض أن يكون آمناً، ثم يستطرد الكاتب قائلاً: والغريب أن "أحمد عادل كمال"، وهو من قيادات النظام الخاص في هذا الوقت قال: (كان الرأي العام يُدرك أن الإخوان هم أصحاب هذا النوع من العمليات، وكان كبير الثقة بالإخوان حتى أنه حين تقع حادثة ليست على المستوى كان يُدرك أنها ليست من صنع الإخوان).

وهكذا كان مثل هذا العمل الآثم محل فخرٍ من الإخوان، وهذا ما حدا بالكثيرين أن يقتدوا بهم حين يريدون التشابه، فيقلدونهم، فهم قادة هذا النوع من الإرهاب، هكذا خرجت المجموعة التي قامت بالتفجير (بالأزهر، وميدان عبد المنعم رياض، ثم المنتقبتان في السيدة عائشة)، إنهم لا يحتاجون إلى تنظيم يوجههم إلى قيادة، لكي تُصدر لهم الأوامر، فالتنظيم قد وضع لهم طريق السير، وأسلوب العمل، وقد سَنَّ لهم السُّنَّة السيئة والتي سيحاسب عليها وعلى كل من فعلها إلى يوم الدين، ثم يُكمل حديثه قائلاً: (لقد انتشر هذا الأسلوب الجبان في كل مكان فنجد الانتحاريين والسيارات المفخخة في العراق، وفي لبنان، وفي السعودية، وفي الجزائر، وفي كل مكان به قلاقل، وإنني أُحمل (الإخوان) مسئولية هذا الخلل الذي أصاب عقول وحركة جميع

فرق المقاومة في كل مكان، ولا أدري ما هي الفتوى التي صدرت باستعمال هذا النوع الخسيس من الحرب؟ وكيف أفتوا بقتل الأبرياء الذين لا دخل لهم بالصراع، ولكن تصادف وجودهم في مسرح الجريمة، إنها فقط لا تزيد من سخط المسلمين على هذا الفكر، وتستعدي غير المسلمين على الإسلام، بل وضعت المسلمين جميعا في حالةِ دفاعٍ مستمرٍ، وتراجعٍ مستمرٍ، ويعلم الله إلى أي مستوى سوف تصل)[1].

هذا الكتاب قد خُطَّ بيده، وقد سَجَّلَ اعترافاته حول عضويته في جماعة الإخوان، ثم تجنيده في الجهاز السري، أي (التنظيم الخاص)، على حلقاتٍ تَمَّ نَشْرُهَا في (مجلة المصور) عام ١٩٦٣، وكأن الكاتب يكشف عن الغيب من وراء سترٍ رقيق، وهو ما نراهُ الآن من تدميرٍ للمنشآتِ، وإزهاقٍ للأرواح في كل مكانٍ من أنحاء مِصْرَ المعمورة، فهم قد فجروا خطوط الغاز في سيناء منذ عهد «مبارك» إلى الآن ويعلنون على مواقع (الفيس-بوك) أن المسئول عن ذلك (جماعة أنصار بيت المقدس) ونسوا أنهم هم الأيدي الضالعة في ذلك، لأنهم يفعلون الأشياء، ويسندونها لغيرهم، وهذه عادتهم، ودأبهم، فإذا قمنا بتحليل المشهد على أرض الواقع، وذكرنا منهج العنف عند (الإخوان) يأتي المتنطعون والمتفيهقون ليقولون: (الله أعلم) بالرغم من أنك تأتيهم بالدليلِ الواقعيِّ من كل اتجاه، ولكنه يصدمك مكرراً (الله أعلم) نعم الله أعلم بما تخفيه الصدور، ولكن القصد في ذلك أنه يبعدك عن الحقيقة، بل يكذبك، فبدلاً من أنه يكذبك صراحةً، يقول لك ذلك، ولكن الحقيقة بدون تحليلٍ للمشهد تُشير أصابع الاتهام إلى تلك الجماعة، ألم يقفوا على مسرح «رابعة العدوية» ويطلقونها صراحةً: إذا فُضَّ اعتصام رابعة سيفجرون مصر، ألم يقل «محمد البلتاجي» إذا أطلق «السيسي» الرئيس «مرسي» من محبسه سيوقف التفجيرات والضرب في سيناءَ مباشرةً وفي تلك اللحظة، فأي الحقيقة أيها المتنطعون والمتفيهقون تعترفون بدليلها، وبواقعها، ولكني أقولها لهم بصراحةٍ ولكلٍّ لبيبٍ نجيبٍ

(١) مذكرات الأستاذ/ علي عشماوي-آخر قادة التنظيم لجماعة الإخوان ص: (٥٧-٥٨).

يعترفُ بالواقع الذي نعيشُ فيه الآن أن لا يشغل باله بمغسولِ العقولِ والرؤوسِ، وبالمتعاطفين معهم، كما يقول المثل الدارج: (إنت بتدن في مالطه) «يعني مفيش فايدة، لو فضلت بقيت عمرك تفهم اللي قدامك، «اللي في دماغه في دماغه» إذن، فالأولى هنا أن تريح رأسك من هذه الثرثرة، وهذا الصراع، وَلاَ تُولِي لهؤلاء المتعاطفين أَيَّ اهتمام، لأن الحقيقة تشدخ رؤوسهم، لكنهم يتكبرون، كما تكبر كُفَّارُ قُرَيْشٍ على الاعترافَ بنُبُوَّةِ محمدﷺ، وهم يعلمون علم اليقين أنه النبيُّ المنتظر، ولكنه الكبرُ وعدمُ الاعترافُ بالحق، وقبل أن تَتُوهَ الحقيقة عَمَّ تخطه أيدينا، لا بد لنا أَنْ نَدْخُلَ في ذلك الخضم سريعاً والذي جعلنا جميعاً، وكأننا نسبح في بحر الظلمات لما رأيناه من بحور الدماء، والأشْلاء من أناس لا يعرفون الله، ولا يقدرونه حق قدره، لأنهم استباحوا تلك الدماء، بل رقصوا طرباً على استباحتها، وَتَنَاثُرِ أَشْلاَئِهَا، هؤلاء من كان الناس المبهورين بهم يُطلقون عليهم أصحاب دعوة، والدين منهم براء، لأنهم قالوا بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ولأنهم لم يطبقون ما نطقوه بتلك الأفواه، ألم يقل لهم كتاب الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) أي: من قتل نفساً بغيرِ سببٍ لهذا القتلِ، كدفاعٍ عن النفسِ، أو دفاعٍ عن العرضِ، أو دفاعٍ عن المالِ، والولدِ، أو المنشآتِ للأوطانِ، أو الحدودِ، فكأنما قتلَ الناس جميعاً، وكذلكَ من امتنع عن القتل لغير الأسباب السابقة، فكأنما أحيا الناس جميعاً، وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أنهُ قالَ رسول اللهﷺ: (لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ لأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)[1].

ألم يقل رسول اللهﷺ: (قِتَالُ الْمُسْلِمِ كُفْرٌ، وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ)[2].

---

(١) البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) الحديث صحيح: رواه الترمذي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه، والنسائي عن سعد ـ رضي الله عنه، وجاء في إيمان أبي عبيدة ص: ٧٨: م، رصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٤٣٥٨).

ألم يقل أيضاً: (قَتْلُ الْمُؤْمِن أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ منْ زَوَالِ الدُّنْيَا)[1].

ثم يسأل سائل، ومن حقه هذا السؤال، لم تحل (جماعة الإخوان) سفك دماء المصريين، وحرق وتدمير منشآتهم، فنقول بعون الله تعالى، ونذكرهم بما ذكرناه سابقا إنهم يعتبرون كل من خالفهم هم العدو، وهم الكفار، فلذلك قد أحلوا دماءنا، لأن مكتب إرشاد الجماعة قد نشؤوهم على ذلك، بغرس السمع والطاعة بلا بصيرةٍ، فأصبحت الطاعة قدوتهم، ولو بالإشارة، لأن فكر التكفيريين قد بُنِيَ على تكفير المجتمع، وجهادهم العدو البعيد، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة: ١٢٣) ومعنى يلونكم: أي: الأقرب إليكم، فبناء على ذلك، فقد استباحوا دماء المصريين، ومنشآتهم الشرطية، والعسكرية، والمدنية، ولم يستبيحوا كُلَّ مَا سَبَقَ في أعداء الإسلام وأهله، ولذلك فعلى دعاة الأزهر ورجاله المخلصين بذل كل الجهود في إرجاع ما تبقى من شباب (جماعة الإخوان) إلى رشدهم وعقولهم، بل وزرع الانتماء والحب لهذا الوطن العزيز، وَجَعْلِ كُلِّ وَاحِدٍ منهم أن يكونَ حريصًا على التَّصَدِّي لكل من يخون هذا الوطن، أو يفرط في دماء أصحابه، أو حدوده، أو منشآته، ولكي نصبح قريبين من المشهد، فهيا بنا عزيزي القارئ نتذكرُ سَوِيًّا ما فعله (جماعة الإخوان) من تدمير منشآت الدولة المصرية، وسفك دماء فلذات أكبادنا، ففي فجر يوم الثلاثاء ٢٤/١٢/٢٠١٣ قام إرهابيون (بجماعة الإخوان) بتفجير (مديرية أمن الدقهلية) وأسفر الحادث عن تدمير نصف مبنى مديرية الأمن، والوحدة المحلية، وقصر الثقافة، وعشرات المحلات، وقد اسْتُشْهِدَ على إِثْرِ هذا الحادث ١٥ مواطناً، منهم ٨ من رجال الشرطة والبقية من المواطنين، و١٣٤ مصاباً، منهم ٣٦ من مصابي الشرطة، والبقية من

(١) الحديث صحيح: رواه النسائي، والضياء عن بريدة ـ رضى الله عنه ـ وجاء في الروض النضير برقم: (٥٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٦١).

المواطنين، وبالرغم من هذا التدمير السافر، والمنبوذ، إلا أن رجال (المنصورة) تصدوا لذلك وقت الحادث مباشرة، ولم يُرْهِبُهُمْ التَّفْجِيرَاتِ، وَلَا دَوِيُّهَا، بَلْ وَقَفُوا جميعاً في مكان الحادث ينادون بأصواتٍ مدويةٍ ويطالبون بإعدام (جماعة الإخوان) ومن تسبب في هذا الحادث الإجرامي، بل وَهَرْوَلَ أكثر من ٥٠ ألف مواطن للتسابق بالتبرع بدمائهم من أجل إخوانهم، في تَحَدٍّ سَافِرٍ لِـمَا تَفْعَلُهُ تلك الجماعة، وإعلانٍ لهم عن حُبِّهِمْ الْجَمْعِي لمؤسساتِ الدولةِ وَرُعَاتِهَا، وفي مساء يوم الخميس ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٣ قد استيقظ أهالي الحي السابع (بمدينة نصر) على دوي انفجار عبوة ناسفة بالقرب من مجمع الملك فهد التعليمي، المواجهة للمدينة الجامعية لطلاب الأزهر، مما تسبب في إصابة ٥ أشخاص بينهم حالةٍ واحدةٍ خطيرةٍ، وهذا الحادث ناتج عن انفجار قنبلة بدائية الصنع وُضعت في أوتوبيس نقل عام بالحي السابع، ومن جانبه أكد اللواء «علاء عبد الظاهر» مدير إدارة المفرقعات بالقاهرة، أن خبراء المفرقعات عثروا على قنبلة محلية الصنع مزروعة بالحديقة الوسطى أمام مجمع (الملك فهد) بمدينة نصر، بخلاف العبوة الناسفة التي انفجرت، وقد تم تعامل رجال إدارة المفرقعات وتم إبطالها، وفي نفس اليوم أُنقذت (مديرية أمن كفر الشيخ) من تفجيرٍ إرهابيٍّ، إذ أبطلت قوات الحماية المدنية بالمديرية مفعول جسم غريب، عبارة عن قنبلة، كانت مُعَدَّةً للانفجار وموجودة في دراجةٍ بخاريةٍ، بلا لوحاتٍ معدنيةٍ تركها مجهولان كانا يستقلانها أمام الباب الخلفي لمديرية أمن كفر الشيخ، وذلك في الجهة الموازية لمبنى مديرية الزراعة، ونقابة المهن الزراعية[1].

وفي صباح يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ٢٠١٣، قامت عناصر إرهابية بتفجير سيارة بمحيط مكتب المخابرات الحربية بمدينة أنشاص (بمحافظة الشرقية) مما أسفر عن إصابة ٤ جنود من قوة المكتب وإحداث تدمير جزئي بالسور الخلفي ومبنى الجنود،

(١) جريدة التحرير - الجمعة ٢٤ صفر ١٤٣٥هـ - ٢٧ ديسمبر ٢٠١٣م - السنة الثالثة - العدد (٩٠٨) - ص: (٦).

وفي صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير ٢٠١٤ قد تم انفجار داخل (مديرية أمن القاهرة) راح ضحيته ٥ أشخاص، ولم يكتف الإرهاب الأسود بذلك، بل استيقظ سكان حي عين شمس الشعبي صباح يوم السبت ٢٥ يناير ٢٠١٤ على صوت انفجار قنبلة وإبطال مفعول أخرى، بمعهد مندوبي الشرطة بعين شمس، مما أسفر عن إصابة مجند، وتحطم السور، ومكتبين، و٣ سيارات، ومحول كهرباء، وفي الوقت نفسه تم إبطال مفعول الْعُبْوَةِ التي كانت مُعَدَّةً للتفجير باستخدام هاتفٍ محمولٍ، وفي يوم الخميس ٢ يناير نجحت الحماية المدنية بمديرية أمن الغربية في إبطال عُبْوَاتٍ ناسفةٍ محلية الصنع من الكرتون متوسطة الحجم، على شكل إسطواني بداخلها بارود، ومسامير، ومتصلة بدائرةٍ كهربيةٍ وتايمر، وتم التعامل معها، وإبطال مفعولها بمعرفة خبراء المفرقعات، وهكذا حال الإرهاب الأسود الذي يُدَمِّرُ البلادَ، والعبادَ، والشجرَ، والدوابَّ، لأنه لا دين له، ولا وطن، ولا عقل، ولا سمع، ولا بصر، لأن أعينهم وعقولهم قد ضلت الطريق، وبالرغم من كل ذلك فقد تباطأ الدكتور (حازم الببلاوي) في إصدار قرار وزاري بإعلان (جماعة الإخوان) جماعة إرهابية ولم يُعلن ذلك إلا مُؤَخَّرًا بعد حادث تفجير (مديرية أمن الدقهلية) وبعد أن ضَجَّتِ الجماهير في كل المحافظات من تباطؤ الببلاوي مع أن المادة (٨٦)، و(٨٦) مكرر تَنُصُّ على ذلك، بل وتنطبق تطابقاً كلياً وجزئيًا على (جماعة الإخوان) وإليك نص المادة:

- مادة ٨٦:

يقصد بالإرهاب في تطبيق أحكام هذا القانون كل استخدام للقوة، أو العنف، أو التهديد، أو الترويع، يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي، أو جماعي، بهدف الإخلال بالنظام العام، أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بالاتصالات، أو المواصلات، أو بالأموال، أو بالمباني، أو بالأملاك العامة، أو الخاصة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو منع، أو عرقلة ممارسة

السلطات العامة، أو دور العبادة، أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور، أو القوانين، أو اللوائح.

● مادة ٨٦ مكرر:

يُعاقب بالسجن كل من أنشأ، أو أسس، أو نظم، أو ادار، على خلاف أحكام القانون جمعية، أو هيئة، أو منظمة، أو جماعة، أو عصابة، يكون الغرض منها الدعوة بأية وسيلة إلى تعطيل أحكام الدستور، أو القانون، أو الأضرار بالوحدة الوطنية، أو السلام الاجتماعي، ويعاقب بالأشغال المؤقتة كل من تولى زعامة، أو قيادة ما فيها، أو أمدها بمعونات مادية، أو مالية مع علمه بالغرض الذي تدعو إليه، وَيُعاقب بالسجن مدة لا تزيد على خمس سنوات كل من انضم إلى إحدى الجمعيات، أو الهيئات، أو المنظمات، أو الجماعات، أو العصابات المنصوص عليها في الفقرة السابقة، أو شارك فيها بأية صورة، مع علمه بأغراضها، ويُعاقب بالعقوبة المنصوص عليها بالفقرة السابقة كل من رَوَّجَ بالقول، أو الكتابة، أو بأية طريقة أخرى للأغراض المذكورة في الفقرة الأولى، وكذلك كل من حاز بالذات، أو بالواسطة، أو أحرز محررات، أو مطبوعات، أو تسجيلات، أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا، تتضمن ترويجاً، أو تحبيذًا لشيء مما تقدم إذا كانت مُعِدَّةً للتوزيع، أو اطلاع الغير عليها، وكل من حاز أو أحرز أية وسيلة من وسائل الطبع أو التسجيل، أو العلانية، استعملت، أو أُعدت للاستعمال ولو بصفة وقتية لطبع، أو تسجيل، أو إذاعة شيء مما ذكر.

● مادة ٨٦ مكرر (أ):

تكون عقوبة الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الأولى من المادة السابقة الإعدام، أو الأشغال الشاقة المؤبدة، إذا كان الإرهاب من الوسائل التي تستخدم في تحقيق، أو تنفيذ الأغراض التي تدعو إليها الجمعية، أو الهيئة، أو المنظمة، أو الجماعة، أو العصابة المذكورة في هذه الفقرة، ويُعاقب بذات العقوبة كل من أمدها بأسلحة، أو ذخائر، أو

مفرقعات، أو مهمات، أو آلات، أو أموال، أو معلومات مع علمه بما تدعو إليه وبوسائلها في تحقيق، أو تنفيذ ذلك، وتكون عقوبة الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة السابقة الأشغال الشاقة المؤقتة إذا كان الإرهاب من الوسائل التي تستخدم في تحقيق أو تنفيذ الأغراض التي تدعو إليها الجمعية أو الهيئة أو المنظمة أو العصابة المذكورة في هذه الفقرة، وإذا كان الجاني من أفراد القوات المسلحة، أو الشرطة تكون عقوبة الجريمة المنصوص عليها في الفقرة الثالثة من المادة السابقة السجن مدة لا تزيد على عشر سنوات إذا كانت الجمعية، أو الهيئة أو المنظمة أو الجماعة أو العصابة المذكورة في المادة السابقة تستخدم الإرهاب لتحقيق الأغراض التي تدعو إليها، أو كان الترويج، أو التجنيد داخل دور العبادة أو الأماكن الخاصة بالقوات المسلحة، أو الشرطة، أو بين أفرادها.

مادة ٨٦ مكرر (ب):

يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة كل عضو بإحدى الجمعيات أو الهيئات أو المنظمات أو الجماعات أو العصابات المذكورة في المادة (٨٦) مكرر، استعمل الإرهاب لإجبار شخص على الانضمام إلى أيٍّ منها، أو منعه من الانفصال عنها، وتكون العقوبة بالإعدام إذا ترتب على فعل الجاني موت المجني عليه.

مادة ٨٦ مكرر (جـ):

يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة كل من سعى لدى دولة أجنبية، أو لدى جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة أو عصابة يكون مقرها خارج البلاد، أو بأحد ممن يعملون لمصلحة أي منها، وكذلك كل من تخابر معها أو معه، للقيام بأي عمل من أعمال الإرهاب داخل مصر، أو ضد ممتلكاتها، أو مؤسساتها، أو موظفيها، أو ممثليها الدبلوماسيين، أو مواطنيها أثناء عملهم، أو وجودهم بالخارج، أو الاشتراك في ارتكاب شيء مما ذُكر، وتكون العقوبة الإعدام إذا وقعت الجريمة موضوع السعي أو التخابر، أو شرع في ارتكابها.

- مادة ٨٦ مكرر (د):

يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة كل من تعاون، أو التحق بغير إذن كتابيٍّ من الجهة الحكومية المختصة بالقوات المسلحة لدولة أجنبية، أو تعاون، أو التحق بأي جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة إرهابية أيًّا كانت تسميتها، يكون مقرها خارج البلاد، وتتخذ من الإرهاب أو التدريب العسكري وسائل لتحقيق أغراضها، حتى ولو كانت أعمالها غير موجهة إلى مصر، وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة إذا تلقى الجاني تدريبا عسكريا فيها، أو شارك في عملياتها غير الموجهة إلى مصر.

فقل لي بالله عليك عزيزي القارئ، والذي يحكم بالحق، وليس حكماً متعلقاً بالأهواء، وبعد الاطلاع على نصوص المادة (٨٦)، (٨٦) مكرر، أنه لا يُوجد جريمة نصت عليها المادة السابقة إلا واقترفها (جماعة الإخوان) بالأقوال، والتحريض، والأفعال الإجرامية التي أدت إلى القتل، أو التدمير، أو إتلاف المنشآت، وإهدار المال العام، وترويع الآمنين، وكل ما صيغ في سياق المادة من جرائم إلا وأصابع الاتهام تشير إلى أيدي هذه العصابة، فَوَلِيِّ الأمرِ، أو الحاكم الذي حرَّضَ على ارتكاب الجرائم وسفك الدماء فسوف يقتص الله منه في يوم تشيب منه الولدان إذا لم يُقْتَصَّ منه في دنيا الناس فمن تَأَمَّرَ على ثلاثة من المسلمين، فليأتي يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، إما أن يوبقه ظلمه، أو يفكه عدله، فما بالك بالملايين التي تحت إمرتك يا ناقص العقل والدين وماذا تفعل يوم القصاص العدل يوم القيامة، فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة أن النبيﷺ قال: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١).

(١) الحديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد برقم: (٥/ ٢٦٧)، والبيهقي برقم: (٥/ ٢٠٥)، ورواه أحمد والطبراني، وفيه يزيد بن أبي مالك، ووثقه ابن حبان وغيره، وبقية رجالة ثقات، وقال المنذري: (٣/ ١٣٢-١٣٣، ٤/ ٢٩٤)، ورواه أحمد، ورواته ثقات إلا يزيد بن أبي مالك، وهو ثقة، وقال بعضهم: لَيِّنٌ، وذلك على تخريج الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٣٤٩).

وجاء في السنن للبيهقي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ، إلا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً، حَتَّى يَفُكَّهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ)[1].

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إلا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَدُهُ مَغْلُولَةٌ إِلَى عُنُقِهِ)[2].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّة، يَموتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ)[3].

ونعود أدراجنا سريعاً إلى إرهاب الشعب المصري، والذي تزعمهُ (مرسي، وجماعته) من إزهاق الأرواح وحرق المنشآت، وتهريب المساجين، وحرق ٩٩ مركز شرطة، وسحل المتظاهرين، وتعذيبهم، فقد أوجب الله القصاص في ابن آدم بداية من النفس، أي: إزهاق الروح، إلى الجروح، وقبل ذلك لا بُدَّ لنا أن نذكر أن السبب فى التمادى لجماعة الإرهاب وما يفعلوه هى الأيدى المرتعشة التى لا تُصدر القرار الصائب فى حينه.

---

(١) الحديث صحيح: رواه البيهقي في السنن من حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ وجاء في المشكاة برقم: (٣٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٦٩٥)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٣٤٩).

(٢) الحديث صحيح: رواه البيهقي في السنن عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ وجاء في المشكاة برقم: (٣٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٦٩٦).

(٣) الحديث صحيح: رواه البخاري، ومسلم ـ عن معقل بن يسار ـ ت، وجاء في مختصر مسلم برقم: (١٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٧٤٠).

الأَيادِى المُرْتَعِشَهْ

عندما يتولى المرءُ مَنْصِبًا من المناصب ليصبح فى مكانةٍ حساسةٍ وجب عليه أن تكون قراراته نافذة ورأيه صائبٌ وَأنامله تُمسك بالقلم بقوةٍ ليخط القرار وخاصة أن القرار إذا أُخذ ضد الإرهاب وحماية الأمن القومى، ولكن الأقدار قد جعلت الدكتور (حازم الببلاوى) قد تواطأ مع الإخوان ولم يُصدر قراراً رسمياً بإعتبار الجماعة (منظمةٌ إرهابيةٌ) لذا أصبح الببلاوى أشبه بمن سبقه فى رئاسة وزارة (الإخوان) (هشام قنديل) ليتشابها فى الأيادى المرتعشة الضعيفة التى ليس لها أى كيانٍ على الساحة السياسية، فقد كشفت مصادر حكومية رفيعة المستوى (للأهرام العربى) عن قرار حكومة الدكتور حازم الببلاوى الصادر فى ٢٥ ديسمبر ٢٠١٤م وعقب إجتماعٍ لها إستغرق أكثر من ٦ ساعات - بإعتبار جماعة الإخوان (جماعة إرهابية) لم يكنْ سوى (شو إعلامى) وأنه لم يُنشر فى الجريدة الرسمية ولم يتم تفعليه وبالتالى لم تخطر به الجهات المعنية رسميًّا بالداخل، أو الخارج كما كان يتردد، وأنه ظل قيد القرارات الموضوعة على أرفف دواوين وأرشيف المجلس بالقصر العينى! بل إن الرئيس (عدلى منصور)، عندما تلقى الدعوة لحضور القمة العربية بالكويت وبدأ فى إعداد خطابه، طلب القرار من الجريدة الرسمية لتضمينه ضمن كلمته حتى يتسنى مطالبته الدول العربية والعالم أجمع كله للعمل بهذا القرار المصرى بحظر نشاط جماعة الإخوان وإعتبارها منظمة إرهابية فجاءه الرد بأنه غير منشور، وعدم قيام وزارة الخارجية آنذاك بإرسال القرار إلي دول العالم وإلى سفاراتنا بالخارج لتفعيله والعمل به!

وعندما فوجئ (المهندس إبراهيم محلب) رئيس وزراء مصر الحالى بهذا الأمر،

عالج الأمر فى سرية تامة وبتفكير رجل الدولة المتزن مستغلاً الحكم الصادر من محكمة القاهرة للأمور المستعجلة بجلسة ٢٤/ ٢/ ٢٠١٤ والتى تحمل رقم ٣٣٤٣ بإعتبار جماعة الإخوان المحظورة منظمة إرهابية وأصدر قراراً بتنفيذ هذا الحكم ونشره بالجريدة الرسمية متضمناً الاتى:

١. توقيع العقوبة المقررة قانوناً لجريمة الإرهاب على كل من يشترك فى نشاط الجماعة، أو التنظيم، أو يروج لها بالقول أو الكتابة أو بأى طريقة أخرى، وكل من يمول نشاطها.

٢. توقيع العقوبات المقررة قانوناً على من انضم إلي الجماعة أو التنظيم، واستمر عضواً فى الجماعة أو التظيم بعد صدور هذا القرار.

٣. إخطار الدول العربية المتضمنة لإتفاقية مكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٨ بهذا القرار

٤. تكليف القوات المسلحة وقوات الشرطة بحماية المنشآت العامة وتولي الشرطة حماية الجامعات وضمان سلامة الطلاب من إرهاب تلك الجماعة.

كما كشفت المصادر عن أن حكومة الببلاوى كانت تتعامل برفق وارتعاش مع ذلك الفصيل الذى كان يسعى لقلب الحكم ويُعلن تعاونهُ وإستقواءهُ بتنظيم القاعدة وأن هذه الحكومة فرطت فى حق الوطن، وَأَصَمَّتْ أذنيها عن الاستجابة للمطلب الشعبى بحل جماعة الإخوان واعتبارها جماعة إرهابية، وتقاعست عن تطبيق قانون الجمعيات الأهلية ذاته، والذى يُعطى لوزير التضامن الاجتماعى الحق فى حل جمعية الإخوان نظراً للمخالفات التى شابت إشهارها، واستخدام مقرها فى مكتب الإرشاد بالمقطم قاعدة للعدوان وإطلاق الرصاص على المتظاهرين السلميين[1].

وبالفعل قد تم نشر القرار بأن جماعة الإخوان منظمة إرهابية، حيث أصدر

(١) حلة الأهرام العربى السبت ١٢ جماد ثان ١٤٣٥ هـ - ١٢ أبريل ٢٠١٤م - العدد (٨٩٠) ص:١٠

المهندس إبراهيم محلب رئيس مجلس الوزراء القرار رقم ٥٧٩ لسنة ٢٠١٤ بتنفيذ الحكم الصادر من محكمة القاهرة للأمور المستعجلة في الدعوى رقم ٣٣٤٣ باعتبار جماعة الإخوان المحظورة (منظمة إرهابية) وتوقيع العقوبة المقررة قانوناً لجريمة الإرهاب على كل من يشترك فى نشاط الجماعة أو التنظيم أو يروج لها بالقول أو بالكتابة وحسم محلب بذلك الجدل الدائر حول هذا الموضوع، لِتُنْهي الحكومة فصلاً مَرِيرًا من ممارسات التنظيم الإرهابى بحظر جميع أنشطته وإبلاغ كل دول العالم بهذا القرار، ومن جانبه اعتبر الفقيه الدستورى (يحيى الجمل) أن قرار رئيس الوزراء خطوة مهمة جداً وتصويب أمر واجب، لأن قرار محلب يعنى أن حكم المحكمة أصبح أمراً نافذاً فى مواجهة الجميع، وَيَعْدَ نشرهِ فى الجريدة الرسمية قال: إن الجماعة الإرهابية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وشدد على ضرورة أن تخاطب وزارة الخارجية جميع دول العالم بالتوصيف الجديد للجماعة الإرهابية مُشيراً إلى أن وَفْداً من المحامين المصريين سيتوجه إلى إنجلترا لمساندة الموقف البريطانى في تقييم الجماعة وفقاً للجنة التى شكلها رئيس الوزراء (ديفيد كاميرون) حيث تُمهد بريطانيا لبدء محاكمتهم، وأبدى (ثروت الخرباوى) القيادى الإخوانى السابق ترحيبه الكامل بقرار محلب وقال: إنه سيحدد كثيراً من تأثير ما تبقى من هذه الجماعة الإرهابية مشيراً إلى أن الحكومة السابقة لم تنفذ القرار، وإنما أطلقت تصريحاً وكان ما فعلته مجرد بيان إعلامى، ولكن ما صدر الآن هو أول بيان رسمى باعتبارها جماعة إرهابية، وطلب الخرباوى بأن يأخذ القرار طريقه بأقصى سرعة لحيز التنفيذ وأن يتم تطبيق أحكام المواد (٦٨) في القانون ومكرراتها على كل من يرتبط بأي صلة بهذه المنظمة الإرهابية، وفى لندن كشفت مصادر وزارة الداخلية البريطانية النقاب عن أن جماعة (أنصار بيت المقدس) قادرة على تجنيد العناصر الإرهابية داخل وخارج مصر، وقالت المصادر فى تصريحات للأهرام: إن تصعيد الجماعة هجماتها بعد الإطاحة بحكم

الرئيس السابق (محمد مرسى) وتهديدها بقتل البريطانيين يُعَدُّ من أهم الأسباب وراء إدراجها فى قائمة الإرهاب البريطانية[1].

وبناء على ذلك القرار فقد وافق البرلمان الكندى على إدراج جماعة الإخوان كجماعة إرهابية، وهو ما اعتبره إسلاميون خطوة فى طريق التضييق على التنظيم الدولى للجماعة، خاصة أن (كندا) شأنها شأن العواصم الكبرى ميونخ وبرلين تُعَدُّ مكاناً تقليدياً للقيادات، وقال (أحمد بان)، الخبير فى شئون الجماعات الإسلامية، إن موافقة البرلمان الكندى على إدراج الإخوان كجماعة إرهابية، يضيق الخناق على التنظيم الدولى للجماعة ويحرمها من بعض الملاذات الآمنة وقد يدفعها لمراجعة خياراتها فى التعاطى مع الدولة، ويجعلها تسعى جاهدة للوصول إلي تسوية، خاصة أن (كندا) شأنها شأن العواصم المهمة مثل (ميونيخ، وبرلين) التى تُعَدُّ مكاناً تقليدياً للقيادات، وأشار إلى أن موقف كندا سيكون له تبعات عالمية مهمة، وقد يدفع بعض الدول التى مازالت تَدْعُمُ الإرهابية لمراجعة موقفها، وأكد (سامح عيد)، القيادى الإخوانى المنشق أن موقف كندا إيجابى وَيُعَدُّ حَلْقَةَ ضَغْطٍ على الإخوان، وربما يؤثر على بعض القرارات الأوروبية فى المستقبل، مُشِيراً إلى أن كندا لها باعٌ طويلٌ فى مجال حقوق الإنسان وعضو فى الأمم المتحدة، ولم تُصْدِرْ هذا القرار بناء علي العاطفة وإنما بناءً على تتبع جَدِّيٍّ لتصرفات الجماعة في مصر والدول الأوروبية، وقال (ماهر فرغلى) الباحث فى شئون الحركات الإسلامية، إن الخناق يضيق على التنظيم الدولى للإخوان، خاصة مع ازدياد نشاط التنظيم داخل الدول الأوروبية فى الآونة الأخيرة من اجتماعات وتمويل وتحركاتٍ الأمر الذى أخاف هذه الدول من أن ينتقل الإرهاب إلى أراضيها، مشيراً إلى أن العمليات الإرهابية داخل مصر سلاح ذو حَدَّيْنِ أَثَّرَ بالسلب

(١) جريدة الأهرام - الجمعة ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ - ١١ أبريل ٢٠١٤م السنة (١٣٨) العدد (٤٦٥١٢) ص: ١.

على نشاط الجماعة رغم 'لعلاقات الواسعة للتنظيم الدولى، مُؤَكِّداً أن هذه القرارات تُصَعِّبَ الموقف على الجماعة الإرهابية إقليمياً ودولياً، بالإضافة إلى تأثير السعودية والبحرين والإمارات بعلاقاتها الخارجية على الدول الأوروبية مما يؤدى إلى نوع من الخوف من الإخوان، كما أن الدور الإقليمى الذى تلعبه الإخوان لصالح إيران وتركيا وقطر، مُتَوقعاً أن تتبع بريطانيا وسويسرا والنرويج القرار الكندى بإدراج الإخوان على قوائم الإرهاب، وقال الدكتور (كمال الهلباوى)، نائب رئيس لجنة الخمسين، والقيادى السابق بجماعة الإخوان: إن هناك دول أخرى ستتخذ نفس القرار بعد كندا وفرنسا وبريطانيا لأن الدول خائفة، مشيراً إلى أن الإخوان وضعت نفسها فى موقف حرج بالتحالف مع جماعات العنف مثل الجماعة الإسلامية والجهاد، مُؤكداً أن ما يُسمى (بتحالف الشرعية) وَرَّطَ الجماعة معه فى الإرهاب إلى جانب دور القيادات المسجونة والهاربة فى تأجيج العنف، والتفجيرات ما جعل دول العالم فى حالة خوف من امتدادات تلك الممارسات إلى أراضيها، وبالرغم من تصريحات (إبراهيم منير) والتى حَذَّرَ فيها بريطانيا من اتخاذ هذا القرار من أن رد الجماعة سيكون عنيفاً أكد الدكتور (جهاد عودة) أستاذ العلاقات الدولية بجامعة حلوان أن بريطانيا ليس أمامها أى موانع على الإطلاق تحول بينها وبين قرار إعلان جماعة الإخوان إرهابية مشيراً إلى أن دراسة البرلمان الكندى قرار إعلان الجماعة إرهابية خطوةً جيدةً باعتبار كندا تحت التاج البريطانى، وأضاف فى تصريح (لصدى البلد) أن اللجنة المشكلة من العموم البريطانى للتحقيق فى هذا الأمر لجنة استخباراتية من الدرجة الأولى ولن يتم تشكيلها إلا إذا كانت هذه اللجنة لديها معلومات مؤكدة تُدين جماعة الإخوان، وقال (عودة) لا الإستثمارات الإخوانية ببريطانيا ولا العلاقات التاريخية بينهما كفيلان بمنع بريطانيا من إعلان جماعة الإخوان إرهابية[1].

(1) Http: //www.elbalad.com/٨٩٦٧١٧sthash.٠٤Aٕ JNP.dpuf

إعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارْ:

معنى اعتبرَ المرءُ، أَيِ اتَّعَظَ، فمن لم يَتَعِظْ بالسنن الكونية، فليس له حَظٌّ، أو نصيبٌ فى دنياهُ وأخراهُ، ويظل طوال حياته يتخبط كما يتخبط فاقدى البصر الذى يسير فى وسط الطريق بدون دليل معهُ يقودهُ إلى الهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٣) أى: أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ ويُؤَيِّدُ أصحاب العقول والبصائر، قال ابن كثير: إن فى ذلك لعبرةً لمن لهُ بصيرةٌ وفهمٌ لِيَهْتَدِىَ به إلى حكم الله وأفعاله[1] وقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:٢) أي: اعتبروا بما حَلَّ بالمفسدين مَا حَلَّ ونزل بهم مَا نَزَلَ، لتعلموا صدق الله فى وعده ووعيده[2]. وإن كان اللفظ لليهود، ولكنه يُقَاسُ على كل مُفْسِدٍ فى الأرض يُخَرِّبُ ديارها ويسفكُ دماء أهلها، ويستبيحُ أموالها ونساءها بغير حَقٍ، وبذلك فقد جَعَلْتُ هذه المقدمة مَدْخَلاً للقصاص بالمثلِ، لذا فأقول: لم ونحن المسلمون نَقتدى بدول الغرب وَنَجْعَلُها بَوَّابَةً لأحكامنا ونحن معنا الدليل من كتاب الله وسُنَّةَ نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مُدَوِّيَةً قَائِلاً: (كِتَابُ اللَّه القَصَاصْ)، لأنه لم يكن خافياً على أَحَدٍ، بأَنْ الشريعة الإسلامية كفيلة بإصلاح أحوال البشر فى جميع أحواله ومجالاته، وفى جميع النواحى الحياتية والقانونية، لأن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً هو وحده المتعين به الحكم بين الناس والدليل على ذلك إنزال الوحى على صاحب الرسالة بأحكام تُتْلَى إلى يوم القيامة، كما جاء فى كتابه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٨ - ١٧٩) يقول تعالى كُتِبَ

---

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٣٣١).

(٢) تفسير محاسن التأويل لقاسمى: (٩/ ٧٤).

عليكُم العدلَ في القصاص أيها المؤمنونَ، حُرُّكُمْ بِحُرِّكُم، وَعَبْدُكُمْ بِعَبْدِكُمْ، وَأُنثَاكُمْ بِأُنْثَاكمْ، ولا تتجاوزوا وَتَعْتَدُوا، كما اعتدى مَنْ قَبْلِكُم، وغَيرُّوا حُكْمَ الله فيهم، وسببُ ذلك قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ، كانت بَنُوا النَّضير قَدْ غَزَتْ قريظة في الجاهلية وقهروهم، فكان إذا قَتَلَ النَّضْرِيَّ القُرَظِيَّ لَا يُقْتَلُ به، بَلْ يُفَادَي بِمائَةِ وَسْقٍ مِنَ التَّمْرِ، وَإِذَا قَتَلَ الْقُرَظِيُّ النَّضْرِيَّ قُتِلَ، وَإِنْ فَادُوهُ فَدَوْهُ بِمائَتَيْ وَسْقٍ مِنَ التَّمْرِ، ضَعْفُ دِيَّةِ الْقُرَظِيِّ، فأمرَ اللهُ بالعدل فى القصاص، ولا يُتَّبَعُ سَبيلُ المُفْسِدِينَ المُحَرِّفِينَ المُخَالفينَ لأحْكام الله فيهم، كُفْراً وَبَغْياً، كما قال تعالى "الآية"[1] ومعنى كلمة (الْوَسْقُ): هُوَ مِكْيَالٌ مِقْدارُهُ سِتُّونَ صَاعاً، وَ الصَّاعُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ، وَجَمْعُهُ أَوسُقْ، وَأَوْسَاقٌ[2] وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ يقول تعالى: وفى شرع القِصَاصِ لكم، وهو فى قَتْلِ الْقَاتِلِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وهى بقاءُ المُهَجِ وَصَوْنُهَا؛ لأنهُ إذا عَلِمَ القاتلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَّ عَنْ صَنِيعِه، فكان فى ذلك حَيَاةٌ للنفوس، وفى الكتب المتقدمة: القَتلُ أنْفَى للقتل، فجاءت هذه العبارة فى القرآن أَفْصَحَ وَأَبْلَغَ وَأوْجَزَ ﴿يَٰأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أى: يا أولى العقول، والأفهامِ والنُّهى، لعلكم تَنْزَجِرُونَ وَتَتْرُكُونَ مَحَارِمَ الله، ومَآثِمِهِ، والتَّقْوَى: إسْمٌ جَامِعٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ المُنْكَرَاتِ[3] فالمراد من ذلك أن الإسلام قد ضمن العيش والأمن وهما مطلبان عظيمان لإستقرار الحياة بين بنى البشر على السواء، فليس هناك أَمْرٌ يحققُ للإنسان تأمين حياتهُ وعيشهُ ومالهُ ونفسهُ وأهلهُ ودينهُ سِوَى الإسلام وتطبيق أحكامه بين الناس جميعاً، الفقيرُ كالغَنِيِّ، والحاكمُ كالمحكومُ فى الحكم سواء، لأن فى تطبيق أحكامه وطرقه الشرعية تحقيقٌ للأمن والأمان والاستقرار للناس كَافَّةً، فحكمُ الإسلامِ فى التصدى للإرهاب، والتعدى على النفس البشرية، وإزهاق الأرواح بلا مُبَرِّر، أوَ

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٢٠٣).

(٢) المعجم الوجيز ص: (٦٦٩).

(٣) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٢٠٤).

الخروج عن مقتضى الشريعة الإسلامية، لَابُدَّ أَنْ يُوَجَّهُ، بَلْ وَيُكَافَحُ بالقصاصِ بِالمِثْلِ، أى: من قتل نَفْساً ظَلْماً يُقْتَلُ بالمثل، ومن ألقى نفساً آمنةً من فوق سطح عمارة، فأدى ذلك إلى إزهاق رَوْحِه، يُلْقى بالمثل حتى تُزْهَقَ روحهُ، ومن كَسَر سِناً يُكْسَرْ لَهُ نَفْسُ السِّنِّ، فإذا أَدَّيْنَا ذلك تكون وُجْهَتُنَا وَقِبْلَتُنَا كِتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيه - صلى الله عليه وسلم، وليست قِبْلَتُنا وَوُجْهَتُنَا أمريكا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا، وغيرهما من دول الغرب الكافرة، فكيف يتسنى لنا أن تكون وُجهتنا وقبلتنا لدولٍ تَرْعَى الإرهاب وأهله؟

فالقصاص بالمثل يا أولى الألباب هو لُبُّ شريعة الإسلام وعدلهِ وغير ذلك. هو خروج عن الشريعة، وإتاحة الفرصة للتسويف وتضييع الوقت سُدًى، وإعطاء الغير من الإرهابيين التمادي فى إطالة أيديهم الآثمة المزيد من القتل وسفك الدماء وترويع الآمنين، وتدمير المنشآت، وَتَفَاقُم الأخطار على الأمن القومى، وتجرؤ الأيادى الآثمة على المزيد من إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح بل رادعٍ يردعهم، وأيادٍ قويةٍ تُطَبِّق حكم اللهِ فيهم طالما أن ملابسات القضية تثبت بالدليل القاطع بشهادة الشهود العدول، والأدلة الجنائية المثبتة فى القضية بالصور والقرائن العادلة التي تثبت تورط الجانى بالتحريض على القتل، أو بالتعدى بقتل الآخرين وقد طالعتنا الصحف القومية وغيرها يوم الثلاثاء ٢٩/ ٤/ ٢٠١٤ حُكْمٌ يُعَدُّ الأكبر فى تاريخ القضاء المصري، فقد قررت محكمة جنايات المنيا إحالة أوراق (محمد بديع) مرشد جماعة الإخوان الإرهابية و٦٨٢ آخرين إلى المفتى لاتهامهم بالقتل والحرق والاعتداء على المنشآت العامة، فيما عُرِفَ بأحداث مركز العدوة بالمنيا عقب فض اعتصامى رابعة والنهضة وحددت المحكمة جلسة ٢١ يونيو للنطق بالحكم وقد قررت هيئة المحكمة برئاسة المستشار «سعيد يوسف صبرى»، وعضوية المستشارين «إبراهيم وليد»، و«طلعت جودة» بإحالة أوراق «محمد بديع» مرشد جماعة الإخوان و ٦٨٢ إخوانياً أمام المفتى والحكم بإعدام

٣٧ متهماً إخوانياً، والأشغال الشاقة المؤبدةُ لـ ٤٩٢ آخرين فى قضية أحداث العنف والتخريب والقتل التى شهدها مركز مطاى بالمنيا بعد فض اعتصام رابعة[1] وطالعتنا صحيفة الفجر فى صدر الصفحة الأولى بعنوان لماذا أعدموه؟ وكانت الإجابة: بديع وضع خطة اقتحام الأقسام وقتل ضباط الشرطة بعد فض اعتصام رابعة العدوية، وقد وجهت النيابة إلي الدكتور «محمد بديع» ٧١ عاماً والمرشد العام لجماعة الإخوان أنه فى غضون شهر أغسطس ٢٠١٣ إتفق وآخرون على وضع خطة أثناء اعتصام جماعة الإخوان ومؤيديهم بميدانى «رابعة العدوية» بمدينة نصر، و«النهضة» بالجيزة، مفادها مهاجمة أقسام الشرطة أثناء عملية فض اعتصامى رابعة العدوية والنهضة بغرض إشاعة الفوضى فى البلاد وانهيار الدولة، وتنفيذاً لهذا المخطط تجمهر فى ١٤ أغسطس ٢٠١٣ العديد من الأشخاص أمام مركز شرطة «مطاى» ثم تمكنوا من اقتحامه تحت تهديد الأسلحة النارية والبيضاء، وقتل العقيد «مصطفى رجب العطار» نائب مأمور المركز عمداً مع سبق الإصرار والشروع فى قتل الضابط «كريم فؤاد هنداوى» والشرطى السرى «علاء محمد حافظ» وتخريب مركز الشرطة وإشعال النيران فيه، وإتلاف الدفاتر والسجلات الرسمية، وتمكين المحبوسين داخله من الهرب هذا عن قضية «مطاى» أما فى العدوة، فقد أشارت النيابة إلي ما جرى حيث وجهت اتهامات واضحة ومحددة للإخوان ومرشدهم جاء فيها «التجمهر فى مركز العدوة وتعريض السلم العام للخطر وكان الغرض منه ارتكاب جرائم الاعتداء على الأشخاص والممتلكات العامة والخاصة والتأثير على رجال السلطة فى أداء أعمالهم بالقوة والعنف حال حمل بعضهم لأسلحةٍ ناريةٍ وأدواتٍ مما تُستخدم فى الاعتداء على الأشخاص وقد وقعت

(١) جريدة الأهرام الثلاثاء ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ - ٢٩ أبريل ٢٠١٤م - السنة (١٣٨) - العدد (٤٦٥٣٠) ص: (١).

تنفيذاً للغرض المقصود مع علمهم بهذه الجرائم» ولم تتوقف النيابة في توصيفها للاتهام عند هذا الحد، بل أضافت: «اقترنت بالجريمة السابقة جنايات قتل عمد، ذلك بأنهم فى ذات المكان والزمان قتلوا وآخرون مجهولون المجنى عليه رقيب شرطة «ممدوح قطب محمد قطب» عَمْداً مع سبق الإصرار والترصد، وَبَيَّتُوا النِّيَّةَ وعقدوا العزم على قتل من يتصادف وجوده بمحيط شرطة العدوة وهو مكان تواجد المجنى عليه» لقد تعامل البعض مع قرار إحالة أوراق المرشد إلى المفتى باستخفافٍ شديدٍ قال المستشار «محمد عيد سالم» رئيس محكمة النقض، والأمين العام للمجلس الأعلى للقضاء السابق، إن أغلب القضايا المتعلقة بالإعدام، يتم قبول الطعن عليها، ومن واقع خبرتى ورصدى للقضايا، أؤكد أن نسبة قضايا الإعدام التى يقبل الطعن فيها تتجاوز نسبتها ٩٠٪ من إجمالى القضايا، وأن القضايا التى تصدر فيها أحكام نهائية بالإعدام من محكمة النقض لا تتجاوز ١٠٪ فقط» وأضاف فى تصريحات خاصة (للفجر): «هناك عقيدة لدي قُضاة محكمة النقض، وهى أنِ الخطأ فى العفو، خيرٌ من الخطأ فى العقوبة، ومن واقع هذه العقيدة فإن محكمة النقض تتلكك لإيجاد أى ثغرات قضائية تُمكن المتهم من الطعن على الحكم، ولو وجدت أي ثغرة من أي نوعٍ فإنها تطعن على الحكم بشكلٍ فوريٍ، وتلتزم المحكمة بتوفير محاكِمات، عادلة تستوفى حصول المتهم على كافة دفوعه، فمحكمة النقض هى محكمة ضمانات» وذكر المستشار سالم أنه فى محاكم الجنايات تُدين المحكمة المتهم بمبدأ «العقوبة المبررة» أي أنها على سبيل المثال تكتفى بوجود سلاح الجريمة لتدلل على إدانة المتهم، أما محكمة النقض فهى لا تعترف بهذا المبدأ فى عقيدتها، وتحتاج إلى أدلةٍ مَادِّيَة أكثر لتثبت الإدانة بحق المتهم» أما عن مراحل التقاضى، فنجد أنها تمر بمراحل صعبة يصعب معها إصدار حكم نهائى بالإعدام، ولعل أقرب نموذج على ذلك ما حدث بقضية رجل الأعمال

«هشام طلعت مصطفى» الذى قُبِلَ طعنه وحُكِمَ عليه بالسجن ١٥ عاماً»[1]، لذا وجب علينا فى تلك الظروف أن نشير إلى ما ذكرناهُ سابقاً في القصاص بالمثل، وبفضل الله تعالى علي هذه الأمة أنه أكمل هذا الدين حيث قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (المائدة: ٣) ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ (الأنعام :٣٨) ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر: ٧) ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ (النحل: ٨٩) ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ (النحل: ٤٤) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الشورى: ٥٢) فكل ما يحتاجه المرء فى دينه موجود فى كتاب الله تعالى، وما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد بَلَّغَ الرسالة، وأدى الأمانة: ونَصح الأمةَ، وكشف الغمة، وأقام الحجة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِى إلا هَالِكْ)[2].

وقال الإمام الشافعى: «وليست تنزلُ بأحدٍ مِنْ أهلِ دينِ الله نَازِلَةٌ إلا وفى كتاب اللهِ الدليلُ على سبيلِ الهُدَى فِيهَا»[3].

وقال أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رضى الله عنه: (تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائرٍ يطيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا عندنا منهُ عِلْمٌ)[4].

فلا حُجَّة لابن آدم فما دَلَّ عليه الدليل فهو حَقٌّ، والحجة والأدلة ما أكثرها فى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ

(١) جريدة الفجر - الخميس ١ / ٥ / ٢٠١٤ - اسنة السابعة - العدد (٤٥٦): (٩).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه أحمد: (٤/ ١٣٦)، رابن ماجة: (٤٣).

(٣) الرسالة للشافعى ص: (٢٠).

(٤) الحديث أخرجه أحمد برقم (٥ / ١٥٣/ ١٦٢)، وابن حبان: (١/ ٢٣٥).

ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (المائدة: ٤٥) قوله تعالي: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ) أي: فرضنا على اليهود في التوراة (أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ) أي: مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق (والعين) مفقوءة (بالعين والأنف) مجدوع (بالأنف والأذن) مقطوعة (بالأذن والسنَّ) مقلوعةً (بالسن والجروح قصاص) أي: ذات قصاص، أي: يقتص فيها إذا أمكن، كاليد والرجل ونحو ذلك وإلا - ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته، فلا قصاص، بل فيه حكومة عدل[1].

دِيَةُ الْقَتْلِ الْمُتَعَمَّدْ: إذا شاء أصحاب المقتول قَتْلَ قاتلهم فعلوا، وإذا شاء أَخْذَ الدِّيَة أخذوها، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ قَتَلَ مُتَعَمِّداً دَفَعَ إلَى أَوْلِيَاء المَقْتُول، فَإنْ شَاءُ واقتُلُوا، وَإنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَةَ، وَهِيَ ثَلاثُونَ حِقَّةً، وثَلاثُونَ جَذَعَةً، وَأَرْبَعُونَ خَلِفَةً، وَمَا صُولِحُوا عَلَيْه فَهُوَ لَهُمْ)[2].

وَالحِقَّةُ: هى الإبل وما طعن منها فى السنة الرابعة، وجمعها حِقَاقْ، والأنثى حِقَّةً، وجمعها حِقَقَ، والجذعة: هى ولد الشاة فى السنة الثانية، وولد البقر والحافر فى السنة الثالثة، والإبل في السنة الخامسة ومعنى كلمة خَلِفَةً: هى الحامل من الإبل.

الْقَصَاصُ فِى العَيْن: فإن فُقِئَتْ العين، أو قُلعت ثبت القصاص بالفقء. وإن ضُرِبَ حتى ذهب بعده ثبت القصاص، قال فى التهذيب، فَقِيلَ: بالقلع، وقيل تُحْمَى حديدة ثم تقرب من عينه أَمَّا الْقَصَاصُ فِى الأَنْفِ: إنما يكون إذا اسْتُؤصِلَتْ، لأن ذلك كالمفصل، لا إذا قطع بعضها، فقصاصها تُقطع أنف المتعدى.

أَمَّا القَصَاصُ فِي الأُذُنِ: أيضاً كما تقدم، والقصاص إذا قُطعت من أصلها، لا إذا قطع

(١) تفسير القاسمى: (٤/ ١٥٣).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذى، وابن ماجة عن ابن عمرو برقم: (٢٦٢٦)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٤٥٥ - ٢١٩٧)، والإرواء برقم: (٢١٩٩).

البعض، وَلَا تُؤْخَذُ أُذُنِ الصحيح بأذن الأصم، وكذا عموم قوله تعالى: (والسن بالسن) والقصاص: إذا قلع من أصله، ولابد من المساواة، فلا يُؤْخَذُ الصحيح بالأسود ولا بالمكسور، ولا الثنية بِالضِّرْسِ، ولا تُؤْخَذُ اليمنى باليسرى(١).

القَصَاصُ فِي قَتلِ الجَنِينِ وَأُمِّهُ: روي ابن ماجة عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رضى الله عنه، أَنَّهُ نَشَدَ النَّاسَ قَضَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي ذَلِكَ، يَعْنِي فِي الجَنِين، فَقَامَ حُمَلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّابغَة فَقَالَ: كُنْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ لِي، فَضَرَبَتْ إِحْداهُمَا الأُخْرَى بِمِسْطَحٍ فَقَتَلَتْهَا، وَقَتَلَتْ جنينهَا، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الجَنِينِ بِغُرَّةٍ، عَبْدٍ، وَأَنْ تُقْتَلَ بِهَا(٢). فَكُلاً من العبد، أو الأمة يُقَالُ لَه (الغرَّة) إذ يُطلق هذا الإسم على الإنسان المملوك، «وَالْمِسْطَح» هو عود من أعواد الخباء، أو كفرع من الشجر يُسمى بالعِصِيِّ.

الْقَصَاصُ فِي السِّنِّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ الرُّبَيِّع عَمَّةُ أَنَسٍ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا إِلَى القَوْمِ العَفْوَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: الْقَصَاصُ، فَقَالَ أَخُوهَا - أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ الله تُكْسَرُ ثَنِيَّةُ فُلاَنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (يَا أَنَسُ كِتَابُ الله الْقَصَاصُ)(٣).

ومعنى كِتَابُ اللهِ الْقِصَاصُ: أى: حكمه وعدله فى تنفيذ أحكام القصاص. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في السن بِخَمْسٍ من الإبل، حيث قال: (الأَسْنَانُ

(١) المصدر السابق: (٤/ ١٥٦).

(٢) رواه ابن ماجة برقم: (٢٦٤١).

(٣) أخرجه البخارى (٢٥٥٦) و(٤٢٢٩) و(٤٢٣٠) و(٤٣٣٥)، وأبو داود (٤٥٩٥)، والنسائى فى (المجتبى) (٤٧٦٦) و(٤٧٧١)، وفى (الكبرى) (٦٩٥٤) و(٦٩٥٩)، وابن ماجه (٢٦٤٩)، وأحمد (١١٨٩٣١) و(١٢٢٩٣)، وابن أبى شيبة (٦/ ٣٢٢)، وأبو عوانة (٦١٥٣). وأبويعلى (٣٥١٩)، وابن الجارود فى (المنتقى) (٨٤١)، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٣/ ١٧٧)، والطبرانى فى (الكبير) (٦٦٤) و(٧٦٨)، والبيهقى (١/ ١٦٣) من حديث أنس.

سَوَاءٌ خَمْساً خَمْساً)[1]. وقضي صلى الله عليه وسلم فى الأصابع بِعَشْرٍ مِنَ الإِبِلْ، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (الأُصْبُعُ سَوَاءٌ، كُلُّهُنَّ فِيهِنَّ عَشْرٌ مِنَ الإِبِلِ)[2].

- يَقْتَادُ مِنَ القَاتِلِ كَمَا قُتِلْ، فَعَنْ أَنَسِ بنْ مَالِك، أَنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ لَهَا، فَقَالَ لَهَا «أَقَتَلَكِ فُلانٌ؟» فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لا، ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لا، ثُمَّ سَأَلَهَا الثالثَّة، فَأَشَارَتْ بِرأسِهَا: أَنْ لَا، ثُمَّ سَأَلَهَا الرَّابِعَةَ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمْ، فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ حَجَرِيْن[3]. وعنه أَيْضَاً، أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَخَ رَأْسَ إِمْرَأَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ فَقَتَلَهَا، فَرَضَخَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم رَأْسَهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ[4]. أما من حَرَّضَ على قتل جنود وضباط القوات المسلحة والشرطة وغيرهم أمثال «وجدى غنيم، ومحمد عبد المقصود، والقرضاوى» فأذكرهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَعَانَ عَلى دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشِطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)[5].

ولن يفلت هؤلاء من عقاب الله مهما أن طال بهم الزمن، أولجئوا إلى دول تأويهم، فعقاب الله قادمٌ لا محالَة، واعلم عبد الله أن القصاص ليس فى الإنسان فقط، بل أقامهُ الله فى بعض الحيوانات قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فمن المعلوم أن القرودَ يحتفظ كل منهم بزوجته ولا يتعدى عليها آخر، وهم يختلفون

---

(١) الحديث صحيح: رواه النسائى وابن ماجة عن ابن عمرو، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٢٧٨٠ - ١٢٨٠)، والإرواء برقم: (٢٢٧٦).

(٢) الحديث صحيح: رواه النسائى، وابن ماجة عن ابن عمرو، وصححه الألبَانى فى صحيح الجامع برقم: (٢٧٨٣ - ١٢٨٢)، والإرواء برقم: (٢٢٧٢).

(٣) سنن ابن ماجة برقم: (٢٦٦٦).

(٤) سنن ابن ماجة برقم: (٢٦٦٥).

(٥) رواه ابن ماجه برقم: (٦٢٢٠)، والأصبهانى فى الترغيب برقم: (٢٣٠٢)، والبيهقى برقم: (٥٣٤٦)، والحديث خرجه الألبانى فى الصعيفة برقم: (٥٠٣).

فى ذلك عن كثير من الحيوانات، فقد حدث فى يوم من الأيام أن قرداً عجوزاً خانتهُ زوجتهُ الشابةُ مع قردٍ آخر شابٍّ، فاجتمعت عليها القرود وأقاموا عليها حَدَّ الرَّجْم، فرجموها بالحجارة حتى مَاتَا، والقصة رواها البخارى فى (صحيحه) ، والإسماعيليّ فى المستخرج وإليك نَصُّهَا: (عَنْ عِيسَى بْنِ حَطَّانَ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ الكُوفَة، فَإِذَا عَمْرُو بْنِ مَيْمُونَ الأَوْدِى جَالِسٌ وَعِنْدَهُ نَاسٌ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ حَدِّثْنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ فِى الجَاهِلِيَّة، قَالَ: كُنْتُ فِى حَرْثٍ لأَهْلِ اليَمَن، فَرَأَيْتُ قُرُوداً كَثِيرَةً قَدْ اجْتَمَعْنَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ قِرْداً وقِرْدَةً اضْطَجَعَا، ثُمَّ أَدْخَلَتِ القِرْدَةُ يَدَهَا تَحْتَ عُنُقِ القِرْدِ وَاعْتَنَقَهَا، ثُمَّ نَامَا فَجَاءَ قِرْدٌ فَغَمَزَهَا مِنْ تَحْتِ رَأْسِهَا، فَاسْتَلَّتْ يَدَهَا مِنْ تَحْتِ رَأْسِ القِرْد، ثُمَّ انْطَلَقَتْ مَعَه غَيْرَ بَعِيد، فنَكَحَهَا، وَأَنَا أَنْظُرْ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَضْجَعِهَا، فَذَهَبَتْ تُدْخِلُ يَدَهَا تَحْتَ عُنُقِ القِرْدِ كَمَا كَانَتْ فَانْتَبَهَ القِرْدُ، فَقَامَ إِلَيْهَ فَشَمَّ دُبُرَهَا، فَاجْتَمَعتْ القِرَدَةُ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهَا، فَتَفَرَّقَتِ القِرَدَةُ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جِيءَ بِذَلِكَ القِرْدَ بعَيْنِهِ أَعْرِفَهُ، فَانْطَلَقُوا بِهَا، وَبِالقِرْدِ إِلَى مَوْضِعٍ كَثِيرِ الرَّمْل، فَحَفَرُوا لَهُمَا حَفِيرَةً، فَجَعَلُوهُمَا فِيها، ثُمَّ رَجَمُوهُمَا حَتَّى قَتَلُوهُمَا، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجْمَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم)[1].

فهذا الحيوان الذى وعى الدرس فأقام حَدًّا من حدود الله، ألسنا أولى بإقامة الحدود، ليس فى حَدِّ الزنى فقط، ولكن فى القتل، والسرقةِ وكسر السنِّ، وغير ذلك من القصاص كما فَصَّلْنَاهَا سَابِقاً مع أن بين أيدينا قرآنٌ وسنةٌ يَهْدِيَانِ إلى سواءِ السبيل، ولكننا ننفخُ فى الرَّمَادِ حتى عَمِيَتْ أَعْيُنُنَا عن الحقيقةِ فأصبحنا.

كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِى عَمِيقِ ثُبَاتٍ
بِأَيْدِيهِمُ نُورَانِ ذِكْرٌ وَسُنَّةٌ وَلَكِنَّهُمْ فِى حَالِكِ الظُّلُمَاتِ

(١) الحديث رواه البخارى مختصراً فى مناقب الأنصار باب القسامة فى الجاهلية، وعزاه الحافظ فى الفتح (٧/ ١٩٦) الإسماعيليّ، وهو فى «التاريخ الكبير» للبخارى (٦/ الترجمة رقم: (٢٦٥٩)، وهو فى «تهذيب الكمال» برقم: (٢٢/ ٢٦٥).

إذن فما سرد سابقا يوضح لنا كيفية القصاص في كتاب الله وسنة نبيهﷺ، أما الأمر إذا تعدى عن ذلك، بحرق المنشآتِ، وتدمير المؤسساتِ، وَحَصْدِ الأرواحِ، وَوَضْعِ عُبْوَاتٍ ناسفةٍ في كل المحافظاتِ، وجب على الدولة محاربة هؤلاء الإرهابيين، كمحاربة الأعداء تماماً بتمام، لأنهم يحاربون الوطن بأكمله، لذا وجب محاربتهم وقتالهم، لأن هؤلاء أخطر على أمن الوطن من الأعداء، فالأعداء معلوم هويتهم، ويتم رصدهم ومراقبتهم، أما الإرهابيون فهم يسكنون معنا، ويعلمون تحركات رجالنا الشرفاء من جميع المؤسسات التي تحمي هذا الوطن، فيتسللون ورائهم، كما تتسلل الأفاعي وراء الفريسة بلا صوت، ثم تَنْقَضُّ على الفريسة لتلتهمها، وكذلك الإرهابيون يتسللون وراء رجالنا الأوفياء، ثم يقومون باغتيالهم من خلفهم، وهكذا يكون فعل الخسيس الجبان، لأنهم أرادوا بذلك أن يُضعفوا قدرات مصر، شعبها وجيشها، وشرطتها، وجميع مؤسساتها، وَتَرْكِيعِهَا لإرادتهم، وهذا لن يُمكنوا منه أبداً، لأنهم لا يقدرون على دولةٍ بحجم مصر، وفي النهاية سيخضعون لإرادة هذا الشعب، لا إرادتهم، بل وَسَيُرْغمُونَ على ذلك قال الله تعالى {أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} (هود: ١٨)، وجاء في الحديث المتفق عليه حديث أبي موسى -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول اللهﷺ: (إِنَ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتى إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) ثم قرأ رسول اللهﷺ: {وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ} (هود:١٠٢)[1].

فدعوة المظلوم مستجابة "يا أبو الأمراس"، ولو كانت من فيهِ فَاجِر، فما بالك بملايين المصريين الأطهار حيث تتجه أفواههم، وأفئدتهم نحو "مرسي وجماعته"، بل ويكفي والله الذي لا إله غيره فِيهِ واحدةٍ مثل "أم محمد الجندي" حيث تبكي و الحزن يملأ كل جوانها على فقدها لو حيدها، ودعت أمام شاشات التلفازات دعاء المكلومة التي كانت تُخرج الكلمات الممزوجة بالحزن والأسى والذي يُقَطِّعُ أحشائها، وقد استجاب الله لدعائها،

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وَزُجُوًا في السجون جميعاً ينتظرون حكم قضاء مصر الشامخ، والعادل في الدنيا، وقصاص الله العادل يوم القيامة، فقد جاء في الحديث الذي رواه الطيالسى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِراً، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ)[1].

وما أصدق مقالة:

وَحَقِّ اللهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ ... وَإِنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي ... وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ

رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ:

لقد بات واضحاً أن في أيام حكم "لمعزول" أنه قد اختلفت رُؤَى أُنَاسٌ كُثْرٌ في مِصْرَ، بعدما ظهر "جماعة الإخوان" بوجههم القبيح، وخاصة بعدما استولوا على حكم مصر، وتملكوا مفاصل الدولة، فانقسم الناس إلى فريقين، فريق قال: نجرب الحكم الإسلامي، وكفانا ما لقيناهُ من حكم العَسْكَر وأتباعه، فأعطوا أصواتهم "لمرسي" وَدَعَمُوهُ، وناشدوا بالوقوف معه، ومن هؤلاء من عصروا الليمون على حَدِّ قولهم، بالرغم من أنهم غير راضين عن ذلك، لكنهم عصروا على أنفسهم الليمون بحجة أنهم يجربون حكم هؤلاء، وبعد نجاح "مرسي"، وقد ظهر عواره، بقتله للمتظاهرين، وسحلهم، وتعيين جماعة منهم لسؤال المحتجين على قرارات "مرسي وجماعته" بتوجيه السؤال لهؤلاء وضربهم وسحلهم واتهامهم بأن "الفلول" مَوَّلُوهُمْ بالأموال لفشل "المعزول" والقيام بسبهم بأفظع الألفاظ، وحصارهم أمام البوابة رقم(٤) أمام قصر الاتحادية على عين رئيس الجمهورية المعزول، ولم يتحرك قَيْدَ أُنْمُلَةٍ، ولم يتكلم بِبِنْتِ شَفَةٍ دفاعاً عن هؤلاء، ومما زاد الطين بِلَّةً أن هذه المشاهد قد أُذيعت على القنوات

(١) الحديث حسن: رواه الطيالسي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وجاء في السلسة الصحيحة برقم: (٧٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٣٨٢).

الخاصة آنذاك بالصوت، والصورة، وشاهدها العالم أجمع، مما ظهر عوار هذا الرجل وفشله الذريع في إدارة دفة البلاد، وَحَسْم أمورها نحو الصالح العام، فمن أجل ذلك ندم من أعطوه أصواتهم في انتخابات الرئاسة، ومنهم "والدة محمد الجندي" والتي ظهرت أمام شاشات التلفازات، وقد رفعت يدها بِالتَّضَرُّع إلي الله مشتغيثة به ضد هذا الطاغية فى حكمه ولم تكتف بذلك، بل رفعت يدها ممسكةً بحذائها، لتضرب به رأسها، قَائِلَةً: (أنا أستاهل يا مرسي كل اللي يجرا لي، لأني انتخبتك، وأهه يا مرسي) وقامت بضرب رأسها بحذائها، وما ذاك إلا قِمَّةَ النَّدَم في هذا الرجل التي انتخبته، فأطاح بأملها بعيداً بعيداً عن ما كانت تأمل فيه، بل الأدهى و الأمر أنه كان السبب في اغتيال وحيدها، وفلذة كبدها، مما جعلها تفعل ذلك أمام كاميرا التليفزيون، بلاوعي، وبلا شعور، وغيرها الكثير، والكثير مما شربوا هذا المقلب، بل وأخدوا قلماً على قفاهم جعلهم ينظرون إلى الواقع فاغرين أفواههم مشدوهين من هَوْلِ ما سمعوا، وما شاهدوا، وأما الطائفة الأخرى، فقد تصدت وبكل قوةٍ واختارت "أحمد شفيق" وأرادت عزل "جماعة الإخوان" عن المشهد السياسي تماماً، ولكن شاءت الأقدار ونجح مرسي بتزوير الانتخابات، وبالدعم المالي، أو الضغطِ الأمريكي، ولكن هذا لا يهمنا الآن، ولكن ما يهمنا هو أن الله قد رسم لنا الطريق في ذلك المسار، لنعرف وجه هؤلاء على حقيقتهم، فجعلنا نراهم رَأْيَ العينِ، لنحكم عليهم بمنظار العدالة: دون ظلم، أو إقصاءٍ لأحدٍ، حتى يُصبح الحكم عادلاً من خلالِ المشهدِ علَى أرضِ الواقع، ومن خلال التجربة، فلو ظلت هذه الجماعة بَقِيَّةَ أعمارنا دون ما شاهدناه على مدى ال ٣٦٨ يوماً في حكم "المعزول"، وَقُلْتَ لأي إنسانٍ حقيقتهم مَا صَدَّقَكَ أحد، لأن ما تتكلم عنهم، هم نفوسُ يعلوها الوقار في مِشيتهم، وفي جِلستهم، وإذا تكلموا عن الدعوة إلى الله، أصبح كلامهم كالترياق الذى يشفى قلوب الملهوفين إلى رؤية وجه الله تعالى في جنة النعيم، وما تراهم إلا مُصلين، أو متبرعين للفقراء والمساكين، فإذا

ذَكَرْتَهُمْ بسوءٍ في تلك الحالة، كَذَّبَتْكَ الألسنة وإن لم تكن شفاهةً، أصبحت امتعاضاً، لأن الشعبَ المصريَّ دَيِّنٌ بطبعهِ، يحب ذكر الله قرآنا و سنة، ويحب مجالس العلم والعلماء، لأنهم يُذَكِّرُونهم بالله ورسله، ومنهم من الدعاة من هو صاحب الكلمة الرقيقة الرقراقة التي تُخرج الناس من عناء دار الناس، إلى نعيم دار رب الناس، ولذلك فإن "جماعة الإخوان" لا تعرف حقيقتهم إلا إذا اقتربت منهم، وعايشتهم، واندمجت معهم، بل وعاملتهم، فمن غير ذلك يُصْبُح الحكمُ قاسياً، كما قال المثل الدراج: (فلان تعرفه: إيوه أعرفه، عاشرته: لا معشرتوش: إذن، أنت متعرفوش)، فَمِنْ غير فترة حكم "المعزول" وما ظهر فيها من سلبياتٍ، واستبداداتٍ، فلا أحد على الإطلاق كان يحكم على تلك الجماعية حُكْماً مُنْصِفاً، كما يحكم عليهم شعب مصر الآن، لأن سمت الداعية منهم في كل حالاته، وإظهار البعض من المنتمين إليهم عطفهم على الفقراء والمساكين، جعل كُتْلَةً من الشعب المصري يتعاطفون معهم، بل يميلون إليهم بحجة أن هؤلاء يعيشون في الظل بعيدون عن المواجهة، وَهُمُ المظلومونَ في انتخابات مجلس الشعب والذي ظهر عوراها في ٢٠١٠، ولما ظهر عوارهم وَحَلَّتِ ابتسامةُ الشَّرِّ وظهر في ثنايا الوجوهِ العابسة ذات الأنياب الزرقاءِ محل ابتسامة الداعية التي كانت تحمل كل بشائر الأمل و الاطمئنان، قُلِبَتْ الدائرة، ووصلت إلى ذروتها، أي: من الصفر:٣٦٠ْ، لِيُصْبِحَ الداعية إلى الله إرْهَابِيٌّ يُزْهِقُ الأرواحَ، وصاحب الوجه الباسم، والذي تعلوا هيئته الوقار، والذي يُضَافُ على وقاره سمت العلماء يغتال أرواح الأبرياء، ويفجر المنشآت، وَيَضُرُّ البلادَ، والعبادَ، والشجرَ والدوابَّ، لِيُصْبِحَ حُكْمَ الشعب المصري حُكْماً جَمْعِياً، ماعدا المنتمين منهم، ليقولوا قولاً واحداً: (إنَيهْ، أَيْ: إفيهْ، عَلَى أَوْلَادِ – الـ...)، فما أقبح أن ترى الحقيقةَ المزيفةَ، والكلمة التي قد غُمست بالكذب، وَشَرَبَهَا صَاحِبَها شُرْباً، حتى أنه يُدَاهِنُ خُصَمَاءَهُ، حتى يصل إلى مَآرِبَهُ، فإذا تولى منصباً من المناصب، ظهر ما كان يُبْطِنَهُ من إهلاك الحرث، والنسل، والإفساد

في الأرض، كما قال الله تعالى: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ } (البقرة:٢٠٤-٢٠٦)، لذلك يُصْبحُ وَقْعَ أثر هذا على النفوس مُرًّا، لأن مطابقة الأقوال، بالأفعال مُعْوَجَّةً، وَمَنْقوضةً، وَكَفَّةَ الميزان مَائلَةً، كما قال الله تعالى: {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ} (الفتح:١١)، فيسألُ سائلٍ، ليقولَ: مَا بالُ نُطْقِ الأفواهِ، بما في القلوب؟ نُجيبُ بحمد الله وعونه تعالى، ما قاله رسول الله ﷺ: (أَلَا وَ إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدِ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)(١).

والشاهدُ على ذلك، بأن الجوارح تأتمر بأوامر القلب، لِتُعْلِنَ عن انعقاد القلب واتفاق ما تنطق به الأفواه وَمَا تكِنُّهُ الصدورِ، فتستقيم الجوارح باستقامته، وتستجيب لأوامره ونواهيه، لأن القلب ملك الجسد، والجوارح هي الجنود والرعايا، فإذا استقام القلب، استقامت معه الجنود والرعايا، وإذا اعْوَجَّ القلب وفسد، انقلبت الجنود، وفسدت الرعايا، فبالتزان القلب تتزن الجوارح، بل وينصلحُ حالها ومآلها، فمهما أن ظهر على المرء من سَمْتٍ ووقار، وكان هذا السمتُ وهذا الوقارُ مُخَالِفاً لما في القلب، فلابد لواقع القلب أَنْ يَتَمرَّدَ على صَاحِبِهِ، وبمرور الوقت، لا بُدَّ أن تنكشف حقيقة صاحبه، إمَّا بالإحساسِ الصادقِ تُجَاهَ هذا الكذوب، وإما أن يقع هو بلسانه، لِيُخْرِجَ لنا عن مكنونِ قلبهِ، وهذا ما كشفته الأيام عن واقع "جماعة الإخوان"، لِتُسْدِلَ السِّتَارَ عن أنفسها، وعن مكنون قلوبها، ويظهرُ مَا أَخْفَوْهُ في صدورهم على ما يقرب من أكثر من ٨٥ عَاماً، وإن شاء الله تعالى سيعلمون غداً منقلبهم على قدر ظلمهم، كما

(١) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند برقم (٧٨٨)، ورواه أبو داود برقم: (٤٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (١/ ١٣).

قال الله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} (الشعراء:٢٢٧).

ففترة حكم "المعزول" القصيرة كشفت لنا عن أشياء كثيرة، منها على سبيل المثال، لا الحصر:

١. كشفت القناع عن "جماعة الإخوان" بما فيها من خيانةٍ لهذا الوطن، وعدم الاعتراف به، وبشعبه.

٢. كشف القناع عن بعض الملتحين الذين كُنَّا نستمع إليهم في القنوات الفضائية، حيث كنا نعتقد أنهم أصحاب دعوة: وأنهم هم الأصفياء، الأتقياء، الْمُبلِّغينَ عن رسالة رَبِّ الْعَالَمِينَ، أصبحوا يَتَقَوَّلُونَ، بما لا يفعلون، ويظهرون عكس مَا يُخْفُونَ، فصدمة الشعب أفقدتهم ما سمعوه وما شاهدوه في الأيام السابقة، فأطلقوا على جماعة "الإخوان" الكذابون، لما ظهر على الساحة من الكذب، والغش، والخداع.

٣. أظهرت أن هذه الجماعة ومن عاونهم، ومن والاهم من أصحاب اللِّحَي أنهم تُجارُ دِينٍ، وأن أقوالهم لَا تَمُت بِأَيِّ صِلَةٍ بأفعالهم فأدى ذلك إلى فَقْدِ الثقةِ في هؤلاء، وقد رأيتُ بِعَيْنَيْ رَأْسِي هَاتْينِ، ممن أطلقوا لحاهم قد أخذوا منها، بل وقاموا بحلقها من أثر ما شاهدوه، وما سمعوه، ممن يتكلم البعض منهم بما لا يطابق أفعالهم أقوالهم، كما قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف: ٢-٣).

٤. أن تلك الأيام التي شاهدناها في هذه الفترة أفرزت الناس، وأوضحت المعادن، فميزت الطيب من الخبيث، والثمين من الرخيص، فارتفع الطيب، والثمين، وعلا نجمه في الأوساط السياسية وغيرها، وَأَفَلَ نجم الخبيث والرخيص، وَتَوَارَوْ خلف أسوار السجون، فالصالح هو الذي ينفع الناس، وَأما الطالح فيهوى إلى مذبلة التاريخ ليكون أثراً بعد عين. قال تعالى: {فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ } (الرعد: ١٧).

٥. أفرزت الأيام أيضاً، الوطنيُّ، والمصريُّ الأصيلُ، من الخائن والعميل، وظهر على الساحة وَجُوهٌ خَائِنَة عَفِنَةٌ، أرادت أن تبيعَ الوطن بالرخيص، وظهر أيضاً وجوهٌ لم تُعرف على الساحة إلا أسماءً، ولكن انطبعت بصمتهم الوطنية في قلوب الناس، لأنها وضعت رقابهم على أَكُفِّهِمْ حِمَايَةً، وَذَوْداً من أجل هذا الوطن، فأصبح حُبُّ الشعب المصريِّ حَبّاً جَمْعِيًّا، "للمشير عبد الفتاح السيسي"، كما كان "ناصر" أيقونة هذا الحب في سِتِّنِيَّاتِ القرن الماضي، لأن الله قد وضع القبول في الأرض لهذا الرجل، ولجيشه، فأحبته معظم قلوب الشعبِ المصري وأبغض الله "مرسي، وجماعته"، فأبغضهم معظم قلوب الشعب المصري، بل ولفظهم في فترة حكمهم، قال رسول الله ﷺ: (إنَ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَ يُنَادِي فِي السَماء فَيَقُولُ: إن اللهَ تعالى يُحب فُلَانًا فأحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُم يُوضَعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلُ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضْهُ جِبْرِيلُ، ثُم يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَ اللهَ يُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ)[1].

فانعكس هذا الحب، وظهر أثره في قلوب المصريين، وَتَجَمَّعَ هذا الشعبُ بعد فراقٍ، وظهر أَثَرُ اللُّحمةِ الوطنيةِ في الملحمات الشعبية، وأصبح الناس يَتَغَنَّوْنَ للجيشِ المصري وقادته، بأجمل المشاعرِ النبيلةِ، لِيُرَدِّدُونَ في كل مناسبةٍ سَارَّةٍ، وفي معظم التجمعات، لتنادي الحناجر بحرارةٍ: (تِسْلَم الأيادِي، تَسَلمْ يَا جيشْ بِلَادِي) ولم يقتصر الأمر على ذلك الحب فقط، بل أصبح نزول الجماهير إلى الميادين بالكلمة، أو بالإشارة، فبعد نزول الجماهير في ميادين مصر المعمورة في ٣٠/٦/٢٠١٣، وبعدما أصبح "مرسي" تحت الإقامة الجبرية يوم الأربعاء ٣/٧/٢٠١٣،

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -، وجاء في مختصر مسلم برقم: (١٧٧١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (١٧٠٥).

وبعدما نادى الفريق أول "عبد الفتاح السيسي" جموع الشعب المصري وتفويضه لمحاربة الإرهاب، وكان يوم الأربعاء ٢٤/ ٧/ ٢٠١٣، واستجاب الشعب على الفور وَلَبَّى نداءه في جميع محافظات مصر المحروسة، وكان يوم الجمعة ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣. حيث خرجت الجماهير محتشدةً من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ، لِيُعْلِنَ فيه خارطة الطريق لمصر، وإصدار دستورٍ جديدٍ، وإنهاء حكم جماعة الإخوان، وتسليم السلطة للمستشار "عدلي منصور" رئيس المحكمة الدستورية، فَلَبَّى الشعب النداء على الفور، ليصل عدد الجماهير المحتشدة أكثر من ٤٠ مليوناً، مما أدهش العالم أجمع، وأصبح هذا اليوم بمثابة عُرْسٍ جَمِيلٍ، تغنى فيها الجميع، والتحم الجيش مع الشرطة، مع الشعب في تناسقٍ جميلٍ، مرددين بملء حناجرهم: (الجيش، والشرطة، والشعب إيد واحده) وكأنهم ينسجون نشيداً وطنياً، كُتِبَ كلماته، وقام بعزف ألحانه، وقام بغنائه كُلُّ ما هُوَ كَائِنٌ، وَمُحِبٌّ على أرضِ هذهِ المحروسة، ثم غازل "السيسي" أيضا محبيه من جموع الشعب المصري، وَذَكَّرَهُمْ بنزولهم في المرة السابقة في رَمَضَانَ، حيث أخذت المرأة المصرية زوجها وأولادها وتناولوا طعام الإفطار في ساحات الميادين، فَدَلَّ هذا دلالةً واضحةً، أن روح الانتماء لهذا الوطن قد عادت مَرَّةً أُخْرَى، فاستجابت الجماهير للنزول للشارع مرة أخرى للاستفتاء على الدستور الجديد، يومي الثلاثاء، والأربعاء ١٥،١٤/ ١/ ٢٠١٤م وكان هذان اليومان بمثابة احتفالٍ شَعْبِيٍّ لجموعٍ غفيرةٍ من أبناء الشعبِ المصري، بلغ عدد من صَوَّتَ بنعم للدستور ما يقرب من ٢٠ مليوناً، أي: ضعف العدد الذي صوت بنعم في دستور ٢٠١٣، فاتضحت ملامح الطريق لمصر، وبدأ الجيش الثاني على الفور بقيادة الأسد الذي يذود عن عرينه اللواء "أحمد وصفي" قائد الجيش الثاني الميداني بمحاربة الإرهاب في سيناء، وبمساندة رجال الشرطة بقيادة وزير الداخلية اللواء "محمد إبراهيم" في استئصال شأفة الإرهاب، واجتثاثه من جذوره، لِيُؤَكِّدَا لِشَعْبِ مِصْرَ أن الوطن مثل الشجرة الوارفة الظلال، يستظل بظلها الجميع، لكن الانتماء إليها، والدفاع عن جذورها وأوراقها، وثمارها، وظلها، لَا يُحْسِنُهُ إلا المخلصونِ، والوطنيونَ لذا وجب علينا جميعاً أن نرويها بدمائنا. وبالرغم من تفاقم المواقف في الأيام العجافِ، من

اغتيالاتٍ، وتفجيراتٍ، وتدميراتٍ لكل المؤسسات، إلا أَنَ مَاُ يثِيرُ الدَّهْشَةَ و الاستغراب بهذا الشعب أنهم عزفوا على أوتار الفداء للوطن، فالتحم الجميع ليقف يداً واحدةً، جنباً إلى جنب، ضد الجماعاتِ الإرهابية، فالتف الشعب، والجيش، والشرطة، ووقفوا جميعاً ضد هؤلاء، وأصبح هذا الحُبُّ الْجَمْعِيُّ، والذي لم نُشَاهِدْهُ إلا في عهد "ناصر"، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل وصل الأمر إلى أن الجماهير اعتادت على أصوات المتفجرات، فبدلاً من أن الناس يسمعون أصواتها، وَدَوِيُّهاَ، فَيُهَرْوِلُونَ منها، أصبح الناسُ الآن يسمعون أصواتها، وَدَوِيُّهاَ، فَيُهَرْوِلُونَ إليها، يحتضنونها بصدورهم، مُهَلِلِينَ بِمِلءِ حناجرهم، وَمُرَدِّدِينَ: (يَا ابُو دَبُورَهْ، وَنِسْرِ وَكَابْ، إِحْنَا مَعَاكْ ضِد الْإِرْهَابْ) لينعكس هذا ويظهر آثاره في قلوب المصريين، ويجتمع هذا الشعب بعد فراق، وتظهر آثار اللحمة الوطنية، وكأنها ملحمةٍ شعبيةٍ، فَيُصْبِحَ النَّاسُ، وَيُمْسُونَ يَتَغَنَّوْنَ للجيش المصري وقادته، بأجمل المشاعر النبيلة، ليرددون في كل مناسبةٍ سَارَةٍ، وفي كل تجمع من التجمعاتِ، لِتُنَادِي الحناجر بحرارةٍ: (تَسْلَم الأَيادِي، تَسَلمْ يَا جِيشْ بِلَادِي) لذا فأقول: الحمد لله الذي كشف الله لنا القناع عن وجه هؤلاء سريعاً، وأقول لمن نَدَبُوا حظهم، وَيَئِسُوا من خلال فترة حكم المعزول: احمدوا ربكم لأنه قد أظهر ما في جُعُبَةِ هؤلاء في وقتٍ قصيرٍ، ولو طالت فترة حكمهم أكثر من ذلك، لضاع الوطن من بين أَيْدِينَا، وعجزنا عن استرجاعه ولو بالدم، أو بندب الحظ، حيث لا ينفع الندم، فَرُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ، فالشيء الذي كرهناه وقت حكم المعزول، أصبح الآن خيراً لنا، ومن خيرته التفاف جميع طوائف الشعب جنباً إلى جنبٍ لِيُصْبِحَ أعداء الأمس، أصدقاء اليوم ضد جماعة الإرهاب، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

عَدَاءُ مُرْسِي، وَجَمَاعَتَهُ لِكُلِّ مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَة

انشغل ((مرسي وجماعته» بالاستحواذ على كل مؤسسات الدولة، ولم ينشغل أبداً بتنميتها الاقتصادية، مما أدى إلى ازدياد الحناجر الغاضبة مُرَدِّدَةً بالرحيل، وحاول

جاهداً من خلال فترة حكمه إضعاف كل مؤسسات الدولة، وإنها كها، إما بالإقصاء، وإما بالأخونة، وإما بفرض السيطرة على تلك المؤسسة حتى ينهك قوتها وذلك بتمرير القوانين علي مجلس الشورى وتفعيلها للأغراض التى يطلبها، أو يهواها هو وجماعته، لتحقيق حلم إقامة الخلافة الإسلامية كما يزعمون، ولأن الأحلام كانت أكبر من طموحاتهم أو توقعاتهم، فأودتهم إلى حيث يستحقون، فضاعت الأحلام سُدًى، وذهبوا إلى خلف الأسوار، كما قال المثل الدارج: (فَلَا طَالَ عِنَبُ اليَمَنِ، وَلَا بَلَح الشَّام) فهذه إرادة الله يؤتى ملكه لمن يستحق، وينزع ملكه عن مالا يستحق، وَيَمْهِلُ أيَضاً مالا يستحق، كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦) فمن أجل تحقيق رغبته فى تلك الطموحات، قام بإظهار العداء والتعدى على كُلٍّ من:

مُؤَسَّسَةُ التَّعْلِيمْ

الرئيس (مرسى) كان مهتماً بالأجندة الإقليمية أكثر من اهتمامه بمصالح مصر، كما رآها الجيش المصرى، فخلال زيارته إلي السودان فى إبريل ٢٠١٣، والذى تحكمه حكومة إسلامية تابعة لجماعة الإخوان أبدى المعزول مرونة حول مستقبل (حلايب وشلاتين) وأفاد مساعد الرئيس السوداني (موسى محمد أحمد) أن الرئيس (محمد مرسى) وعد الرئيس السودانى (عمر البشير) بإعادة مثلث حلايب وشلاتين إلى وضع ما قبل ١٩٩٥، وبعد عودة (المعزول) أرسل (السيسى) قائد الأركان للخرطوم، ليوضح للسودانيين وضوح الشمس أن القوات المسلحة المضرية لن تتنازل عن المنطقة، وفقاً لما قاله مسئول فى وزارة الدفاع، فالحدود المرسومة بين مصر والسودان والتى حددتها إتفاقية الحكم الثنائى بين مصر وبريطانيا عام ١٨٩٩ ضمنت المناطق من دائرة عرض ٢٢ شمالاً لمصر وعليها يقع مثلث حلايب داخل الحدود السياسية المصرية،

وقد أقيمت الإنتخابات البرلمانية المصرية في نوفمبر ٢٠١١ وشملت مثلث حلايب، ونقلت صناديق الإنتخابات إلى الغردقةِ بطائرةٍ مروحيةٍ عسكريةٍ مصريةٍ هناك، وَمِمَّا لَهُ صِلَةٌ بذلك قام المسئولون من جماعة الإخوان على مناهج التعليم بحذف منطقة (حلايب وشلاتين) من منهج مادة الجغرافيا للثانوية العامة والذى أقرته وزارة التربية والتعليم لأول مرة (فى عهد الإخوان) مثلث حلايب وشلاتين فى درس عن حدود مصر السياسية، رغم كونها شكلت محور للصراع الحدودى بين مصر والسودان، وتضمن الباب الثانى من الكتاب شرحاً للموقعين الفلكى والجغرافى لمصر، وأثر هذا الموقع من الناحية البشرية والحضارية، وخصص الكتاب درساً عن حدود مصر السياسية فى الصفحة ٧٦ جاء فيه: (أنه بحكم الموقع الجغرافى لمصر فى وسط العالم العربى، فإن حدود مصر مع دول عربية شقيقة، وقد نجحت مصر على مَرِّ العصور، فى المحافظة على كيانها المستقل، وأبعادها الجغرافية متمثلةً في حدودها السياسية التي ظلت مستقرة دون تغيير، وحدود مصر السياسية تحكمها اتفاقيات دولية، وتستند لمواثيق تاريخية وحجج تحميها) أما كتاب الجغرافيا للثانوية العامة في عهد "جماعة الإخوان" قد أخرج "حلايب وشلاتين" عن حدود مصر، وأظهر مثلث حلايب وشلاتين في الخرائط الموجودة بالكتاب على هيئة نقاطٍ صَماء[1].

وقامت أجهزة أمنية رفيعة المستوى تتولى مسئولية مراجعة كل الخرائط المدرسية التي يتم تدريسها للطلبة في مراحِل التعليم الأساسي المختلفة خوفاً من المغالطات التي يتم ترويجها، كذلك الخرائط التي نشرتها صفحة "حزب الحرية والعدالة" الذراع السياسية لجماعة الإخوان على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" وما أعقبها من تصريحاتٍ لقياداتٍ بالجماعة تؤكد نيتهم في نشر تلك الخرائط المغلوطة، وقد أُجريت عمليات تفتيش شاملة من خلال جهاز الأمن القومي لقطاع الكتب بوزارة

(١) جريدة اليوم السابع –الأربعاء ١٩ ذي القعدة ١٤٣٤هـ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣م– العدد (٨٤٨)– ص: (١).

التربية والتعليم، المسئول عن طباعة ملايين الكتب المدرسية في مراحل التعليم المختلفة من الابتدائية حتى المراحل الثانوية، وتحديداً كتب مواد التاريخ والجغرافيا، أو الدراسات الاجتماعية، وذلك في إطار التأكد من كشف المغالطات التاريخية التي تم الترويج لها مُؤَخَّراً من خلال "جماعة الإخوان" خاصة أن وزارة التربية والتعليم خلال الفترة الراهنة يسيطر عليها وزير ينتمي للجماعة، ومنذ توليه ذلك المنصب دفع بعدد كبير من القيادات الإخوانية إلى ديوان عام الوزارة لدعمه في مخطط أخونة التعليم الذي ترسمه الجماعة بعناية، وأمدت القوات المسلحة كل الجهات المسئولة في الدولة بخرائط تفصيلية بحدود مصر الجنوبية وعمقها الاستراتيجي ومعلومات عن مدى أهميتها المباشرة على الأمن القومي المصري خلال المرحلة الراهنة مع توضيح تفصيلي لكل القرى والمناطق التي تشملها وتاريخها ودور الجيش في تعميرها على مدار السنوات الطويلة الماضية، موضحين أن من المقرر أن يتم تزويد كل المدارس والجامعات والمكتبات العامة والوزارات بخريطة تفصيلية تحدد الأبعاد الاستراتيجية المختلفة لمنطقتي حلايب وشلاتين، من أجل التأكد على مصرية تلك المدن[1].

ومما يؤكد ما نحن بصدده أن وزارة التربية والتعليم تُوقف طباعة كتاب علم النفس، المقرر على الصف الثالث الثانوي، حيث احتوى غلاف الكتاب الخلفي إشارة رابعة العدوية الصفراء ذات الأصابع السوداء، والتي يستخدمها الإخوان، وأنصار الرئيس المعزول في مظاهراتهم، فقرر وزير التعليم، الدكتور "محمود أبو النصر"، إيقاف طبع الكتاب، وأحال مستشار مادة علم النفس "محمد صالح الإمام" للتحقيق بالإضافة إلى تشكيل لجنة شكلها الوزير لمراجعة كتب العام الدراسي الجديد بعد شكاوي متهددة من أخونتها[2].

(١) جريدة اليوم السابع الخميس -غرة جمادي الآخر ١٤٣٤هـ ١١إبريل ٢٠١٣م- العدد(٦٨١) -ص: (٦).
(٢) جريدة اليوم السابع -الثلاثاء ١١ ذي القعدة ١٤٣٤هـ-١٧ سبتمبر ٢٠١٣م- العدد (٨٤٠)- ص: (١).

مُؤَسَّسَةُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفْ:

الأزهر الشريف يمتاز دائما بالوسطية، ويبتعد عن المغالاة والتفريط، والتصعيد الآن يوضح فشل مكتب الإرشاد العالمي للإخوان، لذا لجئوا إلى التصعيد في جامعة الأزهر، لأنها على المستوى العالمي يوجد بها ١١٢ جالية على مستوى العالم، فأرادوا أن يَرَوْا مصر للعالم من خلال هذه المظاهرات، لأنهم هُزموا هزيمةً ساحقةً في الشارع بعد ١٤ أغسطس ٢٠١٣، وبعد فض "دلجا وكرداسة" فبدأوا ينظرون إلى جامعة الأزهر حتى يظهروا للعالم أن مصر في حالة شلل تام بسبب تلك المظاهرات يقول الأستاذ "محمد الشريف" القيادي المنشق عن "جماعة الإخوان": إن ما يجري داخل جامعة الأزهر من الحركات الطلابية الموالية لتنظيم الإخوان ليس وليد اللحظة، بل تمتد جذوره إلى أيام مؤسس الجماعة " حسن البنا" موضحاً أنه كان أحد أذرع الجماعة لتنفيذ مشروع "أخونة الأزهر" إيمانا من الجماعة، بأن الأزهر هو المنارة التي سينطلق منها فكر الإخوان إلى سائر دول العالم، إلا أن طبيعة الأزهر لم تكن تتقبل الفكر الإخواني، وظل ثابتا على موقفه رَافِضاً الأخونة، حتى طرحت فكرة إنشاء حركات طلابية تابعة للإخوان داخل جامعة الأزهر في أواخر السبعينيات، تحت مسمى" إخوان الأزهر" لمواجهة الحركات الشيوعية التي انتشرت في ذلك الوقت، وتطورت الأمور إلى أن دخلت الجماعة في صدام مع الدولة والنظام، فلجأت الحركات الإخوانية إلى السكون بعيداً عن الأمن واقتصر دورها على تنمية الموارد البشرية للجماعة، ويضيف "الشريف": إن كل الحركات الموجودة على الساحة الأزهرية الآن منبثقة من حركة "جيل النصر المنشود" الذي كانت ومازالت المحرك الأول لأعمال العنف داخل الجماعة، فالخطة التي رسمها قيادات الإخوان داخل اجتماعات التنظيم الدولي تقوم على زعزعة الأمن الداخلي، وإثارة الفوضى بالجامعات خصوصاً "الأزهر" التي يوجد بها أكبر تكتل إخواني، وحركة "جيل

النصر المنشود" كانت بمثابة الذراع اليمنى "لخيرت الشاطر" حيث اقتصرت أنشطتها قبل الثورة على تنظيم الرحلات التي من خلالها يم تجنيد مزيد من الطلبة ليصبحوا إخوانا، وكذلك تنظيم المعارض الخاصة بمستلزمات الدراسة من كتب وغيرها بأموال الجماعة، وكان يتزعم هذه الحركة مجموعة من أعضاء هيئة التدريس الإخوان، أما «حركة الفراشة»، فهي حركة منبثقة عن جيل النصر المنشود، وجرى اختيار مجموعة من طلبة الإخوان من أصحاب اللياقة البدنية العالية لتأسيس هذه الحركة وهى مكونة من ١٠٠ طالب إخواني، ومهمتهم كتابة العبارات المُسيئة للقوات المسلحة على الجدران داخل وخارج الجامعة، ورسم شعارات رابعة في كل مكان، وتنظيم وقفات احتجاجية، وترديد الشعارات والهتافات، على أن يلوذوا بالفرار قبل أن تصل الشرطة للقبض عليهم، ولذلك أُطلق عليهم اسم الفراشة للياقتهم البدنية ورشاقتهم عند الفرار حتى لا يتم القبض عليهم، أما حركة «أزهريون صامدون»، فعلى الرغم من قوة وضخامة عدد طلبة الإخوان داخل الأزهر، إلا أنهم غير قادرين على كسر الشرطة، وما كان منهم إلا الاستعانة بمجموعة من العناصر الإرهابية داخل المدينة الجامعية والتي يُسيطر عليها طلاب الإخوان، والاستفادة من هذه العناصر القادمة من شمال سيناء، وبعضها يحمل جنسيات أجنبية للقيام بأعمال عنف وتخريب، وبالتالي جرى تأسيس حركة "أزهريون صامدون" بعضوية مجموعة من العناصر الأجنبية من جنسيات يمنية، وسعودية، وبعض البلدان الأوربية، تم استئجارهم لمعاونة الإخوان في أعمال العنف داخل الجامعة، وهم من يستخدمون السلاح في مواجهاتهم مع الأمن على مختلف أنواعه، بدءاً من الخرطوش، والسلاح الأبيض، وهو ما اتضح خلال مظاهرات الإخوان في الفترة الأخيرة حيث تنتشر تلك العناصر بين الطلاب، وبعد سقوط مصابين وقتلى، يختفون تماماً من المظاهرات، أما (حركة الغضب الساطع)، فبعد القبض على فتيات الإسكندرية المنتميات إلى حركة "٧ الصبح" كان لابد من

الاستفادة من غضب فتيات الأزهر، إلا أن الحكم الذي صدر ضد فتيات الإسكندرية دفع القيادات الإخوانية إلى تغير مسمى الحركة داخل الأزهر للتنوع في مسميات الحركات مما يساهم في تضخيم فعاليات الإخوان حيث تم تدشين حركة مختلطة بين البنين والبنات المنتمين إلى تنظيم الإخوان، وهى حركة "الغضب الساطع"، على أن يكون دور الفتيات هو استفزاز قوات الأمن لتكون إشارة الانطلاق لخروج طلبة الإخوان في معارك مع الأمن مستخدمين زجاجات المولوتوف، إضافة إلى دورهم الاستطلاعي وترديد الهتافات داخل المدرجات الدراسية و الاعتداء على أعضاء هيئة التدريس.

لغز المدينة الجامعية بالأزهر: فهي عالم آخر يسيطر عليه تنظيم الإخوان، فلا يسمح للطلبة من غير الإخوان حضور الاجتماعات التحضيرية للمظاهرات باستثناء "شباب ٦ إبريل"، أما عن زجاجات المولوتوف والأسلحة البيضاء وطلقات الخرطوش التى يستخدمها الإخوان خلال مظاهراتهم (يؤكد عبد المنعم. م) عضو (حركة جيل النصر النشود سابقاً، أن هذه الأسلحة تُخَّزنُ فى المدينة الجامعية داخل غرف تابعة لشباب الإخوان أو خلف معامل كلية العلوم، حيث يتم تخزين البنزين المخصص لصنع زجاجات المولوتوف هناك، كما يتم إحضار الأعلام المرسوم عليها شعارات (رابعة) مع الإخوات ويجرى إخفاؤها تحت النقاب، أما طلقات الخرطوش فتأتي عن طريق كلية الهندسة من خلال السور الذي حطمه طلاب الجماعة، ويكون بحوزة بعض المسئولين داخل الجامعة.

قيادات إخوانية وراء أحداث العنف:

وهذه الأسماء ممن يُطلق عليهم القيادات المكتبية، ويكتفون بتوزيع التكليفات على قائدي مسيرات طلاب الجماعة، وأبرزهم الدكتور "عصام أبو النصر" أستاذ

ورئيس قسم المحاسبة بجامعة الأزهر، والدكتور "حسين شحاته" مسئول المعاملات المالية بالجامعة، والدكتور "مرسي لاشين" الأستاذ بكلية التجارة، كما أن هناك قيادات ميدانية يتم رصدها قبل اندلاع أي أحداث بدقائق وهم "محمود الجارحي، وصفوت حسب الله، وناصر مرجان" والملاحظ أن عقب انصراف هؤلاء مباشرةً تندلع أحداث العنف، حيث يحرضون الطلبة على المظاهرات ومواجهة الأمن، ومن جانب آخر تقوم زوجة نائب مرشد الإخوان "خيرت الشاطر" مع مجموعة من الأخوات وبعض القيادات الطلابية على مستوى جامعات "عين شمس، والقاهرة، وجامعة الأزهر" داخل واحدة من الجمعيات الخيرية المملوكة لرجل الأعمال "حسن مالك" في مدينة نصر قبل أيام من اندلاع أحداث العنف بجامعة الأزهر، ويقول مصدر مقرب من عائلة "الشاطر" أن زوجة نائب المرشد تنفق ملايين الجنيهات منذ القبض على زوجها(1).

مُؤَسَّسَةُ الإِعْلَامْ:

استهدف "مرسي،وجماعته" الصحف، والقنوات الفضائية المعارضة، حيث قام بالتلميح بعد أحداث الاتحادية ورأى الهجوم الصارخ عليه، وعلى جماعته، فقال في تصريحاته: أنه بصدد اتخاذ إجراءات ضد بعض الصحف ومحطات التلفزيون والمعارضين بزعم الدور الذي تلعبه في التحريض على العنف، وبالرغم من التصريحات، فإن الصحف، والقنوات الفضائية المعارضة، لم يرهبهم مرسي، وجماعته، ولم يثنيهم عن التصدى له بالكلمة، وبكل قوة عن دورهم الفعال في انتقاده وبشده عن ما يفعلوه من قتل المتظاهرين، وسحلهم والتعدي عليهم بالضرب والإهانة، والسحل وغير ذلك من أمور التصدى، فقاموا بوصف تلك المشاهد في الجرائد، بالصورة والكلمة وصفاً دقيقاً، لا مواربة فيها ولا تسويف، ليعطوا للقارئ الصورة الحقيقة عن تلك المشاهد، وكأن القارئ يراها رأى عين، وهكذا لقنوات الفضائية والتي قامت بدور فعالٍ وذلك

(1) جريدة الصباح -الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥هـ- ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م-السنة الثانية- العدد (٢٥) - ص: ٥

بانتقاد "مرسي، وجماعته" إنتقاداً حقيقياً، لَا لَبْسَ فيهِ وَلَا غُمُوضَ، فَتَصَدَتْ لقرارته وتصريحاته عندما رأته هو وجماعته يريدون أن يأكلون ويبتلعون هذا الشعب المصري الأبي، وهؤلاء الإعلاميين لم يُرهبهم محصرة مدينة الإنتاج الإعلامي، والذي تزعمها آنذاك أنصار (حازمون)، لأنهم وطنيون حتى النخاع بدءاً من قناة الفراعين، والذي أغلقها القضاة المنتمون لمرسي ٤٥ يوماً بسبب هجوم الدكتور "توفيق عكاشه" لقرارات مرسي المستبدة، وتعرية مرسي، وكشف خيانته بوصفه بالعميل وكشف المخطط الصهيو أمريكي أمام شاشته، مما جعل جماعة الإخوان يخططون لاغتياله ولكن الله سلم، وسار على نهجه قنوات دريم، والقاهرة والناس، و القاهرة اليوم، وقناة "سي. بي. سي" وغيرهم من القنوات الخاصة والتي لم تتوانى في كشف مخطط هذا العميل الخائن هو وجماعته ومحاولة تركيع الشعب المصري لإرادتهم، ولكن الله قَيَّدَ لهذا الشعب هؤلاء المخلصين لمصر وجيشها، وشرطتها، وشعبها، ونقول بملء أفواهنا: جزاكم الله خيراً على ما قدمتموه بالتحليل وبالكلمة، لأن أعظم الجهاد هو جهاد الكلمة، كما قال رسول اللهﷺ: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[1].

مُؤَسَّسَةُ الْقَضَاءِ:

لقد حاول "مرسي،وجماعته" كسر شوكة القضاة لمحاولة إجبارهم على التحيز ناحيته، ولكنه وبغبائه السياسي لم يَعِ جيداً أن تلك المؤسسة تضع نصب أَعْيُنِها قول الحق تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن: ٩) ليطبقوه قولاً وعملاً، ولم يَعِ أيضاً أن هؤلاء هم الذين دافعو عنه، وعن جماعته في العهود السابقة فقضاةُ مصْرَ، وقد أثبتت الأيام أن غالبيتهم عَادلون، لأنهم فقهوا قول رسول اللهﷺ: (إِنَ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابَرِ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ

(١) الحديث صحيح: رواه أبو سعيد الخدرى - رضي الله عنه - وجاء فى تخريج السنة برقم: (١٠٩٦)، ومشكاة المصابيح برقم: (٣٦٣٣)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١/ ٨٠٦).

الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)[1].

فالإقساطُ، والقسطُ، والمقْسِطينَ، وَالْمُقْسِطُونَ، هم العادلونَ، ويقال: قَسَطَ، إقْسَاطًا، فهو مُقْسِط إذا عدل في حكمه، كما قال تعالى: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [المائدة:٤٢]، وَيُقَالُ: قَسَطَ، يَقْسِطُ، بفتح الياء، وكسر السين، وَقُسُوطًا، وقَسْطًا، فهو قَاسِطٌ، وهم قَاسِطُونَ: إذا جاروا في حكمهم، كما قال تعالى: {وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن:١٥] فمن أجل ذلك حاولوا قدر استطاعتهم أن يكونوا عادلين في حكمهم، رغم إرهاب الإرهابيين، وإرعابهم، وتهديدهم بقتلهم، إلا أنهم تصدوا لهذا كله، وحكموا بما يُرْضِي ضمائرهم، ولم يجد مرسي وجماعته من ذلك كله إلا أنه يقوم بقص أظافرهم، فقد كشفت صحيفة (الجريدة) الكويتية عن التسجيل الصوتي لحوارها مع «مهدي عاكف» المرشد السابق لجماعة الإخوان والذي قال فيه: (إن مجلس النواب سوف يقوم بعزل ٣٥٠٠ مستشار وقاض، متسائلاً كيف يتم عزل النائب العام الذي عينه الرئيس؟.!)، وجاء كشف الجريدة للتسجيل بعد نفي «عاكف» ما نشرته الصحيفة الكويتية على لسانه في حوارها معه، على أنه أكد أن المطالبة بعزل النائب العام (عيب) وعندما تم حل مجلس الشعب الذي تم انتخابه عبر ٣٢ مليون مواطن، فذلك دليل على أن القضاء مريض) وقال: (كل القضاة خايفين لما يجي مجلس النواب الجديد هيصدر قرار بعزل ٣٥٠٠ مستشار، وقاض) وأضافت الجريدة أن تصريحات «عاكف» جاءت متواكبة مع إعداد اللجنة القانونية للحزب الحاكم (الحرية والعدالة) مشروع قانون للسلطة القضائية يتضمن خفض سن تقاعد القضاة، ما سيؤدي إلى خروج عدد كبير منهم، مما يُؤكد صدق تصريحات «عاكف» للجريدة، ومن أجل ذلك قام الأسد لذي دافع عن عرينه

(١) الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما -رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩)، وانظر في مسند الإمام أحمد برقم: (٣/ ١٥٧).

المستشار «أحمد الزند» ومن معه من القضاة بالتصدي، ودفاعهم دفاعاً مستميتًا من أجل عدم مرور هذا القانون وطبخه في مجلس الشورى، والذي كان يستحوذ على أغلبيته (حزب الحرية والعدالة)، ومن والوهم، ولكن إرادة الله عاجلت بقيام ثورة ٣٠ يونيو ٢١٠٣ وأزاحت «مرسى وحزبه» عن حكم مصر، ومن ناحية أخرى ليكمل مرسى هيمنته على السلطة القضائية قام بإصدار ثلاثة مواد في دستور الإخوان ٢٠١٣، وهما (١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) حيث تقلل من اختصاص المحكمة الدستورية خصوصًا المادة (١٧٦) والتي تنص على: (تشكيل المحكمة الدستورية العليا من رئيس، وعشرة أعضاء، ويبين القانون الجهات، والهيئات القضائية، أو غيرها التي ترشحهم، وطريقة تعيينهم، والشروط الواجب توافرها فيهم، ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهوريةو ثم يتم تقليص عدد أعضاء المحكمة الدستورية العليا من ١٨ إلى ١١ عضواً ويعينهم رئيس الجمهورية)، وهو ما يعني التعدي على الجمعية العمومية للمحكمة، ويقضى على استقلالية السلطة القضائية، وتم طبخ هذه المادة بالذات من أجل المرأة الحديدية المستشارة «تهاني انجبالي» التي لم تخضع لتهديدات (مرسى، وجماعته) من أجل استقلال القضاء، حتى قضى الله أمرًا كان مفعولاً، ألا وهو إزاحة هؤلاء عن حكم مصر، وفي سؤال الدكتور «سعد الدين إبراهيم» عن ما أصدره «عصام الحداد» مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية، بيانًا إعلاميًا، اعتبره الكثيرون إهانةً للمحكمة الدستورية العليا: هل تعتقد أن الإخوان يتعمدون التشهير بالمحكمة، والتشكيك؟ فَيُجِيبُ قَائِلاً: (ليس سِرًّا أن هناك عَدَاءً كبيرًا بين (الإخوان)، والمحكمة الدستورية، وهذا يعود إلى عدم قدرة الإخوان على اختراق هذه المؤسسة حتى الآن، على الرغم من محاولتهم المستميتة، كما إن الإخوان يحملون عداءً للداخلية، والمخابرات، وعداؤهم للدستورية له علاقة، لأنهم لاَ يَعْتَدُّونَ بالقوانين الوضعية، وإن كانوا يُحاولون قبولها على مَضَضٍ، إضافةً إلى أن المحكمة الدستورية في كل

قراراتها كانت واضحة في الإشارة إلى أن تنظيم الإخوان كيان عليه علامة استفهام، فهو ليس مسجلاً، لا كجمعيةٍ، ولا كحزب... إلخ، وأما السبب الأهم، فهو أنهم لا ينسون الإساءة، وانتقاميون، لأنهم اعتبروا أَنَّ حَلَّ المحكمة الدستورية لمجلس الشعب الذي كانوا يمثلون فيه الأغلبية (إهانَة كُبرى) يستحق في مقابلها (الثأرُ، وَأَنْ تُغْسَلُ بالدِم)، و«جمال البنا» نفسه قال لي حرفيًا: إن الإخوان مثل أسرة (البوربون) الملكية في فرنسا، لاَ يَنْسُونَ شَيْئًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ شَيْئًا[1].

مُؤَسَّسَةُ الْجَيْشِ:

حاول "مرسى، وجماعته" أن يَفِتَّ عَضُدَهُ في الجيش، بالاستمالة بعباراتٍ منمقةٍ رنانةٍ، ولكنهم فشلوا في ذلك، وحاولوا اختراق المخابرات الحربية أيضًا، وفشلوا أيضًا، لأنهم لم يَعُوا جيدًا أن مؤسسة الجيش وقادته عَصِيَّةٌ على الخيانة، فإذا ما حاول الإخوان استمالة أي مؤسسة، وتؤدي هذه الاستمالة إلى الفشل وعدم الاستجابة، قاموا بعد ذلك بالتآمر عليها، والتشهير بها والتعدي عليها، لأنهم يعلمون جيدًا أن المؤسسة الوحيدة التي تكسر أنوفهم، وتجعلهم داخل أسوار السجون لتكسر إرادتهم هي مؤسسة الجيش حيث أكد الفريق أول "عبد الفتاح السيسي" في كلمته التي وجهها يوم الخميس ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٣ في الاحتفال بتخريج الدفعة (١٤٨) من معهد ضباط الصف المعلمين قائلاً: (إن مصر ستقف صامدةً في مواجهة الإرهاب، وأن ما يحدث لن يهز مصر وشعبها، وأن من يمس المصريين لن نتركه على وجه الأرض، وأن الشعب المصري لا يخاف أبداً ما دام جيشه موجودًا) وأضاف قائلاً: (لا تدعوا هذه الأحداث الإرهابية الغاشمة تؤثر فيكم، أو في روحكم المعنوية، فنحن على الحق المبين... أردتم الحرية والاستقرار، وهذا لن يأتي بسهولة، ولابد لكم من الثقة في

(١) الفيس بوك – صفحة الموجز –د/ سعد الدين إبراهيم، في حواره لجريدة الوطن.

الله، وفي أنفسكم، وفي جيشكم، والشرطة المدنية، وبأننا قادرون على العبور بمصر نحو الاستقرار والأمن والتقدم) هذا هو لسان حال جيش مصر، وهذه هي وطنيته، لأنه ملك للشعب، لا لغيره، وولاؤه للشعب، وليس لأيِّ حاكِم، أيًّا كان، فعندما قامت ثورة ٢٥/ ١/ ٢٠١١ ورأى الحرس الجمهوري الجماهير الغفيرة أمام قصر الاتحادية، تخيل "مبارك" ساعتها أن الحرس الجمهوري سيفض هذه الجموع الغفيرة، وأنه قادرٌعلى ذلك، لكنه عندما نظر من نافذة القصر لهذه الجماهير الحاشدة، وفوجئ بهذه الجموع الغفيرة، وأنه قادُر على ذلك، لكنه عندما نظر من نافذة القصر لهذه الجماهير الحاشدة، فوجئ بأن مدافع الحرس الجمهوري، بدلاً من أن تَصُوِّبَ مدافعها نحو الجماهير، وجدها تُصَوَّبُ نحو شبابيك القصر، ساعتها فهم "مبارك" أن الحرس مع الشعب، بل تحت أمر، وإرادة الشعبِ المصريِّ، فهذا ديدن الجيش المصري دائمًا، وهذا هو إيمانه العميق، لأنه يعلم جيِّدا، أنه من جذور هذا الشعب، ومن صُلْبِ كل مواطن مصريٍّ، آباء، وأمهات، وأعمام، وأخوال، وفيهم الأبناء، والأخوات. وقد حاول "مرسى" مرارًا وتكرارًا في خطاياته، أن يستقطب قادة الجيش ناحيته، ليكون الولاء له، ولجماعته، وظن أن بتمجيده للجيش في معظم خطاباته، قد يجعل هؤلاء القادة يميلون ناحيته، وناحية جماعته، فينحازون إليه بالكلية، لكنه فشل فشلاً ذريعًا في الاختيار، لأنه هو وجماعته لم يعهدوا هذه الوطنية، ولم يعرفونها، ولم يمارسونها، لأنهم كانوا بعيدون عن ذلك المجال، بل حُرِمُوا منه بالكلية، لأن الجيش لا يدخله إلا الوطنيون، أما الخائنون، فقد حُرِمُوا من الخدمة فيه، والجميع يعلم أن كل من انتسب لجماعة الإخوان ودخل في معيتهم، لا يخدم في هذه المؤسسة الوطنية، ولذلك حرص "مرسى" على أن يُنهك قوى هذه المؤسسة، بكل مَا أُوتِيَ من قُوَّةٍ، فأصدر العفو الرئاسي عن تجار المخدرات، والسلاح، واستدعى كتائب (عز الدين القسام)

من حماس، حيث دخلوا مصر بأرقام قومية مزورة، بعد سرقة ماكينات طباعة الرقم القومي المصري، والتي خرجت من مصر إلى غزة عن طريق الأنفاق في أحداث ٢٥ يناير، واستدعى بعض المنتسبين في تنظيم القاعدة بقيادة أيمن "الظواهري"، وبعض شباب الإخوان الذين دُرِّبوا في (حماس)، والمتطرفين من السلفية الجهادية، ولكن الجيش المصري سحقهم جميعًا وجعلهم يستغيثون بأعوانهم في العراق، وأصبح هذا الجيُش الأَبيُّ يتسيد الموقف الآن في سيناء، لأن هذا ديدنه، بأن يعمل في صمت كالجراح الذي يلتف حول البؤرة السرطانية ليجتثها من جذورها خَوْفًا على حياة المريض، كذلك كان الجيش المصري يَجْتَثُّ بُؤَرَ الإرهاب في سيناء خوفًا على حياة القبائل التي تسكن في سيناء ورفح وَحِرْصًا على سلامة المقيمين هناك، فولاء الجيش لشعبه، بدأ في القضاء على الإرهابيين بطريقة مشرط الجراح، وليس كما كان يَدَّعُوَنَ الهجاسونَ، الذين ينعقون في ميدان (رابعة) بما لا يعلمون، أنهم سيسحقون الجيش في سيناء.

مُؤَسَّسَةُ الشُّرْطَة:

مؤسسة الشرطة لاَ تَقِلُّ وطنيةً عن مؤسسةِ الجيش، فكل يوم يمر علينا، إلا وللشرطة شهيدٍ يسيل دَمَهُ فداءً لهذا الشعب، ولهذا الوطن، وسبب عداء مرسى، وجماعته أن هذه المؤسسة استجابت لزئير الحناجر، وزمجرة الجماهير، وصراخ الضحايا، وتألمات الأمهات المكلومات، ولما رأت قادة الشرطة، وضباطها، وأفرادها هذا الظلم، وهذا التعدي على الجماهير المسالمة استجابت طَائِعَةً، مُلَبِّيَةً لنداء هذا الشعب، مُعَبِّرَةً، صَارِخَةً هي الأخرى أنِّي مِنْكُ للشعبِ، وأما السبب الثاني، هو أن قادة الشرطة قد رفضوا الانصياع "لمرسى" بأخونة الشرطة، والآن سنتناول تفاصيل اختراق "مرسى، وجماعته" لوزارة الداخلية، وتجنيد أكثر من ٢٥٤ قيادة، إضافة إلى ٦٠٠ أمين شرطة،

ورفض اللواء "محمد إبراهيم يوسف" وزير الداخلية في حكومة "الجنزوري" الانتقالية رَفْضًا بَاتًّا، وإليك الأنباء بالتفصيل: (تولىّ (إبراهيمَ) مسئولية وزارة الداخلية -في ٧ ديسمبر ٢٠١١، إلى ٢٤ يوليو ٢٠١٢ -عقب حالة الانهيار التي اعترتها بعد الهجوم الإخواني المدعوم بقوى من (حماس، وحزب الله) على جميع أقسام الشرطة، فأعاد تنظيم صفوفها، وبث في قواتها روح الأمل، وبدأ في زيارة جنود الأمن المركزي، والمرور على الأكمنة، وأدار حوارا معها مع ضباطه، لِيُعِيدَ إليهم ثقتهم بأنفسهم، ولم يتجاهل هذا التربص الإخواني الذي لم يكن على وئام مع فكرة عودة الأمن إلى الشارع المصري، فاصطدم كثيرًا بقادة الجماعة، حتى وصل صِدامه إلى ذروته مع "المعزول"، وعندما قام أعضاء مجلس الشعب من المحظورة بالقبض على النقيب "أحمد صلاح لطفي" داخل البرلمان، وسحلوه بحجة أنه يتجسس عليهم، أصر الوزير على زيارة المجلس، وأعلن أنه لن يُغادره إلا بصحبة ابنه الضابط ساخرًا منهم، كيف يتجسس عليكم وجلستكم على الهواء مباشرة؟. وبالفعل اصطحب الضابط المسحول، ووصل به إلى مستشفى الشرطة، وازداد عزمه على مواجهة الأمر مهما كانت تبعاته، فحاول قادة الجماعة زيارة الوزير في مكتبه إلا أنه رفض استقبالهم، بل أمر بعدم دخول أي إخواني إلى الوزارة، وهنا بدأت الجماعة في صنع الأزمات أمام حكومة "الجنزوري" وعندما وصل "مرسى" إلى قصر الرئاسة، وطلب حضور وزير الداخلية مصطحبًا معه حركة تنقلات الشرطة، ذهب الوزير إلى "المعزول" فلاحظ أنه يضع على منضدةٍ مجاورةٍ له ورقة مُدَوَّنًا عليها بعض قادة الداخلية، وبدأ ينظر إليها خِلْسَةً ليوجه بعدها تساؤله إلى الوزير، حيث أعلن عن رغبته في إحالة اللواء "محسن مراد" إلى التقاعد، فكان رَدُّ الوزير إن مراد من أكفأ رجالات الشرطة، وليس من المنطقي إحالته إلى التقاعد، فقاطعه "مرسى" طالبًا إحالة اللواء "خالد غراب" مدير أمن الإسكندرية في ذلك الوقت إلى التقاعد، فرد عليه الوزير قائلاً: "خالد" قاوم ببطولة "نادرة" اقتحام مديرية

أمن الإسكندرية، فهل تكون مكافأته، بإحالته إلى التقاعد؟!

نظر "المعزول" إلى الورقة، وطلب من الوزير إحالة كل من اللواءات "أمين عز الدين" مدير شرطة الكهرباء في ذلك الوقت، واللواء "كمال الدالي" مدير المباحث الجنائية بالجيزة، واللواء "سيد شفيق" مدير مباحث الوزارة، "وعصام حجاج" مدير الأمن الوطني، إلا أن الوزير "محمد إبراهيم" رفض بشدة، مُؤَكِّداً أن كل واحد منهم كفاءةً وقدرةً لا يُسْتَهَانُ بها، ولا يمكن الاستغناء عنهم دون مبررات حقيقية، انفعل مرسى على الوزير، وقال له: كل ما أسألك على قيادة تقولِّى ده شغال، دول رجالة (حبيب العادلى)! رد الوزير: هؤلاء رجال وزارة الداخلية، وليسوا رجال حبيب العادلى، ثم إننى شخصياً عملت مع حبيب العادلى ومعظم قيادات الوزارة عملت معه، ولا أرى مُبَرِّرًا لإحالة هؤلاء للتقاعد، وإذا أردت أن تفعل ذلك فليس أمامك إلا إصدار قرار جمهورى قال مرسى: يا سيادة الوزير، أنت تسعى للصدام مع مؤسسة الرئاسة! قاطعه الوزير: نحن لا نصطدم أبداً مع مؤسسة الرئاسة، إننا نصطدم فقط مع أيِّ جماعة تخترق القانون أو تحاول خرقه، رد مرسى: مش كفاية كنت بتراقبنا وبتراقب تليفوناتنا، قال محمد إبراهيم: وظيفتي تحتم عَلَيَّ مراقبة كل خارج على القانون فقط يا سيادة الرئيس، وسوف أقوم بعملي مهما كانت الظروف، وبينما كان مكتب الوزير مشغولاً في الإعداد للمؤتمر الصحفي، فوجئ الوزير بمدير مكتبة يُخبِرُهُ أن الرئيس على التليفون، فَرَدَّ عَلَيْهِ: بلِّغْهُ أني مش فاضي، وأني في طريقي للمؤتمر الصحفي، لإعلان الحركة، وبالفعل أن الوزير قدم حركة تنقلات الشرطة دون مراجعتها مع "مرسى" ودون ما يكتب اسمًا واحدًا من ال ٨٥٤ المنتمين لجماعة الإخوان، ومكافأةً للوزير على إخلاصه لبلده، أنه في اليوم التالي صدر قرار بإقالته من منصبه[1]!!

أما وزير الداخلية «أحمد جمال الدين» في حكومة «هشام قنديل» حيث أعلن في

(١) جريدة فيتو -الثلاثاء -٢٢ محرم ١٤٣٥هـ -٢٦ نوفمبر٢٠١٣م -العدد (٩٤) -ص: (٢٠).

تصريح منسوب إلى «خيرت الشاطر» والذي جاء فيه على لسانه قائلاً: (أن سبب الإقالة يرجع إلى ارتكاب «جمال الدين» أخطاء جسيمة، حيث غاب دور وزارة الداخلية في أحداث قصر الاتحادية، وأن الدكتور «مرسى» اتصل به ليقوم بدوره المنوط به، لكن الوزير لم يرد لأربع ساعات متصلة، وأنه عندما رَدَّ «جمال الدين» على الرئاسة طلب تفويضًا موقعًا من الرئيس لاستخدام الذخيرة الحية، وهو الأمر الذي رفضه «مرسى» بخلاف موقف الشرطة المتخاذل من حصار مسجد القائد إبراهيم، وبداخله الشيخ «المحلاوي» وعدد من المصلين لأكثر من ١٤ ساعة)، والسبب الآخر في الإقصاء هو: تقصير الوزير في حماية مقار (جماعة الإخوان)، ورفضه التعامل مع المظاهرات بالقمع، أو فض اعتصام الاتحادية بالقوة، وكان السبب الرئيسي من تغييره هو تهديد «حازم أبو إسماعيل» له، بعد أحداث حرق مقر حزب الوفد، ومطالبته بضرورة عزله، وعدم التساهل مع جماعة الإخوان في إعطاء تراخيص السلاح لشباب الجماعة[1].

وعلى نفس السياق، تم كشف أسماء الخلايا النائمة في وزارة الداخلة تحت قيادة «محمد إبراهيم» وزير الداخلية في حكومة «هشام قنديل، والببلاوي» حيث نجح «خيرت الشاطر» في تجنيد مدير أمن الجيزة، ونائب مدير الأمن الوطني السابق، وبدأت وزارة الداخلية حسب معلومات مؤكده التحقيق مع عدد كبير من القيادات السابقين والحاليين، وعدد من الضباط في بعض مديريات الأمن، بعد أن ثبت انتماؤهم لجماعة الإخوان المحظورة، وتشير المعلومات الأولية إلى أن عدد هؤلاء الضباط يصل إلى عدد ٢٥٤ ضابطاً من مختلف الإدارات ومديريات الأمن بينهم مساعدان لوزير الداخلية، بالإضافة إلى ٦٠٠ أمين شرطة تبين انتماؤهم للإخوان، ولم يكتفوا بالتعاطف مع أنصار الجماعة، وإنما استغلوا مواقعهم الوظيفية، وسربوا معلومات وأسراراً مهمة ساعدت العناصر الإخوانية والمتطرفة في تنفيذ أعمال تخريبية

(١) شبكة الإنترنت.

واستهداف بعض ضباط الشرطة والمنشآت الأمنية، وسهلوا هروب المطلوبين أمنيا[1]".

وَمِمَّا لَهُ صِلَةً بذلك قامت وزارة الداخلية بوضع خطة لمواجهة اختراق (جماعة الإخوان) لهذه المؤسسة، وقد تم تحريات كاملة على ٩٠٪ من العاملين بقطاع الشرطة للتأكد وحسم مسألة تعاملهم واتصالاتهم مع أنصار (جماعة الإخوان)، وأضافت أن تلك التحريات توصلت مؤخرًا إلى وجود أكثر من ١٨٠٠ ضابط فرد وأمين شرطة على علاقة (بجماعة الإخوان) ويقومون بتسريب خطط وتحركات الأجهزة الأمنية، وكشفت عن أن جميع من تم إثبات علاقتهم (بالإخوان) تم تجميدهم داخل قطاعاتهم مشيرة إلى أن كل من ثبت بالتحريات والاستعلام بفحص ملفاتهم والذين تتعدى أعدادهم أكثر من ٤٠٠٠ مجند وفرد شرطة لهم أقارب (بجماعة الإخوان) تم تجميدهم عن طريق إبعادهم عن أجهزة البحث والاقتحام، وذلك بنقلهم إلى الإدارات الخدمية، حيث تم نقل الضباط إلى إدارة الحماية المدنية والخدمات الطبية، فيما نقل الأفراد والأمناء إلى إدارة المطاعم وبوفيهات الإدارات والخدمات التي لا تمكنهم من الحصول على معلومات، أو حتى حمل سلاح خلال أداء الخدمة في الشارع، أو تأمين المنشآت، وأكدت المصادر أن خطة الداخلية لمواجهة عمليات الاختراق لقطاعاتها تضمنت تغيير أطقم حراسة القيادات المهمة بالوزارة أسبوعيًا، إضافةً إلى أنه تم حصر الضباط والقيادات المهمة بالوزارة أسبوعيًا، إضافةً إلى أنه تم حصر جميع الضباط والقيادات سواء بالأمن العام، أو المباحث، أو الأمن الوطني ممن تلقوا تهديدات بالقتل لوضع حراسة عليهم، وعلى أسرهم لحين تغيير أماكن إقامتهم، مشيرةً إلى أن هناك تتبعا لكل الرسائل والمكالمات التي تتم بين القيادات ومن يُرسلون برسائل التهديد لهم، وأضافت أن جهاز الأمن الوطني يبحث حاليًا وضع خطة تمويه شاملة لإخفاء تحركات تلك القيادات، والضباط لضمان عدم استهدافهم من قبل العناصر لمتطرفة التابعة لجماعة الإخوان[2]".

(١) جريدة الموجز –الاثنين –٢١ من المحرم ١٤٣٥هـ –٢٥ نوفمبر ٢٠١٣ –العدد(٣٨٣) –الإصدار الثاني –السنة الحادية عشرة –ص:٢.

(٢) جريدة فيتو –الثلاثاء –٧ صفر ١٤٣٥هـ –١٠ ديسمبر ٢٠١٣م –العدد (٩٦) –ص: (٢).

عَدَاءُ مُرْسِي، وَجَمَاعَتَهُ للأَقْبَاطْ:

اعتقد "مرسى، وجماعته) أَنَّ ما كان يُرهب الناس بالأمس، سيرهبهم اليوم، وأن ما فعلوه وبعض السلفية المتشددة من منع الأقباط من الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات البرلمانية، والرئاسية في محافظة المنيا وغيرها من المحافظات، وتطويقهم، وإرعابهم، وإرهابهم بالجنازير، والسلاح الأبيض، والآلي، والخرطوش سيتكرر اليوم، ولم يَعِ هؤلاء المثل الدراج جيدًا، والذي يقول (كتر الحزن، يعلم البكى)، لأن الناس من هَوْلِ مَارَأَوْ من كَثرةِ الدماءِ التي سُكِبَتْ على الأرض في تلك الفترة، جمدت عيونهم، وتبلدت مشاعرهم وذهب الخوف أدراج الرياح، وزهدت نفوسهم أرواحهم، فجعلت دمائها، وأرواحها فداءً لواجب الوطنية الذي يهون في سبيله الدماء، وهذا مما جعلنا نعود إلى الوراء قبل ذلك بمائةِ عامٍ، أو يزيد من العزلة، أو ما يُسمى (بالفتنة الطائفية للأقباط) يقول الباحث، والصحفيّ الأستاذ "سليمان شفيق": (إن الفتنة الطائفية إن دلت على شيء فهي تدل على أن النخبة المدنية وافقت ضمنا على تديين القضية، إذا أضفنا إلى ذلك (الحلول العرقية) فهذا يعني أننا نعود إلى ما قبل الدولة، إما أن تعتمد النخبة المدنية على (بيت العائلة) فهذا يعني أننا نعود إلى ما قبل الدولة الحديثة!، ولا أحد يهتم بأن الدولة تتفكك، والأمة تتحلل، ولا أحد أيضًا ينظر إلى تلك القضية من منظور أزمة الدولة المدنية الحديثة: ولم يلحظ أحد أن أول تجليات الأزمة كان عام ١٩١٠ (المؤتمر القبطي) ومن ١٩١٠، وحتى (أحداث العمرانية) ٢٠١٠ مضى قرن من الزمان، وتبوأ الحكم في مصر أربعة ملوك (عباس حلمي، وحسين كامل، وفؤاد، وفاروق) وثلاثة رؤساء (عبد الناصر، والسادات، ومبارك) شهد هذا القرن (٦٥) حكومة منهم (٤٢) في العصر الليبرالي، منذ حكومة "بطرس غالي باشا" ١٩١٠، وحتى حكومة علي ماهر باشا ١٩٥٢، بتكليف من "الملك فاروق"، و(٧) حكومات في عهد "ناصر"، و(٧) حكومات في عهد "السادات"، و(٩) حكومات في عهد

"مبارك"، كل ذلك والمشكلة الطائفية قائمة بشكل، أو بآخر في العصر المسمى الليبرالي وفي فبراير ١٩٤٣ في حكومة "عبد الفتاح يحي باشا" أصدر "العزبي باشا" وكيل وزارة الداخلية الشروط العشرة لبناء الكنائس التي سببت ٨٦٪ من الأحداث الطائفية ارتبط ذلك بإسقاط دستور ١٩٢٣ وإعلان دستور صدقي ١٩٣٠ وظهور (جماعة الإخوان) وتحالفها مع (صدقي)، بل وفي ظل زخم زعامة "النحاس" للأمة تم "تجريس" حزب الوفد في الأربعينات من القرن الماضي على أنه حزب نصراني، أسس لهذه الحملة أيضًا (جماعة الإخوان)، وفي ظل حكومة الوفد ١٩٥٠، ولأول مرة بعد ثورة ١٩١٩ تم حرق كنيستين إحداهما في السويس، والأخرى بالزقازيق، وسقط قتيلان من الأقباط، ومن العصر (الليبرالي) إلى العصر (الناصري) لم تشهد المرحلة أي اعتداءات على أقباط، أو على الكنائس، ثم جاء مشروع "السادات" بالتحالف مع الإخوان لضرب "الناصريين" "والماركسيين"، وانتقلت ظاهرة جماعة الإخوان والتديين من خارج النظام السياسي إلى داخله، بل وتسلق إلى قمته، وعبر الانفتاح الاقتصادي ضرب "السادات" الأساس الاجتماعي للمشروع الناصري، وبدأت البطالة تُطِلُّ برأسها، وبدأ تهميش الصعيد، مما مهد الطريق اجتماعيًّا للإرهاب في عصر "مبارك"،، خاصة في العشر سنوات الأخيرة، لم تعد الدولة مدنية، ولا حديثة، بل صارت مملوكية، (بظهور مشروع التوريث)، وكانت هذه المرحلة هي العصر الذهبي للإخوان، حيث تم تمكينهم اقتصادياً، بالسيطرة على ٥٠٪ من تجارة العملة، وبلغت عمليات المضاربة، وغسيل الأموال أقصى مدى، وعلى الصعيد السياسيِّ وافق الإخوان على التوريث، مقابل التمكين في مجلس الشعب، إضافة إلى التمكين الدولي، وتأسيس التحالف الإخواني الأمريكي(١)!!

(١) جريدة الوطن-الأحد ١٨ جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ-٢٨ أبريل ٢٠١٣م السنة الأولى-العدد(٣٦٤) صـ: (١٤).

وبعد إزاحة حكم «مبارك» بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وتولي «مرسى» السلطة في مصر في ٣٠ يونيو ٢٠١٢، وعندما مَرَّ على ما يقرب من عامٍ على توليه السلطة، واضطهاده لجميع الأحزاب والطوائف، والملل، وعند اقتراب موعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، طلب مرسى من «البابا تواضروس» منع الأقباط من المشاركة في الثورة، فرفض «البابا» طلب «مرسى» بمنع الأقباط من المشاركة، ومن جانبه صرح «القس صفوت البياضى» رئيس الكنيسة الإنجيلية قائلا: (أن مجلس الكنائس قرر في اجتماعه بدير الأنبا بشوى بمشاركة رؤساء الكنائس الخمسة للمؤسسة للمجلس، أننا لا نستطيع أَنْ نُكبت حرية الشبابِ المسيحيِّ، وهم جزءٌ من هذا الوطن مثلهم مثل إخوانهم المسلمين)، وكان هذا الرد، وهذه التصريحات بمثابة القشة التي قسمت ظهر «مرسى وجماعته»، فلم تشهد علاقة «تواضروس» «بمرسى» إلا الفتور، والإحباط، ولم يُرْهب البابا أن يقول لمرسى إن فترة حكمه لمصر هي أكبر فترة إحباطٍ للأقباط، ولم يخش من الإفصاح عن غضبه من النظام الحاكم وهو يرى مقتل (٦٠) قبطيًا في (٤٣) حادثًا طائفيًا وحرج (٩١٨)، وحرق (٨٠) كنيسة، وهدم (٤٠) مؤسسة تابعة لكنائس حُرقت، (١٥٠) أسرة شُرِّدُوا من بيوتهم ونُهبت محلاتهم ومنازلهم، ونحو (١٠٠٠) بيت تم مهاجمتها لقرى عديدة، فضلاً عن عشرات التصريحات التي كانت تهدد الأقباط من تيارات الإسلام السياسي برعاية جماعة الإخوان، كل ذلك وأكثر قد تم بعد فَضِّ اعتصامي (رابعة، والنهضة) يوم الأربعاء ١٤/ ٨/ ٢٠١٣.

إباحة سرقة الأقباط، وفرض الجزية على قرية (دلجا)، بالمنيا:

يقول أحد أقباط قرية (دلجا) فَضَّلَ عدم نشر اسمه خلال مكالمة تليفونية لمحرري جريدة الصباح، أنه قامت مجموعة كبيرة ومنظمة بالسطو على محتويات الكنيسة وسرقة أكثر من (٤٥٠) (إردبًا) من القمح، فَضْلاً عن صندوق التبرعات

والذي يوجد بداخله آلاف الجنيهات من التبرعات، وصندوق الهبات المملوء بالذهب والنذور، وَقُدِّرَ حجم الأموال بأكثر من نصف مليون جنيه، ويقول أحد سكان (دلجا) ويُدعى «محمد.أ» ٣٠ سنة فلاح من أهالي القرية: إن إخوان القرية قاموا بتهديد أقباط القرية، والتضييق عليهم، وبعد أن أجبروهم على التزام منازلهم لفترة، قاموا بطرد عدد من الأسر القبطية وتهجيرها إلى خارج دلجا عُنْوَةً، وحملوا الأسلحة، وهددوا بمجزرة، قرر على إثرها الأقباط ترك منازلهم، والخروج داخل القرية، وبعدها تمت مداهمة تلك المنازل وتفريغها من جميع محتوياتها[1].

وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أن قرية (دلجا) التي تعد أكبر قرى (المنيا) والتي يبلغ تعداد سُكَّانِهَا منهم ما يقرب من ١٥٠ ألف قبطي وقعوا فريسة في يد (بلطجية الإخوان) الذين مارسوا كل أنواع العنف والإرهاب منذ يوم رحيل المعزول، وبدأت بحرق كنيستين وتدمير عددٍ من المنازل، وفي يوم فض اعتصامي (رابعة) والنهضة، كان أقباط القرية على موعد مع القهر، والاستبداد، والاضطهاد من قِبَلِ بلطجية الإخوان الذين قاموا بالانتقام من الأقباط بسبب مشاركتهم الفعالة في التظاهرات التي أطاحت بالمعزول، فقاموا بحرق ٤ كنائس بالقرية من أصل ٥ بالإضافة إلى حرق، وتدمير عشرات المنازل، والمحلات التجارية المملوكة للأقباط، وقاموا بفرض الجزية على أقباط القرية وإجبارهم على دفعها، والتي تتراوح قيمتها من ٢٠٠ إلى ٥٠٠ جنيه يوميًا، وكان التهجير هو المقابل لمن لا يقوم بدفع الجزية، حيث قاموا بتهجير أكثر من ٤٥ أسرة قبطية من منازلهم وقاموا بالاستيلاء عليها[2].

(١) جريدة الصباح -الاثنين ١٠ ذو القعدة ١٤٣٤هـ-١٦سبتمبر ٢٠١٣م -السنة الأولى -العدد (١٣) ص: (٩).

(٢) جريدة التحرير الثلاثاء -١١ ذي القعدة ١٤٣٤هـ-١٧ سبتمبر ٢٠١٣م -السنة الثالثة -العدد(٨٠٧) ص: (٥).

وَعَطْفًا عَلَى ذَلِكَ، فقد صَرَّحَ راعى كنيسة السيدة العذراء الأنبا إبرام القس يؤانس شوقي قائلا: (إن ظاهرة فرض الإتاوات على الأقباط ومطالبتهم بالجزية بدأت منذ رحيل المعزول وما زالت مستمرة وَتُفْرَضُ على جميع أقباط القرية، بلا استثناء، مُشِيراً إلى أن قيمة الجزية وطرق دفعها تختلف من مكان، لآخر داخل القرية، فهناك من يُفرض عليهم الجزية بواقع ٢٠٠ جنيه يوميًا، وهناك مناطق أخرى تدفع الجزية بواقع ٥٠٠ جنيه يَوْمِيًّا، وهناك طرق أخرى للدفع بالأسبوع، أو بالشهر، مُضِيفًا إلى أن عدد الأسر المهجرة إلى الآن وصل إلى (٤٠) أسرة[1].

وكان السبب في تلك الانتهاكات جميعًا، يوم الأحد ٣٠ يونيو ٢٠١٣، والذي كان نقطة الفصل في علاقة (الكنيسة بالإخوان)، فمن رفض أن يقابل مرشد التنظيم داخل الكاتدرائية، رفض أن يطلب من الأقباط أَلاَّ يشاركوا في مظاهرات إسقاط الإخوان، ليجلس بعدها بثلاثة أيام مع كَافَّةِ القوى الوطنية يرسم خريطة مصر الجديدة، بلا إقصاء، أو تهميش، وليعلن أن للثورة وطنيون يشاركون فيها، وهم يعلم أن ثمن المشاركة رأسه، واستهداف الكنيسة، والأقباط، فَوُضِعَ اسمهُ على قوائم الاغتيالات، واستهدفت الكنائس، ونحر الأقباط جهارًا، نهارًا، وَقُتِلُوا، وَصُلِبُوا، لأنهم قالوا: لا للإخوان[2].

وقد وصلت حالات القمع والإرهاب والإرعاب الذي تعرض لها الأقباط في (دلجا) أنهم كانوا يختبئون في السراديب خوفًا من بطش الجماعات المسلحة، والتي جعلتنا نسترجع العصور الوسطى، ففي الماضي البعيد كان يتم بناء الحصون لحماية الرهبان من غارات البربر، أو الغزاة، وكان الرهبان يلجأون إليها وقت شعورهم بالخطر من هجمات الأعداء على الدير، فيختبئون في سراديب للهروب من الخطر، وقد

(١) جريدة التحرير الأحد -٢ ذي القعدة ١٤٣٤هـ -٨ سبتمبر ٢٠١٣م -السنة الثالثة -العدد(٧٩٨) ص: (٩).

(٢) جريدة الوطن -الأحد ١١ شوال ١٤٣٤هـ -١٨ أغسطس٢٠١٣م -السنة الثانية -العدد(٤٧٦) - ص: (١١).

استفاد أقباط الصعيد من تلك السرديب، وتم تطويرها لتصبح العلامة المميزة لغالبية الأقباط في الصعيد في هذا الجزء الخطير من تاريخنا، والغريب هو عودة ظاهرة قديمة كهذه للحياة مرة أخرى بعد مئات السنين، نتيجة شعور الأقباط بالاضطهاد والخوف، يُحكى (ج.عطية) قبطي مقيم بقرية (دلجا التابعة لمركز ملوى) أنه حفر سرداب تحت منزله لحماية زوجته، ووالدته، وأطفاله من هجمات (الإخوان) المتكررة على منازل الأقباط بغرض السرقة والنهب وخطف واغتصاب النساء، وقال إن الفكرة جاءته بعد تكرار مثل هذه الحوادث في قرى ومحافظات كثيرة في كل أنحاء الجمهورية، فلم يجد حَلاً أفضل لتأمين أسرته إلا ذلك، يصف (عطية) السرداب بأنه عبارة عن دور أرضي ليس له باب، بل مُغطى بسجادة ينزل بعدها عن طريق ٣ درجات من السلالم إلى أسفل، وأكد أن السرداب كان يستخدم في البداية كمخزن لحفظ متطلبات المنزل، لكن الآن يستعمل كمخبئ بسبب ما يحدث من هجماتٍ إرهابيةٍ (لجماعة الإخوان) في قريته، وأكد أنه تم سلب ونهب منازل أقباط قريته عدة مرات، وهذا ما اضطره إلى الاختباء تحت الأرض حين التعرض للخطر[1].

الْجِزْيَةُ، وَحُكْمُهَا:

الجزيةُ هي قَدْرٌ من المال يدفعه من هو قَادِرٌ على القتال من المسيحيين واليهود (أهل الذمة) في بلاد المسلمين مقابل حمايتهم، وَيُعْفَى منه الكهول، والنساء، والأطفال، والعجزة، والمُعاقين، والذين يُقاتلون في صفوف المسلمين، وكما يفرض الإسلام على المسلمين دفع الزكاة التي تُؤخَذُ من الأغنياء، وَتُرَدُّ على الفقراء والمساكين، كذلك الجزية التي تُؤْخَذُ من أهل الذمة، وأجمل ما قيل بخصوص الجزية، ما ذكره (الشيخ ناجح إبراهيم) في ذلك الشأن قائلاً: (أن هناك نظرية فقهية اسمها غياب المحل، فباشتراك النصارى معنا في الجيش ودفاعهم عن ديار الإسلام، انتفت الجزية عنهم مثل

(١) جريدة الصباح الاثنين ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ -٤ نوفمبر ٢٠١٣م -السنة الثانية -العدد (١٩) ص: (١٣).

آيات الرقيق (عتق رقبة -إطعام المساكين)، فبإنتهاء الجواري، يلزمنا الحكم الثاني)، وجاء في التفسير في قوله تعالى: { قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ} [التوبة:٢٩] كان رسول الله ﷺ يرى ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان، حيث قال: (لاَ يَبْقَيَنَّ فِي جَزِيَرةِ الْعَرَبِ دِينَانِ)[١].

ولأن شريعة الإسلام لم تأذن بإكراه أهل الكتاب على الإسلام، فقد ترك رسول الله ﷺ أهل نجران ولم يكرههم على دينهم، بعد أن دعاهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن، فأبوا، وأعطاهم كتابًا جعل لهم فيه ذمة الله وعهده، وألا يُفتنوا عن دينهم، ومراتبهم فيه، ولا يحشروا، ولا يعشروا، وأن يؤمنوا على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وَعِيرِهِمْ، وبعثهم وأمثلتهم، لَا يُغَيَّرُ ما كانوا عليه، ولا يُغَيَّرُ حق من حقوقهم، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقًّا فبينهم النَّصَفَ غير ظالمين ولا مظلومين، ولهم على ذلك جوارَ الله، وذمة رسوله أبدًا، حتى يأتي أمر الله، ما نصحوا وأصلحوا، واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا، ولا يتعاملوا به، ولَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُوُ بَكْرٍ -رضي الله عنه- أكد لهم عهدهم الأول ولما علم أنهم خانوا العهد، وتعاملوا بالربا، أمر في حال مرضه «عمر بن الخطاب» -رضي الله عنه- بإجلائهم عن جزيرة العرب، دون أن يفتنوا في دينهم، وقد حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على قاعدة حماية الذِّمِّي في نفسه وماله، بتعويضه النجرانيين على أرضهم ومالهم بالمثل من أرض المسلمين ومالهم، لما قضت الضرورة بإجلائهم عن أرضهم، إلى غيرها من بلاد المسلمين، وقدُ ذكِرَ في سيرة «أبي بكر، عن عمر» - رضى الله عنهما -ما فعله من هذا القبيل من أهل عَرْ بسُوسَ من ثغور (الروم)، وكيف أنه لما أمر بإجلائهم عن

(١) أخرجه مالك (٢/ ٨٩٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٦٣٥)، والبيهقي (١٩٢٦٣) من حديث عمر -رضي الله عنه -وأخرجه الطبراني في (الأوسط) (١٠٧٠) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

أرضهم لخيانتهم جوار لمسلمين، ونكثهم عهد الأمانة والصدق، أمر بأن يُعَوَّضُوا عن مالهم وعقارهم ونعمهم ضْعِفَيْن، ومازال الخلفاء فى أيام الفتوح العظيمة وما بعدها يحافظون على حق القرار الثابت، والملك القديم، للأقوام المغلوبين للمسلمين، الخاضعين لسلطانهم، سواء كانوا من المسيحيين أو غيرهم، ولم يُؤْثَرُ عن أحدٍ منهم أنه طرد قومًا من أرضهم، أو انتزعها منهم بغير حَقٍّ وَلاَ عِوَضٍ، وهذا شأن الإسلام في المحافظة على حقوق الأمم المغلوبة، فبالغوا في الرأفة بأهل جوارهم، والداخلين في ذمتهم من أرباب الملل الأخرى، فتركوا لهم حرية التملك والدين، لم يُنازعوهم حَقًّا من حقوق المواطنة والجوار، بل كانوا يعتبرونهم جزءًا من الدولة، وعضوًا من أعضاء مجتمعهم لاَ غِنىً عن مشاركته في العمل، ومشاطرته أسباب السعادة المدنية، والحياة الوطنية، ويؤيد هذا اعتماد الخلفاء الأمويين، والعباسيين على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج، وترجمة علوم اليونان، وتقريب النابغين منهم في علوم الهندسة والطب إليهم، واعتمادهم في شفاء عللهم عليهم، بل بلغ بالمسلمين اعتبارهم لأهل الكتاب عُضْوًا من جسم هيأتهم الاجتماعية، ولا يجوز فصله في أَيِّ حالٍ من الأحوال، وعندما اكتسحت جيوش التتار بلاد المسلمين من حدود الصين إلى بلاد الشام، ووقع في أَسْرِهِمْ مَنْ وقع مِنَ المسلمين والنصارى، ثم خضد المسلمون شوكة التتار في الشام، وانتصروا عليهم، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخُ الإسلام «ابن تيمية» رأس العلماء في عصره، أمير التتار (قطلوشاه) بإطلاق الأسرى، فسمح له بالمسلمين، وأبى أن يسمح له بأهل الذمة، فقال شيخ الإسلام: (لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، فأطلقهم له)[1]، ثم قال «أبو يوسف» مُخَاطِبًا «هارون الرشيد»: وقد ينبغي يا أمير المؤمنين -أيدك الله -أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك، وابن عمك

(١) تفسير محاسن التأويل، للقاسمي: (٥/ ٤٠١،٤٠٠)

محمدﷺ، والتفقد لهم حتى لا يُظلموا، وَلاَ يُؤْذُوا، وَلاَ يُكَلَّفُوا فوق طاقتهم، وَلاَ يُؤْخَذُ شيءٍ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد رُوِيَ عن رسول اللهﷺ أنه قال: (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا حَجِيجُه)(١).

وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عند وفاته أنه قال: (أُوصى الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوَفَّى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ)(٢).

قال: وحدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن سعيد بن زيد، أنه مَرَّ على قوم قد أُقِيمُوا في الشمس في بعض أرض الشام، فقال: ما شأن هؤلاء؟ فقيل له: أُقيموا في الشمس في الجزية! قال: فكره ذلك، ودخل على أميرهم وقال: إني سمعت رسول اللهﷺ يقول: (مَنْ عَذَّبَ النَّاسَ عَذَّبَهُ اللَّهُ)(٣) وقال أيضًا: وحدثني عمير بن نافع عن أبي بكرٍ قال: مَرَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ببَاب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أَيِّ أهلِ الكتاب أنت؟ فقال: يَهُودِيٌّ، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسال الجزية، والحاجة، والسن، قال: فأخذ «عمر» بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيءٍ من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وَضُرَبَاءَهُ، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ} [التوبة:٦٠] والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية، وعن ضربائه. قال: قال: أبو بكر: أنا شهدت ذلك من عمر، ورأيت ذلك الشيخ(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي (١٩٢٤٣) عن عدة من أبناء أصحاب النبيﷺ، عن آبائهم.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩٧)، وعبد الرزاق (٢٠٠٥٨)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٥)، وابن حبان (٦٩١٧) من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه -.
(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٠٨) من حيث سعيد بن زيد - رضى الله عنه -
(٤) المصدر السابق: (٥/ ٣٩٥، ٣٩٦).

الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ:

الرجل الصالح ينصلح بصلاحه حال الأمة، وأما الطالح فيفسد بفساده حال الأمة، قال تعالى: {فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف:٣٥]، وأما عن المفسدين في الأرض فقد قال الله عنهم: {الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء:١٥٢] وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس:٨١]، وقال ﷺ: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ، وَحَاجَتِهِمْ، وَفَقْدِهِمْ، وَفَاقَتِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، دُونَ خَلَّتِهِ، وَحَاجَتِهِ، وَفَاقَتِهِ، وَفَقْرِهِ)(١).

وقال ﷺ: (مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلاً، فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ)(٢).

ومن خلال ذلك المنطلق يجب أن نفرق بين رئيسين أحدهما استمر في رئاسته لجمهورية مصر العربية بنحو (١٦) عَامًا، وظل الشعب مُخَلِّدًا لذكراه أكثر من (٤٣) عامًا، أي بعد وفاته في ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠ لأنه كان مثالاً للوطنية، والتضحية، والفداء، حيث اتهمه (جماعة الإخوان)، بأنه حاكم يُعادى الإسلام، لمجرد أنه يُعاديهم، حيث هم الإسلام وحدهم، ومن عاداهم، فهو يُعادى الإسلام، وقالوا عنه أيضًا إنه عِلْمَانِيًّا، أي: مُعَادِيًا للإسلام، وليس هذا كله، لا في شخص «عبد الناصر» ولا في اعتقاده، لأنه ساوى بين الطبقات، فأخذ من الإقطاعيين، وأعطى للمعدومين من الفلاحين، وحافظ على جميع الطوائف والملل وعاشت مصر في عهده على الوفاق الوطني، ولا تفرقة بين الأديان، وقد ذكرنا قبل ذلك ما فعله «ناصر» للإسلام والمسلمين، وأما الآن فنذكر

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجة، والحاكم عن أبي مريم الأزدى، وجاء في الصحيحة برقم: (٦٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٥٩٥).

(٢) الحديث صحيح: رواه النسائي عن عائشة -رضي الله عنها -وجاء في الصحيحة برقم: (٤٨٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٥٩٦).

أن علاقة «ناصر» بالدين المسيحي كانت، ممتازة، فقد سأل (البابا كيرلس السادس) عن عدد الكنائس التي يرى من المناسب بناؤها سنويًا، وكان رد البابا من (عشرين إلى ثلاثين) وكان الرئيس «عبد الناصر» هو الذي أمر بأن يكون عدد الكنائس المبنية سنويًا خمسًا وعشرين كنيسة، وأن يكون التصريح بها بتوجيه من البابا نفسه إلى الجهات الرسمية، وعندما طلب «الباب كيرلس السادس» من الرئيس «عبد الناصر» مساعدته في بناء كاتدرائية جديدة تليق بمصر، واشتكى له من عدم وجود الأموال الكافية لبنائها كما يحلم بها، قرر الرئيس «عبد الناصر» على الفور أن تساهم الدولة بمبلغ ١٦٧ ألف جنيه في بناء الكاتدرائية الجديدة، وأن تقوم شركات المقاولات العامة التابعة للقطاع العام بعملية البناء للكاتدرائية الجديدة، وكلف «سامي شرف» مع المهندس «عدلي أيوب» بالتوجه للكاتدرائية وتسليم البابا الشيك وبدأت عملية البناء في نفس اليوم، وبناءً على أوامر الرئيس «جمال عبد الناصر» كان يُعقد اجتماع أسبوعيٌّ كل يوم اثنين بين «سامي شرف» -وزير شئون رئاسة الجمهورية، «والأنبا صمويل» أسقف الخدمات، لبحث وحل أيِّ مشاكل تطرأ للمسيحيين، كما أولى الرئيس اهتمامًا شديدًا بتوثيق العلاقات بينه وبين «الإمبراطور هيلا سيلاسى» حاكم الحبشة (أثيوبيا) مستغلاً في ذلك كون مسيحيِّ أثيوبيا من الطائفة الأرثوذكسية، ودعا الإمبراطور هيلا سيلاسى لحضور حفل افتتاح الكاتدرائية المرقصية في العباسية غام ١٩٦٥، كما دعم توحيد الكنيستين المصرية والأثيوبية تحت الرئاسة الروحية للبابا كيرلس السادس، وكان الرئيس «عبد الناصر» كعادته بعيد النظر في ذلك، فقد أدرك أن توثيق الروابط بين مصر وأثيوبيا يضمن حماية الأمن القومي المصري، لأن هضبة الحبشة تأتي منها نسبة حوالي ٨٥٪ من المياه التي تصل مصر، وفي عهده لم تقع حادثةٍ واحدةٍ طائفيةٍ بين المسلمين والمسيحيين، ولم تنتشر دعاوى تكفير الآخر ومعاداته، لذا فقد كان «عبد الناصر» أقرب حكام مصر فهمًا للدين، لتمسكه بتطبيق العدالة والمساواة أما «مرسى،

وجماعته»، فقد قاموا بأعمال العنف والتعدي على الأقباط بالقتل والتشريد واقتحام الكنائس وسرقة محتوياتها والمنازل، وَحَرْقٍ للمحال التجارية، واختطافٍ للأطفال، والرجال، والنساء، وابتزازِ ذويهم، وقد ظهر هذا العنف تجاه الأقباط منذ ٣٠ يونيو، وحتى أغسطس ٢٠١٣، بعد تخليص (دلجا، وكرداسة) من أيدي الإرهابيين من (جماعة الإخوان، والسلفية المتشددة) فقد تعرض الأقباط لـــــ ٢١٢ حادثًا بين تعدى بالقتل والهجوم على الكنائس، وحرقِ منازلٍ ومحالٍ وتهجيرٍ من القرى، وبياناتهم كالتالي:

- ١٥ قبطيًا قُتلوا منذ عزل «مرسى» حتى حادث الوراق الأخير.

- ٦ قُتلوا في أول أسبوع عزل «مرسى» بينهم كاهن العريش.

- ٥ أقباط قُتلوا منذ فض اعتصام رابعة.

- ٤ قتلى في حادث كنيسة العذراء بالوراق أمس بينهم طفلة ٨ سنوات، واسمها (مريم).

- تشريد أكثر من ١٠٠٠ أسرة ودور أيتام، ومؤسسات قبطية.

- اختطاف ٧ أقباط بمحافظات الصعيد.

- الاعتداء على ٧٣ كنيسة منهم ٣٨ كنيسة تم سلب ونهب محتوياتها وحرقها بالكامل ١٦ منهم في المنيا، أبرزهم كنيسة السيدة العذراء: والأنبا إبرام للأقباط الأرثوذكس، ومقر إقامة الأسقف وحضانة أطفال، و٣ في سوهاج، و٥ في الفيوم، و٤ في السويس، و٧ في أسيوط، وكنيستين بالجيزة، وكنيسة بالعريش.

- ٢٣ كنيسة تم الاعتداء عليها جزئيًا بإلقاء الحجارة والمولوتوف، وإطلاق الأعيرة النارية.

- الاعتداء على ٥٨ منزلاً، وتهجير بعض أصحابها إلى خارج المدن.

- التعدي على ٨٥ محلاً تُجَارِيًّا بمختلف المحافظات.

- مهاجمة ١٦ صيدلية مملوكة للأقباط.

- التعدي على ٦ مدارس للأقباط منذ فض اعتصام رابعة.

- التعدي على ٣ فنادق، و٧٥ أتوبيسًا، وسيارة مملوكين للكنائس والأقباط، تم حرق ٦ منها بالكامل.

- الهجوم على كنيسة مارجرجس للأقباط الكاثوليك، بقرية دلجا بالمنيا مساء الأربعاء ٣ يوليو.

- وفاة قبطي في ٤ يوليو بعد الهجوم على نحو ٣٠ منزلاً، ومحالا تجارية مملوكة للأقباط وحرق بعضها.

- في ٤ يوليو قُتل ٤ أقباط في الهجوم على نحو ٢٣ منزلاً بقرية (الضبعية بالأقصر) وترك أكثر مسيحيِّ القرية بيوتهم.

- قتل (القس مينا عبود شاروبيم)، برصاص إرهابيين أمام كنيسة العريش.

- سقوط ٥ قتلى في أحداث كنيسة مارجرجس باكوس بالإسكندرية، وقرية دلجا بالمنيا[1].

ومن هنا سأترك الحكم للقارئ لِيُدْلِي بدلوه، وليقرر، مَنْ مِنَ الرئيسين يُطْلَقُ عليه الصالح، ومن منهم يُطْلَقُ عليه الطالح؟

(١) .شبكة الإنترنت.

الْمَبْحَثُ الثَّاني
وَطَنِيَّةُ الْإِخْوَانِ، وَوَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ

الوطن والوطنية والمواطنة، لا يحسها إلا من جَرَّبَ الْغُرْبَةَ، وعاش فترةً بعيدًا عن الأوطان، لذا تجد الأكثرية من ابشر ممن اغتربوا عن مصر، عند النزول من سُلَّم الطائرةِ يسجدون على أرض المطار شكرًا لله، وهذا الإحساس الجارف لا يتأتي إلاَ بعد الغربة، وهذا الإحساس أيضًا يأتي لأُنَاسٍ لا يتركون أوطانهم وهم رِجَالُ الجيشِ، لأنهم يجبون تراب هذا الوطن حُبًّا جَمًّا، فضحوا بدمائهم ليعيش سالمًا من أيِّ دنسٍ يدنسُ رمالهُ وأمنهُ وحدودهُ) فالوطن يمثل للإنسان مسكنه، ومحل إقامته، ففيه المولد والمنشأ والديار التي ينتسب إليها: ومن أجله تُبْذَلُ الدماء، والأرواح، والأولاد، والأموال، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} [النساء:٦٦] أي: لو أصبح أمر التكليف على الناس، نحو الأمر بالقتل، والخروج من الأوطان، فجعل الخروج من الأوطان، كقتل النفس.

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} [البقرة:٢٤٣] قال الإمام «محمد عبده»: إن الخروج من الوطن بمعنى التفريط في استقلاله، موت، بينما الحفاظ على استقلال الوطن حياة وإحياء)[١].

ولما كان رسول الله ﷺ يتحنث في غار حراء ونزل عليه أول ما نزل من القرآن، فخاف أن يكون قد نزل به مس، فحكى لزوجته «خديجة بنت خويلد»، فذهبت إلى عمها «ورقة بن نوفل»، ولما سمع منه قال: (يا ليتني أكون حَيًّا حين يخرجك قومك،

(١) مجلة الأزهر –ربيع الآخر ١٤٣٥هـ –فبراير ٢٠١٤م –الجزء (٤) السنة (٨٧) ص: (٦٨٧).

يعني: حتى أخرج معك وأنصرك؟ فعندما قال رسول اللهﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»؟ قال السهيلي: وإنما قال ذلك، لأن فراق الوطن شديد على النفوس)، وعندما اشتد الأذى برسول اللهﷺ، وصحابته الكرام، من كفار قريش، أُمِرَ بالهجرة، وعندما خرج مُهاجراً بكى لفراق وطنه حتى ابتلت لحيته من فرط بكائه على موطنه قائلاً: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أرض اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، ولَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[1].

ولأن حب مكة ظل في فؤادهِ حُبًّا جَارِفًا، وحنينه إليها حنينًا دافئًا، فقد كان يدعوا ربه وهو بالمدينة أن يحبب إليه المدينة، كحبه لمكة، وظل هذا الحب لوطنه يملأ قلبه وجوانحه، حتى عاد إلى مكة فَاتِحًا، وَحَانِيًا على مواطنيه الذين عذبوه، وأخرجوه، وجاروا عليه وظلموه، وبعد أن عاد إلى مَكَّةَ، وأمسك «سعد» راية الإسلام، وقال اليوم، يوم الملحمة، فقال رسول اللهﷺ: بل اليوم، يوم المرحمة، ثم نزع الراية منه، ثم بكى، وقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: بلى، أَخٌ كَرِيمٌ، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وعندما أرسل إليه أبو سفيان، وكان رسول اللهﷺ وقتها بالمدينة، عن جُوعٍ أصاب أهل مكة، بكى رسول الله ﷺ حتى ابتلت لحيته حُزْنًا على أهله، وأرسل إليه ١٢٠٠٠ دِرْهَم، مُسَاعَدَةً مِنْهُ لأهلهِ وعشيرته، إذن هل ابن آدم هو الذي يَحِنُّ لموطنه فقط؟ لا واللَّه، بلِ كل شيءٍ في الوجود يَحِنُّ لموطنه، فالأشجار، عندما تخرج من بيئتها، لتزرع في بيئةٍ أخرى، تَظَلُّ وكأن بها عِلَّةً، أي: مرض إلى أن تَتَعَوَّدَ على البيئة الأخرى، وهناك أنواع من الأشجار يَجِفُّ عودها، وتسقط أوراقها حنينًا لأوطانها، وكذلك الحيوان، فإذا اشترى التاجر، أو الفلاح بعض الحيوانات ووضعها في الحظيرة، استغرب المكان، وامتنع عن الطعام حتى ينهكه ذلك، ثم يعود ليأكل

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، عن عبد الله بن عدى بن الحمراء -رضي الله عنه-، وجاء في المشكاة برقم: (٢٧٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٠٨٩).

طعامه، بعد أن يألف المكان، ويتعود عليه، وبما أني قد عشت في القرية أعوام، فقد كانت المواصلات للقرى القريبة هي «الحمار»، فإذا سها صاحب الحمار وتركه في مكان ما بعيدًا عن المكان الذي اعتاده، أو تربى فيه، يفك نفسه بطريقة ما، ثم يعود لمكانه، بلا قائد، أو دليل، وأما إذا ترك صاحب الحصان حصانه يمشي وحده دون أن يُوَجِّهَهُ بلجامه، فإنه يلتزم الطريق مهما اشتدت عليه ظُلمة الليل، وهو يرى، ولو كان الطريق غير واضح، فيحس بإختلاف درجة الحرارة فى الطريق بعينين تتأثران قليلاً بالأشعة تحت الحمراء، فإذا اختلف صاحب الحصان عن مكان عودته، وتركه باختياره، أعاده الحصان إلى مَا يُريدُ صاحبه أما عن الحشرات، كالنمل، فقد قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٧-١٩]، فتدل هذه الأيات على تمسك النمل بموطنه، حتى لو داهمته أقدام سليمان وجنوده، لتصف موكب سليمان المهيب وحوله جنده من الجن، والإنس، والطير، وعند اقترابه من وادي النمل، فإذا بنملة تحمل هموم شعبها، فتنبؤهم بالخطر الذي سوف يهدد أفراد قومها، نتيجة وطء أقدام سليمان وجنده، فانبرت مُخَاطِبَةً أفراد قومها، مُحَفِّزَةً رَعيَّتَهَا للتحصن في مساكنهم حتي ولو داهمهم سليمان وجنوده غير مُبَالِينَ بما يُصيبهم إلا أنها رغبتهم فى عدم ترك مساكنهم وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على أنها متمسكةً بمسكنها، وموطنها، وآثرت أن تدخل فيه ولا تتركه حرصًا على مكانها وتَحَصُّنِهَا فيه، أما النحل، فقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٦٨-٦٩]، فالنحل يتخذ من الجبال، ومن الشجر مسكنًا وملاذًا له، ولمستقره، فإذا تسلل إليه لِصًّا، وأراد أن يسطوا عليه دافع عن موطنه دفاعًا مستميتًا بالالتفاف حوله، ووخزعه حتى يترك المكان فَارًّا من الهجوم الشرس الذي يلاقيه، فإذا طُمست خليتها، فإنها تجدها مهما طُمست، والطيور تحب أوكارها، وَتَحِنُّ إليها، ولها غريزة العودة إلى الوطن، فعصفور الهزار يُهَاجِرُ جنوبًا في الخريف، ولكنه يعودُ إلى عشه القديم في الربيع التالي، وفي شهر سبتمبر تطير معظم أسراب الطيور إلى الجنوب وتقطع نحو ألف ميلٍ فوق عرض البحر، ولا تضل طريقها، أما العناكب المائية، فتصنع لنفسها عُشًّا على شكل منطادٍ من خيوط العنكبوت وتعلقه بشيءٍ ما تحت الماء، ثم تُمسك ببراعة فقاعة هواء في شعرٍ تحت جسمها، وتحملها إلى الماء، ثم تُطلقها تحت العش، ثم تكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش لتلد صغارها وتُربيها آمنةً عليها من تيارات الموج، وأما الثعابين المائية والتي تُهاجر عند اكتمال نموها من مختلف البرك والأنهار، فإذا كانت في أوربا، فإنها تقطع آلاف الأميال في المحيط قَاصِدَةَ الأعماق السحيقة جنوبي (برمودا) وهناك تبيض وتموت، أما صغارها والتي لا تملك وسيلة لتعرف أي شيء، فإنها تعود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها، ومن ثَمَّ إلى كل نهرٍ، أو بحيرةٍ صغيرةٍ، فَيُصْبِحُ كل جزءٍ من الماء، آهلاً بثعابين البحر، لتقاوم تلك الثعابين الصغيرة التيارات القوية لِتُغَالِبَ تلك الأمواج على كل شاطئٍ ليدفعها قانونٌ خَفِيّ، وفطرةٌ فَطَرَهَا اللّه عليها إلى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها، إذن، فمن عَلَّمَ هذه المخلوقات حب الأوطان، والتمسك به؟. إنه الله: {أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ} [الملك:١٤]

وَطَنِي أُحِبُّكَ لاَ بَدِيلُ ... أَتُرِيدُ مِنْ قَوْلِي دَلِيلُ
سَيَظَلُّ حُبُّكَ فِي دَمِي ... لاَ لَنْ أَحِيدَ وَلَنْ أَمِيلُ

سَيَظَلُّ ذِكْرُكَ فِي فَمِي وَوَصِيَّتِي فِي كُلِّ جِيلِ
حُبُّ الْوَطَنْ لَيْسَ ادِّعَاءُ حُبُّ الْوَطَنْ عَمَلٌ ثَقِيلُ
وَدَلِيلُ حُبِّي يَا بِلَادِي سَيَشْهَدُ بِهِ الزَّمَنُ الطَّوِيلُ
فَأَنَا أُجَاهِدُ صَابِرًا لأُحَقِّقَ الْهَدَفَ النَّبِيلُ
وَطَنِي يَا مَأْوَى الطُّفُولَةَ عَلَّمْتَنِي الْخُلُقُ الأَصِيلُ
قَسَمًا بِمَنْ فَطَرَ السَّمَاءَ أَلاَ أُفَرِّطُ فِي الْجَمِيلِ
فَأَنَا السِّلَاحُ الْمُنْفَجِرْ فِي وَجْهِ حَاقِدٍ أَوْ عَمِيلِ
وَأَنَا اللَّهِيبُ الْمُشْتَعِلْ لِكُلِّ سَاقِطٍ أَوْ دَخِيلِ
سَأَكُونَ سَيْفًا قَاطِعًا فَأَنَا شُجَاعٌ لاَ ذَلِيلُ
عَهْدٌ عَلَيَّا يَا وَطَنْ نَذْرٌ عَلَيَّا يَا جَلِيلُ
سَأَكُونُ نَاصِحُ مُؤْتَمَنْ لِكِلِّ مَنْ عَشَقَ الرَّحِيلُ

وبعد هذه المقدمة الطويلة يسألُ سائل، ما وطنية الإخوان؟

فعند الإجابة على هذا السؤال لابد لنا أَنْ نذكر أَنَّ الحيوانات، والهوام عندهم من الوطنية، والاحتفاظ بالأرض والدفاع عنها ما لا يوجد عند بعض البشر.

● فَوَطَنِيَّةُ الْإِخْوَانِ:

خِيَانَةٌ لِمِصْرَ، وأرضهَا، وشعبهَا، وحدودهَا، وإليك عزيزي القارئ الدليل، بالأقوال، والأفعال أما الدليل بالأقوال، فهو، كما قال «سيد قطب»: (ما الوطن إلّا حفنةً من ترابٍ عفنٍ).

وقال الأستاذ «حسن الهضيبى» المرشد الثاني (لجماعة الإخوان) في إحدى المناسبات: (نحن معشر الإخوان المسلمين، لا نعترف بحدودٍ جغرافيةٍ في الإسلام،

وإن اهتمامنا مُوَجَّهٌ لعزة الإسلام، وسوف نخوض دفاعًا عنه المعركة التي تضم العالم الإسلامي بِرُمَّتِهِ، فعلى سبيل المثال قد لا يكون مهمًا بالنسبة للإسلام أن تبدأ المعركة في القناة، بل أن تبدأ من تونس أولاً، إن لنا خططنا وأهدافنا وقادتنا المستقلين الذين يُكَرِّسُونَ حياتهم لهذا المجال الرحب، وليس ضروريًا أن تستثمر رؤيتهم المحلية في مصر)[1].

وهذا ما يتفق تمامًا مع ما قاله (عبد الناصر)، (لحسن الهضيبى) في مقاومة العدوان الثلاثي، واحتلال مدن القناة سنة ٥٦، ألم يكن لكم وجود في الحرب معنا في مدن القناة، وما موقفكم من ذلك؟ فرد الهضيبي قائلاً: (إن حر بنا ستكون في أرضٍ ثانيةٍ غير هذه الأرض، يعني: إحنا حنشوف بلد تانية نحارب فيها).

وأما ما يُصرح به، بأن تعبئة المسلمين، والمجاهدين العرب للجهاد في فلسطين ضد اليهود، فإن الكتائب التي أرسلها «البنا» إلى فلسطين، لم تذهب إلا (لغزة، وخان يونس)، ولم تدخل إلى العمق الذي كانت الحرب فيه على أشدها، إذا أن الذي قاتل قتالاً حقيقيًا من المتطوعين من كتائب «أحمد حسين» صاحب جمعية مصر القناة، ولكن دعايات الإخوان أعطت لجماعتهم الدور الريادي على غير الحقيقة[2]!

ويقول الأستاذ «على عشماوي»: (فمثلاً حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار، فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جدًا فيها، ثم صدرت من الشيخ (محمد فرغلي» الأوامر بعدم الدخول في معارك بحجة أن هناك مؤامرة لتصفية المجاهدين، ولكن هذا كان مبرره في الأساس لحماية اليهود من إحدى القوى الخطيرة إذا استعملت، وتم تنفيذ الأوامر وظل (الإخوان) في معسكرهم لا يُحاربون إلى أن عادوا من فلسطين، وكان (شباب الإخوان) وقتها في غاية التوتر والقلق، لعدم اشتراكهم في المعارك، لدرجة أنهم اجتمعوا وقرروا أن «الشيخ فرغلي» قد خان وينبغي تصفيته،

(١) مذكرات. الأستاذ/ على عشماوي -آخر قادة التنظيم الخاص، لجماعة الإخوان -ص: (٦٠)
(٢) أئمة الشر للأستاذ/ ثروت الخرباوي ص: (٢٤٢).

وفعلاً قَرَّروُا ذلك، لولا أن الخبر قد وصل إليه، فاجتمع بهم وشرح لهم الأمر، وأطلعهم على الأوامر التي صدرت ـه من القاهرة وأسبابها"[1].

ويقول الأستاذ/ ثروت الخرباوي، نقلاً عن كتاب «مارك كيرتس» والذي يكشف من الوثائق معاملات المخابرات البريطانية مع قادة الإخوان، وعن اجتماعاتٍ متكررةٍ ضمت «حسن الهضيبى»، و«صالح أبو رقيق، ومنير الدلة» مع «تريفور إيفانز» مستشارَ السفارة، وعرضهم عليه في منزل «محمد سالم» بقاء جيش الاحتلال في القناة، مقابل دعم انقلابهم ضد الثورة، والاشتراك في حلف عسكري ضد الشيوعية، (مُحَذِّرِينَ) من أنه لم يرى النور ما دام «عبد الناصر» حَيًّا، لأنه يرفض الأحلاف ويصفها بالاستعمارية، ثم يرصد الكتاب تصريح «الهضيبي» في يوليو ١٩٥٣ لوكالة (الأسوشيتدبرس): (الغرب سيربح إذا حكمنا مصر، سيفهم مبادئنا المعادية للشيوعية، وسيقتنع بمزايا الإخوان)، ولذلك كان طبيعيًا أن يسجل «أنتوني إيدن» وزير خارجية بريطانيا وقتها، في مذاكراته: (الهضيبي كان حريصًا على علاقاتٍ ممتازة معنا، بعكس ناصر)، ونقلاً من مذكرات «حسن البنا»، والدعم الذي تلقاه من الانجليز لتأسيس جماعته حين كان في مدينة الإسماعيلية، والذي كُشف من طبيعة هذا الدعم واستمراره من خلال كتابات «روبرت دريفوس، ومارك كيرتس»، فإن خط سير الجماعة كشف بعد ذلك عن أشياء كثيرة، منها ما كان يحدث من مقاومة مصرية للإنجليز في مدن القناة الأعوام من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٣، حيث كانت أعمال الفدائيين المصريين وقتها تُبهر العالم، وكان المشهد رائعًا، قوافل من الفدائيين تتحرك في سريةٍ تامةٍ لى مدن القناة، لِتُحِيلَ معسكرات الإنجليز هناك جَحِيماً، حيث كان الفدائيون ينبضون بالعاطفة الوطنية الصادقة وهم يسمعون من خلال عملياتهم إلى إقلاق الإنجليز، وَجَعْلِ تواجدهم في المنطقة يكون مستحيلاً، وكانوا يحتاجون إلى تشجيع القوى السياسية لهم، حيث

(١) مذكرات، الأستاذ/ على عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، لجماعة الإخوان –ص: (٨، ٩).

كانت كتائب المجاهد المصري «أحمد حسين» رئيس جمعية مصر الفتاة تقوم بالجهد الأكبر، ويقول (الإخوان) عبر مذاكرتهم الشخصية إنهم كانوا من المجاهدين في القناة ضد الإنجليز، ولكن هل هذا الأمركان حقيقيًا، ولكن المرشد الثاني «حسن الهضيبي» «يُنكر ذلك، وَيَسْخَرُ من الفدائيين هناك، فيقول ساخرًا لمجلة (الجمهور المصري عدد مارس ١٩٥٢): (هل العنف سَيُخرِجُ الإنجليز؟) ثم قال: (قلت لشباب من الإخوان، طلبوا الانضمام للفدائيين ضد الإنجليز: اذهبوا واعكفوا على تلاوة القرآن)[1].

إذن فالقضية عند (جماعة الإخوان)، ليست الحفاظ على أمن الوطن، ولكن القضية عندهم اغتصاب هذا الوطن، لتسليمه إلى أعداء هذا الوطن، أما ما يعرفون حقيقتهم واضحةً، جليةً أمام نَاظِرَيْهِمْ، ويقولون بالرغم مما تواجههم بالوثائق، والحقائق من كل اتجاه: الله أعلم، أي: يُكَذِّبُونَ كل كلام يُقَالُ، بخلاف الواقع الذي يشهد له كل متنطعٍ، يَهْرِفُ بما لا يعرفُ، عَمِيَتْ أعينهم، وَغُلِّفَتْ قلوبهم، وَصمَّتَ آذانهم، وَأُغْلِقَتْ صدورهم عن الحقيقة، فأقول لمن يعرف الحقيقة، أي: (حقيقة جماعة الإخوان) إذا صادفك موقف مثل هذا، وتحاورت مع أَيٍّ منهم وسمعت منهم ما يُشكك في عرضك لحقائقهم، فلا تُولي لهم اهتمامًا، وكأنهم لا يجلسون معك، واستمر في سَرْدِكَ لحقيقتهم، لأن هذا دأبهم، وَدَيْدَنَهُمْ، فإنهم يُكذبون الحقائق، حتى تتوه معالمها، لتستوي بالكذب، وهذا مُنَافٍ لمبادئ الإسلام وعدله، لأن كفة الباطل لا تستوي مع كفة الحق أبدًا، ولأن الوثائق، هي أم الحقائق، فإليك تلك الحقائق بالأفعال على أرض الواقع، لتثبت أن (جماعة الإخوان) هي أصل إثارة الفتن، وَدَسَّ الدسائس، والمكائد، كالمثل القائل: (يِعْمِلِ الْعَمْلَهْ، وَيِلْبِدْ لَكْ فِى الدُّرَهْ، أو زَيَّ الدَّيبْ اللَّى بِيَسْرَحْ بِالْغَنَمْ)، أو (بِيِقْتِلْ الْقِتِيلِ، وَيِمْشِى فِى جَنَازْتُهْ)، وَالْآن سَأسْرِدُ للْقَارِئِ الْعَزِيز بَعْضًا مِنْهَا.

- أحداث محمد محمود (١): تم خلالها اغتيال عشرات الشباب، وتصفية عيون

(١) أئمة الشر، للأستاذ/ ثروت الخرباوي، ص: (٩٦-٩٧).

الكثير منهم في شارع «محمد محمود» بوسط القاهرة والمتفرع من ميدان التحرير باتجاه وزارة الداخلية، وكانت الاشتباكات قد اشتعلت في الثامن عشر من نوفمبر ٢٠١١ إثر اعتداء الشرطة على عدد محدود جدا من أسر الشهداء كانوا متمركزين في وسط الميدان (الصينية)، وهو الأمر الذي أثار العديد من المتظاهرين والنشطاء، خصوصًا بعد نشر مقاطع فيديو وصور للاعتداءات، وشاركت أعداد كثيرة جِدًّا في هذه المظاهرات إلى درجة أن أُطلق عليها الموجة الثانية للثورة، وتعليقًا على ذلك أن ظاهرة تصفية عيون المتظاهرين لم تكن معهودة في المظاهرات قبل ذلك ولكنها ظهرت في تلك الآونة لعدد من ميلشيات جماعة الإخوان الذين تم تدريبهم في غزة من حركة حماس.

- **أحداث مجلس الوزراء**: بدأت بعد أحداث محمد محمود الأولى والتي راح ضحيتها أكثر من ٤٠ متظاهرًا، فبدأت مجموعات من النشطاء في الاعتصام أمام مجلس الوزراء حتى استقال الدكتور «عصام شرف» رئيس مجلس الوزراء، وتم تعيين الدكتور «كمال الجنزوري»، فاستمر الاعتصام احتجاجًا على هذا التعيين، ورغم أن الاعتصام ظل سلميًا لبعض الوقت، إلا أن الاشتباكات اندلعت بين المتظاهرين والشرطة العسكرية، واستخدمت فيها الحجارة والمولوتوف مما أدى إلى حريق «المجمع العلمي»، وقد خلفت الاشتباكات ١٧ قتيلاً، ونحو ١٩١٧ مُصَابًا كما اقتحمت القوات خلال هذه الأحداث ميدان التحرير، وتم خلال هذا الاقتحام سحل الفتاة (المعروفة إعلاميًا بست البنات) وتعريتها في واقعةٍ شهيرةٍ استحوذت على اهتمام الإعلام في الداخل والخارج، وتعليقًا على ذلك أيضًا فأقول: أن (جماعة الإخوان) كانت رافضةً رَفْضًا بَاتًّا لكل من اللواء «عمر سليمان، والدكتور (كمال الجنزوري) حتى أننا قد ذكرنا قبل ذلك وما جاء في «الملاءة الرطبة» أنهم قد هددوا اللواء (عمر سليمان) باغتياله عند توليه السلطة بعد مبارك في فترة مؤقتة، وإما أن يهاجر مصر، وقالت إنه عَدُوُّ الإخوان

الأول.

- أحداث محمد محمود(٢): تكررت الأحداث في العام التالي في نوفمبر ٢٠١٢ حيث حاولت مجموعة من الشباب إحياء ذكرى الأحداث مجدداً، وقد تسببت الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الأمن واستمرت عدة أيام أسفرت عن مقتل الناشط السياسي (جابر صلاح جيكا») وإصابة العشرات من المتظاهرين.

- أحداث مدينة الإنتاج الإعلامي: حشد الشيخ "حازم صلاح أبو إسماعيل"، عددًا كبيرًا من أنصاره، أمام مدينة الإنتاج الإعلامي، وأعلن الاعتصام أمامها بدءًا من يوم الجمعة ٧ ديسمبر ٢٠١٢، وقال إنه أتى للضرب بيدٍ من حديدٍ على إعلام الفتنة الذي يريد إحراق البلاد والدفع بها نحو النفق المظلم، واشترط "أبو إسماعيل" لتعليق اعتصامه، انسحاب متظاهري الاتحادية من محيطه وفض اعتصامهم، وخاطب أنصاره قائلاً: إن الإعلام له دور كبير في هذه اللحظة الراهنة، وزعزعة استقرار البلاد من خلال القتل الممنهج والحرائق المتكررة في المباني، والمؤسسات العامة والخاصة، وكان ١٦ حزبًا، وحركةً إسلامية قد دعوا جموع الشعب المصري للاحتشاد أمام البوابة رقم ٤ بمدينة الإنتاج الإعلامي، وقالوا في بيانٍ لهم، إن ذلك يأتي، نظرًا لتصاعد الأحداث لإجهاض الثورة المصرية التي قامت في ٢٥ يناير، وقد تعرض بعض الإعلاميين لأعمال العنف أثناء دخولهم مدينة الإنتاج الإعلامي؛ مثل الكاتب الصحفي "خالد صلاح" رئيس تحرير (اليوم السابع) والمخرج "خالد يوسف" واضطر الكثير من الإعلاميين للدخول من الأبواب الخلفية لمدينة الإنتاج الإعلامي فرارًا من المتظاهرين أمام أبواب المدينة، وتعليقًا على ذلك أيضًا، أنه قد ظهرت الأنياب الزرقاء "لأبو إسماعيل" وَتَحَوَّلَ الداعية الإسلامي من الداع إلى الرقائقِ، ونشر الخير والسلام، إلى الداعِ إلى الإرهاب والتطرفِ، حَالُه، كَحَالِ "صَفوت حجازي، ومحمد عبد المقصود"، وقد قام "جمال صابر، وولدية" بقتل بعض متظاهري شبرا، والذي

كان يتولى الدعاية الانتخابية "لأبو إسماعيل" لو كان قد دخل لانتخابات الرئاسية، ويحاكم الآن "جمال صابر وولديه" بتهمة قتل بعض متظاهري شبرا.

- **أحداث مسجد القائد إبراهيم:** شهدت ساحة مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية في الرابع عشر من ديسمبر ٢٠١٢ مواجهة بين معارضي الرئيس وعدد من المؤيدين، أسفرت عن إصابة عشرات المتظاهرين، واحتراق ٣ سيارات، وفيما قام عدد من المتظاهرين بقطع طريق الكورنيش، بعدما تبادل الطرفان بالرشق بالحجارة، حتى تدخلت قوات الأمن المركزي بالقنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين، كان الآلاف قد خرجوا للتظاهر في ساحة مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، اعتراضًا على مسودة الدستور، وإصدار رئيس الجمهورية على إجراء الاستفتاء على الدستور في موعده، وردد المتظاهرون العديد من الهتافات الرافضة للدستور، ولجماعة الإخوان، والمرشد، والرئيس «محمد مرسى»، وساهمت خطبة الشيخ «أحمد المحلاوي» إمام مسجد القائد إبراهيم في اشتعال الأحداث، وعقب الصلاة، حدثت مناوشات لفظية بين المؤيدين والمعارضين، تلاها تراشق بالحجارة، وقام عدد من المتظاهرين بمحاصرة مسجد القائد إبراهيم لمحاولة التعدي على الشيخ «أحمد المحلاوي» ومنعه من إلقاء كلمة للمصلين بعد الخطبة، وطرد المؤيدين «لمرسى» في ساحة المسجد، وتطورت الأمور بعدما قام مؤيدو قرارات الرئيس بخطف ٥ أشخاص من المتظاهرين المعارضين[1].

- **موقعة الجمل، والتي حدثت يومي ٢،٣ فبراير ٢٠١١م:**

أودعت محكمة جنايات القاهرة، حيثيات حكمها ببراءة ٢٤ من رموز الحزب الوطني المنحل، وعدد من رجال لأعمال، والمتهمين في قضية قتل المتظاهرين يومي٢، ٣ فبراير ١١٠٢ بميدان التحرير، والمعروفة إعلاميًا بإسم "موقعة الجمل"

(١) التقرير الاستراتيجي العربي -٢٠١١-٢٠١٢ -ص: (٤٧٥-٤٧٦).

ومنهم الدكتور "فتحي سرور" رئيس مجلس الشعب السابق، و"صفوت الشريف" رئيس مجلس الشورى السابق، و"عائشة عبد الهادي" وزيرة القوى العاملة السابقة، والمحامي "مرتضى منصور" ورجل الأعمال محمد أبو العينين، و"رجب حميدة" عضو مجلس الشعب السابق.

وقالت المحكمة برئاسة المستشار "مصطفى حسن عبد الله"، في حيثيات حكمها، التي جاءت في ٦٠ صفحة، إنها لا تطمئن إلى صحة الاتهام المسند إلى المتهمين، وإن أوراق القضية خلت من أيِّ دليلٍ يقينيٍّ وجازمٍ على ما نُسب إليهم من اتهامٍ بالتحريض على ارتكاب الجريمة، أو الاتفاق، أو المساعدة على ذلك.

وأضافت المحكمة أن أوراق القضية تفتقر إلى الأدلة، وأقوال شهود الإثبات لا يوجد بها أي دليل يقيني يؤيدها وتطمئن المحكمة إليه، الأمر الذي يجعلها محل ريب وشكوكٍ ولا تطمئن إليه المحكمة، وأن الشهادات جاءت سمعية، وظنية، واستنتاجيه، وجاءت اعترافات المتهمين الذين ضُبِطُوا نتيجة الإكراه الواقع عليهم بالتعدى بالضرب وإحتجازهم بمعرفة المتظاهرين فى أماكن عدة داخل ميدان التحرير حسبما شهد بعض شهود الإثبات، إضافة إلى عدم اطمئنان المحكمة إلى بعض شهود الإثبات حيث جاءت مشوبة بالكيدية والتلفيق لخلافات سابقة سياسية، وحزبية، ونقابية بين الشهود والمتهمين.

وجاء بشهادة اللواء "حسن الرويني" أن المهمة الأساسية لوحدات القوات المسلحة بميدان التحرير اعتبارًا من ٢٨ يناير وحتى صباح ٣ فبراير ٢٠١١ كانت تأمين الأهداف الحيوية والمنشآت الموجودة بمحيط ميدان الحرير، وأنه كان متواجدًا بالميدان أيام ١ و٢ و٣ فبراير من عام الثورة، وشاهد على شاشة مركز القيادة وجود أفراد أعلى العقارات الموجودة أمام المتحف المصري بالميدان، وأحدهم مُلتح ويرتدي جلبابًا ويعتقد أنه من (جماعة الإخوان) وأنه التقى يوم ٣ فبراير بالدكتور

"محمد البلتاجي" بالميدان، وطلب منه إنزال الأشخاص الموجودين أعلى العقارات وإلا سيستخدم القوة معهم، وتم إنزالهم، وتعهد له بتأمين المتظاهرين داخل الميدان، ولم يحدث أَيّ تَعَدٍّ على لمتظاهرين الميدان اعتبارًا من ٣ فبراير، وحتى ١١ من ذات الشهر، تاريخ تخلى الرئيس الأسبق عن الحكم، وأشارت المحكمة إلى أن أوراق القضية خلت من أي دليلٍ قوليٍّ، أو فنيٍّ

على حدوث أي اتصالاتٍ هاتفيةٍ بين المتهمين تؤيد ما تضمنه أمر الإحالة بالتهمة الأولى المسندة إليهم بتلاقي واتفاق إرادتهم من خلال الاتصالات الهاتفية التي جرت بينهم على إرهاب وإيذاء المتظاهرين السلميين بميدان التحرير، كما ثبت بشهادة الدكتور "صفوت حجازي"، والدكتور طارق زيدان "أن المتظاهرين بميدان التحرير كانوا يعتدون بالضرب على من يتم ضبطهم من مؤيدي النظام السابق، وكانت محكمة جنايات القاهرة قد قضت في ١٠ أكتوبر ٢٠١٣، برئاسة المستشار "مصطفى حسن عبد الله"، وعضوية المستشرين "أنور رضوان، وأحمد الدهشان" ببراءة جميع المتهمين في قضية الاعتداء على المتظاهرين يومي ٢، ٣ فبراير ٢٠١١ بميدان التحرير، والتي عُرفت إعلاميًا (بموقعة الجمل)"[1].

ثم يأتي الأستاذ "أمير سالم" في خاتمة كتابه الدولة البوليسية في مصر: (في يوم السبت ٢ يونيو ٢٠١٢) وأمام محكمة الجنايات صدر الحكم المشؤوم الذي يمثل زلزالاً في عرش العدالة والقضاء، ببراءة كل قيادات وزارة الداخلية مساعدي العادلي وزير الداخلية من جرائم قتل شهداء الثورة والمصابين جملةً وتفصيلاً وسبقتها أحكام متتالية ببراءة كل ضباط الشرطة وأمناء الشرطة والجنود على مستوى كافة أقسام الشرطة في أنحاء جمهورية مصر العربية، وذلك كله تأكيدًا لاستمرار نظام وحكم

(1) http: / /www.oc.mas /yaclyum.com /news /detocils /261605

الدولة البوليسية في مصر)[1].

ولم يكلف نفسه البحث عن الطرف الثالث، ولم يكلف نفسه أيضًا الاعتذار بعدما علم الطرف الثالث المتورط في تلك القضية وهم (جماعة الإخوان)، والدليل: هو في تسجيل مصور للدكتور "أسامة ياسين" أذاعته قناة (الجزيرة) اعترف فيه تفضيليًا بأن قيادات مكتب الإرشاد كانت تتابع معه الموقف لحظةً بلحظةٍ وتبلغه بكل المعلومات عن تحركات أنصار (الوطني) كَاشِفاً أنه قاد مجموعات من الثوار (وشباب جماعة الإخوان) لإلقاء القبض على بلطجية (الوطني) المتواجدين على أسطح العمارات واحتلال مواقعهم، وقد كللت جهودهم بالنجاح، وأثناء التحقيق معه أمام نيابة شرف القاهرة، بشأن أحداث (موقعة الجمل) قال "ياسين": (الحزب الوطني خطط، والإخوان نفذوها) لاَفِتًا إلى أنه في المقابل تعهد قيادات (الوطني) بالإفراج عن بعض قياداتهم في المتعقلات والتزم بإجراء انتخابات برلمانية تكون للإخوان الأغلبية فيها من أجل القضاء على ثورة ٢٥ يناير، وبينما تؤكد هذه الاعترافات أن (الإخوان) كانوا يسطيرون على مجريات الأحداث يوم (موقعة الجمل)، نشير إلى أنه حتى الحادية عشرة من مساء الثاني من فبراير لم تسفر المواجهات بين ثوار (التحرير) وأنصار (الوطني) إلا عن وقوع عشرات الإصابات نتيجة تبادل القذف بالطوب والرخام، إلا أن الموقف تغير تمامًا بعد سيطرة (مجموعات الإخوان) على أسطح العمارات، حيث بدأت عمليات القنص، وسقوط عدد من شهداء الثورة على أيديهم، وجاءت شهادة اللواء "حسن الرويني" عضو المجلس العسكري السابق في القضية، لتؤكد ذلك، حيث قال لـــ "البلتاجي" خلال لقاء جمعهما في الميدان: ("يا بلتاجي" نزل رجالتك بدل ما نضربهم) مُؤَكِّدًا أن (الإخوان) اعتلوا أسطح المنازل وقاموا بضرب المتظاهرين، فيما قدم اللواء "عمر سليمان" رئيس المخابرات السابق، تقريرًا إلى

(١) الدولة البوليسية في مصر، الثورة والثورة المضادة، للأستاذ/ أمير سالم. ص: (٤٣٧).

الرئيس المخلوع "حسنى مبارك" أكد فيه أن عناصر من (حركة حماس) اخترقت مصر، واشتركت مع (الإخوان) في قتل المتظاهرين يوم (موقعة الجمل) لاَفِتًا إلى أن (الإخوان) استخدموا نَوْعًا غريبًا من الذخائر غير موجود في مصر، وأن هذه الأسلحة تم تهريبها لهم من سيناء عن طريق كتائب (القسام) التي تدعمها حماس، مشددا على أن الشرطة المصرية لا تملك هذه الذخائر، وأنها بريئة من قنص المتظاهرين، والمستندات التي تؤكد تورط (الإخوان) في قتل المتظاهرين يوم موقعة الجمل كثيرة ومنها أن أجهزة سيادية رصدت شبكة اتصالات لاسلكية حديثة مثبتة داخل إحدى شركات السياحة المتواجدة في (ميدان التحرير)، وبالرصد تبين أنها تتبع (الجماعة) ويرأس مجلس إداراتها أحد أكبر قياد تها، المدعو "أحمد.ج" ومن خلال تلك الشركة تمكنت الجماعة من تثبيت شبكة اتصالات لاسلكية داخل مقرها قبل ثورة ٢٥ يناير بأربعة أيام ليكون مقر الشركة بمثابة غرفة عمليات لإدارة الأحد ث من خلالها(١).

- أحداث بورسعيد: وقعت في الذكرى الأولى لموقعة الجمل في الثاني من فبراير ٢٠١٢ في مباراة كرة القدم بين فريقى المصرى والأهلى فى استاد بورسعيد الرياضى حيث تم الإعتداء على مشجعى النادى الأهلى عقب المباراة، وأسفرت الأحداث عن مقتل ٧٣ من جماهير النادي الأهلي (الأولتراس)، وقد اعتبر البعض أن هذه الأحداث عقابًا للأولتراس لمشاركتهم في أحداث (محمد محمود، ومجلس الوزراء) التي كانت بصمتهم فيها لا تخفي على أحد، وقد تسببت هذه الأحداث في العديد من أحداث العنف الأخرى أبرزها ما حدث في بورسعيد عقب الحكم على بعض المتهمين في القضية بعد سنة تقريباً بالإعدام على ٢٢ متهمًا، وهو الأمر الذي تسبب في مقتل أكثر من ٥٠ مواطنًا في صدامهم مع قوات الأمن التي قتل وأصيب

(١) مجلة الإذاعة والتليفزيون السبت ١ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ -١فبراير ٢٠١٤م -السنة (٧٩) -العدد (٤١١٦) ص: (٢٤).

بعض رجالها في الأحداث أيضًا، كما تم حرق مباني الشرطة، كمبنى الأمن الوطني، ومبنى المحافظة، وقد تصاعدت الأحداث بعد الحكم النهائي بالإعدام لمن سبق إحالة أوراقهم للمفتى، والحكم بالسجن المؤبد للبعض، والمشدد للبعض الآخر، وسنة لمتهم واحد، والبراءة ل ٢٨ متهمًا(١).

– وقد تم تأجيل تنفيذ الأحكام على المتهمين لظهور أدلةٍ جديدةٍ للقضية، بشهادة الدكتور "أسامة ياسين" وزير الشباب السابق، بأن وراء هذه الحادثة، والمحرضون عليها، المهندسي "خيرت الشاطر، والدكتور أكرم الشاعر، والدكتور محمد البلتاجي، والدكتور صفوت حجازي"، وكان السبب وراء هذا التحريض إثارة الفتنة، وإشاعة الفوضى في البلاد، ومن ناحيةٍ أخرى قد تقدم الكاتب الصحفي والناشط السياسي "حسام السويفي" ببلاغ إلى النائب العام المستشار "طلعت عبد الله" اتهم فيه "الشاطر، والشاعر، وحجازي" بالتورط في التحريض على ارتكاب مجزرة ستاد بورسعيد، والتي وقعت في أول فبراير ٢٠١٣، وأرفق "السويفي" مع بلاغه رسالة خطية من الشاب الإخواني "سعيد عبد السلام محمود قنديل" الذي كان يعمل لدى "خيرت الشاطر" ومن ضمن طاقم حراسته الخاصة

إلى شقيقته "سوسن" وكشف فيها تفاصيل تورط قيادات الإخوان وحجازي في مجزرة الإستاد، وفيما يلى نص الرسالة :بسم الله الرحمن الرحيم:

(أختي سوسن: أنا بخير يا أختي وعاوزك تطمئني عَلَيَّ وتخلي بالك من أمك، وأخواتك... والله ياأختى أنا مظلوم ومنهم لله "محمد البلتاجي، وصفوت حجازي" هما اللي قتلوا بتوع بورسعيد، وظباط أمن مركزي خدوا ٨ مليون جنية من " المهندس الشاطر"، ولبسوا العساكر فانلات كورة، "وأكرم الشاعر، وابنه، وقزيبهم الظابط" هما

(١) التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠١١-٢٠١٢، ص: (٤٧٥).

اللى ظَبّطُو كل حاجة، والله يا أختي أنا (كلمة غير مفهومة) ناحية الفلوس خالص (كلمتان غير مفهومتان) أخوكي كويس، ومنه لله "صفوت حجازي" هو اللي ظلمني وربنا يا أختي هيظهر الحق قريب خالص، ولو جرالى أي حاجة عاوزك تروحى المديرية وتاخدي معاك ولاد عمك "محيى، وجمال" وتبلغي عن كل حاجة، وأنا بحاول أشوف طريقه علشان أهرب، وعاوزكو تدعولي ومش (كلمة غير مفهومة) على أمك واخواتك)

في هذا السياق قال السويفي: إن هذا الشاب البالغ من العمر ٣٦ عاما، كان متواجدًا أثناء الاجتماع الرباعي بين "محمد البلتاجي، وصفوت حجازي، وأكرم الشاعر "بمقر (جماعة الإخوان، قبل حدوث المجزرة بيومين فقط، والذي تم فيه تسليم الشاعر لمبلغ ٨ مليون جنية كاش، لتوصيلهم إلى بعض القيادات الأمنية ببورسعيد، أي: "الأمن المركزي بالتحديد، وأحد كبار ضباط البحث الجنائي بمديرية أمن بورسعيد" وتلقينهم التعليمات النهائية لتنفيذ خطة المجزرة، وهذا الشاب أيضا كان من ضمن ٣ آخرين من شباب الجماعة ممن قاموا بعملية (عد النقود) بو سطة ماكينات العد الأوتوماتيكية، والتي تمتلك الجماعة ٤ ماكينات منها بمقرهم الرئيسي بالمقطم، وكان مكلفا (برص رزم النقود بداخل الشنطة) وفي فجر يوم ٣ فبراير ٢٠١٢ فوجئت شقيقته الكبرى "سوسن" بعدد كبير من "بلطجية الشاطر" وهم يقتحمون منزلهم الكائن "بمنطقة منشية ناصر، ويلقون القبض على شقيقها الأصغر "سعيد" ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن الشاب مُختفيا، ولا أحد يعرف مكانه سوى أحد أصدقاءه من شباب الجماعة، وكشف البلاغ عن عدة وقائع من بينها:

أولا: الشاب المختطف المدعو: سعيد عبد السلام محمود قنديل -٣٦ عاما، وعضو "بجماعة الإخوان"، ويعمل لدى الشاطر منذ عام ١٩٨٨.

ثانيا: الشاب مصدر الوثيقة، والصديق الصدوق للمدعو (سعيد).. حاصل على مؤهل متوسط، وكان عضو "بجماعة الإخوان" وتركها منذ سنوات، ويقطن في إحدى المراكز القريبة من القاهرة، وكان يقيم بصفة دائمة لدى صديقه "سعيد" بمنشية ناصر، وقد حكي لنا عن ظروف وأسباب اختفاء صديقة وقال: الدكتور "صفوت حجازي" نقل كَذِبًا إلى "الشاطر" بأن سعيد قام بإختلاس ١٠٠ ألف جنية أثناء عملية العد، وقال له بأن الدكتور "أكرم" قد أبلغة بذلك فور وصوله إلى بورسعيد، وادعى أيضا للشاطر، بأنه قام بمعاتبته، وتوجيه اللوم له، لقيامه بسرقة النقود وقال للشاطر بالحرف الواحد: الواد ده أصبح خطر علينا جميعًا، لقد قام بتهديدى بفضح خطة المجزرة في حالة إبلاغك بأمر السرقة، وادعى أيضا بأن سعيد صرخ في وجهه وقال: اللي هيقطع عيشي هقطع رقبته[1].

أما الأمر الثاني، فهو ملف التخابر، أو التجسس:

فالتخابر، أو التجسس، أو التنصت لصالح بلادٍ أجنبيةٍ، المراد منه: أَنْ يَفِتَّ عَضُدَ المجتمع المصريِّ أي: يفتتهُ، ويفرقهُ، فهل هذا الكلامُ يجوزُ عند حاكمٍ يَدَّعِي أعوانهُ، ومُريديه، بأنهُ حاكمٌ إسلاميٌّ؟ فإذا أجاب الرجلُ المنصفُ، وقال: ما أراه على أرض الواقع، أن نعم، يقول لك: من أين أتيت بذلك؟ فإذا أتيت له بالمصدر، يُكذبك، ويكذب كل شيءٍ، إلا نفسه، ولذلك عندما التقيت ببعض أصحاب اللحى، وتذاكرنا ما يحدث على أرض الواقع، فخرج منى، أن "مرسى" نجح في الانتخابات الرئاسية بالتزوير، وعددت له الحقيقة، ألا وهي: التزوير في المطابع الأميرية، وهم أساتذة في ذلك، وقد تعلموها من "الحزب الوطني"، بل فاقوهم في هذا المجال -٢- عدم السماح للأقباط في المنيا، بالإدلاء بأصواتهم، وإرهابهم وإرعابهم-٣- شراء أصوات الفقراء بالزيت، والسكر، والبطاطس-٤- مشروع النهضة، والمسمى إعلاميا الآن، بالفنكوش-٥- الاعتراف المعلن في القنوات الفضائية، والصحف العالمية، والمحلية،

(١) شبكة الإنترنت.

وذكرت له: أن صحيفة "معاريف الإسرائيلية" قد ذكرت، بأن مرسى نجح في الانتخابات الرئاسية، بنسبة ٤٠٪، فقال لى بالحرف الواحد: يا فلان انت بتصدق صحيفة إسرائيلية، فعند ذلك الحد، وجدت أنه مُغَيَّبٌ عن الواقَع تماماً؛ لأنه لم يذكر ذلك وفقط، بل ذكر أن العسكر قاتلون، فذكرت له، بأن "حزب النور" يؤيدون العسكر، لأنهم علموا حقيقة "مرسي وجماعته" عندما تعاملوا معه، وذكرت له "حزب النور" بالذات، لأنه سَلَفِيُّ المنهج، وما عليه إلا أنه اعترض، وخاض في الجميع، وقال: أيعجبك حكم العسكر القاتلون؟ فيا أخي إذا اعتدى عليك، وعلى أسرتك رجل، فماذا تفعل؟ يا أخي إذا أمَّنَكَ الله على مكان ما، مثل سيناء، ورفح، والعريش، وغيرها، وجاءك الإرهابيون يحتلون هذه الأماكن، ويقتلون الأبرياء، وَيَعِيشُونَ في الأرض الفساد، فيهلكون الحرثَ، والزرع، والنسل، فماذا تصنع؟ يا أخي إذا كنت أميناً، أوراعيًا للجيش، والجيش هو حامي الحدود، والأوطان، والأفراد، وطلبت من الشعب تفويضك، بل يأمرك، بمحاربة الإرهاب، فهل تترك الحدود، والأوطان، والأفراد، لأناس ليس لهم هم، إلا الخيانة، وبيع تراب هذا الوطن، وتفتيته، وسفك دمه، أم أنت مُبَرْمَجٌ على أن الْعَسْكَرَهُمُ القتلةُ، وفقط، أقول لك: حَكِّمْ الْعَقْلَ أَوَّلاً. وَكُنْ وَسَطِيَّ الْمَنْهَجِ، لَا تُغَالِي، وَلاتُفَرِّطْ، فإن في المغالاةِ ظلمٌ، وكذلك في التفريط ظُلْمٌ، كما كان معلم البشرية وَسَطِيٌّ في منهجه، فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله عنه- واللفظ للبخاري، أنه قال: جاء ثلاثةُ رهْطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ وقال أحدهم أما أنا أصلى الليل أبدا، وقال الآخر: أصومُ الدَّهْرَ ولا أُفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوجُ أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذا وَكَذَا.. أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَ أَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَ أُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَ أَرْقُدُ، وَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[1].

(١) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس-رضي الله عنه-، وجاء في الإرواء برقم: (١٧٨٢)، ومختصر مسلم برقم: (٧٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٣٣٦)، والرهط، هم مجموعة العدد، من الثلاثة إلى التسعة.

قال تعالى: { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ } (البقرة: ١٤٣).

أما عن ملف التخابر، فهل لهذا الكلام من دليل؟

نقول بحمد الله تعالى، سنأتي بالدليل من جميع الاتجاهات، وهي كالآتي:

الاتجاهُ الأولُ، وهو من عند أنفسهم، كما جاء على لسان الأستاذ "على عشماوي" قَائِلاً: (يُولعُ الإخوانُ دائماً بجمع المعلومات والتجسس على الآخرين، وهم يفخرون دائما أن لديهم جهاز مخابرات قادرٌ على جمع وتحليل المعلومات، فهم يتجسسون على كل شيء، على الأحزاب والهيئات، والحكومات، بل على الأجهزة، وكل فردٍ في موقعه جاسوس لحساب الجماعة، فكل موظف، وكل عامل يُرسل باستمرار وظيفته أو عمله إلى قيادة الجماعة، بل كل ضابط، وكل شرطي يقوم بنفس العمل لحساب قيادته داخل الجماعة، وأن هذا السلوك ينوط بهم منذ نشأتهم، فهم يتجسسون على الشيوعيين، وعلى الوفد، فقد قام (الإخوان) بإدخال كوادرهم إلى التنظيمات الشيوعية فى مصر، وأدخل (أسعد السيد) الذى كان فى مخابرات الإخوان إلى حزب "مصر الفتاة"، وبعد أن وصل إلى أعلى الدرجات هناك وهو الحرس الحديدي، قام بإقناع "أحمد حسين" أنْ يَدْخِلَ الإخوان ليأتيه بأخبارهم، ولما ضُبِطَ مع الأخوان في حادث السيارة الجيب، "تطوع أحمد حسين" للدفاع عنه مُعْتَقِدا أنه ضُبِطَ مع الإخوان خطأ، وقد قام "الإخوان" بجمع المعلومات عن القيادة البريطانية في القناة، ومن الأحداث التي رواها "صلاح شادي" عن علاقته بالضابط الإنجليزي "جود" الذى كان على علاقة بالعملاء من المصريين، وطبعاً كان هدف "صلاح شادي" من القصة أن يعرف أسماء العملاء، فصحبه من الإسماعيلية إلى القاهرة، وكانت معه سيارة يقودها "حسن" أحد ضباط الطيران العراقي الهارب من الحكم العراقي بسبب

ثورة "رشيد عالى الكيلاني"، ولجأ إلى الإخوان في القاهرة، وكلفت بوضعه تحت رعايتي، والاستفادة من إمكاناته، حتى تتهيأ له أسباب العودة)[1].

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: (ومن العمليات التي قاموا بها وهي متابعة تنظيم الضباط الأحرار وجمع المعلومات عنهم وإلحاق بعض الإخوان معهم مثل "عبد المنعم عبد الرؤوف، وأبو المكارم عبد الحي، ومحاولة احتواء أنور السادات" الذى كان همزة وصل بينهم وبين قادة الثورة، ووصل الأمر بالإخوان أنهم تصوروا أنهم يسيطرون سيطرة تامةً على ضباط الحركة حتى وصل الأمر إلى أن المرحوم الأستاذ "الهضيبي" كان يتعامل معهم بعد أن قامت الثورة، على أنهم يأخدوا تعليماتهم من قادة الإرشاد، ورفض "عبد الناصر" ذلك الأمر رفضاً بَاتًّا، وهكذا تبين أنهم يجمعون المعلومات ويقومون باختراق الآخرين، لكنهم في النهاية دائما يفشلون في تحليل المعلومات وتقدير المواقف، وذلك لأنهم يعيشون في خيالاتٍ من عندهم تمنعهم من التقدير الموضوعي للأمور، فقد راقبوا الملك وعرفوا بجميع علاقاته النسائية بالتفصيل وسهراته على موائد القمار، وعرفو جميع أوراقه، حتى النساء اللاتي عرفهن الملك، وراقبوا الوزراء ورجالهم، وعلموا عنهم الكثير، وقد استعملو تلك المعلومات عن الملك حين يختلفون معه ويرغبون في لهجوم عليه، وهكذا يوظفون معلوماتهم عند اللزوم أحياناً، ولقد راقبوا حُكَّامَ الدول اعربية التي عملوا بها، وُفُتِحَتْ لهم أبوابها، كم جمعوا عنهم معلومات؟! وكم استعملوا تلك المعلومات ضدهم أحياناً، أو للسيطرة والحصول على مزايا ومواقع في تلك الدول؟! أنهم يُركزون الأن على الأحزاب الموجودة في الساحة، ويكثفون علميات المراقبة، والاختراق بُغية السيطرة على أكبرِ عددٍ مُمْكِنٍ من الأحزاب الموجودة)[2].

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوي ص: (٧٣).
(٢) المصدر السابق: (٧٢- ٧٣).

وما نحن بعملية زرع كاميرات التنصت في مكتب المحامي العام السابق "طلعت عبد الله" ببعيدٍ، حيث تم زرعها بمعرفته شخصياً، وقام بالإشراف عليها وعلى تنفيذها وزير الشباب السابق "أسامة ياسين" وذلك للبَثِّ المباشِر للاجتماعات التي تَتمُّ في مكتب المحامي العام، وَإِيَصالهاً مُبَاشَرَةً لمكتب الإرشاد لجماعة الإخوان، وقد تناولتها وسائل الإعلام المختلفة في حينها، بعد أن تم اكتشافها، ولأن في التجسس مهلكةٌ للنفس وللغير، فقد نهي الإسلام عنه، حيث قال تعالى: (ولا تجسسوا) (الحجرات: ١٢) أي: لا يتجسس بعضكم على بعض، لأن التجسس غالبا لا يأتي من ورائه إلا كل شَرٍّ، فعن زيد -رضي الله عنه- قال: أُتِيَ ابنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- برجل، فقيل له: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْراً، فقال عبد الله -رضي الله عنه-: إِنَّا نُهِينَا عَنِ التَّجسُّسِ، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَ الظَّنِّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحاَسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَتَدَابَرُا، وَكُونُوا عِباد اللَّه إِخْوانًا)[1].

- **أما الاتجاه الثاني، فهو من عند غيرهم:**

وهو من واقع "عملية الملاءة الرطبة" ملف عملية استخباراتية نفذتها الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A في مصر خلال الفترة من عام ١٩٧٥ حتى عام ٢٠١٣، تحت عنوان "الجماعة الإسلامية" أعدمت ٣ من إخوان أسيوط لتجسسهم لحساب أمريكا، حيث جاء في برقيةٍ، كُتِبَ فيها: (استغاثةِ عاجلةٍ وردت من "محمد حامد أبو النصر" المرشد الرابع لجماعة الإخوان في الفترة من ١٠ سبتمبر ١٩٨٦ حتى وفاته بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٦، والذي وُصِفَ بين سطور البرقية بحليف واشنطن المهم، أبلغ فيها عن تصفية ٣ عناصر سرية من الجماعة عملت لحساب

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣)، ورواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي عن أبي هريرة أيضاً، وجاء في غاية المرام برقم: (٤١٧)، وصحيح الجامع برقم: (٢٦٧٩)

جهاز "C.I.A" بمدينة أسيوط الواقعة في صعيد مصر على أيدي "تنظيم الجماعة الإسلامية المتشددة"، وأن تلك العناصر الإخوانية الثلاثة أُعدمت ميدانياً بدَم بَاردٍ في عملية واحدةٍ وقعت عقب اكتشاف الجماعات السلفية المتطرفة تجسسهم وعملهم لحساب الأجهزة الأمنية المصرية ضد خلايا الجماعة الإسلامية، وجماعة الجهاد الإسلامي في صعيد مصر، حيث أُثبت أن تنظيم الجماعة الإسلامية خطف في البداية الثلاثة عناصر الإخوانية إلى مكان آمن تمهيداً للتحقيق معهم، حيث أجرت مجموعة من "شورى الجماعة الإسلامية" جلساتِ تحقيقٍ دقيقةٍ مع المختطفين الثلاث شاركت فيها بشكلٍ غير مسبوق عناصر متشددة من جماعة " الجهاد الإسلامي " في الصعيد، وأسفرت التحقيقات عن حصول الجماعة الإسلامية على إفادات مفصلة اعترف فيها المختطفون الإخوان الثلاث بالعمل لحساب جهاز مباحث أمن الدولة المصري، وهو المُنافي للحقيقة على حد معلومات الضابط الأمريكي محرر البرقية، الذي أكد أن عملية تصفية العناصر الإخوانية الثلاثة بمدينة أسيوط في شهر يوليو ١٩٨٨ أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الثلاثة عرفوا قبلها حقيقة عملهم من الباطن لحساب وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "C.I.A"، ومع ذلك فَضَّلَ الثلاثة الموت كعملاء غير حقيقيين للجهاز الأمني المصري المتوقع أن ينكر صلته بهم، على أن يقتلوا كجواسيس عملوا في حياتهم لصالح استخبارات الولايات المتحدة في مصر، مما كان سيهدد عائلاتهم بقوة على المدى القريب وَيُقَوِّضُ مصداقية جماعة الإخوان على المدى البعيد، وفي مفاجأة غير مسبوقة كشف ضابط C.I.A في البرقية نفسها أن الجماعات الإسلامية الجهادية التي تمركزت وقتها في صعيد مصر عملت عن طريق الخطأ المهني الجسيم، وغير المقصود بنشاط جواسيس الإخوان الثلاثة في أسيوط، والذي تسبب فيه ضابط استخبارات أمريكي شاب حديث الرتبة والتخرج كُلف بمهمة اتصال عاجلة نجليه تابعة للجماعة الإسلامية المصرية لتحذيرهم من القيام بعمليات

عدائية نوعية ضد المصالح الأمريكية في القاهرة، وفشل الضابط يومها أثناء لقائه مع خلية الجماعة الإسلامية بسبب ضعف لغته العربية، وعدم إلمام من تَقَابَلَ معهم باللغة الإنجليزية لإجراء الحوار وترجمة فقرات كاملة من خطة تكليفه الرسمي، وكشف دون خبرةٍ وعمدٍ منه على هامش اللقاء معلومات استخبارية حقيقية عن وجود تعاون استخباري سري لجماعة الإخوان مع الإدارة الأمريكية، وفي المضمون ذكر هذا الضابط الأمريكي إشارات دقيقة حددت شخصيات عملاء جماعة الإخوان الثلاث المختفين ساعتها وسط التنظيمات الإسلامية المختلفة في منطقة الصعيد، وعندما وصلت المعلومات إلى قيادة الجماعة الإسلامية في إقليم الصعيد قررت مراقبة العناصر الإخوانية الثلاث حيث رُتِّبَ لَهُمْ فَخًّا معلوماتياً أُسقط الثلاثة فيه، فألقت الجماعة القبض عليهم، وعقب اعترافهم بالتجسس حاكمتهم، ثم أعدمتهم مَيْدَانِياً، وعلى هامش معلومات البرقية استبعدت C.I.A الضابط المخطئ، وَسُحِبَ بعدها إلى واشنطن، وتسلمت جماعة الإخوان من إحدى الجماعة الإسلامية في أسيوط جثث جواسيسها الثلاثة وفي التفاصيل طلب محرر البرقية في خاتمة معلوماته وضع خطة استخبارية أمريكية عاجلة لإنقاذ جماعة الإخوان في مصر من انتقام متوقع من الجماعات الإسلامية المتشددة، فجاءت الاستجابة سريعة من الرئيس الأمريكي "رونالد ريحان"، حيث قرر التدخل السريع لحماية "جماعة الإخوان" وأجرى اتصالاً رئاسياً هاتفياً بنظيره "مبارك" مُطالباً إِيَّاهُ بضرورة وقف جميع أشكال العنف ضد جماعة الإخوان وأعضائها، وانطلاقاً من الأهمية الاستراتيجية "لجماعة الإخوان المصرية" في خدمة المصالح الأمريكية في مصر كلف الرئيس "ريجان" "وليام هيدجكوك ويبستر" مدير المباحث الفيدرالية الشهيرة باسم "F.B.I" لاستغلال العلاقات الخاصة والرسمية التي يديرها جهازه من الأجهزة المصرية المختصة لوضع خطة أمنية سريعة هدفت وقتها إلى توفير حماية مناسبة لجماعة الإخوان

أمام الاعتداءات المتوقعة والمحتملة من قبل الجماعة السلفية، وَحَضْرياً قد تُثبت تلك الواقعة عمل جماعة الإخوان المصرية كعملاء، وكجواسيس لصالح أجهزة الاستخبارات الأمريكية، كما تُؤَكِّدُ الواقعة حرص "البيت الأبيض" الدائم على أمن الجماعة في مصر، ولدواعي التأكيد والتوثيق أثبتت البرقية رقم ٧٩٩٧ الصادرة من واشنطن بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٠١ تحت كود رقم ٦٢٧٠ أن جماعة الإخوان المصرية هى من أبلغ الأجهزة الإستخبارتية الأمريكية بملف معلومات تنظيم "الوعد" الإرهابي الذي قُبض عليها في مصر نهاية نوفمبر ٢٠٠١ قبل أن تعلم به السلطات المصرية المحلية المختصة، وعلى ضوء معلومات تلك البرقية ضم تنظيم الوعد ٩٤ متهماً حُكم على ٥١ منهم في القاهرة، بأحكام مختلفة على خلفية اتهامهم بالتخطيط لاغتيال الرئيس الأسبق "حسني مبارك" في منطقة كوبري الجلاء وشيراتون المطار، والتخطيط لاغتيال الدكتور "محمد سيد عطية طنطاوي" شيخ الأزهر)[1].

ومن التجسس، أو التخابر أيضاً نص مكالمات "مرسي" الأربع مع (الظواهرى) والتى رصدتها الأجهزة السيادية فى مصر، وفحواها أن (مرسى) يتعهد في أول مكالمة له بفتح الأبواب أمام "الجهاديين"، والإفراج عن "لائحة متهمين"، ويحرض صراحةً على (بدء مهاجمة قوات الجيش في سيناء)، لتفتيته. وإخلاء سيناء تماماً من الوجود المصري، تنفيذاً لاتفاق الثمانية مليارات دولار الذي كان السبب في الدعم الأمريكي، ومن خلفه القطري له للبقاء فى سدة الحكم، وإليك عزيزي القارئ نَص المكالمة التى تمت بين "محمد مرسي"، وبين :"أيمن الظاهري" عِبْرَ هَاتِفِ "ثُرَيَّا"، وبعضها تم من داخل القصر الجمهوري، وبياناتها كالآتي:ـ

الأولى: تتحدث عن تأكيد "الظواهري" لدعم القاعدة للإخوان، عبر التنظيم

(١) -جريدة الصباح الاثنين- ١٢ ربيع الأول ١٤٣٥هـ -١٣ يناير ٢٠١٤م- لسنة الثانية -العدد (٢٩) -ص: (١١).

الدولي للجماعة، وبعدها تواصل "خيرت الشاطر" رسميا مع "محمد الظواهرى" في مصر، للتنسيق، والتقاُه مراراً بعد ذلك.

الثانية: كشفت تفعيل التعاون بين مؤسسة الرئاسة، والإخوان من جانب، وتنظيم القاعدة من جانب آخر، لإيجاد خلايا داخل البلاد تحمي نظام الإخوان، وعاتب "مرسي" زعيم القاعدة على هجومه وقتها على نظام حكم الإخوان، وتعهد له قائلاً: (سنطبق الشريعة والشرعية، بما يُرضي الجماعة، لكن نحن في مرحلة التمكين ونحتاج إلى مساندة كل الأطراف، ولا يجوز أن نطبق من الآن المنهج الإيراني نفسه، أو حكم طالبان في مصر) فرد "أيمن الظواهري": (لازم تفرج عن الجهاديين اللى كانوا في سجون "مبارك" كلهم، كضمان وعهد للتعامل، وتأكيداً لِطَيٍّ صفحة الماضي) ووعده مرسي بتسهيل عودة " محمد الظواهري" للقاهرة، ملحوظة: تم بعد ذلك الإفراج عن قائمة كاملة من المسجونين ضمن لائحة أعدها "محمد الظواهري" بالتنسيق مع شقيقه "أيمن"، وعُرضت على الرئاسة، فصدقت على العفو عنها.

الثالثة: قرر "مرسي" خلالها تعهده، بأنه لن يُعتقل أيَّ جهاديٍّ في عهده، لن يُضيق على الجماعات الجهادية، والسلفية الجهادية، وباستمرار التواصل الذي بدأ قبل تسلمه الرئاسة مع الجماعات وبمنع ملاحقة الأمن للمجموعات المسلحة في سيناء، وطلب " أيمن" فتح معسكرات في سيناء لدعم الإخوة وتدريبهم، فكشف له "مرسي" أن تنظيم الإخوان ينوي "تشكيل حرس ثوري" لمواجهة أي محاولة للانقلاب على الشرعية، وطلب "الظواهري" دعم الجماعات وتدريبهم، ووعد بإقامة معسكرات تدريب لهم في سيناء، وتأمين الدعم من تنظيم الإخوان،وتوفير كل التسهيلات لهم بالقرب من الحدود الليبية، نَتِيجَةً لِذَلِكَ قام "محمد مرسي" فعلياً بتوفير أربعة معسكرات تدريب للجماعة الجهادية، وأوقف العديد من العمليات

العسكرية في سيناء.

الرابعة: حدثت فجر ٣٠ يونيو، وتمت بحضور "أسعد الشيخة، ورفاعة الطهطاوي، ومسئول الأمن في الرئاسة"، و"مرسي " حَرَّضَ "الظواهري" على مهاجمة الجيش في سيناء وطالبه بدعم شرعية الرئاسة، وإثارة الفوضى في الشارع، وقال له: (فيه ناس عايزه تتقلب على الشرعية، ويجب القضاء على المعارضة، وأطالب الجهاديين في كل مكان بمساعدتنا).

والتقى "أسعد الشيخة" فعلاً مع "محمد الظواهري" أثر المكالمة، وطلب منه أن تقوم الجماعات الجهادية بحماية الرئاسة، وقمع المعارضة، والتقى "الشاطر" صباح اليوم نفسه، وفداً من الجهاديين بحضور " محمد الظواهري"، وطالبهم بمساندة الجماعة والرئاسة، لمنع السقوط المبكر، ووعده " محمد الظاهري" بذلك[1]، فأصبحوا يخططون لهدم الجيش، بل ومحوه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال ٣٠) ولكن إرادة الله حكمت، بأن الجيش والذين أرادوا إبادته، أعادهم لسكناتهم، ومستقرهم قبل الرئاسة، وأدخلهم السجون، يُعانون مرارة الحسرة والندامة بين جدران الزنازين، بسبب خيانتهم، ومكرهم لأوطانهم ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر:٤٣) فمهما احتاط المرء، وتحصن بمحصنات الدنيا الفانية، فلابد لإرادة الله وأمره أن تكون ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١) فإرادة الله أرادت أن تبقى على مصر، وجيشها، وشعبها في سلام وأمان، وتذل من خانها، وأراد هدمها، لتصبح أنوفهم التي ارتفعت أثناء حكمهم تنظر في التراب من خزيهم وعارهم: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦).

(١) -جريدة الصباح- الاثنين ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ-٤ نوفمبر ٢٠١٣- السنة الثانية- العدد (١٩) ص: (٥)

أما عن ما أُفرج عنه استجابة لطلب "الظواهري"، فقد أفرج "مرسي" عن ٨١٢ إرهابياً، وتاجر سلاح من بينهم ٦٧٢ مصريا، و ١٤٠ سودانيا، منهم من حكم عليه بالإعدام، وبالمؤبد، وبـ١٥ سنة، وبعشر سنوات، وبثلاث سنوات، ومن أراد الحدث بالتفصيل، فليتصفح جريدة الوطن يوم السبت-٢٧ شعبان ١٤٣٤هـ -٦ يوليو ٢٠١٢م- السنة الثانية - العدد(٤٣٣) -ص: (٨، ٩).

وكشفت مصادر مطلعة نقلاً عن القيادي الجهادى " محمد الظواهري" باعترافه في تحقيقات النيابة بتلقيه ٢٥ مليون دولار من قبل " خيرت الشاطر" للقيام بأعمال إرهابية في سيناء، كما كشف عن ضلوع بعض أعضاء تنظيم الجهاد، بأوامر من "الشاطر" في قتل الجنود في رفح رمضان قبل الماضي، وأيضا في حادث اختطاف الجنود، وأشار المصدر إلى أن " الظواهري" اعترف أن الأخوين "طارق، وعبود الزمر" كانا همزة الوصل بينه وبين "الشاطر" من خلال بعض التعليمات التي كانوا ينقلونها له، ولأعضاء تنظيم الجهاد، وكشف الظواهري عن مخطط الجماعة الدنيء التي تسعى لتنفيذه بمصر، بعد أن أسقط المصريون حكمها، لافتاً أن المخطط مقسم إلى أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: وتتمثل في احداث بلبة، ونشر الشائعات في الشارع المصري، وترويع المواطنين من خلال أحداث الحرق، والتدمير المستمر لمنشآت الدولة، ونشر الشائعات عِبْرَ بعض القنوات الفلسطينية من خلال تأجيرها، ودفع أموالٍ طائلةٍ لها، ومن خلال قناة الجزيرة القطرية، بتعليماتٍ قطريةٍ.

المرحلة الثانية: وتتمثل في إنهاك الجيش، والشرطة في معارك معهم من أجل إنهاكهم في معارك شرسة معهم، والسعي إلى قتل أكبر عدد منهم حتى يُظهروهم في صورة ضعيفة أمام الشعب، وفي حالة قتلهم يقومون بإدانتهم، واستخدام ذلك أمام

العالم الخارجي.

المرحلة الثالثة: وتتمثل في السعي الخارجي للجماعة من خلال بعض دول الاتحاد الأوروبي المؤيد لها عن طريق الحظر الجوي، والاقتصادي، وإيقاف المساعدات المالية منها ومن أمريكا.

المرحلة الرابعة: وهى المفاجأة، والغير معلومة، لدى كثيرين، فتتمثل في دخول طالبان وتنظيم القاعدة إلى سيناء، وهو ما ظهر بالفعل من ظهور بعض الشخصيات الأفغانية، والباكستانية بعد القبض عليهم من قِبَلِ الأجهزة الأمنية[1] .

ولذلك فقد صرح "البلتاجي" في أحد الفيديوهات وسمعها القاصي والداني، وهو يقول: (في نفس اللحظة الذي يفرج فيها عن "مرسي" سوف يتوقف العنف في سيناء).

عُمْدَةُ الْقَرْيَةِ الْمُفْلِسْ:

تخيل "مرسي" وأعضاء مكتب الإرشاد العالمي، والمصري، أنهم قد امتلكوا قريةً، لا أهل لها، ولا أصحاب يحرسونها ويد فعون عنها وعن أرضها، وأطفالها، وشبابها، ورجالها، ونسائها، وكهولها، ولأنه العمدة، وأعضاء مكتبه الخفراء، أصبحوا يعيثون في الأرض الفساد، ويرتعون في خيراتها كيف شاءوا بالرغم من أنهم لا يمتلكون في هذه القرية شبراً واحداً، لا محل إقامتهم، إذ به يجلس هو وخفراءه على زمام القرية، لتصبح أراضيها جميعاً مُسْتَبَاحَةً لهم، يقتطعون منها ما يشاءون لأي غازٍ يغزوها من القرى المجاورة، فجلسوا يتفاوضون سِراً مع أصحاب القرى لمجاورة، ويدرسون المشاريع التي تخدمهم وتخدم مصالحهم، وأصحاب القرية يشاهدون الاجتماعات ويترقبون عن بُعْدٍ، وكأنهم يبتلعون الطُعْمَ، أو كما يقول المثل الدارج (كَالطَرْشِ فِي الزَّفَّةِ)، وعندما حانت لحظة التنفيذ، وأصبحت الخيانة لها رائحة أَدْهِىَ وَأَمَرُ من رائحةِ

(١) شبكة الإنترنت، نقلا عن جريدة اليوم السابع، يوم الثلاثاء ٢٠/٨/ ٢٠١٣م

النَّتَنِ الْفَجَّةِ، هَبَّتِ الْقَرْيَةُ عن صَمْتِهَا، وَزَأَرَتْ زَئِيرَ الأسدِ، لِتَزُودَ عن عَرِينهَا، مُمْسِكَةً بالطاغية وأعوانه، لتضعهم في أماكنهم حيث يستحقون، وهكذا كان "مرسي"، وأعوانه يتخيلونَ أن أَرْضَ مِصْرَ، أصبحت مستباحةً له، ولأعوانه، يرتعون فيها وفي ربوعها كيف شاءوا، ويقتطعون من أرضها كيف شاءوا، ويفسدون فيها حيث شاءوا، وهو ما نراه من فحوى مخططاتهم، وما يدور في اجتماعاتهم ودهاليزهم، وهي كالآتي:

١. عندما أفرج "مرسي" عن ٨١٢ إرهابيا، وتاجر سلاح، ليصبح هذا الإفراج نواةً لبداية تكوين ما يُسمى بالحرس الثوري، على غرار الحرس الثوري الإيراني، وتكشف التقارير الأمنية، عندما تم فك الأحراز التي تم العثور عليها في مكتب "مرسي" بقصر الاتحادية، حيث تم العثور على ٣ شرائح لخطوط تليفونات لشركات أجنبية، وهاتف الثريا، هذه المستندات والأوراق المحرزة ستكشف أسرار تمويل جماعة الإخوان والتنسيق بين مكتب "مرسي" بالرئاسة ومكتب الإرشاد بالمقطم، لتشكيل ميليشيا قوامها ٥آلاف جهادي في سيناء ليكون نو'ة لحرس ثوري على غرار الحرس الثوري الإيراني، ومهامه دعم وتثبيت حكم جماعة الإخوان لعشرات السنين، والوقوف في وجه القوات المسلحة والشرطة مع منح هذه الميليشيا الغطاء السياسي والتحرك بحريةٍ تامةٍ دون رقيبٍ، أو حسيبٍ، كما تتضمن الأحراز تسجيلات لاجتماعات رسمية مغلقة بين قيادات من الجيش وجهات سيادية مع الرئيس المعزول "محمد مرسي" تم طرح فيه تحركات الميليشيات، أو ما يسمى "الحرس الثوري" في سيناء وتفرض سيطرتها بالكامل على عدد من القرى، وتتجول حاملين السلاح ورافعين أعلام القاعدة، وأقاموا معسكرات للتدريب على أحدث الأسلحة، إلا أن "مرسي" رفض الاقتراب من هذه الميليشيات بكل قوة.

٢. من بين خزينة الأسرار، وفك أحرازها، منح "مرسي" ٥٠ ألف فلسطيني الجنسية المصرية، بالمخالفة للقانون والتعهدات ما بين الدول العربية، بينها وبين

بعض على عدم السماح لأي دولة عربية بمنح الجنسية للفلسطينيين الحق في تملك الأراضي والعقارات.

٣. من بين خزينة الأسرار أيضا، ملف تفجيرات الغاز بين " مصر، وإسرائيل، والأردن" والذي وصل عددها إلى ١٤ تفجيراً كانت تتم بعمليات وأوامر "مكتب الإرشاد" و حقيقة التسجيلات الصوتية التي أذاعها التليفزيون الإسرائيلي والتي سجلها الموساد الإسرائيلي بين قيادات إخوانية في مصر وعناصر فلسطينية وتكفيرية في سيناء.

٤. محاولة " خيرت الشاطر" إنشاء منطقة حرة بعمق ١٠ كيلومترات على جانبي الحدود بين مصر وغزة بدعوى التنمية، ومحاولة إسناد الأعمال فيها لشركة بريطانية فلسطينية، وتنفذ مليون وحدة سكنية في سيناء، وهي المدينة الضخمة التي تعد النواة الحقيقية للوطن البديل للفلسطينيين في سيناء.

٥. حصول "جماعة الإخوان على مبلغ ٨ مليارات.دولار من الولايات المتحدة الأمريكية، لتنفيذ خطة الوطن البديل في سيناء، وما رصدته الأجهزة الأمنية من صفقات تجارية كبيرة، وبطريقة غير شرعية بين شركات "خيرت الشاطر، وحسن مالك" مع مؤسسات في الدولة، ومحاولة التهديد و الضغط على رجال أعمال مصريين وعرب لبيع شركاتهم و مؤسساتهم بأبخس الأثمان للحصول عليها[١].

وهذا ما كان يؤكد عليه اللواء الدكتور "مجاهد الزيات" تحت مسمى خفايا الصفقة الكبرى في الشرق الأوسط وتصفية قضية فلسطين للأبد، وخطة إسرائيل لإقامة دولة غزة الكبرى على أرض سيناء، وهذه دراسة وضعها "جيورا إيلاند" مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق عام ٢٠٠٨ ونشرها بعد ذلك معهد واشنطن لدراسات

(١) -جريدة اليوم السابع- السبت ٢٩ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ-٥ أكتوبر ٢٠١٣م- العدد(٨٥٨)- ص: (٥).

الشرق الأدنى، حيث استعرض "إيلاند" أن كل مبادرات السلام بين الإسرائيليين، والفلسطينيين منذ مؤتمر مدريد ١٩٩٣، حتى حل الدولتين لشعبين، حكم عليها جميعاً بالفشل، وعدم الواقعية، واقتراح حَلاً نهائياً للمشكلة، وخلاصته: تنازل العرب عن جزء من الأرض لإسرائيل و الدولة الفلسطينية ويخرج الجميع رابحين وتكون كالآتي:

١. تتنازل مصر إلى غزة عن ٧٢٠ كيلومتراً من سيناء، وهناك اقتراحات بزيادتها لنحو ٤٠٠٠ كم تشمل الشريط الممتد على طول ٢٤كيلو مترا على شاطئ البحر المتوسط من رفح حتى العريش، ويمتد جنوبا ٣٠ كم على طول حدود مصر مع إسرائيل وغزة بما يضاعف مساحة غزة الحالية ثلاث مرات، وفي المقابل تضم إسرائيل مساحة مماثلة من أراضي الضفة ضمن حدود الجدار العازل.

٢. تنازل إسرائيل لمصر عن مساحة مُقَاربَةٍ في صحراء النقب.

٣. يتخلى الأردن عما يُعادل ٥٪ من الضفة للفلسطينيين، ويتم تعويضه من أرض السعودية بجواره.

٤. يرى "جيور إيلاند" أن مصر ستربح فوائد، لمجرد تبادل أراضٍ كَفَكِّ عُزلتها الجغرافية شرقا عن طريق قناةٍ، ونفقٍ للسكك الحديدية، والسيارات، وحركة التجارة إلى الأردن عبر إسرائيل، يخضع للسيادة المصرية يتفرع إلى السعودية و العراق، ويرتبط بمطار ومرفأ العريش الفلسطيني.

٥. ضخ استثمارات ضخمة لتحلية المياه.

٦. السماح بحصول القاهرة على تكنولوجيا ومفاعلات نووية.

٧. إلغاء القيود القاسية على انتشار قواتها العسكرية في سيناء.

٨. تنازل مصر عن ١٪ من أرضها، مُقابل السيادة على ٩٩٪ المتبقية.

٩. إذا تم ذلك ستصير إسرائيل دولة يهودية محضه، وتتخلص من حق العودة

للاجئين نهائيا، و تنتزع أراضي استراتيجية بتوطين الفلسطينين على حدود الأردن وغزة التي يمكن توسيعها ثانية في سيناء، ومن ثَم إرساء سلام دائم بين الأطراف المتصارعة، ومن المدهش فعلاً أن الوثيقة تؤكد أن مقدمات تنفيذ هذا المخطط بدأت بالفعل، وأن إشارة البدء كانت حديث الرئيس الأمريكي "أوباما" عن التنازلات المؤلمة من أجل السلام في الشرق الأوسط في خطابه بجامعة القاهرة الموجه للعالم الإسلامي(١). وسأختم ملف التخابر، أو التجسس، برحلة "مرسي" إلى ألمانيا بما يسمى المؤتمر الصحفي الرئاسي المشترك مع المستشارة الألمانية "ميركل" حيث نبهت "مرسي" إلى مخاطر على الأمن القومي، وأن لديها معلومات أن هناك إرهابيين سيصلون إلى مصر لتنفيذ عمليات إرهابية بالبلاد، وبدلاً من أن يُسارع الرئيس المخلوع بنقل المعلومات إلى أجهزة الدولة للتصرف بسرعة، ومنع الخطر، قام "مرسي" بقلب اللعبة، فسارع بإجراءِ اتصالٍ هاتفيٍّ بمن يهمه الأمر من الإرهابيين لتحذيرهم، وتم رصد المكالمة الهاتفية: ونقل محتواها للمستشارة الألمانية، فكان رَدّ فعلها سريعاً وعنيفاً، اختصرت الزيارة، ونبهت نظيرها الفرنسي إلى ما حدث من "مرسي"، وكان الرئيس الفرنسي "أولاند" لديه أسباب إضافية للغضب من "مرسي"، فقد ساند "مرسي" المتطرفين في مالي، ووقف ضد التدخل الفرنسي، وهكذا خسر "مرسي" كُلاً من "ألمانيا و فرنسا" في أقل من ٢٤ ساعة(٢).

وَنَعُودُ أَدْرَا جَنَا سَرِيعاً، لِنُلَمِلمَ ما تبقى في هذا الملف، لنعرف حقيقة الإيميل المرسل من "أحمد عبد العاطي" إلى "محمد مرسي"، فى قضية التخابر، والمعروفة إعلامياً باسم (الهروب الكبير) والذى تم بموجبه القبض على محمد مرسى و٣٤ قيادياً إخوانياً تم وضعهم في سجن "وادي النطرون" وعندما التقوا بضابط مباحث أمن الدولة

(١) شبكة الإنترنت

(٢) -جريدة الفجر- الخميس ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣م-السنة السابقة -العدد (٤٢٩، -ص: (٥).

"محمد عبدالحميد عبدالله" والذي كان في استقبالهم، قالو له: (على فكره إحنا حنطلع من هنا يوم ٢٩ أو ٣٠ يناير وسنحكم البلد) وقد تم ذلك بالفعل، فما حقيقة ذلك: وما الدور الذي لعبته "جماعة الإخوان، وحزب الله اللبناني، وعناصر من حركة حماس الفلسطينية"؟

لقد جاء في هذا الشأن بلاغ مقدم للنائب العام برقم ٦٨٠ لسنة ٢٠١٢ من الأستاذ "أمير سالم" المحامي بالنقض، ضد السيد "حبيب العادلي" وزير الداخلية الأسبق، وموضوعه:

قام المبلغ ضده وقت أن كان وزيراً للداخلية بإصدار أوامره يومي ٢٨ و٢٩ يناير ٢٠١١ بفتح السجون وإطلاق السجناء ليعيثوا في البلاد إرهاباً و ترويعاً للسكان الآمنين في مصر، بغرض توجيه ضربة قاسمة لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، بإصداره أوامر بقطع الاتصالات التليفونية بكافة أنواعها والانترنت، وكذا بقطع الكهرباء بالمناطق التي بها السجون التي تقرر إطلاق السجناء منها.

-إصداره أوامر لكافة قوات وزارة الداخلية بالانسحاب من الميادين والشوارع وحماية المرافق العامة ومديريات الأمن وأقسام الشرطة، وإصداره أوامر لفرق الشرطة من مباحث أمن الدولة، والمباحث الجنائية، وفرق البلطجية التابعة لوزارة الداخلية، بإحراق أقسام الشرطة، مما أدى إلى إحراق ٩٩ قسم شرطة على مستوى الجمهورية وذلك بالاتفاق الجنائي مع عدد من قيادات الشرطة ومديري الأمن وخاصة قيادات أمن الدولة ومباحث السجون العمومية لإرتكاب تلك الجرائم، وقد تم ذلك ايضاً بالاتفاق الجنائي والتنسيق والتعاون والتنظيم في تلك الجرائم مع قيادات سياسية من الحزب الوطني، وأخرى عسكرية غير معلومة لنا أسماؤها على وجه الدقة، وحيث أننا قد سبق لنا وتقدمنا ببلاغ لسيادتكم عن وجود تنظيم سري سياسي «يُديره أحمد عز و صفوت الشريف و فتحي سرور و جمال مبارك وزكريا عزمي و حبيب العادلي و حسن

عبدالرحمن و عدلي فايد و أنس الفقي، وآخرين»، فإننا نعتبر بلاغنا هذا ينصب على اتهام وزير الداخلية الأسبق "حبيب العادلي" بصفته وزيراً للداخلية يملك السلطة والقرار في شأن السجون المصرية العمومية، وكذا أقسام الشرطة، ومديريات الأمن، وكذا المنشآت والمرافق العامة، وهو وحده المسئول مباشرة

كذلك عن إصدار أوامر سحب كافة قوات الأمن من كافة ميادين وشوارع وأقسام جمهورية مصر العربية، وكذا قيامه بالاتفاق الجنائي مع السابق ذكر وظائفهم وأسمائهم[1].

والرد البليغ لهذا البلاغ، أنه مَحْضُ إفتراءٍ، وكذبٍ، والمتهمون بريئون من هذا الادعاء براءة الذئب من دم ابن يعقوب: وسنسرد للقارئ العزيز الحقيقة بالبراهين و القرائن والأدلة، وهي كالآتي:

• خطة اقتحام السجون وُضعت في غزة ليلة ٢٥ يناير ٢٠١١ مُقابل سبائك ذهبية بخمسة ملايين دولار.

• ومع تطور الأحداث، وفي يوم السبت ٢٩ يناير ٢٠١١، ووسط انهيار الحالة الأمنية جراء تداعيات الثورة بدأت عملية مهاجمة عدد من السجون المصرية شديدة الحراسة بأساليب غير تقليدية، مما ساعد على هروب ٤٢ عنصراً من أخطر العناصر الإسلامية المتشددة والمعادية لنظام "مبارك" بينهم ٣٤ قيادياً من جماعة الإخوان على رأسهم الدكتور "محمد مرسي".

• تأكيداً لما يجرى على الأرض في مصر، ومن واقع ملفات سرية "عملية الملاءة الرطبة" أرسل ضابط العملية "بي بارسلي" شاهد عيان "C.I.A" من القاهرة في تمام الساعة الواحدة صباحاً و٢٢دقيقة و٣٨ ثانية بتاريخ ٣١ يناير ٢٠١١ برقيته المثيرة للجدل سري للغاية برقم ٢٧٤١٨٦٤ أرفق بها صوراً وأفلاماً حصريةً عاليةَ الجودةِ سجلت على الأرض عمليات اختراق المنشآت المصرية شديدة الحراسة في منطقة

(١) الدولة البوليسية في مصر، لثورة والثورة المضادة، للأستاذ/ أمير سالم – ص: (٣٩٣-٣٩٤).

سجون "أبي زعبل، والقطا، ووادي نطرون"، كما أورد معها معلومات سرية للغاية رقم ١٦٥٢٠١٨ المحررة من ضابط العملية "إس نونان" المتخصص في ملف شئون الجماعات والتنظيمات الإسلامية المتطرفة في منطقة الشرق الأوسط بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ في تمام الساعة السابعة صباحاً و٨ دقائق و٤٦ ثانية، وسجل فيها الآتي:-

- (شهدنا على الطبيعة حالة غير مسبوقة من الانقلاب الأمني في أرجاء مصر ورصدنا تأجير عناصر أجنبية مدربة من ميليشيات حركة حماس الفلسطينية وجيش الإسلام لأعداد غفيرة من البدو المدججين بالأسلحة والمعدات الثقيلة والبلدوزرات الذين هاجموا في توقيت واحد تقريباً مناطق السجون مشددة الحراسة في أبي زعبل، والقطا، ووادي النطرون)

بعدها سجلت برقيات العملية أدق تفاصيل الهجوم من بينها بالبرقية سري للغاية التي حررها ضابط العملية "بي بارسلي" من القاهرة بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ برقم ١٦٩٧٢٧٣ في تمام الساعة الرابعة و٢٧ دقيقة و٢٥ ثانية، وسجل فيها الآتي:-

- (استخدم منفذو الهجوم على السجون المصرية أسلحة ورشاشات ثقيلة من بينها "R.B.G" وقنابل عنقودية محرمة دولية، ومضادات أرضية حديثة محمولة كتفاً ضد الطائرات، بينما أمنت طرق مداخل ومخارج القاهرة مجموعات مدربة من "حركة حماس، ومنظمة جيش الإسلام الفلسطينية" دخلت مصر عبر أنفاق الحدود عند مدينة رفح بسيارات دفع رباعية حديثة)

وفي السياق نفسه حرر "بي بارسلي" من القاهرة في تمام الساعة السابعة مساءً، و١٩ دقيقة، وعشر ثوان بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ البرقية سري للغاية رقم ١١٤٣٨٢١ أكد فيها توثيق وتصوير عملية اختراق أربعة سجون مشددة من واقع ٤٢ سجناً بواسطة عملاء من جهاز الموساد الإسرائيلي، ووكالة الاستخبارات الأمريكية

C.I.A في مصر، وعندما طلبت "كيه بوخاري" المديرة الإقليمية لعملية "الملاءة الرطبة" تفصيلات إضافية دقيقة عما حدث، فحرر "بي بارسلي" من القاهرة في تمام الساعة الواحدة، و٤٢ دقيقة، و١٢ ثانية فجراً بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١ البرقية سري للغاية رقم ١١١٨٧٨١، وسجل فيها الآتي:-

- (رصدت عناصرنا في مداخل ومخارج مدينة القاهرة عدد ٣٠ سيارة دفع رباعي من طراز "تويوتا" معظمها حديث يبدو لأول وهلة أنها هبطت للتو من الحاوية التي جاءت بها بحراً من اليابان محملة بعدد غفير من الرجال بلغ عددهم تقريباً ٣٥٠ فرداً ارتدى بعضهم ملابس العمليات العسكرية والسترات الواقية من الرصاص فوق الجلباب البدوي، وتسلح المهاجمون بالقنابل اليدوية وبالرشاش الروسي الصنع ٤٧ AK "كلاشينكوف" ٣٩ ملليمتراً، وحمل بعضهم قذائف RBG الروسية المضادة للمدرعات، وآخرون تسلحوا بوحدات صاروخية محمولة كَتِفاً ضد الطائرات، وتأكد أنها صناعة أمريكية، ولم تستخدم من قبل)

بعدها حررت ضابطة العملية "آربهالا" من واشنطن في تمام الساعة الواحدة، و٣٧ دقيقة، و٢٥ثانية برقيتها سري للغاية رقم ١٦٩٧٢٢٨ سجلت فيها أن خطة استهداف السجون المصرية وُضعت في قطاع غزة مساء ٢٥ يناير ٢٠١١، وأن تمويل الخطة المالي ودعمها اللوجستي نقل إلى القطاع صباح الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ من داخل الحدود المصرية في شكل سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين دولار أمريكي خبأت في خزانات مياه عادية، وذلك نظراً لتعذر نقل السيولة المالية اللازمة لتجهيز العملية بسبب غلق البنوك المصرية وخطورة التنقل وسط الأحداث بهذا الكم من السيولة، وفي الأصل لتفادي سحب المبلغ من البنوك العاملة في قطاع غزة لدواعي السرية، والمثير أن نفس المعلومات أكدها ضابط العملية "بي بارسلي" في برقيته سري للغاية التي حررها من القاهرة في تمام الساعة الرابعة، و٢٢ دقيقة برقم ١٧١٤٤٩٥

بتاريخ الأول من فبراير ٢٠١١، وعندما أرفق معها عدداً من الفيديوهات التي صورت عملية انسحاب المهاجمين بصحبة السجناء المحررين ومقتل عدد من المواطنين المدنيين وآخرين من السجناء المصريين على أيدي مجموعات الهجوم الأجنبية، وتحرير ثمانية سجناء من ميليشيات حماس، ومنظمة جيش الإسلام الإرهابية من سجن "أبي زعبل" شديد الحراسة الذي يبعد ٢٠ كم شمال شرق العاصمة المصرية القاهرة، مُؤكداً مهاجمة قسمين "عنبرين" فقط من بين الثلاثة أقسام الموجودة في سجن أبي زعبل، مما يعني أن خطة الهجوم الأصلية اعتمدت على "خريطة رسم كروكي" حديثة للسجن، وأن الهجوم حرر تسعة عشر عنصراً خطيراً من تنظيم القاعدة اعتقلوا على خلفية قضية "القديسين" مع آخرين خمسة منهم عادوا إلى قطاع غزة في نفس اليوم من بينهم "معتصم القوقا" من حركة حماس ٢٧ عاماً قُبض عليها عام ٢٠٠٤ بتهمة التسلل، و"أيمن نوفل" من حركة حماس، و"عمر شعث" حركة حماس معتقل من عام ٢٠١٠ بتهمة التسلل، و"جمعة الصلحة" حركة حماس، و"حامد عبد الهادي" حركة حماس، و"حسن وشاح" ٢٧ عاماً، والذي عاد مباشرةً إلى مخيم "البريج" وهو أحد عناصر تنظيم جيش الإسلام الموالي لتنظيم القاعدة، وقُبض عليه في مصر عام ٢٠٠٧. وحُكم عليها بالسجن عشرة أعوام، لاختراقه الحدود، والتخطيط لتنفيذ عملية فدائية ضد إسرائيل من الأراضي المصرية[1].

وكانت أولي جلسات قضية "وادي النطرون، أو الهروب الكبير" يوم الثلاثاء ٢٨ يناير ٢٨ يناير ٢٠١٤ بمحاكمة الرئيس المعزول "محمد مرسي"، و١٣٠ متهماً بينهم قيادات بارزة في جماعة الإخوان الإرهابية، وعناصر من حركة حماس الفلسطينية، وحزب الله اللبناني في اتهامهم بالتخطيط والتنفيذ لاقتحام السجون وتهريب نزلائها والاستيلاء على ما بها، مقروناً بجرائم قتل عمد في الأيام التي أعقبت ثورة ٢٥ يناير،

(١) -جريدة الصباح- الاثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٧ يناير ٢٠١٤م- السنة الثانية- العدد(٣١) ص: (١١).

في القضية المعروفة إعلامياً "بوادي النطرون؟، أو الهروب الكبير" حيث ٢٢ متهما من "جماعة الإخوان الإرهابية".

وطالبت المحكمة النيابة، بتلاوة أمر الإحالة، والذي جاء فيه:

(أن النيابة العامة تتهم المتهمين لوارد أسماؤهم بأمر الإحالة بأنهم في الفترة من ٢٠١٠ حتى أوائل فبراير ٢٠١١ في محافظات شمال سيناء، والقاهرة، والقليوبية، والمنوفية، وأكثر من ٨٠٠متهمين هاربين اشتركوا عن طريق المساعدة والاتفاق مع المتهمين بأن اتفقوا مع هيئة المكتب السياسي لحركة حماس، وحزب الله، وقيادات التنظيم الدولي للإخوان على إحداث حالة من الفوضى وإسقاط الدولة المصرية ومؤسساتها تنفيذاً لمخططهم الإرهابي، إضافة إلى تدريب عناصر مسلحة من الحرس الثوري الإيراني، لارتكاب أعمالٍ عدائيةٍ وعسكرية داخل البلد، وضرب واقتحام السجون، وطالبت النيابة بتوقيع أقصى العقوبة على المتهمين، وواصلت النيابة تلاوة أمر الإحالة الذي أعده المستشار "حسن سمير" قاضي التحقيقات وأضافت أن المتهمين الواردة أسماؤهم في قرار الاتهام الذين ارتكبوا هده الجرائم، منهم من هو متوفي، وآخرون من حركة حماس، وحزب الله "يزيد عددهم على ٨٠٠شخص" وبعض الجهاديين التكفيريين من بدو سيناء، أفعالاً تؤدي إلى المساس باستقلال البلد وسلامة أراضيها، تَزَامُناً مع اندلاع تظاهرات ٢٥ يناير ٢٠١١، وأضاف أمر الإحالة أن المتهمين أطلقوا قذائف صاروخية من طراز " آر. بي. جي" وأعيرة نارية كثيفة بجميع المناطق الحدودية من الجهة الشرقية مع قطاع غزة، وفجروا الأكمنة الحدودية وأحد خطوط الغاز، وتسلل حينذاك عبر الأنفاق غير الشرعية المتهمون من الأول حتى الحادي والسبعون، وآخرون مجهولون، لداخل الأراضي المصرية على هيئة مجموعات وأوضح أمر الإحالة أن المتهمين استقلوا سيارات دفع رباعي مدججة بأسلحة نارية تقيله "آر. بي. جي" وجرينوف، وبنادق آلية، فتمكنوا من السيطرة على

الشريط الحدودي بطول ٦٠ كيلومتراً، وخطفوا ثلاثة من ضباط الشرطة، وأحد أمنائها، ودمروا المنشآت الحكومية والأمنية، وواصلوا زحفهم، كما تضمن أمر الإحالة توجه ثلاث مجموعات من المتهمين صوب "سجون المرج، وأبو زعبل، ووادي النطرون" لتهريب العناصر الموالية لهم، وباغتوا قوات تأمين السجون بإطلاق النيران عليها وعلى أسوارها وأبوابها مستخدمين السيارات سالفة البيان، ولوادر قادها بعضهم في منطقتي سجون أبو زعبل والمرج، ولوادر أخرى دبرها وأدار حركتها المتهمان الخامس والسبعون، والسادس والسبعون في منطقة سجون وادى النطرون نظراً إلى درايتهما بطبيعة المنطقة، وأكدت النيابة أن المتهمين حطموا أسوار السجون، وخربوا مبانيها وأضرموا النيران فيها، واقتحموا العنابر والزنازين، وقتلوا عمداً بعض الأشخاص، وشرعوا في قتل آخرين، ومكنوا المسجونين من (حركة حماس، وحزب الله اللبناني، وجهاديين، وجماعة الإخوان، وجنائيين آخرين) يزيد عددهم على ٢٠ألف سجين من الهرب، وبعد أن تحقق مقصدهم نهبوا ما بمخازنها من أسلحة وذخيرة وثروة حيوانية، وداجنة، وأثاثات، ومنتجات غذائية، وسيارات الشرطة ومعداتها على النحو المبين بالتحقيقات، وأضاف أمر الإحالة أن المتهمين المذكورين، قتلوا عمداً المجني عليه "رضا عاشور محمد إبراهيم"، مع سبق الإصرار، بأن بيتوا النية وعقدوا العزم على قتل من يحول دونهم في اقتحام السجون وتهريب المسجونين، وأعدوا لهذا الغرض الأسلحة والأدوات سالفة البيان، وتوجهوا إلى سجن أبو زعبل، وما أن ظفروا بالمجني عليه، حال تأديته أعمال خدمته بأحد أبراج حراسة السجن، حتى أطلق مجهول من بينهم صوبه أعيره نارية قاصدين إزهاق روحه فأحدثوا إصابته التي أودت بحياته، وكان ذلك تنفيذاً لغرض إرهابي على النحو المبين بالتحقيقات، وفي ذات الزمان والمكان سالفي الذكر قتلوا عمداً الجندي "صابر أحمد عاشور" من قوة تأمين سجن أبو زعبل، والمحكوم عليه "شريف عبدالحليم محمد النجار" بسجن

المرج، وعدد ٣٠ مسجوناً بسجن أبو زعبل مجهولى الهوية، لعدم التوصل للأوراق والسجلات المثبت بياناتهم، و١٤ مسجوناً بمنطقة سجون وادي النطرون الموضحة أسماؤهم بالتحقيقات، مع سبق الإصرار، بأن بيتوا النية وعقدوا العزم على قتل من يحول دون تنفيذ مخططهم الإجرامي في شأن اقتحام السجون، وتهريب العناصر التابعة لهم من المسجونين وذكر أمر الإحالة أن المتهمين شرعوا أيضاً في قتل المجني عليهم "عيد جابر موسى، وإبراهيم محمود عبدالقادر، وأحمد سعيد عبدالرحمن" من قوة تأمين سجن أبو زعبل، عمداً مع سبق الإصرار، وقد خاب أثر جريمتهم بسبب لا دخل لإرادتهم فيه وهو مداركة المجني عليهم بالعلاج، وأشار أمر الإحالة إلى أن المتهمين من السابع والسبعين حتى الحادي والعشرين بعد المائة اشتركوا بطريقي الاتفاق والمساعدة مع المتهمين من الأول حتى السادس والسبعين بأن اتفقوا مع هيئة المكتب السياسي لحركة حماس، وقيادات التنظيم الدولي الإخواني، وحزب الله اللبناني، على إحداث الفوضى لإسقاط الدولة المصرية ومؤسساتها، تنفيذاً لمخططهم، وتدريب عناصر مسلحة من قِبَل الحرث الثوري الإيراني لارتكاب أعمال عدائية وعسكرية داخل البلاد، وضرب واقتحام مباني الليمانات والسجون، وتهريب المسجونين الموالين لهم، الأجانب والمصريون، وكذا المسجونون الجنائيون، وساعدوهم بأن أمدوهم بالدعم والمعلومات والأموال وبطاقات هوية مزورة لاستخدامها في الدخول إلى البلاد، وتوفير السيارات والدراجات النارية، وقد تم بناء على هذا الاتفاق وتلك المساعدة الجرائم سالفة البيان على النحو المبين بالتحقيقات، وذكر أمر الإحالة أن المتهم الحادي والثلاثون بعد المئة، أخفى بنفسه محكوما عليهما بالسجن المشدد، وهما المتهمان التاسع والعشرون، والثلاثون بعد المئة، وأعانهما على الفرار من وجه العدالة، بأن وفر لهم المأوى اللازم لإخفائهما، وسهل لهما الفرار خارج البلاد على النحو المبين بالتحقيقات، وأضاف أمر الإحالة أن المتهم من

الحادي والثمانين، حتى الثالث عشر بعد المائة، ومن العشرين بعد المئة حتى الثلاثين بعد المئة حال بعضهم محكوماً عليه، والبعض الآخر مقبوضاً عليه، هربوا من سجون المرج، وأبو زعبل، ووادي النطرون، وكشفت أوراق القضية أن من بين المحالين ٦٨ متهماً ينتمون لحركه حماس، وتنظيم حزب الله، أبرزهم :أيمن أحمد عبدالله نوفل" من قيادات حركة حماس الذراع العسكرية للتنظيم الإخواني، وتنظيم حزب الله، و"محمد محمد الهادي" من قيادات حركة حماس، و"سامي شهاب" القيادي البارز بحزب الله، و"رمزي موافى" أمير تنظيم القاعدة في شبه جزيرة سيناء، وآخرين(١).

(١) -جريدة التحرير- الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٩ يناير ٢٠١٤م -السنة (الثالثة)- العدد (٩٤١) ص: (٨-٩)

(المتهمون)

م	الاسم	م	الاسم
١	محمد أحمد موسى علي/ فلسطيني هارب	١٦	بلال إسماعيل أحمد أبودقة – فسلطينى هارب
٢	حسام عبد الله إبراهيم الصانع/ / / /	١٧	توفيق خميس حامد القدرة/ / / /
٣	عاهد عبدربه خليل الدحدوح/ / / /	١٨	جمعة سالم جمعة لسحجاني/ / / /
٤	عبدالعزيز صبحي أحمد العطار/ / / /	١٩	حافظ عبد النعيم محمد أبو راس/ / / /
٥	أحمد عيسى علي النشار/ / / /	٢٠	رائد محمد حسن غيون/ / / /
٦	أحمد غازي أحمد رضوان/ / / /	٢١	رامي حسن علي صمصوم/ / / /
٧	أسامة فتحي علي فرحان/ / / /	٢٢	رمزي زهدي شحدة أبو رزق/ / / /
٨	أنيس حسين منصور وافى/ / / /	٢٣	سامي فايز أحمد أبو فسيفس/ / / /
٩	عيسى زهير عيسى دغمش/ / / /	٢٤	نائل عطا أبو عبيد/ / / /
١٠	سعيد سمير سعيد شبير/ / / /	٢٥	محمد سمير أبو لبدة/ / / /
١١	شادي حسن إبراهيم حمد/ / / /	٢٦	بلال فتحي أبو فخر/ / / /
١٢	مصطفى ناهض مصطفى شهوان/ / / /	٢٧	وسام علي الخطيب/ / / /
١٣	نعيم عوض العبد عبدالعال/ / / /	٢٨	أحمد ياسين رصرص/ / / /
١٤	هارون جمال عبدالرحمن هارون/ / / /	٢٩	عبدالناصر ياسين رصرص/ / / /
١٥	وليد عادل خليل الطبش/ / / /	٣٠	بشير أحمد مشعل / / / /

٣١	محمد موسى أبو حميد - فسلطينى هارب	٤٩	ناصر خليل منصور - فسلطينى هارب
٣٢	رامي شوقي منصور / / / / /	٥٠	محمد سهيل بدوي / / / / /
٣٣	محمد خليل شبانه / / / / /	٥١	محمود رشاد كمال أبو خضيرة / / / / /
٣٤	ناصر فتحي أبو كرش / / / / /	٥٢	رائف جمال أبو هاشم / / / / /
٣٥	حسن سلامة / / / / /	٥٣	محمد لطفي أبو عبيد / / / / /
٣٦	فيصل جمعه أبو شلوف / / / / /	٥٤	نضال سامي البلبيسي / / / / /
٣٧	تيسير أبو سنيمة / / / / /	٥٥	محمود فضل حسين / / / / /
٣٨	محد السلاوي / / / / /	٥٦	أشرف عبد المجيد الهمص / / / / /
٣٩	رامي عياش / / / / /	٥٧	محمد خليل أبو شاويش / / / / /
٤٠	أدهم أبو ريالة / / / / /	٥٨	محمد جمال أبو الفول / / / / /
٤١	سعد الله أبو العمرين / / / / /	٥٩	ناصر خليل منصور / / / / /
٤٢	سعيد محمد علي الحمامي / / / / /	٦٠	علي إبراهيم الحمص / / / / /
٤٣	محمد فايق جودة / / / / /	٦١	رامي أحمد خير الله / / / / /
٤٤	زكريا محمود النجار / / / / /	٦٢	أحمد فايز أبو حسنة / / / / /
٤٥	إياد صبري عبدالهادي العكوك / / / / /	٦٣	محمود فضل حسين / / / / /
٤٦	محمد عبد المجيد المغازي / / / / /	٦٤	صلاح العطار / / / / /
٤٧	رياض محمود بهلول / / / / /	٦٥	محمد جامع محسن معيوف / / / / /
٤٨	باسل إبراهيم الدربي / / / / /	٦٦	محمد فتحي أبو فخر / / / / /

٦٧	أيمن محمود خليل أبو طاهر - فسلطيني هارب	٨١	محي حامد محمد السيد أحمد / طبيب بمستشفى الزقازيق / محبوس
٦٨	أكرم خليل جبر صيام / / / / /	٨٢	محمد سعد توفيق مصطفى الكتاتني / أستاذ بكلية العلوم جامعة المنيا / محبوس
٦٩	خميس أبو النور / / / / /	٨٣	محمد محمد مرسي عيسى العياط / رئيس الجمهورية سبقا / محبوس
٧٠	أكرم الحية / / / / /	٨٤	عصام الدين حسين العريان / طبيب / محبوس
٧١	رائد العطار / / / / /	٨٥	أحمد أبو مشهور أبو مشهور عوض / مدرس محبوس
٧٢	عبدالرحمن داود السيد الشوربجي / موظفاً	٨٦	سعد عصمت محمد الحسيني / محافظ كفر الشيخ سابقا / محبوس
٧٣	عادل مصطفى حمدان قطامش / هارب	٨٧	مصطفى طاهر علي الغنيمي / طبيب محبوس
٧٤	محمد محمد محمود عويضة / هارب	٨٨	محمود أحمد محمود أبو زيد زناتي / أستاذ جراحة محبوس
٧٥	إبراهيم إبراهيم مصطفى حجاج / هارب	٨٩	أحمد علي علي عباس / مهندس هارب
٧٦	السيد عبد الدايم إبراهيم عياد / مهندس هارب	٩٠	ماجد حسن حسن زمر / صاحب مكتبة هارب
٧٧	محمد بديع عبدالمجيد سامي / أستاذ بكلية الطب البطري جامعة بني سويف / محبوس	٩١	أحمد رامي عبد المنعم عبد الواحد / صيدلي هارب
٧٨	رشاد محمد علي بيومي / أستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة / محبوس	٩٢	عبدالغفار صالحين عبدالباري محمد / صيدلي هارب
٧٩	صفوه حموده حجازي رمضان / محبوس	٩٣	أحمد عبدالوهاب علي دله / مدرس هارب
٨٠	السيط محمود عزت إبراهيم عيسى / أستاذ بكلية طب الزقازيق / هارب	٩٤	محمد محسن محمد الشيخ موسى / مدرس هارب

٩٥	السيد حسن شهاب الدين أبو زيد/ عميد كلية الهندسة جامعة حلوان سابقا/ محبوس	١٠٦	أحمد أحمد على العجيزى/ مدير عام المنطقة للإحصائية الغربية/ محبوس
٩٦	محسن يوسف السيد راضي / صحفي محبوس	١٠٧	رجب عبد الرحيم متولي هباله/ مدرس محبوس
٩٧	ناصر سالم سالم الحافي/ محامي هارب	١٠٨	عماد شمس الدين محمد عبد الرحمن/ استشاري تخاطب بمستشفى المنصورة محبوس
٩٨	صبحي صالح موسى أبو عاصي/ محامي محبوس	١٠٩	أحمد إبراهيم بيومي صبره / محامي بشركة الملاحات بالفيوم/ هارب
٩٩	حمدي حسن علي إبراهيم/ طبيب بشري/ محبوس	١١٠	السيد النزيلي محمد العويضه/ بالمعاش هارب
١٠٠	يحيى سعد فرحات سعد محمد/ مدرس هارب	١١١	حسن علي أبو شعيشع علي/ طبيب أطفال بمستشفي كفر الشيخ العام/ هارب
١٠١	أحمد محمد محمود دياب/ مدرس بكلية الألسن جامعة عين شمي/ محبوس	١١٢	رجب محمد محمد البنا/ مفتش تموين بإدارة تموين دسوق/ هارب
١٠٢	أحمد محمد عبدالرحمن عبدالهادي/ طبيب وصاحب مستشفى مكة التخصصي/ هارب	١١٣	علي عز الدين ثابت/ أستاذ بكلية الطب جامعة أسوان/ هارب
١٠٣	أيمن محمد حسن حجازي/ مدرس هارب	١١٤	حازم محمد فاروق عبد الخالق منصور/ نقيب أطباء أسنان مصر/ محبوس
١٠٤	عبد المنعم محمد أمين أحمد تغيان/ أستاذ بكلية الهندسة جامعة حلوان/ محبوس	١١٥	محمد محمد إبراهيم البلتاجي/ أستاذ بكلية الطب جامعة الأزهر/ محبوس
١٠٥	محمد أحمد محمد محمد إبراهيم/ باحث علمي بجامعة الملك عبدالعزيز آل سعود بجدة / هارب	١١٦	يوسف عبدالله علي القرضاوي/ هارب

١١٨	إبراهيم إبراهيم أبو عوف يوسف/ هارب	١١٧	متولي صلاح الدين عبدالمقصود/ وزير الإعلام السابق/ هارب
١١٩	أسامة سعد حسن جادوا/ هارب	١٢٥	أيمن أحمد نوفل/ فلسطيني قيادي بالجناح العسكري لحركة حماس/ هارب
١٢٠	كمال علام محمد علي الحفني/ قيادي بالتنظيمات الإرهابية / هارب	١٢٦	محمد محمد الهاديّ/ قيادي بالجناح العسكري لحركة حماس/ هارب
١٢١	رمزي موافي/ طبيب بن لادن/ هارب	١٢٧	محمد محمد حسن السيد/ هارب
١٢٢	يسري عبدالمنعم علي نوفل/ موظف بالبنك الأهلي المصري/ هارب	١٢٨	محمد يوسف أحمد منصرر، وشهرته سامي قيادي بحزب الله اللبناني/ هارب
١٢٣	محمد رمضان الغار/ هارب	١٢٩	إيهاب السيد محمد مرسي، وشهرته مروان/ قيادي بحزب الله اللبناني/ هارب
١٢٤	معتصم وليد القوقا/ هارب	١٣٠	طارق أحمد قرعان السنوسي/ إمام وخطيب مسجد/ هارب (١)

هذه هي أعمال جماعة تقمصت بقميص الدين وهي منه ببعيد، وها هو الأستاذ "علي عشماوي" والذي كتب مذكراته في ستينيات القرن الماضي، وكأنه يكتبها اليوم حيث يقول في الخاتمة بعنوان الإخوان إلى أين؟ :(لابد من استشراف مستقبل هذه الجماعة مع الأخذ في الاعتبار كل ما جاء من معلومات عنها، ولقد نوهت في الخاتمة إلى احتمال أن تستهلك هذه الجماعة في "حرب طائفية مع.الأقباط"، إلا أنه يبقى احتمالات أخرى، منها أن تتاح لهم الفرصة لاعتلاء "كرسي الحكم"، وعندها سوف

(١) -جريدة الأخبار- الأربعاء ربيع أول ١٤٣٥هـ-٢٩ يناير ٢٠١٤م- العدد (١٩٢٨٢) السنة (٦٢) ص: (٤).

يتغير المسرح تماماً وحيث أنهم سيجرون البلاد إلى صدام عالمي)[1].

نعم كانت ستجرنا إلى صدامٍ عالميّ مع الدول الصديقة، وغير الصديقة، لأن هذا هو دينهم الدسائس والمكائد وزرع الفتن، وإشاعة الفوضى، وقتل الأبرياء، وسفك الدماء، والتعاون مع الأعداء، وبيع الأوطان، هذه هى وطنيتهم التي نُقِشَتْ في صدورهم، من أجل ذلك سينتظر قادتهم الدمويون حكم الأشغال الشاقة المؤيدة، أو حكم الإعدام بنص المادة ٨٦ مكرر (جـ) من قانون العقوبات والتي تنص على أن:

(يُعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة كل من سعى لدى دولة أجنبية، أو لدى جمعية، أو هيئة، أو منظمة، أو جماعة، أو عصابة يكون مقرها خارج البلاد، أو بأحد ممن يعملون لمصلحة أَيٍّ منها، وكذلك كل من تخابر معها أو معه، للقيام بأيٍّ عملٍ من أعمال الإرهاب داخل مصر، أو ضد ممتلكاتها، أو مؤسساتها، أو موظفيها، أو ممثليها الدبلوماسيين، أو مواطنيها أثناء عملهم، أو وجودهم بالخارج، أو الاشتراك في ارتكاب شئ مما ذكر، وتكون العقوبة الإعدام إذا وقعت الجريمة موضوع السعي، أو التخابر، أَوْ شُرِعَ في ارتكابها) ألم يكن ذلك فى صلب ومضمون قضية "الهروب من سجن وادي النطرون"، والمعروفة إعلامياً باسم "الهروب الكبير" لِيُصْبِحَ هذه نهاية عادلة لكل خائنٍ غدارٍ خان مِصْرَ وأرضها وترابها وحدودها وشعبها، وعلى الباغي تدور الدوائر.

وَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ:

الأقباُط وطنيونَ حتى النُّخَاع، وَمَنْ يَقُلْ غير ذلك فهو قصيرُ النظِر، لا يرى إلا من تحت قَدَمَيْهِ فقط، أو من ثقب إبرةٍ وسنذكَر ذلك من خلال أقوالهم وأفعالهم، وهى كثيرة، ولكن سنذكرُ بعْضاً منها على سبيلِ الْقَصْرِ، لَا الْحَصرِ، وهى كالآتي:

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوي –آخر قادة التنظيم الخاص ص: (٦٦).

● وطنيتهم من خلال أقوالهم:

لابد لنا في ذلك المقام أن نذكر شهادة "اللورد كرومر" والذي مكث في مصر خمسة وعشرين عاماً، فكتب يقول: (إن المصريين المسيحيين كانوا يقابلوننا بمشاعر الغضب والكراهية، ولم أجد فرقاً بين المصري المسلم، والمصري المسيحي سِوَى أن الأول يذهب إلى الصلاة في المسجد، و لثاني يذهب إلى الصلاة في الكنيسة) هذه الشهادة توضح بجلاء عن مصداقية الشعورِ الوطنيِّ بين المسلم، والقبطيِّ، ومدى وحدُة الصفِّ بينهم وأنهم في الوطن واحد، مشاعرهم واحدة، وأحاسيسهم واحدة، وقد حاول "اللورد كرومر" مراراً وتكراراً أن يطبقَ سياسة فَرِّقْ تَسُدْ، وإحداث الفتن بين الأقباط والمسلمين، ولكن الشعورَ القومى، والالتحام الوطني، جعله لا يفلح في ذلك!!، ولننظر إلى أحد ثُوَّارِ ١٩١٩م من المصريين الأقباط، وهو القس "مرقص فارجيوس" الذي وقف على منبر الأزهر أيام الثورة، مُخَاطِباً الإنجليز قائلاً: (إن كان الإنجليز جاءوا إلى مصر لحماية الأقباط، فَلْيَمُتْ الأقباُط جميعاً، وَلْيَحيَا المسلمونَ) هذه هى الوطنيةُ المصرية التي ربطت جذور أقباط مصر، ومسلميها وَدَعَّمَتْ فروعها طوال التاريخ، ولا ننسى مقولة "البابا شنودة" لأمريكا عندما طلبت حماية الكنائس في مصر قائلاً: (إن كانت أمريكا، ستحمي الكنائس في مصر، فَلْيَمُتْ الأقباطُ، وتحيا مِصْرَ)، وقال أيضاً: (إِنَ مِصْرَ لَيْسَتْ وَطَنٌ نَعِيشُ فِيهِ، بَلْ وَطَنٌ يَعِيشُ فِينَا)، ومن أشعاره كان يقول:

جَعَلْتُكِ يَا مِـصْر فِي مُهْجَتِي   وَأَهْـوَاكِ يَا مِصْرُ عُمْقَ الْـهَوَى

وَقَالَ الزَعِيمُ الْوَطَنِيُّ "مكرم عبيد" (أَنَا مَسِيحِيُّ الدِّيَانَةِ، مُسْلِمُ الْوَطَنِ).

ونهجَ "البابا تواضروس" نهج "البباشنودة"، وحذا حذوه، عندما أحرق "الإخوان" بعض الكنائس بعد فض اعْتِصَامَيْ "رابعة، والنهصة" يوم الأربعاء ١٤/ ٨/ ٢٠١٣م، حيث قال: (تحرق لكنائس، ويموت المسيحيون، وتحيا مصر)،

وأضاف قائلاً: (فإذا أُحرقت الكنائس، سنصلي في المساجد، وإذا أُحرقت الكنائس والمساجد، سنصلي جميعاً مُسلمين ومسيحيين مَعاً في الشوارع)

وعندما طلب منه "المعزول" أن يُصْدِرَ بَيَاناً، لجموع الأقباط بمنعهم من النزول في مظاهرات ٣٠ يونيو رَفَضَ رَفْضاً بَاتاً مُؤكَدَاً "لمرسي" أنه لا يملك ذلك، وأن الشباب القبطي حُرّ في قناعته السياسية وتوجهاته، ولم يَقْتَصِرُ الأمرُ على ذلك وفقط، بل التحم النسيجُ الوطِنيُّ تحت مسمى شعار الوطنية، مسلمين، وأقباط، فاتحدت شعاراتهم، وامتزجت أصوات المآذن، وَأجراس الكنائس، وانطلقت مُدَوِّيةً في وقتٍ واحدٍ، لتعلن للعالم أجمع أن مِصْرَ جُبِلَتْ جيناتها على الحبِّ الجمعيِّ، لَا تُؤَثِّرُ فيها الفتن، ولاَ يَفِتُّ عَضُدَهَا الْفُرقَةُ، فأصبح هذا اليوم عِيداً لجميع الطوائف والملل، فدقت أجراس الكنائس، مع آذان المآذن في وقتٍ واحدٍ على مدار اليوم كله في الخمسةِ فروض، ولم يقتصر الأمر على ذلك أيضاً، بل في يوم الخميس، أول أيام عيد الفطر المبارك ١ شوال ١٤٣٤هـ -٨أغسطس ٢٠١٣م، التحم المسلمُ مع القبطيُّ في تلاحم جميل. وتجانس ليس له نظير، شارك المصلين، ومجندي الأمن المركزي، وضباطُ الشرطّة، ورجالُ الجيش المكلفين بتأمين محيط قصر الاتحادية، وعندما حَلَّ موعد الصلاة، قام جموع المصلين بترديد تكبيرات العيد، وفي لافتةٍ تَدُلُّ على مدى المشاركة، وأن الوطنَ نَسِيجٌ وَاحِدٌ، قام عَدَدٌ من الشباب القبطيِّ بعمل حواجز أمنية من اتجاه شارع "باب اللوق"، وشارع "محمد محمود"، لتأمين الصلاة داخل الميدان، في حين أَمَّ المصلين الشيخ "جمعة محمد علي" إمام وخطيب ميدان التحرير[1].

فَإذا عُدْنَا إلى الزمن الجميل وسمعنا من فيه رسول الله ﷺ، حَيْثُ يُوصِى وَصِيَّةً خَاصَّةً بأقباط مِصْرَ، لأن لهم شأنٌ خَاصٌّ، ومنزلةٌ متميزةٌ، يَعِيَها عقل كل مسلم، ويضعها في السويداء من قلبه، فقد روى مسلم من حديث عبد الرحيم بْن شِمَاسَةَ

(١) -جريدة التحرير- الجمعة ٢ شوال ١٤٣٤هـ٩أغسطس ٢٠١٣م -السنة الثالثة- العدد (٧٦٨) ص: (٣).

اَلْمَهْدِيَّ- قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا اْلقِيَراطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)، وفى رواية أخرى قال: (ذِمَّةً وَصِهْرًا)[1].

وعنه أيضا، أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُون مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيَراطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا)[2]، ومعنى أرضًا يُذْكَرُ فيها القيراط: أي مصر، ءالحديث الذي يليه وضح ذلك، والقيراط: جزء من أجزاء الدرهم والدينار وغيرهما، وكأن أهل مصر يُكثرون من استعماله والتكلم به، بل هم لا يزالون كذلك بالنسبة للمساحة، والصاغة وغيرهما، وكل شئ قابل لأن يُقسم الى ٢٤ قيراطً، ورسول الله ﷺ يوصى بالإحسان إلى قبط مصر، قال العلماء: الرحم التي لهم: كون "هاجر أم إسماعيل عليه السلام" منهم، وَالصِّهْرُ: كَوْنُ "مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ" منهم، فالرسول ﷺ يجعل للقبط هنا من الحقوق أكثر مما لغيرهم، فلهم الذمة، أى: عَهْدُ اللهِ ورسوله ﷺ، وَعَهْدُ جماعة المسلمين وهو عَهْدٌ جَدِيرٌ أَنْ يُرْعَى وَيُصَانُ، ولهم رَحِمٌ، وَدَمٌ، وَقَرابَةٌ ليست لغيرهم، فقد كانت "هاجر أم إسماعيل" أبى العرب المستعربة منهم، بالإضافة إلى "مارية القبطية" التى أنجب منها عليه الصلاة والسلام "ابنه إبراهيم"[3].

وَلَمَّا فَتَحَ الْإِسْلَامِيُّونَ مِصْرَ ودخل شعبها، أى: الأقباط فى دين الله أفواجًا، وجماعاتٍ بعدما وجدوا فى الفاتح المسلم ذلك الإنسان العادل الرحيم المؤمن بعد

(١) مسلم برقم(٢٢٦-(٢٥٤٣»، ومسند الإمام أحمد: (٥/ ١٧٤).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أبى ذَرٍّ- رضى الله عنه-، وجاء فى الصحيحة برقم: (١٣٧٤)، ومختصر مسلم برقم: (١٧٤٩)، وصحيح الجامع برقم(٢٣٠٧).

(3) HTTP: //www.onislam.net/azak-the-scholaa.

معاناةٍ شديدةٍ ومظالم ومذابح تعرض لها الأقباط من أبناء دينهم أنفسهم، مما أحدث فَرْقًا ظهرت أثاره ليس فى مصر وحدها، بل في كل القارة الإفريقية، حيث دخل في الإسلام شعوبًا وقبائل تَيَمُّنًا بدخول شعب مصر فى الإسلام، فما كان السِّرُّ يَاتُرَى؟ لم يكن هناك سِرٌّ سِوَي وصية النبىﷺ، ومن بعده الخلفاء الراشدين، بأن يستوصوا بالنصارى والأقباط خيرًا فى مصر، وقد أوصى بهم الرسول، لأنه علم بمعاناتهم وانتظارهم أول فرصة كي يتحرروا من ظلم الرومان واضطهادهم، بل أكثر من ذلك كان الرسولﷺ يعلم أن نصارى مصر، والحبشة يؤمنون بصدق في دينهم، ولا يمكن لمن يُؤْمِنُ بِصِدْقٍ إلا أن يكون إنسانًا مُخْلِصًا، وصَادقًا-مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، وَكَارِهًا للشرَّ والظلم، ومن هنا جاءت دعوة النبىﷺ أوائل المسلمين فى مكة، عندما ظلمهم كفار قريش أن ينطلقوا إلى الحبشة (فَإِنَّ فِيهَا مَلِكًا نَصْرَانِيًّا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ) وهكذا كان وعاش رَهْطٌ من الصحابة في الحبشة حِيناً طَويلاً من الزمن فى كنف نصارى الحبشة، وبقى عدد غير قليل كان نواة انتشار دين الإسلام في تلك البلاد، ولذلك حرص رسول اللهﷺ على وصية مصر بقبط مصر خَيْراً، حيث جاء فى الطبرانى الكبير، والحاكم من حديث كعب بن مالك، أن رسول اللهﷺ قال: (إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبَطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)[1].

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ العهدة العمرية التى كتبها "عمر بن الخطاب" "لبطريرك القدس" يوم فتحها، والتى أذنت بفتح مصر بعدها، هذه العهدة في رقبة المسلمين حتي قيام الساعة، فالعهدة لم تكن لزمنٍ محددٍ، بل كانت عهدة للمستقبل، ونحن ملتزمون بتطبيقها مع مواطنينا النصارى والأقباط، ولا يجوز لمسلم أن يظلم، أو يجور على نصرانيٍّ، أو قِبْطِيٍّ بغير حَقٍّ واضحٍ ومبينٍ، لِرَدِّ اعتداءٍ، أو مظلمةٍ، وحكم القانون يَجِبُ أن يسودَ بين

(١) الحديث صحيح: رواه الطبرانى، والحاكم من حديث كعب بن مالك، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٧٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٩٨).

الناس جميعاً تحت قاعدةٍ شرعيةٍ، حيث قال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ} (النساء:٥٨)، والعدل هو أن يكون للنصارى والأقباط حقهم في المواطنة الكاملة، وعليهم مثل مالهم من الحقوق، والواجبات والحفاظ علي كنائسهم، وأديرتهم، وأوقافهم، ومعاملتهم باللطف، والودَّ تطبيقا لقوله تعالي: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (المائدة:٨٢)[1].

لذا وجب علينا أن نطبق هذه الوصايا قولاً وعملاً، ونعلنها بملء أفواهنا جميعاً، بكل صدق، وأمانة، وليغضب من يغضب، وليرضى من يرضى، لأن هذا واجبٌ علينا جميعاً.

وَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ مِنْ خِلَالِ أَفْعَالِهِمْ:

وجب على كل مسلم ينطق بلسان الحق أن يعترف اعترافاً صريحاً بوطنية الأقباط من خلال أفعالهم التي ينطق بها لسان الواقع، لِيُصْبِحَ مُحِقّاً للحق، مُغْلِقاً كل أبواب التشهير التي تسعى لرفع الباطل، وإسقاط الحق، لأن كل من له عوارٌ في باب معين، أو ناحيةٍ معينةٍ، يحاول أن يضعَ هذا العوارُ لمخالفيه، كالمثل الدارج والذى يقول: (يَا....، يَا....،خُدِى اللِّي فِيكِ، وَهَاتِيهْ فِيَّهْ)، فكلمةٌ بلا ضابطٍ، ولا معيارٍ تشعلُ في الأجواءِ نار، فأحياناً يتكلم المرء كلمة، أو جملة، بِلَا ضابطٍ، ولاَ معيارٍ، ولاَ يفكر في عواقبها، وَمَا تُحْدِثُهُ هذه الكلمة، أو الجملة من فتنٍ، أو إنشقاقاتٍ، أو تصدعاتٍ، أو تألماتٍ، أَوْ شَقِّ وحدةِ الصفِّ، وإضعاف تماسك الوحدة الوطنية، بل وكسرها، فالكلمة إذا حُفِظَتْ في الصدر امتلكها صاحبها، وأصبح من السهل اليسير أن يتحكم فيها ويملك زمامها، وإذا تَفَوَّهَ بها وترك للسانه العنان، فيتكلم كيف يشاء، لِيُمَزِّقَ جلود البشر، فتصبح هذه الكلمة هي المتحكمة فيه، وهي التي تملكُ زِمَامَ أَمْرِهِ، وهي المسيطرة عليه، وهى

(1) HTTP://dznabihaga.bez.blogspot.com

التي تتركه عُرْضَةً للاعتذارِ، كما تقول الحكمة: (إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ)، فهيا بنا نذهب إلي حوار من تلك الحوارات، والتي أقامها "ثروت الخرباوي" في كتابه (سر المعبد) والذي سَطَّرَ فيها قَائِلاً: (في الثالث من إبريل عام ١٩٩٧ خرجت إلي الحياة إحدى عجائب الحاج "مصطفى مشهور" وهو المرشد الخامس لجماعة الإخوان من الفترة من (١٩٩٦إلي٢٠٠٢) وقد صُرَّحَ في جريدة (أهرام ويكلى) للصحفي "خالد داود" أنه لا يجوز دخول الأقباط إلي الجيش، لأنه سيكون مشكوكاً في ولائهم، وأنه بدلاً من ذلك يجب أن نُلزمهم بسداد الجزية!!).

يقول الكاتب: أصابنا الذهول في قسم المحامين، ولكأنما الحاج "مصطفى" أراد إعلان الحرب علي الجميع، وبعد أيام من انتشار خبر هذا التصريح أقام أحد المحامين من زملائنا الأقباط اسمه "نجيب نصيف" جنحة قذف في حق الحاج "مصطفى" أمام محكمة (جنح النزهة)، وانضم إليه عدد من المحامين الأقباط.

ذهبنا إلي المحكمة بظهورِ مُحْنِيَةٍ حَدْبَاءِ، فتصريحاته قالها بالفعل ولا سبيل لإنكارها، خاصة وأن الصحفي قام بتسجيل الحوار، وفي الجلسة الأولي قُمنا بتأجيل الجنحة للبحث عن سبيل للصلح، واستطعنا من خلال صداقتنا بالعديد من المحامين الأقباط تخفيف حِدَّةِ التَّوَتُّرِ التي غَيَّمَتْ علي الأجواءِ، ونجح "مختار نوح" في ضم عدد من المحامين الأقباط الي صف المحامين الْمُوَكَّلِينَ عن الحاج "مصطفى"، قُلْنَا: لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ قَدْراً من التوازن، ولكنَ ظلَّ "نجيب نصيف" عنيداً صعب المراس، لا يقبل الصلح أبداً، اقترحنا علي الحاج "مصطفى" توكيل الأستاذ "رجائي عطية" المحامي الكبير للمدافعة عنه، وكنا نعرف أن الأستاذ "رجائي" له حضوره وتأثيره، كما قَدَّرْنَا أن "نجيب نصيف" سيكون لَيِّناً مع الأستاذ "رجائي عطية" في أمر الصلح، لما للأستاذ "رجائي" من مكانة لدي عموم المحامين)[1].

(١) سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوى ص:(١١٤).

ثم ننتقل إلي مشهد أخر يقوله المؤلف بتفويض من الحاج "مصطفى" للصلح، فيقول: (قولوا في الصلح ما تريدون، ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئا في "النصارى" يجب أن يدفعوا الجزية، ولا يجوز إدخالهم الجيش، فكيف يدخلون الجيش ويدافعون عن مشروعنا الإسلامي وهو لا يؤمنون بالإسلام، الجزية رحمةٌ بهم، وهذا تشريع الله، هل نغير من تشريع الله!! لا يجوز أن نقول عنهم إنهم (مسيحيون) فالله لم يقل عنهم هذا، هم نصارى، أو أقباط، أو صليبيون، هؤلاء الأقباط ليسوا من أهل الكتاب، بل هم من المشركين، ولا يجوز الزواج منهم، ولا أكل طعامهم، لا يجوز أن نلقى عليهم السلام، ونقول لهم تحية الإسلام: (السلام عليكم)، يقول الكاتب : وكأن أحداً لطمني علي وجهي، ما هذا الكلام؟!! أ أنا في الإخوان، أم في جماعةٍ من جماعاتِ التكفير!! هل ضلت قدمي الطريق فأوردتني موارد التكفير، شعرت في الحاج في هذا اليوم قسوة، ولامبالاة، وكأنه يعيش في دنيا أخرى) ثم ينتقلُ الكاتبُ الي دِهْلِيزِ أخَرَ مِنْ تِلْكَ الدَّهَالِيزِ، فَيَقُولُ: هذا الرأي له وجودٌ قويٌ لدي الجماعة، فالجزية تكاد تكون هي الرأي الراجح لدي الإخوان، وستجد أشياء أخري كثيرة خاصة عدم الزواج من المسيحيات، باعتبارهنَّ مشركاتٍ، لاكتابياتٍ، ويقول هذا كثيرون منهم الأستاذ "عبد المتعال الجابري"، وهذه الأفكار منتشرة في الحركة الإسلامية التي تحتاج إلي إعادة اجتهاد، ومعظم ما يقال في هذا الشأن ليس من الشريعة، ولكنه من الفقه، العالم الإسلامي يحتاج إلي ثورة فقهية تنسف القديم نَسْفاً[1].

التَحْلِيلُ عَلَي أَرْضِ الْوَاقِعِ لِتِلْكَ الدَّهَالِيزْ:

أما عن قول الحاج "مصطفى مشهور" عن إلزام الأقباط بسداد الجزية، وعدم أكل طعامهم، وعدم الزواج منهم فقد تعرضنا بالشرح والتحليل إلي ذلك في الصفحات السابقة، أما ما قاله الحاج "مصطفى مشهور" فهو فكرُ معتقدُ عند جماعة الإخوان

(١) المصدر السابق (ص:١١٥-١١٦).

وهذا كَلَامٌ، صَحِيحٌ لأنه عند فَضِّ اعتصامي "رابعة، والنهضة" واستولي جماعة الإخوان، والسلفية المتشددة علي (دلجا وكرداسة)، قاموا بالفعل بفرض الجزية علي أهل (دلجا) وإجبارهم عليها، والتي تراوحت قيمتها من ٢٠٠ الي ٥٠٠ جنيه يومياً، ومن يعجز عن الدفع يخرج من البلدة هو وأولاده، أما قوله: أنه لا يجوز دخول الأقباط إلي الجيش، لأنه سيكون مشكوكاً في ولائهم، وقوله أيضا: أنه لا يجوز أن نلقى عليهم السلام، ونقول لهم تحية الإسلام: (السلام عليكم)، فهذا ما سنقوم بشرحه، وتحليله علي أرض الواقع بإذنه تعالى، فالبطولات لا تؤثر فيها الأقوال المغرضة ولا المتردية، ولا المبتورة، فأقباط مصر عندهم ولاءٌ شديدٌ لمصر وأرضَها وجيشَها وشعبَها، وذلك ليس كلاماً مُرْسَلاً، أو كلاماً يَدُلُّ علي عاطفةٍ تميلُ نحو طائفةٍ من الطوائف، أو ملةٍ من الملل، ولكنها حقيقةٌ توجه أنظارنا جميعاً إلي الوصايا الخاصة التي توصلنا إلي أن القبط عُدَّةً وأعواناً علي أعدائنا، وقد شهد التاريخ بذلك في إخلاص هؤلاء في جيش مصر، وأنهم معنا في رباطٍ إلي قيام الساعة، وصدقت نُبُوَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حيث أوصي عند وفاته، فقال: (اللَّه اللَّه فِي قَبَطِ مِصْرَ؛ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً وَأَعْوَاناً فِي سَبِيلِ اللهِ)[1].

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عمرو بن حريث، أن رسول اللهﷺ قال: (فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً فَإِنَّهُمْ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عَدُوِّكُمْ بِإِذْنِ اللهِ)[2].

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٣/ ٢٦٥/ ٥٦١) من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي سلمة عن أم سلمة – رضى الله عنها –، وقال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح لا أعرف له علة؛ فإن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، وقد رواه الطبراني في (المعجم الصغير) (١٢٩/ ١٤٧– الروض النضير)، وقاله الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٦٣) (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح)، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (٣١١٣).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كما جاء في الموارد برقم: (٢٣١٥)، وقاله الهيثمي برقم: (١٠/ ٦٤)، ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

وقال رسول اللهﷺ: (إِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ، فَإِذَا فَتَحهَا فَاتَّخِذُوا مِنْهَا جُنْداً كَثِيفاً، فَإِنَّهُمْ وَ أَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ).

إذن لقد بات واضحاً لكل لبيب له عينين، أن يرى من خلالهما الحقيقة، والواقع الذي لاشك فيه، ولا تضليل دور أقباط مصر في التصدي للعدوان الإسرائيلي على مصر، والسمفونية الجميلة التي عزفت أجمل ألحان اللحمة الوطنية (الهلال مع الصليب) في حروب ٥٦، ٦٧، ٧٣ وما بينهما من مهماتٍ رئيسية كُلِّفوا بها، وقاموا بها مع إخوانهم الجنود المسلمين علي خير قيام، وإليك عزيزي القارئ الحقائق من مصادرها، وتواريخها، وأسماء هؤلاء المخلصين: اللواء/ شـــفيق متري ســـدراك: (لواء حربى مصري، من مواليد ١٩٢١ في محافظة أسيوط في مصر، شارك في حروب ١٩٥٦، ١٩٦٧، وحرب ١٩٧٣، وكان قائداً لكتيبة مشاة في منطقة أبو عجيلة في سيناء، أمضي اللواء "شفيق" أكثر من ١١ عاماً متواصلاً في جبهة القتال، وهو حاصل على وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى، ولنبوغه وتفوقه فى الكلية الحربية تم تعيينه ضمن هيئة التدريس، حيث كان يقوم بتدريس مادة (التكتيك وفن القتال) خاصة للطلبة الوافدين باللغة الإنجليزية، وكان يقود أول لواء مشاة عبر القناة يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ التابع للفرقة ١٦ من الجيش الثاني الميداني، ووصل بقواته إلي قرب الممرات حيث كان يُجيد فن القتال بالدبابات في الصحراء، وكان دائماً يتقدم قواته ليبث في نفوسهم الشجاعة والإقدام إلي أن استشهد أثناء إدارته للمعركة في عمليات تحرير النقطة ٥٧ جنوب الطالية، حيث أُصيبت مركبة القيادة بقذيفة دبابة، واستشهد ومن معه في المركبة وكانوا خمسة أبطالٍ آخرين، وقد حصل اللواء شـــفيق متري ســـدراك على جميع الأوسمة والنياشين التقليدية، والدورية، والاستثنائية، ولكن كان أعظم الأوسمة والنياشين هو وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى، والذي منحه الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» لأسرة الشهيد، تقديراً لما أظهره المرحوم الفقيد من

أعمالٍ ممتازةٍ تَدُلُّ على التضحية والشجاعة في ميادين القتال أثناء حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣م وهو أعلي وسام مصري، وتم إطلاق اسمه علي الدفعة ٧٥ حربية وهي من أفضل خريجي الكلية الحربية).

الفريق/ عزيز غالي : (والذي كان قائداً للفرقة (١٨) التي حررت مدينة "القنطرة شرق" ودمَّرت أقوي حصون خط بارليف المدرع الإسرائيلي (١٩٠) والذي كان وقتها برتبة عميد، وقام بتأمين منطقة شرق القناة من (القنطرة إلى بور سعيد) في مواجهة الهجمات المضادة الإسرائيلية وفي ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ تم تعيينه قائداً للجيش الثاني الميداني، وَمُنِحَ رتبة (اللواء)، كما ساهم في تدمير قوات العدو في ثغرة (الدفرسوار).

اللواء طيار أركان حرب / مدحت لبيب صادق: (صاحب لقب أفضل قائد قاعدة جوية على مستوى القوات المسلحة، والذى كان يوم السادس من أكتوبر ضمن تشكيل مكون من أربع طائرات ميج٢١ التي كانت في ذلك الوقت هي العمود الفقري للقوات الجوية المصرية، وكانت هذه الطائرة مُقاتلة اعتراضية، مهمتها اعتراض وتدمير طائرات العدو في الجو).

- اللواء/ صليب منير بشارة: (وهو أحد المخططين لحرب أكتوبر، والذي عُيِّنَ رَئِيساً لهيئة البحوث العسكرية في مايو ١٩٧١، وخلال الفترة من مايو ١٩٧١إلى ١٩٧٣ قامت الهيئة بنشر العديد من البحوث العسكرية التي كانت مَرْجِعاً مهماً للذين خططوا لعبور ٦ أكتوبر، واشتملت تلك النشرات علي جميع التفصيلات للعملية الهجومية لاقتحام (قناة السويس) وعلى قمة تلك النشرات تأتي النشرة رقم (٤١) عن عبور واقتحام الموانع المائية التي صاغتها لجنة شكلتها هيئة البحوث العسكرية بقيادة اللواء أركان حرب (صليب) مع خبرة الضباط).

- العميد/ ميخائيل سند ميخائيل: (والذي كان ضمن قوات الردع الصاروخي،

وأثناء اقتحام خط بارليف أثناء الثغرة في ١٦ أكتوبر، كان مسئولاً عن سحب الصواريخ الموجودة على الناقلات إلى المنطقة الخلفية (بالقصاصين) حيث تم تدمير العديد من صواريخ العدو).

- اللواء/ فكري بياوى: (والذى اشترك في حرب ١٩٧٣ وأصيب إصابة بالغة، فجاءه إخوته المسلمون منهم (محمد مصيلحي) و (زكريا عامر)، حيث خرجوا من الخندق ورفضوا أن يتركوه فريسةً للموت، وَ أَصَرُّوا أن يحملوه ويسيروا به وسط ضرب الطائرات مُضحين بأنفسهم من أجله، وحملوه لمسافة ثلاثة كيلومترات حتى وجدوا ساتراً احتموا به، ثم جاءوا به إلى موقع الإسعاف حيث أُسعف).

- الفريق/ عزيز غالي: (كان قائداً للجيش الثاني، وقد تم محاصرته ولم يستسلم متحملاً بكل شجاعةٍ إلى أن تم التحرير، وقد كَرَّمَتْهُ الدولة وتم تعيينه فيما بعد محافظاً (لجنوب سيناء) في عام ١٩٨١).

- اللواء أركان حرب طيار/ جورج ماضي عبده: (والذي وصل إلى منصب رئيس أركان الدفاع الجوي).

- اللواء أركان حرب/ شفيق متري سدراك: (والذي استشهد في (الدفرسوار) وكان أول من استشهد فيها).

- اللواء المقاتل أركان حرب/ مدحت لبيب صادق.

- اللواء طيار مقاتل أركان حرب/ نبيل عزت كامل.

- الطيار/ سمير عزيز ميخائيل: (أسطورة في تاريخ الطيران المصري لما له من جرأة ومهارة يحسده عليها الآخرين، وكثيراً مَا كُتِبَتْ عنه مقالات أجنبية تُمجده وتُبرز دوره كطيارٍ مصرىٍّ بارزٍ في حرب الاستنزاف، وحرب أكتوبر- وُلِدَ عام ١٩٤٣، وتخرج من الكلية الجوية عام ١٩٦٣ بالدفعة ١٤ برتبة ملازم طيار، ثم تم توزيعه عل

جناح المقاتلات، وحصل على فرقة مقاتلات في مطار كبريت، وكان قائدها العقيد "محمد نبيه المسيري" ثم انتقل إلى سرب ميج-١٧ مقاتلات قاذفة، ولم يستمر به طويلاً، ثم انتقل بعدها إلي المقاتلات-الميج-٢١، برتبته الصغيرة وهي الملازم، وكانت أول دفعة تنتقل إلي الميج-٢١ والتي وصلت مصر حديثا في ذلك الوقت، وكانت طائرات الميج-٢١ كلها ذات مقعدٍ واحد فقطٍ، ولم يكن قد وصل طائرات للتدريب ذات مقعدين، فكان يتم التدريب علي طائرة ميج-١٧، وعند مرحلة الهبوط يتم تنفيذ إجراءات الهبوط وكأننا علي الميج -٢١، وبعدها كان يطير بمفرده(سولو) علي الميج-٢١، يقول سمير عزيز: انتقلت إلى اليمن عام ١٩٦٥ وكنت برتبة ملازم أول، وكان هناك في اليمن طائرات ميج-١٧ فقط، وطرنا بها علي أجواء اليمن نظراً إلي عدم وجود ميج-٢١، وكانت تلك الفترة باليمن فترة هادئة، فكنا ننفذ طلعات استعراضية أمام القبائل اليمنية المعارضة بغرض إرهابهم، فلم يكن أحد من تلك القبائل قد سبق له رؤية طائرات من قبل، فكنا نثير الذعر في نفوسهم بشدة، امتدت تلك الفترة إلى ٣ شهور باليمن، وكان معي "صلاح دانش" وكنا نأخذ أجازه كل ٢٧ يوم إلى القاهرة، وعدنا للطيران على طائرة ميج-٢١ وكانت من طراز F-13 وهو أحد أول الطرازات التي حضرت إلي مصر، وكانت تلك الطائرات ممتازة من حيث خفتها ورشاقتها ومسلحة بمدفع وصاروخين K-13 وخزان وقود بباطن الطائرة يسع ٥٠٠ لتر، وفي تلك الفترة كان يتم شحننا معنوياً ضد اليهود وأننا يجب أن نهزمهم شَرَّ هزيمةٍ، وأننا متفوقون عليهم ونستطيع سحقهم، وقبل الحرب ب ١٥ يوم وتحديداً في الرابع عشر من مايو ١٩٦٧ رفُعت حالة الطوارئ وتم منح الإجازات).

يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م

يَقُولُ أَيْضاً: (في صباح الخامس من يونيو كانت طائرات الميج-٢١ مرصوصة بجانب بعضها وبين كل منها مترين، وأمامها السخوي-٧، فكانت في صَفٍّ آخر لصف

الميج-٢١ ورأيت المشهد بعيني، جاءت طائرة إسرائيلية وضربت طائرة ميج-٢١ من تلك الطائرات، فانفجرت بسبب (الوقود) الموجود بداخلها، فاشتعلت وأشعلت الطائرة التي بجانبها، ورأيت صاروخ يخرج من طائرة ميج-٢١ محترقة لينفجر بالسوخوى-٧ التي أمامه، وأشعنت السوخوى بدون أن تضرب، ثم شاهدت طائرة سوبرمستير تتجه نحوي لكي تضربني، فقفزت من علي المدفع وضربته باتجاه الطائرة فانفجرت، ثم رأينا طائرة مستير تطير على ارتفاع منخفض جِدّاً من فوقنا، فأخرجت طبنجتى، وأطلقت عليها النار وأصيبت بالفعل، ونظر إليَّ قائدها و استمر بخط سيره العادي كأن شيئاً لم يحدث، فما الذي يمكن أن تسببه طلقة طبنجة في طائرة مقاتلة، وبعدها بثوانٍ وجدت "ممدوح حشمت" يقول لي: يا فندم الطيارة نازلة عليك، فنظرت خلفي، فوجدت الطائرة التي ضربتها تنزلُ عَلَيَّ بالضبط، فنظرت خلفي فلم أجد أحداً، فقد نزلوا جميعاً تحت السيارة، ولم أجد مكاناً بجانبهم، فقلت أفضل شيء أن أجرى إليه ليصعب عليه ضربي، لأني لو اتجهت يميناً، أو يساراً يستطيع أن يعَدِّلَ اتجاه طائرته ويضربني خصوصاً أن الطائرة سرعتها بطيئة، شعرت أنني أجري أسرع من الفهد من الخوف، ففتح الطيار النار مبكراً لكى يلحقني، فرأيت دخان المدفع، فقلت لنفسي أني سأموت حالاً، وبعد ثانية واحدة وجدت الطلقات بجانبي بالضبط، وتطاير الرمال حولي من تأثير الطلقات المندفعة. ومن شدة خوفي قفزت علي سورٍ كان أمامي؛ وَجُزِعَتْ زراعي، وعدت إليهم مرةً أخري فوجدتهم واقفين بجانب السيارة مندهشين مما حدث، ثم أخذنا السيارة وعدنا إلي مطار (فايد) فوجدت "أموزيس، وحسين حشمت" يقولون: إننا سنذهب إلى قاعدة إنشاص، وعند وصولنا (إنشاص) وجدنا حال المطار هناك لا يختلف كثيراً عن مطار فايد، فالتدمير قد طال معظم الطائرات، ولم يكن لدينا شيئاً يمكن أن نقوم به، فذهبنا إلي أعلي استراحة الملك "فاروق" والتي خُصصت لمبيتنا خارج حرم المطار).

ما بعد النكسة:

ثم يستطرد "سمير" قائلاً: (بعد النكسة تم تعيين "مدكور أبو العز" قائداً للقوات الجوية، واشتركنا بطلعات عمليات يومي ١٥، ١٤ يوليو وكانت مهمتنا حماية الميج-١٧، وكان لتلك الطلعة نتائج كبيرة في إثبات أن القوات الجوية لم تمت، وفي فترة عام ١٩٦٨ تم تعيين "شلبي الحناوي" قائداً للقوات الجوية والاشتباكات المدبرة والتي أثمرت عن عدة اشتباكات ناجحة مثل كمين "ممدوح طليبة" والذي تم عمله بتدبيرٍ مُحْكَمٍ وأدى إلى إسقاط أربع طائرات ميراج إسرائيلي بدون خسائر من طائراتنا).

- **مغامرات فوق مطار العدو في رأس نصراني:**

إلحاقاً لما سبق، يقول "سمير": (وفي أحد الليالي التي أعقبت هجوم إسرائيلي علي قواتنا في خط القناة عام ١٩٦٩، كنت أجلس بمفردي ومعي خريطة وقررت أن أقوم بمغامرة بمفردي ولا يعلم بها أحد، فقررت أن أقوم بعمل مرور سريع فوق مطار رأس نصراني "شرم الشيخ حالياً" لكي أوجه للإسرائيليين إهانةً، وأن أشعرهم بالإذلال، وَقُمْتُ بحساباتي الملاحية وخط السير تُجاه جزيرة شدوان علي ارتفاع مُنْخَفِضٍ جِدًّا، و ن المسافة من شدوان إلي رأس محمد هي ٤٥ كيلومتر وتستغرق حوالي ثلاث دقائق من الطيران السريع، وطبقا لحساباتي. فإنه إذا رصد الإسرائيليون طائرتي وأنا أرتفع فوق جزيرة شدوان، فهذا يعني أنني سأكون فوق مطار رأس نصراني في اللحظة التي تقوم فيها أول طائرة معادية بالإقلاع، وذلك طبقاً لحسابات الرصد والإنذار الإسرائيلي لي وإعطاء الأمر بالإقلاع لاعتراضي).

- **حرب الاستنزاف وأول اشتباك، وأول إصابة:**

واستكمالاً لما مضى يقول: (بعد شهر جاء دوري في الإجازة، وبالفعل وصلت إلى المنزل وعندما دخلت ومعي شنطتي وجدت التليفون يدق، فقمت بالرد فوجدته "رضا

"رضا اسكندر" فقلت له: أني بإجازة، فقال لي: (تعالى واحنا هنعمل حاجة تعجبك) وجاءت السيارة ليلاً لتنقلني إلى المطار، وأُبلغت أن هناك طائرتين سوخوي ستقومان بطلعة استطلاع فوق ممر (متلا) وستكون هناك ٤ طائرات ميج-٢١ لحمايتها، وتشكيل الحماية مكون من "سمير عبد الله" (قائد ليدر)، "رضا صقر" رقم ٢، وأنا رقم ٣، و "إسماعيل إمام" رقم ٤، وكانت طائرات الميج-٢١ مسلحة بصاروخين فقط وبدون مدفع، وأيضاً علمت بعد ذلك أنه لم يوضع أفلام للتصوير، وفي صباح اليوم التالي الموافق لعيد شم النسيم ١٣ أبريل ١٩٦٩م طرنا بالطائرات من غرب القاهرة إلى بلبيس، فأعدنا التزود بالوقود، ثم أقلعنا بجانب السوخوي، "الليدر، رقم ٢ يمين التشكيل، وأنا، ورقم ٤ على يساره"، وعلى ارتفاع منخفض جداً باتجاه الشرق حتى وصلنا إلي قناة السويس، ثم ارتفعت السوخوي إلى ٥ كم لكي تستطيع التصوير، وبالطبع ارتفعنا بجانبهما، فاكتشفنا رادارات العدو، ثم وصلنا إلى ممر (متلا) ونفذت السوخوي دوران لليسار ونحن معها، في هذا الوضع أبلغنا الموجه الأرضي وكان "محمد الطباخ" بأن هناك ٤ طائرات معادية خلفنا ب ٤٠ كيلومتر بدلاً من أن يكون على ميمنتهم، ثم قام بزيادة السرعة ومعه السوخوي حتى وصلت إلى حوالي ٩٠٠ كيلومتر في الساعة، فدخلت أنا ورقم ٤ خلف تشكيل السوخوى بحوالى ٤ كيلو بدلاً من أكون علي يسارهم، لأن من سيضربهم من الخلف، فكنت أنا حماية لهم، انتهينا من عمل الدوران وأصبحنا في خط مستقيم باتجاه الغرب إلى بلبيس، فأبلغنا الموجه الأرضي أن الطائرات المُعادية خلفنا ب ٢٠ كيلومتر، ثم بعد ثوانٍ قال ٨ كيلومتر، والسبب في تقدمهم بهذه السرعة أن الموجه الإسرائيلي كان يوجههم ليس خلفنا ولكن إلى أقرب نقطة تسبقنا لكى نلتقى بهم، وبعدها بثوانٍ قال الموجه أن المُعادى خلفنا ب ٢ كيلومتر فقط، في تلك اللحظة، وفي تفكير على جزءٍ من الثانية، قلت لنفسي: "إحنا بننضرب" فنفذت دوراناً حاداً جداً إلى اليسار بمعامل حمل عالٍ جداً، وفي تلك

"إسماعيل إمام" أصاب طائرته بالمحرك فى جزء يسمى الرنج "الحلقة" مسئول عن زيادة السرعة، أو تقليلها، ومن خلال فتح المحرك وغلقه، أبلغنى بالإصابة، فقلت له: (اعبر القناة، واهبط فى أي مكان) وعندما نظرت خلفي وجدت طائرتين ميراج خلفي تحاولان ضربي، فقمت بالدوران لليمين ورأيت طائرتين أخرتين خلفي، وهنا عرفت أني سأموت، وكان كل ما أريده هو أن لا أضرب في أرض العدو حتي لايتم أسرى، فكنت أناور بكل الوسائل، أنزل بالطائرة لأسفل، وعندما أجد طائرتين خلفي أصعد لأعلي، واستمر هذا الوضع حتى رأيت القناة تحتي، و أربع طائرات ميج ٢١، F١٣ قادمة كتعزيز لي من إنشاص، وكان هناك ٤ طائرات ميراج أخري جاءت كتعزيز، فاشتبك الجميع مع بعضهم، فزدت من سرعتي وارتفعت لأعلى جداً، ونظرت لأسفل، فرأيت دائرةٌ كبيرةٌ عبارة عن طائرة ميج ٢١، وخلفها ميراج والميراج خلفها ميج ٢١ وهكذا، فقلت لنفسي لماذا لا أضرب طائرة؟ فمن بين لحظة كنت أتمني أن أقترب من القناة لكى يتم ضربي فوق أرضنا بدلاً من أرض العدو، ووسط يأسٍ تام من نجاتي من طائرات العدو، وجدت نفسى في ثانية أخرى أنني في موقف يمكننى من الاشتباك من العدو وأن أصيب طائرة له بعد أن وصل التعزيز لي واشتبك مع طائرات العدو التى انشغلت مع طائراتنا الأربع وتركتنى وحيداً، لكن صواريخي لا تستطيع أن تُصيب طائرة معادية تُناور، لذا وجب أن أسير بخطٍ مستقيم وكأن من يقود تلك الطائرة المعادية غير عالم بوجودى تماماً خلفه، فاتجهت لأسفل إلى إحدى طائرات الميراج مباشرةً لكي أكسر تلك الدائرة، فرأني الطيار الإسرائيلي أني سأصطدم به، فقام بتغيير اتجاهه بسرعةٍ، فارتفعت مرةً أخري لأعلي، ورأيت الطائرات قد تبعثرت في كل اتجاه، منهم طائرة متجهة إلى الشرق بمفردها في خط مستقيم نحو إسرائيل، نزلت خلفها بهدوء وأطلقت عليها صاروخ فأصابها بالمحرك، وبدأ يخرج منها دُخَانٌ أَسْوَدٌ، فنظرت حولي بسرعة لأري إن كان أحد خلفي فلم أجد، فأطلقت عليها الصاروخ الثاني، فانطلق وقبل

أن يصطدم بها ارتفع لأعلى وتخطاها واستمر في نفس خط السير دون أن يُصيبها، وكأن الصاروخ يأبى أن يُصيب تلك الطائرة عَمْداً، فظروف ضرب الصاروخ التالي مماثلة لإطلاق الصاروخ الأول تماماً، لكنها إرادة الله في ألا أصيب الطائرة المعادية إلا بصاروخ واحد، وفي إحدى الأيام كنت قائد تشكيل وبمظلة غرب (بورسعيد) وكان رقم ٣ "وصفي بشارة" وكان خط سيرنا شمالاً، وجنوباً بسرعة ٨٠٠كيلومتر للتقليل من استهلاك الوقود، فأبلغنا الموجه الأرضي "محمد الطباخ" أن هناك تشكيل مُعادي يقوم بعمل مظلة شرق القناة بالقرب من بور سعيد، ثم قال لنا أن التشكيل المُعادي متجه إلينا، وأُمرنا بالعودة إلى المطار، فأبلغته أنني سأتجه إلي لطائرات المُعادية، لأن التشكيل المُعادي كانت سرعته ٣,١ ماخ، أي: أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر، وسرعتنا ٨٠٠ كيلومتر فقط، بمعني أننا لو انسحبنا سيتبعوننا ويُلحقوا بنا ونُضرب قبل أن نصل إلي المطار، فاتجهنا إلى التشكيل المُعادي وكان عبارة عن طائرتين فانتوم، فتخطيناهما من أعلي، وقُمنا بالدوران يساراً للدخول خلفهما، وقام المُعادي بالدوران يميناً مع التقليل من سرعته لكي يختصر قطر دورانه، فأصبحنا أسفل منه، ثم خلفه، وفي هذه اللحظة كان يجب أن يكون رقم ٣، ورقم ٤ خلفي لحمايتنا، ولكني وجدت "وصفي بشارة" رقم ٣، ومعه رقم ٤ قاموا بالدخول من أسفلنا وتقدم خلف الفانتوم وأصبح أمامي، ولم أستطع أن أتخطاه، فقلت له "خدتهه منى" وقمت بتوبيخه لأنه دخل واقتنص الطائرة من أمامي قبل لحظات من ضربها، فارتفعت لأعلي لكي أحميه و رأيته يُطلق صاروخ علي الفانتوم).

فترة ما قبل ١٩٧٣:

وَعَطْفاً عَلَي مَا قِيلَ، يقولُ "سمير عزيز" : (حدث وَقْفٌ لإطلاق النار سنة ٧٠، وتلاها وفاة الزعيم "جمال عبد الناصر"، وتولى الرئيس "محمد أنور السادات"،

ومرت الأيام، وفى أحد الأيام عام ٧١ علمنا أن الرئيس "السادات" سيزورنا بالمطار، فجمعنا قائد اللواء وقال لنا: (لو سألكوا جاهزين للحرب قولوا: لا)، وبالفعل حضر الرئيس وجلسنا أمام إحدي الدشم وشرح لنا الموقف، والوضع الحالي، وسألنا عن استعدادنا للقتال، فأجبناه بالموافقة خِلَافاً لكلام القائد، ولكننا قُلْنَا أن لنا مطالب من حيث التجهيزات وأن مدي الطائرات لا يصل إلى عمق العدو، فقال لنا: (هتنفذوا الخطة علي حسب ما عندكم، وما في أيديكم) وَ مَرَّ عَامٌ مِنَ الْحَسْمِ والضباب، وما إلي ذلك، ولم نُقَاتِلْ وفي عام ٧٢

علمنا أن هناك طيارين (باكستانيين بليبيا)، وأننا سنذهب إليهم للاستفادة من خبراتهم، وكان قبلها سافر بعض الطيارين القُدامى إلى (سوريا) حيث كان هناك أيضا طيارين (باكستانيين) وتعلموا منهم الطيران والمناورات بسرعات مُنخفضةٍ جدًا تَصِلُ إلى ٢٠٠ كليو متر في الساعة وهى سرعة منخفضة جدًا مُقَارَنَةً بِكُتَيِّبِ الطائرةِ الذي يقول: (إن أقل سرعة للميج ٢١ هي ٤٠٠ كيلو متر في الساعة)، ومن الطيارين المصريين الذين ذهبوا إلى (ليبيا)، "أمير رياض، وأموزيس، وأحمد نصر، ومجدي كمال" وعادوا ليعلمونا ذلك، ثم ذهبنا نحن إلى (ليبيا)، وكان معي بالمجموعة "ضياء بدر، ورضا اسكندر، ورضا صقر، ومدحت عرفه" وهناك وجدنا عدونا اللدود في القتال الجوي، المقاتلة الفرنسية الصنع- الميراج- والتي اشترتها(ليبيا من فرنسا)، ولكن من تدرب عليها وأدارها هم أطقم مصرية كاملة تمهيدًا لدخولها الخدمة في مصر، وكانت مِيزَةً لنا أن نتعرف على طائرةِ عدونا عن قربٍ، فطار كل منا على الميراج المخصصة للتدريب طلعةً واحدةً، رغم أنها لا تكفي لمعرفة إمكانيات الطائرة بالكامل، لكنني حاولت أن أُنَفِّذَ بها بعض المناورات التي تتم بالميج ٢١، لكن الميراج لا تستطيع فعلها، لأن الميج ٢١ تستطيع أن تقوم بالدوران لأسفل بارتفاع ١٢٠٠ متر فقط، برغم أن (الروس) يقولون: (أنها لا تستطيع فعل ذلك بأقل من ١٨٠٠ متر)،

وعندما طرت على الميراج حاولت أن أفعل ذلك لكن المدرب الذي كان معي صرخ، وقال: (إنها لا تستطيع ذلك)، ثم قُمْنَا بطلعات اشتباك معها مع طيارين باكستانيين، فكان مستوانا أعلى منهم بكثير نتيجة خبرات القتال التي كانت لدينا، إضافة إلى ما تعلمناه منهم في مناورات السرعة المنخفضة، فكان ذلك مكسب لنا، ثم عُدْنَا بعد ذلك محملين بخبراتٍ كبيرةً).

● حرب أكتوبر-حرب الأيام الثلاث:

وَتَكْمِلَةً لما مضى يقول: (جاء يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣، وليلًا اجتمعنا مع العقيد "أحمد نصر" قائد اللواء ١٠٤ بالمنصورة: حيث كان يوجد السرب ٤٤، والسرب ٤٦، والسرب ٤٢، والذي تم نقله إلى (لأقصر)، ثم جَمَعَنَا قائد اللواء، وأبلغنا أن غدًا الحرب، وأمرنا بإلزام الجميع بالراحة التامة، وكان معي زوجتي (بالمنصورة)، فأمرت أحد الجنود أن يأخذها في سيارة السِّرْبِ ويعودُ بها إلى القاهرة، وفي صباح ٦ أكتوبر كنا على استعدادٍ تَامٍّ، وكان كل ما يقلقني أن يتأجل موعد الحرب كسابقه ويكون هذا نوع من التدريب فقط، وحوالي ١١ صباحًا طلبوا مِنَّا طلعة تدريبٍ، فأقلع تشكيل من السرب ٤٦ بقيادتي، وتشكيل من السرب ٤٤، وقمنا بعمل طلعة التدريب وفقًا لما رآه قائد اللواء، لكن الهدف لم يكن التدريب، إنما استمرار الخداع للعدو، وبعد انتهاء التدريب عُدْنَا للمطار في الساعة ١٢ ظهرًا، وقبل الساعة الثانية بدقائق أقلعنا من مطاراتنا وَرَوْحُنَا المعنوية تُناطح السحاب الذي نخترقه، ونفذنا مراحل الخطة التي تدربنا عليها طويلًا، وفي الثانية ظُهْرًا، عبرت الطائرات القناة، وكانت مهمتنا في السرب عمل مظلاتٍ في عدة مناطق، وكنت قائد تشكيل من أربع طائرات في مظلة "شرق الإسماعيلية"، وبعد انتهاء الضربة عادت الطائرات، وكان من المفترض أن أعود معها، ولكني انتظرت حوالي ٥ دقائق.

لكي اشتبك مع أي طائرات مُعادية تأتي بدلًا من أعود بلا اشتباك، أبلغني الموجه بالعودة، وفي طريقي للعودة، وبالقرب من المطار أطلق علينا صاروخ "سام مصري" فانفجر بيني، وبين رقم٣ وكان لدينا طيار يُسمى "حسن خضر" وكان وقتها بغرفة عمليات المطار، وأبلغ أن طائراتنا كلها عادت، ولم يَعُدْ لنا طائرات في الجو، فظن الدفاع الجوي أننا هدف مُعادي، نظرت أسفلي، فرأيت باقي الصواريخ تنطلق نحونا، فأبلغت قائد اللواء أننا نُضرب، إذ أُطلق علينا حوالي ٦ صواريخ، لكننا عُدنا إلى المطار بسلام، وعلمنا بنجاح الضربة، فعلمت وقتها أننا انتصرنا، والفرحة غمرتنا جميعًا، فرحة بدء الحرب بنجاح، فكان كل قائد تشكيل يحمل مساعده والسعادة ظاهرةً في الأعين على الجميع "نصر موسى، وعلي زكريا محمول من سمير عزيز، وعلي عبد الحميد محمول من نبيل فؤاد، وأسامه الحفني دخل يمين، وداخل من اليسار مدحت عبد التواب"، واستكملنا باقي اليوم في طائراتنا في حالاتِ الاستعدادِ التامة، وَكَلَّلَ اللهُ جهد الجميع، وتم النصر بإذن الله تعالى[1].

أردت أن أسردَ بعضًا من بطولات هذا الرجل العظيم في جيش مصر، ومدى شجاعته وجسارته في فن القتال في الْجَوِّ، لِأُبْرِزَ للقارئ مدى وطنية الأقباط لبلدهم مصر، وأنهم مع مُسْلِمِي مِصْرَ لُحْمَةٌ واحدةٌ، ضِدَّ أيِّ مُعْتَدٍ، وَأَنَّ مَا يُقَالُ عنهم من كثيرِه، أو قليلِه، ما هو إلا نَفْخَةٌ في رَمَادٍ، أَوْ صَرْخَةٌ فِي وَادٍ، لأن الأبطال لاَ تُؤَثِّرُ فيهم العواصفُ الهوجاءُ، ولا الكلماتُ العرجاءُ، فبطولة الطيار "سمير عزيز" كانت في السماء، أما بطولة اللواء المهندس "باقي زكي يوسف" الذي حطم خط بارليف، فكانت على الأرض، فهو صاحب فكرة استخدام ضخ المياه في فتح الساتر الترابي تمهيدًا لعبور القوات المصرية إلى سيناء، والتي أبقت على حياة ٢٠ ألف جندي، أي:

(١) شبكة الإنترنت.

٢٠٪ من الخسائر المتوقعة في القوات المصرية.

- يقول المهندس "باقي زكي يوسف": (أن هذه الفكرة برغم بساطتها أنقذت ٢٠ ألف جندي مصري على الأقل من الموت المحقق) ثم يستطرد قائلًا: (كان الساتر الترابي عبارة عن كثبان رملية طبيعية موجودة أصلًا، وبعد ذلك عندما جاء "ديليسبس" وحفر القناة، ووضع الحفر على الناحية الشرقية، فجاء "الإسرائيليون" واستخدموها كحائط وقاموا بتعليته، وبدأوا يقربونه ناحية الشرق، فمالت بدرجة ٨٠ درجة، ونحن كُنَّا نعيش مع مولد الساتر الترابي، وفي مايو ١٩٦٩ اجتمعوا مع قيادة الفرقة وأخذنا مُهمة أن نُغير القناة، وكان ضمن المقترحات لتدمير الساتر الترابي استخدام الصواريخ، أو المتفجرات، أو المدفعيات بكل أنواعها، أو الطيران بالقنابل، وكان أقل وقت لفتح ثغرة واحدة من ١٢ إلى ١٥ ساعة، وكانت الخسائر المتوقعة في حدود ٢٠٪ من القوات، يعني ٢٠ ألف شهيد. فسمعت هذا الكلام واندهشت، واستفزتني الخسائر البشرية، فأخبرت القادة العسكريين أن هناك حَلاً بسيطًا جَرَّبْنَاهُ من قبل في "السد العالي"، فقلت لهم في الاجتماع: الساتر عبارة عن رمال، وسبحان الله... هُمَّ عملوا المشكلة وربنا جعل الحل تحتها، فنحن نحفر طلمبات يتم وضعها على زوارق خفيفة تسحب المياه وتضخها، ومن خلال تدافع المياه بالقوة الهائلة تُحرك الرمال وتنزل بوزنها مع المياه للقناة، ومع استمرار تدفق المياه يتم فتح الثغرات بعمق الساتر، فَأُعْجِبُوا جِدًّا بالفكرة، وعلى الفور أعددت بها مذكرة، ووصلت الفكرة إلى الرئيس "جمال عبد الناصر" ووافق عليها، ثم جاءتني تعليمات بعدم الحديث عن الفكرة مطلقا مع أي أحد، وحول مدى نجاح الفكرة وتأثيرها في إتمام عملية العبور يحكى المهندس "باقي" قائلاً: يوم ٦ أكتوبر بدأ العمل في فتح الساتر الترابي منذ انطلاق الحرب، وفي تمام الساعة العاشرة مساءً كان مفتوحًا ٦٠ ثغرة على طول امتداد الضفة الشرقية للقناة، وكانت كافية لإتمام العبور على مدار ذلك اليوم، وفي الساعة الثامنة

والنصف عبر لواء مدرع شرق القناة قبل ميعاد عبوره بساعتين من ثغرةٍ تم فتحها بالمياه وذلك دون وقوع أي خسائر بشرية عدا ٨٧ جُنْدِيًّا فقط في الموجات الأولى للصور بدلًا من ٢٠ ألف شهيد، وعبر الجنود من ٦٠ ثغرة وكأنها كانت شرايين في الجسم تُضَخُّ للناحية الثانية، وهذه غَيَّرَتْ المفاهيم القتالية لفتح الثغرات، وجعلت العدو مُرْتَبِكًا، لأن فتح الثغرات كان من بورسعيد، للسويس، وقدرت الدولة والحكومة المصرية ترقية الضابط "باقي زكي يوسف" إلى رتبة اللواء، وبعد أن تم تحقيق انتصار أكتوبر ٧٣ منحته الدولة نوط الجمهورية من الدرجة الأولى تقديرًا لامتيازه وبطولته النادرة في تلك الحرب)[1].

إذن عزيزي القارئ وجب على كل لبيبٍ نجيبٍ أن يستخدم العقل الفطن، والذي لا يتحاور إلا مع من يستخدم "النسق المفتوح" الذي يقبل الرأي، والرأي الآخر، والذي يعلم جيدا أن الدولة المدنية هى التي تتعامل مع الجميع، وليس مع فصيلٍ واحدٍ، وهى التي تتعامل مع الأجندة الوطنية، ولا يتعامل مع الأجندة التي تريد تقسيم الهوية المصرية، وتحارب بشدة الطرف الذي يستخدم" النسق المغلق" الذي لا يعترف بحرية الرأي، والرأي الآخر، والذي لا يعترف بالحدود المصرية، بل يريد إلغائها، ويرفض بشدة اللحمة الوطنية، لأنه يريد كسرها، وتفتيتها، وعدم المحافظة عليها، بل وبيعها بأبخس الأثمان، فهل كان سيحدث اقتحام خط بارليف، لو كنا قد طبقنا نظرية الولاء، والبراء، وسمعنا كلام من يُنادون بالطائفة العنصرية التي تَبُثُّ العبارات الجوفاء، والتصاريح الضحلة العرجاء، التي لا تُثمر إلا الخبيث، من منطلق عدم وجوب موالاة الأقباط ومنهم من تَوَلِّيَّ الوظائف القيادية، ورفض التحاقه بالجيش، والاكتفاء بدفع الجزية، هذا التفكير لا يذيعه، ولا يريد تحقيقه، إلا جاهل أعمى لا يتحسس الطريق،

---

(1) Http: //www.elwatannew.com

لأنه لا يرى في هذا الطريق الْمُتَّسِعِ الذي يَسَعُ الناس جميعًا، إلا كُفْرٌ وخِيَانَةٌ، والرفضُ بكل قوةٍ لتماسك الشعب كالجدار المتماسك، أو البنيان المرصوص، لأنهم لا يريدون إلا الدسائس والمكائد، وتقسيم هذا الشعب حتى يصبح عُرْضَةً، بل غنيمةً لأيِّ أجندةٍ خارجيةٍ يتعاملون معها، فمن فكر في إزالة ٢٠٠٠ متر مكعب من الرمال في (خط بارليف)، حيث كانت عائقًا في عبور الجنود المصرية للضفة الشرقية من قناة السويس هو بَطَلٌ قبطيٌّ، فالدولة الحديثة هى دولة الوطن والمواطنة، والعيش في سلامٍ اجتماعيٍّ وأمن يحمي الجميع، وليست دولة الطوائف، أو الفاشية الدينية التي تُقصي الجميع، لذلك حينما قام "محمد علي" بتأسيس الدولة الحديثة بمصر، لم يهتم بأيٍّ طائفةٍ من الطوائفِ، بل كان اهتمامه بكل الطوائف على حَدٍّ سواء، لذا تم اختيار أعوانه منهم جميعًا، فكان منهم اليوناني، والشركسي، والفرنسي، والقبطي، والمسلم، واستمر تعزيز هذه الفكرة مع الدولة الحديثة أيام الخديوي "إسماعيل" حتى أن أول رئيس وزراء في مصر كان "نوبار باشا" وهو قبطيٌّ، وكان المجتمع المصري كله يعمل على مقاومة الإحتلال البريطاني، وتم تأسيس الجمعيات الخيرية للنهوض بالشعب حتى جاءت ثورة ١٩١٩، ولم يميز فيها المصريون بين قِبْطِيِّه، وَمُسْلِمِيهِ، حتى كان المجلس التشريعي في ذلك الوقت كان يرأسه "ويصا واصف" القبطيّ حتى جاءت ثورة ١٩٥٢، و لتحم الشعب كله على يدٍ واحدةٍ قبطييه، ومسلميه في ٦٧، وفي ٧٣ حتى تم النصر الكبير، ولم يميز بين القبطي، والمسلم، بل كلهم مواطنون مصريون مشاعرهم نحو وطنهم واحدة، وهمومهم واحدة، إلا أن الفرق بين المصري المسلم، والمصري القبطي، سوى أن الأول يذهب للصلاة في المسجد، والثاني يذهب للصلاة في الكنيسة، كما أقرها وشهد بها "اللورد كرومر"، فهذه هى وطنية أقباط مصر تتحدث عن نفسه، وتشهد لهم بالبطولة والفداء والوطنية أيضًا، ولا

يُنكرها إلا مَغْصُوبِي الأَعْيُنِ، الجاحدِ للحقِّ، المعرضِ عَنْهُ.

الْأَعْمَالُ الْمَيْدَانِيَّةُ، وَالَّتِي تَتِمُّ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ:

أما الأعمال الميدانية والتي تتم على أرض الواقع بعيدًا عن أبطال الجيش وما فعلوه، فهى الأعمال الخيرية والإنسانية التي يقوم بها الدكتور "مجدي يعقوب" وإليك بعضا منها بالتفصيل:

المدخل:

قال الحق تبارك وتعالى: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (المائدة: ٣٢)

أي:ومن تسبب لبقاء حياة هذه النفس من العفو والصفح الجميل، أو منعها من القتل، أو أسبابٍ طبيةٍ قد أخذت بأسباب التقدم، كما كانت سببًا لإنقاذها من الهلاك، فكأنما أحيا الناس جميعًا، ثم انظر إلى رحمة الله تعالى لخلقه، أنه حث الخلائق على رحمة الضعفاء من الحيوانات، فمن رحم ولو أصغر الحيوانات حجما، فقد رحمه الله يوم القيامة، فما بالك عبد الله بإحياءك نَفْسًا قد أوشكت على الهلاك، فقد روى البخاري في "الأدب المفرد" من حديث أبي أمامة مرفوعًا أن رسول اللهﷺ قال: (مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[1].

كما غفر الله لامرأة من بغايا بني إسرائيل، أي: من زواني بني إسرائيل، قد سقت كلبًا بعد ما كاد العطش أن يقتله، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول اللهﷺ قال: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرِكِيَّةٍ، أي: يَدُورُ حَوْلَ الْبِئْرِ،

(١) رواه البخاري في (الأدب المفرد) رقم: (٣٧١)، وتمام في (الفوائد) (ق/ ١٩٤/ ١)، والبيهقي في (الشعب) (٣/ ٣/ ١٤٥/ ١) عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة مرفوعًا، والهيثمي (٤/ ٣٣)، رواه الطبراني في (الكبير) (٧٩١٣،٧٩١٥)، ورجاله ثقات ورواه الضياء المقدسي في (المختارة)، كما في (الجامع الصغير) للسيوطي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٧)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٦١).

قدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيل، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، أَيْ: خَلَعَتْ خُفَّهَا- أَوْ حِذَائَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفَرَ لَهَا بِهْ)[1].

وَعُذِّبَتْ امرأةٌ مسلمةٌ في قطةٍ سجنتها حتى ماتت، فدخلت بسببها النار، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث عبد الله مرفوعًا، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَ لَا هِيَ تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِنْ خشَاشِ الْأَرْضِ) "وَخَشَاشُ الْأَرْضِ: هِيَ: الْحَشَرَاتُ، وَالْهَوَامُ"[2].

ولذلك قال معلم البشريةﷺ: (ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكَ مَنْ فَي السَّمَاءِ)[3].

فقد خَصَّ رسول اللهﷺ، وَعَمَّ في وصاياه على الرحمة لجميع المخلوقات، فأمر بها، وَحثَّ عليها لذلك وجب علينا أن نشيد بكل من تلمس خطى الحبيبﷺ، لنكون عادلين، مُنصفين، متخذين ذلك المنهج، غير مفرقين بين جنس، أولونٍ، أودينٍ، ولنا في حديث المرأة التي كانت من بغايا بني إسرائيل المثل في هذا، لأن الحساب متروكٌ

(١) رواه البخاري(٢/ ٣٧٦)، ومسلم (٧/ ٤٥)، وأحمد (٢/ ٥٠٧) من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه أحمد (٢/ ٥١٠) وسنده صحيح أيضًا، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٣٠)، وصحيح الجامع برقم: (٢٨٧٦-١٣٢٥).

(٢) والحديث: رواه البخاري في (صحيحه)(٢/ ٧٨)، وفي (الأدب المفرد) برقم: (٣٧٩)، ومسلم (٧/ ٤٣) من حديث نافع عن عبد الله بن عمر مرفوعًا، وأحمد (٢/ ٥٠٧) من طرق عن أبي هريرة -رضي الله عنه -، وجاء في السنن الأربع: (أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه) عن ابن عمر-رضي الله عنهما-، والدار قطني عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٢٨)، وصحيح الجامع برقم: (٣٩٩٥).

(٣) الحديث: صحيح رواه الطبراني في (الكبير) من حديث جرير-رضي الله عنه-، والحاكم من حديث ابن مسعود-رضي الله عنه-، والروض النضير برقم (٦٠٠)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٩٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٨٩٦) وقال أيضا: (ارْحَمُوا، تُرْحَمُوا) رواه البخاري في (الأدب المفرد)، والإمام أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عمرو، والسلسلة الصحيحة برقم: (٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٨٩٧)

لله وحده، ولأنه لا يوجد على وجه الأرض من هو قَيِّمٌ على الدين، يحكم لهذا بالجنة، ويحكم على هذا بالنار، لأن هذا هو التَّنُّطع حَقًّا، حيث قالﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)[1].

أي: الذين يُدْلُونَ بآرائهم في الناسِ بلا علم، أو دليلٍ، أو برهانٍ هو المتنطعُ حَقاً، ومن خلال ذلك كان لَابُدَّ لنا أَنْ نتكلمَ في هذا المجالَ عن شخصيةٍ عظيمةٍ، حيث أجرى هذا الرجل ما يقرب من ٢٥ ألف عملية خلال مشواره الطبي الطويل، منها ٢٥٠٠ عملية زرع قلب، وإليك سيرته الحافلة بأعماله الخيرية:

النواحي الإنسانية، والأعمال الخيرية لهذا الإنسان:

يَتَّسِمُ تاريخُ الدكتور "مجدي يعقوب" بالأعمال الخيرية، وعبقريته الغير مسبوقة في تاريخ الطب العربي، وَتَوَاضُعِهِ الْجَمِّ، وخجله الذي يظهر في ملامح وجهه عندما يتحدث، فقد ساهم في أعمال إنسانية كثيرة منها:

١-ساهم في إنشاء مؤسسة (سلاسل الأمل) للأعمال الخيرية في عام ١٩٥٥، وهي تقدم خدماتٍ إنسانيةٍ متنوعةٍ لمرضى القلب من الأطفال في العديد من الدول النامية.

٢- اهتم بإجراء العمليات الجراحية مجانًا في مصر، حيث يقوم كل فترة بزيارةٍ لِمِصْرَ، يُجْرِي خلالها العديد من عمليات القلب المفتوح بالمجان، وذلك للأطفال الذين لا يستطيعون أهليهم تحمل نفقات الجراحة والعلاج، وقد تَبَنَّتْ "مؤسسة مجدي يعقوب" الخيرية بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية بَرْنَامَجًا لأمراض القلب الوراثية على المستوى القومي بِدْءًا بمحافظات أسوان، والقاهرة، والإسكندرية، والمنوفية أُسْهِمَ حتى ٢٠١١ في متابعة حالات أكثر من ١٦٠٠ من الأسر المصرية.

٣- عمل على إنشاء وحدة رعاية متكاملة بمستشفى القصر العيني بمصر لعلاج

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبي داود، عن ابن مسعود-ت- وجاء في غاية المرام برقم: (٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٠٣٩).

التشوهات الخلقية في القلب.

٤- أنشأ في (أسوان) مركزًا لجراحات القلب لعلاج الحالات الحرجة لغير القادرين، كما شرع في إنشاء مركز آخر -ملحق به- للدراسات وأبحاث القلب، وذلك لتكوين كوادر مُدَرَّبَةٍ ومؤهلةٍ من الأطباء... هذا إلى جانب الاهتمام بالبحث العمليِّ، لوضع مصدر على الخريطة العالمية في علاج أمراض القلب، وجراحات القلب المفتوح.

٥-قام بافتتاح المركز المتميز بمشتسفى أسوان في مارس ٢٠٠٦.

٦-أنشأ معهد ومركز لبحوث جراحات القلب على مساحة ٥٠ ألف متر مربع بمدينة أسوان الجديدة بتكلفةٍ مبدئيةٍ تُقَدَّرُ بمليون جنيه استرليني، ساهمت في إنشائه جمعية سلاسل الأمل وعدد من الجمعيات الأهلية ومحافظة أسوان.

٧-أكد الدكتور "ممدوح الأمين" مدير مستشفى أسوان التعليمي أنه قد جرى تركيب وحدتى قلب صناعي بواقع وحدة لكل غرفة عمليات، وفي نهاية الزيارة قام الدكتور "مجدي يعقوب" بمتابعة ٣ حالات لأطفال في محافظة أسوان تَمَّ إجراء عمليات قلب مفتوح لهم بالخارج(١).

٨- قام بتنفيذ خطوات المرحلة الثانية لمركز جراحة القلب المتميز بمستشفى أسوان التعليمي والذي يحتوي على وحدة القسطرة التشخيصية، وأخرى للقسطرة العلاجية والتداخلية، وَغُرْفَتَيْ عمليات لإجراء جراحات القلب المفتوح، وغرفة عناية مركزة تَضُمُّ ١٤ سريرًا.

٩-أكد أنه سيبدأ في الخطوات العملية لإنشاء أول مستشفى ومعهد بحثي متخصص في علاج وجراحات الحالات الحرجة لأمراض القلب في مصر، وقال: إن فكرة تأسيس هذا المعهد البحثي في أسوان جاءت بعد أن لاحظ انتشار مَرْضَى الْحُمَّى

---

(١) -جريدة الأخبار - ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٧م - لسنة (٥٦) العدد (١٧٣٧٨).

الروماتيزمية الذي يصيب قلوب المصريين، الذين سيتم اختيارهم عن طريق الجينات الوراثية، وكشف عن أنه اتفق مع الدكتور "أحمد زويل" على تأسيس مجلس علمي يحاول إعادة العقول المهاجرة إلى حضن الوطن الأم، للمساعدة في إحداث نهضةً عمليةً للوطن[1].

١٠- قام بافتتاح مبنى جديد لعلاج القلب بأسوان يوم الأربعاء ٣ أبريل ٢٠١٣م، وهذا المبنى سيقوم بعلاج ضعف العدد السابق لتخفيف معناة المرضى.

ثم يقول عن نفسه أخيرًا:

من الصعب أن أقول أن هناك عملية أهم من الأخرى، لأن كل عملية تعني حياة إنسان، وهناك قوائم انتظار، لكني حريص على تدريب أطباء على مستوى أنحاء العالم حتى لاينتظر مريض محتاج لعملية حضوري شخصيًّا، وأنا فخور أن هناك ممن عملوا معي من أصبحوا قادرين على إجراء عملياتٍ بنجاحٍ كبيرٍ خصوصًا في مصر، بل إن بعضهم أفضل مني.

ويقول أيضًا:

أنا لم أفكر في الاعتزال، وما دمت قادرًا على مساعدة الناس بطرق مختلفة فلن أتوقف، خاصة في مجال إنشاء مستشفيات ومعاهد أبحاث مثل التي تم إنشاؤها في أسوان، والإسكندرية، وأثيوبيا، وجامايكا.

وأما عن تواضعه، فيقول: هذا ليس تَوَاضُعًا، ولكن الإنسان كلما يعرفُ المعضلات التي أمامه يرى نفسه صغيرًا جدًا، وهذه حقيقة وليس تَوَاضُعًا، فأصحاب العطاء هم من يقدمون لغيرهم ما تجود به أنفسهم، من غير سؤالهم إِيَّاهُ، وأن يُبادروا بتقديم كل ما استطاعوا لمن يحبون وأن لا يعيش المرء لنفسه فقط، بل يمنح الآخرين كل ما

(١) جريدة الأهرام-١٧/ ٥/ ٢٠٠٨- السنة١٣٢- العدد (٤٤٣٥٧).

لديه بقدر ما يُستطاع، وأن لا ينظر لقيمة ما أعطى، ولكن ينظر إلى مقدار ما سيحدثه فِعْلَهُ ومدى تأثيره، فالعطاءُ نهرٌ لا يتوقفُ، وبحرٌ لا ينضبُ، لأن صاحبهُ يفرحُ بفرح من حولهُ، فَيُعْطِي عطاءً يُشْعِرُ الآخرين بِحُنُوِّ قَلْبِهْ، إذن هل هؤلاء القبط بعد ما قدمناهُ واستعرضناهُ في المواقف السابقة، يستحقون كل هذا الظلم.

والتعدى، والتحدِّي من أعداء الوحدة الوطنية.

أم يستحقون الإشارة والتأييد.

وسأترك للقارئ العزيز أن يُجيب بعد ما قرأ، وَمَا كُتِبَ عن هؤلاء، فهذا غَيْضٌ من فَيْض، أي: القليل من الكثير، ولكن يبقى الحكم على هؤلاء، ليكون من خلال عدلك أنت، ومن خلال وسطية الإسلام السمحة النبيلة، لِيُصْبِحَ الحكمُ، ليس بالكلام وفقط، ولكن بحسنِ التَّعَامُلِ مع هؤلاء.

- ونعود أدراجنا إلى ما قاله الحاج "مصطفى مشهور" وَمَا صَرَّحَ به من أقوال تثير الجدل، بل قد مزجت الضحك بالبكاء، ليصرح بوضوح قائلاً: (لا يجوز أن نقول عنهم مسيحيون، فالله لم يقل عنهم هذا، بل هم نصارى، أو أقباط، أو صليبيون، أما قوله: هؤلاء الأقباط ليسوا من أهل الكتاب، بل هم من المشركين، ولا يجوز الزواج منهم ولا أكل طعامهم، وقد كنا تعرضنا للكلام عن ذلك بقول علماء التفسير في إباحة الزواج منهم وأكل طعامهم، وبنص الآية الكريمة: { ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ } (المائدة: ٥).

أما قوله: لا يجوز أن نلقي عليهم السلام، ونقول لهم تحية الإسلام: "السلام عليكم" وهو ما سنتعرض له بالقول، والتحليل، والدليل من كتاب الله تعالى، وسنة

رسوله ﷺ، وقول علماء الأمة في ذلك الشأن، وقبل أن نتطرق إلى البحث الجميل الذي كتبه الشيخ "فيصل مولوي" لابد لنا أن نذكر ما فعله رسول الله ﷺ مع وفد "نصارى نجران" عندما وصلوا إلى المسجد النبوي وألقوا عليه تحية الإسلام، أي: "السلام عليكم"، وهل رَدَّ عليهم التحية، أم لا؟

عندما انطلق وفد "نصارى نجران" لمدينة رسول الله ﷺ، وحين دخلوا المدينة كانوا ثلاثة وهم "شرحبيل بن وداعة الهمداني"، " وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي"،و" جبار بن فيض الحارثي"، وعند وصولهم للمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حُلَلاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهارًا طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الْحُلَلِ وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون "عثمان بن عفان"، و" عبد الرحمن بن عوف"، وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناسٍ من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: (ياعثمان، ويا عبد الرحمن: إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يَرُدَّ سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسين فى هؤلاء القوم؟ فقال "عَلِيٌّ لعثمان، ولعبد الرحمن":أرى أن يضعوا حُلَلَهُمْ هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه، ففعلوا، فَسَلَّمُوا فَرَدَّ سلامهم، ثم قال: (وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَقَدْ أَتَوْنِي الْمَرَّةَ الْأُولَى، وَ إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَعَهُمْ)[1].

إذن امتناع رسول الله ﷺ عن رَدِّ السلام لوفد" نصارى نجران" هو ارتدائهم حُلَلاً يَجُرُّونَهَا خُيَلاَءَ، وخواتيم من الذهب، حيث أن النبي ﷺ قال: (مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ لاَ يُرِيدُ

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٥/ ٥٤/ ٥٥).

بِذَلِكَ إلاَّ الْمَخِيلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[1].

وجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرُ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[2].

وجاء في سنن الترمذي من حديث أبي موسى-رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ)[3].

لذا وجب رَدّ السلام على أهل الكتاب من القبط، بشرط أن يكون سلامه واضحًا بيّنًا يظهر فيه سلامةَ لسانه في النطق بألفاضه.

السلام على أهل الكتاب للشيخ "فيصل مولوي":

قال الشيخ: (السلام على أهل انكتاب، من الموضوعات التي تلقي أهمية كبيرة في بلد كلبنان، وفي بلاد أخرى كثيرة لا يُشكل فيها المسلمون أكثرية عددية، رغم أن هذا الموضوع لايقل في رأينا أهمية في البلاد ذات الأكثرية الإسلامية، لأنه أحد الأسباب التي يدخل منها العدو الخارجي من أجل تفتيت المجتمع من الداخل، عن طريق افتعال أنواع من العداوة لتمزيق الشرائح الاجتماعية، وتَكْبُر الخلافات القائمة بينهما، ولقد تجاوز المسلمون في لبنان بواقعهم هذه المسألة منذ زمن بعيد، فكانت التحية بينهم سَبَبًا في زيادة التآلف وشيوع روح التسامح بين جميع اللبنانيين، ولو أن بعضهم كان يستعمل ألفاظًا أخرى، غير التحية المعتمدة بين المسلمين "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، إلا أنه مع نُمُوٍّ ظاهرة الصحوة الإسلامية، ظهرت مجموعات

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر، وجاء في صحيح الجامع برقم: (٦١٧٨-٢٠٧١).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، وجاء في صحيح الجامع برقم: (٦١٨٨).

(٣) الحديث صحيح: جاء في آداب الزفاف ص: (١٥٠)، وغاية المرام برقم: (٧٧)، وصحيح الجامع برقم: (٣١٣٧).

من الشباب المسلم الملتزم، في نطاق الحركات الإسلامية المعروفة، أو الجمعيات الإسلامية المتناثرة هنا وهناك، تقف من هذا الموضوع أمام نَصٍّ وَاحِدٍ هو الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ)(٤).

وجاء في الصحيحين من حديث ابن عُمَرَ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَاسَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ)(٥).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَاسَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)(٦).

وهو حديث كثرت رواياته الصحيحة ولكنها كلها وردت في مناسبات متقاربة كان يطغي فيها الحقد اليهودي -رغم وجود العهد معهم- فيقولون للمسلمين عند التحية (السَّام عليكم)، والسام هو: "الموت"، هذا النص فهمه كثير من العلماء من خلال الحرب التاريخية التي كان يعيشها المسلمون، فاعتبروه النص الحاكم الذى يدفع إلى تأويل النصوص الأخرى المعارضة، أو تخصيصها، وأخذه بعض المسلمين اليوم بهذا الفهم الخاطئ، ولذلك رأيت من الضروري، أن أتناول هذا الموضوع من زاويةٍ علميةٍ محضةٍ، فأبدأ بمناقشة هذا الرأي، ثم أضع هذه القضية الجزئية في إطارها العام، ثم أتناول ما ورد فيها من نصوص عامةٍ وخاصةٍ

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم، وأبي داود، والترمذي من حديث أبي هريرة- رضى الله عنه- والسلسلة الصحيحة برقم: (٧٠٤)، ومختصر مسلم برقم: (١٤٣٢)، والإرواء برقم: (١٢٧١)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٨)، وصحيح الجامع برقم:(٧٤٠٤).

(٥) رواه البخاري :(مع الفتح/ ١٢/ ٢٨٠)، ومسلم (١٤/ ١٤٤)، والإرواء برقم: (١٢٧١)، وصحيح الجامع برقم: (٦٠٦-٢٧٣)، والإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-.

(٦) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجة، وأبي داود، وابن حبان، والطيالسي من حديث أنس-رضى الله عنه-، وجاء في الإرواء برقم: (١٢٧٦)، وصحيح الجامع برقم: (٦٠٥).

وأحاول الجمع بينها لتشكل لكل مسلم ثقافةٌ شرعيةٌ متكاملةٌ غير متناقضة، وصدق الله حيث قال في كتابه الكريم: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} (النساء: ٨٢).

أولا: أسباب منع المسلم من ابتداء أهل الكتاب بالسلام:

لقد انتشر في تراثنا الفقهي الإسلامي القول بعدم جواز ابتداء غير المسلم بالسلام، وذلك استنادًا لحديث رسول الله ﷺ: (لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلاَمِ) ونظرًا لغرابة هذا القول في ظل العلاقات الإنسانية الطبيعية بين المسلمين وغيرهم، لجأ بعض العلماء إلى تحليل أسباب ذلك فقالوا:

١-السلام على أهل الذمة مكروهٌ لما فيه من تعظيمهم، ولا بأس أن يسلمَ على الذِّمِّيِّ إن كانت له حاجةٌ، لأن السلام عندئذ لأجل الحاجةِ، لا لتعظيمهِ[١].

٢-السَّلاَمُ تَحِيَّةٌ، والكافر ليس من أهلها[٢].

٣-الابتداء بالسلام نوع من الإكرام، وهو بَسْطٌ لَهُ، وإيناسٌ، وإظهارُ وُدٍّ، والله تعالى يقول: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ} (المجادلة: ٢٢)[٣].

٤-لا يجوز فعل ما يُستدعى مودة الكافر ومحبته، لأن المسلم مأمورُ بما عاداة الكافر[٤].

وإفشاءُ السلام يؤدي إلى التحابب، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)[٥].

---

(١) ابن عابدين في الحاشية: (٥/ ٢٦٤)-الطبعة المصرية.

(٢) حاشية العدوى على الخرشي: (٣/ ١١٠)-طبعة بولاق.

(٣) نهاية المحتاج :(٨/ ٤٩) طبعة المكتبة الإسلامية.

(٤) فتح الباري: (١١/ ١٩).

(٥) رواه مسلم: (٢/ ٣٥)، وجاء في الإرواء برقم: (٧٧٧)، وصحيح الجامع برقم: (٧٠٨١-٢٤١٠)، ورواه الإمام أحمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، وابن ماجة من حديث ابي هريرة-رضي الله عنه-.

ثانيا : وجوابنا على ذلك :

١. أن السلام بالنسبة للمسلم هو التحية المعروفة بين جميع الشعوب، ولا علاقة له بالتعظيم، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: (تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِ السَّلَامْ)، فكان رسول الله ﷺ يسلمُ على اليهود، ولم يمتنع إلا عندما حَوَّرُوا هم كلَمة «السلام إلى السَّام»، ومع ذلك كان يَرُدُّ عليهم بكلمة (وعليكم) وهذا الرَّدُّ لا يمكن أن يكون تعظيما لهم، والله تعالى يقول: {وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟} (الحجرات: ١٣) والتعارف لا يكون إلا بنوع من التحية، والمسلم لَا يَحِيدُ عن تحيته الخاصة (السلام) إلا لسبب وجود الحربَ، لأن السلام تأمين، وهو لا يكون مع الحرب، ويجمع الفقهاء على وجوب رَدِّ تحية الكافر بأحسن منها، أو مثلها استنادًا إلى الآية الكريمة التي قال الله تعالى فيها: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦).

٢. السلام تحية. هذا صحيح، ولكن القول ليس من أهلها، لا يمكن أن يكون مقبولاً، لأنه يُناقض الآية السابقة (وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣)، ويُناقض فعل الرسول الثابت أنه كان يُسلم على غير المسلمين، وَيَرُدُّ عليهم السلام، ويناقض فعل الصحابة، والسلف وسيأتي بيان ذلك.

٣. الابتداء بالسلام ليس إكرامًا للمسلم عليه، بل هو إكرامٌ للمسلم نفسه، لقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ، مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ)[1].

أَمَّا أنهُ بَسْطٌ وإيناسٌ لهم، فليس هذا مستغربًا على المسلم، لأنهُ داعيةٌ إلى الله، ومن واجب الداعية أن يتلطف في دعوته، ويُرفق للناس، ويُؤنسهم، ويتباسط معهم، وإلا فما الحكمةُ، والموعظةُ الحسنةُ التي أُمِرَ الداعية بها؟

(١) الحديث صحيح: ورد في الكلم الطيب، لابن تيمية برقم: (١٩٨)، والمشكاة برقم: (٤٦٤٦)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٦٩٤)، وأبو داود برقم: (٥١٩٧)، وصحيح الجامع برقم: (٢٠١١).

وَلَيْسَ ضَرُورِيًّا أن يكون السلام إظهار وُدٍّ، بل قد يكون مُجَرَّدَ تَحِيَّةً للتعارف، على أَنَّ المودةَ المنهيَّ عنها هي مَوَدَّةَ الكافرينَ المحاربينَ، وليس كل كافر، فالآية الكريمة تنهى عن مَوَدَّةَ من يُحَادُّ اللَّهَ {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (المجادلة: ٢٢) وهؤلاء جمعوا مع الكفر المحاربة، والآية الثانية التي نهت عن مَوَدَّةَ الكافر قوله تعالى: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} (الممتحنة: ١) فهؤلاء أيضًا قد جمعوا بين الكفر والمحاربة، أَمَّا مجرد الكفر، فقد يوجد معه سبب لِلْمَوَدَّة، كما في حال الزوجة الكتابية، فقد يَوَدُّهَا زَوْجُهَا ولو كانت كتابية، والله تعالى يقول: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} (الروم: ٢١)، فإذا وُجِدَتْ الْمَوَدَّةُ من الزوج المسلم لزوجته الكتابية، فلا يُنهى عن ذلك، على أن ينتبه المسلم أن الْمَوَدَّةَ المشروعةَ هذه هي بسبب رباط الزوجية، وما إذا كانت تقوم بحقها، وليس لكفرها.

٤. أما القول، بأنه لا يجوز للمسلم فعل ما يستدعي مودة الكافر ومحبته اعتمادًا على أن (إفشاء السلام يؤدي إلى التحابب) فهو منقوص، لما جاء في مسند أبي يعلى من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول اللهﷺ قال: (تَهَادَوْا تَحَابُّوا)(١).

فالتهادي أيضًا يؤدي إلى التحابب، ومن الثابت أن رسول اللهﷺ (أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة حين كان محاربًا، واستهداهُ أَدَمًا)(٢).

واتفق العلماء الأربعة على صحة الهبة للحربي وهي هدية، كما أجاز جمهور الفقهاء قبول الهدية من الكفار الحربيين، لأن النبيﷺ قبل هدية "المقوقس عظيم القبط، وأهدى له كسرى، وقيصر" فقبل منهما، وأهدت له الملوك فقبل منهما، فتبين

(١) الحديث حسن: ورد في مسند أبي على عن أبي هريرة، والإرواء برقم: (١٦٠١)، وصحيح الجامع برقم: (٣٠٠٤).

(٢) ذكره الشرخسي في المبسوط برقم: (١٠/ ٩٢).

أن التهادي مع الكفار ليس ممنوعًا، وإن أدى إلى شَيْءٍ من الحب، لأن الْحُبَّ الممنوع هو الذي يتعلق بالكفر، أما إذا كان للحب سَبَبٌ آخر فليس ممنوعًا، كحب الرجل لزوجته الكتابية، وحب المسلم أقربائه الكفار، والله تعالى لم يطلب من المسلم الامتناع عن الحب البشري وهو حب الآباء والأولاد والأزواج والعشيرة والأموال، بل طلب أن يكون حب الله ورسوله هو الأقوى عند التعارض، كما جاء في كتابه تعالى: { قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ } (التوبة: ٢٤).

ومن المعروف أن الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والعشيرة يمكن أن يكونوا كُفَّارًا، وأن الأموال والتجارة والمساكن يمكن أن تكون في بلادٍ غير إسلاميةٍ، فيحب المسلم هذه البلاد لوجود أمواله وتجارته ومساكنه فيها، ولكن عند التعارض يجب أن يتغلب حُبُّ الله ورسوله وَلَوْ تَخَلَّى المسلم عن هؤلاء.

ثالثا: النصوص من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا } (النور: ٢٧)، وقوله تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (النور: ٦١) فكلمة (بيوت) هنا تشمل أَيَّ بيتٍ تدخل إليه، سواء كانت بيت مسلم، أو غير مسلم، وكلمة (أنفسكم) استعملها القرآن بمعنى الناس جميعًا، وليس فقط للمسلمين، كما قال تعالى مُخَاطِبًا العرب المشركين: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨)، فالآية نَصٌّ عَامٌّ على وجوب السلام عند دخول البيوت، سواء على

المسلمين، أو غير المسلمين، وقد ذكر (الطبري) في تفسير هذه الآية عن إبراهيم: إذا دخلت بيتا فيه يهود فقل: السلام عليكم، وإن لم يكن فيه أحد فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ويؤيد ذلك أيضًا حديث البيهقي في (شعب الإيمان) من حديث قتادة مُرْسَلاً، أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ فَأَوْدِعُوا أَهْلَهُ بِسَلَامٍ)(١).

قوله ﷺ: (إذا دخلتم بيتا) أي: أي بيت من المسلمين، أو غير المسلمين، لأن رسول الله ﷺ لم يَخُصَّ المسلمين في ذلك، فأطلق اللفظ على العموم.

٢. قوله تعالى: { وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ } (القصص: ٥٥) فهذه الآية نَصٌّ عَامٌّ لكل مسلم يستمع من غير المسلمين، فعليه أن يفارقهم، ولا يبقى في هذا المجلس. قال بعض المفسرين: السلام هنا للمتاركة، لا للتحية، ونقول: إن المتاركة يمكن أن تكون مع الشتائم، ويمكن أن تكون على الأقل بدون هذه الكلمة الطيبة (السلام) ولكن الله تعالى شرع لنا عند مفارقة الكفار أن نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين، وإذا كانت تحية المتاركة (السلام) فتحية الاستقبال كذلك من باب أولى، لأن الرسول ﷺ قال: (لَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الثَّانِيَةِ)(٢).

٣. قال تعالى: { وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا } (الفرقان: ٦٣) أورد (القرطبي) في تفسير هذه الآية قول بعض العلماء

---

(١) الحديث حسن: أورده البيهقي في شعب الإيمان عن قتادة مرسلاً، والمشكاة برقم: (٤٦٥١)، وَحَسَّنَهُ الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٢٦).

(٢) البخاري: (٩/ ٣٥١ - ٣٨١)، والحديث عى تخريج العراقي في الإحياء: (٢/ ١٨١)، وأخرجه الترمذي: (٤/ ٣٧٨)، والإمام أحمد: (٢/ ٢٧٨)، والحديث رواه أبو داود، والترمذي، وَحَسَّنَهُ النسائي من حديث الْمِسْوَرِ بن مخرمة - رضي الله عنه -.

أنها منسوخة بآية السيف، ثم ذكر قول (ابن العربي): (لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يُسلموا على المشركين، ولا نُهوا عن ذلك، بل أُمروا بالصفح والهجر الجميل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقفُ على أنديتهم ويجيبهم ويدانيهم ولا يداهنهم) وَرَجَّحَ «القرطبي»، رأى «ابن العربي»، فقال: قلت هذا القول، أي: قول ابن العربي، أشبه بدلائل السنة.

٤. قوله تعالى: { وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ } (الزخرف: ٨٨ - ٨٩) يقول الشنقيطي في تفسير هذه الآية في «أضواء البيان» أنها تضمنت على ثلاثة أمور منها: أن يقول للكفار: سلام، وقد بين الله تعالى أن السلام للكفار هو شأن عباده الطيبين، قال تعالى: { وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا } (الفرقان: ٦٣) وقوله تعالى: {سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ } (القصص: ٥٥)، وقال إبراهيم لأبيه: (مريم: ٤٧) ومعنى السلام في الآيات المذكورة، إخبارهم بسلامة الكفار من آذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي: سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا-، وكثير من أهل العلم يقولون: إن قوله تعالى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) وما في معناه مسنوخٌ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: ليس بمنسوخ، والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة والإعراض عنهم، وَصْفٌ جَمِيلٌ، وَأَدَبٌ سَمَاوِيٌّ لا يتعارض مع ذلك.

٥. قول إبراهيم لأبيه: {سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا } (مريم: ٤٧)، ذكر القرطبي قول الجمهور: (على أن المراد بسلامة المسالمة التي هي المتاركة، لا التحية، وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام) وقال بعضهم تسليمه: هو تحية مُفارق، وأجاز تحية الكافر وأن يبدأ بها، وقيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر؟ قال: نعم، قال الله تعالى: {لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ} (الممتحنة: ٨)، وقال تعالى: {قَدْ

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ} (الممتحنة: ٤)، وقول إبراهيم لأبيه: {سَلَٰمٌ عَلَيْكَ} (مريم: ٤٧)، وَرَجَّحَ القرطبي، قول «سفيان بن عيينة» في جواز التحية للكافر، وذكر ممن يرى ذلك: الطبري، ونسبه إلى السلف، «وابن مسعود، وأبو أمامة، والحسن البصري، والأوزاعي».

٦. أما التفريق في التحية بين المسلم (السلام عليكم)، وبين غير المسلم (مَرْحَبًا، أَوْ سِوَاهَا) فهي مُخَالَفَةٌ للأدبِ القرآنيِّ، فقد نص الله تعالى على التحية للمسلم، فقال: {وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ} (الأنعام: ٥٤)، وذكر نفس النص في تحية غير المسلمين (سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ) (القصص: ٥٥) بالإضافة إلى الآيات الأخرى المذكورة سابقًا.

٧. ومن أعجب الأمور قول بعض المسلمين بعدم جواز رَدِّ التحية على غير المسلم بلفظ (السلام)، مع أن الله تعالى يقول: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦)، وجمهور الفقهاء يُوجبون رد التحية بأحسن منها، أو بمثلها- وقد ذكر الشيخ «رشيد رضا» في تفسير هذه الآية بقوله: (التحية، مصدر حَيَّاهُ، إذا قال حَيَّاكَ اللَّهُ، هذا هو الأصل، ثم صارت التحية اسمًا لكل ما يقوله المرءُ لمن يُلاقيه، أَوْ يُقْبلُ عليه، وجُعلت تحية المسلمين (السلام)، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وأنهم أهل السَّلْمِ وَمُحِبُّو السلامة..).

- **وقد علم من الآية أن الجواب عن التحية له مرتبتان:**

أدناهما (رَدُّهَا بِعَيْنِهَا)، وأعلاها (الجواب عنها بأحسن منها)، فَالْمُجِيبُ مَخَيَّرٌ: وله أن يجعل الأحسن لكرام الناس، كالعلماء، والفضلاء، ورد عين التحية لمن دونهم، وَرُوِيَ عن قتادة وابن زيد: أن جواب التحية بأحسن منها للمسلمين، وردها بعينها لأهل الكتاب، وقيل للكفار عامة، ولا دليل على هذه التفرقة في لفظ الآية،

ولا من السنة، وقد روى ابن جرير عن ابن عباس- رضي الله عنه- أنه قال: (مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مَجُوسِيًّا)، فإن الله يقول: { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا } (النساء: ٨٦) روى في مجمع الزوائد -«كتاب الأدب»، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير إسحق بن إسرائيل وهو ثقة.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ ما رواه الطبراني بإسنادٍ جيدٍ عن عبد الله بن مغفل أنه قال: قال رسول اللهﷺ: (أَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ)[1].

يقول: الشيخ «رشيد رضا»: وقد نزلت هذه الآية في سياق أحكام الحرب ومعاملة المحاربين والمنافقين- راجع سورة النساء من الآية ٧٤: ٩٤، فمن قال لخصمه «السلام عليكم» فقد أَمَّنَهُ على نفسه، وكانت العرب تقصد هذا المعنى، والوفاء من أخلاقهم الراسخة، ولذلك عند الإمام الشيخ «محمد عبده»، ذِكْرُ التحية مُنَاسِبًا للسياقِ، بكونها من وسائل السلام، ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النُّبُوَّةِ إفشاءُ السلام إلا مع المحاربين، لأن من سَلَّمَ على أحدٍ فقد أَمَّنَهُ، فإذا فُتِكَ به بعد ذلك، كان خائنًا ناكثًا للعهد، وكان اليهود يُسَلِّمُونَ على النبي فيرد عليهم السلام، حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السَّامُ) أي: الموت، فكان النبي ﷺ يجيبهم بقوله (وعليكم) وسمعت السيدة عائشة -رضي الله عنها- واحداً منهم يقول له: (السَّامُ عَلَيْكُمْ)، فقالت له: وعليك السام واللعنة، فانتهزها عليه الصلاة والسلام، مُبَيِّنًا لها أن المسلم لا يكونُ فَاحِشًا، وَلَا سَبَّابًا، وأن الموت علينا وعليهم، ولما سمعت أيضا أن اليهودي يقول لرسول اللهﷺ: (السَّامُ عَلَيْه)، فقالت السيدة عائشة: السَّامُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ،

(١) الحديث صحيح بشواهده: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٩٢)، وفي «الصغير» (٣٣٦) من حديث عبد الله بن مغفل، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٢٠)، وقال رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله ثقات، وقال المنذري في الترغيب إسناده جيد، وأورد برقم: (٣٩٩٨).

والْمَوْتُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ، وَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ)[1].

وَقَالَ أَيْضًا: (يَا عَائِشَةُ! مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ)[2].

ثم قال لها مُعَنِّفًا إِيَّاهَا: (يَا عَائِشَةُ! لَا تَكُونِي فَاحِشَةً)[3]، ثم أوضح لها، بأن الله يحب الرفق في كل شيءٍ قائلاً: (يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)[4].

وروى «ابن المنذر»، عن «الحسن» أنه قال: فحيوا بأحسن منها (للمسلمين)، وَرُدُّوهَا (لأهل الكتاب) وعليه يُقَالُ للكتابيِّ - في رَدِّ السلامِ - عن ما يقوله، وإن كان فيه ذكر الرحمة.

قال «ابن القيم» مُتَحَدِّثًا عن رَدِّ السلام على الْكِتَابِيِّ إذا بدأ هُوَ بِهِ: (الذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يُقَالُ لَهُ: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: ٨٦)، فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، ولا يُنافي هذا شيئًا من أحاديث الباب بوجهٍ ما، فإنه إنما أمر بالاقتصار على قول الرَّدِّ (وعليكم) بناءً على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وهو قولهم (السام عليكم)، فإذا

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، عن عائشة -رضي الله عنها-، وأورده الألباني في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٢ - ٣٠١٦).

(٢) روى في الصحيحين البخاري، ومسلم، ومسند الإمام أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٠٤٩)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٣١ - ٣٠٢٥).

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها- وأورده الشيخ الألباني في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٣٣- ٣٠٢٧)

(٤) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، وجاء في الصحيحين للبخاري ومسلم، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجة من حديث عائشة -رضي الله عنها- وأورده الألباني في المشكاة برقم: (٤٦٣٨)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٠ - ٣٠١٤).

زال هذا السبب، وقال الكتابيّ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالعدل في التحية يقتضي أن يَرُدَّ عليه نظير سلامه).

رابعا: نصوصٌ من السنة المطهرة:

(أ) الأحاديث العامة:

١. سُئِلَ رسول الله ﷺ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامِ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)[١].

ومعنى أن (تطعم الطعام)، أي: تُكثر من إطعام الضيوف، سواء كانوا مسلمين، أم كافرين، كما قال «الحافظ المنذري» في الترغيب، وتقرأ السلام، أي: تحيي بتحية الإسلام وهي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، وظاهر الحديث يشمل المسلم، والكافر، ولكن أكثر العلماء خصصوه بالمسلم ومنعوا ابتداء الكافر بالسلام، لحديث مسلم: (لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ)[٢].

وسيأتي معنا أن هذا التخصيص محصور في حالة الحرب فقط، فيبقى الحديث على عمومه في سائر الحالات. عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجههُ وَاسْتَثْبَتُّهُ علمت أن وجههُ ليس بوجه كذاب، قال: وكان أول ما سمعتُ من كلامه أَنْ قَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ)[٣].

(١) رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، والنسائي (٨/ ١٠٧)، وجاء في الترغيب للمنذري برقم: (١٣٩٥)، والحديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن رجلا سأل رسول الله ﷺ... الحديث.

(٢) مسلم (مع النووي ١٤ / ١٤٨).

(٣) الحديث صحيح: رواه الترمذي (٢٨٨٥)، وابن ماجة (٣٢٥١)، والحاكم: (٣/ ١٣)، وخرجه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: (٢٦٣)، وأورد «المنذري» في الترغيب برقم: (١٤٠٢).

٢. روى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ)(١).

وجاء في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٌ، فَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ)(٢).

هذه نصوص صريحة تَدُلُّ على أن السلام تحية آدم، وتحية ذريته، ومن المعروف أن ذرية آدم منها المسلم ومنها الكافر، فيكون السلام هو تحية الجميع، سواء في الابتداءِ، أو في الرَّدِّ، والأصل في المسلم أن يلتزم بهذه التحية مع المسلم، أو غير المسلم، إلا عند وجودِ سببٍ مانعٍ وهو (الحرب بالنسبة لغير المسلمين) لأن (السلام) أمانٌ، والحرب «تُناقضه».

٣. أن تحية الإسلام (السلام عليكم) ليست لبني البشر فقط، ولكنها تحية الملائكة أيضًا، كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ

---

(١) الحديث إسناده حسن: رواه الإمام أحمد برقم: (٢٦٩٤٢).

(٢) الحديث صحيح: رواه الترمذي، والحاكم، وابن حبان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، وأورده الألباني في المشكاة برقم: (٤٦٦٢)، والسنة لأبي عاصم: (٢٠٤، ٢٠٥)، وصحيح الجامع برقم: (٥٢٠٩ - ١٦٨٢).

قال: (يَا عَائِشُ! هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامُ)[1].

وتحية الله لعباده أيضًا (السلام)، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّه هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَو شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ)[2].

(ب) أحاديث إفشاء السلام وهي كثيرة جدا:

بعضها عام ومنها:

- ما روي الحاكم عن أبي موسى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا)[3].

- ما روي البخاري في الأدب المفرد، ومسند أبي يعلى، وابن حبان، والعقيلي من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا)[4].

- ما رواه ابن ماجة، والنسائي، وابن حبان، والكامل لابن عدي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا

---

(١) الحديث رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها أورده الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٩١٥ - ٣٠٠٩)، ومختصر مسلم (١٦٦٨)، والأدب المفرد (٨٢٧).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري في (٩٧) كتاب التوحيد (٣٥) باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (الحديث ٧٤٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: (من ربها السلام) بدلاً من (فاقرأ عليها السلام من ربها ومني) ولم يذكر: (في الجنة)، ورواه مسلم في (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (١٢) باب فضائل خديجة (الحديث ٧١/ ٢٤٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٠٨٦).

(٤) الحديث حسن: أورد الألباني في الإرواء برقم: (٧٦٩)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٤٩٣)، وحسنه الشيخ في صحيح الجامع برقم: (١٠٨٧).

إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ)[1].

- ما رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن ماجه، وابن حبان، من حديث ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وأَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُوا الْجِنَانَ)[2].

- وما رواه العقيلي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ)[3].

= وما رواه البخاري في «الأدب المفرد»، من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وُضِعَ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[4].

والمعنى أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله تعالى في الأرض كلها لبيث المحبة، والأمن والطمأنينة، و لسلام بينهم، ولكن بعض المسلمين أهملوه فيما بينهم، فعليهم أن يفشو، كما كان في أيام الزمن الجميل، فقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يذهب إلى السوق ليسلم على كل من يُقابله، فلما قيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: لأنال الأجر العظيم من اىله تعالى، لإلقائي السلام على الوجوه الغفيرة من الناس، وكان يُحَيِّي المسلمين، وغير المسلمين بتحية الإسلام، لأن الأصل في السلام أنه وُضِعَ في الأرض، لإحياء المحبة، والسلامة، والطمأنينة، بين الناس جميعًا.

(١) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (٧٧٧)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٥٠١)، وصحيح الجامع برقم: (١٠٨٩).

(٢) الحديث صحيح: أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٥٧١)، وصحيح الجامع برقم: (١٠٤١ - ٤٩٨).

(٣) الحديث صحيح: أورده الألباني في الروض النضير برقم: (١٠٧٥)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٦٠٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٦٣٨ - ٧٣٣).

(٤) الحديث صحيح: أورده الألباني في السسلة الصحيحة برقم: (١٨٤)، والروض النضير برقم: (٢ / ٤٥٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٦٣٩).

- أحاديث إفشاء السلام، والتي وردت خَاصَّةً بالمسلمين منها:

ما رواه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: (حَقُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامَ، وَعَيادَةُ الْمَرِيضِ، وَإتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)(٥).

وما رواه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم سِتٌّ: إذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإذَا عَطِسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)(٦).

* وما رواه الإمام أحمد، والترمذي، والضياء من حديث الزبير- رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (دَبَّ إلَيكم دَاءُ الْأُمَم قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّين، لَا حَالِقَةُ الشَّعْر، وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِه لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)(٧).

وَيُفْهَم س جميع هذه الأحاديث أن السلام في الأصل هو تحية الناس جميعًا، تحية ذُرِّيَّةُ آدم كلها، وأن الله قد وضعه في الأرض كلها، ولكن المسلمين هم أَوْلَى بِهْ، وعليهم إفشاءه فيما بينهم أولاً، وَتُجَاهَ كل الناس ثانياً، ولا يُستثنى من ذلك إلا في حالة الحرب القائمة، كما ذكر الشيخ "رشيد رضا" رحمه الله.

(٥) الحديث صحيح: أورد الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣١٥٠).

(٦) الحديث صحيح: ورد في مختصر مسلم برقم: (١٤١٨)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٨٣٢)، وصحيح الجامع برقم: (١٣٥١).

(٧) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (٧٧٧)، ومشكلة الفقر برقم: (٢٠)، وصحيح الجامع برقم: (٣٣٦١/ ١).

(ج) الأحاديث الخاصة:

(١) قد كان الصحابة الكرام يتعاملون مع الناس وفق هذه النصوص العامة من الكتاب والسنة المطهرة، ولا يجدون أي حرج في إلقاء السلام، وفي رَدِّهِ على اليهود الذين كانوا يقيمون معهم في المدينة المنورة، حتى كان يوم قريظة، ذكر أبو بصرة أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّا غَادُونَ عَلَىَ يَهُودَ، فَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)[١].

وجاء في مسند الإمام أحمد، وابن ماجة عن أبي عبد الرحمن الجهنى، والضياء، والنسائي عن أبى بصرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى يَهُودَ، فَمَنِ انْطَلَقَ مِنْكُمْ مَعِي، فَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، فَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)[٢].

وذكر "ابن القيم" في زاد المعاد في فصل (هديه في السلام على أهل الكتاب) أنه ﷺ صَحَّ عنه أنه قال (لا تبدؤوهم بالسلام) لكنة قد قِيلَ، أي: "ابن القيم" (إن هذا كان في قضيةٍ خَاصَّةٍ لَمَّا ساروا إلي بني قريظة قال: لا تبدؤوهم السلام).

إذن، فهل هذا حُكْمُ عَامٌّ لأهلِ الذمةِ مُطْلَقًا، أَوْ يَخْتَصُّ بمن كانت حالهُ بمثل حالِ أولئك؟ واختار الترجيح بأن هذا الحكم عَامٌّ بناء على حديث أبى هريرة في صحيح مسلم: (لا تبدأ واليهود ولا النصارى بالسلام....) وسيأتي ذكره فيما بعد، لكننا نقلنا هنا قول "ابن القيم" لبيان أن بعض السلف كانوا يعتقدون بأن عدم البدء بإلقاء السلام كان في قضيةٍ خَاصَّةٍ هي حصارُ بني قُرَيْظَةَ.

(٢) لكن وردت رواية أخرى في صحيح مسلم، وقد رواه أيضا أبو داود، والترمذي وفيها: (لا تبدأو اليهود ولا النصارى بالسلام...)، وفي رواية أبى داود، قال سهيل ابن

(١) رواه الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، وأحد إسنادي أحمد، والطبراني رجاله رجال الصحيح، وزاد الطبراني: (فلما جئناهم سلموا علينا، فقلنا: وعليكم)، ومجمع الزوائد للهيثمي.

(٢) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (١٢٧١)، وصحيح الجامع برقم: (٢٤٦٤-١١٣٩).

أبى صالح: خرجت مع أبي إلى الشام، فجعلوا

يمرون بصوامع فيها نصارى، فيسلمون عليهم، فقال أبي: لا تبدؤهم بالسلام، فإن أبا هريرة حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: (لا تبدؤوهم بالسلام...)

● الجمع بين الروايتين: ونلاحظ هنا ما يلي:

(أ) أن الرواية الثانية لم تربط منع الابتداء بالسلام بحادثة معينة، بل تركت الأمر على الإطلاق، فكأن سبب المنع هو كونه يهوديا، أو نصرانيا، وبغض النظر عن وجود حالة حرب، أو هدنة، أو ذمة، فالأخذ بهذه الراوية على ظاهرها، يؤدي إلى إلغاء لعمل بالرواية الأولى، التي يعلل فيها رسول الله ﷺ النهي عن البدء بالسلام حالة الحرب، إذْ عند وجود المنع المطلق، لا حاجةَ للتعليل بظرفٍ طاريءٍ، بينما لو أخذنا بالرواية الأولى، لما احتجنا إلى إلغاء العمل بالثانية، ولكننا خَصَّصْنَاَهَا فقط في حالة الحرب، وهذه الطريقة في الجمع بين الأدلة عن طريق إعمالها كلها هي طريقة الأصوليين، وقاعدتهم في ذلك أن (إعمال الكلام خَيْرٌ من إهماله).

(ب) إذا قيل بأن الرواية الثانية تنسخ الرواية الأولى، فالأمر يحتاج إلى توافر شروط النسخ ومنها إثبات تاريخي يؤكد أن الثانية قِيلت في زمنٍ متأخر عن الأولى، ومثل هذا الإثبات غير موجود، أو على الأقل لم نطلع نحن عليه، ولكن الثابت في السنة، كما سيأتي فيما بعد، أن الرسول ﷺ كان يُراسل الملوك حتى وفاته، فَيُلْقِي السلام أحياناً بشكلٍ مطلقٍ، فيقولُ:

فقد روى البيهقي عن ابن إسحاق نص كتاب كتبه النبي ﷺ إلى "النجاشي" وكان مقدمته: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ إلى "النجاشي"، الأصحم عظيم الحبشة، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى...)[1].

(١) دلائل النبوة للبيهقي: (٢/ ٣٠٨)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٦٢٣).

• وفي نصِّ الرسالة التي جاءت في "زاد المعاد لابن القيم"، استفتحها رسول الله ﷺ بالحمد، فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم: من رسول الله ﷺ إلى النجاشي عظيم الحبشة، أسلم أنتِ...) إلى (والسلام على من اتبع الهدى)(١).

• وفي كتابه إلى "المقوقس ملك مصر":

كتب النبي ﷺ إلى "جُرَيْح بن مَتَّى" الملقب "بالمقوقس" ملك مصر، والإسكندرية، فاستفتح كتابه بالحمد والسلام، فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم: "من محمد بن عبد الله" ورسوله إلى "المقوقس" عظيم لقبط، سلام على من اتبع الهدى...)

• وكذلك كتابه إلى "كسرى ملك فارس"، أما كتابه إلى "قيصر ملك الروم"، فبدلاً من قوله ﷺ: (السلام على من اتبع الهدى) كان: (أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين)

• وفي كتابه إلى "المنذر بن ساوي" حاكم البحرين، كتب رسول الله ﷺ: (سَلَامٌ عَلَيْكَ)

• وفي كتابه إلى "هودة بن على" صاحب اليمامة، و"الحارث بن شمر الغساني" صاحب دمشق، وملك عمان "جَيْفَرَ"، وأخيه "عبد ابنى الجُلَنْدَى" كانت جميعاً: (سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى)(٢).

(٣) إن الروايتين تُؤكدان أن المسلمين كانوا يبدؤون بالسلام إلتزاماً بالنصوص العامة التي ذُكرت آنفاً من القرآن والسنة النبوية المطهرة، ثم جاء النهى عن ذلك، والسلام ليس من المسائل التَّعَبُّدِيَّةِ غير المعللة، بل هو من المسائل التي تقبل التعليل، فإذا جاء النهي مُعَلَّلاً بحاله الحرب كان غير مناقضٍ للنصوصَ العامِة، بل هو مخصصٌ لها بما لا يُناقض أهدافها، أما إذا جاء غير معللٍ، فهو مخصص للنصوص العامة بما

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: (٣/ ٦٠).

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري.

يُناقض أهدافها، وهذا لا يصحُّ إلا مع النسخ، والنسخ غير ثابت، فلم يبق أمامنا من سبيل لمنع إدعاء حصول التناقض إلا الجمع بين الروايتين الصحيحتين، واعتبار أن منغ ابتداء غير المسلمين بالسلام سببه وجود حالة الحرب، وهذا الرأي هو الذي قاله الشيخ "رشيد رضا" في "تفسير المنار الآية ٨٤ من سورة النساء"

وقال أيضاً:" عن الحديث السابق ذكره أن رسول الله ﷺ قالا: (إني راكب غدا إلى يهود، فلا تبدؤوهم بالسلام، وإذا سلموا عليكم، فقولوا: وعليكم) فيظهر هنا أنه نهاهم أن يبدؤوهم بالسلام، لأن السلام تأمين، وما كان يجب أن يُؤَمِّنَهُمْ وهو غير أمين منهم، لما تكرر من عذرهم ونكثهم بالعهد، وقد نقل "النووي في شرح مسلم" جواز ابتدائهم بالسلام عن ابن عباس، وأبي أمامه، وأبن محيريز قال: وهو وجه لأصحابنا، كما نُقِلَ عن "الأوزاعي: قوله: (إن سَلَّمْتَ فقد سَلَّمَ الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون) وقال :أي "النووي": حكي "القاضي عياض" عن جماعة أنه يجوز ابتداؤهم بالسلام للضرورة، والحاجة، أو لسبب، وهو قول "علقمة، والنخعي". ونقل "العسقلاني" في فتح الباري عن "أبي شيبة" من طريق "عون بن عبد الله"، عن "محمد بن كعب"، أنه سأل "عمر بن عبد العزيز" عن ابتداء أهل الذمة بالسلام، فقال: (نردُّ عليهم ولا نبدأهم، قال عون: فقلت له: كيف تقول أنت؟ قال: ما أرى بأسًا أن نبدأهم، قلت :لم؟ قال: لقوله تعالى: (فأصفح عنهم وقل سلام) (الزخرف: ٨٩).

(٤) وقد يُقال هنا أن القاعدة الأصولية تقول: (أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب) وأن لفظ (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام...) عَامٌّ، حتى لوْ صَحَّ أنه قيل في ظرفٍ خَاصٍّ هو نقضُ بني قريظة العهد ودخول الرسول ﷺ معهم في حربٍ، إلا أنه يجب أن يُؤْخَذُ بعمومه وفق هذه القاعدة.

- وهنا يُشير صاحب الرسالة إلى قاعدةٍ أصوليه:

إن السبب في هذه القاعدة يعنى (المناسبة التي قيل فيها هذا اللفظ)، ولا يعنى السبب الذي يكون عليه عِلَّةُ الحكم، فإذا كان السبب هو المناسبة التي قيل فيها النص، فالعبرة عند ذلك "بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، ومثال ذلك حكم الأنفال، فهو نزل بمناسبة وقوع الخلاف بين الصحابة حول توزيعها، فهذا الحكم ليس خاصًّا بأنفال بدر، ولو أنه نزل بسببها، لأن السبب هُنا هو المناسبة التي قيل فيها النص، أما إذا كان السبب هو علة الحكم، وليس المناسبة التي نزل فيها، فالقاعدة الأصولية الثابتة أن (الْحُكْمَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ) وأنه إذا زال السبب زال حكمه، ومثال ذلك قول "ابن القيم": (إن الكتابي إذا قال لك: (السلام عليكم ورحمة الله)، فالعدل في التحية يقتضي أن يَرُدَّ عليه نظير سلامه، أي: تقول له. (وعليكم السلام ورحمة الله)، ولا تكتفي بالقول: (وعليكم)، لأن هذا القول له سبب وهو أن اليهود كانوا يقولون للمسلمين: (السام عليكم) فأمروا بالرد عليهم بهذا النص: (وعليكم) فإذا زال هذا السبب، فقالوا: (السلام عليكم ورحمة الله) زال الحكم المذكور، ورجعنا إلى الحكم الأصلي، فالسبب هنا هو عِلَّةَ الحكم وليس فقط المناسبة التي نزل فيها.

٣- في حديث عائشة رضى الله عنها أن اليهود عندما قالوا لرسول الله ﷺ (السام عليكم) قالت: (السام عليكم يا إخوان القردة والخنازير، ولعنة الله وغضبه) فقال لها رسول الله ﷺ: (يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ الرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ في شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ)[1].

يُستخلص من هذه الروايات مايلي:

- أن السلام كان معروفا بين المسلمين واليهود ابتداءً، وردًّا باللفظ المعروف.
- أن اليهود حَرَّفوا كلمة (السلام) إلى (السَّام)، وأصبحوا يبدؤون، أو يردُّون بذلك.

(١) الحديث صحيح: أورده أحمد في مسنده، وأبي داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها، والترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٦٢)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٧- ٣٠٢١).

• كان رَدُّ الفعل الطبيعيُّ منع المسلمين من ابتدائهم بالسلام، ورد تحيتهم بـ(وعليكم) لزجرهم، فإن ألقوا السلام رُدَّ عليهم بالسلام، وإن ألقوا السَّام رُدَّ عليهم بالسَّام.

• مُنع المسلمون أن يُرَدُّوا على التحية بأسوأ منها، بل يكتفوا بِرَدِّ السيئة بمثلها، كما ورد عن النبيﷺ من نهى (عائشة) عن الزيادة عندما قالت: (وعليكم السام واللعنة)، فأمرها أن تكتفي ب (وعليكم).

• إذا زال السبب، وهو أن أهل الكتاب يقولون: (السام عليكم) وجب على المسلمين أن يعودوا إلى الأصل فيبدؤون بالسلام، وَيَرُدُّونَ التحية بمثلها، أو أحسن وليس فقط بكلمة (عليكم)، لأن الحكم يدورُ مع عِلَّتِهِ، وإذا زال سبب الحكم الاستثنائي رجعنا إلى الحكم الأصلي.

• عن "الطفيل بن أبي كعب" أنه كان يأتي "عبد الله بن عمر" ﷺ، فيغدو معه إلى السوق، قال: (فإذا غدونا إلى السوق لم يمر "عبد الله بن عمر" على سقاط، أي: (هو الذي يبيع سقط المتاع) ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد وَسَلَّمَ عليه، قال "الطفيل": فجئت عبد الله بن عمر" يَوْماً، فاستتبعني إلى السوق، فقلت: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ قال: اجلس هاهنا نتحدث، فقال لي "عبد الله": إنما نغدو من أجل السلام فَسَلِّمْ على من لقيت)[1].

• وأخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي أنه كان يُسلم على كل من لَقِيَهُ، قال: (فما علمت أحدًا سبقه بالسلام، إلا يهوديًا مَرَّةً اختبأ له خلف اسطوانة، فخرج فَسَلَّمَ عليه، فقال له أبو أمامة: ويحك يا يهوديَّ ما حملك على ما صنعت؟ قال له: رأيتك

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: (١/ ٣١٠)، وأخرجه البخارى في "الأدب المفرد" ص (١٤٨).

رجلا تُكْثِرُ السلامَ، فعلمت أنه أفضل، فأردت أن آخذ منه، فقال له أبو أمامة: ويحك أني سمعت رسول اللهﷺ يقول: (إنَّ اللَّهَ جَعَلَ السَّلاَمَ تَحِيَّةً لأُمَّتِنَا، وَ أَمَانًا لأَهْلِ ذِمتِنَا)

• وعن "محمد بن زياد" قال: كنت آخذ بيد "أبي أمامة"، وهو منصرف" إلى بيته، فَلاَ يَمُرُّ على أَحَدٍ، مسلمٍ، ولا نصرانيٍّ، ولا صغيرٍ، ولا كبيرٍ، إِلاَّ قَالَ: (سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ)[1].

خُلاَصَةُ الْقَوْلِ:

إن أرجح الأقوال في المذاهب عدم جواز ابتداء أهل الذمة بالسلام، إلا أن القول بالجواز، قال به جمهوٌر كبيرٌ من العلماء داخل كل مذهب.

- نقل "ابن عابدين" في حاشيته عن بعض المشايخ، أنه (لا بأس، بلا تفصيل) وإن رَجَّحَ أنه مكروهٌ، إلا عند الحاجة إليه[2].

- ونقل "النووى" في شرح صحيح مسلم الماوردي (وجها لبعض أصحابنا أن يجوز ابتداؤهم بالسلام) وقد رَجَّحَ التحريم[3].

- ونقل ابن مفلح عن بعض العلماء القول بعدم التحريم[4].

- وقد روى هذا القول، أي: عدم التحريم، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي أمامة، وابن محيريز، وعمر بن عبد العزيز، وسفيان بن عيينة، والشعبي، والأوزاعي، ونقل القرطبي، عن الطبري قوله: (وقد رُوِىَ عن السلف أنهم كانوا يُسَلِّمُونَ على أهل الكتاب، كما ذكر "القرطبي" نفسه، عن "ابن مسعود" أنه فعله "بدهقانٍ" صحبه في طريقه، "قال علقمه: قلت له: "يا أبا عبد الرحمن"، أليسُ يكره، أن يبدوؤا بالسلام؟

(١) الحلية لأبي نعيم: (٦/ ١١٢).
(٢) حاشية أبن عابدين: (٥/ ٢٦٤).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٤/ ١٤٥).
(٤) الآداب الشرعية: (١/ ٤١٢).

قال: نعم، ولكن حق الصحبة)[1].

كما اختار القول السيد "رشيد رضا" في "تفسير المنار"، والشيخ "الشنقيطي" في "أضواء البيان".

(من كل ما تقدم نستنتج):

١- أن الإسلام يحث المسلمين على المبادرة إلى طرح التحية تُجاه جميع الناس، وبلفظ (السلام عليكم) بدليل أحاديث إفشاء السلام العامة، وهي كثيرة وصحيحة.

٢- أن الإسلام يأمر بردِّ التحية بأحسن منها، أو مثلها حين يُبادر الآخرون بها لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} (النساء: ٨٦) فإذا ابتدأ الكتابيّ بالسلام يُرَدُّ عليه بمثله على الأقل.

٣- إذا بدأ الآخرون بتحيةٍ سيئةٍ يجوز للمسلم رَدَّهَا بمثلها فقط، بدليل قوله ﷺ لأصحابه، حين كان اليهود يبدؤوهم بالقول (ألسام عليكم) قولوا: (وعليكم).

٤- يجوز الصفح عنهم وَرَدُّ التحية السيئة بأحسن منها لعموم قوله تعالى: {وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} (الرعد: ٢٢)، وقوله: {فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا} (النساء: ٨٦)، وقوله في التعامل مع أهل الحرب: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} (النحل: ١٢٦) وقوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} (الزخرف: ٨٩).

٥- ولا يجوز الزيادة عن المثل في (التحية السيئة) لما ثبت أن رسول الله ﷺ لم يوافق عائشة- رضي الله عنها -على الزيادة، وذلك في الحديث الصحيح عندما قال اليهود: (السام عليكم)، فردت عليهم: (وعليكم السام واللعنة)، فنهاها عن ذلك،

---

(١) تفسير القرطبي: (١١/ ١١٢).

وأمرها بالرفق، وأن تكتفي بالرَّدِّ: (وعليكم)، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)[2]

(التَّهْنِئَةُ لِغَيْرِ الْمُسْلِم)

مَنْ شَابَهَ مُرْشِدَهُ فِيمَا ادَّعَى، أَوْ قَالَ، فَقَدْ ظَلَمْ:

يجب على المرء أن يكون له عقلٌ مستنيرٌ، يستوعب الحق، ويبتعد عن التقليد والباطل، فإذا استوقفه قاعدةٌ فقهيةٌ، أو أمرٌ شرعيٌّ، فعليه أن يسأل ويستشير، كما قيل: (مَا خَابَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَخَارَ) إذن فالواجب على كل من أُدْلِي بِرَأْيِي أن يَتَّقِ الله فيه، وَلْيُحْسِنَ فيما قال، وليعلم علم اليقين أن رأيه إذا لم يرتبط بفقه الواقع، ورجاحة العقل، وعدم التَّسَرُّع فيما يصدر عن لسانه، فإن هذا التسرع سَيُحْدِثُ فتنةً، وسيقسم ظهر الوطنية، بل يُصيبها في مقتلٍ، فلزامًا عليه في تلك الآونة أن يسأل أبواب العلم، بل ويقرعها قرعاً، وخير الأبواب في ذلك الشأن هو باب الوسطية السمحة، ألا وهو "الأزهر الشريف"، والذي له رجاله الحريصون على الحق في فتواهم:

فقد أصدر مفتي "الإخوان الدكتور "عبد الرحمن البر" عضو مكتب الإرشاد، والملقب بمفتي الإخوان أنه في سنة ٢٠١١ أجاز تهنئة الأقباط بأعيادهم، وقال:

---

(١) الحديث صحيح: رواه ابن سعد، والبخاري في "الأدب المفرد"، والحاكم، والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٤٥)، وصحيح الجامع برقم: (٢٣٤٩).

(٢) الحديث صحيح: رواه ابن سعد، والحكيم عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم عن أبي هريره رضي الله عنه، وأورد الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٤٩٠)، وغاية المرام برقم: (١)، والمشكاة برقم: (٥٨٠٠)، صحيح الجامع برقم: (٢٣٤٥)، أ.هـ نقلا عن الشيخ "فيصل مولوى" Http: //www. moclawi.net /default.asp

(أَنَّ تَهْنِئَةَ ٱلْأَقْبَاطِ بِرٌّ وَ إِقسَاطٌ)، ثم انقلب على عقبيه وقال في سنة ٢٠١٣: (أَنَّ التَّهْنِئَةَ غَيْرُ جَائِزَةٌ)

- اسْتِيضَاحُ ٱلْخَبَرِ:-

كشفت الفتاوي الأخيرة التي صدرت عن قيادات دعوية "بجماعة الإخوان" حول تحريم تهنئة الأقباط بأعيادهم عن انقلابٍ فِقْهِيٍّ داخل صفوف الجماعة، حيث تتناقض الفتوى الأخيرة للدكتور "عبد الرحمن البر" عضو مكتب الإرشاد، والملقب "بمفتي الإخوان" مع دراساتٍ سابقةٍ أصدرها وأجاز فيها تهنئة الأقباط بأعيادهم تصريحات "عبد الرحمن البر" لليوم السابع تضمنت فتوى بجواز تهنئة المسلمين للأقباط بأعيادهم واعتبر أن التهنئة بهذه المناسبة من جملة "البر والإقساط" الذي أمر الله به المسلمين تُجاه الأقباط عملا بقول الله تعالى: (لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة:٨)، وأضاف "البر" قائلاً في التصريحات التي أُدْلِيَ بها بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٢٠١١ بالتزامن مع الانتخابات البرلمانية آنذاك "ليس معنى أن يقول المسلمون للأقباط في مناسبة الاحتفال بعيد الميلاد، كل عام وأنتم بخير، أنهم يقبلون بعقائدهم، لأننا لو كنا نقبل بعقائدهم لتحولنا إلى المسيحية، ولو كانوا هم يقبلون بعقائدنا لتحولوا إلى الإسلام"، وأشار "البر" إلى أن الشريعة الإسلامية سمحت للمسلمين بما هو أكثر من ذلك، حيث أجازت للرجل المسلم الزواج من المرأة المسيحية، وطرح "البر" جملة أسئلة للتدليل على صحة موقفه منها: (هل يُعقل أن يرفض الرجل المسلم تهنأة زوجته المسيحية في مثل هذه المناسبات، وكيف يتصور أن تسمح لنا شريعتنا بالزواج من المسيحيين، ثم يأتي من يقول: إن تهنئتهم بأعيادهم حرام؟)، كما أصدر "البر" بَحْثًا فِقْهِيًا نشره على موقع "إخوان أون لاين" الناطق باسم الجماعة بعد حضوره مراسم تنصيب البابا "تواضروس" في الكاتدرائية، حيث أشار "البر" في

دراسته التي نشرها بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١٢ إلى أننا لدينا آيتان حاكمتان لطبيعة العلاقة مع غير المسلمين، هما قول الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة: ٨، ٩)، وفي ضوء هاتين الآيتين تفهم بقية الآيات التي تتناول العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وأوضح "البر" في دراسته، أنه من هذا المنطق لم يجد حرجاً في الاستجابة للدعوة التي تلقاها من الكنيسة لحضور حفل التنصيب ولم يفُتْ "البر" في هذه الدراسة التعريض بموقف "السلفيين" الذين قالوا بتحريم التهنئة وحضور الْقُدَّاسِ حيث أَكَّدَ أنه من العجيب حَقًّا أن ترى بعض القائلين بالمنع من الحضور، أو التهنئة يدعون إلى حماية الكنائس، ويُعلنون استعدادهم للقيام بذلك... ونتساءل: (أيهما أظهر في إفادة الرضا، الحماية، أم التهنئة؟)، والأمر لم يختلف كثيراً بالنسبة للشيخ "عبد الخالق الشريف"، رئيس قسم نشر الدعوة "بجماعة الإخوان، حيث أصدر دراسة فقهية بتاريخ ٥ يناير ٢٠١٢ بعنوان "تهنئة غير المسلمين بأعيادهم" أكد فيها: (أنه لا يوجد نصٌّ واضحٌ قاطعٌ في المسألة، وأن من ذهب إلى التحريم فعلى اعتبار الرضا الْقَلْبِيِّ بأفعالهم، ومن ذهب إلى الجواز، فهو من باب المجاملة وحسن الجوار)[1].

وهكذا نرى انقلاب الفتوى داخل (جماعة الإخوان) حول تهنئة الأقباط قبل توليهم السلطة بالجواز، وبعد توليهم السلطة، بعدم الجواز، وهذا ما يُسمى بفقه الموقف، أو فقه المصلحة، وهذا النوع مذمومٌ إذا لم تكنْ هناك مصلحة راجحة لذلك، ولكن المصلحة "لجماعة الإخوان" في تلك اللحظة هو وقوف الأقباط بجانب الجماعة في الانتخابات البرلمانية، والرئاسية، فذلك هو التملق بعينه.

(١) جريدة اليوم السابع ٢٠ من جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ - ٣٠ أبريل ٢٠١٣م العدد (٧٠٠).

التمهيد للآراء الفقهية في ذلك الشأن:

ما موقف المسلم من هؤلاء، أي: "غير المسلمين المسالمين لهم"، الذين لا يعادون المسلمين، ولا يقاتلونهم في دينهم، ولم يخرجوهم من ديارهم، أو يظاهروا على إخراجهم؟

- إن القرآن الكريم قد وضع دستور العلاقة بين المسلمين، وغيرهم في آيتين في سورة الممتحنة، وقد نزلت في شأن المشركين الوثنيين، كما جاء في كتابه تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} (الممتحنة: ٨ – ٩)، ففرقت الآيتان بين المسالمين للمسلمين، والمحاربين لهم:

فالأولون (المسالمون): (شرعت الآية الكريمة بِرَّهُمْ والإقساطُ إليهم، والقسط يعني: العدل، والبر يعني: الإحسان والفضل، وهو فوق العدل، فالعدل: أن تأخذ حقك، والبرُّ: أن تتنازل عن بعض حقك، أما العدل، أو القسط: أن تعطي الشخص حقه لا تنقص منه، وَالْبِرُّ: أن تزيده على حقه فضلاً وإحساناً).

أما الآخرون الذين نهت الآية الأخرى عن موالاتهم: فهم الذين عادوا المسلمين وقاتلوهم، وأخرجوهم من أوطانهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، كما فعلت قريش ومشركو مكة بالرسول ﷺ وأصحابه، وقد اختار القرآن للتعامل مع المسلمين كلمة (البر) حين قال: {أَن تَبَرُّوهُمْ} وهي الكلمة المستخدمة في أعظم حَقٍّ على الإنسان بعد حق الله تعالى، وهو (بر الوالدين)، فقد روى البخاري، عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهَا قَالَتْ: (قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا،

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ")[1].

هذا وهي مشركة، ومعلوم أن موقف الإسلام من أهل الكتاب أخف من موقفه من المشركين الوثنيين، حتي إن القرآن أجاز مؤاكلتهم ومصاهرتهم، بمعنى: أن يأكل المسلمون من ذبائحهم، ويتزوجوا من نسائهم، كما جاء في كتابه تعالى: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} (المائدة: ٥).

ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: وجود المودة بين الزوجين، كما جاء في كتابه تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: ٢١).

وكيف لا يَوَدُّ الرجلُ زوجتهُ وَرَبَّةَ بيته وشريكة حياته، وأم أولاده؟ وقد قال الله تعالى فى بيان علاقة الأزواج بعضهم ببعض: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (البقرة: ١٨٧)

ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: المصاهرة بين الأسرتين، وهي إحدى الرابطتين الطبيعيتين الأساسيتين بين البشر، كما أشار الله تعالى في كتابه حيث قال: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} (الفرقان: ٥٤).

ومن لوازم ذلك: وجود الأمومة ومالها من حقوق مؤكدة على ولدها في الإسلام، فهل من البر والمصاحبة بالمعروف أن تمر مناسبة مثل العيد الصغير، أو الكبير عندها ولا يهنئها به؟

وما موقفه من أقاربه من جهة أمه، مثل الجد والجدة، والخال والخالة، وأولاد

---

(١) البخاري: (٥٩٧٨).

الخال والخالات، وهؤلاء لهم حقوق، وذوي القربي؟، وقد قال تعالى: {وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ} (الأنفال: ٧٥)، وقوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ} (النحل: ٩٠)، فإذا كان حق الأمومة، والقرابة يفرض على المسلم، والمسلمة صلة الأم والأقارب بما يبين حسن خلق المسلم، ورحابة صدره، ووفاءه لأرحامه، فإن الحقوق الأخرى توجب على المسلم أن يُظهر الإنسان ذي الخلق الحسن وأن يفي بذلك، كما قال رسول الله ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[١].

كما حَثَّ النبي ﷺ على (الرفق) في التعامل مع غير المسلمين، وَحَذَّرَ من (العنف) والخشونة في ذلك، ولما دخل بعض اليهود على النبي ﷺ، لَوَوْا ألسنتهم بالتحية، وقالوا: (السَّامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ)، ومعنى (السَّامُ)، أي: الموت والهلاك، وسمعتهم عائشة رضي الله عنها، فقالت: وعليكم السَّامُ واللعنةُ يا أعداء الله، ويا عبدة القردة والخنازير، فلامها النبي ﷺ على ذلك، فقالت: ألم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ فقال: سمعتُ، وَقَلْتُ: وَعَلَيْكُمْ، يعنى: (الْمَوْتُ يَجْرِى عَلَيْكُمْ، كَمَا يَجْرِى عَلَيَّ، يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّه)[٢].

وجاء في سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يَاعَائِشَةُ! إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمتَفَحِّشِ)[٣].

(١) الحديث حسن: رواه أبو داود، وأحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي ذر رضي الله عنه، والبيهقي في "شعب الإيمان" عن معاذ رضي الله عنه، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٧)، والبعض النضير برقم: (٨٥٥).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها، وأورده الألباني في المشكاة برقم: (٤٦٣٨)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٠- ٣٠١٤).

(٣) الحديث صحيح: أورده الألباني في الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٢٢-٣٠١٦)

وتتأكد مشروعية تهنئة القبط بهذه المناسبة إذا كانوا يُبادرون بتهنئة المسلم بأعياده الإسلامية، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بمجازاة الحسنة بالحسنة، أو أن نَرُدَّ التحية بأحسن منها، أو بمثلها على الأقل، كما جاء في كتابه تعالى: { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ } (النساء: ٨٦) إذن وجب على المسلم أن لا يكون أقل كرماً، وأدنى حظاً من حسن الخلق من غيره، والمفروض أن يكون هو الأوفر حظًا، والأكمل خُلُقاً، كما قال رسول الله ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيماناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً)[1].

وكما جاء عنه أنه قال عن نفسه: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ)[2].

وقال عن نفسه أيضاً: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ)[3].

ألسنا أولى بمكارم الأخلاق وصالحها كما بعثه الله إلى الخلق عامة، كما قال تعالى: { قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } (الأعراف: ١٥٨) فتلك المكارم، وتلك الأخلاق ندعوهم بهما إلى الإسلام ونقربهم إليه، ونحبب إليهم المسلمين، وهذا واجبٌ علينا جميعاً، وَلاَ يَتَأَتَّى هذا بالتجافي بيننا وبينهم، بل بحسن التواصل، فقد كان رسول الله ﷺ لا ينقطع عن جيرانه من المشركين من قريش، بل كان طوال العهد الْمَكِّيِّ حسن الخلق، كريم العشرة، مع إيذائهم له، ولأصحابه، وأخرجوه من بلده وهي أحب البلاد إليه، وعندما فتح مكة وكانوا من أَذْوَهُ تحت يديه، عفا عنهم

(١) الحديث صحيح؛ رواه أحمد، وأبي داود، وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في (إيمان ابن أبي شيبة ١٧-٢٠، وإيمان أبي عيد ص:١٧، والسلسلة الصحيحة برقم: (٢٨٤)، وصحيح الجامع برقم: (١٢٣٠).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه أحمد، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وراجع السلسلة الصحيحة برقم: (٨٠٩).

(٣) الحديث صحيح: رواه أبن سعد في طبقاته، والأدب المفرد للبخاري، والحاكم، وشعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٤٥)، وصحيح الجامع برقم: (٢٣٤٩).

وقال: (لا تثريب عليكم اليوم، إذهبوا فأنتم الطلقاء) هذا هو عفو الإسلام الجميل وسماحته، إذن فلا مانع من أن يهنئهم المسلم مَشَافَهةَ، أو بالبطاقات التي لا تشتمل على شعاراتٍ، أو عباراتٍ دينيةٍ تتعارض مع مبادىء الإسلام، ولا مانع من قبول الهدايا منهم، ومكافأتهم عليها، فقد قبل النبيﷺ هدايا غير المسلمين مثل :المقوقس عظيم القبط بمصر"، وغيره، بشرط ألاَّ تكون هذه الهدايا مما يَحْرمُ على المسلم كالخمر ولحم الخنزير[1].

الآراء الفقهية لعلماء الأزهر الشريف:

- **يقول فضيلة الأستاذ الدكتور "عبد الستار فتح الله سعيد"، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر:**

(التهنئة لغير المسلم مطلقا بدون مخالفة شرعية جائزة، وهي من باب حسن الأخلاق التي أمُرنا بها، ولونٌ من ألوان الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة عملاً لا قولاً، أما إذا تضمنت التهنئة مخللفة دينية، فهنا تكون ممنوعة من أجل هذه المخالفة، كأن يقول له مثلاً: (بارك الله لك في أهلك ومالك) مثلا، فهذا دعاء بالبركة لغير المسلم وذلك لا يجوز، وإنما يقول له مثلا: (أعاد الله عليك التوفيق والهداية) أو ما إلى ذلك، وإذا تضمنت التهنئة تقديم هدية فهذا جائزٌ أيضاً، بشرط أن تكون حلالاً، فلا يقدم له زجاجةً من الخمر مثلاً، أو صوراً عارية، بحجة أنه ليس مسلماً، فالمسلم لا ينبغي أن يشترك في تقديم شيءً مُحَرَّم في ديننا، وإذا ذهب إلى بيته، أو في كنيسة فلا يحل له أن يجلس تحت الأشياء المخالفة لديننا كالتماثيل، أو الصلبان، وغير ذلك من ضروب المحرمات التي تقترن بمواضع وأماكن غير المسلمين، وننبه إلى التهاني لا ينبغي أن تكون باستعمال آيات قرآنيةٍ في بطاقةٍ، أو في غيرها، لأن غير

(١) شبكة الإنترنت

المسلمون لا يُدركون قداسة النصوص، وبالتالي يضعونها في القمامة، أو يدوسونها بالأقدام، أو بغير قصد، فينبغي على المسلم أن يُنَزِّهَ نصوص دينه عن كل امتهان).

• أما قول الدكتور الشيخ، "أحمد الشرباصي" الأستاذ بجامعة الأزهر -رحمه الله، فيقول: (إن "عيسى بن مريم"، وعلى نبينا -الصلاة والسلام -هو عبدالله ونبيه ورسوله، وقد أثنى الله -تبارك وتعالى -على نبيه عيسىَ في كتابه تعالى على لسانه: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} (مريم: ٣٠-٣٤) وإذا كان أتباع المسيح -عليه الصلاة والسلام -قد اختاروا لأنفسهم موعداً سنويًّا جعلوه ذكرى لميلاد المسيح، بين المسلم وبين بعض هؤلاء جوار له حقوق، أو شركة في عمل، أو زمالة في وظيفة، وقد جرى العُرف بأن يتبادل الطرفان المجاملة في الأعياد، أو المواسم، أو المناسبات الأخرى، فإن الإسلام -السمح الكريم- لا يقفُ حائلاً دون أداء هذه المجاملات، بشرط أن لا تكون على حساب العقيدة والدين، وبشرط أن لا يرتكب المسلم في مثل هذه المجاملة، ما يحرمه عليه الدين، أو ينفره منه، وبشرط أن لا تكون هناك منكرات ترتكب، مثل شرب الخمر، أو تناول المسكرات، أو المخدر، أو نحو ذلك، ولنتذكر أن الحق -جل جلاله -يقول في كتابه العزيز: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ} (المائدة: ٥)، وهذا يستتبع تبادل الزيارة، والدعوة إلى الطعام وما أشبه ذلك والخلاصة: أن المسألة من باب الفتوى، فهي تتغير، كما هو معروفٌ لدى علماء الفقه، وَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ قَطْعِيٌّ فِي تَحْرِيم التَّهنِئَةِ (والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، سقط به الاستدلال) كما هو مقررٌ عند الأصوليين، أي أنه لا يكون مُلْزِماً للطرفين، ومما استدل به المانعون

قوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢)، قالوا: هي أعياد الكفر، وهو تفسير لا يسلم من خدش، لأن الزور يُطلق على كل ما خالف الحق، ثم النهي في الآية هو عن شهود الزور، والشهود يعني الحضور والمشاركة، واحتفال المسلم بأي عيد من الأعياد على وفق احتفاله بأحد العيدين المشروعين له، كالفطر، والأضحى، بأي شكل من الأشكال فهو حرامٌ شرعاً، ومن فعله كان آثماً عند الله تعالى، وذلك من باب التشبه بالكافرين، ويجب أن نفرق بين الحكم الفقهي، والفتوى، فالحكم الفقهي منه ما هو ثابتٌ لا يقبل التغيير ولا التبديل، "كالأحكام قطعية الثبوت والدلالة"، ومنه ما يقبل التغيير وليس بثابت، وهذا لا يجوز الاجتهاد معه وليس ضده، وفي إطاره، وليس خارجاً مُصْطَدِمًا معه، ومن هنا قالوا: (مادام الحكم متغيراً، ومادامت الشريعة مرنةً تصلح لكل زمانٍ ومكانٍ، فلا مانع من تغير الفتوى)، والبعض يُدخلها في خصوصيات العقيدة الإسلامية، إن أن لها حكمًا فِقْهِيًّا يستند إلى النظر الدقيق، والتفكير العميق في نصوص الشريعة الإسلامية، على ذلك فالمسألة فيها بين فقهاء الأمة، إذن ماذا نفعل في الأحكام المختلف فيها؟

من القواعد التي يمكن أن نتعامل بها مع الفقه الإسلامي؛ إنما ينكر المتفق عليه، ولا ينكر المختلف فيه، والمختلف فيه لا وجوب فيه، وَلاَ يُعَذَّبُ عليه تاركهُ بالنارِ...، والقاعدة الفقهية المستقرة لدى الفقهاء --(إنما ينكر المتفق عليه، ولا ينكر المختلف فيه)، ولكل منهما أدلته الشرعية التي يستند إليها وكل محترمٌ، وَمُعْتَبَرٌ، ولا خلاف في ذلك! والأمر مختلفٌ فيه، ولا يُنكر المختلف فيه، إذن التهنئة لغير المسلم مطلقاً جائزةٌ، ولكن بدونِ مخالفةِ شرعيةٍ).

فتوى جبهة علماء الأزهر في مسألة تهنئة غير المسلمين بأعيادهم:

ما حكم نهنئة النصارى بعيد رأس السنة الميلادية، وما حكم مشاركة المسلمين

إياهم في الإحتفال بهذه لمناسبة، وبغيرها من مناسبات الأعياد؟

(أجمعت جبهة علماء الازهر على أن تهنئة المسلمين للنصارى بعيد رأس السنة الميلادية؛ فمع ما فيه خلافٍ فقهيٍّ، فإننا نميل إلى القول بالجواز بشروط نذكرها بعد أن نبين مناط الخلاف، فمن العلماء من ذهب إلى القول بالتحريم؛ بإعتبار أن التهنئة إقراراً على الكفر، والتهنئة بالكفر أقل ما فيها أنها محرمةٌ، وذهبَ فريقٌ آخر إلى جواز تهنئة النصارى بعيد رأس السنة الميلادية يشتمل على مُحَرَّم، كالاشتراك معهم في طقوس الاحتفال في الكنيسة، أو ارتكاب مخطور شرعي، إحتفالاً بهذا اليوم، فإن خلا من الأمور المحرمة، فَهُوَ جَائِزٌ، وهناك جملةٌ من النصوص الشرعية -تَحُثُّ على-الْبرِّ إلى أهل الكتاب غير المحاربين، والتهنئة لهم من الْبرِّ بهم، ومن ذلك قوله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة: ٨) وتتأكد التهنئة إذا كان النصارى يهنئون المسلمين بأعيادهم رَدَّ التحية؛ لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} (النساء: ٨٦)

ولا يخفى في مآلات التهنئة لهم من خيرٍ غالبٍ وذلك في مثل إظهار المسلمين على حقيقتهم بالصورة اللائقة بهم مِمَّا يُعَدُّ نوعاً من الدعوة إلى الله، وكذلك إظهار محاسن الإسلام الذي يفرض أتباعة فعل كل جميل حتى مع غير المسلمين، وإذا كان المقصد محموداً، فكل وسيلة توصل إليه وليس فى الشرع ما يمنع منها، فإنها محمودة، كما أن في القول بجواز التهنئة ما يُساعد على الأمن الاجتماعي داخل المجتمع الذي يعيشون فيه مع غيرهم، سواء أكان المسلمون فيه قلة، أم كثرة، والمحافظة على الأمن الاجتماعى مقصد من أهم مقاصد الشرع فيما يتعلق بالأوطان، على أنه ينبغى أن لا يفهم عَنَّا من هذه الفتوى أننا نقر المتساهلين في هذ الشأن من أهل العلم، ومن الدعاة، فمثل هذا منهم فيه من إنيهم وإلى دينهم ما فيه، ومهما غالوا في مواقفهم لإرضاء غيرهم فإنهم لن يبلغوا عُشْرَ مِعشَارِ الحقيقة التي جاء عليها دينهم، هذا الذي أجاز

للإمام في صلاته أن يقطع صلاته ويستخلف غيره من المصلين، لإنقاذ نفسٍ محترمةٍ ولو كانت كافرة متى كان قادراً على ذلك)[1].

وليس هناك دين يفعل مع خصومه مثل ما فعل ويفعل ديننا (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)[2].

(فتوى الشيخ "يوسف القرضاوي"، في مسألة تهنئة الأقباط بأعيادهم)

قال الشيخ: (من حق كل طائفة أن تحتفل بعيدها بما لا يُؤذي الآخرين، ومن حقها أن تهنئ الآخرين بالعيد، فنحن المسلمين لا يمنعنا ديننا أن نهنئ مواطنينا وجيراننا النصارى بأعيادهم، فهذا داخلٌ في البر، وخصوصاً إذا كانو يجاملون المسلمون ويهنئونهم بأعيادهم، وقد أجازت الشريعة الإسلامية مُعاملة أهل الكتاب، فأباحت أكل ذبائحهم (الجائز أكلها في شريعتنا) وأجازت نكاح نسائهم، والبيع والشراء لهم، وكذلك القسط والبر والإحسان إليهم ما داموا غير محاربين، ولذلك لا مانع من تهنئتهم بأعيادهم دون أن نشاركهم في الاحتفالات التي لا تقرها شريعتنا، وإذا أردنا أن نُجْمِلَ تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له، في ضوء مَا يَحِلُّ وَ مَا يُحَرِّمُ، فحسبنا آيتان من كتاب الله تعالى جديرتان أن تكونا دستورًا جامعًا في هذا الشأن وهما قوله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} (الممتحنة: ٨- ٩)، فالآية الأولى لم تُرغب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يُخرجوهم من ديارهم، أي: أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين

(١) الموسوعة الفقهية الصادرة عن دولة الكويت: (٣/ ٢٥٥).

(٢) صدر عن جبهة علماء الأزهر ٢٥ محرم ١٤٣٢هـ- الموافق ٢١ ديسمبر ٢٠١٠م.

المسلمين، بَلْ رَغَّبَتْ الآية في بَرِّهِمْ والإحسان إليهم والبر كلمةٌ جامعةٌ لكل معاني الخير والتوسع فيه، فهو أمرٌ فوق العدل، وهي الكلمة التي يُعَبِّرُ بها المسلمون عن أوجب الحقوق البشرية عليهم، وذلك هو (بِرُّ ٱلْوَالِدَيْنِ) وإنما قلنا: إن الآية رَغَّبَتْ في ذلك لقوله: (إن الله يحب المقسطين)، ولقول رسول اللهﷺ: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)[1].

فالمؤمن يسعى دائماً إلى تحقيق ما يحبه الله، ولا ينفي معنى الترغيب والطلب في الآية أنها جاءت بلفظ (لا ينهاكم الله) فهذا التعبير قَصِدَ به نفي ما كان عالقًا بالأذهان، وما يزال، أي: أن المخالف في الدين لا يستحق برًّا، ولا قسطًا، ولا مودةً، ولا حسنُ عشرةٍ، فبين الله تعالى أنه لا ينهى المؤمنين عن ذلك مع كل المخالفين لهم، بل المحاربين لهم، العادِّين عليهم.

نَظْرَةٌ خَاصَّةٌ لأَهْلِ الْكِتَابْ:

وإذا كان الإسلام لا ينهى عن البر والإقساط إلى مخالفيه من أي دين، ولو كانوا وثنيين مشركين، كمشركي العرب الذين نزلت في شانهم الآيتان السابقتان، فإن الإسلام ينظر نظرةً خاصةً لأهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا في دار الإسلام، أم خارجها، فالقرآن لا يناديهم إلا بـ (يا أهل الكتاب) و(يا أيها الذين أوتوا الكتاب) يشير بهذا إلى أنهم في الأصل أهل دينٍ سماويٍّ، فبينهم وبين المسلمين رَحِمٌ وَقُرْبَى، تتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث الله به أنبياؤه جميعاً: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ}

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد، ومسلم، والنسائي من حديث ابن عمرو، ومختصر مسلم برقم: (١٢٠٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٩٥٣).

(الشورى: ١٣) والمسلمون مطالبون بالإيمان بكتب الله قاطبةً، ورسل الله جميعاً، ولا يتحقق إيمانهم إلا بهذا: {قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} (البقرة: ١٣٦)، وأهل الكتاب إذا قرؤوا القرآن يجدون الثناء على كتبهم ورسلهم وأنبيائهم، وإذا جادل المسلمون أهل الكتاب فليجتنبوا المراء الذي يُوغِرُ الصدور، ويثير العداوات: {وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت: ٤٦)، وقد رأينا كيف أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب، وتناول ذبائحهم، كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم مع ما في الزواج من سكن وَمَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ، وفي هذا قال تعالى: {وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ} (المائدة: ٥) هذا في أهل الكتاب عَامَّةً، أما النصارى منهم خَاصَّةً، فقد وضعهم القرآن مَوْضِعاً قريبًا من المسلمين، فقال: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (المائدة: ٨٢).

أَهْلُ الذِّمَّة

هذه الوصايا تشمل جميع أهل الكتاب حيث كانوا، غير أن المقيمين في ظل دولة الإسلام منهم لهم وضعٌ خاصٌ، وهم الذين يُسمون في اصطلاح المسلمين "بأهل الذمة"، وَ الذِّمَّةُ معناها: الْعَهْدُ، وهي كلمة تُوحي بأن لهم عهد الله ورسوله، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين، وهؤلاء بالتعبير الحديث" مواطنون" في الدولة الإسلامية، وأجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شؤون الدين والعقيدة،

فإن الإسلام يتركهم وما يدينون، وقد شَدَّدَ النبيﷺ الوصية بأهل الذمة وَتَوَعَّدَ لكل مُخَالف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه، فجاء في أحاديثه الكريمة أنه قال: (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ حَقًّا، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ)[1].

وقد جرى خلفاء الرسولﷺ على رعاية الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين، وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحرمات، فقال الفقيه المالكي "شهاب الدين القرافي": (إن عقدَ الذِّمَّةِ يُوجب حُقُوقًا علينا؛ لأنهم في جِوارِنا وفي خِفَارَتِنَا وَذِمَّتِنا، وَذِمَّةِ الله تعالى، وذمة رسولهﷺ، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوءٍ، أو غيبةٍ في عِرْضِ أحدهم، أو أيِّ نوعٍ من أنواع الأذيةِ، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله، وذمة رسولهﷺ، وذمة دين الإسلام)

وقال "ابن حزم" الفقيه الظاهري: (إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صَوْناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسولهﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمالٌ لعقد الذمة)

موالاةُ غير المسلمين ومعناها:

ولعل سؤالاً يجول في بعض الخواطر، أو يتردد على بعض الأسئلة وهو: كيف يتحقق البرّ والمودة، وحسن العشرة مع غير المسلمين، والقرآن نفسه ينهى عن موادة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ

(١) الحديث صحيح: أورده الألباني في صحيح أبي داود برقم: (٢٧٦٠)، وغاية المرام برقم: (٤٧١)، وأحمد: (١٩٨٦٤).

أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ } (المائدة: ٥١- ٥٢).؟

الجواب: إن هذه الآيات ليست على إطلاقها، ولا تشمل كل يهوديٍّ، أو نصرانيٍّ، أو كافرٍ ولو فهمت هكذا لناقضت الآيات والنصوص الأخرى، التي شرعت مَوَادَّةَ أهل الخير والمعروف من أيِّ دينٍ كانوا، والتي أباحت مُصاهرة أهل الكتاب، واتخاذ زوجه كتابية مع قوله تعالى في الزوجية وآثارها كقوله تعالى: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} (الروم: ٢١)، وقال تعالى في النصارى: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ} (المائدة: ٨٢).

إنما جاءت تلك الآيات في قوم مُعادين للإسلام، مُحاربين للمسلمين، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومُظاهرتهم للمسلمين، وهو معنى الموالاة، واتخاذهم بطانة يُفْضِى إليهم بالأسرار، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته: وقد وضحت ذلك آيات أُخَرْ، كقوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} (آل عمران: ١١٨-١١٩)

هاتين الآيتين تبين لنا صفات هؤلاء، وأنهم يُكنُّونَ العداوة والكراهية للمسلمين في قلوبهم، وقد فاضت آثارها على ألسنتهم، قال تعالى: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} (المجادلة: ٢٢)

وَمَحَادَّةَ الله ورسوله ليست مجرد الكفر، وإنما هي مناصبة العداء للإسلام والمسلمين، وقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} (الممتحنة: ١) فهذه الآية نزلت في مُوَالاَةِ مُشركي مكة الذين حاربوا الله ورسوله، وأخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق إلى أن يقولوا: رَبُّنَا الله، فمثل هؤلاء هم الذين لا تجوز موالاتهم بحال، ومع هذا فالقرآن لم يقطع الرجاء في مصافاة هؤلاء، ولم يُعلن اليأس الباتَّ منهم، بل أطمع المؤمنين في تغير الأحوال وصفاء النفوس، فقال في السورة نفسها: {عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الممتحنة: ٧) وهذا التنبية من القرآن كفيل ان يكفكف من حَدَّة الخصومة وصرامة العداوة، كما جاء في الحديث: (أَبْغِضْ عَدُوَّكَ هَوْناً مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا)(١).

وتتأكد حرمة الموالاة للأعداء إذا كانوا أقوياء، يرجون ويخشون، فيسعى إلى موالاتهم المنافقون ومرضى القلوب يتخذون عندهم يدًا، يرجون أن تنفعهم غَدًا، كما قال تعالى: {فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ} (المائدة: ٥٢) {بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} (النساء: ١٣٨- ١٣٩)

- (اسْتِعَانَةُ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ الْمُسْلِمِ)

(١) رواه الترمذي، والبيهقي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وجاء في تخريج الحلال والحرام "غاية المرام" برقم: (٤٧٢).

لا بأس أن يستعين المسلمون - حُكَّامًا وَرَعَّيةً- بغير المسلمين في الأمور الفنية التي لا تتنصل بالدين من طب وصناعةٍ وزراعةٍ وغيرها، وإن كان الأجدر بالمسلمين أن يكتفوا في كلٍ ذلك اكتفاءً ذاتياً، وقد رأينا في السيرة النبوية كيف استأجر رسول الله ﷺ "عبد الله بن أُرَيْقِطْ" وهو مشرك ليكون دليلاً له في الهجرة، قال العلماء: (ولا يلزم من كونه كافرًا أَلاَّ يُوثَقُ به في شيءٍ أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق وَلاَ سِيَّمَا في مثل طريق الهجرة إلى المدينة، وأكثر من هذا أنهم جَوَّزُوا لإمام المسلمين أن يستعين بغير المسلمين، بخاصة أهل الكتاب في الشؤون الحربية، وأن يُسْهِمَ لهم من الغنائم كالمسلمين، روى الزهري أن رسول الله ﷺ استعان بناسٍ من اليهود في حربه فأسهم لهم، وأن "صفوان بن أمية" خرج مع النبي ﷺ في "غزوة حنين" وكان لا يزال على شركه، ويُشترط أن يكون من يُستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم تُجِزْ الاستعانة به، لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يُؤمن من المسلمين مثل المختل والمرجف فالكافر أَوْلَى، ويجوز للمسلم أن يهدى إلى غير المسلم، وأن يقبل الهدية منه، ويكافئ عليها، كما ثبت أن النبي ﷺ أهدى إليه الملوك فقبل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن قالت" (إِنِّي قَدْ أُهْدِيتُ مِنَ النَّجَاشَي حُلَّةٌ وَأَوَاقِيَ مِنْ حَرِيرٍ)

إن الإسلام يحترمُ الإنسان من حيث هو إنسان، فكيف إذا كان من أهل الكتاب؟ وكيف إذا كان مُعَاهِدًا، أَوْذِمِّيًا؟.!!

ثم يختم الشيخ مقولته، فيقول في تهنئة اليهود والنصارى في أعيادهم: (هذه حقوقٌ مشتركةٌ، فإذا كان الكتابي يأتي ويهنئك وَيُعَيِّدُ عليك في عيدك، ويُشارك في أتراحك ومصيبتك فيعزيك بها، فما المانع من أن تهنئه بعيده، وفي أفراحه وتعزيته في مصيبته؟ حيث قال تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ) (النساء: ٨٦)،

وهذا من الْبِّر واالقسط الذي جاء به هذا الدين)[1].

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الْأُمورِ فَلَمْ يَنْدَمْ رَفِيقٌ ولَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانُ
وَلاَ يَغُرَّنَّكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقُ فَالخُرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالأَنْوَارِ فَاغِمَةً والْحُرُّ بِالْعَدْلِ والْإِحْسَانِ يَزْدَانُ

(1) http: //www.iso:mononline.net /serlet /..112528601788

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مِصْرُ الْآمِنَةُ

مصر الآمنة والمحروسة إلى قيام الساعة، لأنها أرض الخيرات، فهى جنة الله فى أرضه، وهى الكنانة، وهى أرض الأنبياء والمرسلين، والعلماء الربانيين.

* أما عن أنها أرض الخيرات، لأنها بلاد كريمة التربة، تأوى بخيراتها النفوس التى تحمل هوية الغربة، فعلى أرضها يسرى نهر من أنهار الجنة، حيث قال رسول الله ﷺ: (النِّيلُ وَالْفُرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ).

وفى حديث الإسراء: فى ذكر سدرة المنتهى قال رسول الله ﷺ: (وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَنَهْرَانِ فِى الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ والْفُرَاتُ)(١).

وروى مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن أنهار الجنة، فقال: قال رسول الله ﷺ: (سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ؛ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ) (٢).

وروى الحافظ الضياء، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ أنه قال: (أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ: سَيْحُونَ، وَهُوَ نَهْرُ الْهِنْدِ، وَدِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَهُمَا نَهْرَا الْعِرَاقِ، وَالنِّيلُ وَهُوَ نَهْرُ مِصْرَ، أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ، مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا، عَلَى جَنَاحَيْ جِبْرِيلَ، فَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالَ، وَأَجْرَاهَا فِى الْأَرْضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ، مِنْ أَصْنَافِ مَعَايِشِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (المؤمنون: ١٨)

---

(١) الحديث صحيح: رُوِىَ عن قتادة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنهما -، أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم: (٤/٢٠٨)، والبخارى: (٣٢٠٧)، ومسلم: (١٦٤).

(٢) الحديث صحيح: رواه مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، وأورده الألبانى فى الصحيحة برقم (١١٠)، ومختصر مسلم برقم: (١٩٦٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٦٥٢).

يسوق الله الماء من بلادٍ أُخرى، إلى أرضِ مِصْرَ، وهو ماء النيل، ومعهُ طينٌ أحمرٌ يجترفهُ من بلادِ الحبشةِ فى زمانِ أمطارها، فيأتى الماءُ يحملُ طِينًا أَحْمَرَ، فيسقى أرض مِصْرَ، وَيَقَرُّ الطينُ على أرضهم ليزرعوا فيه؛ لأن أرضهم سباخٌ يَغْلِبَ عليها الرِّمَالُ، فسبحان اللطيفُ الخبيرُ الرحيمُ الغفورُ، وقوله: ﴿ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أى: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يَخْلُدُ فى الأرض، وجعلنا فى الأرض قَابِلِيَّةً لَهُ، وَتَشْرَبَهُ وَيَتَغَذَّى به ما فيها من الْحَبِّ وَالنَّوَى، وأما تكملة الآية فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ أى: لو شئنا أن لا تُمْطِرَ لَفَعَلْنَا، وَلَوْ شِئْنَا لجعلناهُ أُجَاجًا لاَ يُنْتَفَعُ به لِشُرْبٍ وَلاَ لِسَقْيٍ لَفَعَلْنَا، ولو شئنا لجعلناهُ لا ينزلُ فى الأرض، بل يَنْجَرُّ على وجهها لفعلنا، ولو شئنا لجعلناهُ إذا نزل فيها يَغُورُ إلى مَدًى لا تصلونَ إليه ولا ينتفعونَ به لَفَعَلْنَا، ولكن بلطفه ورحمته يُنْزِلُ عليكمُ الماءَ من السحاب عَذْبًا فُرَاتًا زُلاَلاً، فَيُسْكِنَهُ فى الأرض، وَيَسْلُكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأرض، فَيُفَتِّحُ العيونَ والأنهارَ، ويسقى به الزروعَ والثمارَ، وتشربونَ منه وَدَوَابُّكُمْ وَأَنْعَامُكُمْ، وتغتسلون منه، وتتطهرونَ منه وتتنظفونَ، فلهُ الحمدُ والْمِنَّةُ[1].

إذن لم يَعِشْ على أرضها نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ، إلا وصفتها، بأنها جَنَّةُ اللهِ فى أرضه، لأن بها الخير الوفير، فعلى أرضها تتوفر المحصولاتُ، وفى باطنها تَتَجَمَّعُ الخيراتُ، وفى أجوائها تتلاقى أفئدة الأحبة من النفوس الطيبة الطاهرات، حيث قال تبارك وتعالى عنها بعدما طُهرت مصر من فرعون وبطانته الفاسدة: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٧) أى: تركوا هؤلاء الطُّغَاةُ بعد إهلاكهم بساتين، وعيون ماء يسقى منها وَيَتَنَعَّمُ بالنظرِ إليها، وفى هذا نوعٌ من التَّفَكُّهِ والتَّنَزُّهِ، وزروع قائمة فى مزارعهم لِلتَّقَوُّتِ منها، ومحافل مزينة، ومنازل مزخرفة، والتنعم بالنساء والأموال والحشم، وما لا يُحصى من النعيم، وكل ذلك على أرض مصر، وبشهادة الله تعالى، بأن مصر هى خزائن الأرض، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف: ٥٥). أى: إنى

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٣٠-٢٣١).

أحفظها من الضياع، فلا يختلس فيها مختلس، ولا تضيع فيها الأمانات، ولا ينفق منها إلا فى موضعه، ولا يبذر فيها، وَلاَ يُقَتِّرُ فى مواطن الإنفاق، وعليمٌ بما يصلح وما لا يصلح، وبوجوه الحاجة، وبوجوه الإسراف، فلا يخرج مال إلا بحقه، ولا يجمع إلا بحقه، وقوله: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ فيه طلب جعله وَالِيًا على أموال الدولة والأرض، المراد بها أرض مصر، فصارت أخصب المناطق فى عصره[1].

وقد روى الكاتبون فى قصص الأنبياء أنه صار وزير الملك، وجعل على خزائن الأرض فأقام العدل، والعدل ذاته فيه نماء، واجتهد فى تنمية الثروة المصرية، فأكثر من الزراعات، وضبط الثمرات والغلات وادَّخر لسنى الجدب على النحو الذى شرعه فى تفسير الرؤيا، ولما جاء الجدب، وكان يعلم ذلك بتعليم الله، عَمَّ القحط مصر، وتوجه الناس إليه فباعها بالدراهم والدنانير أولا، ثم باعوا حليهم وجواهرهم ثانيا، ثم باعوا أنفسهم ثالثا، ولكن نبى الله أعتقهم بتفويض من الملك، فكما أن (يوسف) كان رفيقًا بأهل مصر، كان رفيقًا أيضًا بإخوته وأبيه، فلم يُؤخر عنهم الميرة، بل عَجَّلَهَا لهم، وإن أوهمهم أنه يؤجلها حتى يعودوا إليه مع أخيه.[2]

وأما قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٠)

وشجرة تخرج مباركةً فى طور سيناء، والطور هو جبل الطور، والمراد كل سيناء، وعُرفت بأكرم مكان فيها؛ لأن فيها تجلى الله على موسى كليمه، وهى أرضٌ مقدسةٌ من الأراضى التى شَرَّفَهَا الله تعالى بتقديسه، وقد أقسم الله تعالى بها، فقد قال عزّ من قائل: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ ﴾ (التين: ١-٣).

فقرنها فى القسم بالبلد الأمين بيت الله الحرام، وكان ذكرها لتوجيه الأنظار إليها وعدم تركها، وذكر طور سيناء منسوبة إليها شجرة الزيتون، لتوجيه عقول المسلمين إليها، إذ

(١) زهرة التفاسير: للشيخ محمد أبو زهرة، عدد (٤٩) ص: (٣٨٣٥).
(٢) المصدر السابق: ص: (٣٨٣٦-٣٨٣٧).

الزيتون شجرته فى كثير من أرض الله تعالى، وقد وصف الله تعالى شجرة الزيتون بقوله: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ﴾، أى: تنبت هذه الشجرة المباركة مصاحبة للدهن، أى تنبت وقد أودعها الله تعالى الدهن، وإن الدى ينبت هو أخشاب الشجرة، ولكن لأن الدهن خلقه الله تعالى فيها، وتفيض به جعلت كأنها أنبتت الدهن ذاته، أو أن الدهن نبت من أخشابها، والدهن هو الزيت، وإن فيه شفاء للناس، وقد وصف الله تعالى شجرته بأنها مباركة، فقال- تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (النور: ٣٥)، والصبغ هو إدام الطعام، وإنه يُؤخذ من زيتون الشجرة إذا لم يُعصر زيته إدامٌ للطعام، يسهل تناوله [١].

ومما له صلةٌ بالموضوع يُضيف الداعية السعودى (محمد بن عبدالرحمن العريفى) فى خطبة الجمعة من فوق منبر مسجد البواردى بالرياض قائلاً: (إذا ذكرت المصريين، ذكرت الكعبة والبيت الحرام، فإن (عمر) – رضي الله عنه – أرسل إلى عامله فى مصر أن يصنع كسوة الكعبة المشرفة، فصنعت الكسوة من عهد (عمر) رضي الله عنه، وظلت كسوة الكعبة تصنع هناك فى مصر سنة بعد سنة حتى مرت أكثر من ألف سنة وكسوة الكعبة ترسل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلى قرابة المئة سنة، وأضيف قائلاً: إن فى أرض الحرم المكى كانت توجد (التكية المصرية) والتى أصبحت ملجأً وملاذًا لكل من يدخلها من طعامٍ وشرابٍ ومبيتٍ وخدمةٍ، إلى عهد قريب حين تنازل عنها (مبارك) ثم يضيف الشيخ (العريفى) قائلاً: قال: (عمر بن العاص) – رضي الله عنه –: (ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة.. يعنى: أن كل بلاد الإسلام فى كفة؛ وأن الذى يولى على مصر، فإنه يكون قد أخذ الكفة الأخرى، وقال (سعيد بن هلال): إن مصر أم البلاد، وَغَوْثُ العباد، وإن مصر مصورة فى كتب الإيواء، أى: تأوى كل من يلوذ بها، أو يلجأ إليها، فقد مُدَّتْ يدها لكافة البلدان تستطعمها، وتفيض عليها بخيراتها، وقال (الجاحظ): إن أهل مصر يستغنون بما فيها من خيراتٍ عن كل بلدٍ، حتى لو ضُرِبَ بينها وبين

(١) المصدر السابق، عدد (٦٤) ص: (٥٠٦٠).

بلاد الدنيا بِسُورٍ ما ضرهم)[1].

أما عن القول، بأن مصر كنانة الله فى أرضه، لأن بها شعبٌ، فطنٌ زكيٌّ، هذا الشعب هو الذى أبَا أن تُقسمهُ (جماعة الإخوان)، هذا الشعب هو الذى تصدى للفتنة، هذا الشعب هو الذى أخذ عهدًا على نفسه أن يُحارب الكذب والكذابين، هذا الشعب بطبيعته السمحة، وطيبته المعتادة قد حارب شياطين القوى العالمية، فأخمد إشعال نار الحرب الأهلية التى أوشكت أن تحدث فى مصر، فتصدى لها بثورة ٣٠ يونيو ونزول الشعب فُرَادًا وجماعات حتى امتلأت شوارع وميادين المعمورة بأكثر من ٣٣ مليون حتى تحدث عن ذلك اليوم العدو قبل الصديق، ولذلك فإن مصر آمنة بشعبها، وجيشها، وقداسة أرضها، ألم يقسم الله بقداسة أرضها حيث قرنها فى القسم بالبلد الأمين بيت الله الحرام، فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ (التين: ٣)، ألم يَتَجَلَّ الله تعالى على (سيدنا موسى) على جبل الطور فى سيناء، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف: ١٤٣) فلم يتجلى الله على أىِّ أرضٍ من أراضى القاراتِ السِّتِّ إلا على أرض مصر، وعلى جبل الطور فى سيناء، ولذلك فإن مصر ستظل آمنة إلى قيام الساعة، ليست بقدسية المكان فقط، ولكن بجينات هذا الشعب الذى يتجلى معدنه فى الشدائد ويرفض التقسيم وَالفُرْقَةُ، لأنه اعتاد على الحب الجمعى لبلده، لذا تجد الأفئدة جميعًا تجتمع على هدفٍ واحدٍ وكأنهما اتفقا على ذلك، فمن أجل ذلك ستظل مصر آمنة، كما جاء على لسان (يوسف) عليه السلام فى كتابه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩) فدخول مصر مُنْصَبٌّ على الأمن، أى ادخلوا حال كونكم آمنين بمشيئة الله من الخوف والقحط والشدة، أو أن سيدنا يوسف استقبل قبيله شوقًا ورغبةً فى اللقاء خارج الأمصار، ثم قال ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ مطمئنين تجدون سهلاً وأهلاً وعزةً وكرامةً[2].

فهذا الأمن الذى جعله الله فى مصر بسبب بركة بعض أماكنها، وصمود شعبها على

(١) جريدة كفر الشيخ – ربيع الأول ١٤٣٤ هـ – فبراير ٢٠١٣ م – العدد (٢٤٦) – السنة الثامنة عشر ص: (٩).

(٢) زهرة التفاسير الشيخ محمد أبو زهرة – عدد (٤٩) ص: (٣٨٦١).

تطهير تلك الأماكن، فلذلك أُطلق عليها: (مِصْرُ كِنَانَةُ اللهِ فِي أَرْضِهْ)، ومعنى (كنانة) أى: جعبة السهام، وترمز أيضًا: إلى القوة والاستعداد، لأنها بلد الرجال، والأبطال، وأرضها أرض البطولات والتضحيات، فهى فى رباطٍ إلى يوم القيامة، لأن بها جيش بحق يُسمى (مدرسة الوطنية الأولى)، قال الشيخ (العريفى) عن ذلك، لا ننسى فى مصر رباط (الإسكندرية) الذى رابط فيه العلماء، والزهاد، والمجاهدين، والأبطال، والشجعان، وقال (أبو الزياد صاحب أبو هريرة): (خير سواحلكم رباط الإسكندرية) وقال (سفيان): (يا مصرى أين تسكن؟ قال: الفسطاط، قال لتأتى الإسكندرية، فإنها كنانة الله التى يجعل فيها خير سهامه)(1).

وذلك مصداقًا للمقولة الشهيرة: (إن خير الأجناد، جند مصر، فهم فى رباط إلى يوم القيامة)، وهؤلاء الأجناد هم (جيش مصر) الذين أتوا من نسيج الشعب كله، فأصبحت السماحة منهجًا لهذا الجيش إلى أن يَثْبُتَ أن السماحةَ يُقَابِلُهَا فِعْلُ اللِّئَام، فينقلبُ هذا الحملُ الوديعُ، إلى أسدٍ جسورٍ يزودُ عن عرينه، لأنه لم يكن يومًا من الأيام عُدوانيًا، أو ظَالِمًا، أو مُغتصبًا لحقوق الآخرين، ولكنه ظل دائمًا على مدى ما قبل الميلاد إلى قِيام الساعة دَاعِمًا للسلام العادِل، والقيم الإسلامية النبيلة فى أوقات السلم والحرب على السواء.

(انتصارات جيش مصر منذ عهد مينا)

الجيشُ المصريُّ هو أقدمُ جيشٍ نظامىٍّ ثابتٍ فى العالم، بدأ أول حروبه المجيدة من أجل توحيد مصر على يد الملك (مينا) عام ٣٤٢٥ قبل الميلاد، وعلى مدى هذا التاريخ الطويل، اتصف الجيش المصرى بالعديد من الصفات التى ميزته عن أى جيش آخر فى العالم، وفى مقدمتها أنه لم يكن أبدًا جيش عدوانٍ، أو احتلالٍ، أو اغتصابٍ لأرضٍ، أو حقوقِ الغيرِ، بل كان دائمًا قوةً من أجلِ دعمِ السلامِ وفرضهِ إذا تَطَلَّبَ الأمر، كما كان الجيش المصرى طوال تاريخه مدرسة للقِيم الإنسانية النبيلة فى أوقات السلم والحرب على السواء، وعلى مدى تاريخه الطويل، فقد سجل جيش

(١) جريدة كفر الشيخ – ربيع الأول ١٤٣٤ هـ – فبراير ٢٠١٣م – العدد (٢٤٦) السنة الثالثة عشر.

مصر انتصاراتٍ عظيمةٍ فى المعارك الحاسمة التى خاضها والتى أُتيحت لرجاله فرصة القتال والمواجهة.

(حَرْبُ التَّوْحِيدِ)

قبل ثمانية آلاف عام تم توحيد المقاطعات المصرية فى مملكتين: (مملكة الوجه البحرى، ومملكة الوجه القبلى)، وأصبح لكل منهما جيشٌ منظمٌ، وظل هذا الأمرُ حتى عام ٣٤٢٥ قبل الميلاد عندما تم توحيد مصر نهائيًا على يد الملك (مينا)، وفى بداية الأسرة الثالثة تعرضت مصر لغارات من البدو على حدودها، فسارع الملك (زوسر) بوضع اللبنات الأولى فى بناءِ جيشٍ موحدٍ ثابتٍ لِمِصْرَ، وقد شهد تنظيم وتسليح هذا الجيش تطورات عديدة فى عصور الدولة القديمة والدولة الوسطى، أما التطور الكبير فى تنظيم الجيش المصرى فقد حدث فى عهد الدولة الحديثة (١٥٥٢–٨٥ ق.م) وعلى مدى هذه القرون خاض الجيش المصرى معارك كُبرى... معارك تحرير واستقلال وقمع للأعداء والطامعين، وفى عصر الدولة الوسطى تكالبت على مصر الهجرات العنصرية... خاصة من قِبَلِ الجماعات الآسيوية التى عُرفت بالهكسوس الذين أمكنهم الاستيلاء على السلطة لأول مرة فى تاريخ مصر، وظل هؤلاء الغزاة يحكمون مصر قرابة قرن ونصف القرن من الزمان، وقد وقع عبء تحرير مصر من هذا الوجود الأجنبى على عاتق الأسرة (١٧)، وتجلت فى هذه الحروب آيات البطولة والشجاعة من الحكام والمقاتلين، وشاركت بعض الملكات المصريات فى تلك الحروب مثل الملكة (آياح حتب) التى ساندت زوجها (سفنن رع الابن) فى كفاحه ضد الهكسوس حتى سُقط كأولِ شهيدٍ فى سبيل مصر، فاستكمل ابنه (أحمس الأول) تحرير أرض مصر، وَيُعَدُّ (أحمس الأول) بطل استقلال مصر فى العهد القديم وطارد الهكسوس من وادى النيل.

(معركة مجدو)

فى عام ١٤٦٨ ق.م تُوفيت ملكة مصر (حتشبسوت) وخلفها فى الحكم (تحتمس الثالث) فحكم مصر ٣٢ عامًا، قد خلالها (١٦) حملة عسكرية لتوطيد سلطان مصر ونفوذها فى كل أنحاء المعمورة آنذاك، ولم يعرف جيش مصر خلال حكمه طعم الهزيمة، ويُعتبر (تحتمس الثاث) من أعظم ملوك مصر القديمة وأقدر قوادها العسكريين والسياسيين، ومن أشهر المعارك التى ارتبط بها اسمه معركة (مجدو)، كانت مجدو تل المسلم) حاليًا شمال شرق (الكرمة شمال فلسطين) - منطقة ذات موقع استراتيجى، فتحرك إليها الجيش المصرى بقيادة (تحتمس الثالث) حتى انقض على أعدائه عام ١٤٦٨ ق.م واختار تحتمس الهجوم عبر ممر (مجدو) مما كان مفاجأة كُبرى لأعدائه، فاختل نظامهم وتفرقت صفوفهم، فحسم جيش مصر المعركة فى ساعات.

(معركة قادش)

(رمسيس الثانى) هو أشهر ملوك مصر على الإطلاق، ومؤسس الإمبراطورية الثانية فى مصر القديمة، ومن أعظم معارك رمسيس الثانى معركة قادش، وقد استهدفت مصر خلال هذه المعركة القضاء على تحالف الآسيويين المتربصين بأمن مصر، ووضع (رمسيس الثانى) هدفًا لجيشه، هو ضرب تجمعات الأعداء المتجمعين عند مدينة (قادش السورية) ذات الموقع الاستراتيجى، وفى بداية المعركة فى عام (١٨٢٥ ق.م) تعرض (رمسيس) لخدعة من أعدائه، وفى هذا الوقت العصيب برزت مهارات (رمسيس الثانى) وكفاءته العسكرية، وأخرج جيشه من هذا المأزق، وَحَوَّلَ الهزيمة المنتظرة إلى نصر مُظَفَّر، وأسرع الملوك الخاتيين بتقديم فروض الولاء لفرعون مصر الذى قَبِلَ عرض الصداقة، (وتم توقيع أول معاهدة سلام فى التاريخ عام (١٢٧٠)

بين جيش مصر المنتصر، وبين ملوك الخاتيين)، لقد كانت (معركة قادش) ملحمةً من الشجاعةِ والصمودِ، وبطولةٌ عظيمةٌ للجيشِ المصرىِّ بكل المعاييرِ والمقاييسِ العسكريةِ.

(انتصار حطين)

منذ أن دخلت (مصر الإسلام)، أصبحت حصن المسلمين وقلعتهم، وأصبح جيش مصر دِرْعُ وَسَيْفُ الأمةِ الإسلاميةِ، وحقق لها النصر فى معارك كُبرى سجلها التاريخ فى حطين وغيرها، وَتُعَدُّ معركة حطين موقعة حاسمة فى تاريخ الشرق، بل والغرب أيضًا، فكانت هى المعركةُ الفاصلةُ بين الجيوش الإسلامية، وجيوش الصليبيين، ففى عام ١١٨٧ قاد (صلاح الدين الأيوبى) جيوشه فى اتجاه بحيرة طبرية، ونشبت المعركة العنيفة واستطاع (صلاح الدين) على رأس فرقة القلب من جيشه دحر محاولات الصليبيين اختراق جيشه والوصول إلى (طبرية)، وهكذا كان النصر العظيم فى حطين بمثابة بداية النهاية للوجود الصليبى فى الأراضى المقدسة فى فلسطين، وليعود بيت المقدس إلى أيدى المسلمين.

(معركة المنصورة)

بعد هزيمة وطرد الصليبيين من الشرق عادوا بحملة أخرى بعد نحو نصف قرن، وهى حملة قادها الملك (لويس التاسع) ملك فرنسا، واستهدف خلالها غزو مصر والاستيلاء عليها، واستغلت الحملة انشغال السلطان الصالح (نجم الدين أيوب) بإخماد بعض الاضطرابات بالشام، وجاء الأسطول الفرنسى بَحْرًا عام ١٢٤٨م مكونًا من ١٨٠٠ سفينة، تحمل ٨٠ ألف مقاتلاً بمؤنهم ومعداتهم، وفجأة مات (السلطان الصالح نجم الدين) فى نوفمبر ١٢٤٩م، وبدأ دهاء زوجته الملكة (شجرة الدر) التى أدارت البلاد والمعركة دون أن تُعلن وفاة السلطان، وبدأ المصريون يهاجمون حصون

الفرنجة، وأصابوهم بخسائر فادحة مما دفعهم إلى اتخاذ قرارٍ بالهجوم الخاطف والدخول فى معركةٍ فاصلةٍ واندفع جيش الصليبيين لاقتحام المنصورة حيث وجهوا بأروع معارك، التحم فيها المقاتلون مع أفراد الشعب وأُنزلوا بالفرنجة أبلغ الخسائر.

(سحق التتار فى عين جالوت)

(جانكيز خان) طاغية وُلِدَ فى (الصين)، قتل منها الآلاف فى مذابح وحشية، وفتوحات قتالية، فبسط سلطانه فى فترةٍ وجيزةٍ من حدود الصين إلى قلب أوروبا وعواصم الشام، وبعد وفاة (جانكيز خان)، تولى الحكم حفيده (مكوفان) الذى استدعى أخيه (هولا كوخان) وكلفه بإخضاع بلاد المسلمين حتى أقصى بلاد مصر، وبالفعل اجتاح التتار (إيران، ثم بغداد، ودخل غزة، وبالتالى وصلوا إلى مشارف مصر) التى كان يتولى عرشها (سيف الدين قطز) الذى وصله إنذار من (هولاكوا)، فقبل قطز التحدى، وكان الجواب على رسالة (هولاكو) هو: القتال، ولا شىء غير القتال، وكان هذا القرار مُتفقًا عليه من الجميع قبل وصول وفد هولاكو، وقبل وصول رسالته إلى القاهرة، ولم يكن إعدام الوفد إلا حافزًا جديدًا لقطز وقواته على القتال، دون أن يتركوا الباب مفتوحًا لحل آخر غير القتال، وهذا موقفٌ يُحمد عليه قطز فى مثل تلك الظروف التى كانت تُحيط به، لأنه انتزع آخر أمل من نفوس المترددين والانهزاميين فى احتمال رضوخ قطز إلى مطالب التتار، فقال قطز قولته الحاسمة: (إن الرأى عندى هو أن نتوجه إلى القتال، فإذا ظفرنا فهو المراد، وإلا فلن نكون مسلمين أمام الخلق).

الحشد:

خرج قطز يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م بجميع عسكر مصر، ومن انضم إليهم من عساكر الشام، ومن العرب والتركمان، وغيرهم من قلعة الجبل فى القاهرة، يُريد معسكر الصالحية، معسكر مصر الكبير فى شرق الدلتا، وقبل ذلك، وفى

اليوم نفسه، أحضر قطز (رسل هولاكو) وأعدمهم، ليضع قواته المسلحة أمام الأمر الواقع، لا مفر من القتال، ونُودى فى القاهرة، والفسطاط، وسائر أقاليم مصر بالخروج إلى الجهاد، وتقدم قطز إلى جميع الولاة يَحُثُّ الأجناد للخروج إلى القتال، وسار حتى وصل إلى الصالحية، وتكامل حشد قواته، فجمع الأمراء وكلمهم بالرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا عن الرحيل، فقال لهم: (يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد فليصحبنى، ومن لم يختر ذلك فليرجع إلى بيته، وإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين) وتكلم الأمراء الذين اختارهم وحلفهم مؤيدين له فى المسير، فلم يسع البقية غير الموافقة، وعند (عين جالوت) وقعت المعركة الكبرى، واصطف الجيشان فى المواجهة وبعد تكتيكات بارعة من الطرفين حُسِمَتْ شجاعة جيش المصريين وحكمة قادتهم المعركة، وانقشع غُباراها على جثثِ جيشِ التتارِ الذى ذاق طعم الهزيمة لأول مرة.

(جيش مصر فى العصر الحديث)

بعد تولى (محمد على باشا عرش مصر فى بداية القرن التاسع عشر، أعاد بناء جيش مصر فى إطار مشروعه القومى لبناءِ دولةٍ حديثةٍ قويةٍ فى مصر، وخاض هذا الجيش حروبًا عديدةً أشهرها الحروب التى خاضها ضد تركيا فى الشام والتى أبلى فيها جيش مصر بلاءً رائعًا، وكشف عن بسالة الجندى المصرى وقدرته على استيعاب أحدث الأسلحة وخوض أعنف المعارك، وهكذا هزم جيش مصر القوات التركية فى معركة (الزراعة) فى ١٤ أبريل ١٨٣٢م، ثم معركة (عكا) فى ٢٧ مايو ١٨٣٢م، ثم معركة (حمص) فى ٦ يوليو ١٨٣٢م، ومعركة (بيلان) فى ٣٠ يوليو ١٨٣٢م.

(حروب فى إطار الصراع الإسرائيلى)

وفى القرن الماضى خاض جيش مصر حروب فى إطار الصراع العربى الصهيونى

فى ١٩٤٨م عندما اشترك الجيش المصرى فى حرب فلسطين بعد القرار الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة فى (١٥ محرم ١٣٦٧ هـ - ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م) بتقسيم فلسطين، وإنشاء دولتين؛ أحدهما للعرب، والأخرى لليهود، وكان لهذا القرار أثرٌ خطيرٌ فى مصر، فاجتاح الناسُ شعورٌ بالسخطِ، والغضبِ، والثورةِ، وفى عام ١٩٥٦م اعتدت كل من فرنسا، وإسرائيل، وبريطانيا على أثر قيام (جمال عبدَالناصر)، بتأميم قناة السويس، ونفذت قوات الدول الثلاث الهجوم على مصر فى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م، فاحتلت القوات الإنجليزية، والفرنسية مدينة بور سعيد، ولكنها عجزت عن التقدم نحو الإسماعيلية بسبب شدة المقاومة المصرية، وفشل العدوان وكان من أهم أسباب فشله هو شدة المقاومة المصرية والتحام الجيش والشعب ضد العدوان، كما خاض الجيش المصرى حربًا أُخرى مع إسرائيل عام ١٩٦٧م، عندما بدأت إسرائيل تختلق المنازعات وتشن الهجمات الانتقامية ضد الدول العربية المجاورة لها، فأثارت مشكلة بعزمها على تحويل مجرى نهر الأردن، كما اعتدت على سورية فى نوفمبر ١٩٦٦م، وقامت بعدوان آخر فى ٧ أبريل ١٩٦٧م، وهكذا ظلت الأحداث تتوالى وشبح الحرب يخيم على المنطقة، وعندما بدأت إسرائيل إجراءِ تحركاتٍ كثيرةٍ لكل الوحدات المصرية خلال تلك الفترة، ولكن نتيجة لسرعة تعبئة القوات الاحتياطية المصرية لم تكن هذه الوحدات على درجةٍ كافيةٍ فى الاستعداد والتسلح حتى تتمكن من القتال بالكفاءة المطلوبة، مما أدى إلى نكسة ١٩٦٧ م، وتركت هزيمة ٦٧ أثرًا قاسيًا فى نفوس المصريين، ورسمت الحزن على وجوههم، ولكن وسط هذا اليأس انطلقت الإرادة المصرية لتعلن رفضها للهزيمة وتصميمها على إزالة العدوان مهما كانت التضحيات، وبدأت القيادة المصرية تتبع نظام ضبط النفس حتى تُتَاحَ لها فرصة إعادة بناء القوات المسلحة تَسْلِيحاً وتدريبًا وتنظيمًا.

(حرب الاستنزاف)

بدأت مرحلة الاستنزاف ضد القوات الإسرائيلية شرق القناة فى مارس ١٩٦٩م حيث تطورت الاشتباكات وتصاعدت حدتها، كما فرضت قواتنا حرب طويلة الأمد على القوات الإسرائيلية لاستنزاف مواردها وقوتها البشرية بعد ارتفاع معدلات خسائرها، وفى يوم ٨ مارس ١٩٦٩م قصفت المدفعية المصرية قوات العدو على طول المواجهة، واستمر القصف حتى تحطم أكثر من ٨٠٪ من تحصينات وقلاع خط بارليف، وتابعت قواتنا لاستنزاف العدو، فكانت عمليات العبور، والإغارة على العدو شرقًا وغربًا، ليلاً ونهاراً، وبدأت قواتنا البحرية تدخل حلبة الصراع، حيث قامت وحداتنا البحرية يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٩ بقصف مواقع العدو فى مناطق (رمانة، وبالوظة) على الساحل الشمالى بسيناء، كما قامت الضفادع البشرية بهجوم جرئ على ميناء إيلات الإسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر ١٩٦٩، وتمكنت من إغراق (٣) قطع بحرية للعدو، وخلال يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٩ قامت قواتنا بإغارة على المنطقة القوية المعادية (١٤٦) للمرة الثانية، حيث تم تدمير عدد من الدبابات والعربات للعدو بلغت خسائره فى الأفراد ٤٠ فردًا بين قتيلٍ وجريحٍ، وفى ٥ فبراير ١٩٧٠ قامت قواتنا بعملِ كمينٍ لقوات العدو على طريق القنطرة - التينة - على الضفة الشرقية للقناة حيث تم تدمير ثلاث دبابات، وثلاث عربات للعدو، وكما شهد ميناء إيلات للمرة الثانية هجومًا جريئًا لمجموعة من ضفادعنا البشرية يوم السادس من فبراير ١٩٧٠، دُمِّرَ للعدو سفينتان وأصيبت سفينة ثالثة، وفى الوقت الذى كانت قواتنا تنفذ فيه مُخَطَّطًا دقيقًا لاستنزاف العدو على طول المواجهة، حاولت القوات الإسرائيلية أن تقوم بعملياتٍ خاطفةٍ على بعض مواقعنا فى الجزيرة الخضراء، وساحل خليج السويس، فتحطمت كل تلك المحاولات، ودفع خلالها العدو ثمنًا باهظًا من الأفراد والمعدات والأسلحة، ويومًا بعد يومٍ بدأت شبكة الصواريخ المصرية تُشكل حائطًا صلبًا فى

مواجهة الطائرات الإسرائيلية، بعد أن فشلت محاولاتها المحمومة لعرقلة بنائها، وبعدها بدأت معارك استنزاف الطائرات الإسرائيلية، وشهد شهر يوليو ١٩٧٠ تحطيم (٢١) طائرة إسرائيلية، بدأت القيادة الإسرائيلية تعترف بأن حرب الاستنزاف خلقت موقفًا جديدًا تمامًا، وأدركت أمريكا حجم الكارثة التى باتت تنتظر إسرائيل، فكانت مبادرة (روجرز) ووقف إطلاق النار الذى بدأ فى ٧ أغسطس ١٩٧٠م.

(حرب أكتوبر)

ثم يأتى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، يوم عبور الجندى المصرى لقناة السويس، ذلك الحدث المشهود فى تاريخ الشعب العظيم الذى آمن بحقه فى استرداد الأرض والكرامة، دون تفريطٍ أو تهاونٍ، وبدأت الحرب فى الساعة (٢) بعد ظهر ذلك اليوم لتبدأ ملحمة العبور العظيم، ووجه الطيران المصرى ضربات مكثفة لمواقع العدو ليفتح الأجواء لإنشاء معابر المعديات والكبارى على قناة السويس، ويتم فتح (٨١) فتحة شاطئية فى الساتر الترابى بأسلوب التجريف بمضخات المياه النفاثة محققةً إزالة (٣) مليون متر مكعب من الرمال، وتمت الفتحة الأولى فى الساعة ٥,١٥ مساءً، وتم أول إنشاء معبر معديات فى الساعة ٦,٣٠ مساءً، وأول كوبرى تم إقامته على القناة فى الساعة ٨,٣٠ مساءً، وخلال أعمال قتال اليوم الأول دمرت قواتنا أكثر من (٢٠٠) دبابة إسرائيلية، وقتلت، وأسرت، وحاصرت أكثر من (١٥٠٠) جندى وضابط إسرائيلى، وقد تجلت حُنكة القادة السياسيين، والعسكريين فى دقة التخطيط العسكرى والاستراتيجى، واستخدام الخداع الاستراتيجى، واللجوء إلى عنصر المفاجأة الذى أفقد العدو توازنه. كما تَجَلَّتْ شجاعة المقاتل المصرى، وجسارته فى أيام الحرب، وكان إيمانه بالنصر واسترداد أرضه وكرامته سلاحه الأول فى ذلك الحصون، وتحطيم الموانع وهدم الاستحكامات والخطط التى أقامها أمام العدو [1].

وفى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ انحاز الجيش للشعب، حتى تنازل مبارك عن الحكم، ومرر

(١) شبكة الانترنت.

الفترة الانتقاليةِ بسلامٍ حتى استلم (مرسى) رئاسة الجمهورية فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢، ولما رأى الجيش المصرىُّ (مرسى) وبطانته الفاسدة أنهم أفسدوا فى الأرض، وأضروا البلاد، والعباد، والشجر، والدواب، انحاز الجيش للشعب أيضًا، لأن الجيش لم يرى من يرفق بالمصريين، فقام على الفور بالتصدى لهؤلاء الإرهابيين، وأخذ رأس الأفعى ليخضعه تحت الإقامة الجبرية فى ٣ يوليو ٢٠١٣، وأخذ على عاتقه أن يتصدى للإرهاب، فطهر سيناء من الإرهابيين، وهدم نحو ١٣٨٠ نفقًا كانت من خلالهما يتم دخول الجماعات المتطرفة إلى سيناء، ومن خلالها أيضًا يتم تهريب البضائع، والبنزين والسولار، والمواد المخدرة وغير ذلك من الأشياء التى تدمر الأمن القومى المصرى، هكذا رجال القوات المسلحة دائمًا أعينهم ساهرةً لحماية هذا الوطن، لأنهم فى رباطٍ إلى يوم القيامة، فهذه هى مصر وجيشها، إذا أتى عليهم قادم بخيرٍ أحاطوه بالعناية والرعاية، وأما إذا أتى عليهم قادم بسوءٍ إلا أكلوه، كما تأكل النار أجف الحطب، وهذه نصيحة (الحجاج بن يوسف الثقفى) الأمويُّ عندما قال (لطارق بن عمرو) عندما تولى حكم (مصر) ناصحًا إياهُ بقوله: (لو ولُّوك أميرًا للمؤمنين على (مصر) فعليك بالعدل، فهم قتلةُ الظلمةُ، وهادموا الأمم، وما أتى عليهم قادم بخيرٍ إلا التقموه كما تلتقم الأم رضيعها، وما أتى عليهم قادم بسوءٍ إلا أكلوه كما تأكل النار أجف الحطب، هم أهل قوةٍ، وصبرٍ وجلدٍ، لَا يَغُرَّنَّكَ ولا تستضعف قوتهم، فهم إن أقاموا لنُصرة رجلٍ ما تركوهُ إلا والتاج على رأسه، وإن قاموا على رجلٍ ما تركوهُ إلا وقد قطعوا رأسه، وَاتَّقِ فيهم نساءهم، فلا يقربهم أحد بسوءٍ إلا أكلوهُ كما تأكل الأسود فرائسها، راضيهم وإلا حاربتك صخور جبالهم، دينهم وإلا أحرقوا عليك دنياك)[1].

• أما عن القول، بأن مصر هى أرض الأنبياء والمرسلين، والعلماء الربانيين، فهذا صدقٌ ولا مرية فيه ولا شك، ولذلك عندما أفتح هذا الملف، وما كان يحدث فى عام (مرسى)، وزبانيته من تكفير الناس فى مصر، وكأنك أتيت بدبشةٍ كبيرةٍ ألقيتها

(١) جريدة الدستور الجمعة ٢٠ ذى الحجة ١٤٣٤هـ ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م – العدد (٢١٩١) الإصدار الثانى، ص: (١٢).

فوق رأسي، لِأَفْغِرَفَا هِي مَشْدُوهًا، مُتَسَائِلاً وَحُزْنُ الدنيا يقع فى قلبى، أيكفر الناس فى مصر، وعلى أرضها عاش الأنبياء والمرسلين؟ - أيكفر الناس فى مصر، وقد سكنها جمعٌ غفيرٌ من الصحابة الكرام، بلغ عددهم أكثر من ٣٥٠ صحابيًا؟ - أيكفر الناس فى مصر وقد تعلم أهلها من العلماء الربانيين؟ - أيكفر الناس فى مصر، وهى بلد الأزهر الشريف الذى علم الدنيا أجمع بوسطيته السمحة؟ = آه، وآه، وآه من خوارج هذا العصر، وما فعلوه فى أيامهم العجاف؟!!!!!

مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ؟

إن مصر قد شرفها الله بدخول عدد من الأنبياء، بل وبعضهم كان يعيش على أرضها، وعلى رأس هؤلاء الأنبياء الذين دخلوا مصر هو سيدنا (إبراهيم) - أبو الأنبياء عليه السلام - وهذا يؤيد أن مصر هى أم الدنيا، وأن مصر دولةٌ متأصلةٌ ولها دورٌ ثقافىٌ ودينىٌ هَامٌّ فى بناء المجتمعات، كما دخلها عدد من الأنبياء مثل (سيدنا موسى، ويوسف، وعيسى)، فجعل الله سيدنا موسى رسولاً فى مصر، ليهدى الناس فيها ويقضى على طغيان فرعون، فذلك له دلالة واضحةً على مكانة مصر الكبيرة فى إقامة الدعوة إلى الله تعالى ورفع كلمة التوحيد، لأنها لو لم تكن لها أهمية لما اهتم الله تعالى أن يُرسل إليها رسولاً ليهدى أهلها، لأن الله يعلم مدى تأثير مصر على البشرية جمعاء، فضلال أهلها يقود إلى ضلال باقى البشر، بالإضافة إلى أن الله تعالى قد جعل ثلاثة من الخمسة رسل أولو العزم أن يدخلوا مصر، وهذا أيضًا يُضيف إلى مكانتها الدينية، والأمر الآخر العظيم الخاص بمكانة مصر الدينية هو أن جميع أزواج الرسول ﷺ كانوا من الجزيرة العربية ما عدا واحدة فقط من مصر، وهى (مارية القبطية)، والأمر العجيب الآخر هو أن أبنائه الذكور الثلاث كان أحدهم من أم مصرية وهى (مارية)، والاثنين الآخرين أمهم من الجزيرة العربية، وهذا أيضًا يُضيف معنى رمزى كبير لدور

مصر الدينى، وأما من كان بمصر (إبراهيم الخليل، وإسماعيل، وإدريس، ويعقوب، ويوسف، واثنا عشر سبطا، وَوُلِدَ بها موسى، وهارون، ويوشع بن نون، ودانيال، وأرميا، ولقمان، وكان بها من الصِّدِّيقين، والصِّدِّيقات، ومؤمن آل فرعون، حيث قال تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (غافر: ٢٨ - ٣٣)، وجاء فى موضع آخر من القرآن حيث قال الله فى شأنه، عندما عزم (فرعون) على قتل (موسى عليه السلام)، فطلبه وبعثوا وراءه لِيُحْضِرُوهُ، فجاءه رجل وصفه الله بالرجولة، لأنه خالف الطريق، فسلك طريقًا أقرب من الطريق الذين بعثوا وراءه وفى طلبه ليقتصوا منه، فسبقهم وذهب إلى (موسى) لِيُحَذِّرَهُ قائلاً إِيَّاهُ: (يا موسى إن القوم يتشاورون فى أمرك ليقتلوك، فَانْجُ بنفسك، واخرج من هذه البلدة التى هى مصر، حيث أنى لك من الناصحين)، حيث قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القصص: ٢٠)، وقال على بن أبى طالب - رضي الله عنه - هذا الرجل كان اسمه (حزقيل)، وكان بها (الخضر)، حيث قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف: ٦٥) وهذا هو (الخضر) عليه السلام، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ بذلك، فقد جاء فى الحديث المتفق عليه من حديث سعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ

نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخِضْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ أَنَا. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: يَارَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ بِمِكْتَلٍ فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ بِمِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ عليه السلام حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (الكهف: ٦٣)[1].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: ٦٤) قال: فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة مُسَجًّى بثوب فسلم عليه موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ (الكهف: ٦٧) وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ موسى عليه السلام الْعِلْمَ لله، أرسلهُ إلى (الخضر) عليه السلام لِيُعَلِّمَهُ من علم الله ما لم يَعْلَمْهُ موسى عليه السلام.

ومن مصر أيضًا (آسية امرأة فرعون)، حيث قال الله فى شأنها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ (التحريم: ١١).

ومن مصر أيضًا (أم إسحاق، وماشطة بنت فرعون، ومريم ابنة عمران)، حيث قال الله فى شأن السيدة مريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم: ١٢) قال رسول الله ﷺ: (أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ

(١) البخارى (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).

عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)[(١)].

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟ قَالَ: هَذِهِ مَاشِطَةُ آلَ فِرْعَوْنَ، وَأَوْلاَدُهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا: قَالَ: بَيْنَمَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي، قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلاَنَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ. رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنُنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضِعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ يَا أُمَّهُ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ)[(٢)].

وجاء فى الحديث الذى أخرجه أبو يعلى فى مسنده من حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ فِرْعَوْنَ أَوْتَدَ لامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّلَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١). فَكُشِفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ)[(٣)].

---

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والطبرانى فى الكبير، والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الألبانى فى الصحيحة برقم: (١٥٠٨)، وصحيح الجامع برقم: (١١٣٥).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه أحمد برقم: (٢٨٢٣)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) الحديث صحيح: أخرجه أبو يعلى فى (مسنده) برقم: (٤/ ١٥٢١-١٥٢٢)، والطبرى فى تفسيره برقم: (٢٨/ ١١٠)، والحاكم برقم: (٢/ ٤٩٦)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين)، ووافقه الذهبى، وللحديث شاهد من حديث سلمان أنه قال: (كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها فى الجنة)، وجاء فى السلسلة الصحيحة للألبانى برقم: (٢٥٠٨).

ومن مصر تزوج (إبراهيم ﷺ) من (هاجر أم إسماعيل)، وتزوج (يُوسُفُ من زُلَيْخَا)، ومنها أُهْدِىَ (المقوقس) (محمد ﷺ ملرية القبطية)، فتزوجها وأنجبت له (إبراهيم) ويذكر أنه لما اجتمع الحسين بن علي، مع معاوية، قال له الحسين: (إن أهل حفن بصعيد مصر، وهى قرية مارية أم إبراهيم، فَأَسْقِطَ عنها الخراجُ إكرامًا لرسول الله ﷺ، فأسقطه).

وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، فَمِنْهُمْ :

- (العز بن عبدالسلام) وُلِدَ فى (دمشق) سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١م، وَتُوُفِّىَ فى (مصر) سنة ٦٦٠هـ - ١٢٦٢م، هو عالمٌ مسلمٌ سُنِّيٌّ على مذهب الأشاعرة، وفقيهٍ شافعِىٍّ، لُقِّبَ فى زمانه (بسلطان العلماء)، و(بائع الملوك)، برز فى زمن الحروب الصليبية وعاصر الدول الإسلامية المنشقة عن الخلافة العباسية فى آخر عهدها، ولعلّ أبرز نشاطه فى دعوته القوية لمواجهة الغزو المغولى التترى وشحذه لهمم الحكام ليقودوا الحرب على الغزاة، خصوصًا (قطز) قائد جيوش السلطان (عز الدين أيبك).

أيامه فى دمشق:

حكم (دمشق) فى أيام (العز بن عبدالسلام) الملك (الأشرف موسى)، ومن بعده الملك الصالح (عماد الدين إسماعيل) من بنى أيُّوب، فقدَّرا لِلْعِزِّ تفوقه فى العلم وُوَلُّوهُ خطابة جامع بنى أمية الكبير بدمشق، وبعد فترة قام الملك الصالح بقتال ابن أخيه الملك الصالح (نجم الدين أيوب)؛ حاكم مصر آنذاك، لانتزاع السلطة منه، مما أدى إلى موالاة الصليبيين، فأعطاهم حصن الصفد والثقيف وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والتزود بالطعام وغيره؛ فاستنكر (العز بن عبدالسلام) ذلك وصعد المنبر وخطب فى الناس خطبة عصماء، فأفتى بِحُرْمَةِ بيع السلاح للفرنجة، وَبِحُرْمَةِ الصُّلْحِ معهم، وقال فى آخر خطبته: (اللهمَّ أبرمْ أمرًا رُشْدًا لهذه الأمةِ، يَعِزُّ فيه أهل طاعتك، وَيَزِلُّ فيه أهل معصيتك)، ثم نزل من المنبر دون الدعاء للحاكم الصالح (كعادة خطباء

الجمعة)، فاعتبر الملك ذلك عِصْيَانًا، وَشَقًّا لِعَصَا طاعته، فغضب على (الْعِزِّ) وسجنه، فلما تأثر الناس، واضطرب أمرهم، أخرجه الملك من سجنه وأمر بإبعاده عن الخطابة في الجوامع، فتركَ (الْعِزُّ) الشَّامَ وسافر إلى مصر.

أيامه فى مصر:

وصل (العز بن عبدالسلام) إلى مصر سنة ٦٣٩هـ، فَرَحَّبَ به الملك الصالح (نجم الدين أيوب) وأكرم مثواهُ، ثم وَلاَّهُ الخطابة والقضاء، وكان أول ما لاحظه (الْعِزُّ) بعد توليه القضاء قيام الأمراء المماليك، وهم مملوكون لغيرهم، بالبيع والشراء وقبض الأثمان والتزوج من الحرائر، وهو ما يتعارض فى نظره مع الشرع الإسلامى، إذ هم فى الأصل عبيد لا يحق لهم ما يحق للأحرار، فامتنع أن يمضى لهم بيعًا، أو شراءً، فَتَأَلَّبُوا عليه وشكوه إلى الملك الصالح الذى لم تعجبه بدوره فتوى (الْعِزِّ)، فأمره أن يَعْدِلَ عن فَتْوَاهُ، فلم يأتمر بأمره، بل طلب من الملك ألا يتدخل فى القضاء، إذ هو ليس من شأن السلطان، وَأَدَّى به إنكاره لتدخل السلطان فى القضاء أن قام فجمع أمتعته ووضعها على حماره، ثم قال: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ (النساء: ٩٧)، فتجمع أهل مصر حوله، واستعدَّ العلماءُ والصلحاءُ للرحيل معه، فخرج الملك الصالح يَتَرَضَّاهُ، وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الشرع، فاقترح (الْعِزُّ) على الأمراء المماليك أَنْ يَعْقِدَ لهم مَجْلِسًا وَيُنَادَى عَلَيْكُمْ بالبيع لبيت مال المسلمين، وعندما نصحه أحد أبنائه، بأن لا يتعرض للأمراء خشية بطشهم، رَدَّ عليه بقوله: (أَأَبُوكَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ فِى سَبِيلِ اللهِ؟)، وفى آخر دولة (الأيوبيين) تولت الحكم امرأة هى (شجرة الدر)، فى تجربة تُعَدُّ الثالثةَ فى تاريخ الإسلام، بعد تولى (رضية الدين) سلطنة (دلهى) ٦٣٤هـ - ٦٣٨هـ، و(أروى بنت أحمد المصيلحى) (باليمن) ٤٩٢هـ - ٥٣٢هـ، وكان (العز بن عبدالسلام) من الذين استنكروا الأمر وعارضوهُ جَهْرَةً، لاعتقاده مخالفة ذلك للشرع،

ولم يَدُمْ حكم (شجرة الدُّرّ) سوى ٨٠ يَوْمًا، إذْ تنازلت على عرشها للأمير (عز الدين أيبك) الذى تزوجته وبقيت تحكم من خلاله، وبعد وصول (قطز) لسدة الحكم فى مصر، وظهور خطر التتار، ووصول أخبار فظائعهم، عمل (الْعِزُّ) على تحريض الحاكم واستنفاره لملاقاة التتار الزاحفين، ولما أمر (قطز) بجمع الأموال من الرَّعِيَّةِ للإعداد للحرب وقف (الْعِزُّ بن عبدالسلام) فى وجهه، وطالبُه ألاَّ يُؤخذ شَيئًا من الناس إلا بعد إفراغ بيت المال، وبعد أن يُخرج الأمراء وكبار التجار من أموالهم وذهبهم المقادير التى تتناسب مع غِنَاهُمْ حتى يتساوى الجميع فى الإنفاق، فنزل (قطز) على حكم (الْعِزِّ بن عبدالسلام).

قَاضِى قُضَاةَ الْمُسْلِمِينَ فِى الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِىِّ: (ابن دقيق العيد)

قال عنه (أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى الحافظ): (لَمْ أَرَ مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه رأيتُ ورويتُ، وكان للعلوم جامعًا، وفى فنونها بارعًا، مُقَدَّمًا فى معرفة عِلَلِ الحديثِ على أقرانه، منفردًا بهذا الفن النفيس فى زمانه، بصيرًا بذلك شديد النظر فى تلك المسالك، وكان حَسَنُ الاستنباط للأحكام والمعانى من السُّنَّةِ والكتابِ، مُبْرِزًا فى العلومِ النقليةِ والعقليةِ).

مولده ومنشأه:

نشأ (ابن دقيق العيد) فى مدينة قوص التابعة لصعيد مصر، وقد عاش فترة شبابه تقيًا نقيًا ورعًا طاهر الظاهرِ والباطنِ، يتحرى الطهارة فى كل أمر من أمور دينه ودنياه، فحفظ القرآن الكريم حفظًا تامًا، وتفقه على مذهب (الإمام مالك) على يد أبيه، ثم رجع وتفقه على مذهب (الإمام الشافعى) على يد تلميذ أبيه (البهاء القفطى) كما درس النحو وعلوم اللغة على يد الشيخ (محمد أبى الفضل المرسى)، و(شمس الدين محمود الأصفهانى)، ثم ارتحل إلى القاهرة التى كانت فى ذلك الوقت مركز إشعاع فكرى وثقافى يفوق كل

وصف، تكتظ بالعلماء والفقهاء فى كل علم وفن، فانتهز (ابن دقيق العيد) هذه النهضة العلمية الواسعة التى شهدتها القاهرة فى ذلك الوقت، وَالْتَفَّ حول العديد من العلماء، وأخذ على أيديهم فى كل علم وَفَنٍّ فى نهم بالغ، ولازم سلطان العلماء الشيخ (عز الدين بن عبدالسلام)، وأخذ علَى يديه الأصوَل وفقه الإمام الشافعى، وسمع (الحافظ عبدالعظيم المنذرى، وعبدالرحمن البغدادى الْبَقَّالَ)، ثم سافر إلى دمشق وسمع بها من الشيخ (أحمد عبدالدايم) وغيره، ثم اتجه إلى الحجاز، ومنه إلى الإسكندرية، فحضر مجالس الشيوخ فيهما، وتفقه، وبلغ غايته فى شتى أنواع العلوم والمعرفة الإسلامية، وجمع بين فقهى الإمامين (مالك والشافعى)، ومكث بالقاهرة فترةً يسيرةً، ثم اتجه على أثرها إلى مسقط رأسه (قوص)، فَعُرِفَ فِى ذلك الوقت بغزارة علمه وسعة أفقه، فذاع صيته بين الناس حتى إن والى (قوص) أَسْنِدَ إليه منصب القضاء على مذهب الإمام مالك، ثم اتجه بعد ذلك إلى القاهرة، وقام فيها بالتدريس بالمدرسة الفاضلية، والكاملية، والصالحية، والناصرية، وكان ثقة فى كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ فى النفوس مكانة سامية مرموقة، وحينما تُوُفِّيَ قاضى القضاة فى مصر، وهو التقى (عبدالرحمن بن بنت الأعز) فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٦٩٥هـ وخلا بموته هذا المنصب، وذلك فى عهد السلطان (منصور بن لاجين)، أشار أحد المقربين إلى هذا السلطان قائلاً: (هل أدلك على (محمد بن إدريس الشافعى، وسفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم)؟ فعليك (بابن دقيق العيد» فكان أن تقلد (ابن دقيق العيد) هذا المنصب الذى ظل شاغلاً له مدة سبع سنوات، بلغت فيها شخصيتهُ مكانةً مرموقةً فى الديار المصرية، وكان رحمه الله فى قضائه وآرائه وفتواه مثلاً أعلى للصدق، والعدالة والنزاهة، لا يخشى فى الحق لومةَ لائم، أو بطش سلطانٍ، فما كان يراه حقًا يطمئنُّ عليه الشرع يُنَفِّذْهُ ولو كان فى ذلك غضبًا للحكام والسلاطين، وقد ترتب على ذلك أن أكثر أعداؤه وحاسدوه الذين كانوا يَدُسُّونَ عليه وَيَكِيدُونَ لَهُ، وبالرغم من ذلك وقف مع الحق الذى لا يخشى فيه لَوْمَةَ لائِمٍ.

وفاتـه :

تُوُفِّيَ بالقاهرةِ فى صبيحة يوم الجمعة لتسعة أيام بَقِيَتْ من صفر ٧٠٢ هـ بعد أن عَمَّرَ ٧٧ عَامًا قَضَاهَا فى خدمة الدين الإسلامى الحَنيف فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وقد دُفِنَ يوم السبت، وكان يومًا مشهورًا عزيزًا فى الوجود، وقد وقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه.

- (سفيان بن عيينة)

وُلِدَ بالكوفة فى سنة سبع ومائة، وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقى الكبار، وحمل عنهم علمًا جَمًّا، وأتقنَ وَجَوَّدَ، وجَمَّعَ، وَصَنَّفَ، وَعَمَّرَ دَهْرًا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه عُلُوٌّ الإسنادِ، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، واستمع من أكثر من ٦٦ عَالِمًا، وحَدَّثَ عَنْهُ أكثر من ٤٨ عَالِمًا، عاش إلى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ولقد كان خَلْقٌ من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لقى (سفيان بن عيينة)، لإمامته وعلو إسناده، وجاور عنده غير واحد من الْحُفَّاظِ، ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: (الحميدى، والشافعى، وابن المدينى، وأحمد، وإبراهيم الرمادى) قال (الإمام الشافعى): (لولا مالك، وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز، وعنه قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند (ابن عيينة) سِوَى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سِوَى ثلاثين حديثًا، فهذا يوضح لك سعة دائرة (سفيان) فى العلم، وذلك لأنه ضَمَّ أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين، وارتحل ولقى خَلْقًا كثيرًا ما لقيهم مالك، وهما تطيران فى الإنفاق، ولكن (مَالِكًا) أَجَلُّ وَأَعْلَى، فعنده (نافع، وسعيد المقبرى».

قال (عبدالرحمن بن مهدى): (كان «ابن عينة» من أعلم الناس بحديث الحجاز).

وقال (أبو عيسى الترمذى): (سمعت محمدًا - يعنى البخارى - يقول: (ابن عيينة)، أحفظ من (حماد بن زيد» قال (حرملة): (سمعت الشافعى، يقول: ما رأيت أحدًا فيه من آلة العلم ما فى (سفيان بن عيينة)، وما رأيت أكَفَّ عن الْفُتْيَا منهُ، قال: وما رأيت أحدًا أحسنَ تفسيرًا للحديث منهُ).

قال (عبدالله بن وهب): (لا أعلم أحدًا أعلم بتفسير القرآن من (ابن عيينة)، وقال: (أحمد بن حنبل) أعلم بالسنن من سفيان).

قال (أحمد بن عبدالله العجلى): (كان (ابن عيينة) ثَبْتًا فى الحديث، وكان حديثه نحوًا من سبعةِ آلافٍ، ولم تكن له كتب)، ولد فى النصف من شعبان سنة ١٠٧ هـ - ومات عن عُمْرٍ يُنَاهِزُ إحدى وتسعين عامًا من العطاء فى علوم التفسير والحديث، رحم الله الشيخ، وأحسن مثواه، وجعله فى عداد الصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

- (محمد بن إدريس الشافعى)

هو عالم العصر، وناصر الحديث، وإمام قريش، والإمام المجدد، وفقيه الملة، وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعى فى الفقه الإسلامى، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضًا إمامٌ فى علم التفسير، وعلم الحديث، وقد عمل قاضيًا فَعُرِفَ بالعدل والذكاء، وإضافةً إلى العلوم الدينية، كان (الشافعى) فصيحًا شاعرًا، وراميًا ماهرًا، وَرَحَّالاً مُسَافِرًا، أكثرَ العلماءُ فى الثناء عليه، حتى قال فيه (الإمام أحمد): (كان الشافعى، كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس)، وَقِيلَ أنهُ هو إمامُ قُريش الذى ذكره النبى محمد ﷺ بقوله: (عالم قريش يملأ الأرض علمًا).

نشأ (الشافعى) فى أسرةٍ فقيرةٍ، كانت تعيش فى (فلسطين)، وكانت مقيمة بالأحياء

اليمنية منها، وقد مات أبوه وهو صغير، فانتقلت أمه به إلى (مكة) خشية أن يضيع نسبه الشريف، وقد كان عمره سنتين عندما انتقلت به إلى مكة، وذلك ليقيم بين ذويه، ويتثقف بثقافتهم، ويعيش بينهم، ويكونَ منهم.

عاش (الشافعى) فى مكة عيشة اليتامى الفقراء، مع أن نسبه كان رفيعًا شريفًا، بل هو أشرف الأنساب عند المسلمين: ولكنه عاش عيشة الفقراء إلى أن إستقام عُودُهُ، وقد كان لذلك أثرٌ عظيمٌ فى حياته وأخلاقه، فحفظ القرآن وهو فى السابعة من عمره، مما يدل على ذكائه وقوة حفظه، ثم اتجه إلى حفظ الحديث النبوى، فحفظ (موطأ الإمام مالك)، قال الشافعى: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين).

وكان الشافعى يستمع إلى المحدثين، فيحفظ الحديث بالسمع، ثم يكتب على الخزف، أو الجلود، وكان يذهب إلى الديوان يستوعب الظهور ليكتب عليها، والظهور هى الأوراق التى كُتب فى باطنها وتُرك ظهرها أبيض، وذلك يدل على أنه أحب العلم منذ نعومة أظفاره.

قال الشافعى: (لم يكن لي مال، فكنت أطلب العلم فى الحداثة، أذهب إلى الديوان أستوهب منهم الظهور وأكتب فيها)، وَرُوِى عنه، أنه قال: (كنت يتيمًا فى حجر أمى، ولم يكن معها ما تُعطى المعلم، وكان المعلم قد رضى من أمى أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، وكنت أُجالس العلماء، فأحفظ الحديث، أو المسألة، وكان منزلنا بمكة فى شِعب الْخَيْف. فكنت أنظر إلى العظم فأكتب فيه الحديث أو المسألة، وكانت لنا جِرَّةٌ عظيمةٌ، إذا امتلأ العظم طرحته فى الجرة) وقال أيضًا: (إنى خرجت عن مكة، فلازمت هذيلاً بالبادية، أتعلم كلامها، وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، أرحل برحيلهم، وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة أنشد الأشعار، وأذكر

الآداب والأخبار)، ولما عاد (الشافعى) إلى مكة طلب العلم فيها على يد من كان فيها من الفقهاء والمحدثين، فبلغ مبلغًا عظيمًا، حتى أذن له (مسلم بن خالد الزنجى) مفتى مكة بِالْفُتْيَا، فقد رُوِىَ عن مسلم بن خالد الزنجى أنه قال للشافعى: (أفت يا أبا عبدالله، فقد والله آن لك أن تُفتى) وهو ابن خمس عشرة سنة، وبعدها قدم الشافعى بغداد للمرة الثانية فى سنة ١٩٥هـ، ثم عاد بعد ذلك إليها سنة ١٩٨هـ وأقام أشهرً فيها فى خلافة (عبدالله المأمون) الذى كان من الفلاسفة المتكلمين، فأدنى إليه المعتزلة، وجعل منهم كُتَّابَهُ وَحُجَّابَهُ وَجُلَسَاءَهُ، والمقربين إليه، والمحكمين فى العلم وأهله، والشافعى كان ينفر من المعتزلة ومناهج بحثهم، فما كان له أن يرضى بالمقام معهم، وتحت ظل الخليفة الذى مَكَّنَ لهم، حتى أَدَّاهُ الأمرُ بعد ذلك إلى أن أنزل بالفقهاء والمحدثين المحنة التى تسمى محنة خلق القرآن، فاعتزم السفر إلى مصر، فرحل إليها، وقد وصل سنة ١٩٩هـ.

رحلته إلى مصر

لم يطب للشافعى المقام ببغداد، وكان لابد من الرحيل منها، ولم يجد مُهَاجَرًا، وَلاَ سَعَةً إلا فى مصر، ذلك أن واليها عباسىٌّ هاشمىٌّ قرشىٌّ، قال ياقوت الحموى: (وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبدالله بن العباس، دَعَاهُ، وكان العباس هذا خليفةً لعبدالله المأمون على مصر).

وقد قدم إلى مصر سنة ١٩٩هـ، ومات فيها سنة ٢٠٤هـ، وقد رُوى عن الربيع بن سليمان أنه قال: وقال لى يومًا (يقصد الشافعى): (كيف تركت أهل مصر؟)، فقلتُ: (تركتهم على ضربين، فرقةٌ منهم قد مالت إلى قول مالك، وأخذت به واعتمدت عليه، وَذَبَّتْ عنه، وناضلت عنه، وفرقةٌ قد مالت إلى قول أبى حنيفة، فأخذت به، وناضلت عنه)، فقال: (أرجوا أن أقدم مصر إن شاء الله، وآتيهم بشىءٍ أشغلهم به عن القولين

جميعًا) قال الربيع: (ففعل ذلك والله حين دخل مصر).

وكان مولده بغزة فى بلاد الشام سنة ١٥٠هـ - ٧٦٧م، وكانت وفاته فى مصر فى آخر ليلة من رجب سنة ٢٠٤ هـ - ٨٢٠م، ومما قاله فى حب مصر:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِى تَتُوقُ إِلَى مِصْرَ وَمَنْ دُونِهَا قَطْعُ الْمَهَامَةِ وَالْفَقْرِ
فَـوَاللهِ مَا أَدْرِى الْفَوْزُ وَالْغِنَى أُسَـاقُ إِلَيْهَا أَمْ أُسَـاقُ إِلَى الْقَبْرِ

- **(ابن حجر العسقلانى)**

المولد والنشأة:

وُلد المحدث (ابن حجر العسقلانى) فى مدينة القاهرة فى ٢٣ شعبان سنة ٧٧٣هـ، وهو من عائلة من قبيلة كنانة بن خزيمة من مضر كانت تسكن مدينة عسقلان وهاجرت إلى مصر قبل أن يُولد هناك. وكان والده عالمًا أديبًا ثريًّا، وأراد لابنه نشأةً علميةً أدبيةً، إلا أنه توفى ولم يزل (أحمد) طفلاً فكفله أحد أقارب والده (زكى الدين الخروبى) كبير تجار الكارم فى مصر، فرعاه الرعاية الكاملة وأدخله الكُتَّابَ فظهر نبوغه المبكر، فقد أتم حفظ القرآن وهو ابن اثنى عشر سنة وَوُصِفَ بأنه كان لا يقرأ شيئًا إلا انطبع فى ذهنه.

رحلاته فى طلب العلم:

رحلة إلى مكة سنة ٧٨٥هـ وأقام بها سنة ودرس خلالها الحديث على يد الشيخ (عبدالله بن سليمان النشاورى)، وقد قرأ عليه صحيح البخارى وسمع فى مكة من الشيخ (جمال الدين بن ظهيرة)، ورحل من مكة إلى مصر عائدًا فداوم على دراسة الحديث الشريف على يد الحافظ (عبدالرحيم العراقى)، وتلقى الفقه للشافعى من الشيخ (ابن الملقن)، (والعز ابن جماعة) وعليه درس الأصول

وباقى العلوم الآلية، كالمنهاج، وجمع الجوامع، وشرح المختصر، والمطول، ثم رحل إلى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، ومكة، وما بين هذه النواحى، ثم أقام فى فلسطين وتنقل فى مدنها يسمع من علمائها ويتعلم منهم، ففى غزة سمع من (أحمد بن محمد الخليلى)، وفى بيت المقدس سمع من (شمس الدين القلقشندى)، وفى الرملة سمع من (أحمد بن محمد الأيكى)، وفى الخليل سمع من (صالح بن خليل بن سالم)، وبالجملة قد تلقى ابن حجر مختلف العلوم عن جماعة من العلماء كل واحدٍ كان رأسًا فى فنه كالقراءات، والحديث، واللغة، والفقه، والأصول، ويُذكر عن شيخه (العز بن جماعة) أنه قال: (أقرأ فى خمسة عشر علمًا لا يعرف علماء عصرى أسماءها).

● مكانته بين أهل عصره:

تفرد ابن حجر من بين أهل عصره فى علم الحديث مطالعةً، وقراءةً، وتصنيفًا، وإفتاءً حتى شهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد والعدو والصديق، حتى كان إطلاق لفظ (الحافظ) عليه كلمة إجماع بين العلماء، وقد رحل إليه الطلبة من الأقطار وطارت مؤلفاته فى حياته وانتشرت فى البلاد وتكاتب الملوك من قطر إلى قطر فى شأنها وكانت له اليد الطولى فى الشعر.

● من شهدوا له بالعلم:

قال (السخاوى): (شهد له شيخه العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث).

وقال (السيوطى): (إمام هذا الفن للمتقدمين، ومقدم عساكر المحدثين، وعمدة الوجود فى التوهية والتصحيح، وأعظم الشهود والحكام فى بابى التعديل والتجريح).

وقال (عبدالحى العبكرى): (انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة

العالى والنازل، وعلل الأحاديث، وغير ذلك وصار هو المعول عليه فى هذا الشأن فى سائر الأقطار).

● الوظائف التى شغلها:

شغل ابن حجر الكثير من الوظائف المهمة فى الإدارة المملوكية المصرية، مما هيأ له الوقوف على مجريات السياسة المصرية ودخائلها آنذاك، ومكّنه من الاتصال المباشر بالمصادر الأولى لأحداث عصره.

● تولى ابن حجر :

• الإفتاء واشتغل فى دار العدل وكان قاضى قُضاة الشافعية.

• عَنِىَ ابن حجر عنايةً فائقةً بالتدريس، واشتغل به، ولم يكن يَصْرِفُهُ عنه شىء حتى أيام توليه القضاءُ والإفتاءُ.

• دَرَّسَ فى أشهر المدارس فى العالم الإسلامى فى عهده من مثل: المدرسة الشيخونية، والمحمودية، والحسنية، والبيبرسية، والفخرية، والصلاحية، والمؤيدية، ومدرسة جمال الدين الاستادار فى القاهرة (وجمال الدين هذا من أهالى البيرة قرب رام الله فى فلسطين).

● مؤلفاته :

له مؤلفاتٌ وتصانيفَ كثيرةٌ زادت على مئة وخمسين مُصَنَّفًا فى مجموعة من العلوم المهمة، أشهرها وأهمها:

• مخطوطة من كتاب (تسديد القوس مختصر الفردوس) بخط مؤلفه ابن حجر العسقلانى.

• فتح البارى بشرح صحيح البخارى (خمسة عشر مجلدًا)، ومكث ابن حجر

فى تأليفه عشرين سنة، ولما أتم التأليف عمل مأدبة ودعا إليها أهل قلعة دمشق وكان يومًا عظيمًا، ويعتبر هذا الكتاب أفضل شرح وَأَعَمَّهُ نَفْعًا لصحيح البخارى، وتأتى أهمية كتاب ابن حجر من كونه شرحًا لأصح ما ورد عن رسول الله ﷺ من حديث.

· الإصابة فى تمييز الصحابة، وهو كتاب تراجم ترجم فيه ابن حجر للصحابة، فكان من أهم المصادر فى معرفة الصحابة، وغيرها من المؤلفات التى أثرت للمكتبة الإسلامية ثراءً نافعًا، من وقت تدوينها ونشرها إلى قيام الساعة.

وفاته:

تُوُفِّىَ فى أواخر ذى الحجة سنة ٥٨٢هـ، وكان له مشهد لم يُرَ مثله فيمن حضره من الشيوخ، وشهده أمير المؤمنين والسلطان، وقدم الخليفة للصلاة عليه، وكان ممن حضر الجنازة الشاعر (الشهاب المنصورى)، فلما وصلوا بالجنازة إلى الْمُصَلَّى أمطرت السماء على نعشه، وَدُفِنَ فى مقابر (الإمام الشافعى) مصر القديمة بالقرب من مقام الليث بن سعد[1].

- (الليث بن سعد)

المولد والنشأة:

أُطلق عليه: (الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، حيث كان الليث (بن سعد بن عبدالرحمن) فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بجودة الإقليم، بحيث إنه متولى مصر، وقاضيها، وناظرها من تحت أوامره، فيرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم

(١) الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

فاستعفى من ذلك).

وُلِدَ الإِمَـامُ فى منطقة قلقشنده (تسمى منطقة طوخ حاليًا) التابعة لمحافظة (القليوبية فى مصر)، وترجع أصول أجداده إلى أصبهان ببلاد (الفرس وخراسان)، فهاجرت أصول الإمام إلى مصر فى زمن ما، فَوُلِدَ فى مِصْرَ، وعاش بها إلى أن مات وَدُفِنَ بها، فهو مصرى المولد والمنشأ والوفاة، أصبهانى الأصل.

قال ابن بكير: (سمعت الليث يقول: سمعت بمكة سنة ١١٣هـ، من الزهرى وأنا ابن عشرين).

وقال يحيى بن بكير: (سمعت الليث يقول وُلِدْتُ فى شعبان سنة أربع، أى: ٩٤هـ وحججت سنة ١١٣هـ) الذين روى عنهم، وسمع منهم: (سمع (الليث بن سعد) أكثر من ٣٧ عالمًا من فحول العلماء) الذين رووا عنه، وسمعوا منه: (روى عنه خلقٌ كثيرٌ، ذكر منهم فى المطبوعات التى بين أيدينا أكثر من ٣٤ عالمًا من فحول العلماء، على رأسهم «ابن عجلان شيخه».

ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ :

قال (عبدالله بن أحمد بن شبوية): سمعت (سعيد بن أبى مريم): سمعت (الليث بن سعد) يقول: (بلغت لثمانين وما نازعت صاحب هوى قط).

قال الذهبى: (كانت الأهواء والبدع خاملة فى زمن (الليث، ومالك، والأوزاعى)، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما فى زمن (أحمد بن حنبل)، و(إسحاق، وأبى عبيد)، فظهرت البدعة، وامتحن أئمة الأثر، ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة؛ ثم كَثُرَ ذلك واحتج عليهم العلماء أيضًا بالمعقول، فطال الجدالُ، واشتد النزاعُ، وتولدت الشُّبَهُ).

وقال (بن بكير): (كان الليث فقيه البدن، عَرَبِيُّ اللسان يحسنُ القرآن، والنحو، ويحفظ الحديث، والشعر، حسن المذاكرة، فما زال ابن البكير يذكر خصال الليث الحميدة ويعقد بيده حتى عقد عشرة، وقال: لَمْ أَرَ مِثْلَهُ).

وقال (بن وهب): (لولا (مالك، والليث)، لضل الناس).

وقال (عثمان بن صالح): (كان أهل (مصر) ينتقصون (عثمان) حتى نشأ فيهم الليث، فحدثهم بفضائله، فَكَفُّوا، وكان أهل (حمص) ينتقصون (عَلِيًّا) حتى نشأ فيهم (إسماعيل بن عياش) فحدثهم بفضائل (عَلِيٍّ) فكفوا عن ذلك)

وقال (ابن سعد): (كان الليث قد استقل فى زمانه بالفتوى).

وقال (الأثرم): (سمعت (أباعبدالله أحمد بن حنبل) يقول: ما فى هؤلاء المصريين أثبت من الليث).

وقال (الفضيل بن زياد): قال أحمد: (ليث كثير العلم، صحيح الحديث).

وقال (أبو داود): سمعت (أحمد) يقول: (ليس فى المصريين أصح حديثًا من (الليث بن سعد) (وعمرو بن الحارث) يُقاربه).

وقال (عبدالله بن أحمد): سمعت أبى يقول: (أصح الناس حديثًا عن سعيد المقبرى (ليث بن سعد)، يفصل ما روى عن أبى هريرة، فَهُوَ ثَبْتٌ فى حديثِهِ جدًّا).

وقال (الشافعى): (الليث) أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، أى: (لم يشتهر أمره مثل الإمام مالك، وقد ضاعت كُتب الليث، وبالتالى مذهبه، ولولا ذلك لكانت المذاهب الآن خمسة وليس أربعة منهم مذهب الليث).

وقال (أبو زرعة الرازى): سمعت يحيى بن بكير يقول: (الليث أفقه من مالك، ولكن الخطوة لمالك رحمه الله)

وقال (حرملة)، سمعت (الشافعي) يقول: (الليث أتبع للأثر من مالك).

وقال (على بن المديني): (الليثُ ثبتٌ).

وقال بكر بن مضر: قَدِمَ علينا كتاب مروان بن محمد إلى حوثرة والى مصر، يقول فيه: (إنى قد بعثت إليكم أعرابيًا بلويًا فصيحًا، من حاله ومن حاله فأجمعوا له رَجُلاً يُسَدِّدَهُ فى القضاء، وَيُصَوِّبَهُ فى المنطق، فأجمع رأى الناس على الليث بن سعد، فى حال وجود معلماه، يزيد بن أبى حبيب، وعمرو بن الحارث فى الناس).

وفاتــه:

تُوُفِّيَ (الليث بن سعد)، ليلة الجمعة ١٥ شعبان سنة ١٧٥هـ، ودفن يوم الجمعة وصلى عليه (موسى بن عيسى).

قال (خالد بن عبدالسلام الصدفى) (شهدت جنازة (الليث بن سعد) مع والدى، فما رأيت جنازة قَطُّ أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن وهو يعزى بعضهم بعضا ويبكون، ودفن فى مقابر مصر القديمة بجوار الشافعى، وابن حجر العسقلانى)[1].

وَعَطَفًا عَلَى مَا سَبَقَ، يضيف الشيخ (العريفى)، وَيُؤَكِّدَ على عزة المصريين، ودورهم فى النهوض بالعرب والمسلمين، فيقول: (الجامع الأزهر، الذى له الفضل المشروع، والعلم المنثور، والتقدم الكاسر، والارتفاع القاهر - العلماء فيه متكاثرون، وَالْعُبَّادُ فيه قائمون، وَالزُّوَّارُ إليه متوافدونَ، وَيُوَضِّحُ: أن مِصْرَ قادت الأمة الإسلامية أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة فى مصر بعد انقطاع الخلافة من بغداد فى عام ٦٥٦ من الهجرة إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين فى تركيا عام ٩٢٤ بينهما أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة فى مصر، وهى التى تقود بلاد الإسلام، أما أهل مصر فيكفيهم فخرًا

(1)http://forum.stop55 com/262376.html

وشرفًا أن الله تعالى اختار منهم الأنبياء وجعل الله الأنبياء يسكنون بين ضهرينهيم، فهذا (الخليل إبراهيم) شيخ الموحدين، وأفضل المرسلين، وَجَدُّ خاتم النبيين جاء إلى مصر، وتزوج (هاجر المصرية)، وهذا (يعقوب عليه السلام) دخل مع أبناؤه الأنبيا، وفيها تُوُفُّوا، وَدُفِنُوا فيها، وهذا (يوسف عليه السلام) سكن مصر، وحكم بها، وَتُوُفِّيَ وَدُفِنَ فيها، وهذان (موسى وهارون) عليهما السلام وُلِدَا فى مصر وعاشا فيها، وهذا (يوشع بن نون) وُلِدَ بمصر وعاش بها، وهذا (أرميا، والخضر، وأيوب) عليهم السلام، كلهم دخلوا مصر ومنهم من مات بها، ولقد ضرب الله تعالى بأبطال مصر أمثلة فى كتابه تعالى، (مؤمن آل فرعون)، وهو بَطَلٌ ثَابِتٌ على الحق الذى قال الله تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (غافر: ٢٨)، وهو مصرى، ومن المصريين أيضًا الرجل المؤمن الذى حَذَّرَ (موسى عليه السلام)، حيث قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القصص: ٢٠)، ومن المصريين (السحرة)، حيث ذكر الله تعالى قصتهم، فآمنوا وَصَدَّقُوا، فأصبحوا فى أَوَّلِ النهارِ سحرةٌ فجرةٌ، وصاروا فى آخر النهار شهداء بررة، إنها بلاد الأبطال، فإذا قارنت مصر بغيرها، فَعَجِزْتَ أن تحظى لها بمثيل، وأما نساء مصر، فيكفى المصريات فخرًا وعزةً وشرفًا أن سيد الأنبياء محمد ﷺ كانت جدته هاجر مصرية، وأم ولده (مارية) مصرية، ويكفى المصريات فخرًا أن ماء زمزم تَفَجَّرَ لامرأةٍ مصريةٍ، وهى (هاجر وابنها إسماعيل)، ويكفى المصريات أن هاجر المصرية لما سعت ما بين الصفا والمروة خَلَّدَ الله تعالى فعلها وأمر الله تعالى الأنبياء، وسائر الأولياء، والحجاج، والمعتمرين، بأن يسعوا كسعيها، ويكفى المصريات فخرًا أن أم موسى عليه السلام مصرية، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية، والتى قال الله تعالى عنها: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ

فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ (التحريم: ١١)، ويكفى المصريات فخرًا أن المرأة الصالحة التى كانت ماشطة ابنة فرعون مصرية).

ثم يستطردُ (العريفى) قائلاً: (يا أيها الناس إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملاً، وأحسنهم أخلاقًا وأدبًا).

قال (تاج الدين الفزازى): (من أقام فى مصر سنةً واحدةً، وجد فى أخلاقه رِقَّةً وَحُسْنًا).

وقال (ابن ظهيرة) عن أهل مصر: (حلاوة لسانهم، وكثرة مودتهم للناس، ومحبتهم للغرباء، ولين كلامهم، وحُسن فهمهم للشريعة، مع حُسن أصواتهم، وطيب نغماتهم، وطول أنفاسهم، وأعلاها وأشجاها فى الإجابة والتطريب، ونساؤهن أرق النساء فى الدنيا، وَأَحْلاَهُنَّ صورةً ومنطقةً، وأحلاهن شمائل، وأحملهن ذات، ويقول: ومازلت أسمع قديمًا عن (الشافعى)، أنه قال: من لم يتزوج من مصرية لم يُكمل إحسانه).

وأضاف (العريفى) قائلاً: (أيها المسلمون لقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من أصحاب الرسول الكريم محمد ﷺ، وعندما أحصوا عدد الصحابة الذين دخلوا مصر، أو سكنوا فيها، أو زاروها، أو دُفِنُوا فى ترابها أكثر من ٣٥٠ صَحَابِيًّا منهم من جاء رسولاً إليها، أو حاكمًا لها، أَوْ مُجَاهِدًا فيها، أَوْ مُعَلِّمًا لأهلها، منهم (عمرو بن العاص، وعبدالله بن الصرح، وعبدالله بن عمر) وكلهم قد وَلِيَ إِمْرَةَ مصر، ومنهم (جابر بن عبدالله، والزبير بن العوام، وعبدالله بن الزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبادة بن الصامت، وعبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر، وأيوب الأنصارى، وأبو ذر الغفارى، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وعبدالله بن الحارث، وفيها وُلِدَ خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز) رحمه الله تعالى، ثم يُكْمِلُ قائلاً: أيها المسلمون، إذا تكلمنا عن مصر، فإننا نتكلم عن بلاد العلماء

الذين وصل آثارهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كرام، وتابعون أعلام، منهم (الليث بن سعد) وهو إمام المصريين، والذى قال فيه (الشافعى): (الليث بن سعد) أعلم من (مالك)، ومنه القارئ (ورش، وسعيد بن كثير) وكان عَالِمًا، حيث قال عنه (يحى بن معين) إمام الجرح والتعديل، لما سُئِلَ عن مِصْرَ، قال: رأيت فى مصر ثلاثة عَجَائِب، (النيل والأهرام وسعيد ابن كثير)، وكان عالمًا إمامًا، ومنهم (عبدالملك بن هشام) صاحب السيرة النبوية المشهورة، ومنهم (الإمام الطحاوى) الذى ألف العقيدة الطحاوية، وهى تُدَرَّسُ اليوم فى كل الدنيا، وتدرسها الجامعات فى المملكة العربية السعودية، ومنهم الإمام ابن النحاس، والقاضى عبدالوهاب المالكى، ومنهم الشيخ نابلة الحافظ عبدالحافظ المقدسى، وإذا ذكرت الحنابلة، ذكرت الفقه الحنبلى، ورجعت لزامًا إلى (عبدالغنى المقديسى)، وكان قد خرج من الشام وسكن فى مصر، والبطل الإمام (العز بن عبدالسلام)، والقارئ العظيم، والذى تحفظ منظومته طُلاَّبِ العلم الإمام (الشاطبى) الذى أَلَّفَ منظومته فى ألفِ بَيْتٍ فى القرآن الكريم وتلاوته) [1].

ولذلك لا يتسنى لِأَىِّ أَحَدٍ أَيًّا كَانَ على وجه الأرض، أن يُكَفِّرَ أُنَاسٍ عاشوا على أرضٍ عاش عليها الأنبياء والمرسلين، والعلماء الربانيين، إلا معصوبى الأعين، فاقدى العقل، متبلد الأحاسيس والمشاعر، ولا أجدُ أجمل مما قاله الشيخ الجليل، (محمد متولى الشعراوى) فى هذا المقام، حيث قال: (مصر الكنانة، مصر الذى قال عنها رسول الله ﷺ: (أَهْلُهَا فِى رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)، من يقول عنها: إِنَّهَا أُمَّةٌ كَافِرَةٌ، إذن فمن المسلمون؟ من المؤمنون؟

مِصْرُ هى التى صَدَّرَتْ علم الإسلام إلى الدنيا كلها، صَدَّرَتْهُ حتى إلى البلد الذى نزل فيه الإسلام، هى التى صَدَّرَتْ علماءَ الدنيا كلها علم الإسلام، أنقولُ عنها ذلك.

(١) – جريدة كفر الشيخ – فبراير ٢٠١٣م – ربيع الأول ١٤٣٤هـ – العدد ٢٤٦ – السنة الثامنة عشر – ص: (٩).

ذلك هو تحقيق العلم فى أزهرها الشريف، وَأَمَّا دِفَاعًا عنِ الإسلامِ، فانظروا إلى التاريخ، من الذى رَدَّ همجية التتار عن الإسلام، والمسلمين، إنها مصر.

من الذى رد هجوم الصليبيين عن الإسلام والمسلمين، إنها مصر.

وَسَتَظَلُّ مِصْرُ دَائِمًا رَغم أَنفِ كُلِّ حَاقِدٍ، أَوْ حَاسِدٍ، أَوْ مُسْتَغِلٍّ، أَوْ مُسْتَغَلٍّ، أَوْ مَدْفُوعٍ مِنْ خُصُومِ الْإِسْلاَمِ هُنَا، أَوْ خَارِجٍ هُنَا، إِنَّهَا مِصْرُ، سَتَظَلُّ دَائِمًا).

اللَّهُمَّ قِنَا آفَاتَ اللِّسَانِ وَذَلاَّتِهْ، وَزَيِّنْ صُدُورَنَا بِالْإِسْلاَمِ، وَحُسْنَ صِفَاتِهْ

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي هَذَا زَادًا إِلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ، وَعَتَادًا إِلَى يُمْنِ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، إِنَّهُ بِكُلِّ جَمِيلٍ كَفِيلٌ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلِّ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينْ.

كَتَبَهُ

كمال أحمد عبدالسلام

وكان الانتهاء منه يوم الاثنين

٢٣ جماد أول ١٤٣٥ هـ / ٢٤ مارس ٢٠١٤ م.

فهرس قائمة المراجع

 كتاب التفسير:

١- صحيح تفسير ابن كثير - ط - دار الفؤاد - دار ابن رجب - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٢- تفسير القرطبى - الجامع لأحكام القرآن الكريم - دار الغد العربى - الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦.

٣- تفسير القاسمى. محمد جمال الدين القاسمى - ط - دار الحديث القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٤- زهرة التفاسير. الشيخ محمد أبو زهرة - ط - دار الفكر العربى ٨/ ٧/ ١٤٠٧هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٧م.

 كتاب المعجم :

٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقى - ط - دار الحديث القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨م.

٦- المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

 كتاب الأحاديث :

٧- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلانى - ط دار الحديث

القاهرة ١٩٨٨م.

٨- صحيح مسلم بشرح النووى - دار الفجر للتراث - الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى - ط مكتبة المعارف - الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠- صحيح الجامع للألبانى - ط المكتب الإسلامى - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١١- سنن ابن ماجة - تعليق - محمد فؤاد عبدالباقى - دار الريان للتراث - بدون تاريخ.

١٢- الترغيب والترهيب للمنذرى - ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٣- رياض الصالحين بشرح ابن عثيمين - المكتبة التوفيقية - بدون تاريخ.

١٤- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى - ط دار الحديث القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

كتاب المناقب والسير :

١٥- الرحيق المختوم للمباركفورى - المكتبة التوفيقية - الطبعة الحادية والعشرون ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

١٦- دلائل النبوة للبيهقى - ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

١٧- زاد المعاد لابن القيم - مكتبة الأهرام - ١٩٩٦م.

١٨- البداية والنهاية لابن كثير - ط دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤م.

١٩- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى - دار انغد العربى ١٤١٩

هـ - ١٩٩٨م.

٢٠-الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر - دار الغد العربى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢١- عمر بن الخطاب شخصيته وعصره. على محمد محمد الصلابى. مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤٢٢هـ

٢٢- مناقب أمير المؤمنين. عمر بن الخطاب. على محمد على. مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

٢٣- عثمان بن عفان شخصيته وعصره. على محمد محمد الصلابى - مكتبة الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٦م.

٢٤- على بن أبى طالب شخصيته وعصره. على محمد محمد الصلابى. مكتبة الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٥م.

- كتاب العقيدة :

٢٥- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد. عبدالرحمن آل شيخ. ط دار العقيدة الإسكندرية ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

- كتاب الفتاوى:

٢٦- موسوعة فتاوى معاصرة، لأصحاب الفضيلة العلماء. ناصرى السعدى. محمد صالح العثيمين. محمد إبراهيم آل شيخ. عبدالعزيز بن باز. عبدالله بن جبيرين. عبدالله صالح الفوزان - المكتبة التوفيقية بدون تاريخ.

٢٧- الموسوعة الفقهية الصادرة عن دولة الكويت.

٢٨- جبهة علماء الأزهر ٢٥ محرم ١٤٣٢ هـ - ٢١ ديسمبر ٢٠١٠م.

* كتاب الشعر:

٢٩- ديوان سيد قطب. جمعه. عبدالباقى محمد حسين. دار الوفاء المنصورة. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

* كتبٌ ذَاتُ طَابِعٍ دِينّي:

٣٠- رياض النعيم. أبو عبدالرحمن سلطان بن على الحسنى. دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية. دار الفتح الإسلامى بالإسكندرية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

٣١- بصائر فى الفتن - محمد بن إسماعيل المقدم - دار الخلفاء الراشدين الإسكندرية - الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩.

٣٢- أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. مصطفى بن محمد بن مصطفى. دار بلنسيه للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٣ - الرسالة للشافعى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر - مكتبة دار التراث - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٣٤- مجلة الأزهر. ربيع الآخر ١٤٣٥هـ. فبراير ٢٠١٤م. الجزء (٤) السنة (٨٧).

٣٥- مجلة الهلال. ذو الحجة ١٤٣٤ هـ. نوفمبر ٢٠١٣م. السنة (١٢٠).

* كتبٌ ذاتُ طَابِعٍ سِيَاسِيٍّ:

٣٦- التقرير الاستراتيجى العربى. ٢٠١١ - ٢٠١٢م. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. وضعه مجموعة من الخبراء والباحثين من داخل المركز بالأهرام.

٣٧- التنظيم السرى لجماعة الإخوان المسلمين - على عشماوى. مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية - ٢٠٠٦م

٣٨- الخروج من بوابات الجحيم. ماهر فرغلى. الانتشار العربى بيروت. الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

٣٩- أسرار ناصر: من واقع ملفات منتهى السرية فى المخابرات البريطانية والفرنسية والأمريكية والإسرائيلية، للأستاذ توحيد مجدى - القاهرة - دار أخبار اليوم - قطاع الثقافة ٢٠١٣م.

٤٠- أسرار السادات: من واقع ملفات منتهى السرية فى المخابرات المركزية الأمريكية، للأستاذ توحيد مجدى. القاهرة. دار أخبار اليوم. قطاع الثقافة ٢٠١٢م.

٤١- سر المعبد. لثروت الخرباوى - ط دار نهضة مصر للنشر ٢٠١٢م الطبعة الثانية عشرة.

٤٢- أئمة الشر. الإخوان والشيعة أمة تلعب فى الخفاء. ثروت الخرباوى. الطبعة الأولى سبتمبر ٢٠١٣م.

٤٣- الدولة البوليسية فى مصر - الثورة والثورة المضادة. أمير سالم. ط دار العين بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٤- مبارك واغتيال السادات على طريقة المماليك. عصام عبدالفتاح. مكتبة الحدود. الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٤٥- مجلة الإذاعة والتليفزيون السبت ١ ربيع الثانى ١٤٣٥هـ - ١ فبراير ٢٠١٤م (العدد (٤١١٦) السنة (٧٩).

٤٦ - مجلة الأهرام العربى - السبت ١٢ جماد ثان ١٤٣٥ هـ - ١٢ أبريل ٢٠١٤م - العدد (٨٩٠).

الصحف :

● جريدة الأهرام:

٤٧- ١٧ مايو ٢٠٠٨م العدد (٤٤٣٥٧) السنة (١٣٢).

٤٨- الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤هـ - ٦ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (٤٦٢٩٥) السنة (١٣٨)

٤٩- ملحق الجمعة بنفس التاريخ والعدد السابق.

٥٠- الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٥هـ - ٢٤ يناير ٢٠١٤م العدد (٤٦٤٣٥) السنة (١٣٨).

٥١ - الجمعة ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ - ١١ أبريل ٢٠١٤م - السنة (١٣٨) العدد (٤٦٥١٢).

٥٢ - الثلاثاء ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ - ٢٩ أبريل ٢٠١٤م - السنة (١٣٨) العدد (٤٦٥٣٠).

● جريدة الأخبار :

٥٣- الاثنين ١٩ ربيع أول ١٤٣٥ هـ - ٢٠ يناير ٢٠١٤م العدد (١٩٢٧٤) السنة (٦٢) الطبعة الثانية.

● جريدة الوفد :

٥٤- الثلاثاء ٢٥ من ذى القعدة ١٤٣٤هـ - أكتوبر ٢٠١٣م العدد (٨٣٠٥) السنة (٢٧).

٥٥- السبت ١٩ محرم ١٤٣٥هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م العدد (٨٣٥٠) السنة (٢٧).

● جريدة الوطن :

٥٦- الاثنين ٢٢ ربيع أول ١٤٣٤ هـ - ٤ فبراير ٢٠١٣ م العدد (٢٨١) السنة الأولى.

٥٧- الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ- ١٥ أبريل ٢٠١٣ العدد (٢٩١) السنة الأولى.

٥٨- الأحد ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ - ٢٨ أبريل ٢٠١٣م العدد (٢٦٤) السنة الأولى.

٥٩- السبت ٢٧ شعبان ١٤٣٤ هـ- ٦ يوليو ٢٠١٣ م العدد (٤٣٣) السنة الثانية.

٦٠- الأحد ١١ شوال ١٤٣٤ هـ- ١٨ أغسطس ٢٠١٣م العدد (٤٧٦) السنة الثانية.

٦١- الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥ هـ- ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م العدد (٥٩٦) السنة الثانية.

جريدة التحرير:

٦٢- الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ- ١٤ أبريل ٢٠١٣م العدد (٦٥١) السنة الثانية.

٦٣- الجمعة ٢٤ رمضان ١٤٣٤ هـ- ٢ أغسطس ٢٠١٣م العدد (٧٦١) السانة الثالثة.

٦٤- الجمعة ٢ شوال ١٤٣٤هـ- ٩ أغسطس ٢٠١٣م العدد (٧٦٨) السنة الثالثة.

٦٥- السبت ٢٤ شوال ١٤٣٤ هـ- ٣١ أغسطس ٢٠١٣م العدد (٧٩٠) السنة الثالثة.

٦٦- الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ- ٦ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (٧٩٦) السنة الثالثة.

٦٧- الأحد ٢ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ- ٨ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (٧٩٨) السنة الثالثة.

٦٨- الثلاثاء ١١ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ- ١٧ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (٨٠٧) السنة الثالثة.

٦٩- الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٥هـ-٢٩ يناير ٢٠١٤م العدد (٩٤١) السنة الثالثة.

جريدة الصباح:

٧٠- الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ- ١٥ أبريل ٢٠١٣ م السنة الأولى.

٧١- الاثنين ١٠ ذو القعدة ١٤٣٤هـ- ١٦ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (١٣) السنة الأولى.

٧٢- الاثنين ١٧ ذو القعدة ١٤٣٤هـ - ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (١٤) السنة الأولى.

٧٣- الاثنين ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ - ٤ نوفمبر ٢٠١٣م العدد (١٩) السنة الأولى.

٧٤- الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م العدد (٢٥) السنة الثانية.

٧٥- الاثنين ٥ ربيع أول ١٤٥هـ - ٦ يناير ٢٠١٤م العدد (٢٨) السنة الثانية.

٧٦- الاثنين ١٩ ربيع أول ١٤٣٥ هـ - ٢٠ يناير ٢٠١٤م العدد (٣٠) السنة الثانية.

٧٧- الاثنين ٢٦ ربيع أول ١٤٣٥ هـ - ٢٧ يناير ٢٠١٤م العدد (٣١) السنة الثانية.

● جريدة اليوم السابع:

٧٨- الخميس غرة جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ - ١١ أبريل ٢٠١٣م العدد (٦٨١).

٧٩- الأحد ٤ من جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ - ١٤ أبريل ٢٠١٣م (العدد (٦٨٤).

٨٠- الخميس ٢٣ رمضان ١٤٣٤ هـ - ١ أغسطس ٢٠١٣م العدد (٧٩٣).

٨١- الثلاثاء ١١ من ذى القعدة ١٤٣٤ هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (٨٤٠).

٨٢- الأربعاء ١٩ من ذى القعدة ١٤٣٤ هـ - ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣م العدد (٨٤٨).

٨٣- السبت ٢٩ من ذى القعدة ١٤٣٤ هـ - ٥ أكتبر ٢٠١٣م العدد (٨٥٨).

٨٤- الخميس ٢٦ من ذى الحجة ١٤٣٤ هـ - ٣١ أكتوبر ٢٠١٣م العدد (٨٨٤).

● جريدة فيتو:

٨٥- الثلاثاء ٢٢ محرم ١٤٣٥هـ - ٢٦ نوفمبر ٢٠١٣م العدد (٩٤).

٨٦- الثلاثاء ٧ صفر ١٤٣٥هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠١٣م العدد (٩٦).

● جريدة الدستور:

٨٧- الاثنين ١٨ صفر ١٤٣٤هـ - ٣١ ديسمبر ٢٠١٢م العدد (١٩٢١) الإصدار الثانى.

٨٨- الجمعة ٢٠ من ذى الحجة ١٤٣٤هـ - ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م العدد (٢١٩١) الإصدار الثانى.

- جريدة الفجر:

٨٩- الخميس ١٩ ذو الحجة ١٤٣٤ هـ - ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣م العدد (٤٢٩) السنة السابعة.

٩٠ - الخميس ١ مايو ٢٠١٤م - السنة السابعة - العدد (٤٥٦).

- جريدة المصرى اليوم:

٩١- الخميس ١٦ صفر ١٤٣٥هـ - ١٩ ديسمبر ٢٠١٣م العدد (٣٤٧٥) السنة العاشرة.

- جريدة الشروق:

٩٢- الثلاثاء ٧ صفر ١٤٣٥هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠١٣م العدد (١٧٧٣) السنة الخامسة.

- جريدة الموجز:

٩٣- الاثنين ٢١ محرم ١٤٣٥هـ ٢٥ نوفمبر ٢٠١٣م العدد (٣٨٣) السنة الحادية عشر.

- جريدة كفر الشيخ:

٩٤- ربيع أول ١٤٣٤ هـ - فبراير ٢٠١٣م العدد (٢٤٦) السنة الثانية عشر.

المواقع الإليكترونية:

٩٥- شبكة الانترنت موقع القرضاوى عن مؤسسة هيئة التحرير ١٩٥٣م.

٩٦- الفيس بوك سعد الدين إبراهيم فى حواره لجريدة الوطن.

٩٧- وكالة نادى المرسلين العالمية للأنباء د. عبدالحليم منصور.

98- http://youtu.be/oiR8-TEgns.

99- http://www.mrfourfingers.com.

100- http: // www. almocsryalyum . com / news / detocls / 261605.

101- http://www.onislam.net/arak/the/scholar.

102- http://drnabihaga.ber.blogspot.ccm.

103- http://www.elwatannew.com.

104- http://www.isamononline.net/serrlet/s..=Il22528601788.

105- http://forum.stop55.com/262376.html.

106 - Http:// www.elbalad.com/896717 # sthash.04A6jnp.d. puf.

107- Http:// dznabiaga.bez.blogspot.com

فِهْرِسُ المُحتَوَيات

مقدمة ٣

الْمَدْخَل – الدِّينُ لِلهِ، وَالْوَطَنُ لِلْجَمِيعِ ٩

الفصل الأول: مِنْ أَوَّلِ الْخَيْطِ نَبْدَأُ

إِطْلَالَةٌ ١٤

مِنْ أَوَّلِ الْـخَيْطِ نَبْدَأُ ١٥

المبحث الأول: أَحْوَالُ مِصْرَ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ: ١٥

حَمْلَةُ الْإِسْكَنْدَرِ الْأَكْبَرِ: ١٧

كسرى أبرويز: ١٨

الرُّومُ مَرَّةً أُخْرَى ١٩

المبحث الثاني: الْأَحْوَالُ الاِقْتِصَادِيَّةُ لِلْأَقْبَاطِ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ: ٢٠

المبحث الثالث: الْأَحْوَالُ الدِّينِيَّةُ لِلْأَقْبَاطِ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ: ٢٢

المبحث الرابع: الاِضْطِهَادُ الدِّينِيُّ لِلْأَقْبَاطِ: ٢٤

اضْطِّهَادُ الْمَسِيحِيِّينَ قَبْلَ الاِنْحِسَارِ الرُّومَانِيِّ وَالْبِيزَنْطِيِّ: ٢٤

الفصل الثاني: بَارِقَةُ الْأَمَلْ

إِطْلَالَةٌ ٢٨

المبحث الأول: فتح بيت المقدس على يدىْ عمر بن الخطاب ٢٩
المبحث الثانى: فَتْحُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ عَلَى يَدَىْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصْ ٣١
الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: الْإِسْلَامُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينْ ٣٤
مُقَابَلَةُ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانْ: ٣٨
الأسباب التى دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال: ٤٣
مُحَمَّدٌ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينْ : ٤٩
خُلُقُ الرَّحْمَةِ لِلأَقْبَاطِ فِى حَيَاةِ السَّلَفِ: ٥٩
الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: الْأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٦٩
الزَّوَاجُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْأَكْلُ مِنْ طَعَامِهِمْ: ٧٧

الفصل الثالث: قَسْوَةُ الْقَلْبِ وَجَفَافُ مَاءُ الْوَجْهِ

إِطْلَالَةٌ ٨٤
الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: فِكْرُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٨٥
أولاً: مَنْ هُمُ الْجَمَاعَةُ فِى تِلْكَ الْفَتْرَةِ؟ ٨٥
ثانياً: فِكْرُ الْجَمَاعَةِ ٨٦
ثَالِثًا: مِمَّنْ جَاءُوا بِهَذَا الْفِكْرِ ؟ ٨٧
رَابِعًا: حُكْمِهِمْ عَلَى الْمُجْتَمَعِ ٨٧
فتنة التكفير فى تلك الآونة منشؤها فكر (سيد قطب): ٨٨
أَفْكَارُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ وَمُعْتَقَدَاتُهَا: ٩٢

الْمُوَاجَهَاتُ الدَّامِيةُ مَعَ السُّلْطَةِ : ٩٨
تداعيات مقتل دكتور/ فرج فوده ١٠٢
اغْتِيَالُ الدكتور نصر حامد أبو زيد مَعْنَوِيًّا: ١٠٤
تَبْرِيرُ الْجَمَاعَةِ بِأَحَقِّيَّةِ سَرِقَةِ الْقِبَطِ: ١٠٦
تَدَاعِيَّاتُ حَرْبِ الْكَنَائِسِ فِى مِصْرَ: ١٠٩
التَّرَاجُعَاتُ لِلْجَمَاعَةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ ١١١
الْمَبْحَثُ الثَّانِى: فِكْرُ جَمَاعِةِ الْإِخْوَانْ ١١٥
الفاشية الدينية: هى مصادرة حق النقد ١٢١
مبادئ الفاشية وخصائصها: ١٢١
أولاً : من هم ؟ ١٢٢
مراحل تجنيد (الإخوانى): (الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى) ١٢٣
(الْمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ) السيطرة على (المستهدف) بنظرية (المؤامرة على الإسلام) ١٢٦
(الْمَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ) أهلاً بكم فى (دولة الإخوان) ١٢٩
الزَّوَاجُ الْبِيتِىُّ ١٣٢
الشَّبَكَةُ الْإِخْوَانِيَّةُ، وَالْمَصَالِحُ الْعَائِلِيَّةُ ١٣٤
أَيْنَ الْمَوْعِظَةُ يَا أُولِى الْأَلْبَابْ؟ ١٣٨
ثَانِيًا: شِعَارَاتُ الْإِخْوَانِ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ دَلاَلاَتْ: ١٤٣
الشعار الأول: الإسلام هو الحل، ونريدها إسلامية ١٤٥
جِهَادُ النِّكَاحِ ١٥٢
الشعار الثانى: لا رابطة أقوى من العقيدة، ولا عقيدة أقوى من الإسلام ١٥٦

الشِّعَارُ الثَّالِثُ: (الْأَنَاشِيدُ الدِّينِيَّةُ) ١٥٨
الشِّعَارُ الرَّابِعُ: (خيبر. خيبر. يا يهود . جيش محمد سوف يعود) ١٦٢
الشعار الخامس: (أمريكا عدوة الله، لعن الله أمريكا، ولعن الله من والاها ١٦٥
علاقة الإخوان بأمريكا ١٦٧
الشِّعَارُ السَّادِسُ: (الْمُشَارَكَةُ ، لاَ الْمُغَالَبَةُ) ١٦٨
الشِّعَارُ السَّابِعُ: (يَسْقُطْ. يَسْقُطْ حُكْمُ الْعَسْكَرْ) ١٧١
عبدالناصر الرئيس الإنسان: ١٧٧
ثقةُ إسرائيلَ ثقةً عمياءَ فى عبدالناصر: ١٨٠
إنجازات الزعيم الخالد (عبد لناصر): ١٨٦
الْمُلُوكُ بِجَانِبِهِ صِغَارًا : ١٩٧
الْفَلاَّحُ الْمِصْرِيُّ الذَّكِيُّ: ٢٠٤
السادات مع قادة حرب أكتوبر: ٢٠٨
أهم إنجازات الرئيس (محمد حسنى مبارك): ٢١٣
الصَّامِتُ الذَّكِيُّ، وَالشُّجَاعُ الأَبِيُّ: ٢١٨
حَالَةُ الْغُمُوضِ الَّتِى تَنْتَابُ هَذَا الرَّجُلْ: ٢٣٠
الشِّعَارُ الثَّامِنُ: (دَعْنَا نَتَعَاوَنُ فِيمَا نَتَّفِقُ عَلَيْهِ، وَيَعْذُرُ بَعْضَنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ) ٢٣٦
الشِّعَارُ التَّاسِعُ وَهُوَ: إِشَارَةُ رَابِعَةُ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَلاَئِلَ، وَحَقَائِقَ ٢٣٨
التحرك على أرض الواقع: ٢٤١
الْمَبَادِئُ وَالطُّقُوسُ الْخَاصَّةُ بِالْمَاسُونِيَّةِ: ٢٤٣

أفكارهم، ومعتقداتهم: ٢٤٤
الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنَ الْمَاسُونِيَّةِ : ٢٤٦
عِلاَقَةُ الإِخْوَانِ بِالْمَاسُونِيَّةِ : ٢٥٠
ثَالِثًا: مَا فِكْرُ جَمَاعَةِ الإِخْوَانْ؟ ٢٦٢
(الْجَانِبُ الأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، هُوَ فِكْرُ الْخَوَارِجِ): ٢٦٣
وَالْجَانِبُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، هُوَ فِكْرُ الشِّيعَةِ: ٢٦٩
الْغُلُوُّ فِي الأَشْخَاصِ: ٢٧٤
الْغُلُوُّ فِي شَخْصِ الْبَنَّا : ٢٧٦
الْجَانِبُ الثَّالِثُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، وَهُوَ فِكْرُ التَّقِيَّةِ: ٢٧٩
الْجَانِبُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، وَهُوَ فِكْرُ التَّكْفِيرِ عِنْدَ الإِخْوَانِ: ٢٨٩
(الْكَأْسُ الْمَسْمُومَةُ) ٢٩٢
رَابِعًا : مِنْ أَيْنَ جَاءُوا بِهَذَا الْفِكْرِ؟ ٢٩٨
خَامِسًا: مَا حُكْمُهُمْ عَلَى الْمُجْتَمِعِ؟ ٣٠١
سَادِسًا: مُوَالاَتِهِمْ لأَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ: ٣٠٨
سَابِعًا: التَّمَكُّنُ وَالتَّمْكِينُ لِلْقَفْزِ عَلَى سُلَّمِ الْمَجْدِ بِاسْتِلاَمِ السُّلْطَةِ ٣٢٢
أولاً : الموارد المالية : ٣٣١
ثانياً: الاستقواء بالخارج للوصول إلى السلطة: ٣٣٤
المرحلة الأولى لفتح مصر: ٣٤٥

(تَعْلِيقٌ عَلَى وَثِيقَةِ الشَّاطِرِ) ٣٤٧

الفصل الرابع: مِصْرُ كِنَانَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهْ

إِطْلالَةٌ ٣٥٢
الْـمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مِصْرُ فِي قَبْضَةِ الْإِخْوَانْ ٣٥٤
مُرْسِى وَجَمَاعَتَهُ يقولونَ مَا لا يفعَلونَ، ويفعلونَ مالا يقولونْ ٣٥٨
- التَّثَبُّتُ مِنَ الْكَلِمَةِ: ٣٩٥
- الاِغْتِيَالاَتُ الْجَسَدِيَّةُ: ٣٩٩
- الاِغْتِيَالاَتُ السِّيَاسِيَّةُ فِي مِصْرَ: ٤٠٣
- الاِغْتِيَالاَتُ الْفَاشِلَةُ لِوُزَرَاءِ دَاخِلِيَّةِ مِصْرَ: ٤٠٨
٣ سنوات من تضحيات رجال الشرطة في سبيل الوطن: ٤١٠
- التَّفْجِيرَاتُ، وَالتَّدْمِيرَاتُ: ٤١٣
الْأَيَادِى الْمُرْتَعِشَهْ ٤٢٤
إِعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارْ: ٤٢٩
رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ: ٤٤٠
عَدَاءُ مُرْسِى، وَجَمَاعَتَهُ لِكُلِّ مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَةِ ٤٤٧

مُؤَسَّسَةُ التَّعْلِيمْ ٤٤٨
مُؤَسَّسَةُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفْ: ٤٥١
قيادات إخوانية وراء أحداث العنف: ٤٥٣
مُؤَسَّسَةُ الْإِعْلَامْ: ٤٥٤
مُؤَسَّسَةُ الْقَضَاءْ: ٤٥٥
مُؤَسَّسَةُ الْجَيْشِ: ٤٥٨
مؤسسة الشرطة: ٤٦٠
عَدَاءُ مُرْسِي، وَجَمَاعَتَهُ لِلْأَقْبَاطْ: ٤٦٥
إباحة سرقة الأقباط، وفرض الجزية على قرية (دلجا)، بالمنيا: ٤٦٧
الْجِزْيَةُ، وَحُكْمُهَا: ٤٧٠
الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ: ٤٧٤
الْمَبْحَثُ الثَّانِي: وَطَنِيَّةُ الْإِخْوَانِ، وَوَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ ٤٧٨
عُمْدَةُ الْقَرْيَةِ الْمُفْلِسْ: ٥٠٦
وَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ مِنْ خِلَالِ أَقْوَالِهِمْ ٥٢٦
وَطَنِيَّةُ الْأَقْبَاطِ مِنْ خِلَالِ أَفْعَالِهِمْ: ٥٣٠

التَّحْلِيلُ عَلَي أَرْضِ الْوَاقعِ لِتِلْكَ الدَّهَالِيزْ: ٥٣٢
يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م ٥٣٧
ما بعد النكسة: ٥٣٩
فترة ما قبل ١٩٧٣: ٥٤٢
المدخل: ٥٤٩
السلام على أهل الكتاب للشيخ «فيصل مولوى» ٥٥٦
أولا: أسباب منع المسلم من ابتداء أهل الكتاب بالسلام: ٥٥٨
ثانيا: وجوابنا على ذلك: ٥٥٩
ثالثا: النصوص من القرآن الكريم: ٥٦١
رابعا: نصوصٌ من السنة المطهرة: ٥٦٧
(التَّهْنِئَةُ لِغَيْرِ الْمُسْلِم) ٥٨٠
التمهيد للآراء الفقهية في ذلك الشأن: ٥٨٣
الآراء الفقهية لعلماء الأزهر الشريف: ٥٨٧
نَظْرَةٌ خَاصَّةٌ لِأَهْلِ الْكِتَابْ: ٥٩٢
أَهْلُ الذِّمَّةِ ٥٩٣

مُوالاةُ غير المسلمين ومعناها: ٥٩٤
- (اسْتِعَانَةُ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ الْمُسْلِمِ) ٥٩٦
الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مِصْرُ الآمِنَةُ ٥٩٩
انتصارات جيش مصر منذ عهد مينا ٦٠٤
مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ؟ ٦١٤
الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونْ ٦١٨
فهرس قائمة المراجع ٦٣٧
فهرس قائمة المحتويات ٦٤٧

صدر للمؤلف

- ياباغى الجنة قف مع نفسك.
- الحب على خُطَى الحبيب ﷺ.
- يا ليت لنا.

- سلسلة مزايا الدين الإسلامى، ومنها:

- الأمانة.
- حُسن الخلق.
- العدل.
- الصدق.
- طَوْقُ النَّجَاهْ.
- حَقِيقَةُ ابْنِ آدَمَ.
- الْأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْوَاقِعُ السِّيَاسِيُّ الْآنْ.

وقريبًا إن شاء الله:

* (نبذُ الفُرقةِ والاختلافِ)

سلسلة :

(تعرف على دينك تسلم... وتعرف على ربك تغنم... وتعرف على نَبِيِّكَ تُرْحَمْ)